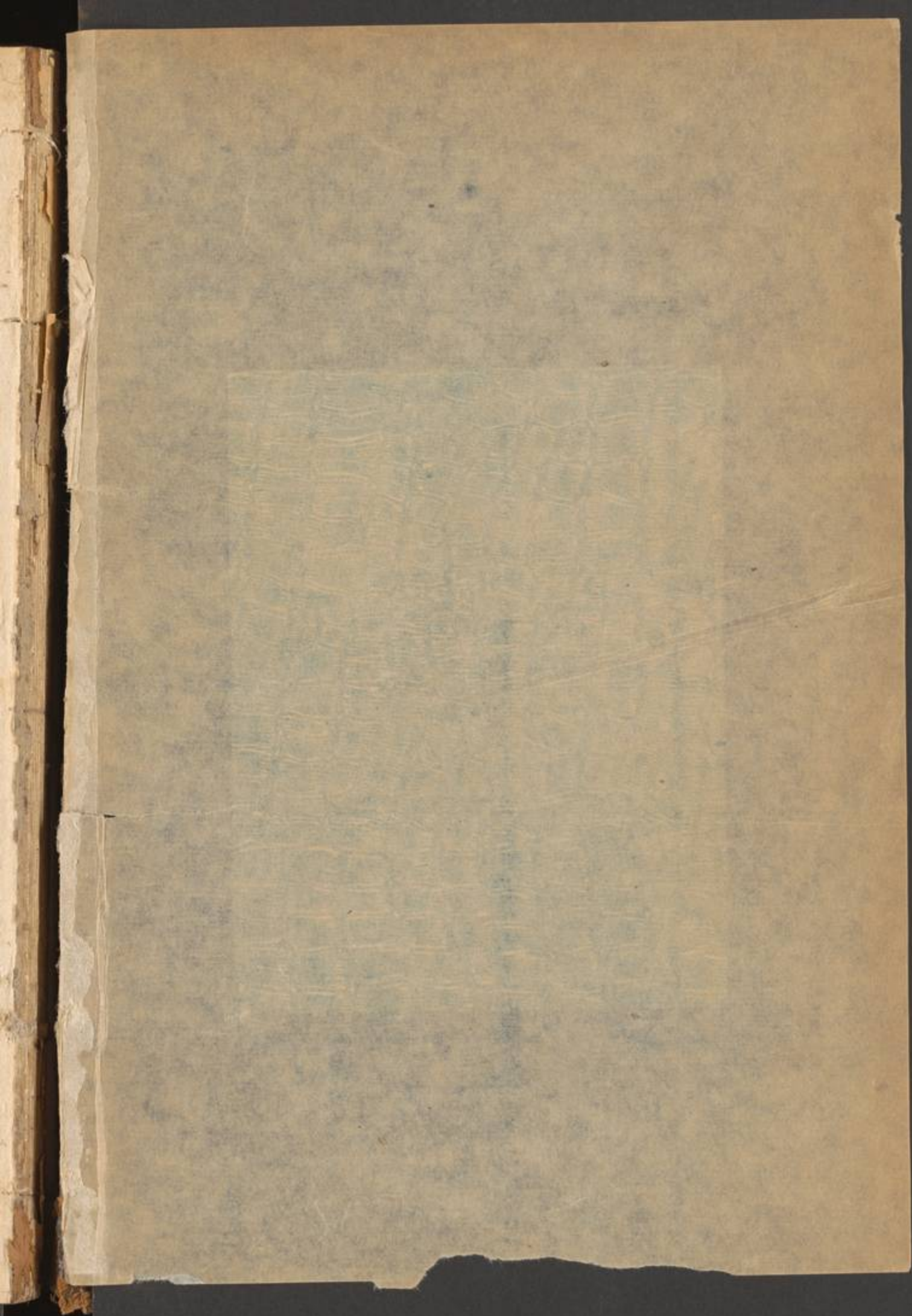


BOBST LIBRARY



3 1142 02748 6409



al-Nuwayrī, Ahmad ibn 'Abd al-Wahhāb

/Nihāyat al-arab fi funūn al-ādab/

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

بني

نَهَائِيَتُ الْعَرَبِ

فِي

فُنُونِ الْأَدَبِ

تَأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن

السُّفْر السَّابِعَ عَشَرَ

المتأهرة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

AE

90

A 7

N 8

v. 17-18

c. 1

الطبعة الأولى بمطبعة دارالكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدارالكتب المصرية

فهرس

السفر السابع عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

صفحة

- غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يتصل بذلك من الوقائع
التي لم تذكر في حوادث السنين لتعلقها بالغزوات ١
- أول لواء عقده صلى الله عليه وسلم ٢
- سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب إلى بطن رابع ٢
- سرية سعد بن أبي وقاص إلى الحرار ٣
- غزوة الأبواء ٤
- غزوة بواط ٤
- غزوة بدر الأولى ٥
- غزوة ذي العشيرة ٥
- سرية عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة ٦
- غزوة بدر الكبرى ١٠
- رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب وخروج قريش إلى بدر ١١
- خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين إلى بدر ١٥
- قتال الملائكة مع المسلمين ٢٦

صفحة	ورود الخبر بمصاب أهل بدر على من بمكة من كفار قريش ، وهلاك
٣١	أبي لطب بن عبد المطلب
	تسمية من شهد بدرا من المهاجرين والأنصار مع رسول الله صلى الله
٣٣	عليه وسلم
٤٤	تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة بدر
٤٤	تسمية من قتل من المشركين في غزوة بدر
٥١	تسمية من أسر من المشركين في غزوة بدر
	خبر أسارى بدر ، وما كان من فدائهم ، ومن منّ عليه رسول الله
٥٤	صلى الله عليه وسلم وأطلقه منهم ، ومن أسلم بسبب ذلك
٥٦	خبر أبي سفيان في أسر ابنه عمرو وإطلاقه
	خبر أبي العاص بن الربيع في فدائه ، وإرساله زينب بنت رسول الله
٥٧	صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وإسلامه بعد ذلك
٦١	خبر الوليد بن الوليد بن المغيرة
	من منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسارى بدر وأطلقه
٦١	بغير فداء
٦٢	خبر عمير بن وهب وإسلامه ، وإطلاق ولده وهب بن عمير
	سرية عمير بن عدى بن نحرشة الخطمي إلى عصماء بنت مروان من
٦٥	بنى أمية بن زيد
٦٦	سرية سالم بن عمير العمري إلى أبي عفاك اليهودي
٦٧	غزوة بني قينقاع
٧٠	غزوة السويق
٧١	غزوة قرقرة الكدر

صفحة	
٧٢	مقتل كعب بن الأشرف اليهودى
٧٧	غزوة غطفان إلى نجد
٧٩	غزوة بنى سليم ببحران
٨٠	سرية زيد بن حارثة إلى القردة
٨١	غزوة أحد
١٠٠	خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه
١٠٤	تسمية من استشهد من المسلمين يوم أحد
١٠٨	تسمية من قتل من المشركين يوم أحد
	ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فى غزوة أحد،
١١١	وما ورد فى تفسير ذلك
١٢٦	غزوة حمراء الأسد
١٢٧	سرية أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى
١٢٨	سرية عبد الله بن أنيس إلى سفیان بن خالد الهذلى
١٣٠	سرية المنذر بن عمرو الساعدى إلى بئر معونة
١٣٣	سرية مرثد بن أبى مرثد الغنوى إلى الرجيع
١٣٧	غزوة بنى النضير
١٤٠	ما أنزل الله عز وجل فى بنى النضير
١٤٨	قصة برصيصا
١٥٤	غزوة بدر الموعد
١٥٨	غزوة ذات الرقاع، وخبر صلاة الخوف
	خبر غورث بن الحارث المخاربى لما أراد أن يفتك برسول الله
١٥٩	صلى الله عليه وسلم

صفحة	
١٦٠	خبر جابر بن عبد الله في جملة ، واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه
١٦٢	غزوة دومة الجندل
١٦٤	غزوة بني المصطلق ، وهي غزوة المريسيع
١٦٦	غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب
	تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة الخندق ، ومن قتل من
١٧٨	المشركين
	ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن في غزوة الخندق ،
١٧٩	وما ورد في تفسير ذلك
١٨٦	غزوة بني قريظة
	نزول بني قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسؤال
	الأوس فيهم وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم بحكم الله تعالى
١٩٠	وقتلهم
١٩٧	سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري بخير
٢٠٠	سرية محمد بن مسامة إلى القرطاء
٢٠٠	غزوة بني لحيان
٢٠١	غزوة الغنابة وهي غزوة ذى قرد
٢٠٣	سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى العمر
٢٠٤	سرية محمد بن مسامة إلى بني ثعلبة بذى القصة
٢٠٤	سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة
٢٠٥	سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم
٢٠٦	سرية زيد بن حارثة إلى العيص

صفحة	
٢٠٦	سرية زيد بن حارثة إلى الطرف
٢٠٧	سرية زيد بن حارثة إلى حسمى
٢٠٨	سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى
٢٠٩	سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل
٢٠٩	سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك
٢١٠	سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة
٢١١	سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام اليهودي بنخير
٢١٣	سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنين
	سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن
٢١٤	حرب بمكة
٢١٧	غزوة الحديبية
٢١٨	تجمع قريش للحرب
	بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش
٢٢٦	بمكة
٢٢٧	بيعة الرضوان
٢٢٩	ذكر هدنة قريش ، وما وقع فيها من الشروط
٢٣٤	رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ونزول سورة الفتح
٢٤٥	خبر أبي بصير بن أسيد بن جارية
٢٤٨	غزوة خيبر
٢٥٥	خبر بني سهم حين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٥٧	فتح الوطيح والسلام من حصون خيبر

صفحة	
٢٥٩	تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة خيبر
٢٦١	قسم غنائم خيبر
	تسمية من قسم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتيبة التي
٢٦٣	خرجت للخمسة ، وما أعطاهم منها
	خبر الحجاج بن علاط وما أوصله إلى أهل مكة عن رسول الله
٢٦٦	صلى الله عليه وسلم حتى استوفى أمواله
	انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادي القرى ،
٢٦٨	ونومهم عن صلاة الصبح
٢٧٠	سرية عمر بن الخطاب إلى تربة
٢٧١	سرية أبي بكر الصديق إلى بني كلاب بنجد
٢٧٢	سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فذك
٢٧٢	سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة
٢٧٣	سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن وجبار
٢٧٤	سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم
٢٧٤	سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوحة بالكديد
٢٧٦	سريته إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بذك
٢٧٦	سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسي
٢٧٧	سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاق
٢٧٧	سرية مؤتة
٢٨٣	تسمية من استشهد من المسلمين يوم مؤتة
٢٨٣	سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل

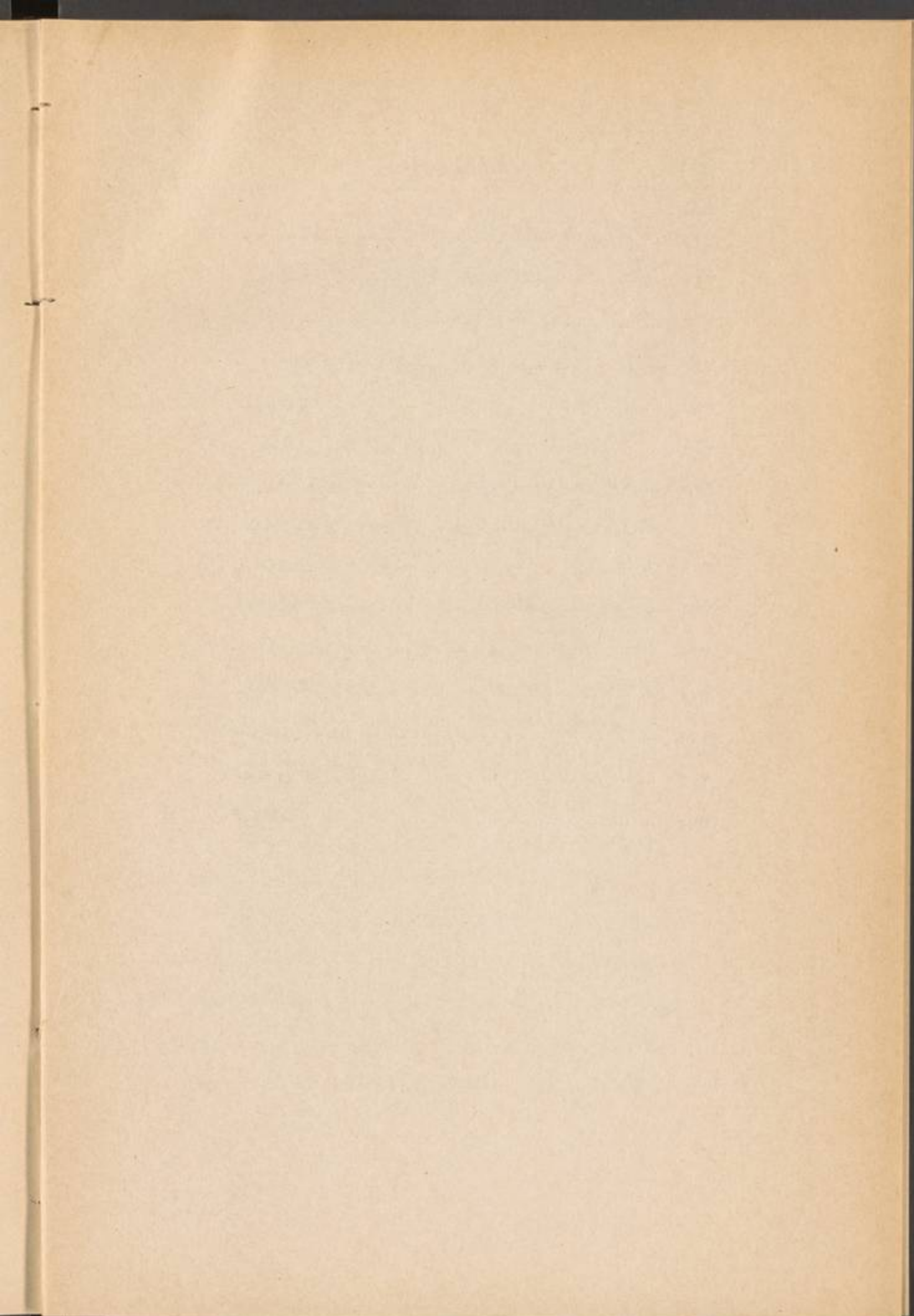
- صفحة
- ٢٨٤ سرية أبي عبيدة بن الجراح ، وهي سرية الخبط
- ٢٨٥ سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خضرة
- ٢٨٦ سرية إلى بطن إضم
- ٢٨٧ غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح
- خبر حاطب بن أبي بلتعة في كتابه إلى أهل مكة ، وإعلام الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك وأخذه الكتاب ، وما أنزل الله
عز وجل في ذلك من القرآن
- ٢٩١
- ٢٩٦ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة
- خبر أبي سفیان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٢٩٧
- مجيء العباس بأبي سفیان بن حرب إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وإسلام أبي سفیان ، وخبر الفتح
- ٢٩٩
- دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة صلحا ، ودخول
خالد بن الوليد ومن معه من القبائل عنوة
- ٣٠٢
- ٣٠٤ شعر ضرار بن الخطاب يوم الفتح
- من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم يوم فتح مكة وسبب
ذلك ، ومن قتل منهم ، ومن نجا بإسلامه
- ٣٠٧
- إسلام أبي خافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم
ابن مرة بن كعب
- ٣١٠
- ٣١١ إسلام عبد الله بن الزبير وشعره في ذلك
- دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطوافه بالبيت ، ودخوله
الكعبة ، وما فعل بالأصنام
- ٣١٢

صفحة	
٣١٤	سرية خالد بن الوليد إلى العزى وهدمها
٣١٥	سرية عمرو بن العاص إلى سواع وكسره
٣١٥	سرية سعد بن زيد الأشملى إلى مناة
	سرية خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة،
٣١٦	وهو يوم الغميصاء
٣١٧	خبر عبد الله بن علقمة مع حبيشة ومقتله
٣٢٣	غزوة حنين إلى هوازن وتقيف
٣٣٥	سرية الطفيل بن عمرو الدومى إلى ذى الكففين
٣٣٥	غزوة الطائف
	مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة، وقسم مغنم حنين،
٣٣٩	وما أعطاه المؤلفة
	قدوم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامهم
٣٤١	ورد السبابا إليهم
	تسمية من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها عند
٣٤٥	قسم مغنم حنين
	مقالة الأنصار في أمر قسم النخلاء، وما أجابهم به رسول الله صلى الله
٣٤٦	عليه وسلم
	استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة،
٣٤٨	ورجوعه إلى المدينة
٣٤٨	سرية عينة بن حصن القزاري إلى بنى تميم
٣٤٩	خبر الوليد بن عقبة بن أبي معيط مع بنى المصطلق
٣٥٠	سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم

من نهاية الأرب

(ك)

صفحة	
٣٥٠	سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب
٣٥١	سرية علقمة بن مجزز المدجلي إلى الحبشة
٣٥٢	سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفلاس
٣٥٢	سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجناح
٣٥٢	غزوة تبوك
٣٥٦	سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك
٣٥٨	خبر مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحر وما قاله لأصحابه ... أخبار المنافقين ، وما تكلموا به في غزوة تبوك ، وما أنزل الله
٣٥٩	عز وجل فيهم من القرآن
٣٦١	خبر الثلاثة الذين خلفوا ، وما أنزل فيهم وفي المعدرين من الأعراب
٣٦٨	سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن
٣٧٠	سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض الشراة
٣٧١	حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره
٣٧٣	خطبته في حجة الوداع
٣٧٥	عمرة القضاء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه التوفيق والإعانة

ذِكْرُ غَزَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- وما يتصل بذلك من الوقائع التي لم تذكر في حوادث السنين لتعلقها بالغزوات
كانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي حضرها بنفسه سبعة
وعشرين غزاة ، كلها بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهي :
- غزوة الأَبواء ، وهي غزوة وُدَّان ، ثم غزوة بُوَاط ، ثم غزوة بَدْرِ الأُولَى ،
ثم غزوة ذِي العُشَيْرَةِ ، ثم غزوة بَدْرِ الكَبْرَى ، ثم غزوة بَنِي قَيْنُقَاع ، ثم غزوة السَّوِيق ،
ثم غزوة قَرَقَرَةَ الكُدْر ، وهي غزوة بَنِي سُلَيْم ، ثم غزوة غَطَفَانَ إلى نَجْد ،
وهي غزوة ذِي أَمْرٍ ^(١) ، ثم غزوة بَنِي سُلَيْمِ بِيحْرَانَ ، ثم غزوة أُحُد ، ثم غزوة حَمْرَاء
الأسد ، ثم غزوة بَنِي النَّضِير ، ثم غزوة بَدْرِ الموعِد ^(٢) ، ثم غزوة ذَاتِ الرِّقَاع ، ثم غزوة
دُومَةَ الجَنْدَل ، ثم غزوة بَنِي المِصْطَلِقِ بالمُرَيْسِيع ، ثم غزوة الحَنْدِاق ، وهي
غزوة الأَحْزَاب ، ثم غزوة بَنِي قُرَيْظَةَ ، ثم غزوة بَنِي الحِيَان ، ثم غزوة الغَابَةِ ،
وهي غزوة ذِي قَسْرَد ، ثم غزوة الحُدَيْبِيَّة ، ثم غزوة خَيْبَرَ ، ثم غزوة الفَتْح ، ثم
غزوة حُنَيْن ، ثم غزوة الطَّائِف ، ثم غزوة تَبُوك ، ومنهم من عدَّ عُمْرَةَ القِصَاء
مع الغزوات ، وكانت بعد خَيْبَرَ وقبل الفَتْح .

(١) ذُو أَمْرٍ : موضع بناحية النخيل بجند من ديار غطفان .

(٢) غزوة بدر الموعِد : هي بدر الأثمة ، وسميت بذلك للواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أحد .

قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوات في تسع ، وهي : بدر
الكبرى ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطابق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ،
والطائف ، وقيل : إنه قاتل في بنى النضير . والغابة .
وسراياه صلى الله عليه وسلم نحو من ستين سرية .^(١)

ذكر أول لواء عقده صلى الله عليه وسلم

كان أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه حمزة بن عبد المطلب
في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لواءً أبيض ، حمّله أبو مرثد
ثَّكَازُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْعَنَوِيُّ ، حليف حمزة ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ثلاثين رجلاً من المهاجرين يعترض لغير قريش^(٢) قد جاءت من الشام تريد مكة ،
وفيها أبو جهل بن هشام في ثلثمائة رجل ، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص^(٣) ،
فالتقوا ، وصدقوا للقتال ، فمضى مجدي بن عمرو الجهني ، وكان موادعا للفرقيين^(٤) ،
جميعاً ، إلى هؤلاء مرة ، وإلى هؤلاء مرة ، حتى حجز بينهم .

ذكر سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب إلى بطن رابغ

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال على رأس ثمانية أشهر من مهاجره
في ستين رجلاً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، وعقده لواء أبيض ،

٢
١٥

(١) جرت عادة المخدثين وأهل السير أن يسموا كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة ،
وما لم يحضره ، بل أرسل بعضاً من أصحابه إلى العدو ، سرية وبعثاً . راجع كتاب المغازي من كتاب المواهب
اللدنية ، ج ١ صفحة ٤٦٧ .

(٢) العبرها : الإبل التي تحمل الميرة ؛ لا واحد لها من لفظها .

(٣) سيف البحر : ساحله . (٤) العيص : موضع بناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق
قريش التي كانوا يأخذون إلى الشام .

حملة مسطح بن أثانة بن المطلب بن عبد مناف . حكاة محمد بن سعد .
قال ابن إسحاق : أو ثمانين رجلا من المهاجرين ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل نديّة
المرّة ، فلقى به جمعا عظيما من قريش .

قال الشيخ شرف الدين الدمياطي رحمه الله : فلقى أبا سفيان بن حرب ، وهو
في مائتين ، على ماء يقال له أحياء ، من بطن رابع على عشرة أميال من الجحفة ، فكان
بينهم التزمي ولم يسألوا السيوف ولم يصطفوا للقتال ، وكان سعد بن أبي وقاص أول
من رمى بسهم في سبيل الله ، ثم أنصرف الفريقان على حاميتهم ^(١) ، وكان على القوم
عكرمة بن أبي جهل . وقال أبو محمد بن هشام : كان عليهم مركز بن حفص
ابن الأخيف .

قال ابن إسحاق : وفز من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرائي
حليف بني زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن
عبد مناف ، وكانا مسلمين ، ولكنهما جاءا مع القوم ليتوصلا بهم ^(٢) .
وقدم ابن إسحاق هذه السرية على سيرة حمزة .

ذكر سيرة سعد بن أبي وقاص إلى الخرار ^(٣)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من
مهاجره في عشرين رجلا من المهاجرين ، وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو
البهرائي ، وساروا يعترضون لغير قريش ، وعهد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا يجاوز الخرار .

قال سعد : فخرجنا على أقدامنا ، فكنا نكمن النهار ونسير الليل ، حتى صبحناها
صبح خمس ، فوجد العير قد صرت بالأمس .

(١) حاميتهم : وجههم . (٢) الضمير في بهم يعود على الكفار . يريد : أنهما جمعا
نروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين . (٣) الخرار : موضع بالحجاز .

ذكر غزوة الأَبواء^(١) وهي غزوة وَدَانَ^(٢)

وبينهما ستة أميال

وهذه الغزوة أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وكانت في صفر على رأس آخى عشر شهرا من مهاجره ، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب ، وكان أبيض ، وأستخلف على المدينة سعد بن عبادة ، ونحرج في المهاجرين ليس فيهم أنصاري حتى بلغ الأَبواء يعترض لعير قريش ، فلم يلق كيدا .

وفي هذه الغزاة وادع مخشي بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في زمانه ، على ألا يغزو بني ضمرة ولا يغزوه ، ولا يكثروا عليه جمعا ، ولا يعينوا عدوا ، وكتب بينه وبينهم كتابا .

وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة .

ذكر غزوة بَوَّاط

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مهاجره وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص^(٤) ، وكان أبيض ، وأستخلف على المدينة سعد بن معاذ^(٥) . [وقال ابن هشام : استعمل عليها السائب بن عثمان بن مظعون .

- ١٥ (١) الأَبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفا ما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا .
 (٢) ودان : قرية جامعة من نواحي الفرع على طريق الحاج .
 (٣) زيد في أ : « اطلب كزبن جابر النهري » .
 (٤) كذا في ح . وفي أ : « على بن أبي طالب رضى الله عنه » .
 (٥) في أ : « زيد بن حارثة » .

ونخرج في مائتين من أصحابه يعترض لغير قریش، فيها أُمیة بن خلف الجُمحی ومائة رجل من قریش وألف ونحسمائة بعیر، فبلغ بُوَاطا، وهي من جبال جُهينة من ناحية رَضَوَى، وهي قريب من ذی حُشْب مما يلي طريق الشام، وبين بُوَاط والمدينة نحو من أربعة بُرد، فلم يلق كيدا، فرجع صلى الله عليه وسلم .^(١)

ذكر غزوة بدر الأولى^(٢)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مهاجره، لطلب كُرْز بن جابر الفهري، وحمل لواءه على بن أبي طالب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وكان كرز قد أغار على سرح المدينة فاستاقه، وكان يرعى بالجماء، فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر، وفاته كرز فلم ياحقه، فرجع إلى المدينة . ١٠

ذكر غزوة ذى العشيرة

العشيرة، بالشين المعجمة، وقيل بالسين المهملة، وقيل: العشيرة بالألف . غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة، على رأس ستة عشر شهرا من مهاجره، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي . ١٥

(١) اضطرب النص هنا في نسخة أ .

(٢) هذه الغزوة ساقطة من أ . وقد سماها ابن هشام أيضا بغزوة سفوان : وذكرها بعد غزوة

العشيرة . راجع صفحة ٤٧٨ ح ١ من المواهب الدنية .

(٣) السرح : الإبل والمواشي التي تسرح للرعى بالغداة .

ونُحِرَ في خمسين ومائة ، ويقال في مائتين من المهاجرين ممن آتَدَبَ ،
ولم يُكْرَهْ أحدا على الخروج ، ونُحِرُوا على ثلاثين بعيرا يُعْتَقِبُونَهَا ، ونُحِرَ يَعْتَرِضُ لَعِيرِ
قُرَيْشٍ حينَ آبَتْدَاتِ إِلَى الشَّامِ ، فَبَلَغَ ذَا الْعُشَيْرَةِ ، وَهِيَ لَبْنَى مُدْبِجٍ بِنَاحِيَةِ يَنْبُعٍ ،
فَوَجَدَ الْعَيْرَ الَّتِي نَحَرَ لَهَا قَدْ مَضَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ ، وَهِيَ الْعَيْرُ الَّتِي نَحَرَ أَيْضًا
يُرِيدُهَا حينَ رَجَعَتْ مِنَ الشَّامِ ، فَكَانَتْ فِيهَا وَقْعَةُ بَدْرِ الْكَبِيرِ .

وفي هذه الغزاة وادَّعَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي مُدْبِجٍ وَحُلَفَاءَهُمْ مِنْ بَنِي
ضَمْرَةَ . وَفِيهَا كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبَا تُرَابٍ ،
وَقَبِيلَ فِي غَيْرِهَا .

ذِكْرُ سَرِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَجَشِ الْأَسَدِيِّ إِلَى نَحْلَةِ

- ١٠ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رجب على رأس سبعة عشر شهرا
من مهاجرة في اثني عشر رجلا من المهاجرين ، كل اثنين يعتقبان بعيرا .
قال ابن إسحاق : وكتب [له] رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ، وأمره
ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه ، ويمضي لما أمره به ، ولا يستكره
أحدا من أصحابه .

١٥

(١) يعتقبونها : يتناوبون ركوبها .

(٢) قال السهيلي : في الروض ج ٣ ص ٥٨ « إن أصح الأقوال في تسمية علي بابي تراب ما رواه
البخاري في جامعه وهو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد في المسجد ناظما وقد ترب جنبه فجعل
يحت التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب . وكان قد خرج إلى المسجد مغاضبا لفاطمة » .

(٣) زيادة من سيرة ابن هشام .

قال : وكان معه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعكاشة بن محصن ، وعتبة ابن غزوان بن جابر ، وسعد بن أبي وقاص ، وعامر بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله التيمي ، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث ، وسهيل بن بيضاء . هؤلاء الذين عدّهم ابن إسحاق ؛ وكان معهم المقداد بن عمرو ، حكاه محمد بن سعد .

قال ابن إسحاق : فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فإذا فيه :
 ” إذا نظرت في كتابي هذا فأمض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم “ . فلما نظر عبد الله في الكتاب قال : سمع وطاعة .
 ثم ذكر ذلك لأصحابه وقال لهم : قد نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أستكره أحدا منكم ، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فأمض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمضوا كلهم ، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بجران ، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بغيرهما ، فتخلفا في طلبه ، ومضى عبد الله وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فسرت به عير لقريش تحمل زيبا وأدما^(١) وتجارة من تجارة قريش — قال ابن سعد : ونحرا — وفيها عمرو بن الحضرمي ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة .

فلما رأهم القوم هابوهم ؛ وكان عكاشة حلق رأسه ليطمئن القوم ؛ فأمنوا .
 وقال لهم عثمان : لا بأس عليكم منهم . قال : فمترحوا ركابهم ، وصنعوا طعاما .
 قال : فتشاور القوم فيهم ، وذلك آخر يوم من شهر رجب ، فقالوا : والله لئن

(١) الأدم : الجلد . (٢) انظر شرح المواهب ١ : ٤٧٩ .

(٣) في طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥ : « وقالوا هم عمار » .

تركتوهم في هذه الليلة ليدخُن الحَرَمَ فليمتنعن منكم به ، وإن قتلتموهم لتقتلنهم
 في الشهر الحرام . فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا
 على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ؛ فخرج واقد بن عبد الله يقدم
 المسلمين ، فرمى عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، وأستأمر عثمان بن عبد الله ،
 والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم . وأقبل عبد الله وأصحابه
 بالعر والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدموا عليه قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . ووقف العير
 والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً ؛ فأسقط في يد القوم ، وظنوا أنهم
 قد هلكوا ، وعطفهم المسلمون فيما صنعوا .

- وقالت قريش : قد استحل حجد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ،
 وأخذوا فيه الأموال ، وأسرروا الرجال ؛ وأكثر الناس في ذلك ، فأنزل الله تعالى :
 ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله
 وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ﴾
 أى إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ،
 وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم . ﴿ والفتنة أكبر
 من القتل ﴾ ؛ أى قد كانوا يفتنون المسلمين في دينهم حتى يردوهم إلى الكفر بعد
 إيمانهم ، فذلك أكبر عند الله من القتل .

(١) في سيرة ابن هشام : ص ٢٥٤ : « وأفلت القوم نوفل » .

(٢) أسقط في يد القوم : « زلوا وأخطئوا وندموا وتحوروا » .

(٣) في ح : « وأخذوا الأموال » .

قال: فلما نزلت الآيات قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين،
وبعثت إليه قريش في فدائيهما، فقال: لا . حتى يقدم صاحباننا، يعني سعد
ابن أبي وقاص، وعُتْبَةَ بنَ غَزْوَانَ، فإننا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما تقتل
صاحبَيْكم . فقدم سعد وعُتْبَةَ، فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤
١٥

فأما الحَكَمُ بنُ كَيْسَانَ فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا، وأما عثمان فليحق بمكة، فكان بها حتى
مات كافرا .

قال: فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه طمِعوا في الأجر،
فقالوا: يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة تُعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله
تعالى فيهم: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون
رحمةَ الله واللهُ غفورٌ رحيمٌ ﴾، قال: وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفئءَ بفعل
أربعة أحماسه لمن أفاءه، ونُحِسه إلى الله ورسوله .

قال ابن هشام: وهى أول غنيمة غنمها المسلمون، وعمرو بن الحضرمي
أول من قتل المسلمون، وعثمان والحكم أول من أسر المسلمون . وفي هذه السيرة
سُمى عبد الله بن جحش أمير المؤمنين .

وقال عبد الله بن جحش في هذه الواقعة، ويقال إنها لأبي بكر الصديق
رضي الله عنه، والذي صححه ابن هشام أنها لعبد الله بن جحش، أبياتا يخاطب
بها قريشا:

تعدون قتلاً في الحرام عظيمةً وأعظمُ منه لو يرى الرشد راشدُ
صدودكم عما يقول محمدُ وكُفْرُ به واللهُ راءٍ وشاهدُ

وَإِخْرَاجِكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَهُ لَسَلَّا يُرَىٰ لِلَّهِ فِي الْبَيْتِ سَاجِدٌ
فَأَنَا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلِهِ وَأَرْجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٍ وَحَاسِدٌ
سَقَيْنَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَأَقْدُ
دَمًا وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَثْمَانُ بَيْنَنَا يُنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقَيْدِ عَانِدٌ^(١)

ذكر غزوة بدر الكبرى^(٢)، ويقال فيها بدر القتال، وما يتصل بها

كان سبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بإقبال
أبي سفيان بن حرب من الشام في العير التي لقريش، وهي التي خرج إليها
في غزوة ذي العشيرة، وكان فيها أموال قريش وتجاراتهم، وفيها منهم ثلاثون
أو أربعون، منهم مخزومة بن نوفل، وعمرو بن العاص بن وائل، فندب رسول الله
صلى الله عليه وسلم المساميين إليهم، وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم، فأخرجوا
إليها لعل الله ينفلكموها، فانتدب الناس، نخف بعضهم وثقل بعض.

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان^(٣)
عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تخوفا على ما معه، فأخبره بعض الركبان: أن

(١) القد: شرك يقطع من الجلد. وفي شرح المواهب ١: ٤٨١: «عائد».
(٢) وتسمى هذه الغزوة أيضا غزوة بدر العظمى، والثانية، وبدر الفرقان. وبدر: قرية بين مكة
والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة؛ وقيل ماء مشهور أسفل وادي الصقراء، ويقال: إنه ينسب
إلى بدر بن نخلة وقيل بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه. راجع شرح المواهب
اللدنية ج ١ ص ٤٨٩، ومعجم البلدان مادة «بدر».
(٣) التحسس: أن تسمع الأخبار بنفسك.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استنفر أصحابه لقصده، فحذر عند ذلك، وأستاجر
ضمضم بن عمرو الغفاري؛ فبعثه إلى مكة، وأمره أن يستنفر قريشا إلى أموالهم،
ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه؛ فأسرع ضمضم إلى مكة .

ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

ونحروج قريش إلى بدر

قال محمد بن إسحاق رحمه الله بسنده إلى عبد الله بن عباس، وعروة بن الزبير
رضي الله عنهم .

قالا : ورات عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث رؤيا
أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس، فقالت له : والله لقد رأيت رؤيا أفزعتنى
وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر أو مصيبة، فاكم عنى ما أحدثك به، قال :
وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكبا أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح^(١)، ثم صرخ
بأعلى صوته : ألا أنفروا يا آل عُدر ! لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا،
ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة،
ثم صرخ بمثلها : ألا أنفروا يا آل عُدر ! لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على

(١) الأبطح : سهل واسع فيه دقاق الحصى .

(٢) في اللسان : عُدر معدول عن غادر بالالفسة ، ويقال للذكر : عُدر ، والأنثى غدار ، وهما
مختصان بالسدا. في الغالب ، وقد ضبطه السهيلي بضم الفين والبدال . (راجع ج ٢ صفحة ٦١ من
الروض الأنف) .

رأس أبي قُبَيْسٍ فصرخَ بِمِثْلِهَا ، ثم أخذَ صخرةً فأرسلها مكةَ ^(٢) فلا دارَ منها إلا دخلتها منها فُلُقَّةً ، قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ! وأنتِ فاكتمينا . ^(٣)

ثم خرج العباس فلقى الوليدَ بن عُتبَةَ بن رَبِيعَةَ ، وكان صديقاً له ، فذكرها له وأستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عُتبَةَ ، ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش .

قال العباس : فغدوت لأطوفَ بالبيت ، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رأني أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأت إلينا ، فلما فرغتُ أقبلت حتى جالست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبئة ؟ قلت : وما ذلك ؟ قال : تلك الرؤيا التي رأت عاتكة ، فقلت : وما رأت ؟ فقال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتبنا رجالكم حتى تتبنا نساؤكم ! فقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فسنترى بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب ، قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبيرٌ إلا أتني بحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً ، قال : ثم تفرقنا .

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم تكن

(١) أبو قبيس : جبل مشرف على مكة . (٢) في سيرة ابن هشام : « فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فابقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فُلُقَّةً » . وفي ح : « ولا دار » . (٣) وفي رواية : « رأيت » .

عندك غيرة لشيء مما سمعت ! قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه من كبير ، وأيم الله لا تعرضن له ، فإن عاد لأكيفينكنه .^(١)

قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فرأيتُه ، فوالله إنني لأمشي نحوه أتعرض له ليعود لبعض ما قال ، فأوقع به ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، فقلت في نفسي : ما له لعنه الله ! أكل هذا فرق مني أن أشاتم ! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ، صوت ضمضم بن عمرو وهو بصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره ، قد جدع بعيره وحول رحله ، وشق قيصه وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها مجد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ! قال العباس : فشغلني عنه ، وشغله عني ما جاء من الأمر .

فتجهز الناس سريعا وقالوا : أیظن مجد وأصحابه أن تكون كبير ابن الحضرمي ؟ كلا ! والله ليعلمن غير ذلك ، فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث رجلا مكانه ، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، أستأجره بأربعة آلاف درهم كانت لأبي لهب عليه ، فخرج عنه .

وروى أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتابه المترجم بالأغاني بسند يرفعه إلى مصعب بن عبد الله قال :

(١) في السيرة ج ٢ ص ٢٠٦ والطبري ج ٣ — ٤ ص ١٢٩٤ : « غير » . (٢) يشند : يمدو .

(٣) جدع بعيره : قطع أنفه أو أذنيه . (٤) اللطيمة : الإبل التي تحمل الطيب والبر .

(٥) يقال : أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم إلى الغزو . (٦) راجع الأغاني (ج ٤

ص ١٧٤ طبع دار الكتب المصرية) ، والنص فيه يختلف عن رواية المؤلف هنا .

قَامَرَ أَبُو لُحَبِّ الْعَاصِيَّ بْنَ هِشَامٍ فِي عَشْرَةٍ مِنَ الْإِبِلِ فَقَمَرَهُ ، ثُمَّ فِي عَشْرَةٍ
 فَقَمَرَهُ ، [ثُمَّ فِي عَشْرَةٍ فَقَمَرَهُ] ^(٢) ، إِلَى أَنْ خَلَعَهُ مِنْ مَالِهِ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ :
 إِنِّي أَرَى الْقِدَاحَ قَدْ حَالَفَتْكَ يَا بْنَ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ ، فَهَلُمَّ أَقَامِرَكَ يَا بْنَ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ ،
 فَأَيْتُهَا غُذِبَ كَانَ عَبْدًا لِصَاحِبِهِ . قَالَ : أَفْعَلُ ، فَفَعَلَ . فَقَمَرَهُ أَبُو لُحَبِّ ، فَفَكَرَهُ
 أَنْ يَسْتَرْقَهُ فَتَغَضِبَ بَنُو مَخْزُومٍ ، فَشَى إِلَيْهِمْ فَقَالَ : ائْتِدُوهُ مِنِّي بِعَشْرَةٍ مِنَ الْإِبِلِ .
 فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ وَلَا يَوْبَرَةَ . فَاسْتَرْقَهُ ، فَكَانَ يَرعى لَهُ إِبِلَهُ إِلَى أَنْ نَحَرَ الْمُشْرِكُونَ
 إِلَى بَدْرِ . قَالَ : وَقَالَ غَيْرُ مُصْعَبٍ : فَاسْتَرْقَهُ وَأَحْتَبَسَهُ قَيْنًا يَعْمَلُ [الْحَدِيدَ] ^(٤) . فَلَمَّا
 نَحَرَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى بَدْرِ أُنْحِرَهُ أَبُو لُحَبِّ عَنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ عَلِيلاً ، عَلَى أَنَّهُ إِنْ عَادَ
 أَعْتَقَهُ ، فَقَبِلَ الْعَاصِي .

١٠ قَالَ ابْنُ اسْمَاعِيلَ : وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ قَدْ أَجْمَعَ الْقُعُودَ [وَكَانَ شَيْخًا جَلِيلًا
 جَسِيًا ثَقِيلًا] فَأَتَاهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ قَوْمِهِ بِمِجْمَرَةَ ،
 فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، آسْتَجِمِرُ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ النِّسَاءِ . فَقَالَ :
 قَبِّحَكَ اللَّهُ وَقَبِّحَ مَا جِئْتَ بِهِ . ثُمَّ تَجَهَّزَ وَنَحَرَ مَعَ النَّاسِ .

١٥ قَالَ : وَلَمَّا فَرَعُوا مِنْ جِهَازِهِمْ ، وَأَجْمَعُوا الْمَسِيرَ ، ذَكَرُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
 بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كِنَانَةَ مِنَ الْحَرْبِ ، فَقَالُوا : إِنَّا نَخْشَى أَنْ يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا .
 فَكَادُوا يَنْتُونُ ، فَتَبَدَّى لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ سُرَّاقَةٍ بِنِ مَالِكِ الْمُدَلِّجِيِّ ، وَكَانَ مِنْ
 أَشْرَافِ كِنَانَةَ ، فَقَالَ : أَنَا جَارٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِنَانَةُ مِنْ خَلْفِكُمْ بَنِيءَ مِمَّا
 تَكْرَهُونَهُ فَنُخْرِجُوا سَرَاعًا .
 هَذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ قُرَيْشٍ .

٢٠ (١) قرءه : غايه في المقامرة . (٢) زيادة عن ح . (٣) القين : الحداد .
 (٤) زيادة عن ح . (٥) زيادة من سيرة ابن هشام .
 (٦) في السيرة : « بمجمة يحملها ، فيها نار وبجر » .

ذَكَرَ خُرُوجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْمَسَالِمِينَ إِلَى بَدْرٍ

٦
١٥

قال محمد بن إسحاق : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان .

وقال محمد بن سعد : خرج يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، على رأس تسعة عشر شهرا من مهاجره ، وأستعمل على المدينة عمرو ابن أم مكتوم ، وأسمه عبد الله ، ليصلي بالناس ، ثم ردّ أبا لبابة من الروحاء^(١) وأستعمله على المدينة ، وخرج صلى الله عليه وسلم في ثلثمائة رجل وخمسة عشر رجلا ، كان من المهاجرين منهم أربعة وسبعون ، وسائرهم من الأنصار بعد أن ردّ من أصحابه من استصغروهم ، ولم يكن غزوا بالأنصار قبلها .

قال محمد بن سعد : وتخلّف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية لعلّة ، ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّماهم وأجورهم ؛ ثلاثة من المهاجرين : وهم عثمان بن عفان ، خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمراته ربيعة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مريضة ، فأقام عليها حتى ماتت ، وطائفة بن عبّيد الله ، وسعيد بن زيد ، بعثهما يتحسّسان خبر العير ، وخمسة من الأنصار ، وهم : أبو لبابة بن عبد المنذر ، خلفه على المدينة ، وعاصم بن عدى ، خلفه على أهل العالية ، والحارث بن حاطب ، رده من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم ، والحارث بن الصّمة ، وخوات بن جبير ، كسرا بالروحاء .

(١) الروحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

وكانت إيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيرا يعتقبونها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ومرثد ابن أبي مرثد الغنوى يعتقبون بعيرا .

قال محمد بن سعد يرفعه إلى ابن مسعود قال : كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، وكان أبو لبابة ، وعلي ، زميل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا كانت عقبه النبي صلى الله عليه وسلم قال له : اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك ، فيقول : " ما أنتم بأقوى على المشى منى ، وما أنا أغنى عن الأجر منكم " .

قال ابن إسحاق : وكان حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو كبشة ، وأنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا ، وكان أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، يعتقبون بعيرا .

قال ابن سعد : وكانت الخليل فرسين : فرس للقداد بن عمرو ، وفرس لمرثد ابن أبي مرثد الغنوى . قال ابن إسحاق : وفرس للزبير بن العوام .

قال : ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء إلى مُضْعَب بن عُمَيْر بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أبيض ، قال : وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب ، والأخرى مع الأنصار .

قال ابن سعد : وكان لواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار . قال : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قربا من الصَّفراء^(١) بعث بَسْبَسَ بنَ عمرو ، وعدي بنَ أبي الزَّعباء الجُهَيْنِيَّ إلى بدر
يَتَحَسَّسَانِ له الأَخْبَارَ عن أبي سفيان وعيره .

ثم آرتحل صلى الله عليه وسلم إلى ذِفْران — وإِدِيسَارَ الصَّفراء — وأتاه الخبر
بمسير قريش ليمنعوا عيرهم ، فاستشار النَّاسَ وأخبرهم ، فقام أبو بكر الصديق
فقال وأحسن ، ثم قام عمر فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال :
يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ! فنحن معك فوالله لا نقول كما قالت بنو
إسرائيل : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، وَلَكِنْ نقول : اذهب
أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق ، لو ميرت بنا إلى
بَرْكِ النَّهَادِ لخالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم خيرا ، ودعا له .

ثم قال : أشيروا علي أيها الناس — وإنما يريد الأنصار لأنهم عدد الناس —
فقال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : أجل ؛ قال : فقد
آمتنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فأمض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل
واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ،

(١) الصَّفراء : واد من ناحية المدينة كثير النخل والزرع في طريق الحاج ، وبينه وبين بدر
مرحلة . وقيل : قرية فوق ينبع مما يلي المدينة .

(٢) برك النهاد (بكسر الفين المعجمة ، وقال ابن دريد : بالضم ، والكسر أشهر) : موضع في أقصى
أرض هجر ، وقيل : موضع في أقصى اليمن . وقال الهمداني : موضع بالحبيشة .

لعلَّ الله يريك منا ما تقرَّبه عينك ، فسرُّ بنا على بركة الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : "سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم" .

- ثم آرتحل صلى الله عليه وسلم من ذفران حتى نزل قريبا من بدر ، فركب هو وأبو بكر الصديق حتى وقفا على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني من أنتم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك . قال : أو ذاك بذاك؟ قال نعم . قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذي ترك به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه — وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذي به قريش — ثم قال : من أنتم؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء . ويقال : إن الشيخ سفيان الضمري . قال : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له عليه الخبر ، فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم ، غلام بن الحجاج ، وعيرض أبو يسار ، غلام بن العاص ، فاتوا بهما ، فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قريش ، فقالا : هم وراء هذا الكئيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، فقال لهما : كم القوم؟ قالا : كثير ، قال : ما عدتهم؟ قالا : لا ندري .

(١) ذفران (بفتح أوله وكسر ثانيه ثم راه . همزة وآخرة نون) : واد قرب وادي الصقراء .

(٢) في ١ : « فأنتم اليوم » .

(٣) الراوية : الإبل التي يستق عليها الماء .

قال : كم ينحرون كل يوم؟ قالوا : تسعا ، ويوما عشرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف ، ثم قال لها : فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالوا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدى بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأميمة بن خلف ، ونبيه ومنبه أبنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت أفلاذ كيدها .

قال : وبلغ أبا سفيان الخبر بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد ماء بدر ، فرجع إلى أصحابه سريرا وصرف وجهه عن الطريق ، فساحل بها ، وترك بدرًا يساره ، وأنطلق . وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة ، رأى جهيم بن الصلت بن مخزومة ابن عبد المطلب رؤيا فقال : إني فيما يرى النائم ، أو إني لبين النائم واليقظان ، إذ نظرت إلى رجل أقبيل على فريس حتى وقف ، ومعه بعير له ، ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميمة بن خلف ، وفلان وفلان ، فعدد رجالا ممن كان قتل يوم بدر من أشرف قريش ، ورأيت أنه ضرب في لبة بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه .

قال : فبلغت أبا جهل بن هشام فقال : وهذا أيضا نبي آخر من بني عبد المطلب ! سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

(١) ساحل بها : أي أخذها جهة الساحل .

(٢) الجحفة : قرية على ثلاث أو أربع مراحل من مكة .

(٣) في أ : « وإني » . (٤) النضح : الرش .

٥

١٠

١٥

٢٠

قال: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجأها الله فأرجعوا؛ فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا؛ وكان بدرٌ موسمًا من مواسم العرب يجتمع لهم فيه سوق في كل عام، فنقيم عليه ثلاثًا، فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها، فامضوا.

فمضت قريش حتى نزلوا العُدوة^(٢) القُصوى من الوادي، والقلْب^(٣) ببدر في العُدوة الدنيا، قال: وبعث الله السماء، وكان الوادي دهسًا^(٥)، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبّد لهم الأرض، ولم يمنعهم من المسير.

وقال ابن سعد: كان المسامون يومئذ يميّدون من النعاس ونزلوا على كَثِيب^(٦) أهيل، فطّرت السماء فصار مثل الصفا^(٧) يسعون عليه سعيًا. وأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَاكُمْ النُّعَاسُ^(٨) أَمْسَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾.

قال ابن إسحاق: وأصاب قريشًا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبأدرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء

(١) القيان: الجوارى.

(٢) العُدوة القُصوى: أي جانب الوادي القريب من مكة.

(٣) القلب: جمع قلب، وهو البئر.

(٤) العُدوة الدنيا، أي بالجانب الأدنى من المدينة.

(٥) الدهس: كل مكان سهل ليس برمل ولا تراب.

(٦) كَثِيب أهيل: أي رمل سائل.

(٧) الصفا: الحجارة الصلدة.

(٨) في قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

٨
١٥

من ماء بدر نزل به ، فأناه الحُبَابُ بن المسذربن الجموح فقال : يا رسول الله ، هذا المنزل منزل أنزلك الله ، ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحربُ والمكيدة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” بل الرأى والحربُ والمكيدة ” . قال يا رسول الله : فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماءٍ من القوم فنزله ، ثم نعوذ ما وراءه من القُلب ، ثم نبني عليه حوضاً فتملأه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أشرت بالرأى » ، فنهض بالناس وسار حتى [إذا] أتى أدنى ماء من القوم ، نزل عليه ، ثم أمر بالقُلب فَعُورَت ، وبني حوضاً على القليب الذى نزل عليه ، فملئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

فقال سعد بن معاذ : يا نبي الله ، نبئني لك عريشاً تكون فيه ، وتكون عندك ركائبك ، ثم تلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فليحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام مائحين بأشدك حُباً منهم ، ولو ظنوا أن تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك ، فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه خيراً ، ثم بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش ، فكان فيه .

قال : وأرتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تُحَادِّثُكَ وتكذبُ رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتني ، اللهم أحسنهم العداة ” .

(١) نغور القلب : تدفنها . (٢) عن سيرة ابن هشام . (٣) العريش : شبه الخيمة يستظل به . (٤) الخيلاء : الكبر والإعجاب . (٥) تحادك : تعادلك . (٦) أحسنهم : أى أهلكهم .

قال ابن سعد : كانت قريش تسعمائة وخمسين ، وخيلهم مائة فرس ، وكان لهم ثلاثة ألوية ، لواء مع أبي عريز بن عمير ، ولواء مع النضير بن الحارث ، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة .

قال ابن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار وغيره ، عن أشياخ من الأنصار ، قال :

- لما أطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجهمي فقالوا : آخزر لنا أصحاب عهد ،^(١) فجاء بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصونه ، ولكن أمهلوني حتى أنظر ، ألقوم كمين أو مدد ؟ قال : فضرب في الوادي حتى أبعث ، فلم ير شيئا ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئا ، ولكني رأيت يا معشر قريش البلايا تميل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس معهم [منعة] ولا ملجأ إلا سيوفهم ، أما ترونهم خرسا لا يتكلمون ، يتلمظون^(٢) تلمظ الأفاعي ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟ فرؤوا رأيكم .

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة فقال :

- يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك ألا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذلك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي . قال : قد فعلت ، على عقله ، فأت ابن الحنظلية ، يعنى أبا جهل بن هشام ، قال : فأتيته فقلت : يا أبا الحكم ، قد أرسلني إليك عتبة

(١) الحزر : التقدير بالحسد والفتن . (٢) البلايا : جمع بلية ، وهي الناقعة تربط على قبر الميت

فلا تغلف ولا تسق حتى تموت . وكان بعض العرب يقر بالبعث يقول : إن صاحبها يحشر عليها .

(٣) النواضح : الإبل التي يستقى عليها الماء . (٤) الناقع : النابت البالغ في الإفناء .

(٥) ساقطة من أ . (٦) عقله : دينه .

بكذا وكذا ، فقال : انتفخ والله سحره حين رأى مجدا وأصحابه ، كلا والله لا ترجع حتى يحكم الله بيننا وبين مجد ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت نارك بعينك ، فقم فأئتسده خفرتك ، ومقتل أخيك . فقام عامر فأكتشف ثم صرخ : وا عمراه ! وا عمراه ! فخميت الحرب وحقب أمر الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشر . قال : نخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمته ، أو أمتن دونه ، نخرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما ألتقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره ، ثم جاء إلى الحوض يريد أن يبرئ يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله . ثم نرج بعده عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبه بن ربيعة ، وأبنيه الوليد بن عتبة ، حتى إذا برز من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه ثلاثة من الأنصار ، وهم : عوف ومعوذ أبنا الحارث ، وعبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار ؛ قالوا : مالنا بكم من حاجة ، ثم نادى منادهم : يا مجد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فأخرج لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) يقال : « انتفخ سحره » لبيان الذي ملا الخوف جوفه . والسحر : الرنة .

(٢) أتسده خفرتك : أى اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أى عهدهم ، لأنه كان حليفا لهم

وجارا .

(٣) اكتشف : تعرى من ثيابه . وفي الطبقات : « فكشف عامر وحنا على اسنه التراب » .

(٤) كذا في ج وفي معظم المراجع . وفي أ : « العرب » .

(٥) حقب : اشتد .

(٦) استوسقوا : اجتمعوا .

(٧) أطن : أطار .

١٥

٢٠

عمه حمزة بن عبد المطلب، وعلى بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، فلما دنوا منهم قالوا: من أتم؟ فسُمي كل رجل منهم نفسه، قالوا: نعم أكفأ كرام؛ فبارز عبيدة - وكان أسن القوم - عتبة، وبارز حمزة شيبه، وبارز على الوليد بن عتبة، فأما حمزة وعلى فإنهما لم يُمهلا مُبارزَيهما أن قتلاهما، وأختلف عبيدة وعُتْبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكرَّ حمزة وعلى بأسيا فهما على عتبة فدَقَّفا^(٢) عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه^(٣).

قال محمد بن سعد: وفي عبيدة وعُتْبة نزل قوله تعالى: ﴿ هَدَانِ خَصَمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾. قال: ثم زحف الناس ودنا بعضهم من بعض.

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان، على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة.

وعتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف، ورجع إلى العريش، فدخله هو وأبو بكر الصديق ليس معه غيره فيه، وهو صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد، وأبو بكر يقول: يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك، فإن الله مُنجزك ما وعدهك^(٥) وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة ثم أنتبه، فقال: ابشريا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع^(٦).

(١) أثبت صاحبه: جرحه جراحة لم يقم معها.

(٢) دَقَّفا عليه: أسرعا قتله.

(٣) حازاه: ساراه به في رفق. وفي أ: «جازه».

(٤) يناشده: يسأله ويرغب إليه.

(٥) خفق: نام نوما يسيرا.

(٦) النقع: الغبار.

٩
١٥

قال ابن إسحاق : ورُمي مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فُقُتِل ، وكان أول قُتيل قُتِل من المسلمين ، ثم رُمي حارثة بن سُرَاقَة ، أحد بني عدي بن النجار ، وهو يشربُ في الحوض بسهم ، فأصاب نحرَه ، فُقُتِل .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس يُحرضهم ، وقال : «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليومَ رجل فيقتلُ صابرا محتسبا مُقبِلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة» ، فقال عُمر بن الحُمام أخو بني سلمة ، وفي يده تمراتٌ يأكلهن : ^(١) بَجْ بَجْ ! أَمَا بِنِي وَيَن أَنْ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتَلَنِي هُوَلاءَ ؟ ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفَه وقَاتِلَ حَتَّى قُتِل .

وقال عوف بن الحارث — وهو ابنُ عَفراء — يا رسول الله : ما يُضحكُ الربُّ من عبده ؟ قال : غَمَّسَهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا . فَنَزَعَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِل .

قال : ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفْنَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ فَاسْتَقْبَلَ بِهَا قَرَيْشًا ، ثُمَّ قَالَ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، ثُمَّ نَفَحَهُمْ بِهَا ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : شُدُّوْا ؛ فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى قَرَيْشٍ ، فَقَتَلَ اللَّهُ مِنْ صَنَادِيدِ قَرَيْشٍ مَنْ قَتَلَ ، وَأَسْرَمَ أَسْرَمًا .

قال محمد بن سعد : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لما نزلت : ﴿ سَيِّئُ مَثَلُ الْيَوْمِ الَّذِي بَدَأَهُ اللَّهُ ، وَيَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ ، وَأَيُّ جَمْعٍ يُهْزَمُ وَمَنْ يَغْلِبُ ؟ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرَ نَظَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَّبِعُ فِي الدَّرْعِ وَثْبًا وَهُوَ يَقُولُ : ﴿ سَيِّئُ مَثَلُ الْيَوْمِ الَّذِي بَدَأَهُ اللَّهُ ، فَلَمَّتُ أَنْ اللَّهُ تَعَالَى سَيِّئُ مَثَلِهِمْ .

(١) بَجْ : (بكسر الحاء وإسكانها) : كلمة تقال في موضع الإعجاب .

(٢) يضحك الرب : أي يرضيه غاية الرضا . (٣) شاهت : قبحت .

قال : ولما وضع القوم أيديهم بأسرون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم [في العريش ^(١)] وسعد بن معاذ قائم على باب العريش ، متوشح السيِّف ، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كرهة العدو ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس فقال له : لكأنني بك ياسعدُ تكره ما يصنع القوم ؛ قال : أجل : والله يا رسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الإثنان في القتل أحبَّ إلى من استبقاه الرجال .

وفي هذا اليوم أنزل الله تعالى الملائكة فقاتلوا مع المسلمين .

قال محمد بن سعد : لما صَفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعبأهم للحرب ، جاءت ريح لم ير مثلها شدة ثم ذهب ، بغضات ريح أخرى ثم ذهب ، بغضات ريح أخرى ، فكانت الأولى جبريل عليه السلام في ألف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية ميكايل عليه السلام في ألف من الملائكة عن ميمينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان سبعا الملائكة يومئذ عمائم قد أرخوها بين أكفهم : خُضِرَ وَصُفِرَ وَحُمِرَ من نور ، والصُّوف في نواصي خيلهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إن الملائكة قد سوَّمت فسوِّموا . فأعموا بالصوف في مغافرهم ^(٢) وقلانسهم .

قال : وكانت الملائكة يوم بدر على خيل بُئق .

وقال ابن إسحاق : حدَّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدَّث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدَّثني رجل من بني غِفَّار قال :

(١) زيادة عن الطبري وابن هشام . (٢) المغفر: هو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه .

أقبلتُ أنا وأبن عمي حتى أصعدنا في جبل يُسرف [بنا] على بدر [ونحن مشركان] ^(١)
 ننظرُ الوقعة على من تكونُ الدائرة ^(٢)، ننتهب مع من ينتهب ، فبينما نحنُ في الجبل
 إذ دنت منا سحابةٌ ، فسمعنا فيها حَمَمَةَ الخيل ، فسمعت قائلاً يقول : أقدم ^(٣)
 حيزوم . قال : فأما ابن عمي فأنكشف قناع قلبه ، فمات مكانه . وأما أنا فكنت
 أن أهلك ، ثم تماسكت .

وروى ابن إسحاق عن أبي أسيد مالك بن ربيعة — وكان شهد بدرًا —
 قال — بعد أن ذهب بصره — : لو كنتُ اليوم ببدر ومعى بصرى لأرىكم ^(٤)
 الشعب الذى خرجت منه الملائكة ، لا أشك ولا أتمارى .

وعن أبي داود المازني ، قال : إنى لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر
 لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قتله غيرى .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال : كانت سماء الملائكة يوم بدر
 عمائم بيضاء قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراء ، وفي حديث آخر عن
 علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، كانت سماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد
 أرخوها على ظهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : لم تُقاتل الملائكة في يوم سوى يوم
 بدر ، وكانوا فيما سواه من الأيام عددًا ومدداً لا يضربون .

(١) زيادة عن ج . (٢) زيادة عن الطبري ، وابن هشام .

(٣) في المواهب الدنية ، والروض الأنف : « الدبرة » ، ومعناها : الهزيمة .

(٤) أقدم . كما صوّبه صاحب اللسان : كلمة تزجرها الخيل . وحيزوم : اسم فارس جبريل

عليه السلام . ويقال فيه : « حيزون » .

(٥) الشعب : العاريق في الجبل . (٦) أتمارى : أشك .

قال : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : أحد أحد .

(١) قال ابن إسحاق : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز وهو [يقاتل و] يقول :

ما تنقسم الحرب العوان مني * بازل عامين حديث سنن

* يئس هذا ولدتي أمي *

- قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر أن يلتمس أبو جهل بن هشام في القتلى ، فتر به عبد الله بن مسعود ، قال : فوجدته بأخر رمق فعرفته ، فوضعت رجلى على عنقه ، فقال لي : لقد آرتقيت يا رؤيبي الغنم مرتين صعبا ، ثم قال : أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ فقلت : لله ولرسوله ، ثم احترزت رأسه ، ثم جئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله أبي جهل ، فقال : آله الذي لا إله غيره ؟ قلت : نعم والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب ، طرحوا فيه إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملاها فذهبوا ليحركوه فترايل^(٢) ، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ، قالت : ولما ألقوا في القليب ، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، فإني قد وجدت ما وعدني

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام . (٢) الحرب العوان : هي التي قوتل فيها مرة . البازل :

أصله في البعير ، يقال : بعير بازل ، إذا استكمل السنة الثامنة ، وطعن في التاسعة ، والكلام هنا على التشبيه ، يريد أن يقول : أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة . (٣) « آله الذي لا إله إلا هو » : كانت

يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو بالخفض عند سيبويه لأن الاستفهام عوض من الخافض عنده . راجع الروض الأوفى ج ٢ ص ٧٢ . (٤) ترايل : تفرق لحمه .

ربي حقا» قالت : فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلم قوما موتى ؟ فقال لهم : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » . وعن أنس رضي الله عنه نحوه ، إلا أن فيه : فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادى قوماً قد جيفوا^(١) ؟ قال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوني » .

قال ابن إسحاق : وكان الفتيمة الذين قتلوا ببدر - فنزل فيهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ - الحارث بن زعمرة بن الأسود ، وأبو قيس بن النكاكة ابن المغيرة ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص ابن منبه .

وذلك أنهم كانوا أسلموا بمكة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حبسهم آبائهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فأفتنوا ، ثم خرجوا مع قومهم إلى بدر ، فأصيبوا كلهم .

قال : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر مما جمع الناس بجمع ، وأختلف المسلمون فيه ، فقال من جمعه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو : والله لولا نحن ما أصبتموه ، ونحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم ، وقال الذين كانوا يجرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف إليه العدو : ما أنتم بأحق منا ، لقد رأينا أن تقتل العدو إذ منحنا الله

(١) جيفوا : صاروا جيفا .

(٢) اجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى « وما أنت بمسمع من في القبور » ، تجده واضحا في الروض الأنف ، جزء ٢ ص ٧٤ ، وفي شرح المواهب اللدنية جزء ١ ص ٥٢٢ .

أَكْفَاهُمْ ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ الْمُتَاعَ حِينَ لَمْ يَكُنْ دُونَهُ مَنْ يَمْنَعُهُ ، وَلَكِنَّا خِفْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرَّةَ الْعُدُوِّ فَقَمْنَا دُونَهُ ، فَمَا أْتَمَّ أَحَقُّ بِهِ مِنَّا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ ، نَزَلَتْ السُّورَةُ بِمَجْمَلَتِهَا فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ .

- ٥ قال : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ومعه الأَسَارَى من المشركين والنَّفَلِ^(١) ، وجعل على النَّفَلِ عبد الله بن كعب المازني ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضيق الصفراء ، نزل على كَثِيب بين المضيق وبين النَّازِيَةِ^(٢) ، يقال له : سَيْرٌ ، إلى سَرْحَةٍ^(٣) [به] وهو من المدينة على ثلاث ليال ، فقسم هناك النَّفْلَ الذي أفاء الله على المسلمين على السواء .
- ١٠ قال ابن سعد : وتنقل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيقه ذا الفقار ، وكان لمنبته بن الجحاج ، فكان صفيه يومئذ ؛ وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمه مع المسلمين ، وفيه جمل أبي جهل بن هشام ، وكان مَهْرِيًّا^(٤) ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة بشيراً إلى المدينة ، وبعث عبد الله بن رَوَاحَةَ إلى أهل العالية .

- ١٥ قال ابن سعد يرفعه إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة ، كما خرج طالوت ،

١١
١٥

(١) النفل : الغنيمة . (٢) في الأصل : « المضيقين » وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٣) النَّازِيَةِ : عين على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة ، قرب الصفراء .

(٤) السَّرْحَةُ : الشجرة العظيمة . (٥) تكلة من ابن هشام .

٢٠ (٦) مهري : نسبة إلى قبيلة مهرة بن حيدان باليمن .

فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نخرجوا، فقال: "اللهم إنهم حُقَّةٌ فَأَجْمِلْهُمْ ، اللهم إنهم عُرَّةٌ فَأَكْسِمُكُمْ ، اللهم إنهم جِيَاعٌ فَاشْبِعْهُمْ" .

ففتح الله يوم بدر فَأَتَقَلَّبُوا حين أَتَقَلَّبُوا ، وما فيهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين ، فَأَكْتَسَوْا وشبِعُوا .

وقال يرفعه إلى عِكْرَمَةَ قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من أهل بدر : عليك بالعير ليس دونها شيء ، فناداه العباس : إنه لا يصلح ذلك لك ، قال : لِمَ ؟ قال : لأن الله تعالى وَعَدَكَ إحدى الطائفتين ، فقد أعطاك ما وَعَدَكَ .

ذِكْرُ وُرُودِ الْخَبْرِ بِمُصَابِ أَهْلِ بَدْرِ عَلَى مَنْ بِمَكَّةَ مِنْ كَفَرِ قُرَيْشٍ

وهلاك أبي لهب بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق : كان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحَيَّسَانُ بن عبد الله الخُزَاعِيُّ ، فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : قُتِلَ عُبَيْةُ بن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو الحَكَمِ بن هشام ، وأمِيَةُ بن خلف ، وزَمْعَةُ بن الأسود ، وَنُبَيْهٌ وَمُنَبِّهٌ ابْنَا الْحِجَّاجِ ، وأبو الْبَخْتَرِيِّ ، وجعل يعسُدُ أشرف قريش ، فقال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحِجْر ، : والله إن يَعْقِلَ هذا فاسأله عنى ، قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالس في الحِجْر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قَتَلَا .

وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد داخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس ، وأسلمت أم الفضل ، وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ، ويكره خلافهم ، وكان يكتم إسلامه [وكان

- ذا مال كثير متفرق في قومه^(١). وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه العاص
ابن هشام بن المغيرة [وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً]^(١)،
فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر كتبته الله وأنزاه^(٢)، ووجدنا في أنفسنا قوة
وعزاً، وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أنحت الأقداح في حجرة زمزم، فوالله
إنى جالس فيها أنحت أقداحي وعندى أم الفضل جالسة^(٣)، وقد سرنا ما جاءنا من
الخبر إذ أقبل أبو لهب يجر رجله بثر، حتى جلس على طناب الحجر^(٣)، وكان ظهري
إلى ظهره، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن
عبد المطلب. فقال أبو لهب: هلم إلى، فعندك لعمري الخبر. قال: بغلس
إليه والناس قيام عليه، فقال: يا بن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال:
والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمحنناهم أكافنا يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا
كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما ملئت الناس، لقينا رجلاً بيضاً، على خيل يأتق
بين السماء والأرض، والله ما أتلق شيئاً ولا يقوم لها شيء^(٥).

- قال أبو رافع: فرفعت طناب الحجر [بيدي]^(٦) ثم قلت: تلك والله الملائكة.
قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، فتاورته فأحتملني^(٧)،
فضرب بي الأرض، ثم برك على صدري، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل
إلى عمود من عمد الحجر فأخذته فضربت به ضربة فلقت رأسه شجرة منكزة، وقالت:
١٥

(١) زيادة من سيرة ابن هشام .

(٢) كفته : أذله .

(٣) طناب الحجر : طرفها . والطناب أيضاً : حبل طويل مشد به سرادق البيت .

(٤) كذا في ج . وفي أ : « للناس » .

(٥) ما تليق : ما تليق .

(٦) ساقطة من أ .

(٧) تاورته : واثبته .

(٨) كذا في أ . وفي ج : « فلقت في رأسه » . وفي السيرة : « فلقت في رأسه » .

أتستضعفه أن غاب عنه سيده ؟ فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته .^(١)

وقالت قريش في قتلى بدر مرثي كثيرة ذكرها ابن هشام وغيره ، تركنا إيرادها رغبة في الاختصار ، ولأنه ليس تحت ذلك كبير فائدة فيما نحن بصدده ، إلا أنها تشهد بقتل من قُتل ممن نذكره إن شاء الله تعالى .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان جميع من شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ومن ضرب له فيها بسهمه وأجره ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلا ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون ،^(٢) ومن الأوس أحد وستون ، ومن الخزرج مائة وسبعون .

١٢
١٥

فأما من شهد بدرا من المهاجرين ، ومن ضرب له بسهمه وأجره ، فشهدها من بني هاشم بن عبد مناف اثنا عشر رجلا ، وهم : سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمنة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، وأنسة الحبشي ، وأبو كبشة الفارسي ، موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو مرثد كنان بن حصين ، وأبنة مرثد ، حليفا حمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وأخواه : الطفيل ، والحصين ، ومسطح ، وأسمه عوف بن أثانة بن عباد بن المطلب .^(٣)

١٠

١٥

(١) العدسة : قرحة قاتلة كالطاعون . وكان العرب يشاءون بها ، ويرون أنها شديدة العدوى .

(٢) في أ : « ثلاثة وثمانون » وهو خطأ .

(٣) كذا في ج ، وهو يوافق ما في السيرة وأسد الغابة . وفي أ : « ابن عبد المطلب » .

٢٠

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف وحلفائهم خمسة عشر رجلا،
 وهم : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولاة . ومن حلفائهم من بنى أسد
 ابن خزيمية عبد الله بن جحش بن رثاب ، وعكاشة بن محصن ، وشجاع بن وهب
 ابن ربيعة ، وأخوه عتبة ، ويزيد بن رقيش بن رثاب^(١) ، وأبو سنان بن محصن
 ابن حُرثان أخو عكاشة ، وأبنة سنان ، ومحرز بن نضلة بن عبد الله وربيعة بن
 أكرم بن تنغرة بن عمرو . ومن حلفائهم بنى كبير بن غم بن دودان بن أسد :
 ثقف بن عمرو ، وأخواه مالك ، ومذليج^(٢) ، وهم من بنى حجر آل بنى سليم ،
 وأبو مخشي ، حليف لهم .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف رجلا ، وهما : عتبة بن غزوان ، وخباب
 مولاة .

ومن بنى أسد بن عبد العزى ثلاثة نفر ، وهم : الزبير بن العوام
 وحاطب بن أبي بلتعة ، وسعد مولاة .

ومن بنى عبد الدار رجلا ، وهما : مضعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف
 ابن عبد الدار ، وسويبط بن سعد بن حريملة ، ويقال : ابن حرملة بن مالك بن
 عميلة بن السباق بن عبد الدار .

(١) هذه رواية ابن هشام . وفي الاستيعاب ، والإصابة ، وأسد الغابة : « رقيش بن رباب » .

وفي الأصول : « قيس بن رثاب » .

(٢) في أ : « محصن وحُرثان » .

(٣) كذا في السيرة ، وفي أ « كثير » ، تحريف .

(٤) كذا في الأصول : وفي رواية أخرى لابن هشام ، وفي الاستيعاب : « مدلاج » .

ومن بنى زُهْرَةَ بنِ كِلَابٍ وحلفائهم تسعةُ نفرٍ ، وهم : عبد الرحمن بن عَوْفٍ ، وسعدُ بن أبي وقَّاصٍ ، وأبو وقَّاصٍ مالكُ بن أُهَيْبٍ ، وأخوه عُمَيْرُ بن أبي وقَّاصٍ . ومن حلفائهم : المِقْدَادُ بن عمرو بن ثعلبة ، وعبد الله بن مسعود ابن الحارث ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو ، وذو الشمالين عُمَيْرُ بن عبد عمرو بن نَضْلَةَ ، وخبَّاب بن الأَرْتِ .

ومن بنى تَيْمَ بن مرة ومواليهم أربعةُ نفرٍ ، وهم : أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومواليه ، بلالُ بن رباحٍ ، وعامرُ بن فُهَيْرَةَ ، وصُهَيْب بن سنان .

ومن بنى مخزوم خمسةُ نفرٍ ، وهم : أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وشمَّاس بن عثمان بن الشريد ، وأسم شماس عثمان ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وأبو الأرقم هو عبد مناف بن أسد ، وعمار بن ياسر ، ومعتب بن عوف بن عامر حليفٌ لهم .

ومن بنى عدى بن كعب وحلفائهم آثنا عشر رجلا ، وهم : عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأخوه زيد ، ومِهْجَع مولى عمر ، وعمر بن سُرَّاقَةَ بن المُعْتَمِر وأخوه عبد الله ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عُمرَين ، حليف لهم ، [وعامر ابن البكير ، وأخواه خالد ، وإياس ، حلفاء بنى عدى ، وحوَليُّ بن أبي حوَلِيٍّ ، وأخوه مالك ، حليفان لهم — ومنهم من عد هلال بن أبي حوَلِيٍّ — وعامر بن أبي ربيعة ، حليف لهم] .

(١) فى أسد الغابة : « وهيب » .

(٢) قال ابن هشام : إنما قيل له : « ذو الشمالين » لأنه كان أعمى .

(٣) ما بين المربعين ساقط من أ .

ومن بنى جُمح خمسة نفر، وهم : عثمان بن مظعون ، وأبْنُه السائب
وأخواه قُدّامة ، وعبد الله ، وأبنا مظعون ، ومَعْمَر بن الحارث بن معمر .

ومن بنى سهم بن عمرو : خُنَيْس بن حُدّافة بن قيس .

ومن بنى عامر بن لؤي خمسة نفر ، وهم : [أبو سبرة ^(١) بن أبي رهم بن
عبد العزى ، وعبد الله بن مخزومة بن عبد العزى ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو
— وكان قد نرج مع أبيه سهيل ، فلما نزل الناس بدرًا فر إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فشهداها معه — وعمير بن عوف ، ومولى سهيل بن عمرو ، وسعد
ابن خولة ، حليف لهم .

ومن بنى الحارث بن فهر خمسة نفر ، وهم : أبو عبيدة عامر بن عبد الله
ابن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، وسهيل بن ربيعة بن هلال ، وأخوه
صقوان بن وهب ، وهما أبنا بيضاء ، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة .
هؤلاء الذين شهدوا بدرًا من المهاجرين .

وأما من ضرب له بسهمه وأجره ، فثلاثة نفر ، وهم : عثمان بن عفان — وقد
تقدم خبره — وطأحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانا قد بعثهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام يتحسّسان له خبر العير ، فقدمتا بعد غزوة
بدر ، فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهميهما ، قالا : يا رسول الله ،
وأجرنا ، قال : وأجركما .

(١) ما بين المربعين ساقط من أ .

(٢) في الأصل : « وهيب » . وما ذكرناه رواية أسد الغابة والإصابة والاصتيعاب والسيرة .

(٣) ساقطة من أ .

وأما من شهدها من الأوس ومن غاب وُضِرِب له فيها بسهمه وأجره ،
فهم أحد وستون رجلا ، شهدها منهم ستة ونمسون رجلا ، وهم : سعد بن معاذ
ابن النعمان ، وأخوه عمرو بن معاذ ، والحارث بن أنس بن رافع ، وسعد بن زيد^(١)
ابن مالك ، وسلمة بن سلامة بن وقش ، وعباد بن بشر بن وقش ، وسلمة بن
ثابت بن وقش ، ورافع بن يزيد بن كرز ، والحارث بن نخمة بن عدى ، حليف لهم ،
ومحمد بن مسلمة بن خالد ، حليف لهم ، [وسلمة بن أسلم بن حريش ، حليف لهم] ،
وأبو الهيثم بن التيهان ، وأخوه عبيد بن التيهان — قال ابن هشام : ويقال :
عتيك بن التيهان — وعبيد الله بن سهيل ، وقنادة بن النعمان بن زيد ، وعبيد
ابن أوس بن مالك — وعبيد هو الذي يقال له : مُقرن ، لأنه قرن أربعة أسرى
في يوم بدر ، وهو الذي أمر عقييل بن أبي طالب يومئذ ، [ونصر بن^(٥)
الحارث بن عبد بن رزاح بن كعب] ، ومعتب بن عبيد ، وعبيد الله بن طارق
حليف لهما من بلي ، ومسعود بن سعد بن عامر ، ويقال فيه : مسعود بن عبد
سعد ، وأبو عبس بن جبر بن عمرو ، وأبو بردة بن نيار ، وأسمه هاني ، حليف
لهم من بلي ، وعاصم بن ثابت بن قيس ، ومعتب بن قشير ، وأبو مليس بن
الأزعر بن زيد ، وعمرو بن معبد بن الأزعر ، وقيل فيه : عمير بن
معبد ، وسهل بن حنيف بن واهب ، ومبشر بن عبد المنذر بن زبير ، وأخوه^(٦)

(١) في أ : « رافع » ، تصحيف . (٢) كذا في السيرة والاستيعاب والإصابة . وفي الأصول :
« كرز » ، وفي رواية أخرى للاستيعاب : « رافع بن زيد » . (٣) ما بين المربعين ساقط من أ .
(٤) في ج : « سهل » ، والصواب ما أثبتناه . وانظر أسد الغابة . (٥) ما ذكرناه رواية
الإصابة . وفي سيرة ابن هشام : « ومن بنى عبد بن رزاح نصر بن الحارث » وفي الأصول : « ورزاح
ابن كعب بن نصر بن الحارث » ولم يعرف هذا الاسم فيمن شهد بدرا . (٦) في أ : « عنيف » ،
تصحيف . (٧) كذا في الإصابة والسيرة . وفي الأصول : « زبير » ، تصحيف .

رفاعة ، وسعد بن عبيد بن النعمان ، وعويم بن ساعدة ، ورافع بن عنجدة ، وعبيد
ابن أبي عبيد ، وتعلبة بن حاطب ، وأُنيس بن قتادة بن ربيعة . ومعن بن عدى
ابن الجَد من حلفائهم ، وثابت بن تعلبة ، وعبد الله بن سلمة ، وزيد بن أسلم بن
تعلبة ، وربيع بن رافع بن زيد ، هؤلاء الخمسة من حلفائهم من بلي^(١) ، وعبد الله
ابن جبير بن النعمان [وعاصم بن قيس بن ثابت ، وأبو ضيَّاح ثابت بن النعمان
وأخوه أبو حنّة — ويقال : أبو حنّة — وسالم بن عمير بن ثابت بن النعمان ، والحارث
ابن النعمان] بن أمية ، ومُنذر بن محمد بن عقبة ، وأبو عَقِيل بن عبد الله بن تعلبة
من حلفائهم ، وسعد بن خَيْمَة بن الحارث ، ومُنذر بن قُدّامة ، ومالك بن قُدّامة
ابن عَرَبَجَة ، والحارث بن عَرَبَجَة ، وتميم مولى بني غَم ، وجبر بن عَتِيك بن الحارث
ومالك بن ثُمَيْلَة ، حليف لبني معاوية من مُزَيْنَة ، والنعمان بن عَصْر ، حليف
لبني معاوية من بلي . هؤلاء الذين شهدوها من الأوس .

وأما من ضُرب له بسهمه وأجره منهم خمسة نفر ، وهم : أبو لبابة
وآسمة بشير بن عبد الله ، والحارث بن حاطب ، وحاطب بن عمرو بن عبيد
وعاصم بن عدى بن الجَد بن العَجَلان ، وخَوَات بن جبير بن النعمان .

وأما من شهدها من الخزرج ومواليهم وحلفائهم مائة وسبعون رجلا :
خارجة بن زيد بن أبي زهير ، وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير
وعبد الله بن رَوَاحَة بن امرئ القيس ، وخلاد بن سُويد بن تعلبة بن عمرو

(١) ما بين المربعين ساقط من أ .

(٢) كذا في ج وهو يوافق ما في السيرة ، وفي أ : « جبير » .

(٣) في الأصول : « عيسر » وهو تحريف .

وإشير بن سعد بن ثعلبة ، وأخوه سيمالك بن سعد ، وسبيع بن قيس بن عيشة بن
 أمية ، وأخوه عباد بن قيس ، وعبد الله بن عبس ، ويزيد بن الحارث بن قيس
 وخبيب بن إساف بن عتبة ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة ، وأخوه حريث بن
 زيد ، وسفيان بن ثمر بن عمرو بن الحارث ، وتميم بن يعار بن قيس ، وعبد الله
 ابن عمير بن عدى ، وزيد بن المنزير بن قيس ، وعبد الله بن عرفة بن عدى ،
 وعبد الله بن ربيع بن قيس ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي مالك ، وأوس
 ابن خولى بن عبد الله بن الحارث ، وزيد بن وداعة بن عمرو بن قيس بن جزء
 وعقبة بن وهب بن كلفة ، حليف لهم من بني عبد الله بن غطفان ، ورفاعة بن
 عمرو بن ثعلبة ، وعامر بن سلمة بن عامر ، حليف لهم من اليمن ، وأبو حميضة
 عباد بن قشير بن المقدم ، وعامر بن البكير ، حليف لهم ، وتوفل بن عبد الله بن
 نضلة ، وعباد بن الصامت بن قيس بن أصرم ، وأخوه أوس بن الصامت
 والنعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد ، وهو الذي يقال له : قوقل^(٨) ، وثابت بن هزال
 ابن عمرو بن قريوش ، ويقال : قريوس ، ومالك بن الدخشم بن مالك ، وربيعة

١٤
١٥

(١) في أ : « مال » .

(٢) قال ابن الأثير : « ويقال عائشة » .

(٣) في الأصول : « بشر » ، تصحيف .

(٤) في الأصل : « معاذ » وهو تصحيف .

(٥) كذا ضبطه الدارقطني بضم الميم وفتح الزاي وتسكين الياء . راجع أسد الغابة ج ٢ ص ٢٤١ .

(٦) زيادة عن جميع المراجع . (٧) وفي رواية عن ابن إسحاق : « أبو حميضة » .

(٨) قال في الاستيعاب : « إن النعمان هذا كان ذا عز ومنعة ، فكان يقال لخائف إذا جاءه :

« قوقل حيث شئت فأنت آمن » . فقيل لبني غنم وبني سالم لذلك : قواقلة . وفي القاموس : القوقل :

اسم أبي بطن من الأنصار ، لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو يستتر به قال له : « قوقل في هذا

الجبيل وقد أمنت » ، أي ارتق .

٥

١٠

١٥

٢٠

ابن إياس ، حليف لبني لؤذان من اليمن ، والمجذّر بن زياد بن عمرو ، وأسم المجذّر ، عبد الله حليف لهم من بلي^(١) ، وعباد بن الخشخاش بن عمرو ، حليف ، وتجاب بن ثعلبة بن نخزعة ويقال : بخت^(٢) ، وعبد الله بن ثعلبة بن نخزعة ، وعتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية ، حليف لهم ، وهو من بني سليم ، وأبو دجاجة سماك بن نخزعة .

- ٥ قال ابن هشام : سماك بن أوس بن نخزعة ، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة ، وأبو أسيد مالك بن ربيعة ، ومالك بن مسعود البدي^(٣) ، وعبد ربه بن حنق ابن أوس بن وقش بن ثعلبة بن طريف .

ومن حلفائهم من جهينة : كعب بن جّاز بن ثعلبة — ويقال : حمار ، وهو من غبشان — وصمرة ، وبسبس ، وزياد ، بنو عمرو .

- ١٠ عبد الله بن عامر من بلي^(٤) . وخراش بن الصّمة بن عمرو بن الجموح ، وتميم مولى خراش بن الصّمة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عمرو بن الجموح ، وخالد بن عمرو بن الجموح ، وعقبة بن عامر بن نأبي ، وحبيب بن أسود ، مولى لهم ، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث ، وثعلبة الذي يقال له : الخدع^(٥) ، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث ، وبشر بن البراء ابن معرور بن صخر ، والطّفيّل بن مالك بن النعمان ، وسنان بن صيفي بن صخر ١٥ وعبد الله بن الحنّد بن قيس بن صخر ، وخارجة بن حمير ، وعبد الله بن حمير ، حليفان

(١) كذا في الأصول ، وهو ما يوافق ما في سيرة ابن هشام وابن كثير وفي أسد الغابة : « عبادة » .

وفي رواية : « الحساس » . (٢) في الأصول : « نخزعة » ، وهو تصحيف ، صوابه من

القاموس والإصابة . (٣) كذا في الأصول ، وفي أسد الغابة والإصابة : « البدن » .

(٤) في ١ : « ومن جهينة » .

(٥) كذا في سيرة ابن هشام ، والروض الأنف ، والإصابة ، وأسد الغابة . وفي الأصل : « عمر » .

لهم من أشجع من بنى دُهمان ، وجَبَّار بن صَخْر بن أمية بن حُنَّاس ، ويزيد بن المُنذر
 ابن سَرَح ، وأخوه مَعْقِل بن المُنذر ، وعبد الله بن النعمان بن بَلْدَمَة ، ويقال :
 بَلْدَمَة و بُلْدَمَة ، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة ، وسواد بن زُرَيْق بن ثعلبة ،
 ومَعْبَد بن قَيْس بن صَخْر ، وأخوه عبد الله بن قيس ، وعبد الله بن عبد مناف بن
 النعمان ، والنعمان بن يَسَار مولى لبنى النعمان ، وأبو المُنذر بن يزيد بن عامر بن
 حَدِيدَة ، وسُلَيْم بن عمرو بن حَدِيدَة ، وقُطْبَة بن عامر بن حَدِيدَة ، وعَنْتَرَة مولى سليم^(١)
 ابن عمرو ، وعَبَس بن عامر بن عدى^(٢) ، و ثعلبة بن غنمة بن عدى^(٣) ، وأبو اليَسَّر ،
 وهو كعب بن عمرو بن عَبَاد بن عمرو ، وسهل بن قيس [بن أبي كعب ، وعمرو بن
 طلق بن زيد بن أمية ، ومعاذ بن جبل بن عمرو ، وحارثة بن مالك بن غَضَب
 ابن جُشم ، وقَيْس بن مُحْصَن بن خالد بن مُخَلَّد ، ويقال : قيس] بن حِصْن ، وأبو خالد ،
 وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مُخَلَّد ، وجُبَيْر بن إياس بن خالد بن مُخَلَّد ، وأخوه
 عُقْبَة بن عثمان بن خَلْدَة بن مُخَلَّد ، وَذَكْوَان بن [عبد] قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد ، ومسعود^(٤)
 ابن خَلْدَة بن عامر بن مُخَلَّد ، وعَبَاد بن قيس بن عامر بن خالد ، وأَسْعَد بن مَزِيد
 ابن الفَاكِه بن زيد بن خَلْدَة ، والفَاكِه بن يَشْر بن الفَاكِه بن زيد ، ومُعَاذ بن
 مَاعِص بن قيس بن خَلْدَة ، وأخوه عَائِذ بن مَاعِص ، ومسعود بن سعد بن قيس
 ابن خَلْدَة ، وِرْفَاعَة بن رافع بن مالك بن العَجْلَان ، وأخوه خَلَاد بن رافع ، وعُبَيْد^(٥)
 ابن زيد بن عامر ، وزياد بن لَيْد بن ثعلبة بن سِنَان ، وفَرَوَة بن عمرو بن ودْفَة

(١) في الأصول : « عنزة » . وما ذكر هو الصواب .

(٢) في الأصول : « سهيل » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٤) زيادة عن الإصابة وأسد الغابة والاستيعاب .

(٥) قال ابن هشام : « ويقال : « ودفاقة » . وفي الاستيعاب ، وأسد الغابة : « ودقة » .

ابن عبيد، وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان، ورجيلة بن نعلبة بن خالد بن نعلبة،
وعطية بن نورة بن عامر بن عطية، ورافع بن المعلّى بن لوذان، وأبو أيوب خالد
ابن زيد بن كليب بن نعلبة^(١)، وثابت بن خالد بن النعمان، وعمارة بن حزم بن زيد
ابن لوذان بن عمرو، وسراقه بن كعب بن عبد العزى بن غزيرة، وحارثة بن النعمان
ابن زيد بن عبيد، وسليم بن قيس بن فهد^(٢)، وسهيل بن رافع بن أبي عمرو بن
عائذ، وعدى بن أبي الزغباء، حليف لبني عائذ من جهينة، ومسعود بن أوس
ابن زيد، وأبو نزيمة بن أوس بن زيد، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد،
وعوف، ومعوذ، ومعاذ، بنو الحارث بن رفاعه، وهم بنو عقراء بنت عبيد بن نعلبة،
والنعمان بن عمرو بن رفاعه بن سواد، ويقال: نعيان، وعامر بن مخلد بن الحارث
ابن سواد، وعبد الله بن قيس بن خالد بن خلدة بن الحارث بن سواد، وعصيمة،
حليف لبني سواد من أشجع، ووديعه بن عمرو، حليف لهم من جهينة، وثابت بن
عمرو بن زيد بن عدى بن سواد — قال ابن هشام: وزعموا أن أبا الحمراء مولى
الحارث بن عقراء شهد بدرا — ونعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك،
والحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك، كُسر بالروحاء، فضرِب له رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسهمه، وأبي بن كعب بن قيس، وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس،
وأوس بن ثابت بن المنذر بن حرام، وأبو شيخ أبي بن ثابت بن المنذر بن حرام.
قال ابن هشام: أبو شيخ [أبي بن ثابت]^(٤) أخو حسان بن ثابت، وأبو طلحة
زيد بن سهل بن الأسود بن حرام، وحارثه بن سراقه بن الحارث بن عدى،

(١) في ١: «كلب». (٢) كذا في الأصول، وأسد الغابة والإصابة. وفي سيرة
ابن هشام: «فهد». (٣) كذا في سيرة ابن هشام. وفي الأصول: «أبو شيخ بن
أبي ثابت»، راجع الاستيعاب ص ٧١٥. (٤) الزيادة من سيرة ابن هشام.
(٥) كذا في سيرة ابن هشام، وفي الأصل: «أبو».

وعمر بن تَعْلَبَة بن وَهَب بن عَدِيّ، وسَلِيْط بن قَيْس بن عمرو بن عَتِيك بن مالك،
وأبو سَلِيْط — وهو أُسَيْرَة بن عمرو — وثابت بن خَنْسَاء بن عمرو بن مالك بن عَدِيّ،
وعامر بن أمية بن زيد بن الحَسْحَاس بن مالك، ومحرز بن عامر بن مالك بن عَدِيّ،
وسواد بن غَزِيَّيَّة بن أَهْيَب، حليف لبني عَدِيّ بن النجار .

وأبو زيد قَيْس بن سَكَن بن قَيْس، وأبو الأَعُور بن الحارث بن ظالم بن عَبَس
ابن حَرَام، ويقال: أبو الأَعُور الحارث بن ظالم، وسَلِيْم بن مِلْحَان، وأخوه حَرَام
— وأسم مِلْحَان: مالك بن خالد بن زيد — وقَيْس بن أبي صَعَصَعَة — وأسم
أبي صَعَصَعَة: عمرو بن زيد بن عَوْف — وعبد الله بن كَعْب بن عمرو بن عَوْف،
وعُصَيْمَة، حليف لبني مازن بن النجار من بني أَسَد بن حُرَيْمَة، وأبو داود عُمَيْر
ابن عامر بن مالك بن خَنْسَاء، وسُرَاقَة بن عمرو بن عَطِيَّة بن خَنْسَاء، وقَيْس بن
مُخَلَّد بن تَعْلَبَة بن صَخْر بن حَبِيب، ومسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دِينَار،
وأخوه لَأَمَة الصَّحَاك، والنَّعْمَان، أبنا عبد عمرو، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن
حارثة، وسعد بن مَهَيْل بن عبد الأشهل، وكَعْب بن زيد بن قَيْس بن مالك،
وَبُجَيْر بن أبي بُجَيْر، حليف لبني قَيْس بن مالك .

هؤلاء الذين عدّهم محمد بن إسحاق .

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم يذكرون في الخَزْرَج ممن شهد بدرًا عَتَبَان
ابن مالك بن عمرو بن العَجَلَان، ومُثَلِّب بن وَبَرَة بن خالد بن العَجَلَان، وعِصْمَة بن
الحُصَيْن بن وَبَرَة بن خالد بن العَجَلَان، وهلال بن المعلّى بن لَوْدَان بن حارثة .

(١) في أ: « محرز بن مالك » .

(٢) في أ: « أبو زيد بن قيس » .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَاةِ بَدْرٍ

- كان من استشهد من المسلمين في غزاة بدر أربعة عشر رجلا، من المهاجرين ستة نفر، وهم : عبيدة بن الحارث بن المطلب، قتله عتبة بن ربيعة، قطع رجله ثبات بالصفراء في قُفُول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وعمير بن أبي وقاص، وهو أخو سعيد، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي، حليف لبني زُهرة، وعاقِلُ بن البكير، حليف لبني عدى بن كعب من بني سعد بن ليث، ومِهْجَع، مولى عمر بن الخطاب، وصفوان بن بيضاء، من بني الحارث بن فهر .
- ومن الأنصار ثمانية وهم : سعد بن خيصة، ومبشر بن عبد المنذر بن زبير، ويزيد بن الحارث، وعمير بن الحمام، ورافع بن المعلّى، وحارثة بن سراقة بن الحارث، وعوف، ومعوذ، ابنا الحارث بن رفاعة .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ

- كانت عدّة من قتل من المشركين في غزوة بدر سبعين رجلا من بني عبد شمس ومواليهم وحلفائهم أربعة عشر رجلا، وهم : عقبّة ابن أبي معيط، قُتِلَ صَبْرًا بِعَرِيقِ الظُّبْيَةِ عِنْدَ قُفُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَ — حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِهِ — : فَمَنْ

(١) ذكر الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان رد عميرا هذا في ذلك اليوم، لأنه استصغره، فبكى عمير، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم بكاهه أذن له في الخروج معه، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة (راجع المغازي للواقدي والروض الأنف) .

(٢) يقال للرجل إذا حبس على القتل حتى يقتل : قتل صبورا .

(٣) عريق الظبية : بين مكة والمدينة قرب الروحاء .

للصَّبِيَّةِ يَاحْمَدُ؟ قال: النار! فقتله عاصم بن ثابت بن الأَقْلَحِ، وَحَنْظَلَةَ بنَ
 أَبِي سَفِيَّانَ بنِ حَرْبٍ، قَتَلَهُ زَيْدُ بنِ حَارِثَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 وَيُقَالُ: أَشْتَرَكُ فِيهِ حَمْزَةُ بنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ، وَعَلِي بنِ أَبِي طَالِبٍ، وَزَيْدُ بنِ حَارِثَةَ،
 وَالْحَارِثَ بنِ الْحَضْرَمِيِّ، وَعَامِرُ بنِ الْحَضْرَمِيِّ، حَلِيفَانِ لَهُمْ. قَتَلَ عَامِرًا عَمَّارُ
 ابنِ يَاسِرٍ، وَقَتَلَ الْحَارِثَ النُّعْمَانُ بنَ عَصْرٍ، حَلِيفُ الْأَوْسِ، وَعُمَيْرُ بنِ أَبِي
 عَمِيرٍ، وَأَبْنَهُ، مَوْلِيَانِ لَهُمْ. قَتَلَ عُمَيْرًا سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حَذَيْفَةَ، وَعُمَيْدَةُ بنُ سَعِيدِ
 ابنِ الْعَاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، قَتَلَهُ الزُّبَيْرُ بنُ الْعَوَّامِ، وَالْعَاصِ بنُ سَعِيدِ بنِ الْعَاصِ
 ابنِ أُمَيَّةَ، قَتَلَهُ عَاصِمُ بنِ ثَابِتِ بنِ الْأَقْلَحِ، صَبْرًا، وَقِيلَ: قَتَلَهُ عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ،
 وَعُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، أَشْتَرَكُ فِيهِ عُبَيْدَةُ بنُ الْحَارِثِ، وَحَمْزَةُ بنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ
 وَعَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ؛ وَشَيْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ،
 وَالْوَالِدُ بنُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَامِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَلِيفُ
 لَهُمْ مِنْ بَنِي أَمَّارٍ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ، وَوَهْبُ بنُ الْحَارِثِ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ بَنِي أَمَّارٍ، وَعَامِرُ
 ابنِ زَيْدٍ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ.

١٦
١٥

وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنْصَافِ رَجُلَانِ، وَهُمَا: الْحَارِثُ بنُ عَامِرٍ
 ابنِ نَوْفَلٍ، قَتَلَهُ حُبَيْبُ بنِ إِسَافٍ، وَطُعَيْمَةُ بنُ عَدِيِّ بنِ نَوْفَلٍ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ، وَيُقَالُ:
 حَمْزَةُ؛ وَرَوَى أَبُو عُمَيْرٍ بنُ عَبْدِ الْبَرِّ بِسُنْدِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بنَ عَدِيِّ صَبْرًا هُوَ وَعُقْبَةُ بنُ أَبِي مُعَيْطٍ
 وَالنَّضْرُ بنُ الْحَارِثِ.

وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ عَبْدِ الْعُزَّى بنِ قُصَيٍّ سَبْعَةُ نَفَرٍ: زَمْعَةُ بنُ الْأَسْوَدِ
 ابنِ الْمَطْلُبِ بنِ أَسَدٍ، قَتَلَهُ ثَابِتُ بنُ الْجِدْعِ، وَقِيلَ أَشْتَرَكُ فِيهِ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ، مَعَ

٥

١٠

١٥

٢٠

ثابت ، والحارث بن زَمْعَةَ ، قتله عمار بن ياسر ، وعُقَيْل بن الأسود بن المطاب قتله حمزة ، وعلي ، وأبو البَخْتَرِيّ - وهو العاص بن هشام - قال ابن هشام : العاص ابن هاشم بن الحارث بن أسد ، قتله المَجْدَرُ البَلَوِيّ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتله ، لأنه كان أكفّ الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كان بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة كما تقدم ، فلما لقيه المَجْدَرُ قال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك ، وكان مع أبي البَخْتَرِيّ زميل له قد خرج معه من مكة ، وهو جُنَادَةُ بن مُدَيْحَةَ - رجل من بني ليث - فقال أبو البَخْتَرِيّ . وزميلي ، فقال المَجْدَرُ : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك . فقال : لا والله إذا لأموتن أنا وهو جميعا ! لا نتحدث عنى نساء مكة أنى تركت زميلي حرصا على الحياة ، وقال يرتجز .

لن يُسَلَمَ أبْنُ حُرَّةٍ زَمِيلُهُ^(١) حتى يموت أو يرى سبيلَهُ

ثم آفتلا ، فقتل المَجْدَرُ أبا البَخْتَرِيّ ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذي بعثك بالحق ، لقد جهدت عليه أن يستأمر فأتيتك به ، فأبى إلا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته . ونوفل بن خويلد بن أسد ، قتله علي بن أبي طالب ، وعقبة بن زيد ، حليف لهم من اليمن ، وعمير ، مولى لهم .

ومن بني عبد الدار بن قصي أربعة نفر وهم : النضر بن الحارث

(١) في الأغاني ، والطبرى : « أكيهه » .

(٢) كذا في ح ، وفي السيرة . وفي أ : « عهدت عليه أن يستأنس » .

ابن علقمة بن كعدة، قتله على صبرا بالصفراء، ولما بلغ آيته قتيلاً بنت النضر خبر مقتله كتبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرا .

يا راجيا إن الأثيل مظنة ^(٣) من صبح خامسة وأنت موفق ^(٤)
 بلغ به ميتا بأن تحية ^(٥) ما إن تزال بها النجائب تحفق ^(٦)
 مني إليه وعبرة مسفوحة ^(٧) جادت لمائها وأخرى تحنق ^(٨)
 هل يسمعن النضر إن ناديت ^(٩) بل كيف يسمع ميت لا ينطق ^(١٠)
 ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ^(١١) لله أرحام هناك تشقق ^(١٢)
 قسرا يقاد إلى المنيّة متعبا ^(١٣) رسف المقيد وهو عان موق ^(١٤)
 أمحمد أو لست ضنء نجيبة ^(١٥) في قومها والفحل فحل معرق ^(١٦)
 ما كان ضرك لو مننت وربما ^(١٧) من الفتى وهو المغيظ المحقق ^(١٨)
 النضر أقرب من قتلت قرابة ^(١٩) وأحقهم إن كان عشق يعشق ^(٢٠)
 أو كنت قابل فدية فلنأتين ^(٢١) بأعز ما يغلو به ما ينفق ^(٢٢)

(١) الصفراء : واد من ناحية المدينة كبير النخل والزرع ، وهو على مرحلة من بدر .
 (٢) وفي الأغاني : « أخته » . (٣) الأثيل : موضع قرب المدينة بين بدر ووادى
 الصفراء . ومظنة الشيء موضعه ومألفه الذي يظن كونه فيه .

(٤) في أ : « به » . والنجائب : الإبل الكريمة التي يسابق عليها .
 (٥) جادت لمائها : تعنى أباه لأنه هو الذي يستبكيها ويستزف دمعها .
 (٦) تنوشه : تناوله . (٧) في الأغاني ، وابن هشام : « صبرا يقاد » .
 رسف المقيد : مشبه . والعاني : الأسير . (٨) الضنء : الأصل . المعرق : الكريم .
 (٩) كذا في الأصول . وفي الأغاني ، ومعجم البلدان الرواية الآتية :

أو كنت قابل فدية فلنأتين بأعز ما يغلو لديك وينفق
 وقد وردت هذه الأبيات في الأغاني (١٩١١ ، طبعة الدار) ، وديوان الحماسة ٤٣٧ طبع أوربا ،
 وسيرة ابن هشام ، ومعجم البلدان « مادة الأثيل » مع اختلاف يسير في الترتيب والألفاظ .

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بكى حتى أخضلت لحيته وقال :
 " لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه " حكاه أبو عمر عن عبد الله
 ابن إدريس ، وحكاه الزبير بن بكار ، وقال : فرق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى دمعت عيناه ، وقال لأبي بكر : " يا أبا بكر لو كنت سمعت شعرها ما قتلت
 أباه " وزيد بن مَلِيص ، مولى عُمر بن هاشم ، قتله بلال بن رباح ، مولى أبي بكر ،
 ويقال : قتله المقداد بن عمرو . ونُبَيْه بن زيد بن مَلِيص ، وعبيد بن سَلِيط
 حليف لهم من قيس .

١٧
١٥

ومن بنى تميم بن مرة أربعة نفر وهم : عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب
 ابن سعد بن تميم ، قتله علي بن أبي طالب ، ويقال : قتله عبد الرحمن بن عوف .
 وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صُهَيْب بن سنان .
 ومالك بن عبيد الله بن عثمان ، أسير فمات في الإِسار ، فعُد في القتلى . وعمرو بن
 عبد الله بن جُدعان .

ومن بنى مخزوم بن يَقْظَةَ بن مرة أربعة وعشرون رجلا : أبو جهل
 — وأسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — ضربه معاذ
 ابن عمرو بن الجموح فقطع رجله ، وضرب أبنه [عِكْرَمَةَ ^(١)] يد معاذ فطرحها ، ثم
 ضربه معوذ بن عَفْرَاء حتى أثبتته ، وتركه وبه رمق ، ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود
 واحتز رأسه كما تقدم ، والعاص بن هشام بن المغيرة ، قتله عمر بن الخطاب ، وكان
 خال عمر . ويزيد بن عبد الله ، حليف لهم من بنى تميم ، قتله عمار بن ياسر .

(١) التكملة من سيرة ابن هشام .

(٢) في : « دَف » .

وأبو مسافع الأشعري ، حليف لهم ، قتله أبو دُجانة الساعدي . وحرمله بن عمرو حليف لهم ، قتله خارجة بن زيد ، ويقال : بل علي [بن أبي طالب ^(١)] . ومسعود ابن أبي أمية بن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب . وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، قتله حمزة [بن عبد المطلب ^(١)] ويقال : علي ؛ وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، قتله علي ، ويقال : عمار بن ياسر ، ورفاعة بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، قتله سعد بن الربيع ، والمنذر بن أبي رفاعة بن عابد ، قتله معن بن عدى ، وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة ، قتله علي بن أبي طالب ، والسائب ابن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر ^(٢) بن مخزوم علي ما حكاه ابن إسحاق .

وقال ابن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما : إن السائب هذا ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وأعطاه يوم الجعرانة ^(٣) من غنائم حنين ، فقد وقع فيه الخلاف . والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قتله حمزة ، وحاجب ، ويقال : حاجر بن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ ، قتله علي بن أبي طالب . وعويمر بن السائب بن عويمر ، قتله النعمان ابن مالك القوقلي مبارزة ، وعمرو بن سفيان ، وجابر بن سفيان ، حليفان لهم من طيء ، قتل عمرا يزيد بن رقيش ، وقتل جابرا أبو بردة بن نيار . وحذيفة ابن أبي حذيفة بن المغيرة ، قتله سعد بن أبي وقاص ، وهشام بن أبي حذيفة

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام .

(٢) كذا في السيرة والاستيعاب . وفي الأصل : « عمرو » .

(٣) الجعرانة : ما بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب ، نزلها النبي صلى الله عليه وسلم لما

قسم غنائم هوازن وهو راجع من غزوة حنين . (معجم البلدان) -

(٤) كذا في ج ، وفي الطبري . وفي أ : « عبد الأسود » .

(٥) كذا في ابن هشام . وفي الأصول : « حاجر » .

- ابن المغيرة، قتله صُهَيْب بن سِنَان . وزُهَيْر بن أَبِي رِفَاعَةَ ، قتله أَبُو أُسَيْد مَالِك
ابن أَبِي رَبِيعَةَ . وَالسَّائِب بن أَبِي رِفَاعَةَ ، قتله عبد الرحمن بن عَوْف . وعائذ بن
السَّائِب بن عُوَيْمِر ، أُسِرَ ثم اِفْتَسَدَى فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ مِنْ جِرَاحَةٍ جَرَحَهُ إِيَاهَا حَمْزَةُ
ابن عبد المطلب ، وَعُمَيْر ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ طَيْئٍ ، وَخِيَار ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنَ الْقَارَةِ .^(١)
ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي سبعة نفر وهم :
مُنْبَه بن الحجاج بن عامر بن حُدَيْفَةَ بن سعد بن سَهْم ، قتله أَبُو الْيَسْر ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ
وَأَبْنَهُ الْعَاصِ بن مُنْبَه ، قتله عَلِي . وَنُبَيْسَ بن الحجاج ، قتله حَمْزَةُ بن عبد المطلب ،
وسعد بن أَبِي وَقَاصٍ ، اشْتَرَكَ فِيهِ ، وَأَبُو الْعَاصِ بن قَيْسِ بن عَدِيّ بن سعد بن
سَهْم ، قتله عَلِي ، وَيُقَالُ : النِّعْمَانُ الْقَسْوَقِيُّ ، وَيُقَالُ : أَبُو دُجَانَةَ ، وَعَاصِمُ بن
أَبِي عَوْفِ بن صُبَيْرَةَ بن سَعِيدِ بن سعد بن سَهْم ، قتله أَبُو الْيَسْر أَخُو بَنِي سَلَمَةَ .^(٢)
وَالْحَارِثُ بن مُنْبَه بن الحجاج ، قتله صُهَيْب بن سِنَان ، وَعَامِرُ بن أَبِي عَوْفِ بن
صُبَيْرَةَ أَخُو عَاصِم ، قتله عبد الله بن سَلَمَةَ ، وَيُقَالُ : أَبُو دُجَانَةَ .
ومن بني جَمَحِ بن عمرو بن هُصَيْصِ بن كعب بن لؤي أربعة نفر، وهم : أُمِيَّةُ
ابن خلف بن وهب بن حُدَافَةَ بن جَمَحِ ، قتله رجل من الْأَنْصَارِ من بني مَازِنِ
ويقال : قتله معاذ بن عَفْرَاءِ ، وَخَارِجَةُ بن زَيْدِ ، وَخُبَيْبُ بن إِسَافِ ، اشْتَرَكَ فِيهِ .^(٣)
وابنه عَلِيّ بن أُمِيَّةِ بن خلف ، قتله عَمَّارُ بن يَاسِرِ . وَأَوْسُ بن مَعْيَرِ بن لَوْذَانَ بن
سعد بن جَمَحِ ، قتله عَلِيّ بن أَبِي طَالِبِ ، وَيُقَالُ : قتله الْحُصَيْنُ بن الْحَارِثِ بن
المطلب وَعَثْمَانُ بن مَطْعُونِ ، اشْتَرَكَ فِيهِ ، وَسَبْرَةُ بن مَالِكِ ، حَلِيفٌ لَهُمْ .

١٨
١٥

- (١) كَذَا فِي ابْنِ هِشَامٍ . وَفِي أ : « جَبَار » ، وَفِي ح : « حَبَار » .
(٢) الْقَارَةُ : قَبِيلَةٌ تَتَأَلَّفُ مِنْ عَضَلٍ وَالدَّبَشِ ابْنَا الْهُونِ بنِ خَزِيمَةَ .
(٣) فِي الطَّبْرِيِّ وَالسِّيَرَةِ : « ضَبِيرَةُ » بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ ، وَهِيَ رَوَاتِنَانُ فِيهِ . وَفِي الْأَصْلِ : « صُبَيْرَةُ » .
وَفِي الْجُمْهُورِ : « عَوْفُ بنِ هَبِيرَةَ » . (٤) فِي رِوَايَةِ أُخْرَى لِلطَّبْرِيِّ : « حَبِيبٌ » .

ومن بنى عامر بن لؤي من حلفائهم رجلا ن، وهما : معاوية بن عامر
 حليف لهم من عبد القيس ، قتلته علي ، ويقال : عكاشة بن محصن . ومعبد بن
 وهب ، حليف لهم من بنى كلب ، قتله خالد وإياس أبنا البكير ، ويقال : أبو دجاجة .
 بجمع من أنضبط لنا بالأسماء ممن قُتل من المشركين يوم بدر ثمانية
 وستون على الشك في السائب بن أبي السائب ، والذي ثبت في صحيح البخاري أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين في يوم بدر أربعين
 ومائة ، سبعين أسيرا ، وسبعين قتيلًا .

ذكر تسمية من أسر من المشركين في غزوة بدر

كانت عدة من أسر من المشركين في يوم بدر سبعين رجلا على ما ورد في الصحيح
 ودلت عليه الآية [في] قوله تعالى : (**أولمَّا أَصَابَكُمْ مِصْبِيَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَهَا**)
 يعني يوم أحد ، وكان قسده قتل من المسلمين يوم أحد سبعون رجلا ، والذي
 أنضبط لنا بالأسماء من أسرى بدر ستة وستون رجلا .

من بنى عبد المطلب بن هاشم أربعة نفر ، وهم : العباس بن عبد المطلب بن
 هاشم ، أسره أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو الخزرجي ، وكان رجلا
 قصيرا ، والعباس رجلا طويلا ضخما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد
 أعانك عليه ملك كريم " . وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب ، أسره عبيد بن
 أوس بن مالك الأوسى ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعتبة ، حليف لهم
 من بنى فهر ، قال : وكان العباس وعقيل نخرجا مكرهين .

ومن بنى المطلب بن عبد مناف خمسة نفر وهم : السائب بن عبيد بن عبد يزيد
 ابن هاشم بن المطلب ، ونعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب ، وعقيل بن عمرو
 حليف لهم ، وأخوه تميم بن عمرو ، وابنه عمرو بن تميم .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر وهم : عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، والحارث بن أبي وجرّة - ويقال : وجرّة بن أبي عمرو - ابن أمية ، وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس ، وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وخالد بن أسيد بن أبي العيص . ومن حلفائهم : أبو ريشة بن أبي عمرو ، وعمرو بن الأزرق ، وعقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي ، وأبو العريض يسار ، مولى العاص بن أمية .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف أربعة نفر ، وهم : عدي بن الحيار بن نوفل وعثمان بن عبد شمس ، حليف لهم من بنى مازن بن منصور ، وأبو ثور ، حليف لهم ونهبان ، مولى لهم .

١٠ ومن بنى عبد الدار بن قصي ثلاثة نفر وهم : أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والأسود بن عامر حليف لهم ، وعقيل ، حليف لهم من اليمن .

١٩
١٥

١٥ ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي أربعة نفر وهم : السائب بن أبي حبيش ابن المطلب بن أسد ، والحويرث بن عباد بن عثمان بن أسد . قال ابن هشام : هو الحارث بن عائد بن عثمان بن أسد ، وعبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث ، وسالم بن شمان ، حليف لهم .

ومن بنى تيم بن مرة رجلان وهما : مسافع بن عياض بن صخر بن عامر ابن كعب بن سعد بن تيم ، وجابر بن الزبير ، حليف لهم .

٢٠ ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة عشرة نفر وهم : خالد بن هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أسره سواد بن غزيرة ، وأميرة بن أبي حذيفة

ابن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وصَيْفِيّ
ابن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر^(١) بن مخزوم، وأبو المنذر بن أبي رفاعة
ابن عابد، وأبو عطاء عبد الله بن السائب بن عابد، وقَيْس بن السائب، والمطلب
ابن حَنْطَب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم، وخالد بن الأعم، حليف لهم
من خُرَاعَة، ويقال: عُقَيْبِيّ. وزعموا أنه أول من فز منهزما، وهو الذي يقول:
وَلَسْنَا عَلَى الْأَدْبَارِ تَدْمَى كَلُومُنَا^(٢) وَلَكِنْ عَلَى أَعْقَابِنَا نَقْطُرُ الدَّمَا

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب خمسة نفر وهم: أبو وداعة
ابن صَيْبَة بن سعيد بن سعد بن سهم، وهو أول أسير أُتْدِي من أسرى بدر،
افتداه ابنه المطلب بن أبي وداعة، وقُرُوء بن قَيْس بن عدى بن حُذَافَة بن سَعِيد
ابن سهم، وحَنْظَلَة بن قَيْصَة بن حُذَافَة بن سَعِيد بن سهم، والمُجْجَاج بن الحارث
ابن قَيْس بن عدى بن سَعِيد بن سهم، وأَسْلَم، مولى نَيْبَة بن المِجْجَاج.

ومن بنى جمع بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب أحد عشر نفرا وهم: عبد الله بن
أبِيّ بن خلف بن وهب بن حُذَافَة بن جُمَح [وأخوه عمرو بن أبِيّ، وأبو عَزْرَة عمرو
ابن عبد الله بن عثمان بن وهب بن حُذَافَة بن جُمَح] والفَاكِه، مولى أمية بن خلف
ووهب بن عُثَيْر بن وهب بن خلف بن وهب بن حُذَافَة بن جُمَح، وربيعَة بن

(١) في أ: « عمرو » . (٢) في أ: « منهن » . (٣) الكوم: الجراحات .
(٤) قال السهيلي في الروض الأنف صفحة ١٠٧ ج ٢: « وأحسب ذكر المِجْجَاج في هذا الموضع
وهما، فإنه من مهاجرة الحبشة وقدم المدينة بعد أحد، فكيف بعد في أسرى المشركين يوم بدر » .
(٥) كذا في أ، ج . وفي الروض الأنف: « ولم يوافق الواقدي ولا غيره ابن إسحاق على قوله:
« سعيد بن سهم » . وقالوا: إنما هو سعد » .
(٦) ما بين المربعين ساقط من أ .

دَرَّاج بن العنيس بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح، وأبورهم بن عبد الله حليف لهم، وموليان لأمية بن خاف، أحدهما: نسطاس، وأبورافع، غلام أمية ابن خلف . قال ابن هشام : وحليف لهم ذهب عنى اسمه .

ومن بنى عامر بن لؤى خمسة نفر وهم : سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، أسره مالك بن الدخشم أخو بني سالم ابن عوف، وعبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود، وعبد الرحمن بن مشنوء ابن وقدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود، وحيب بن جابر، والسائب ابن مالك .

ومن بنى الحارث بن فهر أربعة نفر وهم : الطقييل بن أبي قنيع، وعتبة بن عمرو ابن جحدم، وشافع، وشفيع، حليفان لهم من اليمن .

ذكر خبر أسارى بدر وما كان من فدائهم، ومن من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأطلقه منهم)، ومن أسلم بسبب ذلك

قال : لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر ومعه الأسارى سمع العباس وهو يئن ويتأوه ، قد ألمه الوثاق ، فقلق رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة لذلك ، فاستأذنه أصحابه رضى الله عنهم ، فى أن ينقسوا عن العباس وثاقه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إن فعلتم ذلك بجميع الأسرى فنعم وإلا فلا » . أو كما قال : فنقسوا عن جميع الأسرى .

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فترق الأسارى بين أصحابه وقال : « استوصوا بهم خيرا » . ثم جاءه جبريل عليه السلام فى أمر الأسارى

فقال : إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم أخذتم منهم الفداء ، (واستشهد قائلًا منكم سبعون . قال : فنأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، بخاءوا — أو من جاء منهم) — فقال : ” هذا جبريل يخبركم بين أن تقدموهم فتقتلوهم ، وبين أن تُفادوهم ويستشهد قائلًا منكم بعديهم “ . فقالوا : بل نُفاديهم ويدخل قائلًا منا الجنة سبعون . ففادوهم . رواه محمد بن سعد .

وروى ابن قتيبة عن ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس : ” أفد نفسك وابني أخويك : عقييل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وحليقك ، فإنك ذو مال “ . فقال : يا رسول الله ، إني كنت مسلمًا ولكن القوم استكروني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تقول حقًا فالله يجزيك به ، وأما ظاهر [أمرك] فقد كان علينا “ . قال : فإنه ليس لي مال . قال : ” فأين المال الذي وضعته عند أم الفضل بمكة حين خرجت وليس معك أحد ؟ ثم قلت : إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا ، ولعبد الله كذا “ . قال : والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد غيرها ، وإني لأعلم أنك رسول الله . ففسدى نفسه بمائة أوقية ، وكل واحد بأربعين أوقية ، وقال : « تركتني أسأل الناس في كتي » . قال : « وأسلم العباس ، وأمر عقيلا فأسلم » .

وروى محمد بن سعد قال : لما أسر نوفل بن الحارث بيدرس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أفد نفسك “ . قال : ما لي شيء أفندي به . قال : ” أفد نفسك

(١) ما بين المرعيين ساقط من أ .

(٢) زياده من ب .

برماحك التي يُجَدَّة " . فقال : والله ما علم أحد أن لي بجَدَّة رماحا غيري بعد الله ،
أشهد أنك رسول الله . ففدى نفسه بها ، وكانت ألف ربح . وقيل : كان إسلام
نوفل وهجرته أيام الخندق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش حين ورد عليهم الخبر بمصرع أصحاب بدر
نأحوا على قنلام ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ عهدا وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعتوا
في أسراكم حتى تستأنوا بهم^(١) لا يارب عليكم عهد وأصحابه في الفداء . فقال المطلب
ابن أبي وداعة : صدقتم ، لا تعجلوا ؛ وأنسل من الليل فقدم المدينة ، فأخذ أباه
بأربعة آلاف درهم ، وانطلق به .

ثم بعثت قريش في فداء الأسارى ، فكان أعلى ما فدى به أسير أربعة آلاف
درهم فما دونها إلى ألف درهم .

وقال محمد بن سعد في طبقاته : كان فداء أسارى يوم بدر أربعة آلاف إلى
مادون ذلك ، فمن لم يجد عنده شيئا أعطى عشرة من غلمان المدينة ، فعملهم
الكتابة ، فإذا حدقوا فهو فداؤه . وكان أهل مكة يكتبون ، وأهل المدينة
لا يكتبون . [قال] : فكان زيد بن ثابت ممن علم .

١٥ ذكر خبر أبي سفیان في أمر ابنه عمرو بن أبي سفیان وإطلاقه

قال محمد بن إسحاق : وكان عمرو بن أبي سفیان في الأسارى ، فقيل
لأبي سفیان : اهد ابنك عمرا ، فقال : أجمع على دمي ومالي ! قتلوا حنظلة ، وأفدى
عمرا ! دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . فلم يزل كذلك حتى قدم سعد بن التعمان

(١) تستأنوا بهم : تنظروا بهم ، أي تؤخروا فداءهم .

(٢) لا يارب : لا يشند .

(٣) في الأصول : « شي » .

(٤) زيادة عن ج .

(١) ابن أكل، أخو بني عمرو بن عوف معتمرا، وكان شيخا مسلما، في غَمِّ له بالبيع،
وقد كانت قريش عهدوا أنهم لا يعرضون لحاج أو معتمر إلا بخير، فعدا عليه
أبو سفيان بمكة فخبسه بأبنة عمرو، ثم قال أبو سفيان :

أرَهَطَ ابنِ أَكَلٍ أَجَبُوا دُعَاةَهُ تَفَاقَدْتُمْ لَا تُسَامُوا السَّيِّدَ الكَهَلَا (٢)
فَمَنَّ بِنِي عَمْرٍو لِنَسَامٍ أَذَلَّةً إِذَا لَمْ يَفُكُّوا عَن أُسَيْرِهِمُ الكَبَلَا (٤)

قال : فمضى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه
خبره ، وسأله أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفتكوا به صاحبهم ، ففعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فغلى سبيل سعد
ابن النعمان .

ذكر خبر أبي العاص بن الربيع في فدائه

وإرساله زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة
وإسلامه بعد ذلك ، ورد زينب عليه بغير نكاح جديد

قال ابن إسحاق : وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى
ابن عبد شمس ، حتن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج أبنته زينب . أسره
نيراش بن الصمة ، أحد بني حرام .

(١) البيع : مكان مقبرة أهل المدينة .

(٢) في أ : « وكانت » .

(٣) تفاقدم ؛ يدعو عليهم بأن يفقد بعضهم بعضا .

(٤) الكبل : القيد .

(٥) في أ : « وإرساله إلى زينب » .

وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد أخت خديجة ، فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه زينب ، فزوجه بها ، وذلك قبل أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان معها وهو على شركه وهي مسلمة .

٢١
١٥

- ٥ فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص [بمال] ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخاتها بها على أبي العاص [فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقعة شديدة وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها [مالها] فأفعلوا » . قالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه وردوا عليها الذي بعثت به ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه أن يخلى سبيل زينب ، ولم يظهر ذلك ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار ، فقال : « كونا بطن ^{١٣} ياجج حتى تمر بك زينب ، فتصحبها حتى تأتياني بها » . فخرجا وذلك بعد بدر بشهر ، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالملحوق بأبيها ، فتجهزت لذلك ، وقدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيرا فركبته ، وأخذ قوسه ويكائه ، ثم خرج بها نهارا يقود بها ، وهي في هودج لها ، وتحدث بذلك رجال قريش ، فخرجوا في طلبها ، حتى أدركوها بذي طوى ^(٤) ، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهري ، فروعها بالرمح وهي في هودجها ، وكانت حاملا فطرحت ، فنثر حموها كنانته ثم قال : والله لا يدنو مني
- ١٥

(١) ما بين القوسين زيادة من ج .

(٢) زيادة من سيرة ابن هشام .

(٣) ياجج : موضع على ثمانية أميال من مكة .

(٤) ذو طوى : واد عند مكة .

رجل إلا وضعتُ فيه سهمًا، فتكرَّر^(١) الناس عنه، ثم جاء أبو سفيان بن حرب في جِلَّةٍ [من] قريش فقال: أيها الرجل، كُفَّ عنا نبلك حتى نكلمك . فكفَّ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تُصِبْ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذا خرجتَ له ببتة علانية على رءوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك على ذُلِّ أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وأن ذلك منا ضعف ووَهْن، ولعمري مالنا بحبيها عن أيها من حاجة، وما لنا في ذلك من تُورَةٍ^(٢)، ولكن أرجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدثت الناس أن قد رددناها فسُلِّها سرا وألحِقها بأيها . قال: ففعل .

فأقامت ليالي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدمها بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقامت عنده بالمدينة وفزق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرا إلى الشام — وكان رجلا مأمونا — بمال له وأموال رجال من قريش، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابوا مامعه وأعجزهم هاربا، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستجار بها، فأجارته، وجاء في طلب ماله، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس معه خرجت زينب من صُفَّةِ النساء [وقالت]: أيها الناس، إني قد أبرت أبا العاص^(٤) ابن الربيع . فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال: "أيها الناس، هل سمعتم ما سمعتُ؟" فقالوا: نعم، قال: «أما والذي نفس محمد بيده

(١) تكرَّر: رجع . (٢) زيادة عن ج . (٣) التورَة: النار . (٤) كذا في أ، وفي ج: «صرخت» .

ما علمت بشيء حتى سمعتُ ما سمعتم ، إنه يُجبر على المسلمين أدناهم . ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل على آبنته وقال : " أى بُنية ، أكرهى متواها ، ولا يخلص إليك فإنك لا تُجيبين له " .

- قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم : " إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له فإننا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فى الله الذى أفاء عليكم ، فأنتم أحق به " . قالوا : يا رسول الله ، بل نردّه عليه ، بل نردّه عليه ، حتى إن الرجل ليأتى بالدلو ، ويأتى الرجل بالشنة والإداوة ، حتى إن أحدهم ليأتى بالشظاظ ، حتى ردوا عليه ماله بأسره لم يفقد منه شيئا ، ثم احتمل إلى مكة ، فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله ، ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، بخزلك الله خيرا ، فقد وجدناك وقيما كريما ، قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ما منعى من الإسلام عنده إلا تخوف أن يظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أذاها الله إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الأول ، ولم يُحدث شيئا .

(١) الشنة : السقاء البسالى . (٢) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٣) الشظاظ : خشبة عفاها تدخل فى عرونى الجوالقين ، واجمع أشظلة . (٤) قال فى الروض الأنف ٣ : ٨٣ : « وذكر عن داود ابن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ردّ زينب على أبي العاص على النكاح الأول ، لم يحدث شيئا بعد ست سنين . ويعارض هذا الحديث ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم ردها عليه بنكاح جديد . وهذا الحديث هو الذى عليه العمل ، وإن كان حديث داود بن الحصين أصح إسنادا عند أهل الحديث ، ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء . فيما علمت ، لأن الإسلام قد كان فرق بينهما ، قال الله تعالى : « لاهنّ حل لهم ولا هم يحلون لهن » ومن جمع بين الحديثين قال فى حديث ابن عباس : معنى ردها عليه على النكاح الأول أى على مثل النكاح الأول فى الصداق والجهاء ، لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره . »

نرجع إلى نعمة أخبار أسارى بدر :

٢٢

١٥

ذكر خبر الوليد بن الوليد بن المغيرة

قد تقدم أنه كان ممن أسرى يوم بدر، وكان الذي أسره عبد الله بن جحش ويقال : أسره سليل بن قيس المازني الأنصاري، فقدم في فدائه أخواه : خالد وهشام، فتمتع عبد الله بن جحش حتى افتكاه بأربعة آلاف درهم . فجعل خالد يريد ألا يبلغ ذلك، فقال هشام لخالد : إنه ليس بابن أمك، والله لو أبى فيه إلا كذا وكذا لفعلت . ويقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن جحش : لا تقبل في فدائه إلا شكّة أبيه الوليد - وكانت درعا فضفاضة وسيفا وبيضة - فأبى ذلك خالد وأطاع هشام لأنه أخوه لأبويه، فأقيمت الشكّة بمائة دينار، فطاعها وسأماها إلى عبد الله، فلما أفتدى أسلم، فقيل له : هلا أسلمت قبل أن تفتدى وأنت مع المسلمين؟ قال : كرهت أن تظنوا أني جزعت من الإسمار . فحبسوه بمكة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له فيمن دعا له من مستضعفي المؤمنين، ثم أفلت ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد عمرة القضيّة^(١) . حكاه ابن عبد البر .

٥

١٠

ذكر من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٥

من أسارى بدر وأطلقه بغير فداء

قال ابن إسحاق : وكان ممن من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء : أبو العاص بن الربيع هذا الذي تقدم خبره . والمطلب بن حنطب بن الحارث^(٢)

(١) هي عمرة القضاء، ويقال لها عمرة القصاص؛ سميت بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم فاضى فريشا عليها . (انظر الروض الأنف ٢ : ٢٥٤) . (٢) في ١ : « حطب » .

٢٠

ابن عبيد المخزومي، وكان لبعض بني الحارث بن الخزرج، فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله، فلحق بقومه، وصيغى بن أبي رفاعة المخزومي، ترك في يد أصحابه فلم يأت أحد في فدائه، فأخذوا عليه العهد ليعتن إليهم بفدائه وخلوا سبيله، فلم يف لهم بشيء، وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن وهب بن حذافة بن جحج كان محتاجا ذا بنات فقال: يا رسول الله، لقد عرفت مالي من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال، فامنن علي، فمن عليه وأخذ عليه ألا يظهر عليه أحدا، فقال أبو عزة في ذلك:

مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا فَإِنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِيكَ حَمِيدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ تُدْعَوُ إِلَى الْحَقِّ وَالْهَدَى عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ بُؤْتَتْ فِيْنَا مَبَاءَةٌ لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصُعُودٌ^(١)
فَإِنَّكَ مَنْ حَارَبْتَهُ لِحَارَبٍ شَقِيٌّ وَمَنْ سَالَمْتَهُ لَسَعِيدُ
وَلَكِنْ إِذَا ذُكِرْتُ بِدِرٍّ وَأَهْلِهِ تَأْتُبُ مَا بِي حَسْرَةً وَقُعُودٌ^(٢)
ومنهم وهب بن عمير الجمحي، وإطلاقه سبب نذكره.

ذكر خبر عمير بن وهب وإسلامه، وإطلاق ولده وهب بن عمير

قال ابن إسحق في سبب إطلاق وهب بن عمير: إن أباه عمير بن وهب بن خلف بن حذافة بن جحج بن عمرو بن هصيص بن كعب جلس مع صفوان بن أمية في الجحجر بعد مصاب أهل بدر يسيرون - قال: وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش، ممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة - فذكر أصحاب القلب ومصابهم^(٣). فقال صفوان: والله إن

(١) بُؤْتَتْ فِيْنَا مَبَاءَةٌ: نزلت فينا منزلة.

(٢) تَأْتُبُ: رجع. (٣) القلب: البئر القديمة التي لا يعلم لها حافر.

في العيش بعدهم خير، فقال عمير: صدقتَ والله، أما والله لولا دَيْنَ عليّ - ليس له [عندي] قضاء، وعيال أخشى عليهم الضَّيعة^(٢) بعدى، لركبتُ إلى مجد حتى أقتله، فإن لي قبلمهم علة؛ ابني أسير في أيديهم. فاغتنمها صفوان فقال: عليّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أو أسبهم ما بقوا لا يسعني شيء^(٣) ويعجز عنهم؛ قال له عمير: فاكتم عليّ شأني وشأنك؛ قال: أفعل.

ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له، ثم ستم، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه في نفر من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، إذ نظر إلى عمير حين أناخ على باب المسجد متوشّحا السيف، فقال عمر: هذا الكلب عدوّ الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهذا الذي حرّش^(٤) بيننا وحرّزنا للقوم يوم بدر. ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبيّ الله، هذا عدوّ الله عمير بن وهب قد جاء متوشّحا بسيفه، قال: فأدخله عليّ، فأقبل عمر حتى أخذ بجبالته سيفه في عنقه فلبّيه بها، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده، واحذروا عليه هذا الخبيث، فإنه غير مأمون؛ ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رآه قال: أرسله يا عمر، ادنُ يا عمير؛ فدنا ثم قال: انعموا صباحا - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة؛ قال: أما والله إن كنت يا محمد بها لحديث عهد؛ قال: فما جاء بك يا عمير؟ قال: جئت لهذا الأسير

(١) زيادة من السيرة . (٢) الضيعة : الهلاك .

(٣) هكذا في « ، وفي السيرة . وفي أ : « لا يشعني » .

(٤) حرش : أفسد . (٥) الحزر : تقدير العدد تحييتا .

الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه؛ قال : فما بال سيف فى عنقك؟ قال : قبَّحها الله من سيف ! وهل أغنت شيئاً ! قال : اصدقنى ، ما الذى جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك ؛ قال : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت : لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل مهدياً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ذلك .
 قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام ، وساقى هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” فقهاوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره“ ، ففعلوا .

١٠

ثم قال : يارسول الله ، إنى كنت جاهدا على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تاذن لى فأقدم مكة ، فأدعهم إلى الله ، وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أؤذى أصحابك فى دينهم . قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالحق بمكة .
 وكان صفوان بن أمية يقول لقريش : أبشروا بوقعة تأتاكم الآن فى أيام ، تنسيكم ووقعة بدر ، وكان يسأل عنه الرُّبَّان حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه ، فحلف ألا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع .

١٥

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذى من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .

٢٠

(١) فى ١ : « يبصره » .

قال ابن إسحاق : وعمير بن وهب أو الحارث بن هشام ، قد ذكر أن أحدهما
 [الذي] رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر ، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله :
 ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ
 فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرى مَا لَا تَرُونَ إِنِّي
 أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وكان إبليس قد تشبه لقريش بسراقه بن مالك بن
 جعشم وقال : أنا جارٌ لكم من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، كما قدمنا ذكر ذلك ،
 قال : وكانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقه لا يُنكرونه . فلما آلتقى الجمعان يوم
 بدر ورأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه وقال لهم ما قال .

وقد أخذت هذه الغزوة حَقَّها من البسط والإطالة وإن كان ذلك على سبيل
 الاختصار ، فلنذكر غيرها من الغزوات والسرايا . والله المستعان .

٢٤

١٥

ذكر سرية عمير بن عدى بن نحرشة الخطمي

إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد^(٢)

قال محمد بن سعد : كانت سرية عمير بن عدى بن نحرشة بن زيد بن
 رأس تسعة عشر شهرا من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكانت
 عصماء عند يزيد بن زيد بن حصن الخطمي ، وكانت تعيب الإسلام وتؤذى النبي
 صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه ، وتقول الشعر ، بغاءها عمير بن عدى في جوف
 الليل حتى دخل عليها بيتها وحوطها نقر من ولدها نيام ، منهم من ترضعه في صدرها ،

(١) زيادة عن ج . (٢) في أ : « يزيد » . نسبتها إلى بني أمية بن زيد الأنصاري ؛
 قيل لأنها حليفهم أو لكون زوجها منهم . وانظر الزرقاني ١ : ٥٤٦ .
 (٣) كذا في المواهب اللدنية ، والطبقات ، وإمتاع الأسماع . وفي أ ، ج : « حصين » .

بجسمها بيده - وكان ضرير البصر - ونَحَى الصَّيْبَ عنها، ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها، ثم صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قتلَت بنتَ مروان؟ قال: نعم، فهل عليّ في ذلك شيء؟ قال: لَا يَنْطَحُ فِيهَا عِزَانٌ ^(١).

- ٥ قال محمد بن إسحاق: فرجع عمير بن عدى إلى قومه، وبنو خطمة يومئذ كثيرٌ موجهٌ ^(٢) في شأن أبنه مروان، ولها يومئذ بنون خمسة رجال، فقال: يا بني خطمة، أنا قتلَت أبنه مروان، فَيَكِيدُونِي بِجَمِيعِهِمْ لَا تُنْظَرُونَ ^(٣). قال: فذلك اليوم أول ما عزت الإسلام في دار بني خطمة، وكان من أسلم منهم يستخفي بإسلامه، وعمير هو أول من أسلم من بني خطمة. قال: وأسلم يوم قتلها رجالٌ من بني خطمة لما رأوا من عز الإسلام.
- ١٠

ذكر سرية سالم بن عمير العمري إلى أبي عَفْكَ اليهودي

قال ابن سعد: كانت سرية سالم في شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة، وكان أبو عَفْكَ ^(٤) من بني عمرو بن عوف شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الشعر، فقال سالم ^(٥)

- ١٥ (١) هذا مثل مشهور، أراد أن هذا الفعل لا يكون له تغيير، ولأنه تكبير، أي لا يختلف فيه اثنان. وانظر جمع الأمثال ٢: ١٤٨.
- (٢) موجهم: اضطرابهم وتحيرهم.
- (٣) تنظرون: تؤنرون، بعض آية من سورة هود ٥٥.
- (٤) في الأصول: «أبو غفل». والتصويب من طبقات ابن سعد والمواهب اللدنية وسيرة ابن هشام.
- (٥) في طبقات ابن سعد: «وكان يهوديا وكان يحرض».
- ٢٠

ابن عمير — وهو أحد البكّائين وقد شهد بدرًا — : عليّ نذرٌ أن أقتل أبا عفك
أو أموت دونه؛ بقاء وقد نام أبو عفك بالفناء في ليلته صائفة، فوضع السيف على
كبده، ثم أعتمد عليه حتى خَشَّ في الفراش، فصاح [عدوّ الله]^(٢) ، فنار إليه ناس
ممن هم على قوله ، فأدخلوه منزله وقبروه .

ذكر غزوة بني قينقاع

(وهي بضم النون وقيل بكسرها)^(٣)

غزاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم السبت النصف من شوال على
رأس عشرين شهرًا من مهاجره .

قال ابن سعد : وكانوا حلفاء عبد الله بن أبي بن سلول ، وكانوا أشجع يهود ،
وكانوا صاغيةً ، فوادعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كانت وقعة بدر
أظهروا البغي والحسد ، ونبذوا العهد والمدة ، فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه
وسلم : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾^(٤) .

وقال أبو عبد الله محمد بن إسحاق في سبب غزوة بني قينقاع : إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قينقاع^(٥) ثم قال : يا معشر يهود ، احذروا من الله

١٥ (١) اليكأون : سبعة نفر أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ليجملهم ، فلم يجد
ما يجملهم عليه ، فنزلوا وأعينهم تمريض من الدمع حزنًا ، فسوا البكّائين . راجع ج ٨ ص ٢٢٨
من القرطبي . (٢) زيادة عن طبقات ابن سعد . وفي أ : « وصاح وصاح » . وفي ج :
« وصاح ، فثار » .

(٣) زيد في المواهب اللدنية : « بالفتح أيضا ولكن الضم أشهر » .

٢٠ (٤) سورة الأنفال ٥٨ . (٥) بنو قينقاع : اسم لشعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة
أضيفت إليهم سوق كانت بها ، فيقال : سوق بني قينقاع .

مثل ما نزل بقريش من النعمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم؛ قالوا: يا محمد، لا يُغزرك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس .
 فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ قُلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُهُمْ وَمُحْسِرَاتِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُنْسِئُ الْمَهَادِ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ آلِ قَتَانَةَ فَمَثَلُ قَاتِلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (١) .
 حكاها ابن إسحاق بسند يرفعه إلى ابن عباس .

٢٥
١٥

وقال ابن هشام في سبب هذه الغزاة: إن امرأة من العرب حلت بجلب لها، فباعته بسوق بنى قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت أنكشفت سوءتها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فأغضبهم، فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع .

عدنا إلى مساق حديث ابن سعد؛ قال: فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، وأستخلف على المدينة أبا ثابة بن عبد المنذر، ثم سار إليهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وكانوا أول من غدر من اليهود، وحاربوا وتحصنوا في حصنهم، فحاصرهم أشد الحصار، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم، وأن لهم النساء والأثرية، فأمر

(١) من سورة آل عمران آية ١٢ - ١٣ (٢) الجلب: ما جلب من خيل وإبل ومناج .

بهم فكثفوا، واستعمل على كثافتهم المنذر بن قدامة السلمي . فكلم عبد الله بن أبي^(١) فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخ عليه ، فقال : خذهم ، لعنهم الله ؛ وتركهم من القتل ، وأمر بهم أن يُجْلَوْا من المدينة ، وولّى إخراجهم منها عبادة بن الصامت ، فألحِقوا بأذرعَات ، فما كان أقل بقاءهم فيها .

وقال ابن إسحاق في خبر عبد الله بن أبي بن سلول : إنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمكنه الله من بني قينقاع ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالى . وكانوا حلفاء الخزرج ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالى . قال : فأعرض عنه . قال : فأدخل يده في جيب درع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلني ، وغضب حتى ظهر ذلك في وجهه ، ثم قال : ويحك ! أرسلني ؛ قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالى ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع^(٤) ، قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة ، إني والله أمرؤ أخشى الدوائر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

وحكى أيضا قال : كان لبني قينقاع من عبادة بن الصامت من الحليف مثل الذى لهم من عبد الله بن أبي ، فمضى عبادة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ولايتهم . فأنزل الله تعالى فيه وفي عبد الله بن أبي :

(١) كذا في أ ، وفي ج : « لعنهم ، وتركهم » .

(٢) أذرعَات : بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء .

(٣) في سيرة ابن هشام : « وكان يقال لها : ذات الفضول » .

(٤) الحاسر : الذى لا درع له . (٥) الدارع : الذى عليه الدرع ، وفي أ : « دراع » .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْيِعُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ ^(١) إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ^(٢) وذلك لعبادة بن الصامت .

قال محمد بن سعد : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم [من سلاحهم] ^(٣) ثلاث قسي، منها : الكتوم، كُمرت بأحد، والرؤحاء، والبيضاء، وأخذ درعين : الصغدية، وأخرى فضة، وأخذ ثلاثة أسياف : سيف قلبي ^(٤)، وسيف يقال له : بئار، وسيف آخر، وثلاثة أرماع، ووجد في حصنهم سلاحا كثيرا وآلة الصياغة، فأخذ صلى الله عليه وسلم صفيه والخمس ^(٥)، وفض أربعة أنحاس على أصحابه، وكان الذي تولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة .

ذكر غزوة السويق

قال محمد بن سعد : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لخمس خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا من مهاجرة، وأستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، وذلك أن أبا سفيان بن حرب لما رجع المشركون من بدر إلى مكة حرّم الدهن حتى يثأر من مجد وأصحابه .

٢٦
١٥

(١) من سورة المائدة آية ٥١ — ٥٥ . (٢) التكلفة من الطبقات لابن سعد .

(٣) سيف قلبي : منسوب إلى القلعة، وهي موضع بالبادية تنسب السيوف إليه .

(٤) الصفي من الغنيمة : ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة .

(٥) يقال : فض الشيء على القوم أي قسمه وفرقه بينهم .

قال ابن إسحاق : نذر ألا يمَس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : نخرج في مائتي راكب ، وقيل : في أربعين راكبا ، فتر بالعرِيض ، — بينه وبين المدينة نحو من ثلاثة أميال — فقتل رجلا من الأنصار ، وأجيرا له ، وحرقت أبياتا هناك وثبنا ، ورأى أن يمينه قد حلت ، ثم ولّى هاربا ، وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار في أثرهم ، وجعل أبوسفیان [وأصحابه ^(٢)] يتخفون للهرب فيلقون جُرب السويق ^(٣) وهي عاتمة أزوادهم ، فأخذها المسلمون ، فسميت غزوة السويق ، ولم يلحقهم وانصرف . وكانت غيبته عن المدينة خمسة أيام .

قال محمد بن إسحاق : بلغ قرقرة الكُدر ثم انصرف راجعا ، فقال المسلمون حين رجع بهم : يا رسول الله ، أنطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

ذكر غزوة قرقرة الكُدر ويقال قرارة الكُدر

وهي غزوة بنى سليم

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من مهاجره ، وهي ناحية معدن بنى سليم ، وبينه وبين المدينة ثمانية بُرد ، وأستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، وحمل لواءه علي بن أبي طالب ، وكان

(١) قال السهيلي في الروض الأنف : « إن الغسل من الجنابة كان معمولا به في الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل ، كما بنى معهم الحج والنكاح » . (٢) ساقطة من أ . (٣) كذا في ج . وفي أ : « يتخفون للهرب » . (٤) السويق : قح أو شعير يقلى ثم يطلحن . (٥) قرقرة الكُدر ، قال الواقدي : « بناحية المعدن ، بينها وبين المدينة ثمانية برد » . وقال غيره : « ماء لبني سليم » . راجع معجم البلدان مادة : « كُدر » .

- قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بهذا الموضع جمعا من بني سليم وخطفان ، فسار إليهم فلم يجد في المحال أحدا ، ووجد رعاء منهم غلام يقال له : يسار ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بالنعيم فأنحدر به إلى المدينة ، فاقسموا غنائمهم بصرار ، على ثلاثة أميال من المدينة ، وكانت النعم خمسمائة بعير ، فأخرج خمسة وقسم أربعة أخماس على المسلمين ، فأصاب كل رجل منهم بعيران ، وصار يسار في سهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعفته حين رآه يصلي . وكانت غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمس عشرة ليلة .

ذكر مقتل كعب بن الأشرف اليهودي وخبر سرية

- قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق وأبو محمد عبد الملك بن هشام ومحمد بن سعد — دخل حديث بعضهم في حديث بعض — : كانت سرية قتل كعب بن الأشرف ١٠ لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أنه كان رجلا شاعرا يهجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويحرض عليهم ويؤذيهم ، وكان لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين إلى من بالمدينة من المسلمين بنجر بدر ، فقال كعب بن الأشرف ١٥ — وكان رجلا من طيء ، ثم أحد بني نهبان ، وكانت أمه من بني النضير — : أحق هذا ؟ أترون محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ؟ فهؤلاء أشرف العرب

(١) رعا : جمع راع .

(٢) قال صاحب الأغاني (ج ١٩ ص ١٠٦ طبع بولاق) : « كعب بن الأشرف مختلف في نسبه ؟

- فزع ابن حبيب أنه من طيء ، وأمّه من بني النضير ، وأن أباه توفى وهو صغير ، فحمله أمه إلى أخواله فنشأ فيهم وساد وكبر أمره . وقيل : بل هو من بني النضير ، وكان شاعرا فارسا ... الخ » . ٢٠

وملوك الناس ، والله لئن كان عهد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها .

فلما تبين الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي ، وجعل يحرّض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الأشعار ويبكي أصحاب القليب من قريش .

ثم رجع إلى المدينة فشبه بنساء المسلمين حتى آذاهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم اكفني آبن الأشرف بما شئت " ؛ وقال : " من لى بآبن الأشرف فقد آذاني " ؟ فقال محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ؛ قال : " فأفعل إن قدرت على ذلك " . فرجع [محمد بن مسلمة] فكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يمسك ريقه ؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : " لم تركت الطعام والشراب " ؟ فقال : يا رسول الله ؛ قلت لك قولاً لا أدرى هل أفي لك به أولاً ؟ قال : " إنما عليك الجهد " قال : يا رسول الله ؛ لا بد لنا من أن نقول ، قال : " قولوا ما بدا لكم ، فأتتم في حل من ذلك " . فاجتمع على قتله محمد بن مسلمة ، وأبو نائلة سلكان بن سلامة بن وقش — وكان أخا كعب من

٢٧
١٥

(١) راجع هذه الأشعار في سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥٥ — ٥٧ طبعة الحلبي بمصر .
(٢) يروى : أنه شيب بأم الفضل لبسابة بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب . راجع الطبري القسم الأول ٣ ، ٤ ص ١٣٦٩ .
(٣) قال السهيلي في الروض الأنف ج ٢ ص ١٢٣ : « في هذه من الققه وجوب قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان ذا عهد ، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله ، فإنه لا يرى قتل الذمي في مثل هذا » . (٤) زيادة عن ج .
(٥) ساقط من ج . (٦) زيد في المواهب اللدنية في هذا الموضوع : « قولاً غير مطابق للواقع لتوصل به إلى التمكن من قتله » .

الرضاعة - وعباد بن بشر بن وقش ، والحارث بن أوس بن معاذ ، وأبو عبس بن جبر^(١) ،
أخو بني حارثة ، فقدموا إليه سلكان بن سلامة ، بغائه فتحدثت معه ساعة ، وتناشدا
شعرا ، ثم قال أبو نائلة سلكان : ويحك يا ابن الأشرف ! إني قد جئتك لحاجة أريد
ذكرها لك ، فاكتب عني ، قال : أفعُل ، قال : قد كان قدومُ هذا الرجل علينا بلاء
من البلاء ، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة ، وقُطعت عنا السُّبل حتى ضاع^(٢)
العيسال ، وجُهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جُهدنا وجُهد عيالنا ؛ فقال كعب :
أنا ابن الأشرف ، والله لقد كنت أخبرك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى
ما أقول ؛ فقال له سلكان : إنا نريد التنجى منه ، ومعى رجال من قومي على مثل
رأى ، وقد أردتُ أن آتيك بهم ، فنبتاع منك طعاما وتمرا ، وزهناك ما يكون لك
فيه ثقة ووفاء ؛ فقال أترهنوني نساءكم ؟ قال : كيف زهناك نساءنا وأنت أشب^{١٠}
أهل يثرب وأعطهم ؛ فقال : أترهنوني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا
وأن يُعير أبناؤنا ؛ فيقال : هذا رهينة وسقى ، وهذا رهينة وسقين ، ولكنا زهناك
سلاحنا وقد علمت حاجتنا إلى السلاح ؛ فقال : نعم إن في الحلقة لوفاء ، وإنما أراد^(٣)
سلكان ألا يُنكر السلاح إذا جاءوا بها ، ثم رجع سلكان إلى أصحابه ، وأخبرهم الخبر
وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ففعلوا .

ومشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد^(٥) ، ثم وجههم وقال :
انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعينهم . ورجع صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وتوجهوا ،

(١) في الأصل : «حبر» بالخاء المهملة ، وهو تصحيف . والتصويب عن الاستيعاب ، والطبرى .
(٢) كذا في الطبقات ، وسيرة ابن هشام . وفي الأصل : «ورمونا» .
(٣) الوسن : حمل البعير . (٤) يريد «بالحلقة» : السلاح كله ، وقيل : هي الدروع خاصة .
(٥) بقيع الغرقد (بالعين المعجمة) : هو مقبرة أهل المدينة .

وكانت ليلة مقمرة، حتى آتوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان ابن الأشرف حديث عهد بعريس، فوثب في ملحفته، فأخذت امرأته بناحيتهما وقالت: إنك أمرؤ محارب، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة؛ قال: إنه أبو نائلة، لو وجدني نائما ما أيقظني؛ فقالت: والله إنني لأعرف في صوته الشر، فقال لها: لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب.

وفي حديث البخاري^(١) من رواية سُفْيَانَ عن عمرو بن جابر بن عبد الله قالت: أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم؛ فقال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورضي أبي نائلة، إن الكريم لو دُعي إلى طعنة يلبل لأجاب؛ قالوا: ونزل إليهم فتحدثوا معه ساعة ثم قالوا: هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز^(٢) فتحدثت به بقية ليلتنا. فقال: إن شئتم. فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة، ثم وضع أبو نائلة [يده^(٣)] في فود رأس ابن الأشرف، ثم شم يده فقال: ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط من هذا! فقال: هذا عطر أم فلان، يريد امرأته، ثم مشى قليلا وعاد لمثلها حتى أطمأن، ثم عاد لمثلها، فأخذ بمود رأسه وقال: اضربوا عدو الله. فضربوه، فأختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولا في سبغى حين رأيت أسيافنا لم تغن، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، فوضعت في^(٥) ثم تحاملت عليه حتى انتهى إلى دانتته^(٦). ثم حزوا رأسه وحملوه معهم، وأصيب الحارث بن أوس، فخرج في رأسه أو رجله، أصابه بعض أسياف أصحابه

(١) في أ: «أبي سفيان». (٢) شعب العجوز: بظاهر المدينة. (٣) زيادة عن ج.

(٤) المغول: شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه. (٥) التنة: ما بين المرة والعانة.

(٦) في الأصول: «غايته»، وهو تصحيف. وانظر شرح المواهب ٢: ١٥.

قال محمد بن مسلمة : نخرجنا حتى سَأَكْنَا على بنى أمية بن زيد، ثم على بنى قُرَيْظَةَ
ثم على بُعَاثٍ ^(١) حتى استندنا في حرة العُرَيْضِ ^(٢)، وقد أبطأ علينا الحارث ^(٣)، ونزفه الدم ^(٤)
فوقفنا له ساعة حتى أتانا فأحتملناه وجئنا به .

قال ابن سعد : فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا، وقد قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كبر، وعرف أن قد قتلوه، ثم اتهموا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أفلحيت الوجوه » قالوا : وجهك ^(٥)
يا رسول الله؛ ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله .

قال ابن إسحاق، قال محمد بن مسلمة : وتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
جرح صاحبنا فبرأ، فرجعنا إلى أهلينا، فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله،
فليس بها يهودى إلا وهو خائف على نفسه .

وفي مقتل كعب بن الأشرف يقول عباد بن بشر :

صرختُ به فلم يعرض لصوتي * وأوفى طالعا من رأس جَدْرِ ^(٦)
فعدتُ له فقال من المنادى * فقلت أخوك عباد بن بِشْرِ
وهذى درعنا رهنا نخذها * لشهر إن وفي أو نصيف شهر

٢٨
١٥

(١) بعث : موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية . وفي رواية
أخرى : « بعثات » .

(٢) كذا في أ ، ح . وفي الطبري، وابن هشام : « أسندنا » ، أى ارتفعنا .

(٣) الحزة : الأرض الصلبة الغليظة التي ألبستها حجارة سود نخرة . والعريض : وادي المدينة .

(٤) نزفه الدم : خرج منه كثيرا حتى ضعف .

(٥) في الطبقات : « ووجهك » .

(٦) الجدر : الحائط . وفي المواهب اللدنية : « خدر » .

فقال معاشر سغبوا وجماعوا * وما عدِموا الغنى من غير فقير
 فأقبل نحونا يهوى سريعا * وقال : أما لقد جئتم لأمر
 وفي أيماننا بيض حداد * مجزية بها الكفار نفري^(١٢)
 فماتقه ابنُ مسلمة المردي * به الكفار كاللث الهزبر
 وشد بسيفه صلتنا عليه * فقطره أبو عبس بن جبر^(١٣)
 فكان الله سادسنا فأنبا * بأنعم نعمة وأعز نصير
 وجاء برأسه نقر كرام * هم ناهيك من صدق وير^(١٤)

ذكر غزوة عطفان إلى نجد

(وهي غزوة ذي أمر؛ ناحية النخيل، وقصة دُعُور بن الحارث)^(١٥)

غزاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس خمسة
 وعشرين شهرا من مهاجره ، وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا

(١) في المواهب، والاستيعاب : « وقال لنا لقد » .

(٢) في الاستيعاب : « جداد * مجردة » .

(٣) قطره : أسال دمه .

(٤) في الاستيعاب : « ناهوك » .

(٥) سمى ابن إسحاق هذه الغزوة « غزوة ذات الرقاع » . وقال في سبب هذه التسمية : « وإنما

قبل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رقعوا فيها راياتهم ؛ ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ،
 يقال لها : ذات الرقاع » .

(٦) في سيرة ابن هشام : « غورث بن الحارث » . وفيه روايات أخرى . راجع المواهب اللدنية

ج ٢ صفحة ١٧ .

(٧) في طبقات ابن سعد أنها كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهرا من مهاجره .

من بنى ثعلبة ومحارب بذى أمر تَجَمَّعُوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم . جمعهم رجل منهم يقال له : دُعُوثُ بن الحارث من بنى محارب ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، وخرج لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في أربعمائة وخمسين رجلا ، ومعهم أفراس ، وأستخلف على المدينة عثمان بن عفان — رضى الله عنه — فأصابوا رجلا منهم بذى القصة ^(١) يقال له جبار من بنى ثعلبة ، فأدخِل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره من خبرهم وقال : ^(٢) لن يلاقوك ، لو سمعوا بمسيرك هربوا في رعوس الجبال ، وأنا سائر معك . فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فأسلم وصنمه إلى بلال ، ولم يلاق صلى الله عليه وسلم أحدا .

قال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد البيهقي ، رحمه الله : وهربت منه الأعراب ١٠ فوق ذروة من الجبال ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا أمر وعسكر به فأصابهم مطر كثير ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ، فأصابه ذلك المطر قبل ثوبه ، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى ذى أمر بينه وبين أصحابه ، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف ، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها ، والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت ١٥ الأعراب لدُعُوث ، وكان سيدها وأتبعها : قد أمكك مجد ، وقد أنفرد من أصحابه حيث إن غوث بأصحابه لم يُغث حتى تقتله ؛ فاختر سيفا من سيوفهم صارما ، ثم أقبل مشتعلا على السيف حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف مشهورا ، فقال : يا مجد ، من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في صدره فوقع

(١) ذر القصة : موضع على أربعة وعشرين ميلا من المدينة .

(٢) كذا في ج . وفي أ : « بخبرهم » . (٣) غوث : قال : واغوثاه .

السيف من يده ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام على رأسه ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، لا أكثر عليك جمعا أبدا ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ، ثم أدبر ، ثم أقبل بوجهه ثم قال : والله لأنت خير مني . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أحق بذلك منك . فأتى قومه ، فقالوا : أين ما كنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك ؟ قال : قد كان والله ذلك رأبي ، ولكن نظرت إلى رجل أبيض طويل فدفع في صدرى فوقعت لظهري ، فعرفت أنه ملك ، وشهدت أن محمدا رسول الله ، والله لا أكثر عليه ، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ الآية . ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم يلق كيدا ، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة .

٢٩

١٥

ذكر غزوة بني سليم ببجران^(٣)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لست خلون من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا من مهاجره — وبجران من ناحية الفرع^(٤) ، وبين الفرع وبين المدينة ثمانية برد — وذلك أنه بلغه أن بها جمعا كثيرا من بني سليم ، فخرج في ثلثمائة رجل من أصحابه ، وأستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وأغد السير حتى ورد بجران فوجدهم قد تفرقوا في مياهم ، فرجع ولم يلق كيدا ، وكانت غيبته عشر ليال .

١٥

(١) أراد جبريل . (٢) بعض آية من سورة المائدة .

(٣) بجران (بضم الباء وفتحها ، وسكون الحاء) : موضع بناحية الفرع . وفي الأصل : « بجران » .

(٤) الفرع (بضمين أو ضم وسكون) : قرية من ناحية المدينة ، ويقال : هي أول قرية مارت

٢٠

إسماعيل وأمه التمر بمكة . (٥) أغد : أسرع .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى القردة

(بالقاف، وضبطه ابن الفرات بالفاء وكسر الراء المهملة)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهلل جمادى الآخرة، على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة، وهي أول سرية خرج زيد فيها أميرا يعترض لعير قريش فيها صفوان بن أمية، وحويطب بن عبد العزى، وعبد الله بن أبي ربيعة، ومعه مال كثير، وكان دليلهم فرات بن حيان العجلي، نخرج بهم على ذات عرق، طريق العراق .

قال ابن إسحاق: وفيها أبو سفيان بن حرب، وكان من حديثها أن قريشا خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام حين^(١) وقعة بدر فكانوا يسلكون طريق العراق، نخرج منهم تجار، وفيهم أبو سفيان بن حرب معه فضة كثيرة، وهي أعظم تجارتهم .

قال ابن سعد: فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فوجه زيد بن حارثة في مائة راكب، فأعرضوا لها، فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم، وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فختمها، فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم، وقسم ما بقي بين أهل السرية، وأسر فرات بن حيان، فأسلم، فترك من القتل .

والقردة: من أرض نجد بين الريدة والغمرة .

(١) في ابن إسحاق: « حيث كان من وقعة بدر ما كان » .

(٢) في ١: « من » .

ذكر غزوة أحد

قال محمد بن سعد في طبقاته : كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا يوم السبت لسبع خلون من شوال ، على رأس اثنين وثلاثين شهرا من مهاجره صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن إسحاق : كانت يوم السبت للنصف من شوال .

وذلك أن قريشا لما أُصيب من أُصيب منهم يوم بدر، ورجع من نجا منهم إلى مكة ، وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة ، فمشت أشراف قريش إلى أبي سفيان ، فقالوا : نحن طيبو أنفس أن نُجهزوا بربح هذه العير جيشا إلى نجد؛ فقال أبو سفيان : وأنا أول من أجاب إلى ذلك ، وبنو عبد مناف معي ، فباعوها فكانت ألف بعير ، والمالُ خمسين ألف دينار ، فسلم إلى أهل العير رهوس أموالهم وأخرجوا أرباحهم ، وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار دينارا .

قال ابن سعد وغيره : وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٢) وبعثت قريش رُسُلهم إلى العرب يدعونهم إلى نصيرهم فأوعبوا وألبوا .

قال ابن سعد : وكتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحبر قريش ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن الربيع بكتاب

(١) كذا في الطبقات . وفي الأصول : « هذا العير » . (٢) سورة الأنفال آية ٣٦ .
(٣) في الأصول : « يدعوه » . (٤) أوعبوا : خرجوا كلهم إلى الغزو .
(٥) ألبوا : أتوا من كل جانب . وفي أ : « وأكبوا » .

- العباس . وأرجف المنافقون واليهود بالمدينة ، وخرجت قريش من مكة بحدها وجدها^(٢) وأحايشها^(٣) ، ومن تابعها من كنانة وأهل تهامة ، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل ، فيهم سبعمائة دارع ، ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير ، وخرجوا معهم بالظعن^(٤) التماس الحفيظة^(٥) ، وألا يفترؤا ، وكان معهم خمس عشرة امرأة ، فخرج أبو سفيان ابن حرب — وهو قائد الناس — معهم بهند بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بيرة بنت مسعود بن عمرو ابن عمير الثقفية ، وهي أم عبد الله بن صفوان ، وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج ، وهي أم عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبي طلحة — عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار — بسلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية ، وخرجت خنساء بنت مالك بن المضر^(٦)

٣٠
١٥

- (١) أرجف القوم : اختلفوا أخبارا كاذبة يكون معها اضطراب في الناس .
(٢) بحدها وجدها : بغضا وعظمتها .
(٣) أحايش قريش : قوم من بني المصطلق والهون بن خزيمية ، اجتمعوا وحالوا قريشا عند حبشى ، وهو جبل بأسفل مكة ، فسموا به .
(٤) كذا في طبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام . وفي الأصول : « فارس » .
(٥) الظعن : جمع ظعينة ، وهي المرأة مادامت في الهودج .
(٦) الحفيظة والغضب .
(٧) كذا في أ . وفي ج : « وهو قائد الناس معه بهند » .
(٨) في السيرة والمواهب اللدنية : « بيرة » .
(٩) كذا في السيرة ، والطبرى . وفي الأصول : « سهيل » . وفي رواية الطبرى : « شهيد » .
(١٠) ما ذكر رواية السيرة والطبرى . وفي الأصول : « النضر » .

١٥

٢٠

مع أبنها أبي عزيز بن عمير ، وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث ابن عبد مناة .

قال محمد بن إسحاق : ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشيا ، يقال له : وحشى ، يقذف بجره له قذف الحبشة ، قلما يُخطئ بها ، فقال له : انخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فأنت عتيق .

فكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مر بها ، قالت : وبها دسمة ، اشف واستشف ، وكان وحشى يكنى بأبي دسمة .

قال ابن سعد : وشاع خبرهم ومسيرهم في الناس حتى نزلوا ذا الحليفة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنسا ومونسا ابني فضالة ، ليلة الخميس تلمس مضين من شوال عينين له ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم ، وأنهم قد خلوا بلهم وخيلهم في الزرع الذي بالعريض حتى تركوه ليس به خضراء ، ثم بعث الحباب ابن المنذر [بن الجموح فدخل فيهم] فجزهم ، وجاءه بعلمهم ، وبات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وسعد بن عبادة ، في عدة ليلة الجمعة ، عليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرس المدينة حتى أصبحوا ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة كأنه في درع حصينة ، وكانت سيفه ذا الفقار قد انقصم من عند ظبته ، وكان يقرأ تذيح ، وكأنه مُردف كهبشا فأخبرها أصحابه وأولها ، فقال : أما الدرع الحصينة فالمدينة ، وأما انقصام سيفي

(١) كذا في الطبري ، والسيرة . وفي أ : « مع أبي عزيز » وفي ب : « مع أبنها أبي عزيز » .

(٢) في أ ، ب : « أحد » .

(٣) وبها : كلمة معناها الإغراء والتضيض . والدسمة : السواد . وفي الطبري « إيه أبا دسمة »

وفي السيرة : « وبها أبا دسمة » .

(٤) العريض : واد بالمدينة . (٥) ساقطة من أ ، والحزر : العد بالطن والتخمين .

فخصية في نفسى، وأما البقر التي تُذبح فقتل في أصحابي، وأما مُردِف كَبْشَا، فكَبْشُ الكَتبية يقتله [الله] إن شاء الله : فكان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا، فأحب أن يُوافق على رأيه، فاستشار أصحابه في الخروج، فأشار عبد الله بن أبي بن سلول ألا يخرج، وكان ذلك رأى الأكبر من المهاجرين والأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: امكثوا في المدينة، واجعلوا النساء والذراري في الأطم^(١). فقام فتیان أحداث لم يشهدوا بدرا، فطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج إلى عدوهم ورغبوا في الشهادة، وقالوا: اخرج بنا إلى عدونا لا يرون أنا [قد] جبنا عنهم وضعفنا. فغلبوا على الأمر، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة بالناس ووعظهم وأمرهم بالجد والجهاد^(٥)، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا، وأمرهم بالتميز لعدوهم، وفرح الناس بالشخص، ثم صلى بالناس العصر، وقد حشدوا، وحضر أهل العوالي^(٦)، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ومعه أبو بكر وعمر، فعماهم وألبساهم^(٧)، وصف الناس له ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد ابن معاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج، والأمر يتزل عليه من السماء، فرددوا الأمر إليه. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس لأمته^(٩)، وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من آدم من حمائل سيفه^(١٠)، واعتم وتقلد السيف، وألقى الترس في ظهره، فندموا جميعا على ما صنعوا، وقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك. فقال صلى الله عليه وسلم: لا ينبغي

(١) ساقطة من أ . (٢) كذا في أ . وفي ج : « على مثل رأيه » .

(٣) الأطم : الحصون المبنية بالحجارة، والبيوت المربعة المسطحة . (٤) ساقطة من أ .

(٥) في المواهب : « الأجتاد » مكان « الجهاد » . (٦) العوالي : قرى بظاهر المدينة .

(٧) في الأصول : « لبساه » وهو تحريف . (٨) صف : اصطف .

(٩) اللامة : الدرع أو السلاح كله . (١٠) في ج : « سيف » .

لنبيّ إذا لبس لأمتّه أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، فانظروا ما أمركم به فافعلوا وأمضوا على اسم الله ، فلکم النصر ما صبرتم . ثم دعا بثلاثة أرماح ، فعدّد ثلاثة ألوية ، فدفع لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب ، ويقال : إلى مصعب بن عمير ، ودفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير ، ودفع لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر ، ويقال : إلى سعد بن عبادة ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم ركب فرسه وتكبّ القوس وأخذ قنّاة بيده ، والمسلمون عليهم السلاح قد أظهروا الدروع ، فيهم مائة دارع ، ونحرج السعدان أمامه يعدّوان ، سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، كل منهما دارع ، والناس عن يمينه وشماله ، ففضى حتى إذا كان بالشيخين^(٢) — وهما أطان ، كان يهودى ويهودية يقومان عليهما يتحدّثان ، فلذلك سميا بالشيخين ، وهما في طرف المدينة — التفت فنظر إلى كتيبة خشناء^(٤) لها زجل ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : حلفاء ابن أبيّ من يهود . فقال صلى الله عليه وسلم : لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك . وعرض من عرض بالشيخين ، فردّ من ردّ ، وأجاز من أجاز .

قال محمد بن إسحاق : أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة بن جندب^(٧) الفزاري ، ورافع بن خديج أحد بني حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان

(١) تنكب القوس : ألقاه على منكبه . (٢) في ١ : « كانا » .

(٣) في معجم البلدان : « كان شيخ وشيخة » . وفي الطبري : « كان يهودى ويهودية أعمايان » .

(٤) كتيبة خشناء : كثيرة السلاح خشنته .

(٥) الرجل : الجلبة والضوضاء .

(٦) في الأصل : « لا تستنصر » وما ذكر رواية ابن سعد .

(٧) في ١ : « تمرة » وهو محريف .

قد ردّهما ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعا رايِم . فأجازه ، فقيل له : إن سمرة يصرع رافعا ، فأجازه . وردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وعمرو بن حزم ، وأُسَيْد بن ظُهَيْر ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة ، وردّ عَرَابَةَ ابن أوس وهو الذي يقول فيه الشَّيْخُ ^(١) .

إذا ما رايَةً رَفِعتْ لمجدٍ * تَلَقَّها عَرَابَةُ باليمن

قال ابن سعد : وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشيخين ، وكان نازلا في بني النجار ، واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلا ، يُطِيفون بالعسكر ، وأدبج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السَّحَر ، ودليله أبو خَيْثَمَةَ ^(٢) ، فاتمى إلى أحد ، فخانَت الصلاة ، وهو يرى المشركين ، فأمر بلالا فأذّن وأقام ، فصلى بأصحابه الصبح صفوفا .

قال ابن إسحاق : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشوط ^(٣) بين المدينة وأحد ، انحزل عنه عبد الله بن أُبَيّ بثلاث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علامَ نَقْتَل أنفسنا ها هنا أيها الناس ! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق ، وآتبعهم عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، أخو بني سلمة ، يقول : يا قوم ،

(١) خرج الشياخ يريد المدينة فلقبه عرابية بن الأوس ، فسأله عما أقدمه المدينة ، فقال : أردت أن أمتار لأهل . وكان معه بعيان فأوفرهما له عرابية تمرا وبرا ، وكساه وأكرمه ، فخرج عن المدينة وامتنحه بالقصيدة التي منها هذا البيت . (٢) كذا في الأصول ، وهو يوافق ما في المواهب ، وفي ابن سعد : « أبو حنمة » ، وخطأه صاحب المواهب .

(٣) الشوط ، قال في معجم البلدان : « اسم حائط ، يعني بستانا بالمدينة » .

أذكركم الله أن تخذلوا قومكم وتبيخكم عندما حضر عدوهم ، قالوا : لو نعلم أنكم تُقاتلون كما أسلمناكم ، ولكن لا نرى أنه يكون قتال . قال : فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : انخزل عبد الله بن أبي بثلثائة ، وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعائة ومعه فرسه وفرس لأبي بردة بن نيار ، وأقبل يصف أصحابه ويسوى الصفوف على رجليه ، وعليه درعان ومغفر وبيضة^(٢) ، وجعل له مئمة وميسرة ، وجعل أحدا وراء ظهره ، واستقبل المدينة ؛ وجعل عينين^(٣) — جبلا — عن يساره ، وجعل عليه خمسين من الزمارة ، واستعمل عليهم عبد الله بن جبير ، وقال : قوموا على مصافكم هذه فاحموا ظهورنا ، لا يأتونا من خلفنا ، فإن رأيتونا قد غنمنا ، فلا تتركونا ، وإن رأيتونا تقتل فلا تنصرونا .

وأقبل المشركون ، وقد صفوا صفوفهم ، واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، ولهم مجنبتان مائتا فرس ، وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية ، ويقال : عمرو بن العاص . وعلى الزمارة عبد الله بن أبي ربيعة ، وكانوا مائة رام ، ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة — واسم أبي طلحة عبد الله ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار — فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من

(١) هكذا في الأصل ، والقرطبي ، وشرح المواهب اللدنية . وفي السيرة : « ألا تخذلوا » .

(٢) المغفر : زرد من الدرع يلبس تحت الفلنسة ، أو حلق يتقنع بها المتسلح .

(٣) عينان : جبل يعطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة .

(٤) في أ : « عليه » .

(٥) كذا في طبقات ابن سعد . وفي الأصول : « هذا » .

(٦) المجنبتان : الميمنة والميسرة .

يجعل لواء المشركين؟ فقيل: عبد الدار. فقال: نحن أحق بالوفاء منهم، أين مصعب
ابن عمير؟ قال: هأنذا؛ قال: خذ اللواء؛ فأخذه مصعب، فتقدم به بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يأخذ هذا السيف
بحقه؟ فقام رجال، فأمسكهم عنهم، حتى قام أبو دجانة سيماء بن خرشة أخو بني
ساعة، فقال: وما حقه يارسول الله؟ قال: تضرب به في العدو حتى يئخني؛ قال:
أنا أخذه يارسول الله بحقه. فأعطاه إياه. وكان أبو دجانة إذا أعلم بعصاية له
حمراء علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم، أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصّفين.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه: إنها لمشية يُغضها الله ورسوله،
إلا في هذا الموطن.

قال ابن هشام: إن الزبير بن العوام قال: وجدت في نفسي حين سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمتعنيه وأعطاه أبا دجانة، فقلت: والله
لأنظرن ما يصنع. فاتبعته، فأخرج عصاية حمراء فعصب بها رأسه، فقالت
الأنصار: أخرج أبو دجانة عصاية الموت. وجعل يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي * ونحن بالسّفح لدى التّخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول^(٢) * أضرب بسيف الله والرسول

(١) وجدت: جزت.

(٢) الكيول: آخر الصفوف في الحرب. وهي رواية اللسان وإحدى روايتي ابن هشام.

وفي الأصول: «الكيول» جمع كبل: وهو القيد الضخم. وما ذكرناه أوفق للعنى. وقد ذكر هذين البيتين
صاحب لسان العرب.

قال الزبير : بفعل لا يلقى أحدا إلا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذفف^(١) عليه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتينا ، فضرب المشرك أبا دُجانة ، فاتقاه بدرقته^(٢) ، وضربه أبو دُجانة فقتله ، ثم رأته قد حمل السيف على مفريق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدله عنها ، قال الزبير ، فقلت : الله ورسوله أعلم .

قال أبو دُجانة : رأيت إنسانا يُحمش الناس حمشا ، فصمدتُ له ، فلما حملت عليه السيف ولؤل ، فإذا امرأة ، فأكرمتُ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

قالوا : وكان أول من أنشب الحرب يوم أحد أبو عامر عبد عمرو بن صيفي^(٤) ابن مالك بن النعمان ، أحد بني ضبيعة بن زيد ، وكان قد نرحج إلى مكة مباحدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه خمسون غلاما من الأوس ، وكان يعد قريشا أن لو قد لقي قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يافاسق — وكان في الجاهلية يُسمى الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ، كما قدمنا من خبره — قال : فلما سمع ردهم عليه ، قال : لقد أصاب قومي بعدى شر . ثم قاتلهم قتالا شديدا ، ثم راضخهم^(٥) بالمجارة فراضخوه ، حتى ولى هو وأصحابه هارين .

(١) ذفف : أجهز . (٢) الدرقة . الترس المصنوع من الجلد .

(٣) يحمش الناس : يسوقهم بفضب ؛ أى يحرضهم على القتال ويفضبهم .

(٤) كذا في السيرة ، والطبرى ، والمواهب اللدنية . وفى أ : « عبد بن حرب عمرو » .

وفى ج : « عبد بن عمرو » . (٥) راضخهم : راماهم .

١٠

١٥

٢٠

قال : وكان أبو سفيان قد قال لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحترضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم قد ولّيتم لواء يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبيل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، وإنما أن تكفونا لواءنا ، وإنما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكوه ، فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ؟ ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك أراد أبو سفيان .

قال : ولما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذت الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحترضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

ويها بني عبد الدار * ويها حماة الأذبار
* ضرباً بكلّ بتار *

وقالت أيضا :

نحن بنات طارق * نمشي على النارق^(٥)
إن تقبلوا نعانق * أو تدبروا نفارق
* فراق غير وامق^(٦)

(١) في السيرة ، والطبري : « لواءنا » .

(٢) كذا في ج . وفي أ : « لواء » . (٣) بتار : قاطع .

(٤) في هامش ج ما يأتي : « قوطا : بنات طارق . تريد النجم ، أي نحن شريفات رفيعات كالنجم . وقيل : الشعر هند بنت طارق بن بياضة الإيادية ، قاله في حرب الفرس لإياد ، فتمثلت به هند هذه » . وقال لسان العرب : إن ابن برى قال : إن هند بنت عتبة هي هند بنت بياضة بن رياح بن طارق الإيادية . وذكر الأبيات برواية أخرى ، وهي تخالف رواية المؤلف ورواية الطبري وابن إسحاق . راجع لسان العرب مادة (طرق) .

(٥) النارق : جمع نمرة ، وهي الوسادة الصغيرة والطنفسة فوق الرجل .

(٦) الوامق : المحب .

قال : وكان شعار المسلمين يوم أحد . أَمْتُ ، أَمْتُ . ودنا القوم بعضهم من بعض ، والزماة يرشقون خيل المشركين بالنبل ، فتولى هوارب ، فبرز طلحة ابن أبي طلحة ، صاحب لواء المشركين ، وقال : مَنْ يُبَارِزُ ؟ فبرز له علي بن أبي طالب ، فالتقيا بين الصفيين ، فبدره علي بضربة على رأسه حتى فلق هامته ، فوقع وهو كبش الكتيبة ، فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وكبر ، وكبر المسلمون ، وشدوا على كتائب المشركين يضر بونهم حتى نغضت صفوفهم ، ثم حمل لواء المشركين عثمان بن أبي طلحة ، وجعل يرتجز وهو أمام النسوة :

إِنِّ عَلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ حَقًّا * أَنْ يَخْضِبُوا الصَّعْدَةَ أَوْ سَدَقًا^(٣)

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب ، فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتزره ، وبدا سحره ، ثم رجع حمزة وهو يقول : أنا ابن ساقى الحجيج . فحمل اللواء أبو سعد بن أبي طلحة ، فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرتة ، فأدلع لسانه إدلاع الكلب ، فقتله . ثم حملة مسافع بن طلحة بن أبي طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتله . ثم حملة كلاب بن طلحة ابن أبي طلحة ، فقتله الزبير بن العوام . ثم حملة الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله . ثم حملة أرطاة بن شريحيل ، فقتله علي بن أبي طالب .

(١) في الأصول : « فبولوا » والتصويب من الطبقات .

(٢) « النغض : التحريك والاضطراب » .

(٣) الصعدة : القناة التي تنبت مستقيمة . وفي الطبقات : « أن تخضب » .

(٤) السحرها : الرمة .

(٥) أدلع : أنزعج .

ثم حمله شريح بن قاسط ، فقتل ^(١) . ثم حمله صُواب غلامهم ، وهو حبشي ، فقاتل يومئذ حتى قطعت يده ، فاعتنق اللواء حتى قُتِل عليه ، وهو يقول : اللهم هل أعذرت ، واختلِف في قاتله ، فقتيل : قتله سعد بن أبي وقاص ، وقيل : علي بن أبي طالب ، وقيل : قتله قُزَمان على الأصح .

٣٣
١٥

قال : فلما قُتل أصحابُ اللواء صار ملقى ، حتى أخذته عمّرة بنت علقمة الحارثية فدفعته لقريش ، فلاثوا به ^(٢) . ثم انكشف المشركون وانهمزوا لا يلوون على شيء ، ونساؤهم يدعون بالويل ، وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى أجهضوهم عن العسكر ، ووقعوا ينهبون العسكر ، يأخذون ما فيه من الغنائم .

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى الزبير بن العوام ، أنه قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدمٍ هندي وصواحبها مشمراتٍ هوارب ، ما دون أخذهنَّ قليلٌ ولا كثير . قال ابن سعد : وتكلم الزماعة الذين على الجبل واختلقوا بينهم ، وثبت أميرهم عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة ، وقال : لا أجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووعظ أصحابه وذكرهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : لم يُرد رسولُ الله هذا ، قد انهزم المشركون ، فما مقامنا هنا ؟ فانطلقوا يتبعون العسكر يتهبون معهم ، وتركوا الجبل . فنظر خالد بن الوليد إلى خلوة الجبل وقلية أهله ،

(١) كذا في الأصول . وفي طبقات ابن سعد ، والمواهب اللدنية : « فارط » وفي سيرة ابن هشام : « القاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار » .

(٢) كذا في ج . وفي أ : « غلامهم وحبشي » . وفي سيرة ابن هشام : « غلام لبني أبي طلحة » .

(٣) لاثوا به : اجتمعوا حوله .

(٤) أجهضوهم : أزالوهم .

فكثرت بالخيال ، وتبعه عكرمة بن أبي جهل ، فحملوا على المسلمين ، واستدارت
 رِجَاهِم ، وحالت الريح فصارت دَبُورًا ، وكانت قبل ذلك صَبًّا ، ونادى إبليس
 — لعنه الله — : إن محمداً قد قُتِل . واختلط المسلمون فصاروا يقتتلون على غير
 شِعَارٍ ، ويضرب بعضهم بعضاً ، ما يشعرون به من العجلة والدهش ، وقُتِل مُصعب
 ابن عمير ، فأخذ اللوآء ملك في صورة مُصعب ، وحضرت الملائكة يومئذ ولم تقايل ،
 ونادى المشركون بشعارهم : يَا لَلْعَزَى يَا لَلْهُبَل . فقتل من أكرمه الله بالشهادة من
 المسلمين ، حتى خلص العذوق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبت صلى الله
 عليه وسلم معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلاً ، سبعة من المهاجرين ، فيهم
 أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، وسبعة من الأنصار . ورعى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن قوسه حتى اندقت سِيَّتَهَا ، فأخذها فتادة بن النعمان فكانت عنده ، ثم ذب
 بالمحاربة . وكسرت يومئذ رباعيته صلى الله عليه وسلم ، وكلمت شفته ، وشج في وجهه ،
 وجرح في وجنته ، وكسرت البيضة على رأسه ، فسال الدم على وجهه ، فجعل
 يمسحه ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعُوهم إلى ربهم ؟
 فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ
 فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .^(٨)

(١) في طبقات ابن سعد : « حملوا على من بقى من الزمّة فقتلهم ، وقتل أميرهم عبد الله
 ابن جبير ، وانتفضت صفوف المسلمين » .

- (٢) في أ : « يقتلون » (٣) العزى وهبل : صنان لقريش .
 (٤) في أ : « مع » . (٥) كذا في ج . وفي أ : « ستة » .
 (٦) النية : طرف القوس . (٧) الرباعية : السن التي بين النية والنايب .
 (٨) آية ١٢٨ من سورة آل عمران .

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى أبي سعيد الخدري : أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في جبهته ، وأن ابن قميئة جرح وجنته ، فدخل حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، فأخذ على بن أبي طالب بيده ، ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ، ومص مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري ، الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم [ثم] ازدردده ، فقال صلى الله عليه وسلم : من دمّه دمي لم تمسه النار .

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى محمود بن عمرو : لما غشي القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من رجل يشتري لنا نفسه ؟ فقام زياد بن السكن [في خمسة من الأنصار ، وبعضهم يقول : إنما هو عُمارة بن يزيد بن السكن] . فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا يُقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . ثم فاءت فئة المسلمين فأجهضوهم عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه مني . فأدنوه منه ، فوسده قدمه ، فمات ، وخدّه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وقالت أم عُمارة نسيبة بنت كعب المازنية يومئذ ، فحدثت وقد سئلت عن خبرها ، فقالت : خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فاتميت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أباشر القتال وأذب عنه بالسيف ، حتى خالصت الجراحة إلى . وكان على عاتقها جرح أجوف له غور ،

(١) ساقطة من أ . (٢) ما بين القوسين ساقط من أ .

فقيل لها : من أصابك بهذا ؟ فقالت : ابن قميثة ، أقمسأه الله ، لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

٣٤
١٥

قال ابن إسحاق : وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دُجانة بنفسه ، يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه ، حتى كثُر فيه النبل . ورمى سعد ابن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال سعد : فلقد رأيتُه يناولني النبل ويقول : إرم فذاك أبي وأمي ، حتى إنه لبناولني السهم ما له من نصل ، فيقول : إرم به . قال : وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وجتسه ، فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما . قال : واتهمي أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار ، قد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يجالسكم ؟ فقالوا : قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتِل . قال أنس بن مالك : لقد وجدنا به سبعين ضربة ، وأصيب عبد الرحمن بن عوف في فمه فهيم ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، فأصابه بعضها في رجله فعرج .

١٠

١٥

(١) كذا في ج . وفي أ : « أمية » ، محريف . (٢) أقاء : أذله .

(٣) كذا في سيرة ابن هشام . وفي الأصول : « ولقد على ذلك ضربته ضربات » وفيها تقديم

وتأخير وصوابه عن الطبقات . (٤) في أ : « حتى ألقوا » .

٢٠

قال ابن إسحاق : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمد الهزيمة ،
وقول الناس : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كعب بن مالك ، قال كعب :
عرفت عينه تزهرا^(١) تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ،
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأشار إليّ : أن أنصت ، قال : فلما عرف
المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا [به] ونهض معهم نحو الشعب ، معه
أبو بكر ، وعمر ، وعليّ ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصّمة ،
ورحط من المسلمين ، فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه
أبي بن خلف ، وهو يقول : أين مجد ؟ لا نجوت إن نجا ، فقال القوم :
يا رسول الله ، أيعطف عليه رجال منا ؟ قال رسول الله : دعوه . فلما دنا تناول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصّمة ، قال : فلما أخذها
انتفض منا انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها ، ثم
استقبله فطعنه بها طعنة في عنقه تدادا^(٢) منها عن فرسه مرارا ؛ وكان أبي بن خلف
قبل ذلك يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : إنّ عندى العود - فرسا - أعلفه
كل يوم فرقا^(٣) من ذرة أقتلك عليه . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل
أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش ، وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير ،
فاحتقن الدم فيه ، فقال : قتلني والله مجد ؛ قالوا : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك

(١) تزهرا : تضيئان . وفي ج : « تزهرا من تحت المغفر » .

(٢) أسند : صعد .

(٣) تطايرنا عنه : بعدنا . وفي هامش ج ، « الشعراء : ذباب له لدغ » .

(٤) تدادا : تدرج .

(٥) الفرق : مكال بالمدينة يسع ستة عشر رطلا .

بأس، قال : إنه قد قال لي بمكة : أنا أفتلك ، [والله] لو بصق عليّ لقتلني . فأت
عدو الله بسيرف وهم قافلون إلى مكة ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :^(٢)

لقد ورث الضلالة عن أبيه * أبي يوم بارزه الرسول^(٣)
أتيت إليه تحمّل رمّ عظم * وتوعدّه وأنت به جهول^(٤)
وقد قتلت بنو النجار منكم * أمية إذ يغوث : يا عقيل^(٥)
وتبّ ابنار بيعة إذ أطاعا * أبا جهل ، لأتمهما الهبول^(٥)
وأفقت حارث لما شغلنا * بأسر القوم ، أسرته قليل

وقال حسان أيضا فيه :

الأمّن مبلغ عنّي أبيتا * فقد أقيت في سحق السعير^(٦)
تمنى بالضلالة من بعيد * وتقسّم أن قدرت مع التذویر
تمنیک الأمانی من بعيد * وقول الكفّير رجع في غرور^(٧)
فقد لاقيت طعنة ذي حفاظ * كريم البيت ليس بذي بثور^(٧)
له فضل على الأحياء طرا * إذا نابت ملبّات الأمور

قال : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قم الشعب خرج علي بن
أبي طالب حتى ملأ درقته من الماء ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليشرب منه ، فوجد له ريحا ، فعافه وغسل عن وجهه الدم .

٣٥
١٥

- (١) ساقطة من أ ، وفي ابن هشام : « فواته » . (٢) سرف : موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل سبعة ، وقيل غير ذلك ؛ تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم بمهنة بنت الحارث .
(٣) الرم : البالي . (٤) يغوث : يقول : واغوثاه .
(٥) تب : هلك . والهبول : الفقد . وفي المواهب الدنية : « وأمهما » .
(٦) سحق : البعد والعمق . (٧) الحفاظ : الذب عن المحارم .
(٨) الدرقة : الرّس إذا كان من جلود ليس فيه خشب .

قال : وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشَّعب ، معه أولئك النَّقر من أصحابه ، إذ علَّت عالية من قُرَيْش الجبل ، وكان على تلك الخيل خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ^(١) [إنه] لا ينبغي لهم أن يعلُّونا ! فقاتل عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل . ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدنٌ وظاهر ^(٢) بين درعين ، فلم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها ^(٣) . قال ابن هشام : وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعودا .

قال ابن إسحاق : ولما أراد القوم الانصراف أشرف أبو سفيان على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : ^(٤) أَنْعَمْتَ فَعَالَ ، إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ، لا سواء ، قتلتنا في الجنة ، وقتلناكم في النار ؛ فقال له أبو سفيان : هلمَّ إلى يا عمر ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : آيته فانظر ما شأنه ؛ فاتاه ، فقال له أبو سفيان :

(١) ساقطة من أ .

١٥ (٢) بدن : ضعف . ظاهر : طابق .

(٣) كذا في السيرة . وفي الأصول : « عليه » .

(٤) أَنْعَمْتَ فَعَالَ : كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عمد إلى سهمين ، فكتب على أحدهما

« نعم » ، وعلى الآخر « لا » ، ثم يتقدم إلى الصم ويحبيل سهامه ، فإن خرج سهم « نعم » أقدم ، وإن خرج

سهم « لا » امتنع ، وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد استفتى هبل ، فخرج له سهم الإنعام ، فذلك

٢٠ قوله لعمر رضي الله عنه : أَنْعَمْتَ فَعَالَ ، أي أجابت بنعم فتجاف عنها ، ولا تذكرها بسوء ، يعني آلهم .

هذا ما ذكره صاحب اللسان ، وهناك أقوال أخرى تجدها في ج ٢ صفحة ٥٧ من المواهب اللدنية .

(٥) لا سواء : لأنحن سواء ؛ أي لا نستوى .

أَشُدُّكَ اللهُ يَا عَمْرُ ، أَقْتَلْنَا مَجْدًا ؟ قَالَ عَمْرُ : اللَّهُمَّ لَا ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ كَلَامَكَ
الآن ، قَالَ : أَنْتَ أَصْدَقُ عِنْدِي مِنْ ابْنِ قَيْثَةَ وَأَبْرَ — اِقُولُ ابْنَ قَيْثَةَ لَهُمْ :
إِنِّي قَتَلْتُ مَجْدًا — قَالَ : وَاسْمُ ابْنِ قَيْثَةَ عَبْدُ اللهِ .

وروى البخارى عن البراء قال : وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم مجد ؟
فقال : لا تجيبوه ، قال : أفي القوم ابن أبي حنيفة ؟ قال : لا تجيبوه ، قال :
أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إن هؤلاء قُتِلُوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا . فلم
يملك عمر — رضوان الله عليه — نفسه ، فقال : كذبت يا عدو الله ، أبقى الله لك
ما يُخزيك . قال أبو سفيان : أعلُّ هُبْلًا ^(١) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
أجيبوه ، فقالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجل ، قال أبو سفيان :
لنا العزى ولا عُزْرَى لَكُمْ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجيبوه ، قالوا :
ما نقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لَكُمْ ، قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ،
والحرب سجال ، وتجدون مثله لم أمر [بها] ولم تُسْؤُنِي ^(٣) .

قال ابن سعد : ثم نادى أبو سفيان عند انصرافه : إن موعدكم بدر العام القابل .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل له : نعم هو بيننا
و بينك موعد . ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب فقال :
أخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا ^(٤)
الخييل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم

(١) هبل : اسم صنم كان في الكعبة .

(٢) العزى : اسم صنم كان لقريش .

(٣) الزيادة من البخارى . ويقال : مثلت بالقتيل ، إذا جدعت أنفه وأذنه أو شيتا من أطرافه .

(٤) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم .

يريدون المدينة ، والذي نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم
لأننا حزنهم . قال علي^(١) : نخرجت في آزارهم فرأيتهم قد جنّبوا الخيل وامتطوا الإبل ،
وتوجهوا إلى مكة .

ذكر خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ،

- وما فعلته هند بنت عتبة ، وما قالت من الشعر ، وما أجيبته به .
- كان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، قد قتل من ذكرنا من المشركين
آنفاً ، ومصر به سباع بن عبد العزى الغبشاني ، وكان يكنى بأبي نيار ، فقال له حمزة :
هلم إلى يابن مقطعة البضور^(٢) — وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمر بن وهب
الثقفى ، وكانت ختانة بمكة — فلما التقيا ضربه حمزة فقتله . فقال وحشى غلام
جبير بن مطعم : والله إنى لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه هذا ما يقوم له شيء ،
فوالله إنى لأتمنياً أريده ، وأستبر منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى ، إذ تقدمنى إليه
سباع ، فلما رآه حمزة قال له ما قال ، فضربه حمزة فقتله ، فهزرت حربى حتى
إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت في ثنته^(٣) ، حتى خرجت من بين رجله ،
وذهب لينوء نحوى فغلب^(٤) ، فتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيت فأخذت حربى ،
ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه ، فلم يكن لى بغيره حاجة ، إنما قتلته لأعتق .

٣٦
١٥

قال ابن إسحاق : ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمتان بالقتلى
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجذعن الآذان والآنف ، حتى

(١) المناجزة في القتال : المبارزة والمقاتلة ، وهو أن يتبارز الفارسان فيما رسا حتى يقتل كل واحد

منهما صاحبه أو يقتل أحدهما . (٢) فى أ : « ذكر مقتل » .

(٣) البضر : لغة فى البظر . (٤) التنة : أسفل البطن .

(٥) ينوء : ينهض بجهد ومشقة . (٦) يجذعن : يقطعن .

اتخذت هند من آذان الرجال وآتتهم قلائد وخدمًا ، وأعطت قلائدها وخدمها ^(١)
وقرطها وحشياً ، وبقرت عن كيد حمزة فلا كتبها فلم تسطع أن تُسيغها ، فلفظتها ،
ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها ، ثم قالت :

نحن جزيناكم بيوم بدرٍ * والحرب بعد الحرب ذاتُ سُر
ما كان عن عتبة لي من صبرٍ * ولا أني وعمه وبكرى
شفت نفسي وقضيت وترى ^(٢) * شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي على عمري * حتى ترم أعظمي في قبرى ^(٣)

فأجابها هند بنت أئامة بن عباد بن المطلب فقالت : ^(٤)

تخزيت في بدرٍ وبعدي بدرٍ * يا بنت وقاع عظيم الكفر ^(٥)
صَبَّحَك الله غداة الفجر * بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى * حمزة ليشي وعلى صقرى ^(٦)
إذ رام شيب وأبوك غدري * نخضباً منه ضواحي النحر ^(٧)
* ونذرك السوء فشُرُّ نذرٍ *

وقالت هند غير ذلك من الشعر وأجبت بمثله ، وتركنا ذلك اختصاراً .

(١) خدما : خلاخيل .

(٢) الوتر : النار . وفي السيرة ، والمواهب اللدنية ، وأسد الغابة : « نذرى » .

(٣) ترم : تبلى . (٤) كذا في ابن هشام ، والمواهب ، والإصابة ، وأسد الغابة .

وفي الأصول : « ابن عبد المطلب » .

(٥) وقاع : يفتاب الناس . (٦) يفرى : يقطع .

(٧) شيب : تريد شيبة . ضواحي النحر : ما ظهر من الصدر .

- قال ابن إسحاق: ومَرَّ الحُلَيْسُ بنُ زَبَّانَ^(١) أخو بني الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذ سيد الأحابيش بأبي سفيان، وهو يضرب في شِدْقِ حمزة بُرْجِ الرِّيحِ، ويقول: دُقُّ عُقُقٍ^(٢). فقال الحُلَيْسُ: يا بني كُتَّانَةٌ، هذا سيد قريش يصنع بأبن عمه ما ترون لحمًا^(٣)، قال: ويحك! اكْتُمَهَا عَنِّي، فإنها كانت زلة. قال ولما فرغ الناس لقتلهم نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادي قد بُقِرَ بطنه عن كبده، وجُدِعَ أنفه وأذناه. فقال حين رآه: لولا أن تحزن صَفِيَّةً ويكون سنة من بعدى لتركتك حتى تكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلتن بثلاثين رجلا منهم. فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغیظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لُمُثِّلْنَاهُمْ مِثْلَهُمْ لم يُمِثِّلْهَا أَحَدٌ من العرب. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٤) قال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر. ونهى عن المثل^(٥).

- ١٥ (١) كذا في سيرة ابن هشام، والطبري. وفي الأصل: «الحليس بن ريان». وقال ابن إسحاق: «الحليس بن علقمة بن أوأبن زبَّان» (ج ٢: ٧٤٣).
- (٢) عقق، أى باعاق. (٣) لحم، أى ميتا. (٤) آية ٢٦ — ٢٨ سورة النحل.
- (٥) المثل: التنكيل. فإن قيل: لقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعربيين، قلنا: في ذلك جوابان، أحدهما: أنه فعل ذلك قصاصا. وثانها، أن ذلك كان قبل تحريم المثلة. راجع الروض الأنف ج ٢ ص ١٤٢.
- ٢٠

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال: لن أُصاب بمثلك أبدا! ما وقفت موقفا قط أغيظ إلى من هذا! ثم قال: جاءني جبريل عليه السلام فأخبر أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله. قال ابن إسحاق يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجى ببرد^(١)، ثم صلى عليه وكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى^(٢) يوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثلاثين وسبعين صلاة. قالت: وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيها حمزة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير ابن العوام: القها فارجمها لا ترى ما بأخيها. فقال [لها]: يا أمه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي، فقالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مثل بأخي، وذلك في الله عز وجل، فما أرضاني أنا بما كان من ذلك! لأحسبن ولا أصبرن إن شاء الله تعالى. فلما جاء الزبير إلى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وأخبره بذلك قال: خل سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، وصلت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن. قال: واحتمل ناس [من المسلمين^(٧)] قتلهم إلى المدينة، فدفنهم بها. ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وقال: ادفنهم حيث صرعوا.

٣٧
١٥

(١) سجي: غطى. (٢) لم يأخذ بهذا الحديث فقها. الجياز ولا الأوزاعي لوجهين: أحدهما — ضعف إسناد هذا الحديث. وثانيهما — أنه حديث لم يصحبه العمل، ولا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهيد في نبي. من معازيه لإلهذه الرواية. راجع الروض الأنف ج ٢ ص ١٤٢. (٣) ساقطة من أ. (٤) في ابن هشام: «فا أرضانا». (٥) في أ: «أصبرن». (٦) ساقطة من أ. (٧) ساقطة من أ.

ذكر [تسمية^(١)] من استشهد من المسلمين يوم أحد

- قال ابن إسحاق : استشهد من المسلمين يوم أحد سبعون رجلا ، كان منهم من المهاجرين من بنى هاشم : حمزة بن عبد المطلب ، رضى الله عنه ، وقد تقدم خبر مقتله . ومن بنى أمية : عبد الله بن جحش ، حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة^(٢) قتل أبو الحكم بن الأحنس بن شريق . ومن بنى عبد الدار بن قصي : مصعب^(٣) ابن عمير ، قتل عبد الله بن قيس اللبني . ومن بنى مخزوم بن يقظة : شماس بن عثمان قتل [أبي] بن خلف .

لم يذكر ابن إسحاق غير هؤلاء الأربعة .

- وقال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى : وعبد الله ، وعبد الرحمن ، ابنا الهذيب ، من بنى سعد بن ليث ، ووهب بن قابوس المزني ، وابن أخيه الحارث بن عتبة^(٤) ابن قابوس . وزاد الثعلبي سعدا مولى عتبة ، ولم يذكر الأربعة الذين ذكرهم ابن سعد ، بل عدّ المهاجرين خمسة .

- واستشهد من الأنصار ، من بنى عبد الأشهل اثنا عشر رجلا ، وهم : عمرو بن معاذ بن النعمان أخو سعد ، والحارث بن أنس بن رافع^(٥) ، ومماراة بن زياد بن السكن ، وسامة بن ثابت بن وقش ، وأخوه عمرو بن ثابت ، وأبوهما ثابت ، ورفاعة [بن] وقش ، واليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وأسمه حسيل بن^(٦)

(١) ساقطة من أ . (٢) في الأصول : « خزيم » تحريف .

(٣) كذا في الروض الأنف ، وابن هشام ، وأسد الغابة ، والاستيعاب ، والطبقات .

وفي الأصول : « الحكم » . (٤) ساقطة من أ .

(٥) كذا في الإصابة وأسد الغابة والاستيعاب . وفي الأصل : « الربيع » .

(٦) ساقطة من أ .

جابر، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه^(١)، فتصدق ابنه حذيفة بديته على المسلمين، وصيفي^(٢) بن قيطي، [وخباب ابن قيطي]، وعباد بن سهل، والحارث بن أوس بن معاذ.

ومن أهل رايح ثلاثة نفر، وهم: إياس بن أوس بن عتيك، وعبيد بن التيهان، ويقال: عتيك بن التيهان. وحبيب بن زيد بن تيم. ومن بني ظفر: يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع. ومن بني عمرو بن عوف، رجلان، وهما: أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد، وحنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن النعمان، وهو غسيل الملائكة، وكان قد آلتق هو وأبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود فقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن صاحبكم لتغسله الملائكة. فسألو أهله: ما شأنه؟ فسئلت صاحبه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لذلك غسلته الملائكة. وقال شداد بن الأسود حين قتل حنظلة:

لأحميت صاحبي ونفسي • بطعنة مثل شعاع الشمس

ومن بني عبيد بن زيد: أنيس بن قتادة. ومن بني ثعلبة بن عمرو ابن عوف رجلان، وهما: أبو حية بن عمرو بن ثابت، وعبد الله بن جبير

(١) يديه: يدفع دية.

(٢) ساقط من أ. وجاء في الإصابة، وأسد الغابة، والاسنياب: «خباب

أوحاب».

(٣) رايح: أطم من أطام المدينة.

(٤) في أ: «بن يزيد».

(٥) في الأصول: «عبد زيد». وما ذكرناه رواية ابن هشام، والإصابة، وأسد الغابة.

(٦) كذا في الأصول، ورواه صاحب أسد الغابة بالياء والياء.

- ابن النعمان ، وهو أمير الرماة . ومن بنى السَّلم بن امرئ القيس بن مالك :
 خَيْثَمَةُ أبو سعد بن خَيْثَمَةَ . ومن حلفائهم من بنى العَجَلان : عبد الله بن
 سَلَمَةَ . ومن بنى معاوية بن مالك رجلاً ، وهما : سُبَيْع بن حاطب بن
 الحارث ، ويقال : سُوَيْبِق بن الحارث^(١) . ومالك بن مُبَيْلَةَ ، حليف لهم من مُزَيْنَةَ.
 ومن بنى النجار ثم من بنى سواد بن مالك خمسة نفر ، وهم : عمرو بن قيس بن
 زيد بن سواد ، وابنه قيس بن عمرو ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن
 مُخَلَّد ، ومالك بن إياس . ومن بنى مبدول رجلاً ، وهما : أبو هُبَيْرَةَ بن الحارث
 ابن علقمة ، وعمرو بن مُطَرَف بن علقمة . ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار
 رجلاً ، وهما : أوس بن ثابت بن المنذر ، وهو أخو حسان ، وإياس بن عدى .
 ١٠ ومن بنى عدى بن النجار رجل واحد ، وهو : أنس بن النَّضْر بن صَمْحَمُ بن زيد
 ابن حرام بن جندب بن عامر بن عدى بن النجار ، وقد تقدّم خبره . ومن بنى
 مازن بن النجار رجلاً ، وهما : قيس بن مُخَلَّد ، وكَيْسَانَ بن عبد لهم . ومن بنى
 دینار بن النجار رجلاً ، وهما : سُليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو . ومن
 بنى الحارث بن الخزرج ثلاثة نفر ، وهم : خارجة بن زيد بن أبي زهير ، وسعد
 ١٥ ابن الربيع بن عمرو بن أبي زهير — حكى محمد بن سعد في طبقاته أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد : من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع ،
 أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك
 يا رسول الله ما فعل ، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق^(٤) ، قال الأنصاري :
- (١) كذا في ابن هشام والاستيعاب وأسد الغابة . وذكر في الإصابة : أن سويقاً هذا هو سبيع
 الذي تقدم ذكره . وفي الأصل : « سويق » وهو نجر بف .
 ٢٠ (٢) كذا في ج . وفي أ : « ومن بنى النجار من بنى سويد » .
 (٣) في الاستيعاب : « مطرف أو مفاروف » .
 (٤) الرمي : بقية الروح .

فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خُليص إلى نبيكم وفيكم عين تطريف^(١) . قال الأنصاري : ثم لم أبحر حتى مات ، فبُعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره . وأوس بن الأرقم بن زيد . ومن بنى الأبيجر ، وهم بنو خُدرة ، ثلاثة نفر ، وهم : مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبد [بن] الأبيجر ، وهو أبو أبي سعيد الخُدري ، وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبيجر ، وعُتبة بن ربيع ابن رافع بن معاوية . ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان ، وهما : ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد ، وثقيف بن فروة بن البدى . ومن بنى طريف ، رهط سعد بن عبادة رجلان ، وهما : عبد الله بن عمرو بن وهب ، وضمرة حليف لهم من جهينة . ومن بنى عوف بن الخزرج نحسة نفر ، وهم : نوفل ابن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن نضلة ، ونعمان بن مالك بن ثعلبة ، والمجدد ابن زياد ، حليف لهم من بلي ، وعبادة بن الحساس . ومن بنى الحبل ، رفاعة

(١) تطرف : تطبق أحد جفنيها على الآخر .

(٢) الزيادة من ابن هشام ، وفي أسد الغابة والاستيعاب : « عبيد بن الأبيجر » .

(٣) كذا في الأصول . وفي رواية للإصابة . وفي ابن هشام : « ثقف » . وفي الإصابة ،

وأسد الغابة ، والاستيعاب : « ثقب أو ثقيب » . وفي القاموس : « ثقف ، ثقب » .

(٤) في ١ ، ج : « يعمر بن مالك بن ثعلبة » . ولم نعثر في المراجع التي بأيدينا على هذا الاسم

من استشهد من المسلمين يوم أحد . وما ذكرناه رواية ابن هشام ، وأسد الغابة ، والإصابة ، والاستيعاب .

- ابن عمرو ، ومن بنى سَلَمَةَ^(١) ثم من بنى حرام أربعة نفر ، وهم : عبد الله بن عمرو
ابن حرام ، وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وخلاد بن عمرو بن الجموح ،
وأبو أيمن مولى عمرو بن الجموح . ومن بنى سَوَادَ^(٢) بن غنم ثلاثة نفر ، وهم :
سُلَيْم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنتره ، وسهل بن قيس بن أبي كعب بن
القيين . ومن بنى زُرَيْقَ [بن عامر]^(٤) رجلان ، وهما : ذكوان بن عبد قيس ،
وعبيد بن المعلّى بن لؤذان . ومن بنى خَطْمَةَ من الأوس : الحارث بن عدي بن
خَرَشَةَ بن أمية . ومن بنى سالم بن عوف : عمرو بن إياس .

ذُكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ

- قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا : من بنى عبد الدار بن قصي
أحد عشر رجلا — وهم أصحاب اللواء — طلحة بن أبي طلحة ، قتله علي بن أبي طالب ،
وأبو سعيد بن أبي طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص ، ويقال : علي . وعثمان بن
أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة^(٧) بن أبي طلحة ، قتله عاصم
ابن ثابت بسهم ، والجلاس بن طلحة ، قتله عاصم أيضا كما تقدم ، وكلاب بن طلحة
والحارث بن طلحة ، قتلهما قزمان حليف لبني ظفر ، وأرطاة بن عبد بن شُرْحَيْبِ
ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله حمزة ، ويقال : قتله علي ، وأبو زيد^(٨)
ابن عمير بن هاشم ، قتله قزمان ، وصوَّاب غلام لحم حبشي ، قتله قزمان ، والقاسط

(١) في أ : « سلة » . (٢) في أ : « أبو يمن » .

(٣) في الأصول : « سهيل » . والتصويب من سيرة ابن هشام ، والاستيعاب ، وأسد الغابة .

(٤) زيادة من سيرة ابن هشام . (٥) في الأصول : « عامر بن ذكوان » . والتصويب

من سيرة ابن هشام : والاستيعاب ، وأسد الغابة والإصابة .

(٦) في أ : « سلة » . (٧) في أ : « نافع » .

(٨) كذا في الأصول . وفي ابن هشام : « أبو يزيد » .

ابن شريح بن هاشم ، قتله قزمان . ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : عبد الله
ابن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد : قتله علي بن أبي طالب . ومن بنى زهرة
ابن كلاب رجلان ، وهما . أبو الحكم بن الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب
الثقفى ، حليف لهم ، قتله علي بن أبي طالب ، وسباع بن عبد العزى — واسم
عبد العزى عمرو بن فضلة بن غبشان — حليف لهم من نزاعة ، قتله حمزة كما تقدم .
ومن بنى مخزوم أربعة نفر ، وهم : هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله قزمان ، والوليد
ابن العاص بن المغيرة ، قتله قزمان أيضا ، وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ،
قتله علي بن أبي طالب ، وخالد بن الأعمى حليف لهم ، قتله قزمان . ومن بنى
بُجمج رجلان ، وهما : عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن بجمج ،
وهو أبو عزة ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبوا — وكان قد أسر يوم بدر ،
فمنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلقه كما ذكرنا ، فقال : لا أكثر عليك جمعا ،
فلم يف ، وخرج يوم أحد مع المشركين فأُسر ، ولم يؤسر يومئذ غيره ، فقال : منَّ
عليّ يا محمد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين ،
لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيك ، تقول : سحرت محمدا مرتين ، ثم أمر عاصم بن ثابت
ابن الأقلح فضرب عنقه — وأبى بن خلف بن حذافة بن بجمج ، قتله رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيده كما تقدم . ومن بنى عامر بن لؤى رجلان ، وهما : عبيدة بن جابر
وشسبية بن مالك بن المضرب ، قتلها قزمان ، ويقال : قتل عبيدة بن جابر
عبد الله بن مسعود .

(١) في الطبقات : « سحرت محمد » .

(٢) كذا في سيرة ابن هشام . وفي الأصول : « عيد » .

(٣) في الأصول : « قتل عبيدة بن جابر بن عبد الله بن مسعود » . وما أثبتناه رواية ابن هشام .

قال محمد بن سعد في طبقاته : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ من أحد ، فصلى المغرب بالمدينة ، وسميت عبد الله بن أبي بن سلول والمنافقون بما نبيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن . قال : وبكت الأنصار على قتلاهم ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم البكاء فبكى ، وقال : لكن حمزة لا بواكي له ، فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرنا نساءهم أن يتحزمن ، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين ، فقال : ارجعن يرحمك الله ، فقد آسيتن بأنفسكن . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم [يومئذ] عن النوح .

وروى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعو لها قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ؛ قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ؛ قال : فأشير لها إليه صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بمدك جَلَل ؛ رضى الله عنها .

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانت فاطمة - رضى الله عنها - تغسل جرحه ؛ وعلى يسكب الماء عليها بالمجن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، عمدت إلى قطعة من حصير فأحرقتها ، وألصقت ذلك على الجرح فاستمسك الدم ، ولم يبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إلا تلك

(١) ساقطة من أ .

الليلة ، ثم أصبح نخرج في طلب العدو إلى حمراء الأسد ، على ما ذكره إن شاء الله .

ولنصل غزوة أحد بتفسير ما أنزل الله تعالى فيها من القرآن .

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من القرآن في غزوة أحد ، وما ورد في تفسير ذلك

قال محمد بن إسحاق ، رحمه الله : وكان مما أنزل الله تعالى في غزوة أحد من القرآن ستون آية من سورة آل عمران ، أول ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

قال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري - رحمه الله - في تفسيره المترجم بالكشف والبيان عن تفسير القرآن : إن المشركين أقاموا بأحد يوم الأربعاء والخميس والجمعة ، وذكر نحو ما قدمناه من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة السبت للنصف من شوال ، وأنه صلى الله عليه وسلم جعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القيدح ، إذا رأى صدرا خارجا قال : تأخر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ تفشلا ، أي تجبنا وتضعفا وتختلفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما بنو سلمة بن الخزرج ، وبنو حارثة بن الأوس ،

(١) في أ : « ما نزل » .

(٢) تبوي المؤمنين : اتخذ لهم مقاعد ومنازل .

(٣) في أ : « ابن إسحاق » . وهو تحريف .

(٤) زيادة عن ب .

- وكانا جناحي العسكر، وذلك أن عبد الله بن [أبي بن سلول] لما انخزل بثلت الناس
 كما قدمنا وقال هو ومن وافقه من أصحابه: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَاكُمْ﴾^(٢)؛ هم بنو سامة
 وبنو حارثة بالانصراف معه، فعصمهم الله تعالى فلم ينصرفوا، ومضوا مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرهم الله تعالى عظيم نعمته، فقال: ﴿وَاللَّهُ
 وَابْتِهَامًا﴾ أي ناصرهما وحافظهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ثم ذكرهم الله
 مِتِّهِ عَلَيْهِمْ إِذْ نَصَرَهُمْ بَبَدْرٍ، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ إلى قوله:
 ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ قوله: ﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾. «لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا» أي يهلك طائفة «أَوْ يَكْبِتُهُمْ»
 أي يهزمهم «فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ» أي لم ينالوا شيئًا مما كانوا يرجون من الظفر بكم .
 قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَأَنظُرُ
 ظَالِمُونَ﴾ .

- اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية، فقال عبد الله بن مسعود: أراد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد،
 وكان عثمان بن عفان منهم، فنهاه الله تعالى عن ذلك، وتاب عليهم، وأنزل هذه
 الآية. وقال عكرمة، وقتادة، ومقسم: أدمى رجلٌ من هُذَيْلٍ يقال له: عبد الله
 ابن قثمة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فدعا عليه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم، فكان حنفته أن سلط الله عليه نَيْسًا فنطحه حتى قتله، وشجَّ عتبة بن
 أبي وقاص رأسه وكسر ربا عيته صلى الله عليه وسلم، فدعا عليه وقال: اللهم

- (١) في الأصل: «ابن سلام». وهو خطأ، إذ أن الذي انخزل بثلت الناس هو عبد الله بن أبي
 ابن سلول، وهو الذي قدم ذكره، وأما عبد الله بن سلام فهو بريء من ذلك. راجع تاريخه في الاستيعاب
 ج ١ ص ٣٩٥ . (٢) في ج: «همت» . (٣) في ١: «نصرهم الله» .

لا يَحُلُّ عَلَيْهِ الْحَوْلُ حَتَّى يَمُوتَ كَافِرًا [قَالَ : فَمَا حَالُ الْحَوْلِ حَتَّى مَاتَ كَافِرًا]^(٢)
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ . وَقَالَ الرَّبِيعُ وَالْكَلْبِيُّ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدَ ، وَقَدْ شُجَّ فِي وَجْهِهِ وَأُصِيبَتْ رِبَاعِيَّتُهُ ،
 فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَلْعَنَ الْمُشْرِكِينَ وَيَدْعُوَ عَلَيْهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى
 هَذِهِ الْآيَةَ ، لَعَامَهُ فِيهِمْ أَنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ سَيُؤْمِنُونَ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ قِيلَ : أَمْثَالٌ . وَقِيلَ : أُمَّمٌ .
 وَالسُّنَّةُ الْأُمَّةُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا عَيْنَ النَّاسِ مِنْ فَضِيلٍ كَفَضْلِهِمْ * وَلَا رَأَوْا مِثْلَهُمْ فِي سَالِفِ السُّنَنِ
 وَقِيلَ : أَهْلُ سُنَنِ ؛ وَقِيلَ : أَهْلُ شُرَائِعٍ ؛ قَالَ : مَعْنَى الْآيَةِ : قَدْ مَضَتْ وَسَلَفَتْ
 مَتَى فِيمَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ الْمَكْذُوبَةُ الْكَافِرَةُ سُنَنٌ بِإِمْهَالِي وَاسْتِدْرَاجِي إِيَّاهُمْ
 حَتَّى بَلَغَ الْكِتَابُ فِيهِمْ أَجْلِي الَّذِي أَجَلْتُ - لِإِدَالَةِ^(٤) أَنْبِيَائِي - وَأَهْلَكْتَهُمْ .
 ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ أَي مِنْهُمْ ، فَأَنَا أُمَّهُمْ
 وَأَسْتَدْرَجُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلِي الَّذِي أَجَلْتُ فِي نُصْرَةِ النَّبِيِّ وَأَوْلِيَائِهِ
 وَهَلَكَ أَعْدَائِهِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ قَالَ :
 هَذِهِ الْآيَةُ تَعْزِيَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِتَنْبِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ
 مِنَ الْقَتْلِ وَالْجُرْحِ يَوْمَ أَحَدَ ، وَحَثُّ مِنْهُ إِيَّاهُمْ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّهِمْ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْعَجْزِ

(١) كَذَا فِي أ ، ج . وَفِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ : « لَا يَحْوُلُ » . (٢) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ
 لَمْ يَذْكَرْ فِي أ . (٣) سَاقِطَةٌ مِنْ ج . (٤) الْإِدَالَةُ : الْغَلْبَةُ وَالنُّصْرَةُ ؛ أَي غَلَبَةُ أَنْبِيَائِي
 وَنُصْرَتُهُمْ ، كَمَا سَبَّوْهُ بَعْدَ فِ تَفْسِيرِ بَقِيَّةِ الْآيَةِ . وَفِي أ : « لَا ذَالَةَ » . وَفِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ لِلْعَلِيِّ :
 « لَا ذَالَةَ » وَهِيَ مَحْرُفَتَانِ . (٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ ج .

والفشل، فقال تعالى: «وَلَا تَهِنُوا» أى لا تضعفوا ولا تجبنوا من جهاد أعدائكم [بما نالكم يوم أحد من القتل والقرح . «وَلَا تَحْزَنُوا» على ظهور أعدائكم] ولا على ما أصابكم من الهزيمة والمصيبة «وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» أى لكم تكون العاقبة بالنصر والظفر «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» .

- قوله تعالى: «إِنْ يَسْسُوكُمْ قَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرَحٌ مِثْلُهُ» أى جرح يوم أحد فقد مسَّ القوم جرح مثله يوم بدر . «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» يعنى إنما كانت هذه المداولة يرى الله الذين آمنوا - يعنى منكم - ممن نأفق، فيميز بعضهم من بعض . وقيل: المعنى «وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» بأفعالهم موجودة كما علمها منهم قبل أن كلّفهم . «وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» يكرم أقواما بالشهادة، وذلك أن المساميين قالوا: أرنا يوما كيوم بدرٍ نقاتل فيه المشركين وتلتمس الشهادة . فلقوا المشركين يوم أحد، فاتخذ الله منهم شهداء .

٤١
١٥

- قوله تعالى: «وَلِيَمْحَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ» يعنى يطهر الذين آمنوا من ذنوبهم «وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ» يفتنهم ويهلكهم وينقصهم . ثم عزاهم الله تعالى فقال: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّٰبِرِينَ» .

قوله تعالى: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَلْقَلْبَمُ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»

(١) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٢) في أ: « والنصر » .

وذلك أنه لما قتل عبد الله بن قيس مصعب بن عمير، وصرخ صارخ — يقال : هو إبليس، لعنه الله — ألا إن محمداً قد قُتل . وانهمز الناس، فقال بعض المسلمين : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي قيس فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان . وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم . وقال أناس من أهل النفاق : إن كان عهد قد قُتل فالحقوا بدينتكم الأولى . فقال أنس بن النضر : يا قوم، إن كان قد قُتل عهد فإن ربَّ عهد لم يقتل، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه، ثم قال : اللهم إني أعتذر إليك مما قال هؤلاء — يعنى المسلمون — وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء — يعنى المنافقين — ثم قاتل حتى قُتل . ثم إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انطلق إلى الصحرة، وهو يدعو الناس، فأنحدر إليه طائفة من أصحابه، فلامهم صلى الله عليه وسلم على الفرار، فقالوا : يا نبي الله، فدينك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بأنك قُتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين . فأنزل الله تعالى : ” وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ ” أى على فراشه ” أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ” أى رجعتم إلى دينكم الأول الكفر ” وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ” فیرتد عن دينه ” فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا ” بارتداده، وإنما يضر نفسه ” وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ” أى المؤمنين .

قوله تعالى : ” وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرًا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ” قيل : الربيون الألوفا والربة الواحدة عشرة آلاف . وقيل : الربيون العلماء والفقهاء . وقيل : الأتباع

(١) كذا في الأصول وابن هشام، والذي في المواهب اللدنية عن ابن إسحق : « ألقوا ما بأيديهم . »
 (٢) في ج : « بقول » . (٣) في أ : « فرعت » . (٤) كذا في لسان العرب .
 وفي الأصل : « الرية » . ولم نعر في المراجع التي بأيدينا على هذا اللفظ بهذا المعنى . وفي القرطبي (٤ : ٢٤٠) عن أبان بن نعلب : « الربيون عشرة آلاف » وعلبه فريون جمع ربي .

وقيل : الربانيون الولاء ، والربيون الرعية . وقيل : الربيون الذين يعبدون الرب تعالى . قال : ومعنى الآية ، فما ضَعُفُوا عن الجهاد "لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" لما نالهم من الجراح وقتل الأصحاب ، وما عجزوا بقتل نبيهم "وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكْبَرُوا" قال قتادة والربيع : يعني وما آرتدوا عن بصيرتهم ودينهم ، ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم حتى لحقوا بالله تعالى . قال السدي : وما ذلوا . وقال عطاء : وما نصرعوا . وقال مقاتل : وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ، ولكنهم صبروا على أمر ربهم ، وطاعة نبيهم ، وجهاد عدوهم "وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ"

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [قال : معنى الآية ، "قَوْلُهُمْ" عند قتل نبيهم "إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا" يعني خطايانا "وَوَثَّبْتَ أَقْدَامَنَا" لثلاث نزول "وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"] .

قوله تعالى : ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ يعني النصر والغنيمة ﴿ وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ الجنة ^(٣) ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال علي ، رضي الله عنه : يعني المنافقين في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة : ارجعوا إلى إخوانكم ، وأدخلوا في دينكم . ﴿ يَرُدُّكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ أي ترجعوا على أول أمركم الشرك ﴿ فَتَنقَابُوا خَائِبِينَ ﴾ أي فتصيروا مغبونين ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾ أي ناصركم وحافظكم على دينكم ﴿ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ .

٢٠ (١) وفي تفسير الطبري عن قتادة والربيع : « نصرتهم » .

(٢) ما بين القوسين ساقط من أ . (٣) في أ : « بالجنة » .

قوله تعالى : (سَنَلِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) قال السدّي : لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم إنهم ندموا ، وقالوا : بئس ما صنعنا ، قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ، ارجعوا فاستأصلوهم ؛ فلما عزموا على ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب ، حتى رجعوا عما هموا به ، فأنزل الله تعالى : "سَنَلِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ" يعنى الخوف (١) مما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً (٢) أى حجة وبيانا وعذرا وبرهانا ، ثم أخبر الله تعالى عن مصيرهم ، فقال : (وَمَا أُوَاهِمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ) أى مقام الكافرين .

٤٢
١٥

قوله تعالى : (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ) قال محمد بن كعب القرظي : لما رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى المدينة ، وقد أصابهم ما أصابهم بأحد ، قال ناس من أصحابه : من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ [فأنزل الله تعالى "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ" أى الذى وعد بالنصر] والظفر ، وهو قوله تعالى : "بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا" الآية . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم [للزّمة] : "لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم" وقوله [تعالى] : (إِذْ خُسِفَتْ لَهُمْ أَيَادِيهِمْ) أى تقتلونهم قتلا ذريعا شديدا ، وذلك عند هزيمتهم كما تقدم . قوله : (حَتَّى إِذَا فِشَلْتُمْ وَتَسْأَلْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ) « فِشَلْتُمْ » : أى جبنتم وضعفتم « وتَسْأَلْتُمْ » أى اختلفتم . وهو ما وقع بين الزّمة ، ونزول أكثرهم لتحصيل الغنيمة كما تقدم ، فكانت الهزيمة بسبب ذلك . قوله : (مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَيْتُمْ مَا يُحِبُّونَ)

(٢) ساقطة من ج .

(١) ساقطة في أ .

(٤) ساقطة في أ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٥) زيادة للإيضاح .

وهو الظفر والغنيمة. قوله: **(مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا)** ^(١) يعني الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب **(وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ)** يعني الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير أمير الرماة حتى قتلوا. قوله: **(ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ)** أى ردكم عنهم بالهزيمة **(لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ)** أى فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة **(وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)** .

قوله تعالى: **(إِذْ تُصْعِدُونَ)** ^(٢) **(وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ)** . ثم رجع إلى الخطاب، فقال: **(وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ)** قال يقال: أصعدت إذا مضيت حبال وجهك، وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره، والإصعاد: السير في مستوى الأرض وبطون الأودية والشعاب، والصعود: الارتفاع على الجبال وغيرها. وقال المبرد: أصعد إذا أبعده في الذهاب. قال الشاعر:

ألا أيهدا السائلي أين أصعدت ^(٣) * فإن لها في أهل يثرب موعدا

وقال الفراء: الإصعاد الابتداء في كل سفر، والانحدار الرجوع منه. وقوله: **"وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ"** ^(٤) **"وَلَا يَلْتَفِتُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ هَرَبًا وَفِرَارًا"** قال الكلبي: **"على أحد"** ^(٥) **"يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم"** **(وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ)** ^(٦) **"يعنى في آخركم ومن ورائكم: إلى عباد الله، إلى عباد الله، فإنا رسول الله، من يكره فله الجنة"** **(فَأَنَابَكُمْ)** ^(٧) **"أى بخازاكم، جعل الإجابة بمعنى العقاب، كقوله: "فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"** ^(٨) **"أى جعل مكان الثواب الذى كنتم ترجون"** **(نَحْمًا بِغَمٍّ)** ^(٩) **"قال الحسن: يعنى بغم المشركين يوم بدر"** ^(١٠) **وقال غيره: غمنا على غم. وقيل: غمنا متصلا بغم، فالغم الأول ما فاتهم من الغنيمة**

٢٠

(١) زيد في أ في هذا الموضع: « ومنكم من يريد الآخرة » .

(٢) هذا البيت من قصيدة لأعشى قيس . وفي ديوانه : « أين يموت » .

(٣) في أ : « على ما فاتهم » .

والظفر، والغنم الثاني ما نالهم من القتل والهنزيمة . وقيل : الغنم الأول ما أصابهم من القتل والجراح ، والغنم الثاني ما سمعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فأنسأهم الغنم الأول . وقيل : غير هذه الأقوال . والله أعلم . قوله تعالى : ﴿ لِيَكْلَأَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ أى من الفتح والغنيمة ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ من القتل والهنزيمة ؛ وهذا أنسأكم ذلك الغنم ، وهممكم ما أتم فيه عما كان قد أصابكم قبل . وقال المفضل : « لا » صلة . معناه : لى تحزنوا على ما فاتكم وما أصابكم عقوبة لكم فى خلافكم إياه ، وترككم المركز ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

قوله : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

روى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا أرسل الله تعالى علينا النوم ، والله أئنى لأسمع قول معتب بن قشير والنعمان بن عيسى ما أسمعه إلا كالحلم يقول : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا هاهنا ، فأُنزل الله عز وجل الآية . وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . أمئهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف ، وإنما ينعس من يامن والخائف لا ينام . وعن أنس عن أبى طلحة قال : رفعت رأسى

يوم أحد ما أرى أحدا من القوم إلا وهو يَمِيدُ تَحْتَ حِجَّتِهِ مِنَ النَّعَاسِ . قَالَ أَبُو طَلْحَةَ : وَكُنْتُ مِنَ الَّذِينَ أَلَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ النَّعَاسُ يَوْمَئِذٍ ، فَكَانَ السَّيْفُ يَسْقُطُ مِنْ يَدِي فَأَخَذَهُ ، ثُمَّ يَسْقُطُ السُّوْطُ مِنْ يَدِي فَأَخَذَهُ مِنَ النَّوْمِ . « وَطَائِفَةٌ » يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ [مَعْتَبِ بْنِ قُشَيْرٍ وَأَصْحَابِهِ] « قَدْ أَهْمَتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ » أَيْ حَمَلَتْهُمْ عَلَى الْحَمِّ . « يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ » أَيْ لَا يَنْصُرُ عِمْدًا ، وَقِيلَ : ظَنُّوا أَنَّ عِمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قُتِلَ . « ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ » أَيْ كَظَنَ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالشِّرْكَ « يَقُولُونَ هَلْ لَنَا » أَيْ مَا لَنَا ، لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ تَجَدُّدٌ « مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ » يَعْنِي التَّصَرُّفَ « قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ » وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَوْ كَانَتْ لَنَا عَقُولٌ لَمْ نَخْرُجْ مَعَ عِمْدٍ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَلَمْ يُقْتَلْ رُؤَسَاؤُنَا . فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَتْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا » فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُلْ لَهُمْ : « لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ » أَيْ لَخَرَجَ « الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ » أَيْ مِصَارِعِهِمْ « وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ » أَيْ لِيُخْتَبِرَ اللَّهُ « مَا فِي صُدُورِكُمْ وَيُخَصِّصَ » أَيْ يُخْرِجَ وَيُظْهِرَ « مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » أَيْ بِمَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ » أَيْ انْهَزَمُوا مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ « يَوْمَ اتَّخَذْتُمُ الْمُشْرِكِينَ حُرَمًا مُتَّبِعِينَ وَمَا لَكُمْ بِهِمْ عِلْمٌ » أَيْ

(١) الحِجَّةُ : التَّرس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب .

(٢) ساقطة من أ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ . وقال القرطبي : « وكانوا يخرجوا طلما في الغنيمية وخوف

المؤمنين ، فلم يفشمهم النعاس ، وجعلوا يتأسفون على الحضور ، ويقولون الأفاويل » .

(٤) كذا في ج . وفي أ : « وشتر » .

حملهم على الزلل . وقال الكلبى : زين لهم أعمالهم ﴿ بَعْضُ مَا كَسَبُوا ﴾ أى بشؤم ذنوبهم . قال المفسرون : بتركهم المركز . وقال الحسن : بما كسبوا قبولهم من إبليس ما وسوس إليهم من الهزيمة . ﴿ وَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعنى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه ﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ فى النفاق ، وقيل : فى النسب . ﴿ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ساروا وسافروا فيها للتجارة أو غيرها فماتوا ﴿ أَوْ كَانُوا غُرًّا ﴾ غُرّة فقتلوا ﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ ﴾ يعنى قولهم وظنهم ﴿ حَسْرَةً ﴾ وحرنا ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ والحسرة : الاغتمام^(١) على فائت كان يقدر^(٢) بلوغه .

قال الشاعر :

فوا حسرتى لم أفض منك لبأتى * ولم نتمتع بالجوار وبالأسرب^(٣)

ثم أخبر تعالى أن الموت والحياة إلى الله ، سبحانه ، لا يتقدمان لسفر ولا يتأخران لحضر فقال عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَاتَّيْنَاهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِمَّنْ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أى فى العاقبة ﴿ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أى من الغنائم ﴿ وَاتَّيْنَاهُمْ أَوْ قَاتَلْنَا لِيَلِيَّ اللَّهُ مُحْشَرُونَ ﴾ أى فى العاقبة .

قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ أى سهلت لهم أخلاقك ، وكثرة احتمالك فلم تسرع إليهم فيما كان منهم يوم أحد ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا ﴾ أى جافيا سسيء الخلق قليل الاحتمال . ﴿ غَلِيظٌ الْقَلْبُ ﴾ قال الكلبى : فظا فى القول ، غليظ

(١) فى ١ ، ج : « والحسرة والاعتمام » وهو تحريف .

(٢) فى ١ : « يقدر على بلوغه » .

(٣) فى القرطبي : « لم أفض منها ... ولم أتمتع » .

القلب في الفعل ((لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِك)) أى لتفزعوا عنك ، وأصل الفِض الكسر ،
 ومنه قولهم : لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَالَكَ . قال أهل الإشارة في هذه الآية : منه العطاء
 ومنه الثناء . ((فَاعْفُ عَنْهُمْ)) أى عَمَّا أَتَوْا يَوْمَ أَحَدٍ ((وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ)) حتى أشفعك
 فيهم ((وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)) أى استخرج آراءهم ، واعلم ما عندهم ، وهو مأخوذ
 من قول العرب : شُرت الدابة وشورتها إذا استخرجت جريها ، وعلمت خبرها ،
 قال : ومعنى الآية وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله عهد ، وبدل عليه قراءة
 ابن عباس "وَشَاوِرْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ" . قال الكلبي : يعنى فأظهرهم في لقاء العدو ،
 ومكايمة الحرب عند الغزوة . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله :
 "وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ" قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وقال مقاتل وقتادة
 والربيع : كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم ، فأمر الله تعالى
 نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم في الأمر ، فإن ذلك أعطف لهم عليه ، وأذهب
 لأضغانهم ، وأطيب لأنفسهم ، فإذا شاورهم عليه السلام عرفوا إكرامه لهم . قال :
 ((فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)) أى لا على مشاورتهم . وقرأ جعفر الصادق ، وجابر
 ابن زيد ، "فَإِذَا عَزَمْتُ" بضم التاء ، أى عزمت لك ووفقتك وأرشدتك فتوكل على
 الله ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)) .

قوله تعالى : ((إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ)) أى يعنكم ويمنعكم من عدوكم ((فَلَا غَالِبَ لَكُمْ))
 مثل يوم بدر ((وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ)) أى يترككم ولا ينصركم ، والخذلان القعود
 عن النصر ، والإسلام للهلكة والمكروه ، قال : وقرأ عبيد بن عمير "وَإِنْ يُخْذِلْكُمْ"
 بضم الياء وكسر الذال ، أى يجعلكم مخذولين ، ويجعلكم على الخذلان والتخاذل ،

(١) المعنى : أن الله تعالى هو الذى أعطى رسوله الرحمة ، وهو الذى مدحه بها . وفى تفسير الثعلبي :
 « البنا . » (٢) الإسلام : من أسلمه إذا ألقاه فى الهلكة .

كما فعلتم بأحدٍ ﴿ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرُّكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أى من بعد خذلانه ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ ﴾ أى بأحدٍ ﴿ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ﴾ ببدر، وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أُحُدٍ سبعين رجلا، وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين ﴿ قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ﴾ أى من أين لنا هذا القتل والهزيمة ، ونحن مسلمون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، والرحى ينزل عليه ، وهم مشركون ؟ وقد تقدّم في قصة أسارى بدرٍ خبر التخيير قتلهم أو مفاداتهم ، ويقتل منهم مثلهم في العام القابل ، واختيارهم الفداء ، وذلك قوله : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ أى بأخذكم الفداء واختياركم القتل ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ أى بأحدٍ من القتل والجرح والهزيمة والمصيبة ﴿ فَيَا ذُنَّ آلِهَةٍ ﴾ أى بقضائه وقدره وعلمه ﴿ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ أى ليميز ، وقيل : ليرى . وقيل : لتعلموا أتم أن الله قد علم نفاقهم ، وأتم لم [تكونوا] تعلمون ذلك . ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أى لأجل دين الله وطاعته ﴿ أَوْ ادْفَعُوا ﴾ أى عن أهلكم وبلدكم وحريمكم ، وقيل : أى كثروا سواد المسلمين وربطوا إن لم تقاتلوا ، ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو ﴿ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ وهو قول عبد الله بن أبي وأصحابه الذين أنصرفوا معه ، كما تقدّم من خبرهم عند آتباع عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بنى سلمة لهم ومناشدته لهم في الرجوع . قال الله تعالى : ﴿ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا أَلَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ وذلك أنهم كانوا يظهرون الإيمان ويضمرون الكفر ، فبين الله تعالى نفاقهم ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ قيل : في النسب لا في الدين ،
 وهم شهداء أحد . ﴿ وَقَعَدُوا ﴾ يعني وقعد هؤلاء القائلون عن الجهاد ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا ﴾
 وأنصرفوا عن مجد ، وقعدوا في بيوتهم ﴿ مَا قَبِلُوا ﴾ قال تعالى : ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا مجد
 ﴿ فَادْرَأُوا ﴾ أى فادفعوا ﴿ عَنِ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أن الحذر يغنى
 عن القدر .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ
 خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَإِنَّ اللَّهَ
 لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم
 في أجواف طيور خضر ، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتسرح من الجنة
 حيث شاءت ، وتأوى إلى فناديل من ذهب تحت العرش ، فلما رأوا طيب مقيلهم
 ومطعمهم ومشرهم ، ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة ، قالوا : يا ليت قومنا
 يعلمون ما نحن فيه من النعيم ، وما صنع الله عز وجل بنا ، كي يرغبوا في الجهاد
 ولا يتكلموا عنه . فقال عز وجل : أنا مخبر عنكم ومبلغ إخوانكم . ففرحوا بذلك
 وأستبشروا ، فأنزل الله تعالى : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » الآيات ،
 [إلى] قوله « أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وقال قتادة والربيع : ذكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، قالوا : يا ليتنا نعلم ما فعل إخواننا الذين قتلوا بأحد ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

٢٠

(٢) في ج : « فقال الله » .

(١) في ج : « طير » .

(٤) في ج : « من أصحاب النبي » .

(٣) ساقطة من أ .

وعن مسروق قال : سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ، فقال : جعل الله تعالى أرواح شهداء أحد في أجواف طير خضر ، تسرح في الجنة حيث شاءت ، وتأوى إلى قناديل معلقة بالعرش ، فأطلع الله عز وجل إليهم اطلاعة فقال : هل تستهون شيئا فأزيدكموه ؟ قالوا : ربنا ، ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا ؛ ثم أطلع إليهم الثانية ، فقال : هل تستهون من شيء فأزيدكموه ؟ فقالوا : ربنا ، ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا ؛ ثم أطلع إليهم الثالثة ، فقال : هل تستهون من شيء فأزيدكموه ؟ فقالوا : ليس فوق ما أعطيتنا شيء إلا أنا نُحِبُّ أن تعيدنا أحياء ، ونرجع إلى الدنيا فنقاتل في سبيلك ، فنقتل مرة أخرى فيك ؛ قال : لا ؛ قالوا : فنقرئ نبينا منا السلام ، ونخبره بأن قد رضينا ، ورضى عنا ؛ فأنزل الله ، عز وجل هذه الآية .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قُتِلَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ ، وَتَرَكَ عَلِيٌّ بَنَاتِي ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا أَبْشُرُكَ يَا جَابِرُ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَالَ : إِنَّ أَبَاكَ حَيْثُ أُصِيبَ بِأَحَدٍ أَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَكَلَّمَهُ كِفَاحًا ؛ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ سَلْنِي مَا شِئْتَ ؛ فَقَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَعِيدَنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأَقْتُلَ فِيكَ ثَانِيًا ؛ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنِّي قَضَيْتُ أَلَّا أُعِيدَ إِلَى الدُّنْيَا خَلِيقَةً قَبِضْتَهَا ؛ قَالَ : يَا رَبِّ ، فَمَنْ يَبْلُغُ قَوْمِي مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْكِرَامَةِ ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ .

وقد روى أن هذه الآية نزلت في أصحاب بئر معونة ؛ وقيل : في شهداء بدر .
والأحاديث الواردة والأخبار تدل على أنها في شهداء أحد ، والله أعلم .

(١) في ج : « يا بني الله » .

(٢) كفاحا : مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول .

ذكر غزوة حمراء الأسد^(١)

غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من أحد، قال ابن سعد :
ثمان خلون من شوال على رأس آثنين وثلاثين شهرا من مهاجره . وقال ابن إسحاق :
كانت يوم الأحد لست عشرة خلت من شوال . وهذا الخلاف مرتب على ما تقدم
في غزوة أحد .

قال ابن سعد وغيره : لما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد
مساء يوم السبت بات تلك الليلة على يابه ناس من وجوه الأنصار، وبات المسلمون
يداولون جراحاتهم ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح يوم الأحد أمر
بلالا أن ينادى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب عدوكم ، ولا يخرج
معنا إلا من شهد القتال بالأمس . فقال جابر بن عبد الله : إن أبي خلفني يوم أحد
على أخوات لي ، فلم أشهد الحرب ، فأذن لي أسير معك^(٢) ، فأذن له ، فلم يخرج معه
أحد ممن لم يشهد أحدا غيره . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوائه ، وهو معقود
لم يحل ، فدفعه إلى علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، ويقال : إلى أبي بكر الصديق
رضى الله عنه . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مجروح ، وحشد أهل^(٣)
العوالي حيث أتاهم الصريخ ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وخرج الناس
معه ، فبعث ثلاثة نفر من أسلم طابعة في آثار القوم ، فلحق آثنان منهم القوم
بحمراء الأسد - وهي من المدينة على عشرة أميال - وهم ياتمرون بالرجوع ،

(١) كذا ضبط في الأصل ، والقاموس ، والطبرى ، وطبقات ابن سعد . وفي معجم البلدان :

« حمراء الأسد » بضم الهذرة وسكون السين . (٢) في طبقات ابن سعد : « أن أسير » .

(٣) في ج : « وخرج صلى الله عليه وسلم » . (٤) حشد أهل العوالي : أجابوا مسرعين .

وصفوان بن أمية ينههم عن ذلك ، فبصروا بالرجلين ، فقطعوا عليهما قتلوهما ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى عسكر بجمرات الأسد ، فدفن الرجلين في قبر واحد ، وكان المسلمون يوقدون تلك الليل بالنيران ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه ، فكبت الله تعالى عدوهم ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى المدينة فدخلها يوم الجمعة ، وقد غاب خمس ليل ، وكان قد استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم .

وقال محمد بن إسحاق ، ورفع الحديث إلى أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان : إن رجلا من بني عبد الأثمل قال : شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ لي ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو ، قلت لأخي ، وقال لي : أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ما لنا دابة نركبها ، وما لنا إلا جرح ثقيل ، نخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكأن إذا غلب حملته عقبه ومشى عقبه ، حتى اتهمنا إلى ما اتهمى إليه المسلمون .

قال : وأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ هم الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد ، على ما بهم من ألم الجراح ، إلى قوله : ﴿ فَأَتَقَلَّبُوا نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ وَفَضِيلًا لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ .

ذكر سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قطن — وهو جبل بناحية فيد ، به ماء لبني [أسد بن] خزيمه — في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهر من مهاجره .

وذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم، أن طليحة وسامة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوانهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث أبا سلمة وعقد له لواء، وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار، فأصابوا إبلا وشاء^(١)، ولم يلقوا كيدا، فأنحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة .

- ٥ ذكر سرية عبد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد الهذلي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم، نخرج من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة .
وذلك أنه بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي^(٢) ثم الخياني — هكذا سماه محمد بن سعد في طبقاته .

- ١٠ وقال ابن إسحاق : خالد بن سفيان بن نبيح قد جمع الجموع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إليه عبد الله بن أنيس وحده فقتله وجاء برأسه . وكانت غيبته ثمانى عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم . قاله ابن سعد .
وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال قال عبد الله ابن أنيس : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه قد بلغني أن ابن سفيان^(٣) الهذلي جمع الناس ليغزوني وهو بنخلة أو بعرة فأتته فاقتله . فقلت يا رسول الله^(٤) أنته لي حتى أعرفه؛ قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه^(٥)

(١) شاء : جمع شاة، والتكيد : الحرب .

(٢) في أ : « خالد نبيح » .

(٣) في ج : « إني » .

(٤) في أ : « أبا سفيان » .

(٥) عرة؛ قال في المواهب اللدنية : موضع بقرب عرفة، أو قرية بوادي عرفة .

أنك إذا رأيته وجدت له قُشْعَرِيْرَة . قال : فخرجت مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي ، حتى دُفِعْتُ
 [إليه] وهو في طُغْن يرتاد لهن منزلا ، وذلك وقت العصر ، فلما رأيته وجدت له
 ما قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن يكون بيني وبينه
 محاولة تسغني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ، أومئ برأسي ، فلما انتهيت
 إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وجمعك لهذا الرجل
 بغاءك لذلك . قال : أجل ، أنا في ذلك . قال : فشيت معه شيئا حتى إذا أمكنتي
 حملت عليه بالسيف فقتلته ، ثم خرجت وتركت طعائنه مُنَجَّات عليه ، فلما قدمت
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته ؛ قال صدقت .
 ثم قام بي فأدخلني بيته فأعطاني عصا ، فقال : أمسك هذه العصا عندك . قال :
 فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، وأمرني أن أمسكها عندي ؛ فقالوا : أفلا ترجع إليه فتسأله لم ذلك ؟
 قال : فرجعت إليه فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال : آية بيني
 وبينك يوم القيامة ، إن أقل الناس المتخضرون يومئذ ، قال : فقَرَنها عبد الله
 ابن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فوضعت في كفته ،
 ثم دُفِننا جميعا .

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أنيس في ذلك :

تركتُ ابن ثور كالحِوَارِ وحولَه * نوائحُ تَقْرِي كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدٍ^(٤)
 تتأولتُه والظُّغْنُ خَلْفِي وخَلْفَه * بأبيض من ماء الحديد مُهْنَدٍ^(٥)

(١) ساقطة في أ . (٢) في أ : « مجادلة » .

(٣) المتخضرون : المتوكثرون على المحاصر ، وهي العصى ، واحدها مخضرة .

(٤) الحوار : ولد الناقة إذا كان صغيرا . تقري : تقطع .

(٥) أبيض : سيف . مهند : مطبوع من حديد الهند .

عَجُومٌ يَهَامُ الدَّارِ عَيْنَ كَأَنَّهُ * شِهَابٌ غَضَى مِنْ مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدٍ ^(١)
 أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَعْجُمُ رَأْسَهُ * أَنَا ابْنُ أُنَيْسٍ فَارَسَا غَيْرَ قُعُودٍ ^(٢)
 أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يُنْزَلِ الدَّهْرُ قَدْرَهُ * رَجِيبٌ فِنَاءِ الدَّارِ غَيْرَ مَزْنَدٍ ^(٣)
 فَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَا جِيدٍ * حَنِيفٌ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ^(٤)
 وَكُنْتُ إِذَا هَمَّ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ * سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

ذِكْرُ سَرِيَةِ الْمُنْذِرِ بْنِ عَمْرِو السَّاعِدِيِّ إِلَى بَنِي مَعُونَةَ

٤٧

١٥

كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من مهاجره .

وذلك أن عامر بن مالك بن جعفر أبو براء ملاعب الأُسنة الكلابي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأهدى له فلم يقبل منه ، وعرض عليه الإسلام فلم يُسلم ، ولم يبعد ^(١) ، وقال : لو بعثت معي نفرا من أصحابك إلى قومي لرجوت أن يجيبوا دعوتك . قال : أخاف عليهم أهل نجد ، قال : أنا لهم جار . فبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا من الأنصار شبيبة يسمون القُرَاء ، وأمر ^(٢)

(١) عجوم : عضوض . الهام : الروس . الشهاب : القطعة من النار . الغضى : شجر خشبه من أجود الوقود . (٢) القعدد : الجبان التميمي القاعد عن المكارم . (٣) المزند : الضيق البخل . (٤) الحنيف : الذي مال عن دين الشرك إلى دين الإسلام .

ملاحظة : زيد في أ بعد الأبيات : « والله ولي المتقين وهو خير الناصرين » .

(٥) الأُسنة : جمع سنان وهو نصل الرمح . وسمى ملاعب الأُسنة لأن أخاه طفيلًا الذي كان يقال له : فارس قرزل ، أسله وفر في يوم سوبان ، وهو يوم كان بين قيس وتميم ، فقال شاعر :
 فرت وأسلمت ابن أمك عامرا * بلاعب أطراف الوشيج المزعزع
 فسمى ملاعب الرماح ، وملاعب الأُسنة .

(٦) في رواية أنه أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرسين وراحتين ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا أقبل هدية مشترك . (٧) في رواية لابن هشام : « ولم يبعد من الإسلام » . (٨) رواية ابن إسحاق : أربعون ، والصحيح ما هنا كما قال السهيلي ، وهي رواية البخاري ومسلم . وشيبة : شبان . (٩) سموا القراء لأنهم كانوا أكثر قراءة من غيرهم . وفي شرح المواهب : أنهم كانوا يصلون بعض الليل ، ويدرسون بعضه ، ويحفظون ، وبيعون بعضه بشرط أن يعطوا لأهل الصفة والقراء ، وبعضه يأتون به الحجر الشريفة .

عليهم المنذر بن عمرو ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة — وهي بين أرض بني عامر وحرّة بنى سليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهي إلى حرّة بنى سليم أقرب — فلما نزلوها سرحوا ظهرهم ، وقدموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى عامر بن الطفيل ، فوثب على حرام فقتله ، واستصرخ عليهم بنى عامر فأبوا ، وقالوا : لا نخفر جوار أبي براء ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم ، عَصِيَّة ورِعْلَا وذَكْوَان ، فنفروا معه . واستبطن المسلمون حراما ، فأقبلوا في أثره ، فلقبهم القوم فأحاطوا بهم ، وكاثروهم فافتتلوا ، فقتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم سليم بن ملحان ، والحكم بن كيسان .

قال ابن إسحاق : فقتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بنى ديار بن النجار فلهم تركوه ، وبه رمق بين القتلى ، فعاش حتى قُتل يوم الخندق . قال : وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار — قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عبسة بن أحيحة بن الجلاح — فلم ينههما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكرة ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دمائهم ، والخيل التي أصابتهم واقفة . فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره الخبر ، قال الأنصارى : ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، ثم قاتل القوم حتى قُتل ، وأخذ عمرو بن أمية أسيرا ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

(١) لا نخفر : أى لا نتقض . (٢) كاثروهم : كانوا أكثر منهم .

(٣) فى ١ : « لهذا » . (٤) فى ١ : « أخيره » .

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة^(١) من صدر قنساء^(٢) أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه ، وكان معهما عقْد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُورة من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : وقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقتل أصحاب بئر معونة ، فقال صلى الله عليه وسلم : «أبَتَّ من بينهم» ! ثم أخبره بقتل العامريين ، فقال : «بئس ما صنعت ، قد كان لهما مني أمان وجوار ، لا أدِينَهُمَا !» وبعث بديتهما إلى قومهما ، وقتت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا في صلاة الصبح يدعو على رِعيل وذَكوان وعُصَيَّة وبني لحيان .

وروى عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : قرأنا بهم قرآنا زمانا ، ثم إن ذلك رفع أو نسي : « بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » . وقال أنس ابن مالك : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة .

قال ابن سعد : وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في تلك الليلة التي وصل إليه فيها خبر أصحاب بئر معونة مصاب خبيب بن عدى ومن معه ، فدعا رسول

(١) هي قرقرة الكدر ، قال الواقدي : موضع بناحية المعدن ، قريب من الأرحضية ، بينه وبين

المدينة ثمانية برد . وقال غيره : ماء لبني سليم . (راجع معجم البلدان في كدر) .

(٢) قناة : واد يأتي من الطائف ويصب في الأرحضية وقرقرة الكدر .

(٣) قال السهيلي : « ثبت هذا في الصحيح ، وليس عليه رونق الإعجاز ، فيقال : إنه لم ينزل بهذا

النظم ، ولكن بنظم معجز كنظم القرآن » .

(٤) وجد : حزن .

الله صلى الله عليه وسلم على قتلهم بعد الركعة من الصبح، فقال: « اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف، اللهم عليك بنبي لحيان وعَصَل والقارة وزَعْب ورِعَل وذَكَرَان وعُصَيَّة، فإنهم عصوا الله ورسوله » .

٤٨
١٥

ذكر سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى الرجيع

كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، رهط من عَصَل والقارة، وهم إلى الهُؤُون بن خزيمة، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفرا [من أصحابك] يفقهونا ويقرئونا القرآن، ويعلمونا شرائع الإسلام . فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، وخبيب بن عدي،^(٢) وزيد بن الدثنة،^(٣) وخالد بن البكير الليثي،^(٤) وعبد الله بن طارق، ومعتب بن عبيد أخو عبد الله لأتمه . وأمر عليهم عاصما، وقيل : مرثدا، فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع - وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز - غدروا [بهم] واستصرخوا عليهم هذيلًا، فلم يرع القوم، وهم في رحالهم

(١) قال في المواهب اللدنية : « ذكر صاحب شرف المصطفى أنه صلى الله عليه وسلم لما أصيب أهل بئر معونة جاءت الحمى إليه، فقال لها : اذهبي إلى رِعَل وذَكَرَان وعصبة، عصت الله ورسوله، فأنتهم، فقتلت منهم سبعمائة رجل، بكل رجل من المسلمين عشرة » .

(٢) ساقطة في أ . (٣) ضبط في المواهب اللدنية : بفتح الدال وكسر التاء مع فتح النون المشددة . وزاد البرهان : وقد تسكن التاء . وضبطه صاحب القاموس، بكسر التاء مع فتح النون المخففة .

(٤) كذا في الطبري، والإصابة، وأسد الغابة والاسنياع . وفي الأصل : « أبي بكير » . وفي الطبقات : « أبي البكير » . ورجحنا ما دوناه لأن المؤلف ذكره في موضع آخر من هذه الفزوة موافقا لما أمثناه . (٥) هو عبد الله بن طارق كما في الطبقات . (٦) ساقطة في أ .

- إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشَّوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا ، فقالوا :
 إنا ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، ولكم عهد الله
 وميثاقه ألا نقتلكم . فأما مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت ،
 ومعتب بن عبيد ، فقالوا : والله لا تقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا . وقتلوا
 حتى قُتلوا ، رضى الله عنهم . وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى ، وعبدالله بن طارق ،
 فرغبوا فى الحياة ، فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ،
 حتى إذا كانوا بمر الظهران اتترع عبدالله بن طارق يده من القران ، ثم أخذ سيفه^(١)
 واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبُر هناك . وأما خبيب بن عدى^(٢)
 وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة ، فأباعوهما من قريش بأسيرين من هُدَيل كانا^(٣)
 بمكة ، فابتاع خبيبا جحر بن أبي إهاب التميمي ، حليف بنى نوفل ، لعقبة بن الحارث^(٤)
 ابن عامر بن نوفل ليقتله بأبيه . وابتاع زيد بن الدثنة صفوان بن أمية ،
 ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، وبمته مع مولى له يقال له : نسطاس ، إلى التنعيم ،
 فأخرجوه من الحرم ليقتله ، واجتمع لذلك رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن
 حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أئشدك الله يازيد ، أتحب أن مجدا
 عندنا الآن مكانك نضرب عنقه ، وأنت في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن مجدا^(٥)
 عندنا الآن مكانك نضرب عنقه ، وأنت في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن مجدا

(١) مر الظهران : الظهران ؛ واد قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها : مر ، تضاف إلى هذا
 الوادى ، فيقال : مر الظهران . (معجم البلدان) . (٢) القران : الحبل الذى يشد به الأسيران .
 (٣) أباعوهما : عرضوهما للبيع . (٤) كذا فى الأصل ، وفى رواية للإصابة فى الحديث عن
 مازية مولاته . وفى طبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام ، والمواهب اللدنية ، والإصابة ، وأسد الغابة ،
 والطبرى : « جحر » .

(٥) التنعيم : موضع بمكة فى الحسل ، وهو بين مكة ومرف على فرسخين من مكة .

(٦) فى ج : « الآن عندنا » .

الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنى جالس في أهلي . فقال أبو سفيان :
 ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب مجد مجدا؛ ثم قتله نسطاس .
 وأما خبيب بن عدى فرؤى عن ^(١) ماوية مولاة حُجر بن أبي إهاب ، وكانت قد
 أسلمت ، قالت : كان خبيب قد حبس في بيتي ، فلقد اطلعت عليه يوما وإن
 في يده لِقِطْفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنبا
 يؤكل ، قالت : وقال لي حين حضره القتل : ابعثي إلى بحديدة أظهر بها للقتل ؛
 فأعطيت غلاما من الحى الموسى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل ؛ قالت :
 فوالله ما هو إلا أن قد وثى الغلام بها إليه ؛ فقلت : ما صنعتُ ! أصاب والله الرجل
 ثاره بقتل هذا الغلام ؛ فيكون رجلا برجل ؛ فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ^(٢)
 ثم قال : لعمرك ، ما خافت أمك غدركى حتى بعثتك بهذه الحديدة ! ثم خلى سبيله .
 ويقال : إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به التنعيم ليصلبوه قال : إن
 رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا . قالوا : دونك فاركع ركعتين . [فركع ^(٥)
 ركعتين] أمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن نظنوا أنى
 إنما طوّلت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة . فكان خبيب أول من سق
 هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . قال : ثم رفعوه على خشبته ، فلما أوثقوه ، قال :

(١) كذا في الأصول . وفي روايات كثيرة : « مارية » .

(٢) في أ : « فقتل » . (٣) في أ : « سبيلها » .

(٤) في أ : « أصل » . (٥) ما بين القوسين ساقط من أ .

(١) اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يُصنع بناءً ثم قال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا .^(٢) ثم قتلوه ، رحمه الله ورضى عنه .

قال ابن هشام^(٤) : أقام خبيب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .

وروى ابن إسحاق أنه قال حين صلب^(٥) :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع^(٦)

وقد قزبوا أبناءهم ونساءهم * وقربت من جذع طويل مُمنع^(٧)

وكلهم يُبدي العداوة جاهدا * على لآني في وثاق بمضبع^(٨)

إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي * وما جمع الأحزاب لي عند مصرعي

فذا العرش صبرني على ما أصابني * فقد بضعوا لحمي وقد ضل مطمعي^(٩)

٤٩

١٥

١٠ (١) أحصهم عددا : أى أهلكهم واستأصلهم بحيث لا يبقى من عددهم أحد .

(٢) بددا : قال ابن الأثير : يروى بكسر الباء جمع بدّة ، وهى الحصّة والنصيب ، أى اقتلهم حصصا مقسمة ، لكل واحد حصته ونصيبه . ويرى بالفتح ، أى متفرقين فى القتل واحدا بعد واحد من التهديد . وفى الأصول : « مددا » . وهو تحريف .

(٣) قال فى الروض الأنف : « فإن قيل : هل أجيبت فيهم دعوة خبيب ؟ قلنا : أصابت منهم من سبق فى علم الله أن يموت كافرا ، ومن أسلم منهم فلم يعنه خبيب بدعاؤه ، ومن قتل منهم بعد هذه الدعوة فإنما قتلوا بددا ، غير معسكرين ولا مجتمعين ، فنفذت الدعوة على صورتها ، وفيمن أراد خبيب رحمه الله » .

(٤) فى ١ : « قال هشام » .

(٥) قال ابن هشام : « بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له » .

(٦) ألبوا : جمعوا وحضوا .

(٧) فى ابن هشام : « جمعوا » . وقد ذكر هذا البيت بعد البيت الذى يليه .

(٨) ويرى البيت :

وكلهم مبدى العداوة جاهد * على لآني فى وثاق مضبع

(٩) بضعوا : قطعوا . وفى سيرة ابن هشام : « بأس مطمعي » .

وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأ * يبارك على أوصالِ شلُو مُمْنَع^(١)
 وقد عرّضوا بالكفر والموتُ دونه * وقد ذرّفت عيناى من غير مدمع^(٢)
 وما بي حذارُ الموتِ ، إني لميتٌ * ولكن حذارى حرّ نارٍ تلتقع^(٣)
 فلست بمبيدٍ للعدوِّ تخشعاً * ولا جزعاً إني إلى الله مرجعى
 ولست أبالى حين أُقتلُ مسلماً * على أى حال كان في الله مضجعى
 وفي رواية ابن شهاب :

* على أى جنب كان في الله مصرعى *

قالوا : وصُلب بالتّنعيم ، وكان الذى تولى صلبه عقبة بن الحارث ، وأبو هيرة العدوى^(٤) .

ذكرُ غزوةِ بنى النضير

غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول ، سنة أربع ، على رأس
 سبعة وثلاثين شهراً من مهاجره .

وكان سبب هذه الغزوة على ما حكاه محمد بن سعد ، ومحمد بن إسحاق ،
 وعبد الملك بن هشام ، دخل حديث بعضهم في بعض ، أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، خرج إلى بنى النضير يستعينهم في دية الكلابيين أو العاصريين اللذين قتلها
 عمرو بن أمية الضممرى ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعينك بما أحببت . وكان

(١) أوصال : أعضاء . شلو : جسد .

(٢) ذكر هذا البيت في سيرة ابن هشام ، وفي المواهب اللدنية كما يأتي :

وقد خيرونى الكفر والموت دونه * وقد همت عيناى من غير مجزع

(٣) كذا في الأصول ، وعليه فهى تلتقع بخذف إحدى التامين أى تشنل ؛ يقال : تلتقع بالنوب

إذا اشتعل به . وفي ابن هشام والمواهب : « هم نار . تلتقع » . والحجم : الملتهب ، ومنه الحجم .

(٤) راجع شعر حسان بن ثابت في بكاء خبيب ص ١٨٦ ج ٣ من سيرة ابن هشام طبع الحلبي .

- رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد جلس إلى جنب جدار من بيوتهم ، وهو في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، رضوان الله عليهم ، فخلا بعض بني النضير إلى بعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فمن رجل يعلو هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن محاش^(١) .
- ٥ . ابن كعب ، أحدهم ، فقال : أنا لذلك ، فقال سلام بن مشكم : لا تفعلوا ، والله ليُخبرن بما همتم به ، وإنه لتقض للعهد الذي بيننا وبينه . وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ، فنهض مسرعاً كأنه يريد الحاجة فتوجه إلى المدينة ، فلما أبطأ على أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه صلى الله عليه وسلم ، فقال : رأيته قد دخل المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتوه ، فقالوا : يا رسول الله ، قمت ولم نشعر . قال : همّت يهود بالغدر فأخبرني الله بذلك فقامت . ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم محمد بن مسامة : « أن اخرجوا من بلدي فلا تسكنوني بها ، وقد هممت بما همتم به من الغدر ، وقد أجلتكم عشراً [أي من الأيام]^(٢) فمن ربي بعد ذلك ضربت عنقه » . فمكثوا أياماً يتجهزون ، وأرسلوا إلى ظهر لهم بنى الجدر^(٣) وتكاثروا إبلا من ناس من أشجع ، فأرسل إليهم عبد الله بن أبي : أن أقيموا في حصونكم ، ولا تخرجوا من دياركم ، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون من عند أنحرهم ، وتمدكم قريظة وحلفائكم من غطفان . ووافقهم على ذلك ودبعة بن مالك بن أبي قوقل ، وسويد وداعس ، وقالوا

(١) في أ : « دخل » وهو تحريف . (٢) ضبط بكسر الجيم وتخفيف الحاء في الطبري ، وطبقات ابن سعد ، وابن هشام . وضبط في المواهب اللدنية بفتح الجيم وتشديد الحاء . (٣) في أ : « فرأوا » . (٤) هذا التفسير غير موجود في ج . (٥) ذو جدر : مدرج على ستة أيام من المدينة بناحية قباء . (٦) كذا في الأصل ، وفي المواهب والروض الأنف . وفي الطبري : « وودبعة ومالك بن أبي قوقل » .

لهم : إن قوتكم نصرناكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ؛ فطمع حُيَّ بن أخطب فيما قال ابن أبي- ، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك . فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبر المسلمون لتكبيره ، وقال : حاربت يهود . واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وسار في أصحابه ، وعلى بن أبي طالب يحمل لواءه ، فصلى العصر بفناء بني النضير ، فلما رأوه تحصنوا بحصونهم ، وقاموا عليها معهم النبل والمجارة ، وأعتزلتهم قريظة فلم تُعْنَمهم ، وخذلهم عبد الله بن أبي- ومن واقفه فلم ينصروهم ، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ست ليال ، ثم أمر بقطع النخيل وتحريقها ، فنادوه : يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ! وكان الله عز وجل أمر رسوله ، صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقذف الله في قلوبهم الرعب ، وقالوا : نخرج من بلادك . فقال : لا أقبله اليوم ، ولكن اخرجوا منها ، ولكم دِمَاؤُكُمْ وما حملت الإبل إلا الحلقة . فترلوا على ذلك .^(١)

وكانت مدة حصرهم خمسة عشر يوماً ، وولى إخراجهم محمد بن مسامة ، فحملوا النساء والصبيان وتحملوا على سبعائة بعير ، وكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، وكان من أشرفهم ممن سار إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق ، وكانه بن الربيع ابن أبي الحقيق ، وحُيَّ بن أخطب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء في قومهم بمنزلة بني المغيرة في قريش . وحزن المنافقون [عليهم]^(٢) حزناً شديداً ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال والحلقة ، فوجد من الحلقة تحمسين

(١) الحلقة : الدروع ، وقيل السلاح كله ، وهو المراد هنا .

(٢) النجاف : العتية . (٣) ساقطة من أ .

درعا، وخمسين بيضة، وثلاثمائة سيف وأربعين سيفاً، وكانت بنو النضير صفيياً^(١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم، خالصة له حبساً لنوابه، لم يتخسها ولم يُسهم منها لأحد، إلا أنه أعطى ناساً من أصحابه، ووسّع في الناس، فكان ممن أعطاه رسول الله، صلى الله عليه وسلم من المهاجرين أبو بكر^(٢) [الصدّيق] رضى الله عنه، أعطاه بئر حجر، وعمر بن الخطاب^(٣) بئر جرم، وعبد الرحمن بن عوف^(٤) سائلة، وصهيب بن سنان الصراطة^(٥)، والزبير بن العوام وأبو سلمة بن عبد الأسد البؤيلة^(٦)، وسهل بن حنيف وأبو دُجانة مالا، يقال له: مال ابن نحرشة. حكاه محمد بن سعد في طبقاته.

قال: ولما أجلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير، قال: امضوا فإن هذا أقر الحشر وإنا على الأثر.

١٠. وأزل الله عز وجل في بنى النضير سورة «الحشر» بكلمها.

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ يَبِيتُكُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾.

١٥. (١) صفيياً: أى مختارة. (٢) حبساً: وفقاً. (٣) سائلة في أ.

(٤) كذا في أ، والطبقات. وفى ج: «حرم».

(٥) كذا في ج. وفى أ: «الصراطة». وفى الطبقات: «الصراطة».

(٦) البؤيلة: مكان معروف بين المدينة وبين تيماء، من جهة مسجد قبا، إلى جهة الغرب. ويقال

لها أيضاً: «البؤيرة». شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٩٩

٢٠. وقال صاحب معجم البلدان، فى «النضير»: «لم أر أحداً من أهل السير ذكر أسماء منازل

بنى النضير فبحثت فوجدت منازلهم التى غزاها النبي صلى الله عليه وسلم فيها تسمى وادى بطحان والبؤيرة».

قال الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي النيسابوري ، رحمه الله :
« أهل الكلاب » بنو النضير « من ديارهم » التي كانت بيثرب « لأقول الحشر »
قال الزهري : كانوا من سبط لم يصهمم جلاء فيما مضى ، وكان الله عز وجل قد
كتب عليهم الجلاء ، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا ، قال : وكانوا أول حشر
في الدنيا حشر إلى الشام . وقال الكلبي : إنما قال : « لأقول الحشر » لأنهم أول
من حُشِر من أهل الكلاب ، ونفوا من الحجاز . وقال مرة الهمداني : كان هذا أول
الحشر من المدينة ، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات
وأريحا من الشام في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعلى يديه . وقال قتادة :
كان هذا أول الحشر ، والحشر الثاني : نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ،
تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا ، وتأكل منهم من تحلف .
« ماظننتم » أيها المؤمنون « أن يخرجوا » من المدينة « وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم
من الله » حيث دزبوها وحصنوها « فاتاهم الله » أي أمر الله وعذابه « [من]
حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب » قيل : بقتل سيدهم كعب بن الأشرف .
« يخرجون بيوتهم بأيديهم » قال ابن إسحاق : وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف
أبوابهم . وقال ابن زيد : كانوا يقتلعون العمود ، وينقضون السقوف وينقبون
الجدران ويقلعون الخشب ، حتى الأوتاد ، يخرجونها لئلا يسكنها المسلمون حسدا
منهم وبغضا . وقال ابن عباس : كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدهوها
لتتسع لهم المقاتل ، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارهم فيخرجون إلى التي

(١) السبط : ولد الولد . والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب .

(٢) كذا في الأصول ، ولعل صواب العبارة كما في القرطبي : « وكان أول حشر حشروا في الدنيا
إلى الشام » . (٣) كذا في الأصول ، ومعجم البلدان . وفي القاموس : « أريحا » كزليخا . وكريلا .
(٤) ساقطة من أ . (٥) في أ : « الأخشاب » . (٦) في أ : « دارهم » .

بعدها ، فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم منها ، ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وقال قتادة : كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ، وتخربها اليهود من باطنها ، فذلك قوله عز وجل :
 ”يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ“ .

- ثم قال تعالى : (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ) الآية . ”الجللاء“ عن الوطن
 ”لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا“ بالقتل وبالسبي كما فعل بنى قريظة ”وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ
 النَّارِ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ“ .
 قوله تعالى : (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِيَدَيِ اللَّهِ
 وَإِيْحَزِي الْقَاسِقِينَ) قال ابن إسحاق : اللينة : ما خالف العجوة من النخل . وقال
 ابن هشام : ما لم تكن برنية ولا عجوة . وقال عكرمة وزيد بن رومان وقاتدة : النخل
 كله لينة ما خلا العجوة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، اللينة : النخلة والشجرة .
 وقال سفيان : هي كرام النخل . وقيل : هي النخلة القريبة من الأرض . وقال
 مقاتل : هو ضرب من النخل ، يقال لثمرها : اللون ، وهو شديد الصفرة ، يرى
 نواه من خارج ، يغيب فيه الضرس ، وكان من أجود ثمرهم وأعجبها إليهم ، وكانت
 النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف ، وأحب إليهم من وصيف ، فلما رأوا ذلك يقطع
 شق عليهم . قال : وجمع اللينة لين . وقيل : لِيَانٌ .

(١) في ج : « والسبي » .

(٢) « شاقوا الله » : أى عادوه وخالفوا أمره .

(٣) البرنية : واحدة البرنى ، وهو ضرب من التمر أصفر مدور ، وهو أجود التمر .

(٤) كذا في الأصول . وفي المواهب اللدنية ، والقرطبي « ثمرها » .

(٥) الوصيف : العبد والخادم .

(٦) في الأصل : « البيان » . وفي لسان العرب : جمع اللينة ، لين ولون وليان .

قال الثعلبي : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير ، وتحصنوا في حصونهم ، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها ، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا : يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح ، أفن الصلاح قطع النخيل ، وعقر الشجر ؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض ؟ فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم . ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم ، وخشوا أن يكون ذلك فسادا ، واختلف المسلمون في ذلك ، فقال بعضهم : لا تقطعوا ، فإنه مما أفاء الله علينا . وقال بعضهم : بل نغيظهم بقطعها . فأنزل الله تعالى الآية بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطع من الإثم ، وأخبر أن قطعه وتركه بإذنه تعالى .

وفي قطع نخيل بنى النضير يقول حسان بن ثابت :

وهان على سُرارة بنى لؤى * حريقاً بالبؤيرة . مستطير

وقوله تعالى : « وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ » أى وليذل اليهود ويخزيهم ويغيظهم .

قوله تعالى : (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) « أفاء الله » أى رد على رسوله ورجع إليه ، ومنه في الظل [منهم] أى من بنى النضير من الأموال « فَمَا أَوْجَفْتُمْ » أوضعتم^(٣) « عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ » وهى الإبل ، يقول : لم تقطعوا إليها شقة ، ولم تتالوا فيها مشقة ، ولم تكلفوا مؤنة ، ولم تلقوا حربا . وإنما كانت بالمدينة فمشوا إليها مشيا ، ولم يركبوا خيلا ولا إبلا إلا النبي

(١) فى ١ : « يكن » .

(٢) ساقطة من ١ ، ب .

(٣) أوضعتم : أسرعتم .

(٤) المؤنة : القوت .

صلى الله عليه وسلم ، فإنه ركب جملا فافتتحها صلحا ، وأجلاهم عنها ونخزن أموالهم
 فسأل المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم القسمة ، فأنزل الله عز وجل الآية ،
 فجعل أموال بنى النضير خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يضعها حيث يشاء ،
 فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا
 ثلاثة نفر كانت بهم حاجة ، وهم : أبو دُجَانِه سِمَاك بن خَرَشَةَ ، وسهل بن حنيف ،
 والحارث بن الصَّمَّة . قال : ولم يُسَلِّم من بنى النضير إلا رجلان ، أحدهما سفيان
 ابن عمير بن وهب ، والثاني سعد بن وهب ، أسما على أموالها فأحرزها . روى
 عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : إن أموال بنى النضير مما أفاء الله على
 رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم خالصا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينفق على أهله منه نفقة
 سنته ، وما بقي جعله في الكراع^(٢) والسلاح عُدَّة في سبيل الله .

قوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى
 وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ
 الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ قال ابن عباس
 رضى الله عنهما : القرى هي قريظة والنضير ، وهما بالمدينة ، وقدك ، وهي من المدينة
 على ثلاثة أميال ، وخيبر ، وقرى عرينة وينبع جعلها الله تعالى لرسوله صلى الله
 عليه وسلم ، يحكم فيها ما أراد ، فاحتواها كلها ، فقال ناس : هلا قسمها ؟ فأنزل الله
 عز وجل هذه الآية . قال : و«القرى» قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم
 بنو هاشم وبنو المطلب . وقوله : « كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ » أى بين

(١) كذا فى ج . وفى أ : « ما لم يرجف » .

(٢) الكراع : أى جماعة الخيل .

الرؤساء والأغنياء والأقوياء، فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس رُبْعَهَا لنفسه، وهو المِرباع، ثم يصطفي منها أيضا بعد المِرباع ما شاء، وفيه يقول شاعرهم :

لك المِرباعُ منها والصِّفَايا * وحكْمُك والنِّشِيطَةُ والفُضُولُ^(١)

بفعل الله تعالى [هذا] لرسوله عليه السلام يقسمه في المواضع التي أمر بها .

وقوله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ » أي ما أعطاكم من الفء والغنيمة « وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ » من الغلول وغيره « فاتموا » .

قوله تعالى : ((لِلْفُقَرَاءِ)) يعني كى لا يكون ما أفاء الله على رسوله دولة بين الأغنياء منكم ولكن يكون ((لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)) أى فى إيمانهم . قال قتادة : هم المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخرجوا حباً لله ورسوله ، واختاروا الإسلام على ما كانت فيه من شديدة ، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقم به صلبه من الجوع ، وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها .

وعن سعيد بن جبير، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، قالا : كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقعة، يحجج عليها ويغزوا، فنسبهم الله تعالى إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهما فى الزكاة .

(١) النشيطة : ما يغنمها الغزاة فى الطريق قبل البلوغ إلى الموضع الذى قصدوه . الفضول : ما فضل من الغنائم حين تقسم . وفى أ : « البسيطة » .
(٢) زيادة عن القرطبي يتطلبها المعنى .

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ قال: قوله «تَبَوَّءُوا» توطنوا «الدَّارَ» اتخذوا المدينة دار الإيمان والهجرة، وهم الأنصار، أساموا في ديارهم وآبَتُوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم، فأحسن الله الثناء عليهم. وقوله: «مِنْ قَبْلِهِمْ» أى من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً» أى حرازة وغيظا وحسدا «مِمَّا أُوتُوا» أى مما أعطى المهاجرين من الفىء، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قسم أموال بنى النضير بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا الثلاثة الذين ذكرناهم، فطابت أنفس الأنصار بذلك «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ» إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم «وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» أى فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموا ديارهم وأموالهم. وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركهم فى هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم عليكم شىء من الغنيمة» فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولم نشاركهم فيها. فأنزل الله عز وجل: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» والشح فى كلام العرب: البخل ومنع الفضل.

(١) فى أ: «المهاجرين» ، وهو خطأ .

(٢) فى ج: «من أموالنا وديارنا» .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ قال ابن أبي ليلى : الناس على ثلاث منازل : الفقراء المهاجرون ، والذين تبوءوا الدار والإيمان ، والذين جاءوا من بعدهم ، فاجهد ألا تكون خارجا من هذه المنازل . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أمر الله عز وجل بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو يعلم أنهم سيفتنون . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد عليه السلام فسببتموهم ، سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها » .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ . لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ نزلت هذه الآيات في شأن عبد الله بن أبي ومن وافقه في إرسالهم لبني النضير وقعودهم عنهم ، كما تقدم آنفا ، وقوله : « لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ » يقول : رهبتكم أشد من رهبتهم الله تعالى . « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ » .

٥٣
١٥

قوله تعالى : ﴿ لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جَدْرٍ بِاسْمِهِمْ يَلْبَسُهُمْ شِدِيدٌ مَحْصَنُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أعلم الله تعالى المؤمنين أن اليهود لا يبرزون لهم بالقتال ، ولا يقاتلونهم إلا في قري محصنة ، أو من

(١) في ١ ، ج : « غفور » وهو خطأ . (٢) في الأصل : « جدار » . وهي قراءة ابن عباس ، ومجاهد ، وابن كثير ، وابن مجاص ، وأبو عمرو .

وراء جدار « باسمهم ينتم شديد^١ » يعنى بعضهم فقط على بعض ، وبعضهم عدو لبعض ، وعداوتهم بعضهم بعضا شديدة . وقيل : باسمهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد ، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله . « تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى » قال قتادة : أهل الباطل مختلفة [أهواؤهم^(١) ، مختلفة شهاداتهم ، مختلفة أعمالهم ، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق . وقال مجاهد : أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود . « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ » .

قوله تعالى : ﴿ كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعنى مثل هؤلاء اليهود « كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » وهم مشركو مكة « ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ » يوم بدر . قال مجاهد وقال ابن عباس : يعنى بنى قينقاع ؛ وقيل : مثل قريظة كتل بنى النضير . ثم ضرب مثلا للمنافقين واليهود فى تخاذلهم فقال تعالى : ﴿ كَتَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهى قصة برصيصا العابد مع الشيطان .

ذِكْرُ قِصَّةِ بَرَصِيصَا

روى أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبى بسند يرفعه إلى ابن عباس ، رضى الله عنهما ، فى قوله تعالى : « كَتَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ » الآية . قال :
 ١٥ كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا ، قد تعبد فى صومعة له سبعين سنة ، لم يعص الله فيها طرفة عين ، وإن إبليس أعياه فى أمره الخيل ، فلم يستطع له بشىء ، فجمع ذات يوم مرادة الشياطين ، فقال : ألا أحد منكم يكفينى أمر برصيصا ؟ فقال الأبيض ، وهو صاحب الأنبياء ، وهو الذى تصدى لرسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وجاءه في صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه الوحى ، بغاء جبريل حتى دخل بينهما ، فدفعه بيده دفعة هينة ، فوقع من دفعة جبريل إلى أقصى الهند . فقال الأبيض لإبليس : أنا أكفيك . فانطلق فترين بزينة الرهبان ، وحلق وسط رأسه ، ثم مضى حتى أتى صومعة برصيصا ، فناداه ، فلم يجبه برصيصا ، وكان لا ينفتل عن صلاته إلا في عشرة أيام ، ولا يفطر إلا في عشرة أيام ، فكان يواصل الصوم الأيام العشرة والعشرين والأكثر ، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته ، فلما أنفتل برصيصا اطاع من صومعته ، فرأى الأبيض قائما منتصبيا يصلى في هيئة حسنة من هيئة الرهبان ، فلما رأى ذلك من حاله تدبر في نفسه حين لمي عنه فلم يجبه ، فقال له : إنك ناديتنى وكنت مشغولا عنك ، فحاجتك ؟ قال : حاجتى أنى أحببت أن أكون معك فأنا أدب بك ، وأقتبس من علمك ، ويجتمع على العبادة ، فتدعوى وأدعوك ، قال : إني لفي شغل عنك ، فإن كنت مؤمنا فإن الله عز وجل سيجعل لك فيما أدعوه للأؤمنين والمؤمنات نصيبا إن استجاب لى . ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض ، فأقبل الأبيض يصلى ، فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوما بعدها ، فلما انفتل رآه قائما يصلى ، فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده ، وكثرة تضرعه وابتهاله إلى الله عز وجل كلمه ، وقال له : حاجتك ؟ قال : حاجتى أن تأذن لى فأرتفع إليك . فأذن له ، فأرتفع فى صومعته ، فأقام الأبيض معه حولا يتعبد ، لا يفطر إلا فى كل أربعين يوما [ولا ينفتل عن صلاته إلا فى كل أربعين يوما] مرة ، وربما مد إلى الثمانين ، فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت إليه نفسه ، وأعجبه شأنه ، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا : إني منطلق ، فإن لى صاحبنا

٥٤
١٥

(١) فى ج : « فى كل عشرة أيام » . (٢) كذا فى الأصل . وفى القرطبي : « ما حاجتك ؟ » .
(٣) ما بين القوسين لم يذكر فى ١ . (٤) تقاصرت نفسه : تضاوت .

- غيرك، ظننت أنك أشدَّ اجتهادا مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت . قال :
- فدخل على برصيصا أمر عظيم، وكره مفارقتة للذي رأى من شدة اجتهاده، فلما ودعه قال له الأبيض : إن عندي دعواتٍ أعلمكها تدعو بهن، فهن خير لك مما أنت فيه، يشفى الله بها السقيم، ويعافى بها المبتلى والمجنون؛ قال برصيصا : إني أكره هذه المتزلة، لأن لي في نفسي شغلا، وإني أخاف إن علم بهذا الناس شغلوني عن العبادة؛ فلم يزل به الأبيض حتى علمه . ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال : قد والله أهلك الرجل . قال : فانطلق الأبيض فتعرض لرجل نخنقه، ثم جاءه في صورة رجل متطبب، فقال لأهله : إن بصاحبكم جنونا فأعالجوه؟ فقالوا : نعم؛ فقال لهم : إني لا أقوى على جنته، ولكنني سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافى؛ فقالوا له : دلنا . قال : انطلقوا إلى برصيصا، فإن عنده اسم الله الذي إذا دعي به أجاب . قال : فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان . وكان يفعل الأبيض بالناس مثل هذا الذي فعل بالرجل، ثم يرشدهم إلى برصيصا فيدعو لهم فيعافون . قال : فانطلق الأبيض فتعرض لحسارية من بنات الملوك بين ثلاثة إخوة، وكان أبوهم ملكا فاستخلف أخاه، وكان عمها ملك بني إسرائيل، فعذبها وخنقها، ثم جاء إليهم في صورة رجل متطبب، فقال لهم : أعالجها؟ قالوا : نعم . فعالجها فقال : إن الذي عرض لها مارد لا يُطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تتقون به تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردونها^(١) صحيحة، قد ذهب عنها شيطانها؛ قالوا : ومن هو؟ قال : برصيصا؛ قالوا : وكيف لنا أن يقبلها منا ويحبينا إلى هذا؟ هو أعظم شأنا من ذلك . قال : انطلقوا وابتنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى أشرفوا عليه، ولتكن
- (١) كذا في الأصل، ولعل صواب العبارة : «تردونها صحيحة وقد ذهب عنها شيطانها» بتأخير الواو .

هذه الصومعة التي تبنون لزيقة صومعته ، فإن قبلها وإلا تضعونها في صومعتها ، ثم قولوا له : هي أمانة عندك ، فاحتسب فيها . قال : فانطلقوا إليه فسأله ذلك ، فأبى عليهم ، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ، ثم اطلعوا عليه ووضعوا الجارية في صومعتها ، وقالوا له : يا برصيصا ، هذه أختنا قد عرض لها عدو من أعداء الله ، فهى أمانة عندك فاحتسب فيها . ثم انصرفوا ، فلما انقفل برصيصا عن صلاته عين تلك الجارية وما بها من الجمال ، فأسقط^(٢) في يده ، ودخل عليه أمر عظيم ، قال : بغاءها الشيطان نخنتها ؛ فلما رأى برصيصا ذلك انقفل عن صلاته ، فدعا بتلك الدعوات ، فذهب عنها الشيطان ، ثم أقبل على صلاته ، ثم جاءها الشيطان نخنتها ، وكان يكشف عن نفسها ويتعرض [بها]^(٣) لبرصيصا ، وجاءه الشيطان ، فقال : ويحك ! واقعها فإن تجد مثلها ، فستتوب بعد ، فتدرك ما تريد من الأمر الذى تريد ؛ فلم يزل به حتى واقعها ، فافترسها ، فلم يزل على ذلك يأتها حتى حملت وظهر حملها ، فقال له الشيطان : ويحك ! قد افتضححت ، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب ؟ فإن سألك فقل : جاء شيطانها فذهب بها ولم أقو عليه . قال : ففعل . فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل ، بغاءه الشيطان وهو يدفنها ليلا فأخذ بطرف إزارها ، فبقي طرف إزارها خارجا في التراب ، ثم رجع برصيصا إلى صومعته وأقبل على صلاته ، بغاء إخوتها يتعاهدون أختهم ، وكانوا يجيئون في بعض الأيام يسألون عنها ، ويطلبون إلى برصيصا ويوصونه بها ، فقالوا : يا برصيصا ، ما فعلت أختنا ؟ قال : جاء شيطانها فذهب بها ولم أطلقه . قال : فصدقوه وأنصرفوا . فلما أمسوا وهم مكروبون ، جاء الشيطان إلى كبيرهم

(١) كذا في الأصل . ورفع الجزاء هنا جائز على ضعف . (٢) أسقط في يده : تحير .

(٣) الزيادة من تفسير القرطبي (١٨ : ٣٨) .

- في المنام ، فقال له : ويحك ! إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا ، وإنه دفنها في موضع كذا وكذا من جبل كذا وكذا . فقال الأخ : هذا حلم وهو من عمل الشيطان ، برصيصا خير من ذلك . قال : فتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر ، فأنطلق إلى الأوسط بمثل ذلك ، فقال الأوسط مثلها قال الأكبر ، فلم يخبر به أحدا ، فأنطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك ، فقال أصغرهم لإخوته : والله لقد رأيت كذا وكذا . فقال الأوسط : وأنا والله لقد رأيت مثله . وقال الأكبر : وأنا والله لقد رأيت كذا وكذا ، فأنطلقوا بنا إلى برصيصا ، فأتوه ، فقالوا : يا برصيصا ، ما فعلت أختنا ؟ قال : أليس قد أعلمتكم بحال شيطانها ! فكأنكم اتهمتموني . فقالوا : لا والله لا تهتمك . فاستجيبوا منه وأنصرفوا عنه ، بغاءهم الشيطان فقال ، ويحك ! إنها مدفونة في موضع كذا ، وإن طرف إزارها خارج من التراب . قال : فأنطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في نومهم ، قال : فمشوا في مواليمهم ، ومواليهم معهم الفؤس والمساحي ، فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كنفوه وأنطلقوا به إلى الملك ، فأقر على نفسه ، وذلك أن الشيطان أتاه فقال : تقتلها ثم تكبر ، يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة ، اعترف . فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة ، فلما صلب أتاه الأبيض عيانا ، وذلك أن إبليس لعنه الله ، قال للأبيض : وما يعني عنك ما صنعت ؟ إن قُتل فهو كفارة لما كان منه . فقال الأبيض : أنا أكفيك . فأتاه فقال : يا برصيصا ، أتعرفني ؟ قال : لا . قال : أنا صاحبك الذي علمك الدعوات فاستجيب لك ، ويحك ! أما اتقيت الله في أمانة خنت أهلها ، وأنتك أعبد بنى إسرائيل ! أما استجيت ! أما راقبت الله في دينك ! فلم يزل يعيره ويوبخه ، ثم قال له في آخر ذلك : ألم يكفك

(١) المساحي : جمع مسحاة ، وهي الحجرقة من الحديد .

ما صنعت حتى أقورت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس ! فإن مت على هذه الحال لم يقلح أحد من نظرائك بعدك . قال : فكيف أصنع ؟ قال : تطيعني في خطة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه ، وأخذ بأعينهم ، وأخرجك من مكانك . قال : وماهي ؟ قال : تسجدي . قال : أفعل . فسجد له ، فقال : يا برصيصا ، هذا الذي أردت منك ، صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك ، إني برىء منك ، إني أخاف الله رب العالمين .

يقول الله تعالى : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا ﴾ يعني الشيطان وذلك الإنسان .
﴿ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة ، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يحل بنى النضير من المدينة ، فدس المنافقون إليهم فقالوا : لا تجيبوا محدا إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم ، فإن قاتلكم كما معكم ، وإن أخرجتم نخرجنا معكم . قال : فاطاعوهم ، فدرّبوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فناصروه الحرب ، يرجون نصر المنافقين ، فخذلوهم وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَارْتَقُوا أَنفُسَكُمْ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَيْرِ اللَّهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ قوله : « اتَّقُوا اللَّهَ » أى فى أداء فرائضه واجتناب معاصيه « وَارْتَقُوا أَنفُسَكُمْ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَيْرِ اللَّهِ » يعنى يوم القيامة .

قوله : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)^(١)
 « نَسُوا اللَّهَ » أى نسوا حق الله وتركوا أوامره « فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ » [يعنى حظ
 أنفسهم] أن يقدموا لها خيرا « أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ
 وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ » .

- ٥ فقد أتينا - أكرمك الله - على تفسير ما أنزل من القرآن في شأن بنى النضير
 مما يتعلق بشرح أخبارهم خاصة على حكم الاختصار ، ولم نتعرض إلى ما سوى
 ذلك من التفسير .

ذكر غزوة بدر الموعد

- غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لهلل ذى القعدة ، على رأس خمسة
 وأربعين شهرا من مهاجره صلى الله عليه وسلم . حكاه محمد بن سعد .
 وقال محمد بن إسحاق : كانت في شعبان . وجعلها بعد غزوة ذات الرقاع ،
 فتكون على رأس اثنين وأربعين شهرا من الهجرة ، والأشبه ما قاله ابن سعد ، لأن
 الميعاد كان على رأس الحول من غزوة أحد ، وغزوة أحد كانت في شوال على
 ما اتفقا عليه ، ولم يختلفا في الشهر وإنما في أيام ذكرناها هناك .

- ١٥ قال محمد بن سعد : لما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج ، وقدم نعيم بن
 مسعود الأشجعي مكة ، فقال له أبو سفيان : إني قد واعدت مجدا وأصحابه أن نلتقي
 ببدر ، وقد جاء ذلك الوقت ، وهذا عام جدب ، وإنما يصلحنا عام خصب غيـ^(٣)
 داق ، وأكره أن يخرج مجد ولا أنخرج فيجترئ علينا ، فنجعل لك عشرين فريضة^(٤) يضمنها^(٥)

٥٦
 ١٥

- (١) ما بين القوسين ساقط من أ . (٢) في ج : « إلى » . (٣) غيـ^(٣)
 داق : مخصب . (٤) الفريضة : البعير المأخوذ في الزكاة ، سمى فريضة لأنه فرض واجب على رب المال ، ثم اتسع
 ٢٠ فيه حتى سمى البعير فريضة في غير الزكاة . (٥) في أ : « يضمنها » .

إليك سهيل بن عمرو على أن تقدم المدينة فتخزل أصحاب مجد . قال : نعم .
 فحملوه على بعير ، فأسرع السير حتى قدم المدينة ، فأخبرهم بجمع أبي سفيان ^(١) لهم]
 وما معه من العدة والسلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسى
 بيده لأخرجن وإن لم يخرج معى أحد .

واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، وسار بالمسلمين وهم ألف وخمسمائة ،
 والخيول عشرة أفراس ، وحمل لواءه على بن أبي طالب ، وخرج المسلمون ببضائع
 وتجارات لهم ، وكانت بدر الصغرى مجتمعاً يجمع فيه العرب ، وسوقاً تقوم لهلال
 ذى القعدة إلى ثمان تخلو منه ، ثم يتفرق الناس إلى بلادهم .

فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى بدر ليلة هلال ذى القعدة ؛
 وقامت السوق صبيحة الهلال فأقاموا بها ثمانية أيام ، وباعوا ما خرجوا به من
 التجارات ، فربحوا للدرهم درهماً ، وانصرفوا ، وقد سمع الناس بمسيرهم ، وخرج
 أبو سفيان بن حرب من مكة في قريش ، وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً حتى
 اتهموا إلى بجنة ^(٢) — وهى مر الظهران — ومنهم من يقول : بلغوا عسفان ^(٣) . ثم
 قال : ارجعوا فإنه لا يصالحنا إلا عام خصب غيّدق ، نرعى فيه الشجر ونشرب
 اللبن ، وعامكم هذا عام جذب ، وإنى راجع فأرجعوا . فسمى أهل مكة هذا
 الجيش جيش السويق ، يقولون : خرجوا يشربون السويق . قال : وقدم معبد
 ابن أبي معبد الخزاعى مكة بخبر مسير رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه ،
 فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان : قد نهيتك يومئذ أن تعبد القوم وقد اجترأوا
 علينا ورأوا أن قد أخلقناهم .

(١) ساقطة فى ١ . (٢) كذا فى الأصل . وفى المواهب : « بجنة : ناحية الظهران » . وفى معجم
 البلدان : « وقال الأصمى : وكانت بجنة بمر الظهران » . (٣) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة .

وقال عبد الله بن رواحة :

وَعَدْنَا أَبَا سَفْيَانَ وَعَدَا فَلَمْ نَجِدْ * لِمِيعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيَا ^(١)
فَأَقْسِمَ لَوْ وَافَيْتَنَا فَلَقَيْتَنَا * لِأُبُتِّ ذَمِيمًا وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا ^(٢)
تَرَكَأَ بِهِ أَوْصَالَ عُتْبَةَ وَابْنَهُ * وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرَكَأَهُ نَاوِيَا ^(٣)
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفَّ لِدِينِكُمْ * وَأَمْرَكُمْ السُّيِّئَ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَإِنِّي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لِقَائِلٌ * فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطَعْنَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فَيُنَا بَغْيِيرَهُ * شَهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، ورجعوا إلى المدينة .

وأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ فِي شَأْنِ هَذِهِ الْغَزْوَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ

إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .
فَاتَّقَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ
عَظِيمٍ) .

قال السُّدِّيُّ : لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه للسَّيرِ إلى بدر

لميعاد أبي سفيان أتاهم المنافقون فقالوا : نحن أصحابكم الذين نهيناكم عن الخروج

إليهم فعصيتمونا، وقد أتوكم في دياركم [فقاتلوكم] ^(٥) وظفروا، فإن أتيتموهم في ديارهم
لا يرجع منكم أحد . فقالوا : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » . فالناس في هذه الآية أولئك
المنافقون . وقال أبو معشر : دخل ناس من هذيل من أهل تهامة المدينة، فسألهم
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي سفيان، فقالوا : قد جمعوا لكم جموعا

(١) في سيرة ابن هشام : « بدر » . (٢) الموالى : جمع مولى، وهو القريب

والجار والحليف . (٣) ناوريا : مقبلا . (٤) السبي : المنكر . (٥) ساقطة في أ .

كثيرة فآخسوهم ، فقالوا : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » . فأنزل الله عز وجل « الَّذِينَ قَالُوا لَكُمْ إِنَّا نَحْنُ الْغَالِبُونَ » . فآخسوهم ، فقالوا : « قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ » . فخافوهم واحذروهم فإنه لا طاقة لكم بهم « فزادهم إيماناً »^(١) . يعنى تصديقنا وبقينا وجرأة وقوة . وقوله : « فَاتَّقُوا » فانصرفوا ورجعوا « بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ » أى بعافية لم يلقوا بها عدوا ، وبراى جراحتهم « وَفَضِيلٌ » أى ربح وتجارة ، وهو ما أصابوا من السوق فرجحوا « لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ » لم يصيبهم قتل ولا جرح ولم ينلهم أذى ولا مكروه « وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ » فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم قالوا : هل يكون هذا غزوا؟ فأعطاهم الله تعالى ثواب الغزو ورضى عنهم . « وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » .
 [ثم] قال تعالى : « **إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** »^(٥) يعنى ذلك الذى قال لكم : إن الناس قد جمعوا لكم فآخسوهم ، من فعل الشيطان السقى فى أفواههم لترهبوهم وتجنبوا عنهم « **يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ** » أى يخوفكم بأوليائه ، يعنى يخوف المؤمنين بالكافرين ، قال السدى : يعظم أولياءه فى صدوركم لتخافوهم . وقرأ عبد الله بن مسعود « **يَخُوفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ** » قال : وكان أبى بن كعب [يقسراً] « **يَخُوفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ** » « **فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا** » فى ترك أمرى « **إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** » مصدقين بوعدى فإنى متكفل لكم بالنصر والظفر .

٥٧
١٥

(١) فى ج : « فزادهم ذلك إيماناً » . (٢) فى أ : « وهم » .

(٣) فى أ : « لا ينلهم » . (٤) فى أ : « رسول الله » .

(٥) ساقطة من أ . (٦) فى أ : « يخوفوكم » .

(٧) ساقطة من أ .

ذكر غزوة ذات الرقاع^(١) ، وخبر صلاة الخوف

وقصة غورث بن الحارث المخاربي ، وخبر جابر بن عبد الله

واختلف في تسمية ذات الرقاع ، فقيل : جبل فيه بقع حمر وبيض وسود .

وقيل : لأنهم رقعوا راياتهم . وقيل : ذات الرقاع ، شجرة بذلك الموضع . وفي صحيح

البخارى أنهم نقبت أقدامهم^(٢) ، فلفقوا عليها الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع .
والله أعلم .

قال محمد بن سعد : كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهرا من مهاجرة

صلى الله عليه وسلم . وقال ابن إسحاق : كانت غزوة ذات الرقاع بعد غزوة

بني النضير في جمادى الأولى ، فتكون على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة ،

واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ، ويقال : عثمان بن عفان . ولم يقل ابن سعد
غير عثمان رضي الله عنه .^(٣)

وذلك أن قادمًا قدم المدينة يجلب ، فأخبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،^(٤)

أن أثمارا وتعلبة قد جمعوا لهم الجموع . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم في أربعائة ، ويقال : سبعائة من أصحابه ،

فمضى حتى أتى محالهم بذات الرقاع — وهو جبل فيه بقع فيها حمرة وسواد

وبياض — فلم يجسد في محالهم أحدا إلا نسوة ، فأخذهن وفيهن جارية وضيئة ،

وهربت الأعراب إلى رؤوس الجبال ، وحضرت الصلاة ، تخاف المسلمون أن

يغيروا عليهم ، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف .

(١) غزوة ذات الرقاع : هي غزوة محارب ، وغزوة بني ثعلبة ، وغزوة بني أثمار ، وغزوة صلاة

الخوف ، لوقوعها فيها ، وغزوة الأعاجيب ، لما وقع فيها من الأمور العجيبة .

(٢) نقبت أقدامهم : رقت جلودها من المشى .

(٣) في أ : « عن » . (٤) الجلب : ما جلب من خيل وإبل ومتاع .

روى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى جابر بن عبد الله ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ، ثم سلم ، وطائفة مقبلون على العدو ، فجاءوا فصلى بهم ركعتين آخرين ، ثم سلم . وروى عنه أيضا من طريق آخر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم ، ثم تأخر الصف الأول وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ، ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ، فلما رفعوا رفعوا بهم سجد الآخرون بأنفسهم سجدتين ، وركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين . هكذا روى عن جابر في صلاة الخوف بذات الرقاع .

وروى ابن هشام أيضا بسنده إلى عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهما ، في صلاة الخوف ، ولم يذكر ذات الرقاع ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يلي عدوهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدو ، ويتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ويسجد بهم ، ثم تصلى كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

ذكر خبر غورث^(١) بن الحارث المخاربي

لما أراد أن يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه الله منه
وأمكن نبيه صلى الله عليه وسلم من عدوه وعفوه عنه

وكان من خبر غورث بن الحارث أنه قال لقومه من غطفان ومحارب :

ألا أقتل لكم محمدا ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أقتك به . وكان رسول

(١) كذا ضبط في ج ، ووافقه على ذلك صاحب شرح المواهب اللدنية . ووقع عند الخطيب بالكاف بدل المنة . وحكى الخطابي : غورث بالتصغير .

(١) الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقبل تحتها، فاتاه فاخترط سيفه، ثم قال : من يمنك مني ؟ فقال : الله . فأرعدت يد غورث ، وسقط سيفه ، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه ، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فرجع إلى قومه وقال : جئتم من عند خير الناس . ومن رواية الخطابي : أن غورث ابن الحارث المخاربي أراد أن يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه ، منتضيا سيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم اكفنيه بما شئت» . فانكب غورث من وجهه من زُلْجَة زُلْجَاهَا بَيْنَ كَتْفَيْهِ ، وندر سيفه من يده ، وقيل : فيه نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ الآية . وقيل : نزلت في غير هذه القصة .

ذكر خبر جابر بن عبد الله في جملة ، واستغفار النبي

صلى الله عليه وسلم لأبيه

روى محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذات الرقاع من نخْل على جبل لي ضعيف ، فلما فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعلت الرقاق تمضي ، وجعلت أتخلف ، حتى أدر كني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : «مالك يا جابر» ؟ قلت : يا رسول الله ، أبطأ على جملي هذا ؛ قال : «أنحّه» ، فأنحته ، وأناخ رسول الله صلى الله

(١) اخترط السيف : استله من غمده . (٢) منتضيا : مستبلا . (٣) في هامش ج : الزلجة : وجع الظهر . وفي لسان العرب : يقال : رمى الله فلانا بالزلجة ، بضم الزاي وتشديد اللام وفتحها ، وهو وجع يأخذ في الظهر لا يفرجك الإنسان من شدته ، ويروي بتخفيف اللام . وفي الأصل : «زلجة» وهي رواية خطأها صاحب اللسان . (٤) ندر : سقط . (٥) نخْل : موضع يجرد من أرض غطفان وهو في طريق الشام من ناحية مصر . (٦) في ابن هشام : «أبطأ بي جملي» .

عليه وسلم ، ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك ، أو أقطع لي عصا من شجرة ؛ قال : ففعلت . فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ، ثم قال : اركب . فركبت ، فخرج — والذي بعثه بالحق — يواهي ناقته مواهقة .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أتبيعي جملك هذا يا جابر » ؟ قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك ؛ قال : « لا ، ولكن بعنيه » ؛ قال : قلت : فسمنيه ؛ قال : « قد أخذته بدرهم » ؛ قلت : لا ، إذا تعبني يا رسول الله ! قال : « فبدرهمين » ؛ قلت : لا . فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الأوقية ؛ قلت : فقد رضيت ؟ قال : « نعم » ؛ قلت : هو لك ؛ قال : « أخذته » . ثم قال : « يا جابر ، هل تزوجت بعد » ؟ قلت : نعم يا رسول الله ؛ قال : « أتبيي أم بكرة » ؟ قلت : بل تبيي ؛ قال : « أفلا جارية تلاعها وتلاعبك » ؟ قلت : يا رسول الله ، إن أبي أصيب يوم أحد ، وترك بنات له سبعا ، فنكحت امرأة جامعة ، تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن ؛ قال : « أصبت إن شاء الله ، أما إننا لو جئنا صرارا أمرنا بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذلك ، وسمعت بنا ، فنفضت نمارقها » . قلت : يا رسول الله ما لنا من نمارق ؛ قال : « إنها ستكون ، فإذا أنت قديمت فاعمل عملا كَيْسًا » . فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذلك ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا ؛ قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت :

(١) يواهي ناقته : أي يباريها في السير ويماشيها . (٢) في أ : « تعني » وهو تحريف . وفي الروض الأنف : « تعبني » . (٣) في أ : « يدفع » . (٤) كذا في أ ، ج . وفي ابن هشام : « أفقد رضيت يا رسول الله » ؟ . (٥) في أ : « قد » . (٦) صرار : برز على ثلاثة أميال من المدينة كما سياتي للؤلؤف . (٧) الضمير يعود على زوجة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

فدونك، فسمع وطاعة . قال : فلما أصبحت أخذتُ برأس الجمل ، فأقبلتُ به حتى أنخنته على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [ثم جلستُ في المسجد قريبا منه ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم] فرأى الجمل ، فقال : « ما هذا » ؟ قالوا : هذا جمل جاء به جابر ؛ قال : « فأين جابر » ؟ فدُعيتُ له ، فقال : « يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك » ودعا بلالا فقال له : « اذهب بجابر فأعطه أوقية » . قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئا يسيرا . قال : فوالله ما زال يئمني عندي ونرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا ؛ يعني يوم الحزرة .^(١)

وقال محمد بن سعد : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جابرا عن دين أبيه فأخبره ، فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة نحسا وعشرين مرة . قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعال بن سُراقَةَ بشيرا إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين ، وقدم صرارا يوم الأحد لخمس بقين من المحرم — وصرار على ثلاثة أميال من المدينة ، وهي بئر جاهلية على طريق العراق — وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة .

٥٩
١٥

ذكر غزوة دومة الجندل

وهي بضم الدال ؛ سميت بدومي بن إسماعيل لأنه كان نزلها ، وهي غير دومة التي بفتح الدال .^(٤)

(١) ما بين القوسين ساقط من أ . (٢) يشير إلى وقعة الحرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد آبن معاوية على يد مسلم بن عقبة المري . راجع الروض الأنف ج ٢ ص ١٨٤ (٣) كذا في ابن سعد والمواهب ، والإصابة ، وأسد الغابة . وفي القاموس وابن هشام والطبري « جعليل » . راجع الاختلاف في هذا الاسم في الإصابة وأسد الغابة . وفي الأصول : « جوال » . وهو تحريف .
(٤) كذا في الأصول ، والمواهب اللدنية . وفي معجم البلدان : « سميت بدوم بن إسماعيل ، وقال الزجاجي : دومان بن إسماعيل . وقيل : كان لإسماعيل ولد اسمه دما ، ولعله مغير منه . وقال ابن الكلبي : دوما بن إسماعيل » .

غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهرا من مهاجرة، وذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن بدومة الجندل جمعا كثيرا، وأنهم يظلمون من مرتبهم، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة — وهي طَرف من أفواه الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أوست عشرة ليلة — فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفُطَةَ الغفاري، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل من بني عُدرة، يقال له: مذكور؛ فلما دنا منهم إذاهم مغربون، وإذا آثار النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعايتهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب. وجاء الخبر أهل دومة الجندل، فتنفروا، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم، فلم يجد بها أحدا، فأقام بها أياما، وبث المرايا وفزقها، فرجعت ولم تصب منهم أحدا (٣) وأخذ منهم رجل واحد، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، فقال: هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نَعَمَهُمْ؛ فعرض عليه الإسلام فأسلم، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لعشر بقين من شهر ربيع الآخر، ولم يلق كيدا.

وفي هذه الغزوة وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن أن يرعى بتغلمين وما والاها إلى المراض، والمراض على ستة وثلاثين ميلا من المدينة على طريق التَّبَدَّة.

(١) في: أ «أنه». (٢) المراد بالنعم هنا الإبل. (٣) كذا في الأصول. وفي رواية للواهب الدنية: «ولم يصب منهم أحد». (٤) كذا في الطبري، وطبقات ابن سعد، ومعجم البلدان، والقاموس. وفي الأصل: «بتغلمين» وهو تحريف «وتغلمين» من المراض على ميلين». (٥) زيد في ابن سعد في هذا الموضع ما يأتي: «وكان ما هناك قد أنصب، وبلاد عيينة قد أجدبت».

(١)
ذكر غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المرئسيين

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة خمس من الهجرة . حكاه محمد بن سعد .

وقال ابن إسحاق : كانت في شعبان سنة ست ، وجعلها بعد غزوة ذي قرد .

- وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق سار في قومه ومن قدر عليه من العرب ، ودعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتجهزوا للسير ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بريدة بن الحصيب الأسلمي للوقوف على حقيقة الخبر ، فأتاهم وكلم الحارث ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ، فندب صلى الله عليه وسلم الناس ، فأسرعوا في الخروج ، وقادوا الخيول ، وهي ثلاثون فرسا ، عشرة منها للمهاجرين وعشرون للأنصار ، وخرج معه خلق كثير من المنافقين ، لم يجتمعوا في غزاة قط مثلها ، واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة زيد بن حارثة . وقال ابن هشام : استعمل عليها أبا ذر الغفاري . قال : ويقال : ثملة بن عبد الله الليثي . قال ابن سعد : وكان معه صلى الله عليه وسلم فرسان : لزاز ، والظرب ، وخرج يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان ، فبلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففترق عنه من كان معه من العرب وخافوا خوفا شديدا ، وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرئسيين — وهو ماء لبني المصطلق بينه وبين الفرع نحو من يوم ، وبين الفرع والمدينة ثمانية برد — فنزل به وضرب قبته ، ومعه صلى الله عليه وسلم من نسائه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن عائشة ، وأم سلمة ، وتجهزوا للقتال ، ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر
- (١) المصطلق : لقب جذيمة بن سعد بن عمرو ، لقب بذلك لحسن صوته ، وكان أول من غنى من خزاعة .

الصدّيق رضی الله عنه ، وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة ، فتراموا بالنبل ساعة ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا حملة رجل واحد ، فما أفلت من القوم إنسان ، قتل منهم عشرة ، وأسر سائرهم ، وسبيت النساء والذّارى ، وغنمت النعم والشاء ، ولم يُستشهد من المسلمين إلا رجل واحد ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسارى فكنفوا ، واستعمل عليهم بُريدة بن الحُصيب ، وأمر بجمع الغنائم بجمعت ، واستعمل عليها شُقران مولاة ، وقسم السبي والنعم والشاء ، فعدلت الجزور بعشر من الغنم ، وبيعت الرثة فيمن يريد ، قال : وكانت الإبل ألفى بغير والشاء خمسة آلاف شاة ، والسبي مائتي أهل بيت ، وصارت جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له ، فكتابها على تسع أواق من ذهب ، فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابتها ، فأدى عنها ، وترجّحها على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار أزواجه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : وكان من السبي من منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء ، ومنهم من أهدى ، فافتسدت المرأة والذرية بست فرائض ، وقدموا المدينة ببعض السبي ، فقدم عليهم أهلهم فافتدوهم ، فلم تبق امرأة من بنى المصطلق إلا رجعت إلى قومها . وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق : يا منصور أمت أميت ، وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاته هذه ثمانية وعشرين يوماً ، وقدم المدينة لئلال رمضان .

(١) الرثة : ردى. المناع ، وأسقاط البيت من الخلقان . (٢) في الطبقات : « يزيد » .

(٣) في أ : « التي تغير » وهو تحريف . (٤) في أ : « لها » .

(٥) في ج : « فأداها » . (٦) كذا في ابن سعد . وفي الأصول : « فاقتدت » .

وفي هذه الغزاة تكلم عبد الله بن أبي بن سلول المنافق بما تكلم به من قوله :
 ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ . ووقع حديث الإفك ، وقد
 قدمنا ذكر ذلك كله في حوادث السنين بعد الهجرة ، في حوادث السنة الخامسة .

ذكر غزوة الخندق ، وهي غزوة الأحزاب

وكانت في ذى القعدة سنة خمس من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 حكاها ابن سعد . وقال ابن إسحاق : كانت في شوال .

قال محمد بن سعد ومحمد بن إسحاق وعبد الملك بن هشام ، رحمهم الله تعالى ،
 دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : لما أجلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بنى النضير وساروا إلى خيبر ، خرج نفر من أشرفهم ووجوههم ، منهم
 سلام بن أبي الحقيق ، وحوي بن أخطب ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ،
 وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى
 وائل ، وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا
 مكة على قريش ، فدعوه إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنا
 سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت قريش لهم : يا معشر يهود ، إنكم أهل
 الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟
 فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأتم أولى بالحق منه . فهم الذين أنزل الله تعالى
 ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ
 وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ
 اللَّهُ ﴾ (١) .

(١) في ١ : « ابن أبي سلول » . (٢) في ١ : « لنا » . (٣) في ١ : « فديننا » .

(٤) الجبوت والطاغوت : كل معبود من دون الله .

اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا . أَمْ لَمْ نَصِيبْ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ
 النَّاسَ نَقِيرًا . أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا . فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ
 وَكَفَى بِجَحَنَّمَ سَعِيرًا ﴿١﴾ قالوا : فلما قالت اليهود [ذلك] لقريش سرهم ونشطوا لما
 دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجتمعوا لذلك ، ثم خرج
 أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان وسليما ، ودعوهم إلى حرب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، وأعلموهم أن قريشا قد بايعوهم على ذلك ، فأجابوهم واجتمعوا
 معهم ، فتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب ، وكانوا أربعة
 آلاف ، وعقدوا اللواء في دار الندوة ، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ،
 وقادوا معهم ثلثمائة فرس ، وكان معهم ألف وخمسمائة بعير ، وخرجوا يقودهم
 أبو سفيان بن حرب ، وواقتمهم بنو سليم بمرز الظهران ، وهم سبعمائة ، يقودهم
 سفيان بن عبد شمس ، حليف حرب بن أمية ، وهو أبو أبي الأعور السلمي الذي
 كان مع معاوية بصفين ، وخرجت بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي ،
 وخرجت غطفان وفزارة ، معهما ألف بعير ، يقودهم عيينة بن حصن بن حذيفة
 ابن بدر ، وخرجت بنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف بن أبي حارثة
 المزني ، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعر بن ربيعة بن نورة بن طريف ،
 وخرج معهم غيرهم .

٦١
١٥

(١) ساقطة من أ . (٢) في أ : « فأعلموهم » . (٣) في أ : « فأجابوا » .

(٤) عيينة هذا هو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : « الأحق المطاع » . لأنه كان يتبعه عشرة آلاف

فناة ، وقال فيه أيضا : « إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره » . وفي رواية : « إنى أداريه لأنى

أخشى أن يفسد على خلفا كثيرا » . وسمى عيينة لشره كان بعينه ، واسمه حذيفة . راجع المواهب

ج ٢ ص ١٢٥ . (٥) في الطبقات ، وشرح المواهب : « مسعود » وقد ذكر الطبري الوجهين .

٢٠

- فكان جميع من وافى الخندق عشرة آلاف ، وهم الأحزاب ، وكانوا ثلاثة عساكر ، ومرجع أمرهم إلى أبي سفيان بن حرب ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فصولهم^(١) من مكة ندب الناس ، وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم في أمرهم ، فأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق ، فأعجب ذلك المسلمين ، وعسكر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سفح^(٢) سلع ، وجعل سلعا خلف ظهره ، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم ضرب الخندق على المدينة ، وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين في الأجر ، فعملوا وجدوا في العمل ودأبوا^(٤) ، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في ذلك العمل رجال من المنافقين ، وجعلوا يوزون بالضعف من العمل ، ويتسألون إلى أهلهم بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نأبته النائبة من الحاجة ، ذكرها لرسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنه ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى عمله في الخندق ، فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذْنُ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ثم قال تعالى في المنافقين : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

(١) فصولهم : خروجهم . (٢) في الأصول : « نذر » وهو تحريف .

(٣) سلع : جبل بسوق المدينة . (٤) كذا في ج . وفي أ : « ودأبوا في العمل » .

٢٠ (٥) يوزون بالضعف من العمل : أى يخفون مقصودهم من خذلان المسلمين بإظهار الضعف . وفي المواهب : « بالضعف عن العمل » .

(٦) في هامش ج : « الواذ : الاستتار بالشيء عند الحرب » .

يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ ثم قال تعالى: ﴿الَّا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ .

قال : وعمل المسلمون فيه حتى أحكوه . روى محمد بن سعد [بسند] ^(١) يرفعه إلى سهل بن سعد قال : جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا ، فقال ^(٢) صلى الله عليه وسلم : « لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ » . وعن البراء بن عازب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل معنا التراب ، وقد وارى التراب بياض بطنه ، وهو يقول :

لَا هُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا * وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا ^(٤)
فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا * وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقَيْنَا ^(٥)
إِنَّ الْأَوْلَى لَقَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا * إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَيْنَا

[أَيْدِنَا] ^(٦) يرفع بها صوته صلى الله عليه وسلم .

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق معجزات نذكرها إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لمعجزاته ، ومنها ما يتعين ذكره ها هنا ، وهو ما حكاه محمد بن إسحاق عن جابر بن عبد الله قال :

- (١) ساقطة من أ . (٢) في أ : « فقال رسول الله » .
(٣) كذا في ج ، وطبقات ابن سعد . وفي أ : « والمهاجرين » . وهذا القول من كلام عبد الله بن رواحة ، تمثل به عليه الصلاة والسلام . راجع الروايات المختلفة في صيغته ، وفي كونه شعرا أو غير شعر في ج ٢ ص ١٢٧ من المواهب . (٤) كذا في ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف .
وفي الأصول : « اللهم » . والشعر لعبد الله بن رواحة ، ارتحز به النبي صلى الله عليه وسلم .
(٥) في الأصول : « فد » . وما أثبتناه رواية ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف . وفي هذه الأبيات روايات كثيرة تجدها في ج ٢ ص ١٢٨ من المواهب اللدنية .
(٦) زيادة عن طبقات ابن سعد . وفي المواهب : أنه كان يمد صوته باللفظة الأخيرة لا بالجمع .

اشتدت على الناس في بعض الخندق كُدِيَّة^(١) ، فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء فنفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكُدِيَّة ، فيقول من حضرها : فالذي بعثه بالحق لآنهاالت حتى عادت كالكتيب^(٢) ، لا ترد فأسا ولا مسحاة .

٦٢
١٥

- قالوا : وفرغوا من حفر الخندق في ستة أيام ، وكانوا يعملون فيه نهارا وينصرفون ليلا ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان في الآطام ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثمان مضي من ذى القعدة ، وكان يحمل لواء المهاجرين زيد بن حارثة ، ويحمل لواء الأنصار سعد بن عبادة . وأقبلت قريش ومن شايعها وتابعها ، وأجتمع إليهما بعد فراغ الخندق ، فصار الخندق بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم ، وظهور المسلمين إلى سلع ، وخرج حُيَّي^(٣) ابن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي ، صاحب عقد بني قريظة ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده ، فأغلق كعب دون حُيَّي باب حصنه ، وأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَّي : ويحك يا كعب ! افتح لي . قال : ويحك ! إنك أمرؤ مشئوم ، وإني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . فعاوده مرارا ، وهو يأبى عليه حتى [قال له حُيَّي^(٤)] : والله إن أغلقت دوني إلا عن جَشِيشتك^(٥) أن آكل معك^(٦) .

- (١) الكُدِيَّة : الحجر الصلد الضخم ، والشئ الصلب بين الحجارة والطين ، والأرض الغليظة .
(٢) في أ : «عاد» . (٣) في أ : «صاحب» . (٤) ما بين القوسين ساقط من أ .
(٥) في أ : «إني» . (٦) الجَشِيشة : واحدة الجَشِيش ، وهو أن تطحن الحنطة طحنا جليلا ، ثم تصب به القدر ويلق عليها لحم أو تمر فيطبخ ، ويقال لها : دَشِيشة .
(٧) كذا وردت هذه العبارة في أ ، ب . وفي المواهب : « والله إن أغلقت دوني إلا تخوفا على جَشِيشتك أن آكل معك منها » .

(١) فأحفظه ذلك ، ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جئتك بعز الدهر وبعير طام^(٢) ،
 جئتك بقريش على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتهم يجتمع الأسيال ، [ومن دونه^(٣)]
 غطفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنب^(٤) نغمى على جانب أحد ، وقد
 عاهدوني وعاهدوني على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه . فقال له كعب :
 جئتني والله بذل الدهر ، وبجها^(٥)م قد هراق ماءه ، يرعد ويبرق ، ليس فيه شيء ،
 ويحك يا حبي ! فدعني وما أنا عليه ، فإنني لم أر من مجد إلا صدقا ووفاء . فلم
 يزل به حبي حتى سمح له ، أن أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش
 وغطفان ولم يصيبوا محمدا أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض
 كعب بن أسد^(٦) عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المساميين وضح ذلك عنده
 كبر ، وقال : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » قال : ونجس النفاق وقيل الناس ،
 وعظم البلاء ، وأشتد الخوف ، وخيف على الذراري والنساء ، وكانوا كما قال الله
 تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ
 الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة يجرسون المدينة
 ويظهرون التكبير ، وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة ، وكان

(١) أحفظه : أغضبه . (٢) طام : مرتفع ؛ يريد كثرة الرجال .

(٣) التصويب من المواهب ، وفي الأصول : « من رومة » وهو تحريف . (٤) في أ :

« في فقمى » وهو تحريف . (٥) الجها^(٥)م : السحاب لا ماء فيه . (٦) كذا وردت

هذه العبارة في الأصل . وفي المواهب : « وأعطاه عهدا على أنه إن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا

محمدا أن أدخل معك في حصنك ، يصيبني ما أصابك » . (٧) كذا في الطبري ، وابن هشام .

وفي الأصل : « راشد » .

عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وجاء العدو لا يزولون يعتقدون خندقهم ويحرسونه ، والمشركون يتناوون بينهم ، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً ، ويغدو خالد بن الوليد يوماً ، [ويغدو عمرو بن العاص يوماً] ، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً ، ويغدو ضرار بن الخطاب النهدي يوماً ، فلا يزالون يجيلون خيلهم ، ويحتمعون مرةً ويتفرقون أخرى ، ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقدمون رماثهم فيرمون ، فرمى جبان بن العريفة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكله^(٢) ، فقال : خذها وأنا ابن العريفة . ويقال : رماه أبو أسامة الجشمي .

- ١٠ قال ابن هشام : ولما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المزني ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، بخري [بلنسه^(٣)] حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله ، أمر تجبه فتصنعه ، أم شيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيء تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوم^(٤) من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد

٢٠ (١) ما بين القوسين ساقط من أ . (٢) الأكل : عرق في وسط الذراع يكثر فصدده . (٣) ساقطة من أ . (٤) كالبوم أي اشتدوا عليكم .

٦٣
١٥

كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يظعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرأ^(١) أو بيعا، أخين^(٢) أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فحما ما فيها من الكتاب، ثم قال: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا.

قال ابن سعد: ثم اجتمع رؤساؤهم أن يغدوا يوما، فغَدُوا جميعا ومعهم رؤساء سائر الأحزاب، وطلبوا مَضِيقًا من الخندق يقتحمون خيلهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلم يجدوا ذلك وقالوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها؛ فقبل لهم: إن معه رجلا فارسيا، فهو أشار عليه بذلك؛ قالوا: فَمِنْ هُنَاكَ إِذَا، فصاروا إلى مكان ضيق أغفله المسلمون، فعبّر منه عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبي وهب، وعمرو بن عبد ود [بفعل عمرو بن عبد ود^(٤)] يدعو إلى البراز، ويقول:

ولقد بَحِثْتُ مِنَ النِّدَا * لجمعهم هل من مُبَارِزُ

وكان ابن تسعين سنة، فبرز إليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خَلَّتَيْنِ إلا أخذتها منه؛ قال له: أجل. قال له: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام؛ قال: لا حاجة لي بذلك؛ قال: فإني أدعوك إلى التَّزَالِ؛ قال: يا بن

(١) القراء: ما يقدم للضيف من الطعام.

(٢) كذا في ١، ج. وفي ابن سعد: «يقتحمون منه خيلهم».

(٣) ما بين القوسين ساقط من ١. (٤) ساقطة من ج.

أخى ، فوالله ما أحب أن أقتلك ؛ فقال له عليّ : ولكنني والله أحب أن أقتلك ؛ فحَمَى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على عليّ فتنازلاً وتجاولاً ، فقتله عليّ رضي الله عنه ، وخرجت خيلهم منزماً حتى افتحمت من الخندق . وألقى عكرمة بن أبي جهل يومئذ رمحه وهو منزوم عن عمرو . فقال حسان بن ثابت :

فز وألقى لنا رَمَحَهُ * لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليل^(١) * يم ما إن تجور عن المعدل^(٢)
ولم تلق ظهرك مستانسا * كأن قفالك قفا فرعل^(٣)

قال ابن سعد : وحمل الزبير بن العوام على نوفل بن عبد الله بالسيف فضربه فشقّه بأثنتين ، ثم أعدوا أن يقدوا من الغد ، فباتوا يعبثون أصحابهم ، وفزقوا كتابهم ، ونحوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد ، فقاتلهم يومهم ذلك إلى هوى من الليل ، ما يقدر أن يزولوا من موضعهم ، ولم يصل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ظهرا ولا عصرا ولا مغربا ولا عشاء حتى كشفهم الله تعالى ، فرجعوا متفرقين إلى منازلهم وعسكرهم ، وانصرف المسلمون إلى قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام أسيد بن حضير على الخندق في مائتين من المسلمين ، وكر خالد بن الوليد في خيل من المشركين يطلبون غيرة من المسلمين فناوشوهم ساعة ومع المشركين وحشي ، فزرق الطفيل بن النعمان بمزراقه فقتله وانكشفوا ، وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبته فأمر بلالا فأذن وأقام للظهر فصلى ، ثم بعد

(١) الظلم : ذكر النعام . (٢) كذا في ابن هشام . وفي ج : « وما إن تجور » .

(٣) في هامش ج : « الفرعل : صغير الضباع » . (٤) في أ : « إلى أن يقدوا » .

(٥) كذا في ج . وفي أ : « فيأتون » . (٦) هوى من الليل : ساعة منه ، أو نحو ذلك أو ربه .

ذلك لكل صلاة إقامة إقامة، وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات، وقال :
 « شغلونا عن الصلاة الوسطى - صلاة العصر - ملاء الله أجوافهم وقبورهم نارا » .
 ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعا حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل
 طمعا في الغزاة ، قال : وحُصِر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بضع عشرة
 ليلة . وقال ابن إسحاق : أقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر .

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن هلال بن حلاوة بن الأشجع^(١)
 ابن ريث بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني
 قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فسررتي بما شئت ، فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « إنما أنت فينا رجل واحد ، نخذل^(٢) عنا إن استطعت ، فإن الحرب
 خدعة » . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديما في الجاهلية ، فقال :
 يا بني قريظة ، قد عرفتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ،
 لست عندنا بمتهم ، فقال : إن قريشا وغطفان ليسوا كأتم ، البلد بلدكم ، به أموالكم
 وأبناؤكم ونسائكم ، لا تقسرون على أن تجلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان
 قد جاءوا لحرب مجد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونسائهم
 بغيره ، فليسوا كأتم ، فإن رأوا^(٣) نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم
 وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم^(٤) ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم
 حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ، ليكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم
 مجدا حتى تناجزوه ، قالوا : لقد أشرت علينا بالرأي . ثم خرج حتى أتى قريشا ،

(١) كذا في الأصول ، وفي أسد الغابة ، والإصابة . وفي ابن هشام : « خلاوة » . وجاءت الروايتان

في الطبرى . (٢) نخذل عنا أى ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا . (٣) النهزة :

انتهاز الشئ . وهو اختلاسه . (٤) فى أ : « بلادكم » . (٥) فى ج : « رهنا » .

فقال لأبي سفيان ومن معه : قد عرفتم ودي لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت منه على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم ، فاكتبوا عني ؛ قالوا : نفعنا ؛ فما هو ؟ قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين عهد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ [لك] من القبيلتين : قريش وغطفان ، رجالا من أشرفهم ، ونعطيكمهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من يبق منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا . ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أهل وعشيرة ، وأحب الناس إلي ، ولا أراكم تهتموني ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم ؛ قال : فاكتبوا عني ؛ قالوا : نفعنا . ثم قال لهم مثلما قال لقريش ، وحدّتهم ما حدّتهم . فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل ، في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز عهدا ، ونفرغ فيما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم عهدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز عهدا ، فلإنا نخشى إن ضرستكم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلادنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش

(١) ساقطة من أ . (٢) حذف نون الرفع هنا وهو جائز على قلة .

(٣) ضرستكم أي نالت منكم كما يصيب ذو الأضراس بأضراسه .

(٤) تنشمروا : أي تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم .

وَعَظْفَان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بني قريظة :
 إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فانخرجوا
 فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم
 ابن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن يقتلوا ، فإن رأوا فرصة آتتزوها ، وإن
 كان غير ذلك أنشَمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل . فأرسلوا إلى قريش
 وَعَظْفَان : إنا والله لا نقاتل معكم حتى تُعطينا رهنا . فأبوا عليهم ، وقال أبو سفيان :
 ألا أراي أستعين بإخوة القردة والخنزير ! فوقع الاختلاف والخذلان بينهم ،
 وبعث الله عز وجل عليهم ريحا في ليلة شاتية شديدة البرد ، فكفَّت القُدور
 وطرحت الأبنية .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع بينهم من الاختلاف أرسل
 حذيفة بن اليمان إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا . قال حذيفة : دعاني رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال : يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون
 ولا تُحدِثن شيئا . فذهبتُ فدخلتُ فيهم ، والريحُ وجنودُ الله تفعل بهم ما تفعل ،
 لا تُقر لهم قِدرا ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان فقال : يامعشر قريش ، لينظر
 أمرؤ من جليسه؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت :
 من أنت؟ فقال : فلان ابن فلان . ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش ، إنكم والله
 ما أصبحتم بدار مُقام ، ولقد هلك الكراع^(١) والخُف ، وأخلفنا بنو قريظة ، وبلغنا
 عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ماترون ، فأرتحلوا فإني مرتحل . ثم قام
 إلى جملته وهو معقول بجلس عليه ، ثم ضربه فوَّش به على ثلاث ، فما أطلق
 عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ألا أحدث شيئا

(١) الكراع : الخيل .

حتى آتته ، ثم لو شئت ، لقتلته بسهم . قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته الخبر . وسمعت غطفان ما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصرف راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح . وكان شعار المسلمين في غزوة الخندق (حم لا ينصرون) .

ولما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن الخندق قال لأصحابه : لن تغزواكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزوهم . فكان كذلك .^(٢)

قال ابن سعد : وكانت مدة الحصار خمس عشرة ليلة ، وأنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع ليال بقين من ذى القعدة سنة خمس . وقد ذكرنا ما قاله غيره في ذلك .

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة

الخندق ومن قُتل من المشركين

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى : واستشهد من المسلمين في غزوة الخندق أنس بن أوس بن عتيك من بني عبد الأشهل ، قتله خالد بن الوليد ، وعبد الله بن سهل الأشهلي ، وثعلبة بن عنمة بن عدى ، قتله هيرة بن أبي وهب ، وكعب بن زيد

(١) « لو » ساقطة من جـ وابن هشام ؛ وما أثبتناه عن أ .

(٢) حذف المؤلف نون الرفع من الفعل ، وهو جائز على قلة . وقال الدماميني : إنه شاذ . وقال في الجمع : لا يقاس عليه في الاختيار .

(٣) كذا في أسد الغابة ، والاشتباع ؛ والطبقات وفي كلا الأصلين : « سهيل » .

(١) من بنى دينار، قتله ضرار بن الخطاب . وسعد بن معاذ مات من جراحة بعد بنى قريظة، والطَّفِيل بن النعمان بن جُشم .

وقتل من المشركين أربعة نفر وهم : عثمان بن أمية بن مُنبه بن عبيد بن السباق من بنى عبد الدار بن قصي، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، وعمرو بن عبد ود، ويقال : وابنه حسُل بن عمرو، قتلها علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن في غزوة الخندق وما ورد في تفسير ذلك

أنزل الله عز وجل على رسوله — صلى الله عليه وسلم — في أمر الخندق والأحزاب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ قال أبو إسحاق أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله : قوله : « إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ » يعني الأحزاب : قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير . « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا » قال : وهى الصبا .^(٢) قال عكرمة : قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب : انطلقى بنصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال : إن الحرة لا تسرى بالليل ، وكانت الريح التى أرسلت

(١) روى حبان بن العرقعة سعد بن معاذ يوم الخندق بهم فقطع أكله ، فغشمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتفخت يده ونزفه الدم ، فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تخرج نفسى حتى تفر عينى فى بنى قريظة . فاستسك عرقه ، فاقطر قطرة حتى نزل بنو قريظة على حكمه ، وكان حكمه فيهم أن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبي نساؤهم وذريتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصبت حكم الله فيهم . فلما فرغ من قتلهم اتفقت عرقه فات رحمه الله .

(٢) الصبا : هى الريح الشرقية ، ويقال لها : القبول ، لأنها تقابل الشمال ، والشمال : الريح العقيم التى لا خير فيها . (٣) كذا فى الأصلين . وفى المواهب ج ٢ ص ١٤٦ : « إن الحرائر لا تهب بالليل » . وفى القرطبي ج ٤ ص ١٤٤ : « إن محوة لا تسرى بليل » ومحوة من أسماء الشمال ؛ لأنها تمحو السحاب وتذهب به .

عليهم الصّبا، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلِكَتُ عَادَ
بِالدَّبُورِ » . قوله : « وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا » هي الملائكة ، ولم تقاتل يومئذ ، قال
المفسرون : بعث الله تعالى عليهم بالليل ريحا باردة ، وبعث الملائكة فقلعت
الأوتاد ، وقطعت أطناب القساطيط ، وأطفأت النيران ، وأكفأت القدور ، وجالت
الخليل بعضها في بعض ، وأرسل الله عليهم الرعب ، وكثر تكبير الملائكة في جوانب
عسكرهم حتى كان سيد كلّ حتى يقول : يا بني فلان ، هلمّ [إلى] ، فإذا اجتمعوا
عنده قال : النّجاء النّجاء ، أَيْتَم . لما بعث الله عليهم من الرعب ، فانهمزوا من
غير قتال ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ قال : قوله : « إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ »
يعنى من فوق الوادى من قبل المشرق ، عليهم مالك بن عوف النّصرى ، وعيينة
أبن حصن الفزارى فى ألف من غطفان ، ومعهم طليحة بن خويلد الأسدى
فى بنى أسد ، وحجّ بن أخطب فى يهود بنى قريظة . « وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ » يعنى من
بطن الوادى من قبل المغرب ، وهو أبو سفيان بن حرب فى قريش ومن تبعه ،
وأبو الأعور السامى من قبل الخندق . وقال ابن إسحاق : الذين جاءوا من فوقهم
بنو قريظة ، والذين جاءوا من أسفل منهم قريش وغطفان . « وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ »
أى مالت وشخصت « وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ » زالت عن أماكنها حتى بلغت
الخلوق من الفرع . « وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا » قال : أما المنافقون فظنوا أن محمدا
صلى الله عليه وسلم وأصحابه سيُغلبون ويُستأصلون ، وأما المؤمنون فأيقنوا أن
ما وعدهم الله حق ، وأنه سيظهر دينه على الدين كلّ ولو كره المشركون .

٦٦

١٥

(١) ما بين القوسين ساقط من أ .

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ قال: أى اختبروا ومحصوا، يُعرَف المؤمن من المنافق «وزلزلوا»: حركوا وخوفوا «زلزالاً» تحريكاً «شديداً» .

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ قال: يعنى معتب بن قشير وأصحابه «والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شك وضعف اعتقاد . وقد قدمنا فى أخبار المنافقين ما تكلم به معتب بن قشير فى هذه الغزوة .

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّا يَرْيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ . «قالت طائفة منهم» أى من المنافقين ، وهم أوس بن قيطى وأصحابه ؛ قال مقاتل : هم بنو سالم . قال ابن عباس رضى الله عنهما : قالت اليهود لعبد الله بن أبى وأصحابه من المنافقين : ما الذى يجعلكم على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان وأصحابه ! فارجعوا إلى المدينة . «ويستأذن فريق منهم النبي» فى الرجوع إلى منازلهم بالمدينة ، وهم بنو حارثة بن الحارث «يقولون إن بيوتنا عورة» أى خالية ضائعة ، وهى مما يلى العدو، وإنا لنخشى عليها العدو والسراق ، قال : وقرأ ابن عباس وأبو رجاء العطاردي «عورة» بكسر الواو ، يعنى قصيرة الجدران فيها خلل وفرجة . وأخبر تعالى أنها ليست بعورة ، إن يريدون إلا الفرار .

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَاتَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ قال : لو دخل عليهم هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم المدينة «من أقطارها» جوانبها ونواحيها «ثم سُئِلُوا الْفِتْنَةَ» الشرك «لاتوَّاهَا» أى لجأوها وفعالوها ورجعوا عن الإسلام وكفروا «وما تَلَبَّسُوا» وما احتبسوا (١) «لاتوَّاهَا» من غير مدقراءة نافع ، وعليها تفسير المؤلف (أى لجأوها) .

عن الفتنة «إِلَّا يَسِيرًا» ولأسرعوا إلى الإجابة إليها طيبة بها أنفسهم، قال : هذا قول أكثر المفسرين .

وقال الحسن والفراء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى هلكوا .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْتُونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ

- ٥ . اللَّهُ مَسْئُولًا ﴾ قال : « عَاهِدُوا اللَّهَ » أى من قبل غزوة الخندق « لَا يُؤْتُونَ » عدوهم « الْأَدْبَارَ » قال يزيد بن رومان : هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بنى سلمة ، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ألا يعودوا لمثلها ، فذكر الله لهم الذى أعطوه من أنفسهم .

وقال قتادة : هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ، ورأوا ما أعطى الله تعالى

- ١٠ . أهل بدر من الكرامة والفضيلة ، فقالوا : ائتمننا الله قتالا لنقاتلن . فساق الله تعالى ذلك إليهم فى ناحية المدينة .

وقال مقاتل والكلبي : هم السبعون رجلا الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه

وسلم ليلة العقبة وقالوا له : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ؛ فقال النبي صلى الله

عليه وسلم : « اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، واشترط لنفسى أن تمنعوني

- ١٥ . مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وأموالكم » . قالوا : فإذا فعلنا ذلك فمالنا يا رسول الله ؟ قال : « لكم النصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة » . قالوا : قد فعلنا . فذلك عهدهم ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ أى عنه .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا

لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١) قال : أى الذى كتب عليكم ^(٢) « وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا »

- ٢٠ . إلى آجالكم ، والدنيا كلها قليل .

(١) فى ١ : « قل » . (٢) كذا فى كلا الأصلين . وفى الكشف والبيان ما بأتى :

« قل لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ » الذى كتب عليكم .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ أى نصرته ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال : « الْمُعَوِّقِينَ » المشبطين منكم للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا » ودعوا مجدا فلا تشهدوا معه الحرب فإننا نخاف عليكم الهلاك « وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ » الحرب « إِلَّا قَلِيلًا » دفعا وتعذيرا .

قال قتادة : هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم : ما مجد وأصحابه إلا أكلة رأس^(١) ، ولو كانوا لحما لآتهمهم أبو سفيان وأصحابه ، دعوا هذا الرجل فإنه هالك . وقال مقاتل : نزلت في المنافقين ، وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين وقالوا : ما الذى يجملكم على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان ومن معه ! فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا ، وإنا لنُشْفِقُ عليكم ، أتم إخواننا وجيراننا ، هلمَّ إِلَيْنَا . فأقبل عبد الله بن أبى وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبى سفيان ومن معه ، وقالوا : ما ترجون من مجد؟ فوالله ما يرفدنا بخير ، وما عنده خير ، ما هو إلا [أن] يقتلنا هاهنا ، انطلقوا إلى إخواننا وأصحابنا . يعنى اليهود ، فلم يزد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانا واحتسابا .

وقال ابن زيد : لما كان يوم الأحزاب انطلق رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد أخاه ، بين يديه شواء ورغيف ونبيذ ، فقال : أنت هاهنا فى الشواء والرغيف والنبيذ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف ! فقال : هلم إلى هذا ، والذى يحلف به لا يستقبلها مجد أبدا ، فقال : كذبت والذى

(١) أكلة رأس : أى هم قليل يشبعهم رأس واحد . شرح القاموس (مادة أكل) .

(٢) يرفدنا : يعيننا . (٣) تكلمة من الكشف والبيان . (٤) فى أ : « يزد » .

يُخالف به — وكان أخاه من أبيه وأمه — أما والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم أمرك . فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجده قد نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية .

قوله تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَىٰ الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرًا ۝ قَالَ: «أَشِحَّةً» بخلاء «عَلَيْكُمْ» بالخير والنفقة في سبيل الله ، وصفهم الله تعالى بالجبن والبخل «فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ» في رءوسهم من الخوف والجبن ، أى كدوران [أعين ^(١)] الذى يُغشى عليه من الموت «فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ» أى عضوكم ورموكم بالسنة حداد ذرية ، وأصل السلق : الضرب .
قال قتادة : يعنى بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسم الغنيمة ، يقولون : أعطونا أعطونا ، فإننا قد شهدنا معكم القتال ، ولستم بأحق بالغنيمة منا ؛ وأما عند الغنيمة فاشح قوم وأسوأ مقاسمة ، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق . «أَشِحَّةً عَلَىٰ الْخَيْرِ» يعنى الغنيمة «أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا» .

قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ يعنى هؤلاء يحسبون الجماعات لم ينصرفوا عن قتالهم ، وقد انصرفوا جُبنا منهم وفرقا ﴿ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ ﴾ أى يرجعوا إليهم كرة ثانية ﴿ يُوَدُّوا ﴾ من الخوف والجبن ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا ﴾ أى خارجون إلى البادية ﴿ فِي الْأَعْرَابِ ﴾ أى معهم ﴿ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ﴾ أى يسأل بعضهم بعضا عن أخباركم ، وما آل إليه أمركم ﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ يعنى رياء من غير حسبة ، ولو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا .

(١) ساقطة من ١ . (٢) كذا في الكشف والبيان : والذي في الأصول «ذرية» وهو تصحيف .

ثم قال تعالى مشيراً إلى المؤمنين: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا . وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ قال : قوله : « أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » أى سنةً صالحَةً ، [أن ^(١)] تنصروه وتوازره ، ولا تتخلفوا عنه ، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه وعن مكان نصرته كما فعل هو ، إذ كُسرَت رِباعيته وجرح ، وقُتِلَ عمه حمزة ، وأُوذِيَ بضروب الأذى ، فوأساكم مع ذلك بنفسه ، فافعلوا أتم أيضاً كذلك ، واستنوا ^(٢) بسنته « لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » أى فى الرخاء والبلاء ، ثم ذكر المؤمنين بوعود الله تعالى ، فقال : « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ » الآية ، قال : ووعَدَ اللهُ إياهم قوله : « أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبًا » والبأساء والضراء وُزِّلُوا حتى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ الْآلِ إِن نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ » .

٦٨
١٥

قوله تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلًا﴾ قال : قوله : « صَدَقُوا » أى وفوا به . « فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ » يعنى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد . والنجب : النذر ، والنجب أيضاً : الموت ، قال ذو الرمة :
عَشِيَّةَ فَرِّ الْحَارِثِيِّونَ بَعْدَ مَا قَضَىٰ نَجْبَهُ فِي مَلْتَقَى الْقَوْمِ هَوْبِرِ ^(٣)

(١) زيادة عن الكشف والبيان .

(٢) فى ١ : « استنوا » ، وهو تحريف .

(٣) ساقطة من ١ . قال ابن هشام : « هو بر من » بنى الحارث بن كعب ، أراد : يزيد

ابن هوبر .

أى مات ، قال مقاتل : قضى نحبه ، أى أجله ، فقتل على الوفاء ، يعنى حمزة وأصحابه الذين أسْتَشْهِدُوا بِأَحَدٍ ، رضوان الله عليهم . وقيل : قضى نحبه ، أى بذل جهده فى الوفاء بعهده ، من قول العرب : نَحَبَ فلان فى سيره يومه وليلته ؛ إذا مَدَّ فلم ينزل ، قال جرير :

بِطَخْفَةٍ جَالِدْنَا الْمَلُوكَ وَخَيْلَنَا
عَشِيَّةَ بَسْطَامِ جَرِينٍ عَلَى نَحْبِ^(١)

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ » قال ابن إسحاق : ينتظر ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على [ما] مضى عليه أصحابه . « وما بدّلوا تبديلاً » أى ما شكّوا وما تردّدوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره .

ثم قال تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ يعنى قريشا وغطفان ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ أى بالملائكة والريح ﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ ، وبيده الفضل والمنة .

ذكر غزوة بنى قريظة

غزاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة سنة خمس من مهاجره .

وقال ابن إسحاق : فى سؤال منها .

قال محمد بن إسحاق ، ومحمد بن سعد ، دخل حديث بمضمهما فى بعض ، قال :

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق إلى المدينة هو والمسلمون ،

(١) طخفة بكسر الطاء وفتحها : جبل أحمر طويل حذاءه آبار ومنزل ، قال صاحب اللسان :

« ويقال : جرير على نذر » . (٢) لم تذكر فى ج .

ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريل^(١) — عليه السلام — النبي صلى الله عليه
 وسلم معتجرا بعمامة من استبرق، على بغلة عليها رحالة^(٢) عليها قطيفة من ديباج، فقال:
 أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم؛ قال جبريل: فما وضعت الملائكة
 السلاح بعد، وما رجعت إلا من طلب القوم: إن الله عز وجل يأمرك يا محمد
 بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فززل بهم. فأمر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بلالا فأذن في الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ألا تصلوا
 العصر إلا في بني قريظة. واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ودعا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم علياً، فأعطاه لواءه، وقدمه إلى بني قريظة، فسار [على] حتى
 إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع
 حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك
 ألا تدنو من هؤلاء الأخابث؟ قال: أظنك سمعت منهم لى أذى؟ قال: نعم
 يا رسول الله؛ قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً. فلما دنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من حصونهم قال لهم: يا إخوان القردة، هل أنزلكم الله وأنزل بكم نعمته؟
 قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً. ثم نزل صلى الله عليه وسلم على بئر من آبار
 بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها: بئر أنا؛ ويقال: بئر أنى؛ وتلاحق به الناس،
 فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة لم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه

(١) الاعتجار بالعمامة: هو أن يلفها الرجل على راحته ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئاً
 تحت ذقنه. (٢) الرحالة: مرج من جلود لا خشب فيها تتخذ للركض الشديد.
 (٣) في ج: «بالسير». (٤) ساقطة من أ.
 (٥) كذا ضبط في سيرة ابن هشام، وفي شرح المواهب اللدنية أفعال في ضبطه (انظر المواهب
 ٢: ١٥٤). (٦) في أ: «عشاء».

وسلم . لا يصلين أحد العصر إلا بنى قريظة . فشغلهم ما لم يكن منه بد في حربهم وأبوا أن يصلوا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتوا بنى قريظة ، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة ، وتخوف ناس فوت الصلاة فصلوا ، فما عَنف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من الفريقين ، ولا عابهم الله تعالى في كتابه .

قال : وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في المسلمين ، وهم ثلاثة آلاف .
والخيل ستة وثلاثون فرسا ، فحاصروهم خمسة عشر يوما . قاله ابن سعد .

٦٩
١٥

وقال ابن إسحاق : نحسا وعشرين ليلة أشد حصار حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب . وكان حُيَّ بن أخطب دخل مع بنى قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد ، فلما أيقنوا أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم :
يا معشر يهود ، قد نزل بكم ما ترون ، وإني عارض عليكم خلا لا ثلاثا ، نخذوا أيها شتمتم ، قالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل [^(١)] و [نصدقه ، فوالله لقد تبين

لكم أنه نبي مرسل ، وأنه الذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ؛ قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره ؛

قال : فإذا أبيتهم هذه فهلهم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نُخرج إلى مجد وأصحابه رجلا مُصلتين السيوف ، لم تترك وراءنا ثِقلا حتى يحكم الله بيننا وبينه ، فإن نهلك نهلك ولم تترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن نَظَهَرُ فلعمري لنجدت النساء والأبناء ؛ قالوا :

نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش ^(٢) بعدهم ؟ قال : فإذا أبيتهم على هذه فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون مجد وأصحابه قد أمنوا فيها ، فأزلوا لعلنا

نصيب من مجد وأصحابه غيرة ؛ قالوا : تفسد علينا سبتنا ، وتحدث فيه ما لم يُحدث

(١) سافطة من أ . (٢) في أ : « خير في العيش » .

من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يتخف عليك من المسخ ، قال : ما بات
منكم رجل منذ ولدته أمه ليلة [واحدة] من الدهر حازما . ثم بعثوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن أبعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا ، فأرسله
إليهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان ليكون في وجهه ،
فرق لهم وقالوا له : يا أبا لبابة ، أترى أن نزل على حكم محمد؟ قال : نعم . وأشار
بيده إلى حلقه ، أي إنه الذبح ، قال أبو لبابة : فوالله ما زلت قدماي من مكانهما
حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله . ثم أنطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده ، وقال :
لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي . قال : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
خبره وكان قد استبطأه قال : أما لو كان جاني لأستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل
فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه . فأنزل الله تعالى فيه : « وَأَخْرُوجَ
اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ » . قالت أم سلمة رضي الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من السحر وهو يضحك ، فقلت : مم تضحك أضحك الله سنك يا رسول الله ؟ .
قال : تيب على أبي لبابة . قالت : فقلت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال :
بلى ، إن شئت . فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ،
فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه
فقال : لا والله ، حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده ، فلما مر عليه خارجا
إلى صلاة الصبح أطلقه .

(١) ساقطة من أ . (٢) اختار بنو قريظة أبا لبابة لأن ماله وولده وعياله فيهم .
(٣) جهش : فزع وأسرع . (٤) كذا في الأصول . وفي ابن هشام والمواهب اللدنية
والطبرى : « ما زالت » .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطا في الخدع ست ليال ، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة ، فتحله للصلاة ، ثم تعود فتربطه .

هذا ما كان من أمر أبي لبابة ، وأما يهود فإن ثعلبة بن سَعِيَةَ ، وأُسَيْدَ بْنَ سَعِيَةَ ، وأُسَدَ بْنَ عَيْبِدَ ، وهم نفر من هَدَل ، قال ابن إسحاق : ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا في الليلة التي نزل بنو قريظة في صبيحتها على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج تلك الليلة عمرو بن سُعدى القرظي فمرّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سُعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبدا - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمي عثرات الكرام ؛ ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه ، فلم يدّر أين توجه من الأرض إلى آخر الدهر ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ذاك رجل نجّاه الله بوفائه ؛ ومنهم من يزعم أنه أوثق . والله أعلم .

ذكر نزول بني قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وسؤال الأوس فيهم ؛ وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم

بحكم الله تعالى وقتلهم

قال : ولما أصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت

(١) كذا في ابن هشام ، والمواهب اللدنية ، والاستيعاب ، والطبرى . وفي الأصول : «أسعد» .

(٢) كذا في الأصول : وفي بعض نسخ ابن هشام : «إقالة عثرات الكرام» .

في موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت . يعنون بنى قينقاع لما أطلقهم صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي^(٢) بن سلول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فذاك سعد بن معاذ . وكان سعد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها : ربيعة ، كانت تداوى الجرحى محتسبة ، فأناه قومه فحملوه على حمار ، ووطئوا له بوسادة من آدم ، ثم أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون له : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما و^(٣)لاك ذلك لتحسن فيهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : لقد أتى لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه [من قومه] إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل إليهم سعد ، لكلمته التي سمع منه ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قوموا إلى سيدكم " . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ؛ والأنصار يقولون : قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد و^(٤)لاك أمر مواليك لتحكم فيهم ؛ فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أت الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم ؛ قال : وعلى من ها هنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال سعد :

(١) في ١ : « أطلقهم رسول الله » . (٢) في ١ : « أبي سلول » . (٣) في ١ : « وليك »

(٤) ساقطة من ١ . (٥) الذراري : الأولاد الذين لم يبلغوا الحلم .

له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .^(١)
 أى من فوق سبع سموات ، ويقال : إن اليهود سألو أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ .
 والله تعالى أعلم .

- قال : ثم آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم الخميس لسبع
 خلون من ذى الحجة ، وأمر بهم فأدخلوا المدينة^(٢) ، فخبسهم في دار بنت الحارث
 امرأة من بنى النجار ، ثم نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ،
 فخر بها خنصادق ، وجلس هو وأصحابه وبعث إليهم فأخرجوا إليه^(٣) أرسالا ،
 فضربت أعناقهم ، وفيهم حبي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، واختلف في عددهم
 فقيل : كانوا ستمائة أو سبعمائة . وقيل : بين الثمانمائة والتسعمائة ؛ قال : وقالوا
 لكعب بن أسد ، وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا :
 يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفي كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعي
 لا ينزع ، وأنه من ذهب [به]^(٤) منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! قال : وأتى يحيى
 ابن أخطب ، وعليه حلة [له]^(٥) ففأحياه قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة ،
 لئلا يسلبها ، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال : أما والله ما ملت نفسي في عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل

(١) سبعة أرقعة : قال ابن دريد : أرقعة : (جمع رقع) بذكر العدد على معنى السقف ، إذ السماء
 مؤنث سماعي فقياسه سبع أرقعة بتأنيث العدد . وصيبت السماء رقيعا لأن بعضها كان يرقع بعضها . وبعضهم
 يجعل الرقع السماء الدنيا لاغير ، وكأنها رقت بالنجوم .

(٢) في أ : « فأدخلهم » . (٣) أرسالا : أفواجا وفرقا .

(٤) ساقطة من أ . (٥) ساقطة من أ . (٦) ففأحياه : أى بلون الورد حين هم
 أن يتفتح . وفي الأصل : « ففأحياه » وهو يحرف .

على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ومأجمة كتبت
على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبيل بن جوال التعلبي :
لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه * ولكنه من يخذل الله يُخذل
لجأهد حتى أبلغ النفس عُذرها * ^(١) وقلقل يبغي العز كل مقلقل

وروى محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت :
لم يُقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندي تحدث معي ،
وتضحك ظهرا وبطنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق ،
إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ؛ قلت لها : ويلك !
مالك ؟ قالت : أقتل ؛ قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ؛ قالت : فانطلق
بها ، فضربت عنقها ، فكانت عائشة تقول : والله ما أنسى عجبا منها ، طيب نفسها ،
وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل . قال الواقدي : واسم تلك المرأة : ^(٢) بنانة
امرأة الحكم القرظي ؛ وكانت قتلت خلاد بن سويد ، طرحت عليه رحي ، فضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقها بخلاد بن سويد . قال : وكان علي بن أبي طالب
والزبير بن العوام رضي الله عنهما يضربان أعناق بني قريظة ، ورسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس هناك .

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي ، وكان يكنى
أبا عبد الرحمن — وكان قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية [يوم بعثت]
أخذه بفز ناصيته ثم خلى سبيله — بجاءه ثابت يوم قريظة ، وهو شيخ كبير فقال :

(١) قلقل : تحرك . (٢) في ١ : « ضرب » .

(٣) كذا في الطبري ، والاستيعاب ، والقرظي ، وأسد الغابة . وفي الأصول : « رمانة » .

(٤) ساقط من ١ . (٥) في ١ : « بخا » .

- يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ فقال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: إني قد
 أن أن أجزيك بيدك عندي؟ قال: إن الكريم يحزى الكريم؛ ثم أتى ثابت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، قد كانت للزبير عندي يد،
 وله على منة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه؟ فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم: هو لك؟ فأناه فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي
 دمك؟ قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أهله وولده؟ قال: هم لك. فأناه فقال:
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني امرأتك وولدك، فهم لك؟ قال:
 أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ماله؟ فقال: هو لك؟ فأناه فقال: إن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قد أعطاني مالك فهو لك؟ قال: أي ثابت، ما فعل الذي كأت وجهه
 امرأة صينية يترأى فيه عذارى الحى^(١)، كعب بن أسد؟ قال: قتل؟ قال: فما فعل
 سيد الحاضر والبادى حبي^(٢) بن أخطب؟ قال: قتل؟ قال: فما فعل مقدمتنا إذا
 شددنا، وحاميتنا إذا كررنا، عزال^(٣) بن سمول^(٣)؟ قال: قتل؟ قال: فما فعل
 المجلسان؟ يعنى بنى كعب بن قريظة، وبنى عمرو بن قريظة؟ قال: ذهبوا وقتلوا؟
 قال: فإني أسألك بيدى عندك يا ثابت إلا ألحقتنى بالقوم، فوالله ما فى العيش^(٤)

(١) فى سيرة ابن هشام: « فيها » .

(٢) كذا فى ج، والطبرى . وفى أ، وفى هامش ج: « قدرنا » وفى ابن هشام: « فررا » .

(٣) كذا فى إمتاع الأسماع، وفى سيرة ابن هشام . وفى الأصل: « سمول » وقد ذكر فى الطبرى

بروايات مختلفة، راجع القسم الأول ٣، ٤ ص ١٤٩٦ .

(٤) كذا فى ج، وسيرة ابن هشام . وفى أ: « بيدك عندي » .

بعد هؤلاء من خير، وما أنا بصابر لله قبلة^(١) دلو ناضح حتى ألقى الأحبة . فقدمه
ثابت فضرب عنقه . فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألقى الأحبة » قال : يلقاهم
والله في نار جهنم خالدًا فيها مخلدًا أبدًا .

وفي هذه الواقعة يقول ثابت بن قيس :

وَقَتَّ ذِمْتِي أَنِّي كَرِيمٌ وَأُنِّي * صبور إذا ما القوم حادوا عن الصبر^(٢)
وكان زبيرٌ أعظمَ الناسِ مِنَّةً * على فلما شُدَّ كُوعاه بالأسر^(٣)
أتيت رسولَ الله كما أفكته * وكان رسول الله بحرا لنا يجرى

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من أنبت منهم ، فسألته
سلمى بنت قيس بن المنذر أخت سليل بن قيس — وكانت إحدى خالات
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قد صلت معه القبليتين ، وبايعته بيعة
النساء — على رفاعة بن سموع القرظي ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفها ،
فقالت : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، هب لي رفاعة بن سموع ، فإنه قد زعم أنه
سيصلي ويا كل لحم الجمل . فوهبه لها ، فاستحيته .

قال : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم بخمعت ، فأصطفى لنفسه
ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء عمرو بن قريظة ، ثم أخرج الخمس من

(١) قبلة دلو ، أي بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصفا في الحوض ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكون
إلا عن استعجال وسرعة . وذكر أبو عبيد الحديث فقال : « قال الزبير : يا ثابت ، ألقى بهم ،
فلست صابرا عنهم إفراغة دلو » .

(٢) في أ : « عادوا » .

(٣) كذا في ج . وفي أ : « كوعاه » .

المتاع والسبي ، ثم أمر بالباقي فبيع فيمن يزيد وقسمه بين المسلمين ، وكانت السهمان على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهما ، للفارس سهمان ، ولصاحبه سهم ، وصار الخمس إلى محمبة بن جزة الزبيدي ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتق منه ، ويهب ، ويخدم منه من أراد ، وكذلك صنع بما صار إليه من الرثة ، وهي السقط من متاع البيت .

وقال محمد بن إسحاق : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري أحد بني عبد الأشهل بسبأيا من سبأيا بنى قريظة إلى نجد ، فأبتاع له بهم خيلا وسلاحا .

وأسْتُشهد يوم بنى قريظة من المسلمين : خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي ، طرحت عليه رعي فشدخته شدا شديدا ، ومات أبو سنان ابن محصن بن حرثان ، أخو بني أسد بن خزيمة .

٧٢
١٥

وأُنزل الله عز وجل في شأن بنى قريظة قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ قال : قوله : « الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ » يعني قريظة ظاهروا قريشا وغطفان « مِنْ صَيَاصِيهِمْ » أي حصونهم ومعقلهم ، واحدها صيصية « وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ » وهم الرجال « وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا » وهم النساء والذراري « وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها » قال يزيد بن رومان [وابن]

(١) كان من مهاجرة الحبشة ، فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأخماس .
(٢) ساقطة من أ .

زيد ومقاتل : يعنى خيبر . وقال قتادة : كنا نحدث أنها مكة . وقال الحسن :
فارس والروم . وقال عكرمة : كل أرض تفتح إلى يوم القيامة . والله تعالى أعلم .

ذكر سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع سلام

أبن أبي الحقيق النضرى بنخيير

قال محمد بن سعد في طبقاته : كانت في شهر رمضان سنة ست من مهاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن إسحاق : كانت هذه السرية بعد غزوة بنى قريظة . فتكون
في ذى الحجة سنة خمس من الهجرة ، وهو الصحيح إن شاء الله ، ويدل عليه أن
محمد بن سعد لما ذكر عبد الله بن عتيك في الطبقات قال في ترجمته : إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثه في ذى الحجة سنة خمس إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق بنخيير .

قال محمد بن إسحاق : لما أصابت الأوس كعب بن الأشرف قالت الخزرج :
والله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا . فتذاكروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق ، فاستأذنوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم ، فخرج إليه من الخزرج خمسة نفر ، وهم : عبد الله
ابن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربيعي ،
ونخراعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم .

قالوا : وكان أبو رافع بن أبي الحقيق قد أجلب في غطفان ومن حوله
من مشركي العرب ، وجعل لهم الجعل العظيم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) كذا في الأصول ، وفي ابن هشام . وفي الطبقات : « الأسود بن نزعى » .

(٢) كذا في ج ، وطبقات ابن سعد . وفي أ : « قال » .

- فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليدا
أو امرأة ، فخرجوا حتى قدموا خيبر فكننوا ، فلما هدأت الرجل جاءوا إلى منزله
فصعدوا درجة له ، وقدموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهودية ، فاستفتح
وقال : جئت أبا رافع بهدية . ففتحت له امرأته ، فلما رأت السلاح أرادت
أن تصيح ، فأشار إليها بالسيف فسكنت ، فدخلوا عليه فَعَلَوْهُ بِسِيفِهِمْ ، قال
ابن أنيس : وكنت رجلا أعشى لا أبصر ، فاتكأت بسيفي على بطنه حتى سمعت خشه
في الفراش ، وعرفت أنه [قد] قضى ، وجعل القوم يضربونه جميعا ، ثم نزلوا
وصاحت امرأته ، فتصايح أهل الدار . قال ابن إسحاق : وكان عبد الله بن [عتيك]
سيئ البصر ، فوقع من الدرجة فوثقت يده وثنا شديدا ، قال ابن هشام : ويقال :
رجله ؛ قالوا : خملناه حتى أتينا منبرا من عيونهم — والمناهر ؛ واحدتها منهرة ، وهو
فضاء يكون بين أفنية القوم يلقون فيها ككاستهم — فدخلنا فيه .

- قال محمد بن سعد : وخرج الحارث أبو زينب في ثلاثة آلاف في آثارهم
يطلبونهم بالنيران ، فلم يروهم ، فرجعوا ، ومكث القوم في مكانهم يومين حتى سكن
الطلب . قال ابن إسحاق : فقلنا : فكيف لنا أن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ فقال
رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس ، فوجده ورجال
من يهود حوله ، وامراته في يدها مصباح تنظر في وجهه وتحادثهم وتقول : أما
والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكذبت [نفسي] وقلت : ابن عتيك بهذه البلاد !

(١) كذا في ج . وفي أ : « فعلوه بسيفهم وهو تصحيف » . (٢) ساقطة من أ .

(٣) في الأصول : « عبد الله بن أنيس » . والصواب من ابن هشام ، وأسد الغابة ، والمواهب

اللدنية ، والطبرى .

(٤) الوث : صدع يصيب اللحم ولا يبلغ العظم فيرم ، وقيل : هو توجع في العظم من غير كسر .

(٥) تكلمة من ابن هشام .

ثم أقبلت تنظر في وجهه وتقول^(١) : فاط^(٢) وإله يهود . قال : فما سمعت كلمة كانت
الذ في نفسى منها ، وجاء فأخبرهم بالخبر ، قالوا : فاحتملنا صاحبنا ، وقدمنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده في قتله ،
كلنا يدعيه ، فقال : هاتوا أسيافكم . فجئناه بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله
ابن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

٧٣
١٥

قال الشيخ شرف الدين [عبد المؤمن]^(٣) بن خلف الدمياطى رحمه الله في سيرته :
وفي حديث آخر أن الذى قتله عبد الله بن عتيك وحده ، قال : وهو الصواب .
والله أعلم .

وقال حسان بن ثابت الأنصارى في قتل سلام بن أبى الحقيق وابن

الأشرف :

لله ذر عصابة لاقيتهم وابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم مرحا كأسد في عرين معرف^(٤)
حتى أتوكم في محل دياركم فسقوكم حنفا بيض ذفف^(٥)
مستنصرين لنصر دين نبيهم^(٦) مستنصرين لكل أمر مجحف^(٧)

(١) في ج : « ثم قالت » . (٢) فاط : مات .

(٣) تكلة من ج .

(٤) في رواية : « بالبيض الرقاق » يعنى السيوف . مرحا : نشاطا . عرين معرف : قال أبو ذر

الحشنى في شرح السيرة ج ٢ ص ٣٢٦ : « العرين : غابة الأسد . ومعرف ملثف الأعصان » .

(٥) ذفف : سرية القتل .

(٦) في ديوان حسان : « مستنصرين » .

(٧) ومجحف : ذاهب بالنفوس والأموال .

ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء ، وهم بنو قُرط

وقرَيْط من بني كلاب

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر خلون من المحرم ، على رأس تسعة
ونخسين شهرا من مهاجره في ثلاثين راكبا إلى القرطاء ^(١) ، وهم يتزلون بناحية ضرية ^(٢)
وبين ضرية والمدينة سبع ليال ، فقتل نفرا منهم ، وهرب سائرهم ، واستاق نعما
وشاء ، ولم يعرض للقطع ، وانحدر إلى المدينة ، فخمس رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما جاء به ، وقض ما بقى على أصحابه ، فعدلوا الجزور بعشرين من الغنم ، وكانت
الغنم مائة ونخسين بعيرا ، والغنم ثلاثة آلاف شاة . وغاب سبع عشرة ليلة ، وقدم
لليلة بقيت من المحرم .

ذكر غزوة بني لحيان بناحية عسفان ^(٣)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست من
مهاجره على ما أورده محمد بن سعد . وقال محمد بن إسحاق : في جمادى الأولى
سنة ست .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على عاصم بن ثابت وأصحابه

— أصحاب الرجيع — وجدا شديدا ، فأظهر أنه يريد الشام .

قال ابن سعد : وعسكر لغزوة هلال شهر ربيع الأول في مائتي رجل ، معهم
عشرون فرسا ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم أسرع المسير حتى
انتهى إلى بطن غران ، وبينها وبين عسفان خمسة أميال ، حيث كان مصاب

(١) كذا ضبطه صاحب المواهب اللدنية ، وانظر ج ٢ : ١٧٣

(٢) ضرية : قرية لبني كلاب على طريق البصرة إلى مكة ، وهي إلى مكة أقرب .

(٣) عسفان : على مرحلتين من مكة على طريق المدينة .

أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت [بهم]^(١) بنو لحيان، فهربوا في رءوس^(٢) الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوما أو يومين، فبعث السرايا في كل ناحية، فلم يقدرها على أحد، ثم خرج حتى أتى عسفان، ثم انصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وهو يقول: "آيون تائبون عابدون، لربنا حامدون، أعوذ بالله من وءاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال". وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة.

ذكر غزوة الغابة، وهي غزوة ذى قرد^(٣)

وهي على بريد من المدينة في طريق الشام

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست من

مهاجرة .

قالوا : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقة^(٤) ترعى بالغابة، وكان أبو ذر فيها، فأغار عيينة بن حصن ليلة الأربعاء في أربعين فارسا فأستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر .

وقال محمد بن إسحاق : وكان فيهم رجل من غفار وامرأة [له]^(٥)، فقتلوا الرجل

وحملوا المرأة [في اللقاح]^(٥) . وجاء الصريح ، فنودي : الفرع الفرع ! فنودي :

(١) ساقطة من أ .

(٢) في أ : « فهربت » .

(٣) قرد : بفتح القاف والراء، وحكى الضم فيها، وحكى ضم أوله وفتح ثانيه .

(٤) اللقحة : الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة .

(٥) زيادة عن ابن هشام .

«ياخيل الله اركبي» ؛ وكان أول مانودي بها ؛ وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 نخرج غداة الأربعاء ، فكان أول من أقدم المقداد بن عمرو ، وعليه الدرع والمغفر
 شاهرا سيفه ، فعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء في رحمه ، وقال : امض
 حتى تلتحقك الخيول ، وأنا على أثرك . واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، وحلف سعد بن عبادة في ثلثمائة من قومه
 يحرسون المدينة . قال المقداد : نخرجت فأدركت أنحريات العدو ، وقد قتل
 أبو قتادة الحارث بن ربعي حبيب بن عيينة بن حصن ، وغشاه برده ، فلما أقبل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، فأوا حبيبا مسجى يرد أبي قتادة [فاسترجع^(٢)
 الناس ، وقالوا : قتل أبو قتادة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس
 بأبي قتادة] ، ولكنه قتل لأبي قتادة وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه .
 وقال ابن سعد : إن الذي قتل حبيبا هو المقداد بن عمرو ، قتله وقتل قرفة بن^(٣)
 مالك بن حذيفة بن بدر ؛ وإن أبا قتادة قتل مسعدة ، فأعطاه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فرسه وسلاحه ، وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار ،
 وهما على بعير واحد ، فقتلها . واستشهد من المسلمين يومئذ مخزوم بن فضالة ، قتله
 مسعدة ، وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجله ، فجعل يراميمهم بالنبل^(٥)
 ويقول :

خذا وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع^(٦)

(١) مسجى : مغطى . (٢) ما بين الفوسين ساقط من أ . (٣) كذا في ابن سعد ،
 والمواهب اللدنية ، والطبري . وفي الأصل : « قرة » . (٤) في ابن سعد : « آثار » . بضم
 الهمزة . (٥) كان شجاعا راميا يسبق الفرس ، وما كذب قط . (٦) يوم الرضع : يعني يوم
 هلاك اللثام ، من قولهم : لثيم راضع ، أى رضع اللثم في بطن أمه . وقيل : معناه اليوم يعرف من ارتضعت
 الحرب من صفه وتدرج بها ، ويعرف غيره . راجع المواهب ج ٢ : ص ١٨٢ .

حتى انتهى إلى ذى قرد — وهي ناحية خير مما يلي المُستناخ — قال سلامة : فلحقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس والخيول عشاء ، فقلت : يا رسول الله ، إن القوم عطاش ، فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في أيديهم من السرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «ملككت فأصبح»^(١) ، ثم قال : «لأنهم الآن ليقرون في غطفان»^(٢) . وذهب الصريح إلى بنى عمرو بن عوف ، بغوات الأمداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد ، فاستنقذوا عشر لقاح ، وأفلت القوم بما بقي ، وهي عشرة ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد صلاة الخوف ، وأقام يوما وليلة يتحسس الخبر ، وقسم في كل مائة من أصحابه جزورا يخرونها ، وكانوا نحمانة ، وقيل : سبعمائة .

ذكر سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الغمر

غمر مرزوق ، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيء^(٤)

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن إلى الغمر في أربعين رجلا ، فخرج سريعا ، فنذر به القوم فهربوا ، فتلوا عليا بلادهم ، ووجدوا دارهم خلوفا ، فبعث عكاشة شجاع بن وهب طليعة ، فرأى أثر النعم ، فتحملوا فأصابوا ربيعة

(١) السرح : المال السائم المرسل في المرعى . (٢) ملكت فأصبح ، أى قدرت عليهم فارتق وأحسن العفو . (٣) ليقرون : بفتح الراء وضمة من القرى ، وهى الضيافة . وقيل : معنى ضم الراء أنهم يجعون الماء واللين . (المواهب ٢ : ١٨٣) .

(٤) فى الأصول ، وكذا فى المواهب : « غمر مرزوق » . وما أثبتناه عن الطبقات وفى معجم البلدان : غمرة ، فقد جاء فيه ما نصه : « وقال ابن الفقيه : غمرة من أعمال المدينة على طريق نجد ، أغزاها النبي صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن » .

(٥) نذر : علم . (٦) أى أصحاب ديارهم غائبين .

(٧) ربيعة : طليعة .

لهم ، فأمنوه ، فدّهم على أعمّ لبني عمّ له ، فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير ، وأرسلوا الرجل ، وحدّروا^(١) النعم إلى المدينة ، وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا .

ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة بذي القصة

- قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة ، وهم بذي القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجرة ، وبين ذى القصة وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا ، طريق الرّبدة ، بعثه في عشرة نفر فوردوا عليهم [ليلا] فأحرق به القوم وهم مائة رجل ، فتراموا ساعة من الليل ، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم ، ووقع محمد بن مسلمة جريحا ، يُضرب كعبه فلا يتحرك ، وجردهم من الثياب ، ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلا إلى مصارع القوم فلم يجدوا أحدا ، ووجدوا نعاما وشاء ، فساقه ورجع .

ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة

- بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجرة في أربعين رجلا من المسلمين ، وسبب ذلك أن بلاد بني ثعلبة وأنمار أجديت ، ووقعت سخابة بالمرّاض إلى تغلمين ، والمرّاض على ستة وثلاثين ميلا من المدينة ، فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى تلك السخابة ، واجتمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى بهيفا — موضع على سبعة أميال من المدينة — فبعث رسول الله

٧٥
١٥

(١) حدروا : ساقوا . وفي أ : « قدروا » . وهو تحريف .

(٢) ساقطة من أ

صلى الله عليه وسلم أبا عبدة ومن معه حين صلّوا المغرب ، فمشوا ليلتهم حتى واقوا
 ذا القصة مع عمّاية الصبح ^(١) — وهى موضع في طريق العراق — فأغاروا عليهم ^(٢)
 فأعجزوهم هربا في الجبال ، وأصاب رجلا واحدا فأسلم فتركه ، وأخذ نعا من نعمهم ^(٣)
 فاستاقه وريثة من متاعهم . وقدم المدينة بذلك ، فخمسه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وقسم ما بقى عليهم .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى بنى سليم بالجموم

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في شهر ربيع الآخر
 سنة ست من الهجرة إلى بنى سليم ، فسار هو ومن معه حتى ورد الجموم — ناحية
 بطن نخل عن يسارها ، وبطن نخل من المدينة على أربعة برد — فأصابوا عليه
 امرأة من مزيّنة يقال لها : حليلة ، فدلتهم على محلة من محال بنى سليم ، فأصابوا
 فيها نعا وشاء وأسرى ، فكان فيهم زوج حليلة المزيّنة ، فلما قفل زيد بن حارثة
 بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للزينة نفسها وزوجها ، فقال بلال
 ابن الحارث المزيّنى في ذلك :

أعمرك ما أخنى المسول ولا وئت ^(٤) حليلة حتى راح ركبهما معا ^(٥)

(١) عمّاية الصبح : يقال : لقبته في عمّاية الصبح ، أى في ظلمته قبل أن أتبيته .

(٢) هذا ما ذكره المؤلف : وفي معجم البلدان ما يأتى : « قال السكونى : ذو القصة : موضع بين
 زباله والشقوق ، دون الشقوق بميلين ، فيه قلب للأعراب يدخلها ماء السماء عذب زلال ، وإلى هذا
 الموضع كانت غزاة أبي عبدة بن الجراح ، أرسله إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٣) الرثة : السقط من متاع البيت .

(٤) أخنى : ألغش . وفى أ : « أخنى » .

(٥) فى أ : « دنت » .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى العيص لعير قریش

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى سنة ست من مهاجرة
في سبعين ومائة راكب إلى العيص - وبينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها
وبين ذى المروة ليلة - وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن عيرا لقریش
قد أقبلت من الشام، فبعثه ومن معه ليتعرض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذ
يومئذ فِضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا ناساً ممن كان في العير، منهم
أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم المدينة، فاستجار أبو العاص بزینب بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجارته، ونادت في الناس حين صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفجر: إني قد أجزت أبا العاص. فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: [ما علمت بشيء من هذا] قد أجزنا من أجزت. ورد عليه ما أخذ له^(١)
كما تقدم. ^(٢)

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى الطرف إلى بني ثعلبة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة سنة ست من مهاجرة إلى
الطرف - وهو ماء قريب من المراض، دون النخيل، على ستة وثلاثين ميلاً من
المدينة، طريق البقرة على المحجة - فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً
فأصاب نعاماً وشاء، وهربت الأعراب، وصبح زيد بالنعم المدينة، وهي عشرون
بعيراً، ولم يلق كيداً، وغاب أربع ليال، وكان شعارهم «أمت أمت».

(١) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٢) في أ: « ما أخذه » . وفي الطبقات: « ما أخذه منه » .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى حَسَمَى ، وهي وراء وادي القري

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى حَسَمَى في جمادى الآخرة أيضا ، وذلك أن دِحْيَةَ بن خليفة الكلبى أقبل من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابيه ، وقد أجازته وكساه ، ومع دِحْيَةَ تجارة له ، حتى إذا كان بواد يقال له : شَنَارٌ أو شِنَانٌ ؛ أغار عليه الهُنَيْدُ بن عارض ، وقيل : [ابن عَوْصٍ ؛ وأبنة عارض بن الهُنَيْدِ ، وقيل :] عَوْصُ ابن الهُنَيْدِ ؛ الضُّلَعِيَّانِ في ناس من جُذَامٍ بحسَمَى ، فقطعوا عليه الطريق وأخذوا ما معه ، فلم يتركوا عليه إلا سَمَلٌ ثوب ، فسمع بذلك نفر من بني الضُّبَيْبِ — [رهط رفاة بن زيد من كان أسلم وأجاب — فنفروا إلى الهُنَيْدِ وابنه ، وفيهم من بنى الضُّبَيْبِ] النعمان بن أبي جِعَالٍ حتى لَقَوْهُم فاقْتَتَلُوا ، وانتمى يومئذ قُزَّةُ بن أشقر الضُّفَّارَى ثم الضُّلَعَى ، فقال : أنا ابن لُبَيْبٍ ؛ ورمى النعمان بسهم فأصاب ركبته ، وقال : خذها وأنا ابن لُبَيْبٍ ؛ ولُبَيْبٌ أمه ، ثم استنقذوا لدِحْيَةَ متاعه ، وقدم دِحْيَةَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل وردت معه دِحْيَةَ ، فكان زيد يسير الليل ويكنُّ النهار ومعه دليل من بني عُدْرَةَ ، فأقبل بهم حتى هجم بهم مع الصبح على القوم ، فأغاروا عليهم ، فقتلوا فيهم فأوجعوا ، وقتلوا الهنيد

٧٦
١٥

٥

١٠

١٥

(١) أجازته : أعطاه جائزة . وذلك لأنه قارب الإسلام ولم يسلم خوفا على ملكه .

(٢) كذا في معجم البلدان والطبرى . وفي الأصل : « شيار » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٤) الضليع : بطن من جذام .

(٥) سمل ثوب : أى الخلق من الثياب .

(٦) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٧) فى أ : « الضفدى » .

٢٠

- وابنه ، وأغاروا على ماشيتهم ونساءهم ، فأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة
ومن النساء والصبيان مائة ، فرحل رفاعة^(١) بن زيد الجذامي في نفر من قومه إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدفع إليه كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليألى
قدم عليه فأسلم ، وقال : يا رسول الله ، لا تحزم علينا حلالا ولا تحل لنا حراما .
فقال : كيف أصنع بالقتلى ؟ فقال أبو يزيد بن عمرو : يا رسول الله ، أطلق لنا
من كان حيا ، ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين . فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : صدق أبو يزيد ، فبعث معهم عليا إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلى بينهم
وبين حرمهم وأموالهم ، فتوجه على رضى الله عنه ، فلقى رافع بن مكيث الجهنى بشير
زيد بن حارثة على ناقه من لابل القوم ، فردها على عليهم ، ولقي زيدا بالفحلتين^(٢)
— وهى بين المدينة وذى المروة — فأبلغه [أمر^(٣)] رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فرد عليهم كل ما كان أخذ منهم .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادى القرى^(٥)

- قال محمد بن سعد فى طبقاته الكبرى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد
ابن حارثة إلى وادى القرى أميرا فى شهر رجب سنة ست من الهجرة . ولم يذكر
غير ذلك .

(١) قدم رفاعة هذا على النبي صلى الله عليه وسلم فى هدنة الحديدية فى جماعة من قومه فأسلوا ،
وعقد له رسول الله على قومه ، وكتب له كتابا إلى قومه فأسلوا . وهذا نص الكتاب : « بسم الله
الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله إلى رفاعة بن زيد . إنى بعثته إلى قومه عامة ومن دخل
فيهم يدعوه إلى الله وإلى رسوله ، فنأقبل ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين » .
راجع شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٩٢ .

(٢) كذا فى الطبقات ، ومعجم البلدان . وفى الأصل : « بالنخلتين » وهو تحريف .
(٣) ساقطة من أ . (٤) فى أ : « فأبلغه لرسول الله صلى الله عليه وسلم » .
(٥) وادى القرى : واد بين الشام والمدينة فيه قرى كثيرة .

ذكر سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل^(١)

قال محمد بن سعد رحمه الله : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في شعبان سنة ست من مهاجرة ، فأقعدته بين يديه وعممه بيده وقال : اغزُ بِسْمِ اللَّهِ ، وقاتل في سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ، لا تغل^(٢) ولا تغدر ، ولا تقتل وليدا . وبعثه إلى كلب بدومة الجندل ، وقال : إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم . فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل ، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي ، وكان نصرانيا وهو رأسهم ، وأسلم معه ناس كثير من قومه ، وأقام من أقام منهم على إعطاء الجزية ، وتزوج عبد الرحمن ثُمَاضِر بنت الأصبغ وقدم بها المدينة ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن .

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر بقدك

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شعبان سنة ست من الهجرة إلى بني سعد بن بكر بقدك في مائة رجل ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن لهم جمعا يريدون أن يمددوا يهود خيبر ، فسار علي رضي الله عنه بمن معه ، فكان يسير الليل ويكسر النهار حتى انتهى

(١) دومة الجندل : حصن وقرى من طرف الشام ، بينها وبين دمشق نحو مائة ليل ، وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة .

(٢) في طبقات ابن سعد : « اغز باسم الله وفي سبيل الله » .

(٣) غل : خان كأغل .

(٤) في أ : « إلى دومة الجندل » .

(٥) كذا في أ . وفي ج : « بنت » .

إلى الهَمَج ^(١) - وهو ماء بين خيبر وفدك، وبين فدك والمدينة ست ليال - فوجدوا به رجلا فسألوه عن القوم فقال : أخبركم على أن تؤمنوني؟ فأمنوه فدهمهم، فأغاروا عليهم فأخذوا نسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن ورأسهم و ^(٢) بربن عليم، فعزل على رضى الله عنه صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(٣) لقوحا تدعى الحفدة، ثم عزل الخمس وقسم الغنائم على أصحابه ، وقدم المدينة ولم يلق كيدا .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادى القرى وقتل أم قرفة

كانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان دون وادى القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، ثم استقبل زيد بن حارثة ، وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . حكاه محمد بن سعد في طبقاته .

وقال محمد بن إسحاق : إن الذى أصاب زيد بن حارثة كان عند غزوة وادى القرى ، فإنه أصيب بها ناس من أصحابه ، وأرثت ^(٥) زيد من بين القتلى ، ولعل هذه السرية هي التي كانت في شهر رجب من السنة .

- (١) في الأصول : « الحمج » ، وصوابه من الطبقات ، وانظر معجم البلدان .
 (٢) الصفى : ما يختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة .
 (٣) في هامش ج : « الحفدة : السريعة » .
 (٤) في هامش ج : « استبل ، أى عوفى » . وفى أ : « استقبل » .
 (٥) أرثت : حمل من المعركة رثينا ، أى جريحاً وبه رفق .

قال ابن سعد: فخرج زيد بن حارثة بمن معه فكمنوا النهار وساروا الليل، ونذرت^(١) بهم بنو بدر، ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا وأحاطوا بالحاضر، وأخذوا^(٢) أم قرفة، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة ابن بدر، فكان الذي أخذ الجارية سلمة بن الأكوع، فوهبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فوهبها صلى الله عليه وسلم لحزن بن أبي وهب، قال: وعمد قيس ابن المحسر إلى أم قرفة، وهي عجوز كبيرة، فربط بين رجلها حبلا، ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها، وقتل النعمان وعبد الله ابنا مسعدة بن حكمة بن مالك ابن بدر، وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، ففرغ باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام إليه عمر يانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله، وسأله فأخبره بما ظفّره الله به.

ذكر سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر^(٤) ^(٥)

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه لما قُتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق كما ذكرنا أمرت يهود عليها أسير بن رزام، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر من المسلمين في شهر رمضان سرا

(١) نذرت بهم: علوا بهم فحذروهم.

(٢) بالحاضر، أي بمن حضر هناك من فزارة.

(٣) في شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٩٧ ما يأتي: «ذكر الدولابي: أن زيداً إنما قتلها كذلك لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قيل: ولأنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها، وولد ولدها وقالت: اغزوا المدينة، واقتلوا محمداً».

(٤) في رواية أخرى: «يسير» بضم الياء وفتح السين.

(٥) في الأصول: «زارم»، والتصويب من المواهب وابن هشام.

- فسأل عن خبره و^(١)غرته ، فأخبر بذلك ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فانتدب له ثلاثون رجلا ، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا على أسير فقالوا له : نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له ؛ قال : نعم ، ولى منكم مثل ذلك ؛ قالوا : نعم ؛ فقالوا له :
- ٥ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خير ويحسن إليك . فطمع أسير في ذلك ، فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود ، مع كل رجل رديف من المسلمين ، حتى إذا كانوا بقرقرة ^(٢)بئسار ندم أسير ، قال عبد الله ابن أنيس — وكان في السرية : فأهوى بيده إلى سيفي ، ففطنت له ودفعت بعيري فقلت : خذرا أي عدو الله ! فعل ذلك مرتين ، فترلت فسبقت القوم حتى انفردت إلى أسير فضربته بالسيف ، فأندرت ^(٤)عامة نخذه وساقه ، وسقط عن بعيره وبيده
- ١٠ محرش من شوحط ، فضربني به فشجني ^(٦)مأمومة ، ^(٧)وملنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شدا ، ولم يصب من المسلمين أحد ، ثم أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثناه الحديث ، فقال : قد نجاكم الله من القوم الظالمين . وتفل صلى الله عليه وسلم على شجرة عبد الله بن أنيس فلم تقح ولم تؤذه .

- ١٥ (١) غرته : غفله .
 (٢) الرديف : الذي يركب خلف الراكب .
 (٣) قرقرة بئسار : موضع على ستة أميال من خيبر .
 (٤) أندرت : قطعت .
 (٥) المحرش والمخرش : عصا معوجة الرأس كالصولجان .
 (٦) شوحط : من شجر الجبال تتخذ منه القسي .
 (٧) شجرة مأمومة : بلغت أم الرأس .
- ٢٠

ذكر سرية كُرْز بن جابر الفهري إلى العرنيين

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : قدم نفر من عرينة ثمانية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا واستتبشوا المدينة ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لقاحه ، وكانت ترعى بذي الجدر — ناحية قباء قريباً من عير ، على ستة أميال من المدينة — فكانوا فيها حتى صحوا وسمنوا ، فعدوا على اللقاح فاستاقوها ، فأدركهم يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر ، فقاتلهم ، فقطعوا يده ورجله وعرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فبعث في أثرهم عشرين فارساً ، واستعمل عليهم كُرْز بن جابر الفهري ، فأدركهم فأحاطوا بهم وأسروهم وربطوهم وأردفهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة ، فخرجوا بهم نحوه ، فلقوه بالزغابة ^(١) بمجتمع السيول ، فأمر بهم فُقطعت أيديهم وأرجلهم ، وُسِّمَتْ أعينهم ، وُصِّدوا هنالك . وأنزل الله تعالى على رسوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ . فلم يسمل بعد ذلك عينا ، وكانت اللقاح خمس عشرة لِقحة غزارا فردوها إلى المدينة ، ففقد منها لِقحة تدعى الحناء ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فقيل : نحروها .

(١) استوبشوا : استونجوا . وفي أ : « استوا » .

(٢) في أ : « وكسروهم » .

(٣) ضبطت في القاموس بضم الزاي ، وفي معجم البلدان بفتحها .

ذكر سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم

إلى أبي سفيان بن حرب بمكة

- قال محمد بن سعد في طبقاته : وذلك أن أبا سفيان بن حرب قال لتفسر
من قريش : ألا أحد يغتر محمدًا فإنه يمشى في الأسواق؟ فأتاه رجل [من الأعراب]^(١)
فقال : قد وجدته أجمع الرجال قلبًا ، وأشدّه بطشا ، وأسرعه شدة ، فإن أنت
قويتني خرجت إليه حتى أعتاله ، ومعى خنجر مثل خافية النسر ؛ قال : أنت
صاحبنا ؛ فأعطاه بعيرا ونفقة ، وقال : اطو أمرك ؛ فخرج ليلا فسار على راحلته نحو
وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ، ثم أقبل فسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى دُلَّ عليه ، فعقل راحلته ، ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
في مسجد بنى عبد الأشهل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن هذا
يريد غدرا" . فذهب ليحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحذبه أسيد بن الحضير
بداخلة إزاره ، فإذا بالخنجر ، فسقط في يده ، وقال : دمي دمي ! وأخذ أسيد بلبته
فدعته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اصدقني ، ما أنت؟" قال : وأنا آمن؟
قال : نعم ؛ فأخبره بخبره ، فحلى عنه صلى الله عليه وسلم .

- ١٥ (١) يغتر ، أى يأتيه على غفلة . وفي الأصول : « يغتر » ، وصوابه عن المواهب فيما نقله عن
الطبقات . (٢) كذا في « . وفي أ : « فيمشى » . (٣) ساقطة من أ .
(٤) كذا في الأصل ، والطبقات . وفي المواهب : « أشدهم ، وأسرعهم » .
(٥) خافية النسر : ريشة صغيرة في جناح النسر دون العشر ريشات التي في مقدم الجناح .
(٦) بداخلة إزاره ؛ أى طرفه وحاشيته من داخل .
٢٠ (٧) سقط في يده : أى ندم . (٨) دعته : أى خنقه أشد الخنق . وفي أ ، و ، هـ ،
والطبقات : « فدعته » بالبدال المهملة . وفي هامش هـ : « دعته : إذا خنقه أشد الخنق » وهو
تحريف . والصواب « دعه » بالذال المعجمة في الجميع .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري، وسلمة بن أسلم
ابن أبي حريش^(١) إلى أبي سفيان بن حرب، وقال: إن أصبنا منه غيرة فاقتلناه؛
فدخلنا مكة، ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً، فرآه معاوية بن أبي سفيان
فعرفه، وأخبر قريشاً بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية، وقالوا: لم يأت
عمرو نخير؛ فحشد له أهل مكة وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة، فلقى عمرو عبید الله
ابن مالك بن عبد الله التيمي [فقتله^(٢)] وقتل آخر من بني الدليل، سمعه يتغنى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دينَ المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتحسسان الخبر، فقتل أحدهما وأسر الآخر،
[فقدم به المدينة^(٤)] فجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله يضحك؛
هكذا حكى محمد بن سعد .

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث عمرو بن أمية الضمري، ومعه جبار بن صخر الأنصاري، وذلك بعد
مقتل حبيب بن عدى وأصحابه، قال: نخرجنا حتى قدما مكة، وحبسنا جليلهما
بشعب من شعاب يأجج^(٥)، ثم دخلنا مكة ليلاً، فقال جبار بن صخر لعمرو:
لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين؛ قال عمرو: فطفنا وصلينا، ثم خرجنا نريد
أبا سفيان، فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلى رجل فعرفني، فقال: عمرو بن أمية،
والله إن قدمها إلا لشر؛ فقلت لصاحبي: النجاء؛ فخرجنا نستد حتى أصدنا
في جبل، وخرجوا في طلبنا، حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا، فدخلنا كهفاً

(١) كذا في الأصول، وفي ابن هشام: «ابن حريش» .

(٢) كذا في الأصول . وفي المواهب، والطبقات: «عبید الله» .

(٣) ساقط من أ . (٤) نكته من ج . (٥) يأجج: اسم موضع بمكة .

في الجبل فبتنا ، وقد رَضَمْنَا^(١) دوننا حجارة ، فلما أصبحنا غدا رجل من قريش
يقود فرسأله ، فغشينا ونحن في الغار ، فقلت : إن رأنا صاح بنا فنؤخذ فنقتل ؛
قال : فخرجت إليه فضربتته على ئديه^(٢) بخنجر كنت قد أعددت له لأبي سفيان ،
فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، ورجعت فدخلت مكاني ، وجاءه الناس يشتدون
وهو بأخر رمق ، فقالوا : من ضربك ؟ قال : عمرو بن أمية . ومات لوقته ، ولم
يدل علينا ، فاحتملوه ، فقلت لصاحبي لما أمسينا : النجاء ؛ فخرجنا ليلا من مكة
نريد المدينة ، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب ، فقال أحدهم : والله ما رأيت
كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو ؛ قال : فلما
حاذى عمرو الخشبة شد عليها واحتملها ، وخرجوا شدا ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جرفا
بمهبط مسيل يأجج ، فرمى بالخشبة في الجرف ، فغيبه الله عنهم ، فلم يقدرُوا عليه . قال
عمرو : وقلت لصاحبي : النجاء ، حتى أتى بعيرك فتقعد عليه ، فإني سأشغل عنك
القوم ؛ قال : ومضيت حتى خرجت على صحنان^(٣) ، ثم أويت إلى جبل فدخلت
كهفا ، فبينما أنا فيه إذ دخل علي شيخ من بني الدليل أعور ، في غنيمة له ؛ فقال :
من الرجل ؟ قلت : من بني بكر ، فمن أنت^(٤) ؟ قال : من بني بكر ؛ فقلت :
مرحبا ؛ فاضطجع ، ثم رفع عقيرته فقال :

ولست بمسلم ما دمت حيًّا * ولست أدين دينَ المسامينا

(١) رضم الحجارة : جعل بعضها على بعض .

(٢) كذا في الأصل . وفي ابن هشام : « ئديه » .

(٣) صحنان : اسم جبل قرب مكة .

(٤) كذا في ج . وفي أ : « فقلت : من بكر . قال : فمن أنت من بني بكر ؟ » .

فقلت في نفسي : ستعلم ؛ فأمهلته حتى إذا نام أخذت قوسى فجعلت سببها في عينه
الصحيحة ، ثم تحاملت عليها حتى بلغت العظم ، ثم خرجت حتى جئت العرج ،
ثم سلكت ركوبة ،^(٣) حتى إذا هبطت النقيع إذا رجلا من قريش من المشركين ،
كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة يتحسسان ؛ فقامت : استأسرا ؛ فأبيا ، فرميت
أحدهما بسهم فقتلته ، ثم استأسر الآخر فأوثقته رباطا ، وقدمت به المدينة .
ولم يذكر أحد منهما تاريخ هذه السرية ، في أى شهر كانت ، فاذكره .

ذكر غزوة الحُدَيْبِيَّة وما وقع فيها من بيعة الرضوان ومهادنة قريش وغير ذلك

كانت غزوة الحُدَيْبِيَّة في ذى الحجة سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى العمرة ،
فأسرعوا وتهبثوا ، ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبين ، وركب راحلته
القَصْوَاءَ^(٦) وخرج ، وذلك يوم الاثنين لهلال ذى القعدة ، واستخلف على المدينة
عبد الله بن أم مكتوم . وقال ابن إسحاق : استعمل على المدينة مُمَيْلَةَ بن

(١) سية القوس : ما عطف من طرفها .

(٢) العرج : اسم منزل بطريق مكة ، أو واد بالجواز .

(٣) ركوبة : ثنية بين مكة والمدينة عند العرج .

(٤) النقيع : موضع ببلاد مزينة على لبنتين من المدينة .

(٥) الحُدَيْبِيَّة : بئر سمى المكان بها ، وقيل : شجرة حديبا . سمى المكان بها . وقيل : قرية متوسطة

قرية من مكة .

(٦) القصواء ، لقب ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

- عبد الله اللبثي . قال ابن سعد : ولم يُخْرِج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه
بسلاح إلا سلاح المسافرين ، السيوف في القُرب ، وساقُ بَدَنًا^(٢) وساق أصحابه بَدَنًا ، فصلى
الظهر بذي الحليفة : ثم دعا بالبدن التي ساق بخللت^(٣) ، ثم أشعرها في الشقِّ الأيمن^(٤)
وقلدها ، وأشعر أصحابه أيضا ، وهي موجهات إلى القبلة ، وهي سبعون بَدَنَةً ، فيها
جمل أبي جهل الذي غَنِمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وأحرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولبّي ، وقَدَّم عبَّاد بن بشر أمامه طليعةً في عشرين فارسا من خيل
المسلمين ، وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار ، وخرج معه صلى الله عليه وسلم من
المسلمين ألف وأربعمائة على الصحيح ، وقيل : ألف وستمائة ؛ ويقال : ألف
وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلا ؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضي الله عنها ،
وبلغ المشركين نخروجه ، فأجمع رأيهم على صده عن المسجد الحرام ، وعسكروا ببلدح^(٦)
وقدموا مائتي فارس إلى كُراع الغميم^(٧) ، عليهم خالد بن الوليد ، ويقال : عكرمة
ابن أبي جهل .

قال محمد بن إسحاق : قال الزهري : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعُسفان لقيه بشر بن سُفيان الكعبي — قال ابن هشام : ويقال : بُسر — فقال :

$\frac{٨٠}{١٥}$

- ١٥ (١) حذف المؤلف المتعول هنا ، والتقدير ولم يخرج معه أحدا .
(٢) البدن : جمع بدنة ، وهي الناقة أو البقرة تنخر بمكة .
(٣) جللت : ألبست ما تصان به .
(٤) أشعرها : أعلها ، وذلك بأن ضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فلفظها بدمها إشعارا بأنها
هدى . (٥) قلدها : علق في عنقها شيئا ليعلم أنها هدى .
٢٠ (٦) بلدح : واد قبل مكة من جهة الغرب .
(٧) كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

يا رسول الله ، هذه قریش قد سمعت بمسيرك ، نخرجوا معهم العوذ المطافيل^(١) ،
 قد لبسوا جلود الثور ، وقد نزلوا بذى طوى ، يعاهدون الله ألا ندخلها عليهم أبدا ،
 وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم . فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : ” يا ويح قریش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى
 وبين سائر العرب ؟ فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله
 عليهم دخلوا فى الإسلام وافرین ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قریش ؟
 والله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة^(٢) .
 قال محمد بن سعد : ودنا خالد بن الوليد فى خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبّاد بن بشر فتقدم
 فى خيله ، فأقام بإزائه وصف أصحابه ، وحانت صلاة الظهر ، فصلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف ، فلما أمسى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه :
 تيامنوا فى هذا الموضع العصل^(٣) — موضع منعطف فى الوادى — فإن عيون قریش
 بمر الظهران وبضجنان . فسار حتى دنا من الحديدية ، وهى طرف الحرم على تسعة
 أميال من مكة ، فوقفت يدا راحلته على ثنية تهبط على غائط القوم ، فبركت^(٤) .

- ١٥ (١) العوذ المطافيل : النسوق التى وضعت أولادها حديثا . يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء
 والصبيان . وفى هامش ج ما يأتى : « حاشية : العوذ : نتاج الناقة القريب المهسد بالولادة .
 والمطافيل : كل ما يتبع أمه من سائر الحيوان » .
 (٢) السالفة : صفحة العتق ، وكنتى بانفرادها عن الموت .
 (٣) فى حاشية ج : « العصل : جمع عضلة ، وهى شجرة إذا أكل منها البعير سلخته » .
 ٢٠ وفى معجم البلدان : « العصل : موضع بالبادية كثير الغياض » . وفى ابن سعد وإمتاع الأسماع :
 « فى هذا العصل » بالصاد المهملة . والعصل : الرمل الملتوى المعوج .
 (٤) فى ابن سعد : « فوقفت » .

- وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بغدير الأشطاط قريبا من عُسْفَانَ أَنَاهُ عَيْنُهُ الخَزَاعِيَّ ، فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعاً لك الأحابيش ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أشيروا عليّ ، أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم ؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين ، وإن يخبثوا [تكنن^(٤)]
- عنقا قطعها الله ، أو ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه ؟ فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، إنا لم نأت لقتال أحد ، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فرؤحوا إذاً ، فراحوا ، حتى إذا كان بعُسْفَانَ لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، وذكر من قوله ومن جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قدمناه إلى قوله : أو تنفرد هذه السالفة . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله . فخرج بهم على طريق وعمر حزن بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضى إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . ففعلوا ،

- ١٥ (١) غدير الأشطاط : موضع تلقاء الحديبية .
- (٢) الأحابيش : هم بنو الهون بن خزيمه ، وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة ، كانوا تحالفوا مع قريش ، قيل : تحت جبل يقال له : الحبشى أسفل مكة . وقيل : سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم .
- (٣) كذا في ج . وفي أ : « أعاونوهم » .
- ٢٠ (٤) كذا وردت هذه العبارة في أ ، و ج . وفي تفسير الكشف والبيان : « فإن قعدوا قعدوا موتورين ، وإن نجوا عنقا قطعها الله » . والنصوب من شرح المواهب ٢ : ٢١٩ .

فقال : والله إنها لَلْحِطَّةُ ^(١) التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقبلوها ؛ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : اسلكوا ذات اليمين ، في طريق يخرج به على ثنية ^(٢) المرار على مهبط من أسفل مكة ، فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأته خيل قريش قرة ^(٣) الجيش ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش يندرونهم ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنية ^(٤) المرار بركت به ناقته ، فقال الناس : حل حل ؛ فقال : ما حل ؛ قالوا : خَلَّتْ ^(٥) القِصْوَاءُ ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : " ما خلاّت وما ذاك لها بخُلُقٍ ، ولكن حبسها ^(٦) حابس الفيل ؛ ثم قال : والذي تسمى بيده لا تدعوني قريش إلى خُطّة يعظمون بها حرّمت الله ، وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها " ؛ ثم قال للناس : " انزلوا " ، فنزلوا بأقصى الحديدية على بئر قليلة الماء ، وإنما يتبرّضه الناس تبرّضا ، فلم يلبث الناس أن نزحوه ، فشكا الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم العطش ، فترع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه ، يقال له : ناجية بن عمير بن يعمر بن دارم ، وهو سائق بَدْنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل في تلك البئر فغرزها في جوفها

(١) الحطة : يشير إلى قول الله تعالى لبني إسرائيل : «وقولوا حطة» ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .
 (٢) في الأصل : « المران » وهو تحريف .
 (٣) قرة الجيش : غباره . وفي أ : « قرة الجيش » .
 (٤) حل حل : كلمة تقال للناقة إذا تركت السير . وقال الخطابي : حل واحدة فيالسكون ، وإن أعدتها نونت الأولى وسكنت الثانية . وحكى غيره : السكون فيهما والتنون كتنظيره في بيج بيج . لكن الرواية بالسكون فيهما . راجع شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٢١ .
 (٥) في هامش ج : « الخلا » : حران الإبل .
 (٦) حابس الفيل : أي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها .
 (٧) يتبرضه الناس : أي يأخذونه قليلا قليلا .

بِجَاشِ الْمَاءِ بِالرَّمِي ، حَتَّى صَدُرُوا عَنْهُ ٢ وَيُقَالُ : إِنْ جَارِيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَقْبَلَتْ
بَدَلُوهَا ، وَنَاجِيَةٌ فِي الْقَلْبِ يَمِيحُ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَتْ :
(٣)

يَأْيَهَا الْمَائِحُ دَلَسُو دُونَكَا * إِنْ رَأَيْتَ النَّاسَ يَمُجِدُونَكَا

يُكْتُونُ خَيْرًا وَيُجِدُونَكَا * أَرْجُوكَ لِلتَّخِيرِ كَمَا يَرْجُونَكَا

فَقَالَ نَاجِيَةٌ :

قَدْ عَلِمْتُ جَارِيَةً يَمَانِيَةً * أَنِّي أَنَا الْمَائِحُ وَأَسْمَى نَاجِيَةً

وَطَعْنَةُ ذَاتِ رَشَاشٍ وَاهِيَةٍ * طَعْنَتْهَا تَحْتَ صَدُورِ الْعَادِيَةِ
(٤)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : نَاجِيَةٌ بِنُجَيْدِ بْنِ جَنْدَبِ بْنِ عُمَيْرِ الْأَسْلَمِيِّ ؛ قَالَ : وَزَعَمَ بَعْضُ

أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْبِرَاءَ بْنَ عَازِبٍ كَانَ يَقُولُ : أَنَا الَّذِي نَزَلَتْ بِسَمِّهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَالثَّلَجِيُّ : رَوَى عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ

عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ : فَلَمَّا أَطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَنَّهُ بَدِيلُ بْنُ وَرْقَانَ الْخُزَاعِيِّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ ، وَكَانَتْ خِزَاعَةُ عَيْبَةَ نَصِيحِ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ تَهَامَةَ ، فَقَالَ : إِنْ تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ

ابْنَ لُؤَيٍّ قَدْ نَزَلَا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحَدِيدِيَّةِ ، مَعَهُمُ الْعُودُ الْمُطَافِيلُ ، وَهَمُّ مَقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ

عَنِ الْبَيْتِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ أَلَمْ نَأْتِ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، وَلَكِنْ جِئْنَا

مُعْتَمِرِينَ ، وَإِنْ قَرَيْشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ ، وَأَضْرَبَتْ بِهِمْ ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْنَاكُمْ مَدَّةَ
(٧)

(١) جَاشَ : قَارَ (٢) صَدُرُوا : رَجَعُوا .

(٣) الْمِيحُ : أَنْ تَدْخُلَ الْبُرْقُومُ الدَّلُولُ قَلْبَهُ مَائِحًا .

(٤) الْعَادِيَةُ : الْقَوْمُ الَّذِينَ يَعْدُونَ أَيْ يَسْرِعُونَ الْعَدُوَّ .

(٥) عَيْبَةُ نَصِيحٌ ، أَيْ أَنَّهُمْ مَوْضِعُ نَصِيحٍ .

(٦) أَعْدَادٌ : جَمْعُ عَدٍّ ، وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي لَا انْقِطَاعَ لَهُ . وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْكَثْرَةِ فِي الشَّيْءِ .

(٧) مَادَدْنَاكُمْ مَدَّةً : جَعَلْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مَدَّةَ تَرْكِ الْحَرْبِ فِيهَا .

ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا،
 وإلا فقد جموا،^(١) فوالله لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لئنفذن الله
 أمره. قال بُدَيْل: سنبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشا فقال: إنا قد
 جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا؛
 فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا في أن نتحدثنا عنه بشيء؛ وقال ذوو الرأي منهم:
 هايت كما سمعته يقول؛ قال: سمعته يقول كذا وكذا. فحدثهم بما قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم، وقال لهم: إنه لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً لهذا البيت. فاتهموه
 وجهوه وقالوا: إن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً،
 ولا يحدث بذلك عنا العرب؛ ثم بعثوا إليه مَكْرَز بن حفص بن الأخياف أخا بني عامر
 ابن لؤي، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال: هذا رجل غادر.
 وفي رواية: «فاجر». فلما انتهى إليه وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً
 مما قال بُدَيْل بن ورقاء وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال النبي صلى الله
 عليه وسلم، ثم بعثوا إليه الحُلَيْس بن علقمة أو ابن زَبَّان، وكان يومئذ سيد
 الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال: هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه. فلما
 رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى في قلائده، قد أكل أو باره من طول
 الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً

(١) جموا: استراحوا. (٢) جهوه: لقوه بما يكره.

(٣) كذا في ج. وفي أ: «ولا يتحدث بذلك العرب عنا».

(٤) كذا في ابن هشام، والطبري. وفي الأصل: «ابن ريان».

(٥) في حاشية ج: «التأله: التعبد؛ قال رؤبة: ضحكك واستهزان من تأله».

(٦) في أ: «سال». (٧) أو باره: جمع وبروهو صوف الإبل. وفي أ: «أوتاره».

(٨) محل الهدى: الموضع أو الوقت الذي يحل فيه نحره.

٥

١٠

١٥

٢٠

- لما رأى ، فقال لهم ذلك ؛ فقالوا له : يا حَلِيس ، إنما أنت أعْرَابِي لا علم لك ؛ فقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاهدناكم ، أَيْصَدَّ عن بيت الله من جاءه معظما له ؟ والذي نفس الحُلَيْس بيده لَتُخَلَّنَ بين عهد وبين ما جاء له ، أو لَأَنْفَرَتِ بالأحابيش نفرة رجل واحد ؛ فقالوا له : مَهْ ، كَفَّ عَنَا يا حَلِيس ، ودعنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به ؛ قال : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُرْوَةَ بن مسعود الثقفي ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى عهد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد — وكان عُرْوَةَ لِسُبَيْعَةَ بنت عبد شمس — وقد سمعت بالذي نابكم ، فجمعت من أطاعني من قومي ، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت أَوْشَابَ النَّاسِ^(١) ثم جئت بهم إلى بَيْضَتِكَ^(٢) لتفضها بهم ؟ يا محمد ، أرايت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أصله قبلك ؟ وإنما قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عَنُوةٌ [أبدا]^(٣) وإني لأرى وجوها وأوشابا من الناس خَلِيقًا^(٤) أن يفزوا ويدعوك ، وإيم الله ، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا غدا عنك . وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال لعُرْوَةَ : امصص بظُرِّ اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟ — واللوات طاغية ثقيف التي كانوا

٨٢
١٥

(١) في حاشية - : « أَوْشَاب : أي أخلاط من الناس . وأوشاب : مثل أوباش . »

(٢) بيضتك : أصلك وعشيرتك . (٣) ساقطة من أ .

(٤) في الأصول : « خلقنا » ، والتصويب من المواهب .

٢٠

(٥) أقام أبو بكر رضي الله عنه معبود عرورة ، وهو صنم اللات مقام أمه ، لأن عادة العرب التَّمَّ بذلك بلفظ الأم ، فأبدله الصديق باللات ، فنزله منزلة امرأة تحقيرا لمعبوده . وفي أ : « بضر اللات » .

يعبدونها — فقال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي خُفافة ، قال : أما والله لولا يد^(١) كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها . قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ، والمُغيرة بن شُعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ، فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكفُف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألا تصل إليك ، قال : فيقول عروة : ويحك ! ما أفظك وما أغلظك ! قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : ” هذا ابن أخيك المغيرة بن شُعبة “ قال : أى غدْر، وهل غسلت سوائك إلا بالأمس ؟ — وكان المغيرة بن شُعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك من ثقيف^(٢) ، صحبهم فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أما الإسلام فقد قبلناه ، وأما المال فإنه مال غدْر ، ولا حاجة لنا فيه “ . قال : ولما قتلهم المغيرة تهايج الحيان من ثقيف : رهط القتلى ورهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر ، فلذلك قال للمغيرة ما قال — قال : ثم كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بنحو ما كلم به أصحابه ، فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بَصاقا إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحدون النظر إليه تعظيما^(٤)

(١) كان عروة قد تحمل بديه فأعانه فيها أبو بكر بعشر فلائص ، وكان غيره يعبه بالاشين والثلاث .

(٢) في ح : « ما أفظك وأغلظك » .

(٣) كذا في ح . وفي أ : « بنى مالك بن ثقيف » .

(٤) يحدون : يحدون .

- له . فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، والله لقد وقّدتُ على الملوك ، وفدت على قيصر في ملكه ، وكسرى في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكا في قومه قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ، والله إن تخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا تواضوا كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم ، وما يتحدثون النظر إليه تعظيما له ، ولقد رأيت قوما لا يسألونه لشيء أبدا ، قروا رأيكم . وفي رواية قال : وإنه قد عرض عليكم خطة رُشد فأقبلوها .

- قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير يقال له : الثعلب ، ليبلغ أشرافهم ما قد جاء له ، فعمقوا الجمل وأرادوا قتل خراش ، فمنعه الأحابيش ، فخلّوا سبيله . قال : وبعث قريش أربعين رجلا منهم أو خمسين ، وأمرهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا ، فأخذوا وأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم ، وخلّى سبيلهم ، وكانوا رموا في العسكر بالجارة والنبل . ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليعثه إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشا على نفسي ، وليس بمكة من بني عدى بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني ، عثمان بن عفان ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه إلى أبي سفيان ابن حرب وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائرا لهذا

(١) في أ : « ملكا قط في قومه » .

البيت ومعظم الحرمته . نخرج حتى أتى مكة ، فلقبه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ عثمان من الرسالة قال له : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُفُّ ؛ فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قُتل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا نبرح حتى نناجز القوم " . ودعا الناس إلى البيعة .

ذكر بيعة الرضوان

٨٣
١٥

كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، قال الثعلبي^(١) : وكانت سمرة . قال : وكان سبب هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن عثمان بن عفان قُتل قال : " لا نبرح حتى نناجز القوم " ؛ ودعا الناس إلى البيعة ، قال : فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت . وقال عبد الله ابن مفضل : كنت قائما على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم ويدي غصن من السمرة أذب عنه وهو يبايع الناس ، فلم يبايعهم على الموت وإنما بايعهم على ألا يفترؤا . قال جابر بن عبد الله : فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجعد بن قيس أخو بني سلمة ، لكأنى أنظر إليه لاصقا بلايط ناقته ، مستترا بها عن الناس .

وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني أسد يقال له : [أبو] سنان ابن وهب . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكروا من أمر عثمان باطل . واختلف في عدد أهل بيعة الرضوان ، وهو مبنى على الاختلاف في عدد (١) السمرة : شجرة الطلح . (٢) ساقطة من أ ، وفي اسمه خلاف ، وانظر أسد الغابة ٥ : ٢٣١

•

١٠

١٥

٢٠

أصحاب عمرة الحديبية كما تقدم ، لم يتخلف منهم إلا الجحد بن قيس ، قالوا :
ولما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه
على الأخرى . روى أن رجلا جاء إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ،
فسأله عن عثمان رضى الله عنه ، أكان شهيد بدر؟ قال : لا ؛ قال : أكان شهيد
بيعة الرضوان؟ قال : لا ؛ قال : فكان من الذين تولّوا يوم ألتقى أجمعان؟ قال :
نعم . قال : فانطلق الرجل ؛ فقيل لعبد الله بن عمر : إن هذا يرى أنك قد عبته ،
قال : على به ؛ فأتى به فقال : أما بدر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضرب
له بسهمه [وأجره ^(١)] ؛ وأما بيعة الرضوان فقد بايع له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيد رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من يد عثمان ، وأما الذين تولّوا يوم ألتقى
الجمعان فقد عفا الله عنهم ، فأجهد على جهدك ^(٢) .

١٠

وأزل الله عز وجل في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البيعة
قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ . قال
الكلبي : معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة . وقال ابن كيسان :
قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم . ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وهو الجنة . وقوله
تعالى في السورة أيضا : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من الصدق والوفاء ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ .
قيل : فتح خيبر ؛ روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : " لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة " .

١٥

(١) ساقطة من أ .

(٢) اجهد جهدك ، أى المبلغ غايتك .

٢٠

ذكر هُدنة قريش وما وقع فيها من الشروط

- قال : ثم بعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو
أخا بني عامر بن لؤي ، فقالوا : إيتِ عهدا فصالحه ، ولا يكن في صالحه إلا أن
يرجع عنا عامه هذا . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : "قد سهل أمركم ، القوم مأتون إليكم بأرحامهم ، وسائلوكم الصلح ، فابعثوا
الهدى وأظهروا التلبية ، لعل ذلك يلين قلوبهم" . فلبسوا من نواحى العسكر حتى
ارتجت أصواتهم بالتلبية ، قال : واتمى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتكلم فأطال ، وتراجعا ، ثم جرى الصلح بينهما ، فلما التأم الأمر
ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى بكر الصديق
رضى الله عنه فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ؟ قال :
بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا المشركين ؟ قال :
بلى ، قال : فعلامٌ تُعطيُ الدنية ^(١) في ديننا ؟ قال أبو بكر : أيها الرجل ، إنه رسول الله ،
وليس نعصى رأيه ، فاستمسك بفرزه حتى تموت ، فوالله إنه لعلى الحق ، قال عمر :
أو ليس كان يحدّثنا أنا سنأتى البيت نظوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرك أنك تأتية ^(٢)
العام ؟ قال : لا ، قال : فإنك آتية ومطوف به . قال : ثم جاء عمر إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : ألسنت رسول الله ؟ قال : "بلى" ، قال : ألسنا على الحق

٨٤
١٥

(١) الدنية : الخصلة الحسبية .

(٢) كذا في أ ، ح . وفى الكشف والبيان : « وليس يعصى ربه » .

(٣) فاستمسك بفرزه : أى تمسك بأمره فلا تخالفه ، كالذى يتمسك بركاب الزاكب . والغرز للإبل

بمزلة الركاب للفرس .

(٤) كذا في أ . وفى ج : « أنه يأتية » .

- وعدونا على الباطل؟ قال : "بلى"؛ قال : فلم تعطى الدنيا في ديننا إذا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري" . وفي رواية قال : "إني عبد الله ورسوله ، إن أخالف أمره ولن يضيعني" . قال عمر : ألسنتنا نحن أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : "بلى ، هل أخبرتكم أنك تأتيه العام؟" قال عمر : لا ؛ قال : "فإنك آتية ومطوف به" . قال عمر : والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ ، فما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت [يومئذ ^(١)] مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت خيرا . قالوا ^(٢) : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : "اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم"؛ فقال سهيل : أما الرحمن فلا أدري ما هو؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم [كما كنت تكتب ، قال المسلمون : لا والله لا تكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اكتب : باسمك اللهم" ^(٣)] فكتبها ، ثم قال : "اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو" . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والله إني لرسول الله وإن كذبتوني"؛ ثم قال لعلي : "أضح رسول الله" . فقال : والله لا أمحوك أبدا . فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس يحسن يكتب فحاه ؛ ثم قال : "اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن

(١) ساقطة من أ .

(٢) في أ : « قال » .

(٣) ما بين العلامتين ساقطة من أ .

بعض ، وعلى أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً أو يتغنى من فضل الله فهو آمن على نفسه وماله ، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو الشام ، يتغنى من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ، وعلى أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردّه عليه . فاشتد ذلك على المسالمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من جاءهم منا فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم ورددناه إليهم فإن علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً" . وأن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه" . فتوالت خراعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتوالت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت [فنتطوف به] . فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنك أخذتنا ضغطة ، ولكن لك ذلك من العام المقبل ؛ فكتب : وعلى أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف في القرب ، وسلاح الراكب ، وعلى أن هذا الهدى حينما حبسناه محله ، لا تقدمه علينا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نحن نسوقه وأتم تردون وجوهه" ! قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرُسُف في قيوده ،

(١) عيبة مكفوفة ، أى أمور مطوية في صدور سليمة ، إشارة إلى ترك المؤاخذه بما تقدم بينهم

من أسباب الحرب وغيرها . (٢) لا إسلال ولا إغلال ، أى لا سرقة ولا خيانة .

(٣) ساقطة من أ . (٤) الضغطة : الإكراه والشدة .

- وقد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه ، وقال : يا مجد ، قد تمت القضية بنى وبينك قبل أن يأتك هذا ، وهذا أول من أقاضيك عليه أن تردّه إلينا ، ثم جعل يجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أردت إلى المشركين وقد جئت مسلماً ليفتنوني عن ديني ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عدّب عذاباً شديداً في الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا جندل ، احتسب ، فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عاقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً ، وأعطيناهم على ذلك عهداً ، وإنا لا نغدر" . قال : فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي جندل يمشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب - ويدنى قائم السيف منه - قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، فضنّ الرجل بأبيه .

- قال : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ، وزادهم أمر أبي جندل شراً إلى ما بهم ، قالوا :
 فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب ، وفرغت القضية أشهد على الصلح رجالات المسلمين ورجالاً من المشركين : أبا بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف ،
 وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة أخا^(١)
 بنى عبد الأشهل ، وميكرز بن حفص بن الأخيف ، وهو مشرك ، وعلى بن أبي طالب ، وكان هو كاتب الصحيفة . قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه

(١) في ١ : « محمود بن أبي مسلمة » .

وسلم من قضيته سار مع الهدى ، وسار الناس ، فلما كان الهدى دونَ الجبال التي
تطلع على وادى الثنية عرض له المشركون ، فردّوا وجوهه ، فوقف النبي صلى الله
عليه وسلم حيث حبسوه ، وهى الحديدية ، وقال لأصحابه : ” قوموا فانحروا ،
ثم اخلقوا “ . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرّات ؛ فلما
لم يبق منهم أحد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة ، فذكر لها
ما لى من الناس ؛ فقالت له أم سلمة رضى الله عنها : يا نبيّ الله ، انخرج ولا تكلم
منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعو خلقك فيحلقك . فقام صلى الله عليه
وسلم فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة حتى نحر بدنته ودعا خلقه فحلقه ، وكان الذى
حلقه ذلك اليوم حراش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس ذلك قاموا
فانحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غمّا . قال عبد الله
ابن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم : حلق رجال يوم الحديدية وقصر
آخرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يرحم الله المحلقين “ . قالوا :
يا رسول الله ، والمقصرين ؟ قال : ” يرحم الله المحلقين “ ؛ قالوا : يا رسول الله ،
والمقصرين ؟ قال : ” يرحم الله المحلقين “ ؛ قالوا : يا رسول الله ، والمقصرين ؟
[قال : ” يرحم الله المقصرين “] قالوا : يا رسول الله ، فلمَ ظهرت الترحم على
المحلقين دون المقصرين ؟ قال : ” لأنهم لم يشكّوا “ . قال ابن عمر : وذلك أنه تربص
قوم قالوا : لعننا نطوف بالبيت .

(١) فى أ : « بعضهم » .

(٢) ما بين العلامتين ساقط من أ .

ذكر رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

ونزول سورة الفتح

قال الزهري : وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا حتى كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ .

- روى قتادة عن أنس قال : لما رجعنا من غزوة الحديبية قد حيل بيننا وبين نُسُكنا ، فنحن بين الحزن والكآبة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ الآية كلها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد أنزلت على آية هي أحب إلى من الدنيا كلها " . وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يسير معه ليلا ، فسأله [عمر] ^(١) عن شيء فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، قال عمر رضى الله عنه : فحركت بعيرى حتى تقدمت أمام الناس ، وخشيت أن يكون نزل في قرآن ، فبغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه ، فقال : " لقد أنزلت على اللبلة آية هي أحب إلى مما طلعت عليه الشمس " . ثم قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ . وقد اختلف في الفتح ، ما هو ؟ فقال قتادة عن أنس : فتح مكة ، وقال مجاهد والعمري : فتح خيبر ، وقال آخرون : فتح الحديبية ، ويدل عليه ما روى عن مجمع بن جارية الأنصاري ، — وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن — قال : شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انصرفنا عنها إذا الناس ^(٢) يهزؤون الأباعر ، فقال بعض الناس لبعض : ما بال الناس ؟ قالوا : أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فخرجنا ^(٣) نُوجِف ، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سافطة من أ . (٢) في القرطبي ج ١٦ ص ٢٥٩ : « سورة ٥٥ » .
 (٣) يهزؤون الأباعر : ينشطونها بالهداء . لتخف وتسرع في سيرها .
 (٤) الإيجاف : سرعة السير .

واقفا على راحلته عند كراع الغميم^(١) ، فلما اجتمع إليه الناس قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ فقال عمر : أو فتح هو يا رسول الله ؟ قال : نعم ، والذي نفسى بيده إنه لفتح . وقال الشعبي رحمه الله : فتح الحديدية ، غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، واطعموا نخل خيبر ، وبلغ الهدى^(٢) محله ، وظهرت الروم على فارس ، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس . وقال مقاتل بن حيان : يسرنا لك يسرا بيننا . وقال مقاتل بن سليمان : لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَا آذِرِي مَا يَفْعَلُ فِي وَلَا بِكُمْ ﴾ فرح بذلك المشركون والمنساقون وقالوا : كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به وبأصحابه ، ما أمرنا وأمره إلا واحد ، فأنزل الله عز وجل بعد ما رجع من الحديدية : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ أى قضينا لك قضاء بيننا ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ فنسخت هذه الآية تلك . قال سفيان الثوري : ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾ ما عملت فى الجاهلية ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ كل شيء لم يعمله . وقال عطاء بن أبى مسلم الخراسانى : ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾ يعنى ذنب أبويك آدم وحواء ببركك ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ذنوب أمتك بدعوتك . وقال الزيادى : أى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه . ﴿ وَيُتِمِّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ أى بالنبوة والحكمة ﴿ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ أى ويثبتك عليه ، وقيل : يهدى بك ، ﴿ وَيُنصِّرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴾ غالبا ، وقيل : معزا .

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ، قال الثعلبي : أى الرحمة والطمأنينة . قال ابن عباس رضى الله عنهما : بعث الله عز وجل نبيه عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا الله ، فلما صدقوه زادهم

(١) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة . (٢) فى ١ : « أبلغ » .

الصلاة، [فلما صدَّقوه زادهم الزكاة]، فلما صدَّقوه زادهم الصيام، فلما صدَّقوه زادهم الحج، ثم زادهم الجهاد، ثم أكل لهم دينهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ أى تصديقا بشرائع الإيمان مع تصديقهم بالإيمان . وقال الضحاك : يقينا مع يقينهم . وقال الكلبي : هذا فى أمر الحديدية . وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ على الناس قوله : ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قالوا : هنيئا مريثا يا رسول الله ، قد بين الله ما يفعل بك ، فما يفعل بنا ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قُوْرًا عَظِيمًا﴾ ثم قال تعالى ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ إن لم يُنصر محمد والمؤمنون ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالذل والعذاب ﴿وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَعْمَهُمْ وَأَعْدَتْ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ إلى قوله : ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُحْرًا وَأَصِيلًا﴾ ثم ذكر الله تعالى قصة البيعة ، وقد تقدمت .

ثم قال تعالى : ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ قال ابن عباس ومجاهد : يعنى أعراب غفار ومزينة وجُهينة وأشجع وأسلم والديبل ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديدية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ، ليخرجوا معه حذرا من قريش

(١) ما بين العلامتين ساقط من أ .

أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، وأحرم هو صلى الله عليه وسلم بالعمرة وساق معه الهدى ، ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً ، فتناقل عنه كثير من الأعراب وقالوا : نذهب معه إلى قوم قد جاءوه فقتلوا أصحابه فتقاتلهم ؟ فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل ، فأنزله الله تعالى : (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ) ، الآية . أى إذا انصرفت إليهم فعاتبتهم على التخلف عنك (شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا) ثم كذبهم في اعتذارهم واستغفارهم ، وأخبر عن إسرارهم وإضمارهم ، فقال : « يَقُولُونَ بِاللَّيْسَتَهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ » .

قوله تعالى : (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَّا ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْئًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) وذلك أنهم قالوا : إن عمدا وأصحابه أكلت رأس ، فلا يرجعون ، فأين تذهبون ؟ انتظروا ما يكون من أمرهم . (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) أى هالكين فاسدين ، لا تصلحون لشيء من الخير . قال تعالى : (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) .

قوله تعالى : (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ لِنَاخِدُوهَا ذُرُونَا تَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُ مُخْشِدُونَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : (الْمُخَلَّفُونَ) أى عن الحديدية (إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ) يعنى غنائم خيبر (ذُرُونَا تَتَّبِعْكُمْ) أى إلى خيبر ، فنشهد معكم قتال أهلها (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) معناه يريدون أن يغيروا وعد الله الذى وعد أهل الحديدية ، وذلك أن الله تعالى جعل لهم غنائم خيبر عوضاً عن غنائم أهل مكة ، إذ انصرفوا عنها عن صلح ولم يصيبوا منها شيئاً . وقال ابن زيد :

(١) كذا فى ح . وفى أ : « إذا » .

هو قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ قال : والأول أصوب ، لأن قوله تعالى : ﴿ لَنْ تُخْرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا ﴾ نزلت في غزوة تبوك . قال : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أى من قبل مرجعنا إليكم : إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب : ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَ النَّبَا ﴾ أى أن نصيب معكم من الغنائم .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَاهِدُونَ ﴾ ، قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهد : هم فارس . وقال كعب الأحبار : الروم . وقال الحسن : فارس والروم . وقال عكرمة : هوازن . وقال سعيد بن جبير : هوازن وثقيف . وقال قتادة : هوازن وغطفان يوم حنين . وقال الزهري ومقاتل : بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيامة الكذاب . وقال رافع بن خديج : والله لقد تكلمنا هذه الآية فيما مضى : ﴿ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضى الله عنه إلى قتال بنى حنيفة فعلمنا أنهم هم .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ يُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : لما نزلت هذه الآية قال أهل الزمارة : فكيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ (١) يعنى عن التخلف عن الجهاد والقعود عن الغزو ﴿ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ يعنى فى ذلك ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

(١) أهل الزمارة : ذور العاهات .

ثم أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم برضاه عن أهل بيعة الرضوان ، فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ، وقد تقدم ذكر ذلك آنفا . ثم قال تعالى : ﴿ وَعَدْتُمْ اللَّهَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ . وهى الفتوح التى تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ يعنى خيبر . وسند ذكر ذلك إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لغزوة خيبر . ثم قال تعالى : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ ^(١) قال : معناه ووعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم . واختلفوا فيها ، فقال ابن عباس وعبد الرحمن بن أبى ليلى والحسن ومقاتل : هى فارس والروم ، وقال الضحاك وابن زيد وابن إسحاق : هى خيبر ، وعدّها الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ، ولم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها . وهى رواية عطية وبازان عن ابن عباس . وقال قتادة : هى مكة . وقال مجاهد : ما فتحوا حتى اليوم .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يَحْسُدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ، قال : يعنى أسدا وغطفان وأهل خيبر . وقال قتادة : يعنى كفار قريش ، ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ، واختلفوا فى هؤلاء ، فقال أنس : إن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل التنعيم ^(٢) عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوه ، فأخذهم

(١) فى - : « معناه أى ووعدكم » .

(٢) التنعيم : موضع بمكة فى الحل بين مكة وسرف .

رسول الله صلى الله عليه وسلم سلما فأعتقهم ، فأنزل الله عز وجل الآية . وقال
عكرمة عن ابن عباس : إن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين ،
وأمرهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقد قدمنا ذكرهم .

وقال عبد الله بن مغفل : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة ،

٨٨
١٥

- ٥ وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة ، فرفعته عن ظهره ، وعلى بن أبي طالب
رضي الله عنه بين يديه يكتب كتاب الصلح وسهيل بن عمرو ، نخرج علينا ثلاثون
شابا عليهم السلاح ، فثاروا في وجوهنا ، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخذ الله بأبصارهم ، فقمنا إليهم فأخذناهم ، نحلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله عز وجل الآية . وقيل : غير ذلك . والله تعالى أعلم .

- ١٠ ثم قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا
أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ ﴾ الآية . وهي قصة الحديبية وقد تقدم شرحها . وقوله تعالى :
﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتَصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ
يَغْيِرُ عَلَيْكُمْ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ،
قال : قوله : ﴿ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ ﴾ أي تقتلوهم ﴿ فَتَصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ يَغْيِرُ عَلَيْكُمْ ﴾ ، قال
١٥ ابن زيد : إثم . وقال ابن إسحاق : غُرم الدية . وقيل : الكفارة ، لأن الله عز وجل
إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجر منها ولم يعلم قاتله
إيمانه الكفارة دون الدية . وقيل : هو أن المشركين يعيرونكم ويقولون : قتلوا
أهل دينهم . والمعزة المشقة ، وأصلها من العز وهو الجرب . قال : فلولا ذلك لأذن
لكم في دخول مكة ، ولكنه حال بينكم وبين ذلك . ﴿ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾

٢٠ (١) سلما : قال ابن الأثير : « يروي بكسر السين وفتحها ، وهما لغتان للصلح » . وقال الخطابي :

« إنه السلم بفتح السين واللام ، يريد الاستسلام والإذعان » .

أى فى دىن الإسلام « مَنْ يَسْأُ » من أهل مكة قبل أن تدخلوها . قال : وقال بعض العلماء : قوله « لَعَدَبْنَا » جواب لكلامين أحدهما « وَأَوْلَا رِجَالٌ » والثانى « لَوْ تَزَيَّلُوا » أى تَمَيَّزُوا . وقال قتادة فى قوله : « لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ » أى أن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركى مكة . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل : « لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » قال : « هم المشركون من أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان بعدهم فى عصره ، كان فى أصلابهم المؤمنون ، فلو تزيل المؤمنون عن أصلاب الكافرين لعذب الله الكافرين عذابا أليما » .

قوله تعالى : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) ، قال ابن إسحاق : يعنى سهيل بن عمرو حين حذى أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم . وأن مجدا رسول الله . (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) ، قال : كلمة التقوى يعنى الإخلاص ؛ وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى قوله تعالى : « وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى » : « لا إله إلا الله » . وهو قول ابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة والضحاك وسامة بن كهيل وعبيد بن عمير وعكرمة وطلحة بن مصرف والربيع والسدى وابن زيد . وقال عطاء الخراسانى : هى لا إله إلا الله محمد رسول الله . وعن على رضى الله عنه قال : كلمة التقوى : لا إله إلا الله والله أكبر ، وهو قول ابن عمر . وقال عطاء بن أبى رباح : هى لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،

(١) حى : أنف .

له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وعن الزهري : كلمة التقوى هي
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ
دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ ، قال : الرؤيا التي أراها إياه في مخرجه إلى الحديبية أنه
يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام . قوله : « فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا » أي أن الصلاح
كان في الصلاح . « بِفَعْلٍ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا » قيل : صلح الحديبية .

ثم قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أي أنك نبي صادق فيما تنبئ .

- ثم وصف تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّرِجْ أَخْرَجَ شَطَاهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَى
سُوقِهِ يُعِجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . قال الثعلبي رحمه الله تعالى : قوله : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ
اللَّهِ » تم الكلام هاهنا ، يعني الكلام الأول ، ثم قال مبتدئا : « وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ » أي غلاظ لا تأخذهم فيهم رافة . « رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » أي متعاطفون
متوادون بعضهم على بعض . « يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ » أي يدخلهم جنته .
« وَرِضْوَانًا » يرضى عنهم . « سِيَّاهُمْ » علامتهم . « فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ »
واختلف العلماء في هذه السيء ، فقال قوم : هو نور وبياض في وجوههم يوم

القيامة ، يعرفون بتلك العلامة أنهم سجدوا في الدنيا ؛ وهي رواية العوفي عن ابن عباس . وقال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس : استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا . وقال شهر بن حوشب : يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر . وقال آخرون : هو السمّ الحسن والخشوع والتواضع . وقال منصور : سألت مجاهدا عن قوله تعالى : « سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ » أهو الأثر يكون بين عيني الرجل ؟ قل : لا ، ربما يكون بين عيني الرجل مثل رُكبة البعير ، وهو أقسى قلبا من الحجارة ، ولكنه نور في وجوههم من الخشوع . وقال ابن جريج : هو الوقار والبهاء . وقال شمر بن عطية : هو التهيج وُصفرة الوجه وأثر السمهر . وقال الحسن : إذا رأيتهم حسبتهم مرضى ، وما هم بمرضى . وقال عكرمة وسعيد بن جبير : هو أثر التراب في جباههم . وقال عطية الخراساني : دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس . « ذَلِكَ مَثَلُهُمْ » أي ذلك الذي ذكرت « مَثَلُهُمْ » صفتهم « فِي التَّوْرَةِ » قال : وها هنا تم الكلام . ثم قال : « وَمَثَلُهُمْ » صفتهم « فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّرَجَ أَنْجَرَجَ شَطَّاهُ » ؛ قال أنس : « شَطَّاهُ » نباته . وقال ابن عباس : سنبله . وقال مجاهد والضحاك : ما يخرج تحت الحِقْلَةِ فينمو ويتم . وقال مقاتل : هو نبت واحد ، فإذا خرج ما بعده فقد شَطَّاه . وقال السدي : هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى . وقال الفراء : الأَشْطَاءُ : الزرع إذا نبت سبعا أو ثمانيا أو عشرا . وقال الأخفش : فراخه ، يقال : أشطا الزرع فهو مشطى إذا فرَّخ ، قال الشاعر :

أخرج الشطء على وجه الثرى * ومن الأشجار أفنان الثرى

قال : وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، يعني أنهم كانوا يكونون قليلا ، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون . قال قتادة : مثل أصحاب

(١) الحِقْلَةُ ، بالفتح والكسر : ما يبقى من الماء الصافي في الحوض .

- محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم يبنون نبات
الزراع، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر. « قَاَزَرَهُ » قَوَاهُ وَأَعَانَهُ وَشَدَّ أَرْزَهُ .
« فَاَسْتَعْلَظَ » ، فَعَلَّظَ وَقَوَى . « فَاَسْتَوَى » تَمَّ وَتَلَا حَقَّ نَبَاتَهُ وَقَامَ . « عَلَى سُوْقِهِ » أَصُولُهُ .
« يُعْجِبُ الزَّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ » يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَعَلَ ذَلِكَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ . قَالَ الثَّعْلَبِيُّ بِسَنَدٍ يَرْفَعُهُ
إِلَى الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » قَالَ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . وَالَّذِينَ
مَعَهُ ، أَبُو بَكْرٍ . « أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ » عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . « رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » عِثَانُ بْنُ عَفَّانٍ .
« تَرَاهُمْ رُكَّعًا مُجَدِّدًا » عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . « يَتَسَنَّوْنَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا » طَلْحَةُ
وَالزَّيْبِرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ . « سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ
أَثْرِ السُّجُودِ » ، قَالَ : هُمُ الْمُبَشَّرُونَ ، أَوْ هُمْ أَبُو بَكْرٍ وَأَحْرَمُ أَبُو عُبَيْدَةَ . « ذَلِكَ مَثَلُهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ » قَالَ : نَعْتُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ كَمَثَلِ زَرْعٍ . قَالَ :
الزَّرْعُ : مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . « أَخْرَجَ شَطَاةً » أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ . « قَاَزَرَهُ » عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ .
« فَاَسْتَعْلَظَ » عِثَانُ ، يَعْنِي اسْتَعْلَظَ عِثَانٌ لِلْإِسْلَامِ . « فَاَسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ » عَلِيُّ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ ، يَعْنِي اسْتَقَامَ الْإِسْلَامُ بِسَيْفِهِ . « يُعْجِبُ الزَّرَاعَ » قَالَ : الْمُؤْمِنُونَ .
« لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ » قَالَ : قَوْلُ عُمَرَ لِأَهْلِ مَكَّةَ : لَا نَعْبُدُ اللَّهَ سِرًّا بَعْدَ الْيَوْمِ .
رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

ذَكَرُ خَبْرَ أَبِي بَصِيرٍ وَمَنْ لَحِقَ بِهِ وَانْضَمَّ إِلَيْهِ

قَدْ اخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ ، فَقِيلَ : عُبَيْدُ بْنُ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ . وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :
عُتْبَةُ بْنُ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ . وَعَنْ أَبِي مَعْشَرَ قَالَ : اسْمُهُ عُتْبَةُ بْنُ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ بْنِ

أسيد بن عبد الله بن سلمة بن عبد الله بن غيرة بن عوف بن قسي، وهو ثقيف
ابن منبه بن بكر بن هوازن، حليف لبني زهرة. وخبره وإن لم يكن داخلا في جملة
الغزوات والسرايا فليس هو مناف لها، وموجب إيرادنا إياه في هذا الموضوع لتعلقه بغزوة
الحديبية، ولأن رده كان من شروط الهدنة. ونحن نورده هاهنا على ما أورده الشيخ
الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، رحمه الله تعالى، في كتابه المترجم بدلائل النبوة
ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وما أورده أبو محمد عبد الملك بن هشام عن محمد
ابن إسحاق رحمه الله تعالى، يدخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا :

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة انفلت رجل من أهل
الإسلام من ثقيف، يقال له : أبو بصير بن أسيد بن جارية الثقفي من المشركين،
فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما مهاجرا، وكان ممن حُبس بمكة، فكتب
فيه أزهري بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة، والأخضس بن شريق بن عمرو بن
وهب الثقفي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعثنا رجلا من بني عامر بن
لؤي، ومعه مولى لهم، ويقال : كانا من بني متقد، أحدهما مولى والآخر من
أنفسهم، اسمه جحش بن جابر، وكان ذا جلد ورأى في أنفس المشركين، وجعل
لها الأخضس في طاب أبي بصير جعلا، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم
ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولن معك من
المستضعفين فرجا ومخرجا، فانطلق إلى قومك". فقال : يا رسول الله، أتردني
إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ قال : "انطلق، فإن الله سيجعل لك فرجا

- ومخرجا“، ودفعه إليهما، فخرجا به، حتى إذا كانا بذى الخليفة^(١) سلّ بحش سيفه، ثم هزّه وقال: لأضربنّ بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوما إلى الليل، فقال له أبو بصير: أو صارم سيفك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ناولنيه أنظر إليه. فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به حتى برد، ويقال: بل تناول أبو بصير سيف حش بفيه، وهو نائم، فقطع به إيساره، ثم ضربه به حتى برد؛ وطلب الآخر فجمز مذعورا^(٢) مستخفيا، حتى دخل المسجد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم حين رآه: “لقد رأى هذا ذُعرا“؛ فأقبل واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: “ويحك! مالك؟“ فقال: قتل صاحبكم صاحبى. وجاء أبو بصير يتلوه، فلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: وقت ذمتك يا رسول الله، وأدى الله عنك، دفعتني إليهما فتعرفت أنهم سيعذبونني ويفتنونني عن ديني، فقتلت المنقذى، وأفلنتي هذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: “ويل آمة مسعر حرب لو كان معه رجال!“، وجاء أبو بصير بسلبه فقال: نحس يا رسول الله؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: “إني إن نحسسته لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلب صاحبك، واذهب حيث شئت“. فخرج أبو بصير معه خمسة نفر كانوا قدموا مسالمين من مكة حيث قدم، ولم يطلبهم أحد، وساروا حتى نزلوا بين العيص وذى المروة من أرض جهينة، على طريق عيرات قریش مما يلي سيف البحر، لا تمر

(١) ذو الخليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة.

(٢) جز: عدا وأسرع.

(٣) مسعر الحرب: موقعا، يقال: رجل مسعر حرب إذا كان يؤرثها، أى يحمي به الحرب؛

يتعجب النبي من شجاعته وجرأته وإقدامه.

بهم غير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها ، وانفلت أبو جندل بن سميل بن عمرو - واسم أبي جندل العاص بن سميل^(١) على ما أورده الزبير بن بكار - في سبعين راجبا أسلموا ، فلحقوا بأبي بصير حين^(٢) بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال" ، فقطعوا مادة قريش من طريق الشام . وكان أبو بصير يصلي لأصحابه ، فلما قدم عليه أبو جندل كان هو يؤمهم ، واجتمع إلى أبي جندل ناس من بني غفار وأسلم وجهينة وطوائف من الناس ، حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل ، وهم مسلمون ، فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير ، لا تمر بهم غير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها ، وقال أبو جندل في ذلك :

أبلغ قريشاً عن أبي جندل * أنا بذى المروة بالساحل
في معشر تخفق راياتهم * بالبيض فيها والقنا الذبيل^(٣)
يأبون أن تسبق لهم رفقة * من بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجا * والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه * أو يقتل المرء ولم يأتل^(٤)

فأرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامهم^(٥) ، وقالوا : لا حاجة لنا بهم . قال البيهقي : وقالوا : من خرج منا إليك فأمسكه غير حرج أنت فيه ، فإن هؤلاء الركب قد فتحو علينا بابا لا يصلح إقراره . فلما كان ذلك من أمرهم ، علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنع

٩١
١٥

(١) في أ : « سهل » تصحيف . (٢) في أ : « حتى » .

(٣) الذيل : الدققة اللاصقة القشر . (٤) لم يأتل : لم يقصر .

(٥) في ج : « بأرحامها » .

أبا جندل من أبيه بعد القضية أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لهم فيما أحبوا وكرهوا . وحكى البيهقي : أن هؤلاء هم الذين مر بهم أبو العاص بن الربيع فأخذوا ما معه ، فلما بلغهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا من أسروا من أصحاب أبي العاص ، وردوا إليهم جميع ما أخذوه حتى العقال ، وقد تقدم خبر أبي العاص ، وقيل : إنما أخذ في غير هذه السرية . والله أعلم .

قال : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى أبي بصير وأبي جندل يأمرهما أن يقدموا عليه ، ويأمر من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم ، ولا يعترضوا لأحد من جندل وأبي بصير . فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي جندل وأبي بصير ، وأبو بصير قد أشرف على الموت ، فمات وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه ، فدفنه أبو جندل مكانه ، وجعل عند قبره مسجدا ، وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ناس من أصحابه ، ورجع سائرهم إلى أهليهم ، وأمنت عيرات قريش .

ذكر غزوة خيبر وفتحها وما يتصل بذلك

قال محمد بن سعد : غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى سنة سبع من مهاجرة . وقال محمد بن إسحاق وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : في المحرم من السنة . وخبير على ثمانية بُرد من المدينة . قالوا : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيؤ لغزاة خيبر ، وأجلب^(١) من حوله يريدون الغزاة معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يخرجن معنا

إلا راغب في الجهاد، وشق ذلك على من بقى بالمدينة من اليهود، فخرج واستخلف على المدينة سباع بن عرفة الغفاري، قاله ابن سعد والبيهقي . وقال ابن إسحاق : استخلف ثُمَيْلَةَ بن عبد الله الليثي ؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضي الله عنها .

قال ابن إسحاق : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر قال في مسيره لعامر بن الأكوع - وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، واسم الأكوع سنان - : " انزل يا ابن الأكوع ، نغذ لنا من هَنَاتِكَ " ، فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

إنا إذا قوم بغوا علينا * وإن أرادوا فتنة أينا

فأنزلن سَكِينَةً علينا * وثبت الأقدام إن لاقينا^(٢)

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يرحمك ربك" . ومن رواية البيهقي : " غفر لك ربك " . قال : وما خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا قط إلا استشهد . قال ابن إسحاق : فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وجبت والله يا رسول الله ، أو متعتنا بعاصر ؛ فقتل يوم خيبر شهيدا ، رجع سيفه عليه وهو يقاتل ، فكلمه كلما شهيدا فمات .

(١) هَنَاتِكَ : أى من أعبارك وأمورك وأشعارك .

(٢) ذكر هذا الرجز في شرح الزرقاني بأسلوب يختلف عما ذكرنا في ألفاظه وأبياته . ونقل عن كتاب الفتح : « أكثر هذا الرجز تقدم في الجهاد عن البراء ، وأنه من شعر عبد الله بن رواحة ، فيحتمل أن يكون هو وعامر تواردا على ما تواردا عليه ؛ بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر ، واستعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة » . ج ٢ ص ٢٦٢ من شرح المواهب اللدنية .

قال : ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سلك على عصر^(١) فبنى له فيه مسجدا ، ثم على الصهباء^(٢) ، ثم أقبل بجيشه حتى نزل بوادي يقال له : الرجيع^(٣) ، فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فلما سمعت غطفان بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا ، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا متقلبة^(٤) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسا ، وظنوا أن القوم قد خانوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهليهم وأموالهم ، وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

قال : ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر قال لأصحابه : "قفوا" فوقوا ، ثم قال : "اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقلن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما دَرَّين ، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله" . قال : ولما نزل بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة ، ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس ، وأصبحوا وأفئدتهم تحفق ، وفتحوا حصونهم ، وغدوا إلى أعمالهم ، معهم المساحي^(٥) ، والكرازين — وهي القنوس — والمكائيل — وهي الزناويل — فلما نظروا إلى

٩٢
١٥

(١) عصر : جبل بين المدينة ووادي القرع ورواه بعضهم بالتحريك ، (وانظر ياقوت) .

(٢) في ج : « فيها » .

(٣) الصهباء : موضع قرب خيبر .

(٤) المتقلبة : المرحلة من مراحل السفر .

(٥) المساحي : جمع مسحاة ، وهي الحجرقة من الحديد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : محمد والخميس^(١) — يعنون الجيش — فولوا هار بين
إلى حصونهم ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الله أكبر ، خربت خير ،
إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين" ، ووعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس ، وفتق فيهم الرايات ، ولم تكن الرايات إلا يوم خير ، إنما كانت الأوية^(٢) ،
فكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء من برد لعائشة أم المؤمنين
رضي الله عنها تدعى العقاب ، ولواؤه أبيض ، ودفعه إلى علي بن أبي طالب ،
وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سعد بن عبادة ، وكان شعارهم : «يامنصور
أيت» ، وكانت حصون خير حصونا ذوات عدد ، منها النظاة ، وحصن الصعب
ابن معاذ ، وحصن ناعم ، وحصن قلعة الزبير^(٣) ، هذه حصون النظاة . والشق وبه
حصون منها : حصن أبي ، وحصن التزار . وحصون الكتبية منها : القموص ،
والوطيح ، وسلام . وسندكر إن شاء الله فتحها حصنا حصنا . قال : وخرج مرحب
اليهودي من حصنهم ، قد جمع سلاحه وهو يقول :

قد علمت خير أئى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب^(٤)

أطعن أحيانا وحيناً أضرب * إذا الليوث أقبلت تحرب^(٥)

* إن حمى للجمي لا يقرب *

(١) سمي الجيش نجيساً لأنه نجسة أقسام : المقدمة ، والساقة ، والميمنة ، والميسرة ، والقلب .

(٢) قال في المصباح : «لواء الجيش عليه : وهو دون الراية» .

(٣) في شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٧٣ ما يأتي : « مفاد عطف المصنف ما ذكر على النظاة

— تبعاً لمغلطاي — أن النظاة اسم لحصن مغاير لما بعده ، والشامى جعل النظاة اسماً لحصن ناعم والصعب

والزبير ، فإن وفقت بينهما فقدّر بعد النظاة : وحصونها ثلاثة » .

(٤) شاكى السلاح : يريد حادّ السلاح .

(٥) تحرب : تنفض .

ثم يقول : هل من مبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك وهو يقول :

قد علمت خيبرُ أنى كعبُ * مفرجُ الغمِّ جرىءُ صلبُ
إذ شبت الحربُ تليها الحربُ * معى حسامُ كالعقيقِ غضبُ^(١)
نطاكمُ حتى يُذال الصعبُ^(٢) * نعطي الجزاءَ أو يفيءُ النهبُ^(٣)
* بكفِّ ماضٍ ليس فيه عتبُ^(٤)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لهذا ؟ " فقال محمد بن مسleme : أنا له
يا رسول الله ، أنا والله الموتور الثائر ، قتل أنحى بالأمس ، قال : " فقم إليه ، اللهم
أعنه عليه . " فخرج إليه حتى دنا منه ، فحمل مرحب عليه فضربه ، فاتقاه بالدرقة ،
فأمسكت سيفه ، وضربه محمد بن مسleme فقتله . وقد روى أن الذى قتل مرحبا
على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أعطى اللواء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونهض من نهض معه من الناس ،
فلقوا أهل خيبر ، فأنكشف عمر وأصحابه ، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، يُحِبُّنَّه أصحابه وَيُحِبُّنَّهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس ، فأخذ أبو بكر رضى الله عنه راية
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع ، فأخذها
عمر رضى الله عنه فقاتل قتالا شديدا أشد من القتال الأول ، ثم رجع ، فأخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال : " أما والله لأعطين الراية غدا رجلا يحب
الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يأخذها عنوة . " وفي رواية قال : " يفتح الله على

(١) قال أبو ذر الخثني : « العقيق هنا جمع عقيقة ، وهي شماغ البرق شبه السيف به »

شرح السيرة ٣٤٦ . غضب : فاطع . (٢) في ابن هشام : « بذل » . (٣) الجزاء : جمع
جزية . النهب : ما اتهب من الأموال . (٤) ليس فيه عتب : أى ليس فيه ما يلام عليه .
(٥) الشقيقة : نوع من صداع يعرض في مقدم الرأس وإلى أحد جانبيه .

يديه . فبات الناس يذكرون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أين علي بن أبي طالب ؟ " فقالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ؛ قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه سلمة بن الأكوع فدعاه ، فبأه على بعير له حتى أناخ قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أرمد ، قد عصب عينيه بشقة برد قطري^(١) ، قال سلمة : بحثت به أفوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مالك ؟ " قال : رمدت ؛ فقال : " ادن مني " فدنا منه فتفل في عينيه ، ودعاه فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع ، وما وجعهما حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية وقال : " امض حتى يفتح الله عليك " قال : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ قال : " انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله ، فوالله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم " روى هذا الحديث أو نحوه أهل الصحة . ومن رواية ابن إسحاق عن سلمة بن الأكوع قال : فنهض علي بالراية وعليه حلة أرجوان حمراء ، وقد أخرج نعلها ، فأنى مدينة خيبر ، وخرج مرحب صاحب الحصن ، وعليه مغفر معصفر ، وحجر قد نقيه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وحيثا أضرب * إذا الحروب أقبلت تلهب
* كأن حماي كالحمي لا يقرب *

(١) القطري : نوع من البرود ينسب إلى قرية يقال لها قطر ، وهي بين عمان والعقير .

(٢) انفذ على رسلك : أى امض على هينتك .

(٣) الخمل : هذب القليقة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .

فبرز له على بن أبي طالب فقال :^(١)

أنا الذي ستمتني أمي حيدرته * كليث غاباتٍ شديدٍ قسوره^(٢)
* أَيْكَلِكُمْ بالسيف كيلَ السندرة^(٣) *

فاختلفا ضربتين، فبدره على رضى الله عنه فضربه، فتمد الحجر والمغفر وعلق

- ٥ رأسه، حتى أخذ السيف فى الأضراس . ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى ياسر * شاكى السلاح بطل مغاور^(٤)
إذا الليوث أقبلت تُبادر * إن حمى فيه موت حاضر

وهو يقول : هل من مبارز؟ نخرج إليه الزبير بن العوام رضى الله عنه، وهو يقول :

- ١٠ قد علمت خيبر أنى زبار * قزم لقوم غير نكس فترار^(٥)
أين حماة المجد؟ أين الأخيار؟ * ياسر، لا يفررك جمع الكفار^(٦)
* بجمعهم مثل السراب الختار^(٧) *

فقاتلت أمه صفية بنت عبد المطلب : أيقتل ابنى يا رسول الله؟ قال : "بل ابنك

يقتله إن شاء الله" ثم التقيا، فقتله الزبير . ومن رواية أخرى عن سلمة قال : نخرج

- ١٥ (١) فى ج : « على عليه السلام » . (٢) الحيدرة فى الأصل : الأسد . وقال
ابن الأعرابي : « الحيدرة فى الأسد مثل الملك فى الناس » . (٣) القسورة : العزيز يقتسر
غيره، أى يقهره . (٤) السندرة : مكبال كبير . (٥) مغاور : مقاتل كثير
الفتارات . (٦) القرم هنا : السيد . (٧) النكس : الضعيف .
(٨) كذا فى ج . وفى أ : « ابن حماة المجدابن الأخيار » . وفى الطبرى : « ابن حماة المجد
٢٠ وابن الأخيار » . (٩) الختار : الخداع .

على رضى الله عنه يهرول هرولة وأنا خلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رَضْم حجارة
تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال :
أنا على بن أبي طالب ؛ فقال اليهودى : علوتم وما أنزل الله على موسى . وقال
ابن إسحاق أيضا من رواية أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :
خرجنا مع على رضى الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه ،
فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود فطرح رأسه
من يده ، فتناول على بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده
وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى في نفر معى
سبعة ، أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما نقله .^(١)

قال محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي وغيرهما : إن بنى سهم من أسلم أتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، جهدنا وما بأيدينا من شيء ، فلم
يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعطيهم إياه ، فقال : " اللهم إنك قد
عرفت حالهم ، وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح
عليهم أعظم حصونها غناء ، وأكثرها طعاما وود^(٢)كا " ، فغدا الناس ، ففتح الله عليهم
حصن الصعب بن معاذ ، وما بخير حصن كان أكثر منه طعاما وودكا . قال البيهقي :
وافتح رسول الله صلى الله عليه وسلم حصن ناعم ، فانتقل من كان من يهود بحصن
مصعب بن معاذ وحصن ناعم إلى قلعة الزبير ، ويقال : حصن ناعم أول ما افتتح من
حصونهم ، وعنده قتل مجمود بن مسامة ، ألقبت عليه رعى منه فمات . قال : وحصن

(١) في حاشية ١ : « أنا منهم » .

(٢) الودك : الدسم .

- الزبير حصن منيع في رأس قلعة^(١)، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ثلاثة أيام، بغائه رجل من اليهود يقال له : غزال ؛ فقال : يا أبا القاسم ، تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة ، وتخرج إلى أهل الشَّق ؟ فإن أهل الشَّق قد هلكوا رعباً منك ، فأمته رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهله وماله ، فقال اليهودى : إنك لو أقمت شهرًا ما بالوا ، لهم دُبُول^(٢) تحت الأرض ، يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك ، فإذا قطعت مشربهم عليهم أَسْحَرُوا^(٣) لك . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دُبُولم فقطعها ، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا فقاتلوا أشد قتال ، وقتل من المسلمين يومئذ نفر ، وأصيب من يهود في ذلك اليوم عشرة ، وأفتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان آخر حصون النطاة ؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النطاة تحوّل إلى أهل الشَّق ، وبه حصون ، فكان أول حصن بدأ به صلى الله عليه وسلم حصن أُبَيّ ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلعة يقال لها سَمَوَان ؛ فقاتل عليها أهل الحصن قتالاً شديداً ، وخرج رجل من اليهود يقال له غزول ؛ فدعا إلى البراز ، فبرز له الحُبَاب بن المنذر ، فأختلفا ضربات ، ثم حمل عليه الحُبَاب فقطع يده اليمنى من نصف الذراع ، فسقط السيف من يده وهرب إلى الحصن ، فتبعه الحُبَاب فقطع عُرْقُوبِيَه ، فذُقِف^(٤) عليه ، فخرج آخر فصاح : من يبارز ؟ فبرز له رجل

٩٤
١٥

(١) في الأصلين : « في رأسه قلعة » والتصويب من دلائل النبوة . وجاء في شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٧٤ في هذا الحصن : « وكان اسمه حصن قلعة ، لكونه كان على رأس جبل » .

(٢) دُبُول : جمع دَبْل ، وهو الجدول .

(٣) أَسْحَرُوا : برزوا في الصحراء .

(٤) ذُقِف عليه : أجهز عليه .

من المسلمين من آل بجش ، فقتل الجحشي ، وقام مكانه يدعو إلى البراز ، فبرز له أبو دجانة ، قد عصب رأسه بعصابة حمراء فوق المغفر ، يخال في مشيته ، فبدره أبو دجانة فضربه فقطع رجله ، ثم ذفف عليه وأخذ سلبه ، درعه وسيفه : فنقله رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وأجمعوا عن البراز ، فكبر المسلمون ، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه ، يقدمهم أبو دجانة الأنصاري ، فوجدوا فيه أثانا ومتاعا وغنما وطعاما ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتجمعوا الجدر كأنهم الظبي إلى حصن التزار ، فلقوه وأمتنعوا فيه ، وزحف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقاتلهم ، فكانوا أشد أهل الشق رميا بالنبل والحجارة ، حتى أصاب النبل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقت به ، فأخذ النبل بجمعها ، ثم أخذ كفا من حصباء ، فحصب به حصنهم فرجف الحصن بهم ، ثم ساخ في الأرض حتى جاء المسلمون ، فأخذوا أهله أخذا ، ثم تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكتيبة ، فافتتح القموص ، حصن أبي الحقيق ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بصفية بنت حني بن أخطب .

قالوا : ولما أفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما أفتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، أتتوا إلى حصنهم : الوطيح والسلايم ، وكانا آخر حصون أهل خيبر أفتتاحا ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم . قال البيهقي : حصرهم أربعة عشر يوما وهم لا يطلعون من حصونهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصب المنجنيق عليهم ، فلما أيقنوا

(١) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة .

- بالهلكة سألوا الصالح ، وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 أنزل فأكلتكم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” نعم “ ، فنزل كنانة بن الربيع
 ابن أبي الحقيق فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقن دماء من في حصونهم
 من المقاتلة ، وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر وأرضها بذرارهم ، ويحلون بين
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ما كان لهم من مال وأرض ، وعلى الصفراء
 والبيضاء والكراع^(١) والحلقة ، وعلى البرز إلا ثوبا على ظهر إنسان ، فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : ” وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتمتموني شيئا “
 فصالحوه على ذلك . وكان عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق كتب بنى النضير ، فسأله
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فوجد أن يكون يعلم مكانه ، وقال : نفذ في النفقة
 والحروب ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” كان أكثر من ذلك “ ، ثم جاء رجل من
 ١٠ يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنى رأيت كنانة يطيف
 بهذه الحربة كل غداة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانة : ” رأيت إن
 وجدناه عندك ، أقتلك ؟ “ قال : نعم ؛ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحربة
 فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يؤديه ، فأمر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام به ، فقال : ” عذبه حتى تستأصل ما عنده “ ، فكان
 ١٥ الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة . ويقال :
 كان ذلك بعد فتح حصن القموص ، وقبل فتح الوطيح والسلام .

(١) الصفراء والبيضاء هنا : الذهب والفضة . والكراع : الخيل . والحلقة هنا : السلاح كله .

قال محمد بن إسحاق : ولما نزل أهل خيبر على الصلح سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف ؛ "على أنا إذا شئنا [أن] نخرجكم^(١) أخرجناكم" ، قال : ولما سمع أهل فدك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفتح حصون خيبر بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسألونه أن يُسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ويتخلوا له الأموال ، ففعل ؛ وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك مُحَيِّصَة بن مسعود أخو بني حارثة ، ثم سألوا أن يعاملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف كما عامل أهل خيبر ، فأجابهم إلى ذلك ؛ "على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم" ؛ فكانت خيبر فينا بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

ولما أفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قدم عليه جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه من أرض الحبشة ومن كان بقي بها من المسلمين ، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والترمه ، وقال : "ما أدري بأيهما أنا أسر ، بفتح خيبر أم بقدم جعفر ! " .

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة خيبر

قالوا : استشهد من المسلمين في غزوة خيبر تسعة عشر رجلا . من قریش وحلفائهم خمسة نفر ، وهم رفاعة بن مسروح ، من بني أمية بن عبد شمس ، ومن حلفائهم ربيعة بن أكرم بن سبخرة ، وثقف بن عمرو بن سميظ ، ومن حلفاء بني أسد

(١) زيادة عن ابن هشام .

ابن عبد العزى أبو عمير عبد الله بن الهبيب — ويقال ابن الهبيب — بن أهيب
 الليثي ، ومسعود بن ربيعة ، حليف لبني زهرة ، من القارة . ومن الأنصار أربعة عشر
 رجلا ، وهم : بشر بن البراء بن معرور ، مات من الشاة المسمومة ، وفضيل بن النعمان ،
 ومسعود بن سعد بن قيس ، ومحمود بن مسلمة ، وأبو ضيَّاح النعمان بن ثابت ،
 والحارث بن حاطب ، ممن شهد بدرًا ، وعروة بن مرة بن سُرَاقَة ، وأوس بن
 الفائد ، وأُتَيْف بن حبيب ، وثابت بن إائلة^(٢) ، وطلحة ، ومبشر ، وعمارة بن عقبة ،
 وعامر بن الأكوح الأسلمي ، وكان قد برز له يهودى ، فبرز إليه وهو يقول :
 قد علمت خيبر أنى عامرٌ شاكى السلاح بطلٌ مغامرٌ

واختلفا ضربتين ، فوقع سيف اليهودى في رُس عامر ، ووقع سيف عامر عليه ،
 فأصاب ركبة نفسه وساقه ، فمات منها . قال سلمة بن الأكوح : فررت على نفر
 من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : بطل عمل عامر ؛ فأتيت
 نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنا شاحب أبكى ، فقلت : يا رسول الله ، أبطل عمل
 عامر ؟ فقال : « ومن قال ذلك ؟ » قلت : بعض أصحابك ؛ قال : « كذب من
 قاله ، بل له أجره مرتين ، إنه لجاهدٌ مجاهدٌ » .

واستشهد الأسود الراعى — واسمه أسلم ، وهو من أهل خيبر — وكان من حديثه
 ما حكاه محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي رحمهما الله : أنه أتى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم كان فيها أجيرا لرجل من

(١) في أسد الغابة : « أوس بن الفاتك ، وقيل : ابن الفائد بالهال ؛ وقيل : الفاكه » .

(٢) كذا ضبط في الإصابة « بكسر الهززة وسكون المثلثة » .

يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض على الإسلام ، فعرضه عليه ، فقال : فماذا
 لي إن أنا شهدت وآمنت بالله؟ قال : "لك الجنة إن أنت متَّ على ذلك" ، فأسلم
 وقال : يا رسول الله ، إني كنت أجيروا لصاحب هذه الغنم ، وهي أمانة عندي ،
 فكيف أصنع بها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنرجها من عسكرنا ،
 واحصب وجوهها ، فإن الله سيؤدى عنك أمانتك ، وسترجع إلى ربها" . ففعل
 الأسود وقال : ارجعي إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك ، فخرجت مجتمعمة كأن
 سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن . ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين ،
 فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قط ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فوضع خلفه ، وسجى بشملة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله ، لم أعرضت عنه ؟ قال : "إن معه الآن
 زوجته من الخور العين" .

وقتل من يهود ثلاثة وأربعون ، منهم : الحارث أبو زينب ، ومرحب ،
 وأسير ، وياسر ، وعامر ، وكان بن أبي الحقيق ، وأخوه .

ذكر قسم غنائم خيبر

قال محمد بن سعد : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم فجمعت ،
 واستعمل عليها فروة بن عمرو البياضى ، وأمر بذلك بجزئ خمسة أجزاء ، وكتب
 في سهم منها لله ، وسائر السهمان أغفال ، فكان أول ما نرج سهم النبي صلى الله
 عليه وسلم ، وأمر ببيع الأربعة أنحاس فيمن يزيد ، فباعها فروة ، وقسم ذلك بين

(١) حصبه : رماه بالحصباء .

(٢) في ابن سعد : « ثلاثة وتسعون » .

أصحابه ؛ وكان الذي ولى إحصاء الناس زيد بن ثابت ، فأحصاهم ألفا وأربعمائة رجل ، والحليل مائتي فرس ، فكانت الشَّهْمَانِ على ثمانية عشر سهما ، لكل مائة سهم ، وكان الخمس الذي صار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى منه على ما أراه الله .

- ٥ وقال محمد بن إسحاق: كانت المقاسم على أموال خير، على الشَّقِّ ونَطَاةِ والكُتَيْبَةِ، فكانت الكُتَيْبَةُ تُخَمَسُ اللهُ ، وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطُعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وطُعم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين أهل فدك بالصلح ، منهم مُحِيصَةُ بن مسعود، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وسقاً من شعير، وثلاثين وسقاً من تمر، وكانت الشَّقِّ ونَطَاةِ في سُهْمَانِ المسلمين؛ قال: وقسمت خير على أهل الحُدَيْبِيَّةِ، من شهد منهم ومن غاب ، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهمهم من حضرها . وقال : وكان وادياها : وادى السَّرِيرِ ووادى خاص ، وهما اللذان قسمت عليهما خير، فكانت نَطَاةِ والشَّقِّ ثمانية عشر سهما ، نطاة خمسة أسهم ، والشَّقِّ ثلاثة عشر سهما ، فقسمت الشَّقِّ ونطاة على ألف سهم وثمانمائة سهم ، فكان لكل سهم رأسٌ جُمع ١٥ إليه مائة رجل ؛ قال : ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكُتَيْبَةَ — وهو وادى خاص — بين قرابته ونسائه ورجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها . وروى بشير بن يسار قال : لما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم خير أخذها عنوة، فقسمها على ستة وثلاثين سهما ، فأخذ لنفسه ولنوابه وما ينزل به ثمانية عشر سهما ، وقسم ٢٠ بين الناس ثمانية عشر سهما . والله أعلم .

(١) الوسط : ستون صاعا ، أو رجل بعير .

وروى أبو داود في سننه بسنده إلى عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ : " أَتَرْضَى أَنْ أُزَوِّجَكَ فُلَانَةً ؟ " قَالَ : نَعَمْ ، وَقَالَ لِلرَّأَةِ : " أَتَرْضِينَ أَنْ أُزَوِّجَكَ فُلَانًا ؟ " قَالَتْ : نَعَمْ . فَزَوَّجَ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ ، فَدَخَلَ بِهَا الرَّجُلُ ، وَلَمْ يَفْرِضْ لَهَا صَدَاقًا وَلَمْ يُعْطِهَا شَيْئًا ، وَكَانَ مِنَ الشُّهَدَاءِ الْحَدِيدِيَّةِ ، وَكَانَ مِنَ الشُّهَدَاءِ الْحَدِيدِيَّةِ ، وَكَانَ مِنَ الشُّهَدَاءِ الْحَدِيدِيَّةِ لَهُ سَهْمٌ بِخَيْرٍ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوَّجَنِي فُلَانَةً ، وَلَمْ أَفْرِضْ لَهَا صَدَاقًا ، وَلَمْ أُعْطِهَا شَيْئًا ، وَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي أُعْطِيتُهَا مِنْ صَدَاقِهَا سَهْمِي بِخَيْرٍ . فَأَخَذَتْ سَهْمًا فَبَاعَتْهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ قَسَمَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مِنَ الْكُتَيْبَةِ الَّتِي نَخَرَجَتْ لِلْخَمْسِ وَمَا أُعْطَاهُمْ مِنْهَا

قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكُتَيْبَةِ — وَهُوَ وَادِي خَاصٍ — لِفَاطِمَةَ ابْنَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِائَتِي وَسَقٍ ، وَلِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِائَةَ وَسَقٍ ، وَلِأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ مِائَتِي وَسَقٍ ، وَنَحْسِينَ وَسَقًا نَوِيًّا ، وَلِعَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِائَتِي وَسَقٍ ، وَلِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِائَةَ وَسَقٍ ، وَلِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِائَةَ وَسَقٍ ، وَأَرْبَعِينَ وَسَقًا ، وَلِبْنِي جَعْفَرَ نَحْسِينَ وَسَقًا ، وَلِرَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ مِائَةَ وَسَقٍ ، وَلِلصَّلْتِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَابْنِهِ مِائَةَ وَسَقٍ ؛ لِلصَّلْتِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ وَسَقًا . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي تَرْجُمَةِ قَاسِمِ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ الْمَطْلَبِ ^(٢) : أُعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَخِيهِ الصَّلْتِ مِائَةَ وَسَقٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَلِأَبِي نَبْتَةَ نَحْسِينَ وَسَقًا ، وَلِرُكَّانَةَ بْنِ عَبْدِ يَزِيدٍ نَحْسِينَ وَسَقًا ، وَلِابْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَرْبَعِينَ وَسَقًا ، وَلِبَنَاتِ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَابْنِهِ الْحَصِينِ بْنِ الْحَارِثِ مِائَةَ وَسَقٍ ، وَلِبْنِي عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ يَزِيدٍ سِتِينَ وَسَقًا ، وَلِابْنِ

(١) خَاصٍ : مِنْ أَوْدِيَةِ خَيْرٍ .

- أوس بن محرمة ثلاثين وسقا ، ولمسطح بن أئانة وابن إلياس خمسين وسقا ، ولأم
 رميثة أربعين وسقا ، ولنعم بن هند ثلاثين وسقا ، ولجينة بنت الحارث ثلاثين
 وسقا ، ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولأم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب
 ثلاثين وسقا ، ولجمانة بنت أبي طالب ثلاثين وسقا ، ولعبد الله بن الأرقم الزهري
 خمسين وسقا ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقا ، ولجمنة بنت جحش ثلاثين
 وسقا ، ولأم الزبير أربعين وسقا ، ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقا ، ولابن
 أبي خنيس ثلاثين وسقا ، ولأم طالب أربعين وسقا ، ولأبي نضرة عشرين وسقا ،
 ولتميلة الكلبي خمسين وسقا ، ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقا ، لابنيه منها
 أربعون وسقا ، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولماكوك بن عبدة ثلاثين
 وسقا ، ولدنائه صلى الله عليه وسلم سبعائة وسق .

- وقال ابن إسحاق أيضا : وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه من فتح
 خيبر مائة وسق وثمانين وسقا ، ولفاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة
 وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللقداد بن الأسود خمسة عشر
 وسقا ، ولأم رميثة خمسة أوسق .

- شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب .
 قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل
 خيبر خارصا بين المسلمين ويهود فيخزص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ؛ قال :
 إن شئتم فلنكم ، وإن شئتم فلنا ؛ فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .
 ولم يخزص عليهم عبد الله إلا عاما واحدا ومات .

- (١) كذا في ابن هشام .
 (٢) كذا في الأصلين . وفي ابن هشام : « ولأم حكيم » .
 (٣) خارصا : حازرا ومقدرا .

وروى أبو داود رحمه الله في سننه بسنده عن جابر بن عبد الله من رواية ابن جريح عن أبي الزبير عنه ، قال : نحرصها ابن رواحة أربعين ألف وسق ، وإن اليهود لما خيروهم ابن رواحة أخذوا التمر وعليهم عشرون ألف وسق ، ثم نحرص عليهم بعده جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بني سلمة ، فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسا في معاملتهم ، حتى عدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهيل ، أنحى بنى حارثة ، فقتلوه ، وكان قد خرج إليها في أصحاب له يمتار منها تمرا ، فوجد في عين قد كسرت عنقه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بقتله ، وجاء أخوه عبد الرحمن بن سهل ، وابنا عمه حويصة ومحيصة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتكلم عبد الرحمن — وكان أصغرهم ، وهو صاحب الدم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كبر كبر» فسكت ، وتكلم حويصة ومحيصة ، ثم تكلم بدهما ، فذكروا قتل صاحبهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَسْمُونَ قَاتِلِكُمْ ثُمَّ تَحْلِفُونَ عَلَيْهِ نَحْسِينَ يَمِينًا فَذَسَلْتُمْ إِلَيْكُمْ؟» قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنحلف على ما لا نعلم ؛ قال : «أفاحلفون بالله نَحْسِينَ يَمِينًا مَا قَتَلْتُمْ ، وَلَا يَعْلَمُونَ لَهُ قَاتِلًا ، ثُمَّ يَبْرءُونَ مِنْ دَمِهِ؟» فقالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، ما هم فيه من الكفر أعظم أن يحلفوا على إثم . قال : فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة ناقة . قال : واستقرت خيبر بيد يهود على ما عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ، ثم أقرها أبو بكر رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم على المعاملة ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه صدرا من خلافته ،

(١) في أ : «نحرص» • (٢) يمتار : يجلب • (٣) ويروى : «الكبر الكبير»

بضم الكاف وسكون الباء ؛ أي قدموا الأكبر • (٤) أي أين إسحق •

ثم بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي قبضه الله فيه :
 " لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان " ، ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبوت ،
 فأرسل إلى يهود ، فقال : إن الله قد أذن في إجلائكم ، قد بلغني أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال : " لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان " ، فمن كان عنده عهد من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن
 له عهد منه فليجهز للجلاء . فأجلى عمر بن الخطاب من لم يكن عنده عهد من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا ما كان من أمر خبير على سبيل الاختصار ، فلنذكر ما اتفق بعد فتح
 خيبر مما يتعين إلحاقه بهذه الغزوة لتعلقه بها ، فمن ذلك خبر الشاة التي سمّ فيها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قدمنا ذكر ذلك في أخبار يهود ، وهو في الجزء
 الرابع عشر من هذه النسخة ^(١) ، ومنه خبر المجاج بن علاط .

ذكر خبر المجاج بن علاط وما أوصله إلى أهل مكة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استوفى أمواله

قالوا : وكان المجاج بن علاط السلمي ثم البهزي أسلم وشهد خيبر مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فتحت خيبر قال : يا رسول الله ، إن لي بمكة مالا عند
 صاحبتى أم شيبية بنت أبي طلحة ، ومال مفترق في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله .
 فأذن له ، فقال : إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول . قال : " قل " ، قال المجاج :
 نخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يستمعون
 الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار

(١) من تجزية المؤلف .

(٢) في معجم البلدان : « البيضاء : ثنية التميم بمكة ، لها ذكر في كتاب السيرة » .

إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ، ريفاً ومنعة ورجالا ، فهم يتحسسون
 الأخبار ، ويسألون الرُّبَّان ، فلما رأوني قالوا : الحجاج بن علاط عنده والله الخبر ؛
 قال : ولم يكونوا قد علموا بإسلامي ، فقالوا : أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه بلغنا أن
 القاطع قد سار إلى خيبر ، وهي بلد يهود وريف الحجاز ؛ قال : قلت : قد بلغني ذلك
 وعندي من الخبر ما يسركم ؛ فالتَّبَطَّوا بجنبي ناقتي يقولون : ^(١) إيه يا حجاج ! قال :
 قلت : هُزِمَ هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقُتِلَ أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط ،
 وأسْرَجِدَ أسرا ، وقالوا : لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة ، فيقتلوه بين أظهرهم
 بمن أصاب من رجالهم . فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : لقد جاءكم الخبر ،
 وهذا محمد ، إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعيونني
 على جمع مالي بمكة على عُرمائي ، إني أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من قُلِّ محمد ^(٢)
 وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك . قال : فقاموا بجمعوا لي مالي كأحث ^(٣)
 جمع سمعت به . قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالي — وقد كان لي عندها مال
 موضوع — لعلَّ الحق بخيبر ، فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقني التجار ؛ قال :
 فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني ، أقبل حتى وقف إلى جنبي
 وأنا في خيمة من خيم التجار ^(٤) ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الخبر الذي جئت به ؟
 قال : قلت : وهل عندك حفظ لما وضعتُ عندك ؟ قال : نعم ؛ قلت : فاستأنر
 عني حتى أفرغ . قال : فلما فرغت من جمع كل شيء ، كان لي بمكة ، وأجمعتُ
 الخروج لقيت العباس فقلت : احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل ، فإني أخشى الطلب
 ثلاثاً ، ثم قل ما شئت . قال : أفعل ؛ قلت : فإني والله تركت ابن أخيك

(١) التَّبَطَّوا بجنبي نقتي : أى عدوا إليها مطيقين بها . (٢) القل : القوم المنهزمون .

(٣) كأحث جمع : كأسرع جمع . وفي أ : « كأحب » .

(٤) في ج : « خيام » .

عروسا على بنت ملكهم - يعني صفية بنت حبي - بن أخطب - واقعد افتتح خيبر،
وانتقل^(١) ما فيها، وصارت له ولاصحابه؛ قال : ما تقول يا حجاج ! قلت : إى والله،
فاكتم عني، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى فرقا من أن أغلب عليه، فإذا
مضت ثلاث فأظهر أمرك، فهو والله على ما تحب . قال : وسرت حتى إذا كان
اليوم الثالث لبس العباس حلة له، وتخلق^(٢) وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى
الكعبة، فطاف بها، فلما رآوه قالوا : يا أبا الفضل، هذا والله التجلد لحز المصيبة؛
قال : كلا، والله الذى حلقتكم به لقد آفتتح محمد خيبر وترك عروسا على آبنة
ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها، فأصبحت له ولاصحابه . قالوا : من جاءك بهذا
الخبير؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلما فأخذ ماله،
وانطلق ليأحق بمحمد وأصحابه فيكون معه؛ قالوا : يا لعباد الله ! انفلت عدو الله،
أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن . ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك .

ذكر انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر

إلى وادى القرى، ونومهم عن صلاة الصبح

قالوا : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى
القرى، فنزل به مع غروب الشمس، ومعه غلام له يقال له : مدعم؛ أهدها إليه
رفاعة بن زيد الجسذامى، فبينما هو يضع رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه
سهم^(٣) غرب فقتله، فقال الناس : هينئا له الجنة؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
"كلا والذى نفس محمد بيده إن شمله لتحترق عليه فى النار"^(٤) . كان غلها

٩٩

١٥

(١) انتقل : استخرج . (٢) تخلق : طلى بالخلوق، وهو ضرب من الطيب .

(٣) سهم غرب : لا يدري راميهِ .

(٤) الشملة : كساء نظيف يتحف به .

من قيء المساميين يوم خيبر ، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أصبتُ شراكين لتعلمين لى ؛ فقال : ” يقدُّ لك مثلهما من النار “ .

قال أبو بكر أحمد البيهقي رحمه الله بسند يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه ، وساق نحو الحديث في قتل مدغم ، ثم قال : وكانت يهود قد ثوى إليها ناس من العرب ، فاستقبلونا بالزعمى حيث نزلنا ، ولم نكن على تعبئة ، وهم يصيحون من آطامهم ، فعبا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وصقهم للقتال ، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عباد بن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام ، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم ، وحقنوا دماءهم ، وحسابهم على الله . فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزبير ابن العوام فقتله ، ثم برز آخر ، فبرز إليه على بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله ثم برز آخر ، فبرز إليه أبو دجانة الأنصاري رضي الله عنه فقتله ، حتى قُتل منهم اثنا عشر رجلا ، كلما قُتل رجل منهم دعى من بقى إلى الإسلام . قال : ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلى بأصحابه ، ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله ، فقالتهم صلى الله عليه وسلم حتى أمسى ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رُح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة ، وغنم أموالهم ، وأصابوا أثانا ومتاعا كثيرا ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي القرى أربعة أيام ، وقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخل بأيدي يهود ، وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما كان من أمر خيبر وقدك ووادي القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ،

(١) في دلائل النبوة : « أحد عشر » .

وأقاموا بأيديهم أموالهم ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة ؛ فلما كان ببعض الطريق قال من آخر الليل : ” مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُ عَيْنَا الْفَجْرِ لَعَلْنَا نَنَامُ “ ؟ وجاء في الحديث : ” مَنْ رَجُلٌ يَكْلَأُ لَنَا اللَّيْلَ “ ؟ . فقال بلال : أنا يا رسول الله . فتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلي ، فصلى ما شاء الله أن يصلي ، ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجر يرمقه فغلبته عينه فنام ، فلم يوقظهم إلا مسُّ الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه استيقاظا ، فقال : ” ماذا صنعت بنا يا بلال “ ؟ فقال : يا رسول الله أخذت بنفسي الذي أخذت بنفسك . قال : ” صدقت “ . ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم [بعيره] ^(١) غير كثير ثم أناخ ، فتوضأ وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ^(٢) ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : ” إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله عز وجل يقول : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) ^(٣) “ . وفي الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استيقظ واستيقظ أصحابه أمرهم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي ، وقال : ” إن هذا واد به شيطان “ فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي ، ثم أمرهم أن ينزلوا وأن يتوضئوا... الحديث بنحو ما تقدم .

٥ ذكر سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة ^(٤)

بمشه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجره في ثلاثين رجلا إلى عَجْرَ هِوَاظِنِ بَتْرَبَةِ — وهي ناحية العَبْلَاءِ على أربع ليالٍ من مكة ، طريق صنعاء ونجران — فأتى الخبر هِوَاظِنِ فَهَرَبُوا ، وجاء عمر محالهم فلم يلق بها أحدا . فانصرف راجعا إلى المدينة .

٢٠ (١) التكلفة عن ابن هشام . (٢) في ج : « للصلاة » . (٣) سورة طه آية ١٤ . (٤) في أ : « قرية » . وهو تحريف . (٥) في أ : « بحالها » .

ذكر سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجرة .

روى عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع أبي بكر رضي الله عنه إذ بعثه

١٠٠
١٥

رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فسبى ناسا من المشركين فقتلناهم ، وكان شعارنا :

أَمِّتْ أُمَّتْ . قال : فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين . وعنه أيضا

قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر إلى فزارة . وهذا الذي صححه

مسلم . وعن إياس بن سلمة بن الأكوع قال : حدثني أبي قال : غزونا فزارة

وعلينا أبو بكر رضي الله عنه ، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فلما كان

بينه وبين القوم ساعة أمرنا أبو بكر فعرسنا ، ثم شنَّ الغارة فورد الماء ، فقتل من

قتل وسبى من سبى . ثم قال سلمة : فرأيتُ عُنُقًا^(١) من الناس فيهم الذراري ، نخشيت

أن يسبقوني إلى الجبل ، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل ، فلما رأوا السهم وقفوا ،

بخفت بهم أسوقهم ، وفيهم امرأة من بني فزارة ، معها ابنة لها من أحسن العرب ،

فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر رضي الله عنه فنقلني ابنتها ، فقدمنا المدينة

وما كشفت لها ثوبا ، فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق ، فقال :

” يا سلمة ، هب لي المرأة “ . فقلت : يا رسول الله ، قد أعجبتني وما كشفت لها

ثوبا ، ثم لقيني من الغد في السوق ، فقال : ” يا سلمة ، هب لي المرأة ، لله أبوك ! “ .

فقلت : هي لك يا رسول الله ؛ فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل

مكة ، ففدى بها ناسا من المسلمين كانوا أسروا بمكة . روى هذا الحديث مسلم .

(١) عرسنا : تزلنا في آخر الليل للاستراحة .

(٢) هنا يبايض بالأصلين والتكلمة من دلائل النبوة للبيهقي ، وطبقات ابن سعد ، وصحيح مسلم .

(٣) عنقا : جماعة من الناس .

ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى قَدك

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجره في ثلاثين رجلا إلى بني مرة بفدك ، فخرج فأتى رعاء الشاء ، فسأل عن الناس فقبل : في نواديهم ؛ فاستاق النعم والشاء ، وانحدر إلى المدينة ، فخرج الصريح فأخبرهم فأدركهم الدهم منهم عند الليل ، فباتوا يرمونهم بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب بشير وأصبحوا ، فحمل المتزبون عليهم فأصابوا أصحاب بشير ، وقاتل بشير حتى ارتث وضرب كعبه ، وقيل : قدم مات . ورجعوا بنعمهم وشائمهم ، وقدم عتبة بن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قدم بعده بشير بن سعد .

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميِّفة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة سبع من مهاجره إلى بني عوال ، وبني عبد بن ثعلبة ، وهم بالميفة ، وهي وراء بطن نخل إلى النقرة قليلا بناحية نجد ، وبينها وبين المدينة ثمانية برد .

بعثه في مائة وثلاثين رجلا ، ودليلهم يسار ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهجموا عليهم جميعا ، ووقعوا وسط محالهم ، فقتلوا من أشرف لهم ، واستاقوا نعا وشاء فخدروه إلى المدينة ، ولم يأسروا أحدا . وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد الرجل الذي قال لا إله إلا الله ، وهو نهبك بن مرداس بن ظالم من بني ذبيان بن بغيض ، وقال ابن إسحاق : مرداس بن نهبك ؛ حليف لهم من الحرقة من جهينة . ونقل أبو عمر بن عبد البر أنه عامر بن الأضبط الأشجعي ، وأن رسول الله صلى الله

(١) في ج : « فأدرکه » . (٢) الدهم : العدد الكثير .

(٣) ارتث : صرع في الجنوب وبه رمق . (٤) في أ : « عراك » ؛ وهو تحريف .

عليه وسلم ودّاه . قال أسامة : أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شهِرنا عليه السلاح قال : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ فلم نترع عنه حتى قتلناه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره ؛ فقال : ” يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ “ قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما قالها تعوذاً من القتل ؛ قال : ” فمن لك بها يا أسامة ؟ “ قال : فوالذي بعثه بالحق إنه مازال يرددها عليّ حتى لو دِدْتُ أن ما مضى من إسلامي لم يكن ، وكنتُ أسلمتُ يومئذ ، وأني لم أقتله . قال : قلت : أنظرنى يا رسول الله ، إني أعاهد الله ألا أقتل رجلاً يقول : « لا إله إلا الله » أبداً . قال : ” يقول بعدى يا أسامة “ ، قلت : بعدك . وفي بعض طرق هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة حين قال : « يا رسول الله ، إنما قالها تعوذاً من القتل » ” هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب “ ! .

ذِكْرُ سِرِّيَّةِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى يَمَنٍ وَجَبَّارٍ ^(١) ^(٢)

كانت هذه السرية في شوال سنة سبع من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعا من غطفان بالجَناب ^(٣) قد واعدهم عِيْنَةُ بنِ حِصْنٍ ليكون معهم ليزحفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بشير بن سعد فعقد له لواءً ، وبعث معه ثلاثمائة رجل ، فساروا حتى أتوا يَمَنَ وَجَبَّارَ ، وهو نحو الجَناب — والجَناب يعارض سلاح وخيبر ووادي القُرَى — فدنوا

(١) يمن : بفتح اليا ، وقيل : بضمها ؛ وقيل : بهمزة مفتوحة وسكون الميم ، (الزرقاني

ج ٢ : ٢٠٢) . (٢) جبّار : ضبطه الزرقاني بفتح الجيم ، وضبط في معجم البلدان بضمها .

(٣) الجَناب : من أرض غطفان .

(٤) سلاح : موضع أسفل خيبر .

من القوم فأصابوا لهم نَعْمًا كثيرًا ، وتفرق الرِّعاء فحَدَّروا الجمع ، فتفرقوا ولحقوا
بعلقاء بلادهم ، وخرج بشيرُ بنُ سعد في أصحابه حتى أتى محالِّم فلم يجد فيها أحدا ،
فرجع بالنَّعم ، وأصاب منهم رجلين ، فأسرهما وقدم بهما المدينة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأسلما ، فأرسلهما صلى الله عليه وسلم .

ذكر سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة سنة سبع من مهاجره في خمسين
رجلا إلى بني سليم ، وذلك بعد انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة
بعد عمرة القضاء ، فخرج إليهم وتقدمه عينٌ لهم كان معه ، فحَدَّروهم ، فتجمعوا ،
فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم مُعدون له ، فدعاهم إلى الإسلام ، فقالوا : لا حاجة لنا
إلى ما دعوتنا إليه . فتراموا ساعة بالنبل ، وجعلت الأمداد تأتي حتى أهدقوا بهم
من كل ناحية ، فقاتل القوم قتالا شديدا حتى قُتل عاقمتهم ، وأصيب ابن أبي العوجاء
جريحاً مع القتلى ، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا المدينة
في أول يوم من صفر سنة ثمان من الهجرة .

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوخ بالكديد^(١)

كانت في صفر سنة ثمان من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . روى عن
جندب بن مكيث الجهني قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب
ابن عبد الله الليثي ، ثم أحد بنى كلب بن عوف في سرية ، فكنتُ فيهم ، وأمرهم
أن يُسْتَو الغارة على بني الملوخ بالكديد - وهم من بني ليث - قال : فخرجنا

(١) الكديد : موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة . ويوم الكديد من أيام العرب .

حتى إذا كُنَّا بِقُدَيْدٍ لَقِينَا الْحَارِثُ بْنَ الْبُرْصَاءِ ، فَأَخَذَنَا ، فَقَالَ : إِنَّمَا جِئْتُ أُرِيدُ
 الْإِسْلَامَ . قُلْنَا : إِنْ تَكُنْ مُسْلِمًا لَمْ يَضُرُّكَ رَبُّنَا يَوْمًا وَلَيْسَ . قَالَ : فَشَدَدْنَا
 وَثَاقًا ، وَخَلَقْنَا عَلَيْهِ رُؤْيُجًا مِمَّا أَسْوَدَ ، وَسَرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْكُدَيْدَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ،
 فَكُنَّا فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي ، وَبِئْتَى أَصْحَابِي رَيْثَةَ ^(٢) ، فَخَرَجْتُ حَتَّى آتَيْتُ تَسْلًا مَشْرَفًا
 عَلَى الْحَاضِرِ ، فَاسْتَنْدْتُ فِيهِ ، فَعَلَوْتُ فِي رَأْسِهِ ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْحَاضِرِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي
 لَمُنْبَطِحٌ عَلَى التَّلِّ إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ خِيَابَتِهِ ، فَقَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : إِنِّي لَأَرَى عَلَى التَّلِّ
 سَوَادًا مَا رَأَيْتُهُ فِي أَوَّلِ يَوْمِي ، فَأَنْظُرِي إِلَى أَوْعَيْتِكَ ، هَلْ تَفْقِدِينَ مِنْهَا شَيْئًا ؟
 لِأَتَكُونَ الْكِلَابَ جَرَّتْ بَعْضُهَا قَالَ : فَنَظَرْتُ ، فَقَالَتْ : لِأَوَاللَّهِ مَا أَفْقِدُ شَيْئًا . قَالَ :
 فَنَاولِيْنِي قَوْسِي وَسَهْمِيْنِ . فَنَاولْتُهُ ، فَأَرْسَلْتُ سَهْمًا فَوَاللَّهِ مَا أَخْطَأْتُ جَنْبِي ، فَانزِعْهُ فَأَضَعْهُ ،
 وَثَبْتُ مَكَانِي ، ثُمَّ أَرْسَلْتُ الْآخَرَ فَوَضَعَهُ فِي مَنِيكِي ، فَانزِعْهُ فَأَضَعْهُ ، وَثَبْتُ مَكَانِي ،
 فَقَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : لَوْ كَانَ رَيْثَةُ لَقَدْ تَحَزَّكَ ، لَقَدْ خَالَطَهُ سَهْمَايَ لَا أَبَا لَكَ ! فَإِذَا
 أَصْبَحْتِ فَأَبْتَغِيهِمَا فَخُذِيهِمَا لَا تَمَضُغِيهِمَا الْكِلَابَ ، قَالَ : ثُمَّ دَخَلْتُ ، وَأَمَهَلْنَا
 حَتَّى أَطْمَأَنَّنَا وَنَامُوا - وَكَانَ وَجْهُ السَّجَرِ - شَنَّأَ عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ ، وَأَسْتَقْنَا النَّعْمَ ، فَخَرَجَ
 صَرِيحُ النَّوْمِ فِي قَوْمِهِمْ ، بَغَاءَ مَا لَا قِبَلَ لَنَا بِهِ ، فَخَرَجْنَا بِهَا نَحْدُرُهَا حَتَّى مَرَرْنَا
 بِابْنِ الْبُرْصَاءِ فَاحْتَمَلْنَا وَأَحْتَمَلْنَا صَاحِبَتَنَا ، وَأَدْرَكَا الْقَوْمَ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْنَا ، مَا بَيْنَنَا
 وَبَيْنَهُمْ إِلَّا الْوَادِي - وَادِي قُدَيْدٍ - فَأَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْوَادِيَّ بِالسَّيْلِ مِنْ حَيْثُ
 شَاءَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ غَيْرِ سَحَابَةٍ نَزَّاهَا وَلَا مَطَرٍ ، بَغَاءَ بَشِيءٍ لَيْسَ لِأَحَدٍ بِهِ قُوَّةٌ ،
 وَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَجَاوِزَهُ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ وَقُوفًا يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا ، وَإِنَّا لَنَسُوقُ نَعْمَهُمْ

(١) قديد بالصغير : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) رَيْثَةُ ، أُمِّي عَيْنَاهُم .

(٣) الْحَاضِرُ : الْحَيُّ الْعَظِيمُ .

ما يستطيع رجلٌ منهم أن يُجيزَ إلينا، ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم، فلم يقدرُوا على طلبنا، قال: فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن سعد: وكانوا بضعة عشر رجلا، وكان شعارهم يومئذ: أَمِتْ أَمِتْ!

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي أيضا إلى مُصَّاب

أصحاب بشير بن سعد بقدك

٥

كانت في صفر سنة ثمان من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هبّا الزبير بن العوام رضى الله عنه، وقال له:

”مِرْحَى حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُصَّابِ أَصْحَابِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ، فَإِنْ أَظْفَرَكَ اللَّهُ بِهِمْ فَلَا تَسْبِقْ فِيهِمْ“، وهبّا معه مائتي رجل، وعقد له لواء، فقدم غالب بن عبد الله

من الكديد، وقد أظفره الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: ١٥
”أَجْلِسْ“. وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل، فيهم أسامة بن زيد، فسار حتى انتهى إلى مُصَّابِ أَصْحَابِ بَشِيرٍ، فأصابوا نَعْمًا، وقتلوا قتلى.

ذكر سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسي^(١)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة

في أربعة وعشرين رجلا إلى جمع من هوازب بالسي^(٢)، من ناحية رُكبة^(٣)، من وراء ١٥
المعدين، وهي من المدينة على خمس ليال، وأمره أن يُغير عليهم، فسار حتى صبحهم وهي غارون، فأصابوا نَعْمًا كثيرا وشاء، فاستاقوا ذلك حتى قديموا المدينة، وغابت هذه السرية خمس عشرة ليلة.

(١) السي: ماء بين ذات عرق إلى وبرة على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة.

(٢) رُكبة (بضم فسكون ففتح): موضع بالطائف.

(٣) يريد معدن بن سليم، وهو من أعمال المدينة على طريق نجد.

ذكر سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاق^(١)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة في خمسة عشر رجلا، فساروا حتى آتوا إلى ذات أطلاق، من أرض الشام، وهي من وراء وادي القرى، فوجدوا جمعا كثيرا من جمعهم، فدعّوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، وأفلت منهم رجلٌ جريح، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وهم بالبعث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلى مواضع أحر، فتركهم.

ذكر سرية مؤتة

ومؤتة بأدنى البلقاء بالقرب من الكرك^(٢).

كانت هذه السرية في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة. وسبب بعث هذه السرية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فقتله، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره، فأشدت ذلك عليه، وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجراف^(٤)، وهم ثلاثة آلاف،

(١) في ١ : « أطلاق » ، وهو تحريف .

(٢) مؤتة كذا وردت مهموزة بالأملين ، وروى فيها ضم الميم وسكون الواو بغير همز .

(٣) الكرك : قلعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء . وفي ابن سعد : « واللقاء دون

دمشق » .

(٤) الجراف : بضم فسكون : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمير القوم زيد بن حارثة ، فإن قُتِلَ
بمغفر بن أبي طالب ، فإن قُتِلَ فعبد الله بن رواحة ، فإن قُتِلَ فليترضى المسلمون
بينهم رجلا فيجعلوه عليهم " ، وعقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء أبيض
وسأله إلى زيد بن حارثة ، وأوصاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا مقتل
الحارث بن عمير ، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام " فإن أجابوا ، وإلا فاستعينوا
عليهم بالله وقتلوه " ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيعا لهم حتى
بلغ ثنية الوداع ، فوقف وودعهم وأنصرف عنهم ، فقال عبد الله بن رواحة :

١٠٣
١٥

خَافَ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِي وَدَعْتُهُ * فِي النَّخْلِ خَيْرٌ مَوْدِعَ وَخَلِيلِ^(٢)

فلما ساروا من معسكرهم نادى المسلمون : دفع الله عنكم ، وردكم صالحين غانمين !
فقال ابن رواحة :

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً * وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرِيحٍ تَقْدِفُ الزُّبْدَ^(٣)
فِي أُبْيَاتٍ أُخْرَى^(٤) .

قال : فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم ،
وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف ، وقدم الطلائع أمامه ،

١٥ (١) هي ثنية مشرقة على المدينة ، يطلوها من يريد مكة ، قيل في سبب تسميتها بذلك . لأنها موضع
وداع المسافرين من المدينة إلى مكة .

(٢) كذا في ١ ، والذي في ج وابن هشام ج ٤ ص ١٦ « مشيع » .

(٣) ذات فرغ ، أي واسعة . وأراد بالزبد هنا رغوة الدم ؛ (الزرقاني ج ٢ ص ٣٢٣) ملخصا .

(٤) الأبيات في ابن هشام ٤ : ١٥ - ١٦

٢٠ (٥) فصلوا : خرجوا .

وقد نزل المسلمون معان^(١) من أرض الشام ، وبلغ الناس أن هرقل قد نزل
 مآب^(٢) من أرض البلقاء في مائة ألف من بهراء ووائل وبكر ونخم وجذام والقيين ،
 عليهم رجل من بلي^(٣) ثم أحد إراشة ؛ يقال له : مالك بن زافلة ، فأقاموا البلتين لينظروا
 في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشجعهم عبد الله
 ابن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التي تكهون لآتي خرجتم تطلبون ؛ الشهادة ،
 وما تقابل الناس بمدد ولا قوة ولا كثرة ، ما تقابلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله
 به ، فانطلقوا فلآتما هي إحدى الحسدَيْن^(٤) : إما ظهور ، وإما شهادة . فقال الناس :
 قد والله صدق ابن رواحة . قال : فضى الناس حتى إذا كانوا بئخوم^(٥) البلقاء لقيتهم
 جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها المشارف ،
 ثم دنا العدو ، وأحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة^(٦) ، ووافاهم المشركون ، بغاء
 منهم ما لا قبيل لأحد به من العدد والسلاح والكراع^(٧) والديباج والحريير والذهب

(١) معان ، ضبطه الزرقاني بفتح الميم ، وضبطه البكري بضمها : حصن كبير من أرض فلسطين ،
 على خمسة أيام من دمشق في طريق مكة .

(٢) مآب ، بفتح أوله وثانيه بعده ألف وباء معجمة : موضع بالشام (البكري) .

(٣) كذا ورد هذا الاسم بالزاي المعجمة في الأصلين وابن هشام ج ٤ ص ٢٣ ، والذي في الزرقاني
 ج ٢ : ٣٢٣ « زافلة » بالراء المهملة .

(٤) الظهورهنا : الغلبة .

(٥) البئخوم : الحدود الفاصلة بين أرض وأرض .

(٦) مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ؛ وقيل إنها من مشارف الشام (معجم البلدان) .

(٧) في الزرقاني ج ٢ ص ٣٢٤ : أن الكراع جماعة الخيل خاصة .

فعبأ المسلمون ، ففعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عُدرة يقال له : قُطبة بن قَسادة ،
وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له : عُبَاية بن مالك — ويقال : عبادة —
ثم ألتقوا وأقتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة رضى الله عنه براية رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى قُتِل طعنا بالرماح ، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب ، فترل عن فرس
له شقراء فعرقها ^(١) ، فمكنت أول فرس عُرقت في الإسلام ، وقاتل حتى قُتل ،
ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في أحد نصفيه بضعة وثمانون جرحا ،
ووجدنا فيما أقبل من بدنه ^(٢) اثنين وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح ^(٣) .

وحكى أبو محمد عبد الملك بن هشام أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء
بيمينه ففطعت يده ، فأخذه بشماله فقطعت ، فأحطضنه بمضديه حتى قُتل وهو ابن
ثلاث وثلاثين سنة ، فأنابه الله تعالى بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء .
وقال محمد بن إسحاق : كان جعفر يقاتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة وأقربها * طيبة وباردا شراها
والرؤم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيده أنسابها
على إن لاقيتها ضرابها

قال : ولما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رُوَاحَة الزاية ، ثم تقدم بها وهو على
فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أفسمت يا نفس لتنزلينه * لتنزلن أو لتكهرهنة

(١) عرقها ، أى قطع عرقها ، وهو الور الذي بين مفصل الساق والقدم ، قال في الروض :
« ولم يعب ذلك عليه أحد ، فدل على جوازه إذا خيف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين » .
وفي ابن هشام ج ٤ ص ٢٠ « عقرها » . (٢) في أ : « يديه » ؛ وهو محريف .
(٣) في أ « بالسيف » . (٤) يستنزل نفسه ، أى يطلب نزولها عما أرادته وهمت به .

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّثَّةَ^(١) * مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ
 قَدْ طَالَ مَا قَد كُنْتِ مَطْمَئِنَّةً * هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةَ فِي شَنَةِ^(٢)

وقال أيضا رضى الله عنه :

يَا نَفْسُ إِلَّا تَقْتَلِي تَمَوْتِي * هَذَا حَمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَبْتِ
 وَمَا تَمَيَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيْتِ * إِنْ تَنْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدَيْتِ
 وَإِنْ تَوَلَّيْتِ فَقَدْ شَقَيْتِ

١٠٤
١٥

يريد بقوله : « فِعْلَهُمَا » صاحبيه زيدا وجعفررا ، ثم نزل . فأناه ابن عم له
 بعرق من اللحم ، فقال : شُدَّ بهذا صُلْبِكَ ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ،^(٣)
 فأخذه من يده فأتهمس منه نَهْسَةً^(٤) ، ثم سمع الحطمة من ناحية الناس ، فقال : وَأَنْتِ
 فِي الدُّنْيَا ! ثم ألقاه من يده ، وأخذ سيفه وتقدم ، فقاتل حتى قُتِلَ .

ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم ، وقال : يامعشر الناس ، اصطليحوا على رجل منكم ؛^(٥)
 فقالوا : أنت ؛ قال : ما أنا بفاعل . فأصطاح الناس على خالد بن الوليد ، فلما
 أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم^(٦) ، ثم انحاز وانحيز عنه ، وانكشف ، فكانت

(١) أجلب الناس : اختلطت أصواتهم وضجوا . وفي السهيل « جلب » بتشديد اللام ، والزنة :

صوت فيه ترجيع شبه البكاء .

(٢) التلقة : القليل من الماء الصافي . والشنة : القرية الخلق .

(٣) العرق : العظم الذى عليه بعض اللحم .

(٤) اتهمس : أخذ منه بقمه يسيرا (عن أبي ذر) . وفي أ : « فاتهمس منه نهسة » .

(٥) الحطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضا .

(٦) فى الزرقانى ج ٢ ص ٣٢٦ عن ابن إسحاق : « المسلمين » .

(٧) حاشى بهم : انحاز بهم ، من الحشى ، وهى الناحية . وفى ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٨ : « وحاشى

بهم » بالمعجمة ، من الخاشاة ، وهى المهاجرة ، مفاعلة من الخشية ، لأنه خشى على المسلمين لقلته عددهم ،

وفى الزرقانى ج ٢ ص ٣٢٧ : « لجئش خالد الناس ودافع وانحاز وانحيز عنه » .

الهمزية ، فتبعهم المشركون ، فقتل من قتل من المسلمين ، ورفعت الأرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر إلى معترك القوم ، فلما أخذ خالد بن الوليد اللواء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”الآن حمى الوطيس“^(١) .

قال محمد بن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا“ ، ثم صمت حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان في عبد الله ابن رواحة بعض ما يكرهون ، فقال : ”ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا“ .

قال ابن إسحاق : وكان قطبة بن قنادة العسدي حمل على مالك بن زافلة فقتله وهو على المائة ألف التي اجتمعت من العرب ، فقال في ذلك :

طعنتُ ابنَ زافلة بنِ الإراش * برمحٍ مضى فيه ثم انحطمت^(٢)
ضربتُ على جبينه ضربةً * فقال كما مال غصنُ السلم^(٣)

قال : ولما سمع أهل المدينة بإقبال جيش مؤتة تلقوهم بالحرف ، فجعل الناس يحثون في وجوههم الزراب ويقولون : يا فترار ، فررتم في سبيل الله ؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”ليسوا بفترار ، ولكنهم كثرار إن شاء الله“ .

(١) حمى الوطيس ، أى حمى الضرب وجدت الحرب واشتدت .

(٢) انحطمت : انكسر .

(٣) الجيد : العتيق . والسلم بالبحر يك : شجر العضاء ، الواحدة سلمة .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ أَسْتَشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ مَوْثَةَ

أَسْتَشْهِدُ مِنْ قَرِيْشٍ وَمَوَالِيهِمْ أَرْبَعَةٌ نَفَرٌ، وَهُمْ : جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَزَيْدُ ابْنِ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْعُودُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ حَارِثَةَ ابْنِ نَضْلَةَ، وَوَهْبُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ . وَأَسْتَشْهِدُ مِنَ الْأَنْصَارِ : عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ رَوَاحَةَ، وَعَبَّادُ بْنُ قَيْسٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ إِسَافٍ، وَسُرَاقَةُ بْنُ عَمْرٍو وَأَبُو كَلَيْبٍ وَجَابِرُ ابْنَا عَمْرٍو بْنِ زَيْدٍ، وَعَمْرٍو وَعَامِرُ ابْنَا سَعْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبَّادٍ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

(١) ذِكْرُ سِرِّيَةِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ

وَهِيَ وَرَاءَ وَادِي الْقُرَى ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ عَشْرَةُ أَيَّامٍ، وَكَانَتْ فِي جِمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ . وَسَبَبُ بَعْثِ هَذِهِ السِّرِّيَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ أَنَّ جَمْعًا مِنْ قُضَاعَةَ قَدْ تَجَمَّعُوا يَرِيدُونَ أَنْ يَدْنُوا إِلَى أَطْرَافِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَا عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ فَعَقَدَ لَهُ لَوَاءً أبيضَ، وَجَعَلَ مَعَهُ رَايَةً سَوْدَاءَ، وَبَعَثَهُ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ سَرَاةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَعَهُمْ ثَلَاثُونَ فَرَسًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِمَنْ يَمْتَرُ بِهِ مِنْ بَلِيٍّ وَعُدْرَةٍ وَبَلْقَيْنَ، فَسَارَ اللَّيْلَ وَكَبَنَ النَّهَارَ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْقَوْمِ بَلَغَهُ أَنَّ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيرًا، فَبَعَثَ رَافِعَ بْنَ مِكَيْثِ الْجُهَنِيَّ

(١) اختلفوا في ضبط هذه الكلمة اختلافًا كبيرًا، فمنهم من ضبطها بفتح السين الأولى ومنهم من ضبطها بالضم، ومنهم من ضبطها بالفتح والضم . راجع الزرقاني ج ٢ ص ٣٣٢
 (٢) كذا في الأصلين وابن سعد ج ٢ القسم الأول ص ٩٥ ، وفي عيون الأثر (٢ : ١٥٧) :
 يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة . (٣) سرارة القوم : أصحاب الشرف فيهم .
 (٤) لأن عمرا كان ذا رحم فيهم ، فإن جدته لأبيه كانت بلوية ، فأراد عليه السلام أن يتألفهم بعمر .
 (٥) كذا ضبط في الزرقاني ج ٢ ص ٣٣٣ .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين ، وعقد له لواء ، وبعث معه سرّة المهاجرين والأنصار ، وفيهم أبو بكر وعمر ، وأمره أن يالحق بعمرو ، وأن يكونا جميعا ولا يختلفا ، فلحق بعمرو ، فأراد أبو عبيدة أن يؤتم الناس ، فقال عمرو : إنما قدمت على مددا ، وأنا الأمير ، فأطاع له بذلك أبو عبيدة ، وسار حتى وطئ بلاد بلي ، ودوخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عذرة وبلقين ، ولقى في آخر ذلك جمعا ، فحمل عليهم المسلمون ، فهربوا في البلاد وتفترقوا ، ثم قفل وبعث عوف بن مالك الأشجعي يريد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم .

ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح ، وهي سرية الحبيط (٢)

١٠٥
١٥

١٠ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في شهر رجب سنة ثمان من الهجرة في ثلثمائة من المهاجرين والأنصار ، وفيهم عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إلى حى من جهينة بالقبيلة مما يلي ساحل البحر ، وبينها وبين المدينة خمس ليال ، فأصابهم في الطريق جوع شديد ، فأكلوا الحبيط ، وأبتاع قيس بن سعد جزورا ونحرها لهم .

١٥ روى عن عبادة بن الصامت قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى سيف البحر ، عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، وزودهم حرابا من تمر ، فجعل يقوتهم إياه حتى صاروا إلى أن يعده لهم عدا ، ثم نفذ التمر حتى كان يعطى كل رجل منهم كل يوم تمر ، فقسّمها يوما بيننا ، فنقصت تمرّة عن رجل ، قال : فوجدنا فقدّها ذلك

(١) زاد في ابن سعد ج ٣ : ص ٩٥ بعد هذه الكلمة قوله : « وكان عمرو يصلى بالناس » .

(٢) الحبيط (بالتحريك) : ورق العضاء ، من الطلع ونحوه من الشجر ، يضرب بالعصا فيتناثر .

(٣) سيف البحر : ساحله .

اليوم ، فلما جهَدنا الجوع أخرج الله لنا دابةً ^(١) من البحر فأصَبنا من لحمها وودَّكها ^(٢) ، فأقمنا عليها عشرين ليلة حتى سَمِينَا وَابْتَلَلْنَا ^(٣) ، وأخذَ أميرنا ضِلَعًا من أضلاعها فوضعه على طريقه ، ثم أمر بأجسمٍ بغير معنا فحمل عليه أجسم رجلٍ مِنَّا ، فخرج من تحتها وما مسَّت رأسه ، فلما قَدِمْنَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا خبرها ، وسألناه عما صنعنا في ذلك من أكلنا إياها ، فقال : « رَزَقُ رَزَقَكُمُوهُ اللهُ » .

قال ابن سعد : وانصرفوا ولم يلقوا كيدا .

ذكر سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خُضرة

وهي أرض مُحارب بنجد

قالوا : بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة ثمانٍ من الهجرة ومعه خمسة عشر رجلا إلى غطفان ، وأمره أن يشن عليهم الغارة ، فسار الليلَ وكين النهار ، فهجَمَ على حاضِرٍ منهم عظيم ، فأحاط به ، فصرَّخَ رجلٌ منهم : يا خُضرة وقاتل منهم رجال ، فقتلوا من أشرفهم ^(٤) ، واستاقوا النَّعَمَ ، فكانت الإبلُ مائتي بعير ، والغنمُ ألفي شاة ، وسبوا سببًا كثيرا ، وجمعوا الغنائم ، فأخرجوا الخمس ، وقسموا ما بقي على السرية ، فأصابَ كلَّ رجلٍ منهم اثنا عشرَ بعيرا ، وعُدلَ البعيرُ بعشْرٍ من

(١) ذكر الزرقاني أنه نوع من السمك يقال له العنبر .

(٢) الودك (بالتحريك) : الشحم .

(٣) ابتلنا : حسنت حالنا بعد الهزال وأفقنا من ألم الجوع الذي كان أصابنا .

(٤) كذا في الأصلين . والذي في الزرقاني ج ٢ ص ٣٤٠ وابن سعد ج ٢ ص ٩٦ « فقتلوا

من أشرف لهم » أي ظهر .

الغنم، وصارت في سهم أبي قتادة جارية وضيئة، فأستوهبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوهبها له، فوهبها صلى الله عليه وسلم لمحيمية بن جزء. وغابوا في هذه السرية خمس عشرة ليلة.

ذكر سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى بطن إضم

- كانت هذه السرية في أول شهر رمضان سنة ثمان من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- قالوا : لما حَمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم - وهي فيما بين ذى حُشب وذى المروة وبينها وبين المدينة ثلاثة برد - ليظن ظان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار، وكان في السرية معلم بن جثامة اللبتي، فتر عامر بن الأضبط الأشجعي، فسلم بتحية الإسلام، فأمسك عنه القوم، وحمل عليه معلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينهما، وسلبه بميره ومناعه، فلبس لحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فيهم من القرآن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ۗ ﴾ الآية . ففضوا ولم يلقوا جمعاً فانصرفوا حتى اتهموا إلى ذى حُشب، فبلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إلى مكة، فأخذوا على يمين حتى لفقوا النبي صلى الله عليه وسلم بالسُّقيا .

(١) - سورة النساء : ٩٤

(٢) بين، بفتح فسكون : ناحية من أعراس المدينة على يمينها (ياقوت) .

ذِكْرُ غَزْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ وَالسَّبَبِ الَّذِي
أَوْجَبَ نَقْضَ الْعَهْدِ وَفَسَخَ الْهُدْنَةَ

١٠٦
١٥

كانت هذه الغزوة في شهر رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى رأس اثنين وعشرين شهرا من صلح الحديبية .

وسبب ذلك أنه لما دخل شعبان من هذه السنة كملت بنو نفاثة - وهم من بني بكر - أشراف قريش أن يعينوهم على خراعة بالزجال والسلاح ، وكانت خراعة قد دخلت في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده يوم الحديبية كما قدمنا ذكر ذلك ، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدها ، قالوا : فلما سألوهم ذلك وعدوهم ووافقهم بالوتير متنكرين متنقين ، فيهم صفوان بن أمية ، وحويط بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص بن الأخيف ، فبيتوا خراعة ليلا ، وهم غازون آمنون فقتلوا منهم عشرين رجلا ، ثم ندمت قريش على ما صنعت ، وعلموا أن هذا نقض للذة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا من خراعة ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه .

قال ابن إسحاق : قدم عمرو بن سالم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فوقف ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد بين ظهرا في الناس ، فقال :
يا رب إني ناشد محمدًا • حلف أبينا وأبيه الأتدا^(٣)
قد كنتم وُلدا وتكا والدا • ثممت أسلمنا فلم نترع يدا^(٤)

(١) الوتير : ماء قريب من مكة . (٢) غازون : غافلون . (٣) ناشد : طالب .
والحلف ، بكسر الحاء وسكون اللام : المناصرة . (٤) الولد ، بضم نون : لغة في الولد ،
بالتحريك . وثمرت : حرف عطف أدخل عليه تام التأنيث .

فَأَنْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَبَدًا ^(١) * وَأَدْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَا أَيُّهَا مَدَدًا
 فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا * ^(٢) إِنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
 فِي قَيْلِقٍ ^(٣) كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدًا * إِنْ قَرِيشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا
 وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا * ^(٤) وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَائِهِ رُصَّدَا
 وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدًا * وَهَمُّ أَدَّلٌ وَأَقْلُّ عَدَدَا
 هُمْ يَبْتُونَا بِالْوَتِيرِ هَجَّدَا * ^(٥) وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

يقول: قَتَلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا، وَيُرْوَى بِدَلِّ قَوْلِهِ: * قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدًا *

* نَحْنُ وَلَدْنَاكَ فَكُنْتَ وُلْدًا *

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ".

- ١٠ وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ
 يَحْزَنُ رِدَاءَهُ وَيَقُولُ: "لَا نُصِرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ مِمَّا أَنْصَرْتَهُ نَفْسِي".
 ثُمَّ عَرَّضَ لَهُ سَحَابٌ، فَقَالَ: إِنْ هَذَا السَّحَابُ لَيْسَتْهُ لِي بَنَصْرُ بَنِي كَعْبٍ.

قال محمد بن إسحاق: وَقَدِيمٌ بَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خُرَاعَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا أُصِيبَ مِنْهُمْ، وَبِمُظَاهَرَةِ قَرِيشِ بْنِ بَكْرِ عَلَيْهِمُ

(١) في ج، وفي ابن هشام ج ٤ ص ٣٦ «أخذنا».

(٢) سيم خسفا، أي أولى ذلا. وتربد: تغير.

(٣) القيلق: العسكر الكثير.

(٤) رصد كركع: جمع راصد، وهو الطاب للشيء.

(٥) يتونا: قصدونا ليلا.

ثم أنصرفوا راجعين إلى مكة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه :
 « كَانَتْكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ » ، ومضى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ
 وَأَصْحَابُهُ حَتَّى لَقُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بَعْسَفَانَ ، قَدْ بَعَثَهُ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ : مِنْ أَيْنَ
 أَقْبَلْتَ يَا بُدَيْلُ ؟ قَالَ : تَسَيَّرْتُ فِي خُرَاعَةَ فِي هَذَا السَّاحِلِ وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي ؛
 قَالَ : أَوْ مَا جِئْتَ مَعَهَا ؟ قَالَ : لَا ، وَفَارَقَهُ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَئِنْ كَانَ بُدَيْلُ جَاءَ
 إِلَى يَثْرِبَ لَقَدْ عَلَفَ النَّوَى بِهَا ، فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَفَتَّهَ ، فَرَأَى
 فِيهِ النَّوَى ، فَقَالَ : أَحْلِفَ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلُ مَعَهَا ، ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى
 قَدِمَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ ، وَذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى
 فِرَاشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَطَوَّهَتْهُ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّةُ ، مَا أَدْرَى أَرِغَبْتِ بِي عَنْ
 هَذَا الْفِرَاشِ ، أَمْ رِغَبْتِ بِهِ عَنِّي ، قَالَتْ : بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَأَنْتَ رَجُلٌ مَشْرِكٌ نَجَسٌ ، فَلَمْ أَحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ بَعْدِي يَا بُنَيَّةُ شَرٌّ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَلَّمَهُ ، فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ شَيْئًا ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَكَلَّمَهُ أَنْ
 يَكَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ؛ ثُمَّ أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ
 فَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ : أَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ
 إِلَّا الذَّرَّ لَجَاهَدْتُكُمْ بِهِ ؛ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعِنْدَهَا الْحَسَنُ ابْنُهَا غُلَامٌ يَدَّبُ بَيْنَ يَدَيْهَا ، فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ،

(١) عسفان : على مرحلتين من مكة على طريق المدينة (معجم البلدان) .

(٢) في ابن هشام : « يكلم له » .

- إِنَّكَ أَمْسَ الْقَوْمِ بِي رَحْمًا ، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ فَلَا أَرْجِعُ كَمَا جِئْتُ خَائِبًا ،
 فاشفع لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ، والله لقد
 عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَمْرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَكَلِّمَهُ فِيهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَى
 فَاطِمَةَ فَقَالَ : يَا بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَأْمُرِي بِنَيْكَ هَذَا فَيُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ فَيَكُونَ
 سَيِّدَ الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ؟ فَالْت : وَاللَّهِ مَا بَلَغَ بُنْيَ ذَاكَ أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ،
 وَمَا يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَالْت : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، إِنِّي أَرَى
 الْأُمُورَ قَدْ أَشْتَدَّتْ عَلَى ، فَانصحنى ، قال : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَيْئًا يُغْنِي عَنْكَ ، وَلَكِنَّكَ
 سَيِّدُ بَنِي كِنَانَةَ . فَفَعَمَّ فَأَحْرَبَ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ أَحْلَقَ بِأَرْضِكَ ، قال : أَوْ تَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا
 عَنِّي شَيْئًا ؟ قال : لَا وَاللَّهِ ، مَا أَظُنُّهُ ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُكَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَقام أبو سفيان
 فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ وَأَنْطَلَقَ ،
 فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ عَلَى قُرَيْشٍ قَالُوا : مَا وَرَاءَكَ ؟ قال : جِئْتُ عِندًا فَكَلَّمْتُهُ ، فَوَاللَّهِ
 مَا رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا ، ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ أَبِي حَفَافَةَ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ خَيْرًا ، ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ الْخَطَّابِ
 فَوَجَدْتُهُ أَعْدَى الْعَدُوِّ ، ثُمَّ جِئْتُ عَلِيًّا فَوَجَدْتُهُ أَلَيْنَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ أَشَارَ عَلِيٌّ بِشَيْءٍ
 صَنَعْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي هَلْ يُغْنِي شَيْئًا أَمْ لَا ؟ قَالُوا : وَبِمَ أَمْرَكَ ؟ قال : أَمَرَنِي
 أَنْ أُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَفَعَلْتُ ، قَالُوا : فَهَلْ أَجَازَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ؟ قال : لَا ؛ قَالُوا :
 وَيَلُوكَ ، وَاللَّهِ إِنَّ زَادَ الرَّجُلُ عَلَى أَنْ لَعِبَ مِنْكَ ، فَسَا يُغْنِي عَنْكَ مَا فَعَلْتَ ، ثُمَّ تَجَهَّزَ

(١) فِي كَلَا الْأَصْلَيْنِ : « فَلَا رَجْعَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَالنَّصُوبُ عَنِ ابْنِ هِشَامٍ .

(٢) كَذَا فِي ١ وَابْنِ هِشَامٍ ؛ وَالَّذِي فِي ج : « آيَةٌ » .

(٣) فِي ابْنِ هِشَامٍ : « بَكَ » .

(٤) فِي ابْنِ هِشَامٍ : « مَا قَلَّتْ » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخفى مقصده، ثم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ، وقال: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى تبتغتها في بلادها". والله المعين.

ذكر خبر حاطب بن أبي بلتعة في كتابه إلى أهل مكة، وإعلام الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك، وأخذه الكتاب، وما أنزل الله عز وجل في ذلك من القرآن

قال: ولما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطب ابن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يُخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في المسير إليهم، ثم أعطاه امرأة يقال إنها من مزينة - وقيل: هي سارة مولاة لبعض بني عبدالمطلب - وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشا، فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ونحرت به، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث على بن أبي طالب، والزبير بن العوام رضي الله عنهما، وقال: أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب كتابا إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا في أمرهم، فخرجا فادركاها بالخليقة، خليقة بنى أبي أحمد، فاستترلاها وأتسسا في رحلها فلم يجسدا شيئا، فقال لها على: أحلف بالله لتُخرجن لنا هذا الكتاب أو لنفتشكنك، فقالت: أعرض عني، فأعرض، فحلت قرونها فاستخرجت الكتاب ودفعته إليه، فأتيا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا حاطبا فقال: "ما حملك على هذا؟" قال: يا رسول الله، أما والله إنى لمؤمن بالله وبرسوله، ما غيرت

(١) القرون: جمع قرن، وهو الضفيرة.

وما بدلتُ ، ولكنني أمرؤٌ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، ولي بين أظهرهم ولدٌ وأهل ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر : يا رسول الله ، دعني أضربُ عنقه ، فإن الرجل قد نأفق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد أطلع على أصحاب بدرٍ يوم بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم" .

هذه رواية محمد بن إسحاق .

وقال الشيخ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله : إن المرأة سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف ، وإنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أمسامة جئت" ؟ قالت : لا . قال : "أمهاجرة جئت" ؟ قالت : لا ؛ قال : "فما حاجتك" ؟ قالت : كنتُ كثيرة العشيرة والأصل والموالى ، وقد ذهبتُ موالى ، واحتججتُ حاجةً شديدة ، فقدمتُ عليكم لتعطوني وتكسوني وتمهلوني . قال لها : "فأين أنت من شباب أهل مكة" ، وكانت مغنية نائمة ، قالت : ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر : فحَثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب فكسوها وحملوها وأعطوها نفقةً ، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى ، فكتب معها إلى أهل مكة كتاباً ، وأعطها عشرة دنانير .

قال الثعلبي : هذه رواية زاذان عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : وقال مقاتل بن حيان : أعطها عشرة دراهم وكساها برداً على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة ، وكتب في الكتاب : «من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، إن

رسول الله يريدكم ، فخذوا حذرکم . فخرجت سارة ، ونزل جبريل ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل حاطب ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ، وعمر ، والزبير ، وطلحة ، وعمارا ، والمقداد بن الأسود ، وأبا مرثد ، وكانوا كلهم فرسانا ، وقال لهم : ^(١) «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين ، فخذوه منها ، وخلوا سبيلها ، وإن لم تدفعه إليكم فأضربوا عنقها» فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا لها : أين الكتاب ؟ فخلقت بالله ما معها كتاب ، فبحثوها ، وقنصوها متاعها فلم يجدوا معها كتابا ، فهجموا بالرجوع ، فقال علي رضي الله عنه : والله ما كذبنا ولا كذبنا ، وسئل سيفه ، وقال لها : أخرجي الكتاب وإلا والله لأجرّدك ، ولأضربن عنقك ، فلما رأته أخرجته من ذوائبها قد خبأته في شعرها ، فخلوا سبيلها ، ولم يتعزّضوا لها معها ، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى حاطب فأناه ، فقال له : «هل تعرف الكتاب» ؟ قال : نعم ، قال : «ما حملك على ما صنعت» ؟ فقال : يا رسول الله ، ما كفرت منذ أسلمت ، ولا غششتك منذ نصحتك ، ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولمكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته ، وكنت غريبا فيهم ، وكان أهلي بين ظهرانيهم ، فخشيت على أهلي ، فأردت أن أنخذ عندهم يدا ، وقد علمت أن الله يُنزل بهم بأسه ، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا ، فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره ، فقام

(١) روضة خاخ : موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان) .

عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد أطلع على أهل بدر يوم بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم يوم بدر " .

وأزل الله عز وجل في شأن حاطب ومكاتبته المشركين قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ (١) ، قال : أى من مكة لأن أمتهم بالله ربكم ، قال : فى الكلام تقديم وتأخير ، ونظم الآية : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ نَحْرَجْكُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ يَتَفَقَّهُوكم يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَسْنِنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٢) قال : يتفقوكم يروكم ويظهروا ، ﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أى بالقتل ، ﴿ وَأَسْنِنَهُمْ بِالسُّوءِ ﴾ أى بالشم ، ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ فلا تناصحوهم فإنهم لا يناصحوكم ولا يؤادونكم .

قوله تعالى : ﴿ لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُم وَلَا أَوْلَادَكُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ قال : معنى الآية : لا تدعوكم قراباتكم ولا أولادكم التى بمكة إلى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم ، ومظاهرتهم ، فلن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم التى عصيتهم الله لأجلهم

(١) سورة المنتحة الآيات ١ ، ٢ ، ٣

(٢) كذا فى كلا الأصلين . والذى فى القرطبي : « يتفقوكم يظفروا بكم ويبتكوا منكم » .

(يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ) فيدخل أهل طاعته والإيمان به الجنة، ويدخل أهل معصيته والكفر به النار .

قوله تعالى : (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ) الآية ، ثم قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ تَبَوَّأَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) قال : قوله : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ) يعني في إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء ، قال : فلما نزلت هذه الآية عادى المؤمنون أقرباءهم من المشركين في الله ، وأظهروا لهم العداوة والبراءة ، فعلم الله تعالى شدة وجد المؤمنين بذلك ، فأَنْزَلَ : (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ؛ قال : ففعل الله عز وجل ذلك بأن أسلم كثير من مشركي مكة ، فصاروا للمؤمنين أولياء وإخوانا ، وخالطوهم وناكحوهم .

قوله تعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) معناه : أن تعدلوا فيهم بالإحسان والبر ، وأختلف العلماء فيمن نزلت فيهم هذه الآية ، فقال ابن عباس : نزلت في خُزاعة ، منهم هلال بن عويمر ، وخرَيمَة ، وسُرَاقَة بن مالك ابن جُعشم ، وبنو مُدَلج ، وكانوا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا .

١٠٩
١٥

وقال عبد الله بن الزبير : نزلت في أسماء بنت أبي بكر رضی الله عنهم ، وذلك أن أمها قُتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد من بني مالك بن حِسل قدمت عليها المدينة بهدايا وهي مُشركة ، فقالت أسماء : لا أقبل منك هدية ، ولا تدخل على بيتي حتى أستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألت لها عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأُنزل الله عز وجل هذه الآية ، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلاً ، وتقبل هديتها ، وتحسن إليها ، وتكرمها . وقال مرة الهذاني وعطية العوفي : نزلت في قوم من بني هاشم ، منهم العباس . ثم قال تعالى : ﴿ إِمَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ قال : وهم مشركو مكة . فلنرجع إلى أخبار غزوة الفتح .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة

إلى مكة ، ومن جاءه في طريقه قبل دخوله مكة

قال : ولما تها رسول الله صلى الله عليه وسلم للغزاة بعث إلى من حوله من العرب بخابهم ، وهم أسلم ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وأشجع ، وسليم ، فمنهم من وافاه بالمدينة ، ومنهم من لحقه في الطريق ، وكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف ، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، قاله محمد بن سعد .

وقال محمد بن إسحاق ، وأبو بكر أحمد البيهقي : استخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم الأربعاء لعشير ليل خلون من شهر رمضان بعد العصر ، فلما انتهى

إلى الصُّلَّصِلِ^(١) قَدَّمَ أَمَامَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي مَائَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَصَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَامَ النَّاسُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالكَدِيدِ بَيْنَ عُسْفَانَ وَأَجَجٍ أَفْطَرَ ، وَنَادَى مُنَادِيهِ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفِطِرَ فَلْيَفْطِرْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلْيَصُمْ .
 قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : فَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُدَيْدٍ عَقَدَ الْإِلَوتِيَّةَ وَالرَّايَاتِ وَدَفَعَهَا إِلَى الْقَبَائِلِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظُّهْرَانَ وَهُوَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَسَبَّعَتْ سَلِيمٌ^(٧) ، وَبِمَضْمِهِمْ يَقُولُ : أَلْفَتْ مَرْبِئَةَ ، وَفِي كُلِّ الْقَبَائِلِ عِدَدٌ وَإِسْلَامٌ ، وَأَوْعِبَ مَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ . قَالَ : وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ لَقِيَ عَمَّهُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : لَقِيَهِ بِالْمُحَفَّةِ مَهَاجِرًا بِمِيَالِهِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَكَّةَ عَلَى سِقَايَتِهِ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ أَسْلَمَ عِنْدَ أَنْصَرَافِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ ، قَالَ : وَلَقِيَهِ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، لَقِيَاهُ بِنَبِيْقِ الْعُقَابِ^(٩) بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَالتَّمَسَا الدَّخُولِ عَلَيْهِ ، وَكَلَّمْتُهُ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَبِهِمَا ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ابْنُ عَمِّكَ ، وَأَبْنُ عَمَّتِكَ وَصَهْرُكَ . فَقَالَ : ” لَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا ، أَمَا ابْنُ عَمِّي فَهَتَمْتُكَ عِرْضِي ، وَأَمَا ابْنُ عَمَّتِي وَصَهْرِي فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ “ ، فَلَمَّا خَرَجَ الْخَبْرُ بِذَلِكَ إِلَيْهِمَا وَمَعَ أَبِي سَفْيَانَ بُنِيَ لَهُ

١١٠
١٥

(١) الصاصل : موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها . (٢) الكديد كأمير : موضع على آتئين وأربعين ميلا من مكة . (٣) عسفان ، بضم أوله وسكون ثانيه : قرية جامعة على ثلاث مراحل من مكة . (٤) أجم بالتحريك : بلد من أعراض المدينة . (٥) قديد بالتصغير : موضع قرب مكة . (٦) مر الظهران : موضع على مرحلة من مكة . (٧) سبعت : أى كانت سبعة ، وألقت : كانت ألفا . (٨) المحفة : موضع على أربع مراحل من مكة . (٩) نبيق العقاب : موضع قرب المحفة .

قال : والله لتأذنن لي أو لآخذن بيدي حتى هذا ، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا ، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما ، ثم أذن لهما فدخلا عليه ، فأسلما ، وأنشد أبو سفيان بن الحارث يعتذر مما كان قد مضى من فعله ، فقال :

- لعمرك إني يوم أحملُ رايةً * إيتابَ خَيْلِ اللاتِ خَيْلَ مَجْدِ
لكالمُدْلِجِ الحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ * فهذا أواني حين أهدى وأهدى
هداني هادٍ غيرُ نفسي وداني * على الحقِّ من طردتُ كلَّ مطرَدِ^(١)
أصد وأناى جاهدا عن مجدي * وأدعى وإن لم أنتسب من مجدي
هم ما هم من لم يقل بهوهم * وإن كان ذارأى يلم ويفند^(٢)
أريد لأرضيهم واستُ بلائيط * مع القوم ما لم أهد في كلِّ مقعدِ^(٣)
فقل لتقيف : لا أريد قتالها * وقل لتقيف تلك : غيري أوعدي
فما كنت في الجيش الذي نال عامرا * وما كان عن جراً لساني ولا يدي
قبائلُ جاءت من بلادٍ بعيدة * نزاعُ جاءت من سهامٍ ومرددِ^(٤)^(٥)

قال : ولما بلغ إنشاده قوله : « من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال : « أنت طردتني كل مطرد » .

قال : ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظَّهْران نزلها عَشِيًّا ، وأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ، وقد عميت الأخبارُ عن قريش فلا يأتهم خبر

(١) رواية البيت كما في ابن هشام ٤ : ٤٣ ، والبداية ٤ : ٢٨٧

هداني هاد غير نفسي وداني * مع الله من طردت كل مطرد

(٢) في ج : « يلام ويفند » . (٣) لائط : ملصق . (٤) النزاع : الغرابة .

(٥) سهام كسحاب ، ومردد بضم أوله وسكون ثانيه ودال مهمله مضمومة ، ويروي بضم أوله

وفتح الدال الأولى : موضعان من أرض عك .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال العباس بن عبدالمطلب : واصباح قريش ،
والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه
لأنه لهلك قريش إلى آخر الدهر .

قال العباس : بغلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ،
فخرجت عليها حتى جئت الأراك^(١) ، فقلت : لعلي أجد بعض الخطابة أو صاحب
لبن ، أو ذا حاجة ياتي مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخرجوا
إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة .

ذكر محيي العباس بأبي سفيان بن حرب إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وإسلام أبي سفيان ، وخبر الفتح

قال العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه : وكان أبو سفيان بن حرب
وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء قد خرجوا في تلك الليالي يتحسسون الأخبار ،
وينظرون هل يمدون خبرا أو يسمعون به ، فوالله إنى لأسير على بغلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، أتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل
ابن ورقاء وهما يتراجعا ، وأبوسفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرا قط ولا عسكريا ،
فيقول له بديل : هذه خزاعة قد حمتها^(٢) الحرب ، فيقول أبوسفيان : خزاعة أذل
وأقل أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، قال العباس : فعرفت صوته ، فقلت :
يا أبا حنظلة ، فعرف صوتي ، فقال : يا أبا الفضل ، قلت : نعم ، قال : مالك فذاك أبي
وأمي ! قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله في الناس ، واصباح قريش والله !

(١) الأراك : واد قرب مكة .

(٢) حمتها بالمهملة : اشتدت عليها ، وفي ج ، وابن هشام : « حمتها » بالمعجمة ،

أى أحرقتها .

قال : فما الحيلة فذاك أبي وأمي ! ، قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فأركب في عَجْز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك ؛ قال : فركب خلفي ، ورجع صاحبا ؛ قال : بَخْتُ به ، كلما مررتُ بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر .
آبن الخطاب .

قال ابن سعد : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل عمر تلك الليلة على الحرّس ؛ قال العباس : فقال عمر : من هذا ؟ وقام إلى ، فلمسا رأى أبا سفيان على عَجْز الدابة قال : أبو سفيان عدوّ الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عَهْد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضتُ البغلة فسبقته ، فأفتحمتُ عن البغلة ، ودخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن منه بغير عَقْد ولا عهد ، فدعني أضرب عنقه . قال العباس ، قلت : يا رسول الله ، قد أجزته ، ثم جاستُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذتُ برأسه وقلتُ : والله لا يناجيه الليلة رجلٌ دوني ، فلما أكثر عمر في شأنه قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من رجال بني عدى بن كعب ما قلتُ هذا ، ولكم قد عرفتُ أنه من رجال بني عبد مناف ؛ فقال عمر : مهلا يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمتُ كان أحبّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفتُ أن إسلامك كان أحبّ إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فاتني به ” ؛ قال : فذهبتُ به إلى رحلي ، فبات عندي ، فلما أصبح غدوتُ

به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 ” ويحك يا أبا سفيان ، ألم يَبَانِ لَكَ أن تعلم أنه لا إله إلا الله “ ، قال : بأبي أنت
 وأُمِّي ! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره
 لقد أغنى شيئاً بعد ، قال : ” ويحك يا أبا سفيان ، ألم يَبَانِ لَكَ أن تعلم أنى
 رسول الله “ ؟ قال : بأبي أنت وأُمِّي ! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما والله هذه
 فأت في النفس منها حتى الآن شيئاً ، فقال له العباس : ويحك ! أسلم وأشهد أن لا إله
 إلا الله ، وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك ، قال : فشهد شهادة الحق ،
 فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فأجعل له شيئاً .
 قال : ” نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ،
 ومن دخل المسجد فهو آمن “ ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : ” يا عباس ، احبسْه بمضيق الوادي عند خَطْمِ الجبل حتى تمر به جنود الله
 فيراها “ . قال : فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أن أحبسه ، قال : ومررت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ،
 من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالي ولسليم ، ثم تمر القبيلة ، فيقول : من هذه ؟
 فأقول : مُزينة ، فيقول : مالي ولمزينة ، حتى مررت القبائل ، فما تمر قبيلة إلا
 سألتني عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالي ولبنى فلان ! حتى مر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في كتيبته الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار — وإتما سميت بالخضراء
 لكثرة الحديد وظهوره فيها — وهم لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال :
 سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ألم يَبَانِ : ألم يحزن .

(٢) خَطْمِ الجبل : أُنْفُ النادِرمَة .

في المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء من قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك الغداة عظيماً. قلت: ويحك! إنها النبوة، قال: فنعم إذاً، ثم قلت: النجاء^(١) إلى قومك، فسار حتى إذا جاءهم صرّخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا عهد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه، فقالت: أقتلوا الحميت^(٢) الدسيم الأحمس، قُبِح من طليعة قوم! قال: ويلكم! لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قِبَل لكم به، فمن دخل داري فهو آمن، قالوا: قاتلك الله! وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد. والله يؤيد بنصره من يشاء.

ذكر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة

شرفها الله تعالى صلحاً، ودخول خالد بن الوليد

ومن معه من القبائل عنوة

قال: ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذى طوى^(٣)، وقف على راحته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء، وإنه ليضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عثونته ليكاد يمس واسيط الرجل، ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش من ذى طوى، وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مع سعد بن عبادة رضى الله عنه، فأمر رسول الله صلى الله

١١٢
١٥

(١) النجاء: السرعة. (٢) الحميت في الأصل: زق السم. والدمم: الكثير الودك.

والأحمس: الذي لا خير عنده، من قومهم: عام أحس إذا لم يكن فيه مطر. (٣) ذوطوى، مثلثة

الطاء: موضع قرب مكة. (٤) الاعتجار: التعمم بغير ذؤابة. والحبرة: ضرب من ثياب اليمن.

عليه وسلم الزبير بن العوام ، وكان على المحنبة اليسرى أن يدخل في بعض الناس من كدى^(١) ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل ببعض الناس من كداء^(٢) ، فلما وجه سعد للدخول قال : اليوم يوم الملاحمة ، اليوم تستحل الحرمه ، وفي رواية تستحل الكعبة ؛ فسمعها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، اسمع ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : "أدركه نخذ الراية منه ، فأدخل أنت بها" . حكاه ابن إسحاق .

وقال محمد بن سعد : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية من سعد ودفعها لابنه قيس بن سعد .

وذكريحي بن سعيد الأموى في السير : أن سعد بن عبادة لما أخذ الراية مرة على أبى سفيان ، فقال سعد إذ نظر إليه : اليوم يوم الملاحمة ، اليوم تستحل الحرمه ، اليوم أذل الله قريشا ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبة الأنصار حتى إذا حاذى أبى سفيان ناداه : يا رسول الله ، أمرت بقتل قومك ؟ فإنه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا ، وقال : اليوم يوم الملاحمة ، اليوم تستحل الحرمه ، اليوم أذل الله قريشا ، وإني أنشدك الله فى قومك ، فانت أبر الناس وأوصلهم وأرحمهم .

وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ، والله ما نأمن سعدا أن تكون منه فى قريش صولة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبى سفيان ، اليوم يوم المرحة ، اليوم أعز الله فيه قريشا" . وقال ضرار بن الخطاب الفهري يومئذ :

(١) كدى كقرى : جبل بأسفل مكة .

(٢) كداء كداء : جبل بأعلى مكة .

يا نبيَّ المهديِّ إليك لجأحت^(١) قريش ولات حين لجاء
 حين ضاقت عليهم سعة الأرز * وض وعاداهم إله السماء
 وألقت حلقنا البطان على القوم * م ونودوا بالصَّيلم الصلحاء^(٢)
 إن سعدا يريد قاصمة الظهر * ير بأهل الحجون والبطحاء
 تحزرجي لو يستطيع من الغيرة * يظ رمانا بالنسر والعواء^(٣)
 وغر الصدر لا يهيم بشيء * غير سفك الدماء وهتك النساء
 قد تلظي على البطاح وجاءت * عنه هند بالسوءة السواء
 إذ ينادى بذلَّحي قريش * وابن حرب بدا من الشهداء
 فأن أقم اللواء ونادي * يا حماة اللواء أهل اللواء
 ثم ثابت إليه من يهيم الخبز * رج والأوس أنجم الميحاء
 لتكوتن بالبطاح قريش * فقعة القاع في أكف الإماء^(٤)
 فأمهنته فإنه أسد الأمم * يد لدى الغاب والنغ في الدماء
 إنه مطرق يريد لنا الأمد * ير سكرتنا كالحية الصماء^(٥)

قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة فترع اللواء من
 يده ، وجعله بيد قيس أبيه ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللراء لم يخرج

(١) « لجأ » مهبوز، وتركه هنا للوزن .

(٢) ألقت حلقنا البطان : مثل في بلوغ الأمر . البطان : حزام يجعل تحت بطن البعير . والصيلم :
 الداهية الشديدة .

(٣) النسر والعواء : كوكبان .

(٤) الفقعة (كسر الفاء) : ضرب من الكأة ، وهي البيضاء الرخوة ، يشبه بها الرجل التذليل . وفقعة
 القاع : مثل يضرب في الذل ، لأن الفقعة أردأ الكأة .

(٥) الحية الصماء : التي لا تنفع منها الرقية ، وهي أحب الحيات وأضرها .

عنه إذ صار إلى آبنه ، وأبى سعد أن يُسلم اللواء إلا بأمانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامته ، فعرفها سعد ، فدفع اللواء إلى آبنه قيس .

قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، وكان على المجنبة اليمنى ، أن يدخل ببعض الناس من الليط أسفل مكة ، وكان معه : أسلم ، وسليم وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وقبائل من العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذخر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هناك قبة ، ونهى عن القتال ، وعبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأماكن التي أمرهم صلى الله عليه وسلم أن يدخلوا منها ، لم يلقوا كيذا ، إلا خالد بن الوليد فإن صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو جمعوا جمعاً من قريش ، ووقفوا بالخدمة ليقاتلوا خالد بن الوليد ، ويمنعوه من الدخول ، وشهروا السلاح ورءوا بالنبل ، فصاح خالد في أصحابه وقتلهم ، فقتل أربعة وعشرون رجلاً من قريش ، وأربعة نفر من هذيل ، وانهمزوا أقبح هزيمة ، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية أذخر رأى البارقة فقال : « ألم أنه عن القتال ؟ » فقيل : يا رسول الله ، إن خالد بن الوليد قوتل فقاتل ، فقال : « قضاء الله خير » ، وقتل من المسلمين رجلاً كانا سلكا طريقاً غير طريق خالد فقتلوا ، وهما كرز بن جابر الفهري ، وحبيش بن خالد الخزاعي . قاله محمد بن سعد .

١١٣
١٥

(١) أذخر : ثنية بين مكة والمدينة « البرقي ج ١ : ١٢٨ » .

(٢) الخدمة : جبل بمكة له يوم معروف . (٣) البارقة : السيوف .

(٤) في ابن سعد « خالد الأشقر الخزاعي » ، وفي ابن هشام : « نخيس » .

وقال ابن إسحاق: قتل من المشركين يومئذ اثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلا. وقال:
وقد كان حمّاس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يُعدّ سلاحا ويُصلح منه قبل دخول
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له امرأته: لماذا تعدّ ما أرى؟ قال:
لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء؛ قال: والله إنى
لأرجو أن أُخدِمَك بعضهم، ثم قال:

إن يُقبلوا اليوم فإلى علة^(١) * هذا سلاحٌ كاملٌ وآلة^(٢)
* وذو غرارين سريعُ السّلة^(٣) *

ثم شهد يوم الخندمة، فلما انهزم القوم دخل على امرأته وقال: أغلقت على بابي؛
قالت: فأين الذى كنت تقول؟ فقال:

١٠ إنك لو شهدت يوم الخندمة * إذ فرّ صفوانٌ وفرّ عكرمة
وأبو يزيد قائمٌ كالموتمة^(٣) * وأستقبلتهم بالسيوف المسائمة
يقطعن كلّ ساعدٍ وجمجمة * ضربا فلا تسمع إلا غمغه^(٤)
لهم نهيتٌ خلفنا وهمهمه * لا تنطق فى اللوم أدنى كلمة^(٥)

قال ابن هشام: ويروى للرعاش الهدلى.

١٥

(١) الألة: جميع أداة الحرب.

(٢) كذا فى ج وابن هشام ج ٤: ٥٠، والذى فى أ «الفتلة». وذو غرارين: ذو حدّين.

(٣) الموتمة: النكلى.

(٤) الغمغه: أصوات غير مفهومة.

(٥) النهيت: زئير الأسد. والهمهمة: تردد الزئير فى الصدر.

وكان من فز يومئذ هُبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ،
وهو زوج أم هانئ بنت أبي طالب أخت علي لأبويه ؛ فأسلمت ، وهرب هُبيرة
إلى نجران ، وقال معتذرا من فراره :

لعمرك ما ولّيت ظهري محمداً * وأصحابه جُبنا ولا خيفة القتلِ
ولكنني قلبت أمري فلم أجد * لسيفي غناء إن ضربتُ ولا نبلي
وقفتُ فلما خفت ضيعة موقفي * رجعتُ لعودي كالهزبر إلى الشبلِ

قال ابن هشام : وكان شعاع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
فتح مكة وحنين والطائف : شعاع المهاجرين : يا بني عبد الرحمن ، وشعاع الخزرج :
يا بني عبد الله ، وشعاع الأوس : يا بني عبيد الله ؛ وكان الفتح يوم الجمعة لعشر
بقيين من رمضان .

ذُكر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم يوم
فتح مكة وسبب ذلك ، ومن قتل منهم ، ومن نجا بإسلامه
قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه بقتل ستة نفر
وأربع نسوة ، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، وهم : عكرمة بن أبي جهل ، وهب
ابن الأسود ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومقيس بن صُبابة اللبثي ، والحويرث
ابن نُقيس بن وهب ، وعبد الله بن هلال بن حَظَل الأدرمي ، وهند بنت عُتبة ،
وسارة مولاة عمرو بن هشام ، وقرنئ ، وقرينة .

فأما عكرمة بن أبي جهل فإنه هرب إلى اليمن ، وأسلمت أمرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنه ، ونجرت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه .

٥. حكى الزبير بن بكار قال : لما أسلم عكرمة قال : يا رسول الله ، علمني خير شيء تعلمه أقوله ؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله " ، فقال عكرمة : أنا أشهد بهذا ، وأشهد بذلك من حضرتي ، وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي ؛ فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال عكرمة : والله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقته في سبيل الله ، ولا قتالا قاتلته إلا قاتلت ضعفه ؛ ثم اجتهد في الجهاد والعبادة حتى استشهد رحمه الله في خلافة عمر بن الخطاب بالشام ؛ وقيل : استشهد في آخر خلافة أبي بكر ، قيل : في يوم اليرموك . وقيل : في يوم مرج الصفر^(١) ، وقيل : أجنادين^(٢) . والله أعلم .

١١٤
١٥

١٥. وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فإنه كان قد أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ؛ فارتد إلى قريش ، فلما كان يوم الفتح فر إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو أخوه من الرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأمن له بعد أن أطمأن الناس ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ، ثم قال : " نعم " ؛ فلما انصرف عنه عثمان قال لمن حوله من أصحابه : " لقد صمت ليقوم إليهم بعضكم فيضرب عنقه " ،

٢٠. (١) مرج الصفر : موضع بالشام كانت به رقعة للسليمان مع الروم ، وهو بالقرب من غوطة دمشق .
(٢) أجنادين : موضع بالشام كانت به رقعة مشهورة بين المسلمين والروم .

فقال رجل من الأنصار : فهلّا أومات إلى يا رسول الله ؟ فقال : " إن النبي لا يقتل بالإشارة " ، ثم أسلم عبد الله بن سعد بعد ذلك .

وأما مقيس بن صُبابَة ، فإن أخاه هشام بن صبابَة كان قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق بالمُرَيْسِيْع ، فأصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ ، فقدم مقيس هذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، وأظهر الإسلام ، وقال : يا رسول الله ، جئتُك مسلماً ، وجئتُك أطلب ديةً أُنحى ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه ، فأقام غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم نخرج إلى مكة مرتداً ، فنذر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله لذلك ، فقتله ثميلة بن عبد الله ؛ رجل من قومه .

وأما الحويرث بن نُقيذ فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لأنه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان العباس بن عبد المطلب حمل بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وأمّ كلثوم من مكة يريد بهما المدينة ، فرمى بهما الحويرث إلى الأرض .

وأما عبد الله بن خَطَل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه كان مسلماً ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً^(١) ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه وهو . وسلم ، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، فيصنع له طعاماً ، فنام وأستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فقتله ثم آرتد ، وكانت فرثي وقريسة قبيلته تُغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل ابن خَطَل

(١) مصدقاً ، بتشديد الدال : جامعاً للصدقات ، وهي الزكاة .

- سعيد بن حريث المخزومي، وأبو برزة الأسلمي، اشتراكاً في دمه، وقتلت إحدى قينتيه وهربت الأخرى، حتى آستؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقمنها .
- وهند بنت عتبة أسامت . ولما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة على النساء ، ومن الشرط فيها ألا يسرقن ولا يزنين ، قالت : وهل تزني الحرة أو تسرق يا رسول الله ؟ فلما قال : "ولا تقتلن أولادكن" ، قالت : قد ربينا هم صغاراً ، وقتلنهم أنت بيدركجاراً ، أو نحو هذا من القول ، وشكت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن زوجها أبا سفيان شحيح لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدها ، فقال : "خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك أنت وولدك" .
- وأما سارة فآستؤمن لها ، فأمنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- وأما هبار فإنه هرب فلم يوجد ، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه .

ذكر إسلام أبي خُفافة عثمان بن عامر بن عمرو بن

كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب

- روى محمد بن إسحاق بسنده إلى أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذي طوى قال أبو خُفافة لأبنة له من أصغر ولده : أى بُنية ، اظهري بي على جبل أبي قُبَيْس — قالت : وكان قد كُف بصره — فأشرقت به عليه فقال لها : أى بُنية ؟ ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخليل ، قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً ، قال : أى بُنيته ، ذلك الوازع ، — يعنى الذى يأمر الخليل ويتقدم إليها — ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، فقال : قد والله إذاً دفعت الخليل ، فأسرعى بي إلى بيتي ، قالت : فأنحطت به ، وتلقاه الخليل قبل أن يصل

إلى بيته ، قالت : وفي عنق الجارية طَوْقٌ من ورق ، فنلقاها رجل فاقطعه من عنقها ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ"؟ قال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت ، فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : "أسلم" ، قالت : فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر وكأَنَّ رَأْسَهُ نِغَامَةٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ" ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال : أنشد الله والإسلام طَوْقَ أُخْتِي ، فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أَى أُخِيَّةَ ، إِحْتِسَبِي طَوْقَكَ ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل .

وأسلم عبد الله بن الزبيرى عام الفتح وحسن إسلامه ، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الأذى في الجاهلية ، فأسلم واعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل عذره ، وكان شاعرا مجيدا ، فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم : وله في مدحه أشعار كثيرة ينسخ بها ما قد مضى في كفره ، منها قوله :

مَنَعَ الرِّقَادَ بِلَابِلٍ وَهَمُومٌ * وَاللَّيْلَ مُعْتَلِجَ الرِّوَاقِ بِهَيْمٍ ^(٣)
مِمَّا أَنَانِي أَنْتَ أَحْمَدَ لَامِنِي * فِيهِ فَبِتَ كَأَنِّي مَجْمُومٌ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا * عَيْرَانَةٌ مَرِحَ الْيَدَيْنِ غَشُومٌ ^(٤)

(١) الورق : الفضة ؛ وقيل : الذهب والفضة (اللسان) . (٢) النغامة : نبت أبيض الزهر والنثر ، يشبه بياض الشيب به . (٣) البلايل : الوسوس المختلطة ، ومعتلج : مضطرب يركب بعضه بعضا . ورواق الليل : مقدمه وجانبه . والهيم : الذى لا ضياء فيه . (٤) العيرانة من الإبل : السريعة في نشاط . ومرح اليدين : مر بهما . وغشوم : لا يثنيها عن مرادها شئ .

إني لمعتذر إليك من الذي * أسديت إذ أنا في الضلال مقبم
 أيام تأمرني بأغوى خطية * سهم، وتأمرني بها مخزوم
 وأمدت أسباب الردى ويقودني * أمر الغواية، وأمرهم مشئوم
 فاليوم آمن بالنبي محمد * قلبي ومخطئ هذه محروم
 مضت العداوة وأنقضت أسبابها * وأتت أوامر بيننا وحلوم
 فأغفر فدي لك والدي كلاهما * وأرحم فإنك راحم مرحوم
 وعليك من سمة المليك علامة * نور أغر وخاتم مغموم
 أعطاك بعد محبة برهانه * شرفاً وبرهان الإله عظيم

ذكر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، وطوافه بالبيت

ودخوله الكعبة، وما فعل بالأصنام

قال : ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأطمأن الناس ، نرج
 حتى جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحته يستلم الزكن بحجر في يده ، فلما قضى
 طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد
 فيها سمامة من عيدان ، فكسرها بيده وطرحها ، ثم وقف على باب الكعبة فقال :
 "لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده
 ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية
 الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ، ففيه الدية مغلظة ، مائة من
 الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها ، يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب
 عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالأباء . الناس من آدم ، وآدم من تراب ،" ثم تلا قوله

١١٦
١٥

(١) المأثرة : المكربة المتوارثة .

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ^(١) 》 ؛ ثم قال : ”يامعشر قريش ، ماترون أتي فاعل فيكم“ ؟ قالوا : أخ كريم وأبن أخ كريم ، قال : ” اذهبوا فانتم الطلقاء “ ؛ ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله ، اجتمع لنا الحجابة مع السقاية ، فقال : ” ابن عثمان بن طلحة “ ؟ فدعى له ، فقال : ” هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برٍّ ووفاء “ ؛ حكاه محمد بن إسحاق .

وقال محمد بن سعد : دفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح وقال : ” خذوها يا بنى أبي طلحة تالدة خالدة ، لا يتزعها منكم إلا ظالم “ ؛ ودفع السقاية إلى العباس بن عبد المطلب .

قال عبد الملك بن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورا في يده الأزلام يستقيم بها ، فقال : ” قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقيم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ، ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^(٢) 》 “ ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

قال : ودخل الكعبة ومعه بلال بن رباح ، فأمره أن يؤذن ، فأذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد : أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا فيسمع ما يغيظه ؛ فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه محق لآتبعته ؛ فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا

(٢) آل عمران : ٦٧

(١) الحجرات : ١٣

لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى؛ فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "قد علمت الذي قلتم"، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول: أخبرك.

وقال أبو محمد بن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح على راحته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، بفعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا^(١)﴾، فما أشار صلى الله عليه وسلم إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لِفِغَاهٍ، ولا لِفِغَاهٍ إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع.

قال محمد بن سعد: كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما، وكان أعظمها هَبَلٌ، وساق الحديث نحو ما تقدم، فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك: وفي الأصنام معتبر وعلم * لمن يرجو الشواب أو العتابا

قال: ولما كان من الغد يوم الفتح خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الظهر فقال: "إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام إلى يوم القيامة، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار، ثم رجعت لحرمتها بالأمس، فليبلغ شاهدكم غائبكم، ولا يحل لنا من غنائمها شيء"، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة يصلي ركعتين ركعتين، وبث سرايا، ثم خرج إلى حنين.

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى العزى وهدمها

قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى ليهدمها، وذلك بعد الفتح، لخمس ليال يقين من شهر رمضان سنة ثمان، فخرج في ثلاثين فارسا

من أصحابه حتى آتوها إليها فهدمها، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: "هل رأيت شيئا؟" قال: لا، قال: "فإنك لم تهديها، فارجع إليها فأهدمها"؛ فرجع خالد وهو متغيظ، فحزذ سيفه، فخرجت إليه امرأة عُرْبَانَة سوداء نائرة الرأس^(١) بفعل السادن يصيح بها، فضربها خالد فحزّلها آثنتين، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: "نعم، تلك العزى، وقد يُست أن تُعبد ببلادكم أبدا"، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بنو شيبان من بني سليم.

ذكر سرية عمرو بن العاص إلى سِوَاع وكسره

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان بعد الفتح أيضا إلى سِوَاع، وهو صنم هذيل ليهدمه؛ قال عمرو: فأتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه. قال: لا تقدر على ذلك؛ قلت: لِمَ؟ قال: تُمنع؛ قلت: حتى الآن أنت في الباطل ويحك! وهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرتة، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئا؛ ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

ذكر سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان أيضا إلى مناة — وكانت بالمثلل للأوس والخزرج وغسان — ليهدمها، فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى إليها وعليها سادن، فقال له السادن: ما تريد؟ قال: هدم مناة؛ قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عُرْبَانَة سوداء نائرة الرأس تدعو بالويل

(١) نائرة الرأس: منتشرة شعر الرأس.

(٢) المثلل: جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.

وتَضْرِبُ صَدْرَهَا ؛ فقال السادن : مناة دونك بعضَ غضباتك ؛ ويضربها سعد بن زيد فيقتلها ، ويقبل إلى الصنم معه أصحابه ، ولم يجدوا في حراتها شيئا ، وأنصرف راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك لست بقين من شهر رمضان .

ذکر سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر

أبن عبد مناة بن كنانة، وهو يوم الغميصاء

قالوا : لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة ، بعثه في شؤال إلى بني جذيمة بن عامر ، وكانوا أسفل مكة على ليلة منها بناحية يلملم ، داعيا إلى الإسلام ، ولم يبعثه مقاتلا ، فخرج في ثمانمائة وثمانين رجلا من المهاجرين والأنصار وبني سليم ، فأنتهى إليهم خالد بن الوليد ، فقال : ما أنتم ؟ قالوا : مسلمون ، قد صلبنا وصدقنا بحمد ، وبنينا المساجد في ساحاتنا ، وأذنا فيها ؛ قال : فما بال السلاح عليكم ؟ فقالوا : إن بيننا وبين بعض العرب عداوة ، نخفنا أن تكونوا هم ، فأخذنا السلاح ؛ قال : فضعوا السلاح ؛ قال : فوضعوه ، فقال لهم : استأسروا ؛ فاستأسر القوم ، فأمر بعضهم فكشف بعضهم وفزقهم في أصحابه ، فلما كان في السحر نادى خالد : من كان معه أسير فليدأقه ؛ أى فليجهز عليه بالسيف .

فأما بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم ، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسرارهم ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما صنع خالد ، فقال : ” اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد“ ؛ وبعث على بن أبي طالب فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم .

(١) ودى : دفع الدية .

١١٨
١٥

وقد حكى أبو الفرج على بن الحسين الأصبهاني^(١) ، خبر هذه السمرية في قصة عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة وخبر مقتله ، وذَكَرَ خبره مع حُبَيْشَةَ ، فروى بسند رفعه إلى ابن دأب قال : كان من حديث عبد الله بن علقمة أنه خرج مع أمه وهو إذ ذاك يَفْعَمُ : دون المحلِّم ، لتزور جارة لها ، وكانت لها بنت يقال لها : حُبَيْشَةَ إحدى بنات عامر بن عبد مناة ، فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقفت في نفسه ، فأصرف وترك أمه عند جارتها ، فبقيت عندها يومين ، ثم أتاها ليرجعها إلى منزله ، فوجد حُبَيْشَةَ قد زُيِّنَتْ لِأَمْرِ كَانِ فِي الْحَيِّ ، فازداد بها عجباً ، وأصرف بأمه في غداة تَمِطِرُ ، فمضى معها وجعل يقول :

فأ أدري بلى لى لأدري * أصوب القطر أحسن أم حُبَيْشِ
حُبَيْشَةَ والذي خلق الهدايا * وما لمن عندها للصبِّ عيش^(٢)

قال : فسمعت ذلك حُبَيْشَةَ ، فتغافلت عنه ، وكرهت قوله ، ثم مشى ملياً فإذا هو بظبي على ربوة من الأرض ، فقال :

يا أمّنا خبريني غير كاذبة * وما يريد مسؤل الحق بالكذب
أنت أحسن أم ظبي برايبية * لا بل حُبَيْشَةَ في عيني وفي أربي

قال : فزجرته أمه ، وقالت : ما أنت وهذا ، أنا مزوجتك بنت عمك ، فهى أجهل من تلك ، وأنت امرأة عمه فأخبرتها خبره وقالت : زيني آبتك له ، ففعلت وأدخلتها عليه ، فلما رآها أطرق ، فقالت له أمه : أيهما الآن أحسن ؟ فقال :

(١) الخبر في الأغاني ٧ : ٢٨٠ (طبع دار الكتب المصرية)

(٢) رواية الأغاني : * وما عن بعدها للصبِّ عيش *

إذا غُيِّبَتْ عَنِّي حُبَيْشَةَ مَرَّةً * من الدهر لم أملك عزاءً ولا صبراً
كَانَ الحشا حراً السعير يَحْشُهُ ^(١) * وقود الغضى فالقلب مضطربم جمرًا

قال : وجعل يرأسل الجارية وتراسله ، حتى علقته كما علقها ، وكثر قوله الشعر
فيها ، فمن ذلك قوله ^(٢) :

حُبَيْشَةُ هل جَدَى وَجَدَكَ جَامِعٌ * بِسَمَلِكُمْ شَمَلِي وَأَهْلِكُمْ أَهْلِي؟
وهل أنا ملتف بشوبك مرة * بصحراء بين الأيكتين إلى النخل؟
ومرتشف من ريق نغريك مرة * كرايح ومِسِكٍ خالطاً عسل النحل

فلما بلغ أهلها خبره ، حجبوها عنه مدة ، وهو يزيد غراماً بها ، ويكثر قوله الشعر
فيها ، فأتوها فقالوا لها : عديهِ السرحة ، فإذا أتاك فقولى له : نَسَدْتِكَ اللَّهُ إِنْ
أَحْبَبْتَنِي فَمَا عَلَى الأَرْضِ شَيْءٍ أَبْغِضَ إِلَى مَنْكَ ، ونحن قريب نسعم ما نقولين ،
فواعدته ، وجلسوا قريباً يسمعون ، وجلست عند السرحة ، وأقبل عبد الله
لموعدها ، فلما دنا منها دعت عيناها ، وألثفت حيث أهلها جلوس ، فعرف أنهم
قريب ، فرجع ، وبلغه ما أمرها به أن تقوله ، فأنشأ يقول :

فلو قلت ما قالوا لَزِدْتِ جَوَى جَوَى ^(٣) * على أنه لم يسبق يستر ولا صبر
ولم يك جبي عن نوال بذلته * فَيُسَلِّينِي عَنكَ التَّجَلَّدَ وَالْمُهْجَرَ ^(٤)
وما أنس من الأشياء لم أنس دمعها * ونظرتها حتى يُغَيِّبَنِي القبر

(١) حش النار : أوقدها . (٢) في الأغاني خلاف في رواية بعض الأبيات .

(٣) رواية الأغاني :

* لو قلت ما قالوا لزدت جوى بكم *

(٤) رواية الأغاني :

* فيسليني عن التجهم والمجر *

قال : وبعث النبي صلى الله عليه وسلم على أثر ذلك خالد بن الوليد إلى
 بنى عامر ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أجابوا وآلأفاناهم ، فصَبَحَهُم
 خالد بالغَمِيصاء وقد علموا به وخافوه ، وكانوا قد قتلوا الفاكه بن الوليد وعمه
 الفاكه بن المغيرة في الجاهلية ، فلما صبحهم خالد ومعه بنو سليم وهم يطلبونهم بمالك
 ابن خالد بن صخر بن الشريد ، وإخوته كُرْز وعمرو والحارث ، وكانوا قتلوهم
 في موطن واحد . فلما صبحهم خالد ورأوا معه بنى سليم زادهم ذلك نُفُورا ،
 فقال لهم خالد : أسلموا ، فقالوا : نحن مسلمون ؛ قال : فألقوا سلاحكم وأنزلوا ،
 قالوا : لا والله ؛ فقال لهم حذيم بن الحارث أحد بنى أقرم : يا قوم ، لا تُلقُوا
 سلاحكم ، فوالله ما بعد وضع السلاح إلا القتل ؛ قالوا : والله لا نُلقي سلاحنا
 ولا نترل ، فما نحن لك ولا لمن معك بأمنين ؛ قال خالد : فلا أمان لكم ؛ فترلت
 فرقةٌ منهم فأسروهم ، وتفرقت بقية القوم فرقتين ؛ فأصعدت فرقة وسفلت أخرى .

١١٩
١٥

قال ابن دأب : فأخبرني من لا أتهم عن عبيد الله بن أبي حذرد الأسلمي
 قال : كنت يومئذ في جند خالد ، فبعثنا في إثر طُغَيْنٍ مُصْعَدَةٍ يسوق بها فتية ، فقال :
 أدركوا أولئك ؛ فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم ، فمضوا ، ووقف لنا غلام على
 الطريق ، فلما آتينا إليه جعل يقاتلنا ويرتجز ويقول :

أرخين أطراف الذبول وأرتعن^(٢) * مشى حبيبات كأن لم يفزعن
 * إن يمنع اليوم نساء ممنعن *

فقاتلنا طويلا ، فقتلناه ومضينا ، حتى لحقنا الظعن ، فخرج إلينا غلام كأنه
 الأول ، بفعل يقاتلنا ويقول :

(١) ما في الأصلين يوافق ما في الإصابة ، وفي ابن هشام : «جدم» . وفي الأغاني «جذيمة» .
 (٢) في الأغاني : * بين أطراف الذبول واربعين *
 ورواية ابن هشام : * رخين أذيال المروط واربعين *

أَقْسِمُ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لِبْدَةٍ ^(١) * يَرْزِمُ بَيْنَ أَيْسَكَةٍ وَوَهْدَةٍ ^(٢)
يَفْرِسُ بُذْيَانَ الرِّجَالِ وَحَدَّةً * بِأَصْدَقِ الْفِدَاةِ مِنِّي تَجْدَةً

فقاتلناه حتى قتلناه ، وأدركنا الظعن ، وإذا فيهن غلام وضىء به صُفرة في لونه
كالمهوك ، فربطناه بحبل ، وقدمناه لقتله ، فقال : هل لكم في خير ؟ قلنا :
ما هو ؟ قال : تدركون بي الظعن أسفل الوادي ثم تقتلونني ؟ قلنا : نفعنا ، نخرجنا
حتى نعارض الظعن بأسفل الوادي ، فلما كان بحيث يسمعون الصوت ، نادى
بأعلى صوته : اسمي حُبَيْش ، عند فقد العيش ، فأقبلت إليه جارية بيضاء حسناء ،
فقلت : وأنت فأسلم على كثرة الأعداء ، وشدة البلاء ، قال : سلام عليك دهرا ،
وإن بقيت عصرا ، فقلت : وأنت سلامٌ عليك عشرا ، وشقعا ووترا ، وثلاثة تترى ،
فقال :

إِنْ يَقْتَلُونِي يَا حُبَيْشَ فَلَمْ يَدَعْ * هَوَاكِ لَمْ مِثِّي سِوَى غُلَّةِ الصَّدْرِ
فَأَنْتِ الَّتِي أَخْلَيْتِ لِحْمِي مِنْ دِمِّي * وَعَظْمِي وَأَسْبَلْتِ الدَّمْعَ عَلَى نَحْرِي
فقلت له :

وَنَحْنُ بِكَيْنَا مِنْ فِرَاقِكَ مَرَّةً * وَأُخْرَى وَأَسِينَاكَ فِي الْعَسِيرِ وَالْبَسِيرِ
وَأَنْتِ فَلَا تَبْعُدُ فَنِعْمَ فَتَى الْمَهْوَى * جَمِيلُ الْعَفَافِ وَالْمُوَدَّةِ فِي سِتْرِ
فقال لها :

أَرَيْتِكِ إِنْ طَالَبْتِكُمْ فَوَجَدْتِكُمْ * بِحِزَّةٍ أَوْ أَدْرَكْتِكُمْ بِالْحَوَانِقِ ^(٤)
أَلَمْ يَكْ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ * تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ ^(٥)

(١) في الأصل : «ذو ولده» . وما أثبتناه عن ابن هشام والأغاني . (٢) في الأغاني «يزار» .

(٣) في الأغاني والمواهب (٣ : ٥) : «بحلية» . (٤) الخوانق : موضع بهامة .

(٥) الودائق : جمع رديفة . وهي شدة الحر في الظهيرة .

فقلت : بلى والله ، فقال :

فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قَلْتُ إِذْ نَحْنُ جَبْرَةٌ * أُثْبِي بُوْدَ قَبْلِ إِحْدَى الصَّفَاتِي^(١)
أُثْبِي بُوْدَ قَبْلِ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى * وَيَنَائِي الْخَلَيْطُ بِالْحَبِيبِ الْمَفَارِقِ

قال ابن أبي حدرّد : فقدّمناه فضرّبنا عنقه ، فأقتحمت الجارية من خذرها حتى أهوت نحوه ، فألتصمت فاه ، فترعنا منها رأسه ، وإنها لتتدبّع نفسها حتى ماتت مكانها ، وأفلت من القوم غلام من بنى أقرم يقال له السّميدع حتى أفتحم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ماصنع خالد وشكاه . قال ابن دأب : فأخبرني صالح بن كيسان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " هل أنكر عليه أحد ماصنع " ؟ قال : نعم ، رجل أصفر ربّمة^(٢) ، ورجل طويل أحمر ، فقال عمر رضى الله عنه : أنا والله يارسول الله أعرفهما ، أما الأول فهو أبى ، وأما الآخر فمولى أبى حذيفة ، وكان خالد قد أمر كلّ من أسر أسيرا أن يقتله ، فأطّاق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبى حذيفة أسيرين كانا معهما ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب بعد فراغه من حنين ، وبعث معه بإيل وورق ، وأمره أن يديهم ، فوداهم ، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله ، فقال : قدمت عليهم فقلت لهم : هل لكم أن تقبلوا هذا بما أصيب منكم من القتلى والجرحى ، وتحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما علم ومما لم يعلم ؟ ، فقالوا : نعم ، قال : فدفعته إليهم ، وجعلت أديهم حتى لآدى مبلغ الكلب^(٤) ،

(١) الصفاتى : الخلوب ، واحدها صفيقة . وفى الأغاني : « البواتق » .

(٢) فى الأغاني : « لكسع بنفسها » .

(٣) الربعة من الرجال : الذى بين الطويل والقصير .

(٤) المبلغ : الإنا . الذى بلغ فيه الكلب .

وفضلت فضلةً فدفعتمها إليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أَقْبِلُوهَا" ؟
قلت : نعم ؛ قال : "فوالذي أنا عبده لذاك أحب إلي من حُمُر النَّعَمِ" .

١٢٠
١٥

وروى أبو الفرج أيضا بسند رفعه إلى عمر بن شبة ، قال : قالوا : يُرَوَى
أن خالدا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسئل عن غزاته بنى جذيمة ، فقال :
إن أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثت ، فقال : "تحدثت" ، فقال :
لقيناهم بالغميصاء بعد وجه الصبح ، فقالتناهم حتى كاد قرن الشمس يغيب ،
فمنحنا الله عز وجل أكتافهم ، فاتبعناهم نطلبهم ، فإذا غلام له ذوائب على فرس
في أحريات الناس ، فبَوَّأْتُ له الرِّيحَ فوضعتُه بين كَتِفَيْهِ . فقال : لا إله ، فقبضتُ
الريحَ ، فقال : إله الآلات أحسنت أو أساءت ، فهشمتُه هشمةً أرديته بها ،
ثم أخذته أسيرا ، فشددته وثاقا ، ثم كلمته فلم يكلمني ، وأستخبرته فلم يخبرني ؛
فلما كان ببعض الطريق رأى نسوة من بنى جذيمة يسوق بهن المسلمون ، فقال :
يا خالد ، فقلت : ما تشاء ؟ فقال : هل أنت واقفي على هذه النسوة ؟ فأبيتُ ، فألى
على أصحابي ، ففعلت ، وفيهن جارية تدعى حبيشة ، فقال : لها : ناولينى يدك ،
فناولته يدها في ثوبها ، فقال : اسألي حبيش ، قبل نفاذ العيش . فقالت : حبيبت
عشرا ، وتسمعا تترى ، وثمانيا أخرى ، فقال :

١٥

أرَيْتِكَ إِذْ طالبتكم فوجدتكم * بَخَّلةٌ أَوْ أدركتكم بالخوانق
ألم يك حقا أن ينول عاشق * تكلف إدلاج السرى والودائق

(١) الأغاني ٧ : ٨٩

(٢) بَوَّأْتُ له الرِّيحَ : سدده .

(٣) كذا في جـ والأغاني ، وفي أ : « أف » .

(٤) آلى على أصحابي ، أى حلفوا .

(٥) هى نخلة إيمانية ، وفي الأغاني : « حلية » ، وحلية موضع بهامة .

٢٠

فقلت : بلى ، فقال :

فقد قلت إذ أهلى وأهلك جيرة * أبيي بوَدَّ قبل إحدى الصَّفائِقِ
أبيي بوَدَّ قبل أن تَسْحَطَ النَّوى * ويناى الأمير بالحبيب المُفارق
فإني لا صَيَّعْتُ سرّاً أمانةً * ولا راق عيني بعد عينك رائق^(١)

قال خالد : فغاضني ما رأيت من غزله وشعره في حاله تلك ، فقدمته فضربت عنقه ، فأقبلت الجارية تسمى حتى أخذت برأسه فوضعت في حجرها ، وجعلت ترشقه وتقول :

لا تَبْعِدُنْ يا عمرو حياً وهالكاً * ولا يبعِدُنْ المدح مثلك من مثلي^(٢)
ولا تَبْعِدُنْ يا عمرو حياً وهالكاً * فقد عشت محموداً لنا ماجد الفعل
فمن لطراد الخيل تُشَجِّرُ بالقنا * وللتحجر يوماً عند قرقرة البزل^(٣)

فما زالت تبكي وتردد هذه الأبيات حتى ماتت ، وإن رأسه لفي حجرها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد وقفت لى يا خالد وإن سبعين ملكاً لمطيقون بك يحضونك على قتل عمرو حتى قتلته " . والله أعلم .

ذكر غزوة حنين ، وهى إلى هوازن وثقيف

غزاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان من مهاجره . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة ، مشى أشراف هوازن وثقيف بعضها إلى بعض ، وحشدوا وأوعبوا وبغوا ، وجمع أمرهم مالك بن عوف النَّصرى ، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة ، وأمرهم بغاءوا معهم بأموالهم ونساءهم وأبنائهم حتى نزلوا بأوطاس ، وجعلت الأمداد تأتهم .^(٤)

(١) فى هذا البيت إقواء . (٢) كذا فى الأصلين ، وفى الأغانى :

* فحق بحسن المدح مثلك من مثلى *

(٣) تشجر : تلعن . البزل : جمع بازل ؛ وهو البعير فى السنة التاسعة ، والقرقرة : دعا . الإبل ؛

وهى أيضاً هدير الفعل . (٤) أوطاس : واد فى بلاد هوازن .

قال محمد بن إسحاق : اجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، ونصر ، وجشم كلها ، وسعد بكر ، وناس من بني هلال ، وهم قليل . قال : ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغابت عنها من هوازن كعب وكلاب ، ولم يشهدا منهم أحده اسم ؛ قال : وفي بني جشم دريد بن الصمة ، وهو شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب . قال : وفي ثقيف سيدان لهم في الأحلاف : قارب بن الأسود ابن مسعود بن معتب ، وفي بني مالك ذو النجار سبيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه .

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي : كان علي ثقيف كنانة بن عبد ياليس بن عمرو بن عمير الثقفي . قال : وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف .

- ١٠ قال ابن إسحاق : وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف . قال : ولما نزل مالك بأوطاس ، اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة ، والصمة : معاوية الأصغر بن بكر ابن علقمة ، وقيل : علقمة بن خراعة بن غزيرة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن في شجار له يقاد به — والشجار الهودج — فلما نزل دريد قال : بأيّ واد أنتم؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نعم مجال الخيل ، لا حزن ضررس ، ولا سهل دهنس ، ثم قال : مالي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، قال : أين مالك؟ قيل : هذا مالك ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، مالي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار

(١) في ابن هشام ٤ : ٨٠ « وأخوه أحر بن الحارث » .

٢٠ (٢) الحزن : ما غلظ من الأرض . والضررس : الصعب من الحجارة . والدهس : المكان السهل .

(٣) يعار الشاء : صوتها .

الشاء؟ قال: سسقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، قال: فأَنقَضَ به، — أى صاح — ثم قال: راعى ضانٍ والله! وهل يرد المنزَمَ شيء! إنما إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحَتْ في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدا منهم أحد، قال: غاب الحدُّ والحدُّ؛ ولو كان يومَ علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب، ولوددتُ أنكم فعلتم كما فعلت، فمن شهدا منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: ذانِكِ الجَدَّانِ من عامر لا ينفعان ولا يضُرَّانِ، يا مالك: إنك لم تصنع بتقديم البيضة، بيضة هوازن إلى نحر الخيل شيئاً، ادفعهم إلى ممتنع بلادهم، وعُايَا قومهم، ثم ألقى الصِّبَاءَ على مُتُون الخيل، فإن كانت لك لِحَقِّ بك من وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك، قد أحرزت أهلك ومالك، قال: لا والله، لا أفعل، إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتطيعنني يامعشر هوازن أو لاتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكون لدريد بن الصَّمَّةِ فيها ذكر ورأى، قالوا: أظعنك، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يقنني.

ياليتني فيها جدع * أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمعة * كأنها شاة صدع^(٤)

(١) الجدع بالتحريك: الشاب الحدث.

(٢) بيضة هوازن: أصلهم ويحتمهم. (٣) في الأصلين: «الطبا» تحريف. صوابه من ابن هشام. والصبا في الأصل: جمع صاب، وهو من خرج من دين إلى دين. وكان المشركون يسمون المسلمين بهذا. وفي اللسان في حديث هوازن: «وألقى الصبي» (بضم الصاد وتشديد الباء المفتوحة) أى الذين يشتهون الحرب ويميلون إليها. (٤) الخب والوضع: ضربان من السير. والوظفاء: الطويلة الشعر. والزمع: الشعر الذى فوق مربوط قيد الدابة، يريد فرساً صفاً هكذا، والمراد بالشاة الوعل. وصدع، أى وعل بين الوطين ليس بالعظيم ولا بالحقير (الحشنى).

ثم قال مالك بن عوف للنس : إذا رأيتوهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدوا شدة رجل واحد ؛ قال : وبعث مالك بن عوف عيوننا من رجاله ، فاتوه وقد تفرقت أوصالهم من الزعب ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجلا يبيضا ، على خيل بلق ، فوالله ما تماسكا أن أصابنا ما ترى ، فلم يرده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

٥
 قل ابن إسحاق : ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، ففعل ؛ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فأجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى هوازن لقتالهم ، وذكر له أن عند صفوان بن أمية أذراعا وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : "أعزنا سلاحك نلقى به عدونا" ؛ فقال : أغضبا يا محمد ؟ فقال : "بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليك" ؛ قال : ليس بهذا بأس ؛ فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال في اثني عشر ألفا من المسلمين : عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح بهم مكة ، وألفان من أهل مكة .

١٥
 قال الثعلبي : قال مقاتل : كانوا أحد عشر ألفا وخمسمائة .
 وقال الكلبي : كانوا عشرة آلاف ، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لن نغلب اليوم من قلة " ، حكاه ابن إسحاق .
 وقال محمد بن سعد : قال ذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه . قال الثعلبي :
 ويقال : بل قال ذلك رجل من المسلمين يقال له : سامة بن سلامة .

قال ابن سعد : وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من المشركين كثير، منهم صفوان بن أمية .

قال محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُزَيْن، ونحن حديثو عهد بالجاهلية، وكان لكفار قريش ومن سواهم من العرب سِدْرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضْرَاءُ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلِّ سَنَةٍ يَمْلَقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا، قَالَ : فَرَأَيْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِدْرَةَ خَضْرَاءَ عَظِيمَةً، فَتَنَادَيْنَا مِنْ جَنَابَاتِ الطَّرِيقِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَغَالَ : " اللَّهُ أَكْبَرُ، قَلَمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ ^(١) لَهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"، قَالُوا: وَأَتَتْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُزَيْنٍ مَسَاءَ لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ لِعَشْرِ خَلُونَ مِنْ شَوَّالٍ، نَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ عَمَدَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ إِلَى أَصْحَابِهِ فَعَبَّاهُمْ فِي وَادِي حُزَيْنٍ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَجْمَعُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ حَمَلَةً وَاحِدَةً، وَعَبَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ فِي السَّحَرِ، وَصَفَّهْمُ صُفُوفًا، وَوَضَعَ الْأَلْوِيَةَ وَالرَّايَاتِ فِي أَهْلِهَا مَعَ الْمُهَاجِرِينَ : لُؤَاءُ يَحْمَلُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَرَايَةَ يَحْمَلُهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَرَايَةَ يَحْمَلُهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَلُؤَاءُ الْخَزْرَجِ يَحْمَلُهُ حُجَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ - وَيُقَالُ : سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ - وَلُؤَاءُ الْأَوْسِ مَعَ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، وَفِي كُلِّ بَطْنٍ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ لُؤَاءٌ وَرَايَةَ يَحْمَلُهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ مَسْمُومٌ، وَكَذَلِكَ قِبَائِلُ الْعَرَبِ فِيهَا الْأَلْوِيَةُ وَالرَّايَاتِ يَحْمَلُهَا قَوْمٌ مِنْهُمْ مَسْمُومُونَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

١٢٢
١٥

(١) السدرة : شجرة النبق .

(٢) الأعراف : ١٣٨

وسلم قد قدم سُلَيْمًا من يوم نخرج من مكة، وأستعمل عليهم خالد بن الوليد، فلم يزل على المقدمة حتى قَدِمَ الحِجْرَانَةَ. قال: وأنحدر رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادي حنين على تعبئته، وركب بغلته البيضاء «دُلْدُل» ، وأبس درعين والمغفر والبيضة، فأستقبلهم من هوازن شئ لم يروا مثله قط من السواد والكثرة، وذلك في غَيش الصبح (١) ونحرت الكئاب من مضيق الوادي وسعته، فحملوا حملة، وأنكشفت الخيل خيل بنى سليم مولية، وتبعهم الناس منهزمين، وأنحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين، وجعل يقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله، أنا عبد الله ورسوله، وثبت معه يومئذ أبو بكر، وعمر، والعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان وأسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أتم أيمن بن عبيد في أناس من أهل بيته وأصحابه.

قال الكلبي: كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثائة من المسلمين، وأنهم سائر الناس عنه، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للعباس: ناد، يامعشر الأنصار، يا أصحاب السمر (٢)، يا أصحاب سورة البقرة، فنادى - وكان صيئا - فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها يقولون: يا لبيك يا لبيك! فحملوا على المشركين، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى قتالهم فقال: «الآن حمى الوطيس» (٣).

أنا النسبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

(١) غيش الصبح: ظلة آخر الليل، وفي ابن هشام: «عماية الصبح».

(٢) السمر: شجرة الطلح، وهي التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية.

(٣) الوطيس: التنور يخبز فيه. وقيل: هو حجارة توقد العرب تحتها النار ويشوون فيها اللحم،

وقيل غير ذلك.

ثم قال للعباس بن عبد المطلب : ناولني حصيات ، فناوله حصيات من الأرض ، ثم قال : "شاهت الوجوه" ورمى بها وجوه المشركين ، وقال : "انهزموا ورب الكعبة" وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وانهزموا لا يلوي أحد منهم على أحد . قال محمد بن إسحاق : لما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفأة مكة الهزيمة ، تكلم رجال بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وإن الألام لمعه في مكانته ، وصرخ جبلة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية : ألا بطل السحر اليوم ! فقال له صفوان : أسكت فض الله فاك ! فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن ؛ وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة : اليوم أدرك تأري من مجد - وكان أبوه قتل يوم أحد - اليوم أقتل مجدا . قال : فبادرت لأقتله ، فأقبل شيء حتى غشي فؤادي ، فلم أطق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع مني . وفي رواية أخرى ، قال شيبه بن عثمان : استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان ، وعثمان بن طلحة ، فأطلع الله رسوله على ما في نفسي ، فالتفت إلي وضرب في صدرى وقال : "أعيدك بالله يا شيبه" ، فأرعدت فرائصي ، فنظرت إليه وهو أحب إلي من سمى وبصرى فقلت : أشهد أنك رسول الله ، وأن الله أطلعك على ما في نفسي .

وروى محمد بن إسحاق بسنده إلى العباس قال : إنى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بحكمة بغلته البيضاء وقد شجرتها بها ، وكنت أمراً جسيماً شديد الصوت ،

(١) يربني : يكون رباً لي ، أى مالكا علي .

(٢) الحكمة محركة : ما أحاط بحسبى الفرس من بلعامه .

(٣) شجرتها بها ، أى وضعتها في شجرها ، وهو مجتمع الحيين .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : ” [أين^(١) أيها الناس“ ، فلم أر الناس يَلُوون على شيء ، فقال : ” يا عباس ، اصرخ ، يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السُّمرة“ قال : فأجابوا لييك لييك ، قال : فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقندير على ذلك ، ويأخذ دِرعه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويقنجم عن بعيره ويثني سبيله ، فيؤتم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فأقتلوا ؛ فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه ، فنظر إلى مجتلد القوم^(٢) ، فقال : ” الآن حمى الوطيس“ .

قال جابر بن عبد الله : فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكنتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وألثفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أم سليم ابنة ملحان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة ، وهي حازمة وسطها يبرد لها ، وإنما لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل أبي طلحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أم سليم“ ؟ قالت : نعم ، بأبي وأمي يا رسول الله ! أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أو يكفي الله يا أم سليم“ ؟ قال : ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به .

(١) الزيادة عن ابن هشام .

(٢) مجتلد القوم : مكان جلادهم بالسيف .

(٣) بيع بطنه : شقه .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني أبي إسحاق بن يسار أنه حدث عن جبير
ابن مطعم قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الجهاد الأسود^(١)
أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مبعوث قد
ملا الوادي ، لم أشك أنها الملائكة ، ولم تكن إلا هزيمة القوم .

قال ابن إسحاق : ولما أنهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ،
وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة^(٢) ، وتبعته خيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا ، فأدرك ربيعة بن
رقيع بن أهبان — وهو ابن الدغنة — دريد بن الصمة وهو في شجار له أي هودج ،
فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة ، فأناخ به ، فإذا هو شيخ كبير والغلام
لا يعرفه ، فقال له دريد : ما تريد بي ؟ قال : أقتلك ، قال : ومن أنت ؟ قال :
أنا ربيعة بن رقيع السلمي ، ثم ضربته بسيفه فلم يبق فيه شيئا ، فقال : بئس
ما سألحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر الرجل في الشجار ، ثم أضرب به ،
وأرفع عن العظام ، وأخفض عن الدماغ ، فلأتى كذلك كنت أضرب الرجال ،
ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة ، فرب والله يوم قد منعت
فيه نساءك ، فقتله . ولما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله
لقد أعتق أمهات لك ثلاثا .

قال ابن هشام : ويقال إن الذي قتل دريد بن الصمة هو عبد الله بن قنيع
ابن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة ، قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار
من توجه قبيل أوطاس أبا عامر الأشعري ، فأدرك بعض من أنهزم ، فناوشوه
القتال ، فقتل منهم أبو عامر تسعة مبارزة وهو يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام

(١) الجهاد : الكساء ، وجمعه بجذ بضمين . (٢) يريد نخلة الثانية .

ويقول : اللهم أشهد ، ثم برز له العاشر معلماً بعمامة صفراء ، فضرب أبا عامر فقتله . وأستخلف أبو عامر أبا موسى الأشعري ، فقاتلهم حتى فتح الله عليه ، وقتل قاتل أبي عامر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم اغفر لأبي عامر وأجعله من أعلى أمتي في الجنة " ، ودعا لأبي موسى .

- ٥ . وقال ابن هشام في خبر أبي عامر : إنه قتل تسعة مبارزة يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول : اللهم أشهد عليه ، فيقتله أبو عامر ، ويبقى العاشر ، فحمل كلُّ منهما على صاحبه ، فدعاه أبو عامر إلى الإسلام وقال : اللهم أشهد عليه ، فقال الرجل : اللهم لا تشهد علي ، فكف عنه أبو عامر ، فأفلت ، ثم أسلم بمدح حسن إسلامه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : " هذا شيريد أبي عامر " ، ورَمَى أبا عامر أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث من بني جشم ابن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه . والآخر ركبته ، فقتلاه ، وولى الناس أبو موسى فحمل عليهما فقتلتهما .

وقال أبو الفرج الأصفهاني : إن الذي رمى أبا عامر فأصاب ركبته هو سلمة^(١) ابن دريد بن الصمة . وإنه أرتجز فقال :

- ١٥ . إِنَّ تَسَالَوْا عَنِّي فَإِنِّي سَلِمَةٌ *
أَبْنُ سَمَادِيرَ لَمَنْ تَوَسَّمَهُ *
أَضْرَبُ بِالسَّيْفِ رَعُوسَ الْمُسَلِمَةِ *

قال : وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق ، وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم وتلحق أحرأكم ، فوقف حتى مضى من لحق بهم من منهزمة الناس .

(١) في كلا الأصلين : « زيد » .

(٢) سمادير : امرأة دريد بن الصمة .

١٢٤
١٥

قال ابن هشام : وبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على النديّة ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوما واضعى رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلة^(١) بؤادهم فقال : هؤلاء بنو سليم ، ولا بأس عليكم منهم ؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيلٌ أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوما عارضى رماحهم أغفالا^(٢) على خيلهم ، فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم ؛ فلما آتوا إلى أصل النديّة سلكوا طريق بنى سليم ، ثم طلع فارس فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى فارسا طويل الباد واضعا رمحاه على عاتقه ، عاصبا رأسه بملاءة حمراء ، فقال : هذا الزبير بن العوام ، وأحلف باللات ليخالطنكم ، فأثبؤا له ، فلما انتهى الزبير إلى أصل النديّة ، أبصر القوم فصمّد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

قالوا : ولما أنهزم القوم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل من قُدر عليه ، فحَنَق المسلمون عليهم ، فقتلوا الذرية والنساء ، فمز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بأمرأة قد قتلها خالد بن الوليد ، فقال : " ما هذه ؟ " قالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : " أدرك خالد بن الوليد فقل له : إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدا أو امرأة " ؛ وأنزل الله تعالى في يوم حنين قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَابَسَتْ مَدْيَنَ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾^(٣)

(١) البؤاد : جمع الباد ، وهو باطن الفخذ .

(٢) الأغفال : جمع غفل ، وهو الذي لا علامة له ، يريد أنهم لم يعلموا أنفسهم بشيء يعرفون به .

(٣) سورة التوبة ٢٥ - ٢٦

قال الثعلبيّ: قال سعيد بن جبير: أمد الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم
بخمسة آلاف من الملائكة ^(١) مسومين .

وقال الحسن ومجاهد: كانوا ثمانية آلاف .

وقال الحسن: كانوا ستة عشر ألفا؛ قال سعيد بن جبير: حدثني رجل كان

- ٥ في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقفوا لنا حلبة شاة، فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم، حتى إذا آتينا إلى صاحب البغلة الشهباء — يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم — فتلقنا رجال بيض الثياب حسان الوجوه، فقالوا لنا: شأهت الوجوه، ارجعوا، فرجعنا، وركبوا أكتافنا، فكانت إياها . يعني الملائكة .

- ١٠ قال: وفي الخبر أن رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للؤمنين بعد القتال: أين الخيل البلق، والرجال عليهم ثياب بيض؟ ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة، وما كان قتلنا إلا بأيديهم، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: "تلك الملائكة" .

وقال محمد بن سعد: كان سبعا الملائكة يوم حنين عمائم حمراء قد أرخوها
بين أكتافهم .

١٥

قال ابن إسحاق: وأسّشهد من المساميين يوم حنين من بني هاشم أيمن بن عبيد، ومن بني أسد يزيد بن زمعة بن الأسود، ومن الأنصار سراقبة بن الحارث ابن عديّ، ومن الأشعرين أبو عامر .

وقال ابن سعد: ورقم بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان، واستحز القتلى في بني نصر

- ٢٠ ابن معاوية، ثم في بني رثاب، فقال عبد الله بن قيس، وكان مسالما: هلك

(١) مسومين، أي مملين .

بنورثاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم أجبر مصيبتهم " . قال :
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال بجمعت ، وحُدِرت إلى
الجعرانة ، وعليها مسعود بن عمرو الغفاري ، فوقف بها بالجعرانة حتى آنصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الطائف وهم في حظائرهم يستظلون
بها من الشمس ، ثم قسمها صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، على ما نذكره إن شاء
الله تعالى .

ذكر سرية الطفيل بن عمرو الدؤسي إلى ذي الكففين

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان عند منصرفه من غزوة
حُنين ، وتوجهه إلى الطائف ليهدم ذا الكففين صنم عمرو بن حممة الدؤسي ، وأمره
أن يستمد قومه ويأتيه بالطائف ، فخرج سريعا إلى قومه ، فهدم ذا الكففين وجعل
يُحشُّ النار في وجهه ويقول :

١٢٥
١٥

يا ذا الكففين لست من عبادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا
* إني حششت النار في فؤادكا ^(١)

وأنحدر معه من قومه أربعمائة سراعا ، فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالطائف بعد مقدّمه بأربعة أيام ، وقدم الطفيل معه بدباية ^(٢) ومنجنيق .

١٥

ذكر غزوة الطائف

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان من مهاجره ، وذلك
أنه لما أنهزمت هوازن وتقيف يوم حُنين ، وجمعت السبايا والغنائم ، سار رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حُنين يريد الطائف ، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته ،
(١) حش النار : أوقدها . (٢) الدباية : آلة تُخوذ في الحروب يدخل في جوفها الرجال
ثم تدفع في أصل الحصن فينقبونهم وهم في جوفها .

٢٠

وقد كانت ثقيف رهوا حصنهم ، وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة ، فلما أنهزموا من أوطاس ، دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهبثوا للقتال ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلك على نخلة اليمانية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحيرة الرضاء من لية ،^(١) فأبنتى بها مسجداً يُصلى فيه .

- ٥ قال ابن إسحاق : وأقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بحيرة الرضاء حين نزلها بدم ، وهو أول دم أقيد به في الإسلام رجل من بني أسد قتل رجلاً من هذيل فقتل به ؛ قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بليّة بخصن مالك ابن عوف ، فهيدم ، ثم سلك في طريق يقال لها : الضيقة ، فسأل عن اسمها . فقال : "ما اسم هذه الطريق ؟" فقالوا : الضيقة ، فقال : "بل هي اليسرى" ، ثم خرج منها على نجب حتى نزل تحت سدرة يقال لها : الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثقيف ،^(٢) فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : "إما أن تخرج وإما أن نخزب عليك حائطك" ؛ فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجه ؛ ثم مضى حتى نزل قريباً من حصن الطائف وعسكر هناك ، فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة ، وقتل منهم اثنا عشر رجلاً .

- ١٥ قال ابن إسحاق : وهم سعيد بن سعيد بن العاص ، وعرفطة بن جناب ، حليف لهم من أسد بن الغوث .^(٣)
وعبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، رمى فاندمل جرحه ، ثم انتقض^(٤) بعد ذلك فمات منه في خلافة أبيه .

ومن بني مخزوم عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة .

- ٢٠ (١) هذه أسماء مواضع بالطائف . (٢) نجب : (بفتح ثم كسر) : واد بالطائف (ياقوت) .
(٣) في ابن هشام : « من قريش ثم من بني أمية بن عبد شمس سيد... » . (٤) في ابن هشام : « ومن بني تميم بن مرة عبد الله ... » . (٥) يقال : انتقض الجرح إذا فسد .

ومن بني كعب عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .
 ومن بني سعد بن ليث جليحة بن عبد الله .
 ومن الأنصار ثابت بن الحُدَّع ، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة ،
 والمنذر بن عبد الله ، ورقم بن ثابت بن ثعلبة الأوسى .
 قال : فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم ،
 وكان معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سامة وزينب ، فضرب لهما قبتين .
 وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر يوماً ، ويقال : خمسة عشر يوماً ،
 ونصب عليهم المنتجيق ، ورعى عليهم به ، وأهل الطائف أول من رمى بالمنتجيق
 في الإسلام .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الشدخة دخل نفر من المسلمين تحت
 دبابه ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سيكك الحديد
 مجهزة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتل منهم رجال ، فأمر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعينهم وتحريقها ، فقطع المسلمون قطعاً
 ذريعاً ، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 "إني أدعها لله وللرحم" ، ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أيما عبد
 نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر" ، فخرج منهم بضعة عشر رجلاً ، منهم : أبو بكر ،
 فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين
 يمونه ، فشق ذلك على أهل الطائف ، ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 في فتح الطائف ، فاستشار نوفل بن معاوية الديلي ، فقال : "ما ترى ؟" فقال :
 ثعلب في حجر ، إن أقتت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضررك .

(١) سمي يوم الشدخة لما شدخ فيه من الناس . والشدخ : كسر كل شيء أجوف ، (المواهب

ج ٢ : ٣٧) .

قال محمد بن إسحاق : وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه : " يا أبا بكر ؛ إني رأيت أني أهديت لي قعبة مملوءة زُبدا ، فنقرها ديك فهراق ما فيها " ؛ فقال أبو بكر : ما أظن أن تُدرك منهم يومك هذا ما تريد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وأنا لا أرى ذلك " .

- ٥ قال : ثم إن خويلبة بنت حكيم بن أمية السامية ، وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت : يا رسول الله ، [أعطني] ^(١) إن فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان ابن سلمة ، أو حلي الفارعة بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء قريش . قال : فدُكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : " وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلبة ؟ " فخرجت خويلبة فذكرت ذلك لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ما حديث حدّثتني خويلبة فرعمت أنك قد قلته ؟ ؛ قال : " قد قلته " . قال : أو ما أذن فيهم يا رسول الله ؟ قال : " لا " ، قال : أفلا أؤذن بالرحيل ؟ قال : " بلى " قال : فأذن عمر في الناس بالرحيل ؛ فضجّ الناس من ذلك ، وقالوا : نرحل ولم تفتح علينا الطائف ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فأغدوا على القتال " ؛ فغدّوا ، فأصابت المسلمين جراحات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنا قافلون إن شاء الله " ؛ فسرّوا بذلك وأذعنوا ، وجعلوا يرتحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، وقال لهم : " قولوا لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده " ؛ فلما ارتحلوا وأستقلوا قال : " قولوا آيرون تائبون عابدون ، لربنا حامدون " ؛ وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أدع على ثقيف ؛ فقال : " اللهم آهد ثقيفا وأت بهم " .

٢٠

(١) التكملة عن ابن هشام ج ٤ : ١٢٧

ذكر مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة

وقسم مغانم حنين ، وما أعطاه المؤلفمة

قال ابن إسحاق : ولما آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف
رجع إلى الجعرانة فأنتهى إليها ليلة الخميس لثلاث خلون من ذى القعدة ، فأقام
بها ثلاثة عشر يوماً ، وقسم الفى .

قال محمد بن سعد : كان السبي ستة آلاف ، والإبل أربعة وعشرين ألف
بعير ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، والورق أربعة آلاف أوقية فضة ،
فأستأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبي أن يقدم عليه وفدهم ، وبدأ بالأموال
فقسمها ، وأعطى المؤلفمة قلوبهم أول الناس .

قالوا : فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل . قال :
وأبى يزيد ؟ قال : " أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل " ، قال : وأبى معاوية ؟
فأعطاه أربعين أوقية ومائة من الإبل ، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ،
ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها ، وأعطى النضير بن الحارث بن علقمة بن كلدة
مائة من الإبل ، وأعطى أسيد بن جارية الثقفى مائة من الإبل ، وأعطى العلاء
ابن جارية الثقفى خمسين بعيراً ، وأعطى مخزومة بن نوفل خمسين بعيراً ، وأعطى
الحارث بن هشام مائة من الإبل ، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل ،
وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ، وأعطى قيس بن عدى مائة من الإبل ،
وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل ،
وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل ، وأعطى هشام بن عمرو العامرى

خمسين من الإبل، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة من الإبل، وأعطى عيينة ابن حصن مائة من الإبل، وأعطى مالك بن عوف مائة من الإبل، وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الإبل، وقيل : أربعة ، فقال في ذلك :

كانت نهباً تلافيتها * يكترى على المهير في الأجرع^(١)
 وإيقاظي القوم أن يرقدوا * إذا هجع الناس لم أهجع^(٢)
 فأصبح نهبى ونهب العبيد * يد بين عيينة والأقرع^(٣)
 وقد كنت في الحرب ذاتدراً * فلم أعط شيئاً ولم أمنع^(٤)
 إلا أفائل أعطيتها * عديد قوائمها الأربع^(٥)
 وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في المجمع^(٦)
 وما كنت دون أمرى منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع^(٧)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقطعوا عني لسانه " ، فأعطوه حتى رضى ، قيل : أعطاه مائة من الإبل .

قال ابن سعد : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله من الخمس ، وهو أثبت الأفاويل عندنا ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم ، ثم قضها على الناس ، فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل ، وأربعون شاة ، فإن كان فارساً أخذ اثني عشر من الإبل ، أو عشرين ومائة شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم للفرس الزائد .

(١) النهاب : جمع نهب ، وهو ما ينهب ويغنم . والأجرع : المكان السهل .

(٢) العبيد : اسم فرس عباس بن مرداس . (٣) ذا تدراً ، أى ذا دفع عن قومي .

(٤) الأفائل : الصغار من الإبل ، الواحد أفيل . (٥) في رواية ابن هشام « شىخي » ،

يعنى أباه مرداسا . وروى : « شىخي » بتشديد الياء يعنى أباه وجدّه .

(٦) يقال : فض الشيء على القوم : إذا فزقه وقسمه .

ذَكَرَ قَدُومَ وَفْدِ هَوَازِنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وإسلامهم ورد السبايا إليهم

قال : وقدم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أربعة عشر رجلا ، ورأهم زهير بن صرد ، وفيهم أبو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فسألوه أن يمن عليهم بالسبي .

قال ابن إسحاق بسنده إلى عبد الله بن عمرو : إن وفد هوازن وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فأمن علينا .

قال : وقام رجل من هوازن ، أحد بني سعد بن بكر يقال له : زهير ، يُكنى بأبي صرد ، فقال : يا رسول الله ، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن معك يكفلنك ، ولو أنا ملحننا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا مثل الذي نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته علينا ، وأنت خير المكفولين .

وحكى أبو عمرو بن عبد البر أن أبا صرد زهير بن صرد أنشد عند ذلك :
 أمنن علينا رسول الله في كرم * فإنك المرء نرجوه وننتظر^(٣)
 أمنن على بيضة قد عاقها قسدر * ممزق شملها ، في دهرها غير^(٤)
 يا خير طفيل ومولود ومتجب * في العالمين إذا ما حصل البشر
 إن لم تداركهم نعام تنشرها * يا أرحم الناس جلمها حين يختبر

(١) الحظائر : جمع حظيرة وهي الزرب الذي يصنع للإبل والغنم ليكفها .

(٢) يقال : ملحن لفلان أي أرضعناه ، وانظر اللسان (ملح) . (٣) في الاستيعاب :

« وتندر » . (٤) البيضة هنا : مجتمع الناس .

فَأَمِنَ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا * إِذْ فُؤِكَ يَمْلُؤُ مِنْ مَحِيضِهَا دِرَّةً
 إِذْ كُنْتَ طِفْلاً صَغِيراً كُنْتَ تَرْضَعُهَا * وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُّ
 لَا تَجْعَلُنَا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ ^(١) * وَأَسْتَبِقِ مِنَّا فَإِنَّا مَعْشَرُ زُهْرٍ
 يَا خَيْرَ مَنْ مَرَّحَتْ كُمْتُ الْجِيَادِ بِهِ * عِنْدَ الْهِيَاجِ إِذَا مَا آسَتْ وَقَدِ الشَّمْرُ
 إِنَا لِنَشْكُرُ آلَاءَ وَإِنْ كُفِّرَتْ * وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مَدَّخَرٌ
 إِنَّا نُوَقِّلُ عَفْوَاً مِنْكَ تَلْبَسُهُ * هَيْدَى الْبَرِيَّةِ إِذْ تَعْفُو وَتَنْصُرُ
 فَأَغْفِرْ عَفَا اللَّهُ عَمَّا أَنْتَ وَاهِبُهُ * يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الظُّفْرُ

- قال ابن إسحاق: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبناؤكم ونسأؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟" فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، فردَّ إلينا أبناءنا ونساءنا فهو أحب إلينا؛ فقال لهم: "أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت الظهر فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا؛ فسأعطيكم عند ذلك وأسال لكم"، ففعلوا ما أمرهم به، فقال: "أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم"، وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقالت الأنصار مثل ذلك؛ فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو قزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: يقول عباس لبني سليم: وهتتموني؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ^(٢)

(١) يقال: شالت نعامتهم إذا ماتوا وتمزقوا، كأنهم لم يبق منهم إلا بقية، والجماعة:

وانظر اللسان (شول).

(٢) وهتتموني: أضعفتوني.

”إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين ، وقد كنت أستأنيت بسببهم ، وخيرتهم فلم يعدلوا
بالأبناء والنساء شيئا ، فمن كان عنده منهم شيء فطابت نفسه أن يرده فسبيل ذلك ،
ومن أبي فليرد عليهم ، وليكن ذلك قرضا علينا ، فله بكل إنسان ست فرائض
من أول ما يُنفي الله علينا“ قالوا : رَضِينَا وَسَلَمْنَا ، فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ،
ولم يتخلف منهم أحد غير عيينة بن حصن ، فإنه أبي أن يرده عجوزا صارت في يده
منهم ، ثم ردها بعد ذلك .

١٢٨
١٥

وقد حكى محمد بن إسحاق سبب تمسك عيينة بها وردها ، قال : فقال حين
أخذها : أرى عجوزا إنى لأحسب لها في الحى نسبا ، وعسى أن يعظم فداؤها ؛
فلما ردت الناس السبايا بست فرائض أبي أن يردها ، فقال له زهير بن صرد : خذها
عنك ، فوالله ما فوها ببارد ، ولا تديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد
ولا درها بما يكدي^(١) فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال . وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد كسا السبي قُبْطِيَّةً قُبْطِيَّةً ، والقباطى : ثياب بيض تتخذ
من الكتان بمصر .

وحكى محمد بن سعد في طبقاته الكبرى في ترجمة عيينة بن حصن في هذه
القصة قال : لما قدم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورد عليهم
السبي ، كان عيينة قد أخذ رأسا منهم ، فنظر إلى عجوز كبيرة فقال : هذه أم الحى ، لعلمهم
أن يُغُلُّوا بفدائها ، وعسى أن يكون لها في الحى نسب . بخاء آبئها إلى عيينة فقال :
هل لك في مائة من الإبل ؟ قال : لا ، فرجع عنه ، فتركه ساعة ، وجعلت العجوز
تقول لأبئها : ما إربك في بعد مائة ناقية ، أتركه فما أسرع ما يتركنى بغير فداء ؛

(١) الدر : اللبن . والمأكد : العزيز .

- فلما سمعها عيينة قال : ما رأيت كالأيوم خدعة ، والله ما أنا من هذه إلا في غرور ؛ ولا جرم والله لأبعدن أثرك متى ؛ قال : ثم مرّ به أبنا فقال له عيينة : هل لك فيما دعوتني إليه ؟ ؛ فقال : لا أزيدك على نحسين ؛ فقال عيينة : لأفعل ؛ ثم لبث ساعة ، فرّ به وهو معرض عنه ، فقال له عيينة : هل لك في الذي بذلت لي ؟ ، قال له الفتى : لا أزيدك على خمس وعشرين فريضة ؛ قال عيينة : والله لا أفعل ، فلما تخوف عيينة أن يتفرق الناس ويرتحلوا قال : هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت ؟ ؛ فقال الفتى : هل لك إلى عشر فرائض ؟ قال : لا أفعل ؛ فلما رحل الناس ناداه عيينة : هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت ؟ ؛ قال الفتى : أرسلها وأحمدك ، قال : لا والله مالي حاجة بحمدك ؛ فأقبل عيينة على نفسه لأنما لها ويقول : ما رأيت كالأيوم أمرا أنك ، قال الفتى : أنت صنعت هذا بنفسك ، عمدت إلى عجوز كبيرة ، والله ما نديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فوها ببارد ، ولا صاحبها بواجد ، فأخذتها من بين من ترى ؛ فقال له عيينة : خذها لا بارك الله لك فيها ؛ قال : فيقول الفتى : يا عيينة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبي فأخطأها من بينهم الكسوة ، فهل أنت كاسيها ثوبا ؟ قال : لا ، والله ما لها ذلك عندي ، قال : لا تفعل ؛ فما فارقه حتى أخذ منه سمّل ثوب ، ثم ولى الفتى وهو يقول : إنك لغير بصير بالقرض ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبي قُبْطِيَّة قُبْطِيَّة ، والقَباطِي : ثياب بيض تُتخذ من الكَتَّان بمصر .

- قال محمد بن إسحاق : وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد هوازن عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ؛ فقال : ” أخبروا مالكا إن هو أتاني مسلما رددتُ إليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ” ، فأخبر بذلك ،

نخرج من الطائف فأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجرعانة أو بكة، فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم خنن إسلامه. وقال حين أسلم منشدًا:

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثليهِ * في الناس كلِّهمُ بمثلِ محمدِ

أوفى وأعطى للجزيل إذا أُجْتدِي * ومثي تشأنيخبرك عما في غدِ

وإذا الكتيبةُ عرّدتُ أنيابها * بالسّمهريِّ وضرب كلِّ مهنّدِ

فكانه لبثُّ على أشبالهِ * وسَطُ الهبَاءِ خادِرٌ في مرصّدِ^(١)

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه، وتلك القبائل: ثمالة، وسامة، وفهم، فكان يقاتل بهم ثقيفاً؛ لا يخرج لهم سرح^(٢) إلا أغار عليه، حتى ضيق عليهم، فقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو الثقفي في ذلك:

هابت الأعداءُ جانبنا * ثم تنزّونا بنو سامة

وأنا نانا مالكٌ بيهم * ناقضاً للعهد والحرمه

وأتونا في منازلنا * ولقد كنا أولى نقمه

ذكر تسمية من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قريش وغيرها عند قسم مغنم حنين

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم وأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين: أبو سفيان ابن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان، وطليق بن سفيان بن أمية، وخالد بن أسيد

(١) الهبأة: الغبار يثور عند اشتداد الحرب. والجدار: الأسد في عرينه، وهو حينئذ أشد ما يكون بأساً تخوفه على أشباله، يصفه بالقوة. والمرصد: المكان يرقب منه، يصفه باليقظة.

(٢) السرح: المسال السائم.

- (١) ابن أبي العيص، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وأبو السنابل بن بعكك بن الحارث، وعكرمة بن عامر بن هاشم، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله، والسائب بن أبي السائب بن عائذ، ومطبع بن الأسود بن حارثة بن نضلة، وأبو جهم بن حذيفة بن غانم، والعدويان، وصفوان بن أمية بن خلف الجهمي، وأحويحة بن أمية بن خلف، وعمير بن وهب بن خلف، وعدى بن قيس ابن حذافة السهمي، وحويطب بن عبد العزى، وهشام بن عمرو بن ربيعة، ونوفل ابن معاوية بن عمرو بن صخر الدبلي، وعلقمة بن علانة بن عوف، وليد بن ربيعة بن مالك، وخالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر، وحرملة بن هوذة ابن ربيعة، ومالك بن عوف بن سعيد بن يربوع، وعباس بن مرداس السامى، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، والأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي

ذكر مقالة الأنصار في أمر قسم الفئء، وما أجابهم به

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضاهم به

- قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال :
 لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش
 وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجدوا في أنفسهم حتى كثرت
 بهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة
 فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما
 صنعت في هذا الفئء الذي أصبت به قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما

(١) كذا في ابن هشام (٤ : ١٣٧) والاستيعاب . والذي في الأصلين : « العاص » .

في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحى من الأنصار منها شيء . قال: "فأين أنت من ذلك يا سعد؟" قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي؛ قال: "فأجمع لي قومك في هذه الحظيرة"، فخرج سعد بجمعهم فيها، فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: "يا معشر الأنصار، ما قاله بلغتنى عنكم، وجمدة وجدتهوها في أنفسكم؟ ألم آنكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟" قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال: "الأتجيبيونني يا معشر الأنصار؟" قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟، لله ورسوله المن والفضل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما والله لو شتمت لقاتم ولصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأوينناك، وعائلاً فأسينناك، وأوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم من أعاية^(١) الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم! فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار، ولو سلكت الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار"؛ قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسماً وحفظاً؛ ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفزقوا، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمراً، وذلك ليلة الأربعاء لثنتي عشرة ليلة مضت من ذي القعدة، فأحرم بعمرة، ودخل مكة، فطاف وسعى وحلق رأسه، ورجع إلى الجعرانة من ليلته .

(١) العاية: جرعة من الماء؛ يريد الشيء اليسير .

(٢) أى بلوها بدموعهم .

(٣) الشعب بكسر الشين: الطريق بين جبليين .

ذكر استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد

على مكة ورجوعه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته استخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل ينفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن .

قال ابن هشام : لما استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام يخطب الناس فقال : أيها الناس ، أجاج الله كيد من جاع على درهم ، قد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فليست بي حاجة إلى أحد .

قال : وجمع عتاب بالناس في سنة ثمان على ما كانت العرب تتجمع عليه .

قال ابن سعد : ولما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سلك في وادي الجعرانة ، حتى خرج على سرف^(١) ، ثم أخذ الطريق إلى ممر الظهران^(٢) ، ثم إلى المدينة ، فقدمها صلى الله عليه وسلم في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة . وقال ابن هشام : لست بقين من ذي القعدة . والله أعلم .

١٥ ذكر سرية عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحرم سنة تسع من هجرته إلى بني تميم في خمسين فارسا من العرب ، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري ، وكان يسير الليل ويكن النهار ، فهجم عليهم في صحراء — وكانوا فيما بين السقيا وأرض بني تميم ، وقد

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة (ياقوت) .

(٢) ممر الظهران : موضع على مرحلة من مكة .

حلوا وسرحوا ما شئتهم ، فلما رأوا الجمع وآوا — وأخذ منهم أحد عشر رجلا ؛
 ووجدوا في المحلة إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا ، بلغهم إلى المدينة ، فأمر
 بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا في دار رملة بنت الحارث ، فقدم فيهم
 عدة من رؤسائهم : عطاريد بن حاجب ، والزبير بن بدر ، وقيس بن عاصم ،
 وزياد بن الحارث بن مجاشع ، والأقرع بن حابس ، وقيس بن الحارث ، ونعيم
 ابن سعد ، وعمرو بن الأهم ، وربيع بن ربيع ، وسبرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد ،
 ووردان بن محرز ، ومالك بن عمرو ، وفراس بن حابس ، وكان من شأنهم وكلام
 خطيبهم وشاعرهم ما نذكر ذلك في أخبارهم في وفادات العرب إن شاء الله تعالى ،
 وذلك في السفر السادس عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة ^(١) .

قال : ورد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسرى والسبي .

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يومئذ من بني العنبر : عبد الله وأخوان له
 بنو وهب ، وشداد بن فراس ، وحنظلة بن دارم . وكان ممن سبي يومئذ أسماء
 بنت مالك ، وكأس بنت أري ، ونجوة بنت نهد ، وجميع بنت قيس ، وعمرة
 بنت مطر .

ذكر خبر الوليد بن عقبة بن أبي معيط مع بني المصطلق

قال محمد بن سعد : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة
 ابن أبي معيط إلى المصطلق من نخاعة يصدقهم ، وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد ،
 فلما سمعوا بدنو الوليد نرح منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزور والغنم فرحوا به ،
 فلما رأهم وتى راجعا إلى المدينة ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لقوه

(١) من تحفة المؤلف . ويوافق ج ١٨ : ٣٢ (طبع الدار) .

- بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث
إليهم من يغزوهم ، وبلغ ذلك القوم ، فقدم الركب الذين لقوا الوليد إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر على وجهه ، فترل في ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَى
مَا فَعَلْتُمْ نَادِينَ ﴾^(١) ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، وبعث معهم
عباد بن بشر يأخذ صدقات أولاهم ، ويعلمهم شرائع الإسلام ، ويقرهم القرآن ،
ف فعل ، وأقام عندهم عشرا ، ثم أنصرف إلى المدينة .

١٣١
١٥

ذكر سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم

- بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر سنة تسع من مهاجرة إلى حى من
خثعم بناحية تبالة في عشرين رجلا ، وأمره أن يشن الغارة عليهم ، فخرجوا على
عشرة أبعرة يعقبونها ، فأخذوا رجلا ، فسألوه فاستعجم عليهم ، وجعل يصيح
بالخاضر ويحذرهم ، فضربوا عنقه ، ثم أهملوا حتى نام الخاضر ، فشنوا عليهم
الغارة ، فأقتلوا قتلا شديدا ، وساق المسلمون النعم والشاء والنساء إلى المدينة ،
وجاء سيل خال بينهم وبين قطبة ، فاستجدون إليه سبيلا ، وكانت سهامهم بعد
الخمس لكل رجل أربعة أبعرة ، والبعير يعدل بعشرة من الغنم .

ذكر سرية الضحاك بن سفيان الكلبي إلى بني كلاب

كانت في شهر ربيع الأول سنة تسع من الهجرة .

- قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا إلى القرطاء^(٢) عليهم الضحاك
ابن سفيان بن عوف الكلبي ، ومعه الأصبغ بن سالم بن قرط ، فلقوهم بالزج^(٣) ،

٢٠ (١) سورة الحجرات : ٦ (٢) القرطاء : بطن من بني بكر وأسمه عبيد بن كلاب .
(٣) زج لارة : موضع بمجد .

زَجَّ لَأْوَةَ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا، فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوا، فَلِحَقِّ الْأَصِيدِ أَبَاهُ سَلَمَةَ،
 وَسَلَمَةَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ فِي غَدِيرِ الزُّجِّ، فَدَعَا أَبَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ، فَسَبَّهَ
 وَسَبَّ دِينَهُ، فَضْرَبَ الْأَصِيدُ عُرْقُوبَ بْنَ فَرَسٍ أَبِيهِ، فَلَمَّا وَقَعَ الْفَرَسُ عَلَى عُرْقُوبِ بْنِ
 آرْتَكَزَ سَلَمَةُ رِمَحَهُ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ اسْتَمْسَكَ بِهِ، حَتَّى جَاءَهُ أَحَدُهُمْ فَقَتَلَهُ، وَلَمْ يَقْتُلْهُ
 ابْنُهُ، وَفِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ وَفِي الضَّحَّاكِ بْنِ سَفِيَّانٍ يَقُولُ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ :

إِنِّ الَّذِينَ وَقَوْا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ * جَيْشٌ بَعَثَتْ عَلَيْهِمُ الضَّحَّاكَ
 أَمْرَتَهُ ذَرَبَ اللِّسَانَ كَأَنَّهُ * لَمَّا تَكَنَّفَهُ الْعَدُوَّ يَرَاكَ
 طَوْرًا يُعَانِقُ بِالْيَدَيْنِ وَتَارَةً * يَقْرِي الْجَمَّاحَ صَارِمًا بَنَّاكَ^(٢)

ذِكْرُ سَرِيَّةِ عَلْقَمَةَ بْنِ مُجَزَّزِ الْمُدَبَّلِيِّ إِلَى الْحَبَشَةِ

كَانَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْمُهْجَرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْحَبَشَةِ تَرَاهُمْ أَهْلُ جَدَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ
 عَلْقَمَةَ بْنَ مُجَزَّزِ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ، فَأَتَمَّتْهُ إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ وَقَدْ خَاضَ إِلَيْهِمْ، فَهَرَبُوا
 مِنْهُ، فَلَمَّا رَجَعَ تَعَجَّلَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى أَهْلِهِمْ، فَأَذَنَ لَهُمْ، وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 حُدَافَةَ السَّهْمِيُّ، فَأَمَرَهُ عَلْقَمَةُ عَلَى مَنْ تَعَجَّلَ، وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ، فَتَزَلُّوا بِبَعْضِ
 الطَّرِيقِ وَأَوْقَدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُمْ : عَزِمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَوَائِبْتُمْ فِي هَذِهِ
 النَّارِ، فَقَامَ بَعْضُ الْقَوْمِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُمْ وَاشِبُونَ فِيهَا، فَقَالَ : اجْلِسُوا، إِنَّمَا كُنْتُ
 أَضْحَكُ مَعَكُمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : ” مَنْ أَمَرَكُمْ
 بِمَعْصِيَةٍ فَلَا تَطِيعُوهُ “ .

(١) فِي ابْنِ هِشَامٍ ٤ : ١٠٣ « رَجُلٌ بِهِ ذَرْبُ السَّلَاحِ » .

(٢) الْبِتَاكُ وَالْفَتَاكُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٣) أَيْ أَرَادُوا الرَّجُوعَ قَبْلَ بَقِيَّةِ الْجَيْشِ .

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفلُس صنم طيئ

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة تسع في خمسين ومائة رجل من الأنصار إلى الفلُس (صنم طيئ) ليهدمه — (والفلُس بضم الفاء وسكون اللام) — بعثهم على مائة بعير وخمسين فرسا، ومعه راية سوداء ولواء أبيض، فشَنُوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفلُس ونزَّبوهُ ومَلَّأُوا أيديهم من السَّبِي والنَّعم والشاء، وفي السَّبِي أخت عدى بن حاتم، وهرب عدى إلى الشام، وكان من خبره ما نذكره إن شاء الله في أخبار الوفود. قال: ووجدوا في خزانة الفلُس ثلاثة أسياف: رَسُوب، والمِخْدَم، واليَمَان، وثلاثة أدرُع، فلَمَّا نزلوا رَكَكْ^(١) آقتسموا الغنائم، وعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم صَفِيهِ: رَسُوب، والمِخْدَم، ثم صار له بعدُ السيف الآخر، وعزل الخُمس وعزل آل حاتم فلم يقسمهم، حتى قدم بهم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٣٢
١٥

ذكر سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجَناب

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجرة إلى الجَناب، أرض عُذرة وبلي، ولم يذكر ابن سعد من خبره غير ذلك.

ذكر غزوة تبوك

كانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام، وأن هرقل قد رزق أصحابه إسنة، وأجلبت معه نخم،

(١) ركك (بالجر يك): محلة من محال سبى أحد جيلي طيئ.

(٢) الصفي هنا: ما يأخذه الرئيس لنفسه من الفئ. قبل القسمة.

وجذام ، وعاملة ، وغسان ، وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الخروج ، وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك ، وبعث إلى مكة وإلى قبائل العرب يستنفرهم ، وذلك في حر شديد ، وأمرهم بالصدقة ، فحملوا صدقات كثيرة ، وقووا في سبيل الله .

قال ابن هشام : أنفق عثمان بن عفان رضى الله عنه في جيش العمرة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم أرض عن عثمان فلائى عنه راض " .

وجاء البكاءون وهم سبعة : سالم بن عمير ، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف ، وعلة بن زيد أخو بني حارثة ، وأبوليلي عبد الرحمن بن كعب المازني ، وعمرو بن عنمة ، وسامة بن صخر ، والعرباض بن سارية الفزاري .

قال : وفي بعض الرواة من يقول : إن فيهم عبد الله بن مغفل المزني ، ومعقل ابن يسار ، وبعضهم يقول : البكاءون بنو مقرن السبعة ، وهم من مزينة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجملونه ، فقال : " لا أجد ما أحملكم عليه " ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ، فعذرهم الله تعالى .

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ، يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة ، فأقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فأنكسرت رجله ، وأقتحم أصحابه فأفلتوا ، فقال الضحاك في ذلك :

كادت وبيت الله نار محمد * يشيط بها الضحاك وابن أبيريق

فَظَلَّتْ وَقَدْ طَبَقَتْ كَبَسَ سُوَيْلِمَ * أَنْوَأَ عَلَى رَجُلِي كَسِيرًا وَمِرْفَقِي^(١)
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا * أَخَافُ، وَمَنْ تَشَمَّلَ بِهِ النَّارُ يُحْرِقُ

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلّف من غير
عِلّة، فأذن لهم، وهم بضعة وثمانون رجلا .

- وجاء المُعْتَذِرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ، فَأَعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ يَعِذِرْهُمْ،
وهم آثان وثمانون رجلا؛ ذكر أنهم نفر من بني غِفَار، وكان عبد الله بن أبي بن
سَلُول قد عسكر على ثنية الوداع في حلفائه من اليهود والمنافقين، فكان يقال: ليس
عسكره بأقل العسكرين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره
أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فصلى بالناس، وأستخلف على المدينة محمد بن
مسلمة، فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عبد الله بن أبي، ومن كان
معه، وتخلّف نفر من المسلمين من غير شك ولا أرتياب، منهم كعب بن مالك،
وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، وأبو خيشمة مالك بن قيس السالمي، وأبو ذر
الغفاري؛ وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلّ بطن من الأنصار والقبائل من
العرب أن يتخذوا لواءً أو راية، ومضى صلى الله عليه وسلم لوجهه يسير بأصحابه
حتى قدم تبسوك في ثلاثين ألفا من الناس، وانخيل عشرة آلاف فرس، فأقام بها
عشرين ليلة يصلي ركعتين ركعتين، ولحقه بها أبو خيشمة وأبو ذر .

قال محمد بن إسحاق في سبب مسير أبي خيشمة إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم: إنه جاء يوما إلى أهله بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما في يوم

١٣٣
١٥

(١) طبقت: علوت . والكبس بكسر الكاف: البيت الصغير .

حاز ، فوجد أمرأتين له في عريش^(١)ين لهما في حائطه ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء ، وهيات طعاما ، فلما دخل قام على باب العريش ، فنظر إلى أمرأتيه وما صنعنا له ، فقال : رسول الله في الضح^(٢) والزيح والحتر ، وأبو خيشمة في ظل بارد ، وطعام مهيا ، وأمرأة حسناء ، في ماله مقيم ، ما هذا بالنصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيتا لي زادا ، ففعلنا ، ثم قدم^(٣) ناضحه فأرتحلته ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك .

قال : ولما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كن أبا خيشمة" ، قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو خيشمة ، فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : "أولى لك يا أبا خيشمة" ، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فقال : خيرا ودعا له .

وأما أبو ذر الغفاري ، فإنه أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق ، وكان بعيره قد أبطأ عليه ، فحمل متاعه على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده" فكان كذلك .

قال : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك وهرقل يومئذ يجمص ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر .

(١) العريش : شبه بالخيمة . والحائط هنا : البستان .

(٢) الضح بكسر الصاد وتشديد الحاء : الشمس .

(٣) الناضح : البعير يستق عليه ، وأرتحلته : شد عليه الزحل .

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك

- قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك خالد بن الوليد في أربعين فارساً سرية إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل، وأكيدر من كندة، قد ملكهم، وكان نصرانياً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد: "إنك ستجده يصيد البقر". فخرج خالد في شهر رجب سنة تسع من الهجرة حتى كان من حصن أكيدر بمنظر العين في ليلته مقمرة وصائفة، وهو على سطح له، ومعه امرأته، فبانت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: ما رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، قالت: فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه فأسرج له، وركب وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ له يقال له: حسان، وخرجوا لمطاردة البقر، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشددت عليه، فأستأسر أكيدر، وأمتنع أخوه حسان، وقاتل حتى قتل، وكان عليه قباء من ديباج محوص بالذهب^(١)، فأستلبه خالد، وبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه، فجعل المسامون يلمسونه بأيديهم، ويتعجبون منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتعجبون من هذا؟ فوالذي لذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا". قال: ولما أسر أكيدر وقتل حسان، هرب من كان معهما، فدخل الحصن، وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل، وصالحه على ألفي بعير، وثمانمائة فرس، وأربعمائة درع وأربعمائة رح، فعزل للنبي صلى الله عليه وسلم صفيًا خالصاً، ثم أخرج الخمس، وقسم

٢٠ (١) الخويعس بالذهب: أن يجعل للثي. مسفأخ من الذهب على قدر عرض خصوص النخل

وفي صورته.

ما بقي بين أصحابه ، ثم نخرج خالدًا بكيدر وبأخيه مُصاد - وكان في الحصن - وبما صالحه عليه قافلًا إلى المدينة ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكيدر ، فأهدى له هدية ، وصالحه على الجزية ، وحقن دمه ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال بجير بن بجرة :

تبارك سائق البقرات أتى * رأيت الله يهدي كل هاد
فن يك حائدا عن ذي تبوك * فإننا قد أمرنا بالجهاد

١٣٤
١٥

قال محمد بن إسحاق : ولما آتته رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه يُحَنَّة ابن ربيعة صاحب أيلة^(١) ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح^(٢) ، فأعطوه الجزية ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحنة كتابا ، وهو : " بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن ربيعة وأهل أيلة ، سُفُنهم وسيارتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله ومحمد النبي ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمتنعوا ماء يردونه ، ولا طريقا يردونه من بر أو بحر " .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل على حرسه بتبوك عباد ابن بشر ، ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا .

(١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام .

(٢) جرباء : موضع من أعمال عمان بالبقاء من أرض الشام (ياقوت) .

(٣) أذرح : بلد من أعمال الشراة من نواحي البقاء (ياقوت) .

وقدم المدينة في شهر رمضان من السنة، وجاءه من كان قد تخلف عنه ،
خلفوا له ، فعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ أمر كعب بن مالك وصاحبيه حتى نزلت
توبتهم ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله في آخر هذه الغزوة .

قال : وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون : قد أقطع الجهاد ،
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهاهم ، وقال : ” لا تزال عصابة من
أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال ” .

وكان في غزوة تبوك وقائع غير ما قدمناه ، قد رأينا إيرادها في هذا الموضع .
منها خبر مرور رسول الله بالبحر .

ومنها ما أنزل في أمر المنافقين .

ومنها خبر الثلاثة الذين خلفوا ، وما أنزل من توبتهم .

ذكر خبر مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبحر

وما قاله لأصحابه

قال محمد بن إسحاق : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره إلى تبوك
بالبحر من مدين ، نزلها ، وأستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم . ” لا تشربوا من مائها شيئا ، ولا يتوضأ منه للصلاة ، وما كان من
عجربن عجموه فاعلفوه للإبل ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة
إلا ومعه صاحب له “ ، ففعل الناس ما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعيره له ،
فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه ^(١) ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره

(١) خنق : صرع . المذهب هنا : الموضع الذي يقضى فيه المرء حاجته .

فأحتلمته الرِّيح حتى طرحته بجبل طيئ ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : " ألم أنهكم ألا يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه " ! ثم دعا للذي أصيب^(١) فشفي ، وأما الآخر فإن طيئاً أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة .

قال ابن هشام : بلغني عن الزهري أنه قال : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحر سبجى^(٢) ثوبه على وجهه ، وأستحس راحته ، ثم قال : " لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم " .

قال ابن إسحاق : لما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا ، فأرسل الله تعالى بحابة فأمطرت حتى آرتوى الناس وأحتملوا حاجتهم من الماء .

وفي هذه الغزوة ضأت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال زيد بن^(٣) لُصيب ما قال ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال ، فأخبر بشأنها ، ووجدت كما وصف صلى الله عليه وسلم على ما قدمنا ذلك في أخبار المنافقين .

ذكر أخبار المنافقين وما تكلموا به في غزوة تبوك

وما أنزل الله عز وجل فيهم من القرآن

كان ممن أنزل الله عز وجل فيه من القرآن ما أنزل في غزوة تبوك الجند ابن قيس ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : آئذن لي ولا تفتني ؛ وقد تقدم خبره مع أخبار المنافقين .

(١) عبارة الزرقاني ج ٣ : ٨٧ : « ثم دعا للذي خنق على مذهبه » .

(٢) سبجى : غطى ثوبه وضمته معنى وضع فقال : على وجهه .

(٣) ويقال فيه اللصوت (بالنساء) ، والخبر في ابن هشام ٤ : ١٦٦ .

وقال قوم منهم: لا تَنفِرُوا فِي الْحَزِّ زَهَادَةً فِي الْجِهَادِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ:
 ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا
 وَلْيَسْبِكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)، وقال رهط من المنافقين: منهم ودیعة
 ابن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، ورجل من أشجع، حليف لبني سلمة يقال له:
 مُحَشِّ بْنُ حَمِيرٍ - وقيل: مُحَشِّيٌّ^(٢) - وغيرهما بعضهم لبعض: اتحسبون جلالد بن الأصفر
 كقتال العرب بعضهم بمضا، والله لكانكم غدا بهم مقتزين في الحبال، يقولون ذلك
 إرجافا وترهيبا للمؤمنين .

فقال مُحَشِّيٌّ: والله لو ددت أن أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة،
 وأنا نفلت أو ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن
 ياسر: "أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فأسألم عما قالوا، فإن أنكروا فقل لهم: بلى
 قد قلتم كذا وكذا"، فأطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يعتذرون إليه، فقال ودیعة بن ثابت: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب .
 وقال مُحَشِّيٌّ: يا رسول الله، قعد بي آسمى وأسم أبي، فأنزل الله تعالى قوله:
 ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ
 تَسْتَهْزِءُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ
 ١٥ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(٣) . فكان مُحَشِّيٌّ بْنُ حَمِيرٍ مِنْ عَفِيٍّ عَنْهُ، فَتَسْمَى
 عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة، ولم يوجد
 له أثر . والله الموفق للصواب .

(١) سورة التوبة ٨١ - ٨٢

٢٠ (٢) كذا ضبط هذا الاسم بالعبارة في تبصير المنتبه لابن حجر والإكمال لابن ماكولا .

(٣) سورة التوبة ٦٥ - ٦٦

ذَكَرَ خَيْرِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ، وَمَا أَنْزَلَ فِيهِمْ

وَفِي الْمَعْدُرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ

والثلاثة الذين خلفوا لم يتخلفوا عن شك ولا نفاق، وهم : كعب بن مالك ،
 ومُراة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، وكان من خبرهم ما حدثنا به الشيخان
 المعمران المسندان شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب نعمة الصالحى الحجَّار ،
 وست الوزراء أم محمد وزيرة بنت القاضي شمس الدين عمر بن أسعد بن المنجى
 التَّنُوخِيَّةُ الدَّمِشْقِيَّانِ قِرَاءَةً لِهِيَمَا ، وَأَنَا سَمِعْتُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ عَشْرَةَ
 وَسَبْعِينَ بِالمدرسة المنصورية بالقاهرة المعزية ، قالا : حدثنا الشيخ سراج الدين
 أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي ، قال : حدثنا أبو الوقت
 عبد الأول بن عيسى بن شعيب السَّجْزِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَنَحْنُ نَسْمَعُ ، قال : حدثنا
 الشيخ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودى ، قال : أخبرنا أبو محمد
 عبد الله بن أحمد بن حمويه السَّرْحَسِيُّ ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف
 ابن مطر القَرَبْرِيُّ ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى ،
 قال : حدثنا يحيى بن بكير ، قال : حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ،
 عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك ،
 — وكان قائد كعب من بيته حين عمي — قال : سمعتُ كعب بن مالك يحدث حين
 تخلف عن قصة تبوك قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أنى كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب
 أحدا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش ، حتى جمع
 الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

٥

١٠

١٥

٢٠

ليلة العقبة حين تواتقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها .

١٣٦
١٥

كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تحلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما آجته عندى قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى غيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا ، فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ — يريد الديوان .

- ١٠ قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك ، ما لم ينزل فيه وحى الله عز وجل ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقبض شيئا ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادي بي حتى شمر بالناس الحد . فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، ولم أقبض من جهازي شيئا ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، ورجعت فلم أقبض شيئا ، ثم غدوت ، ثم رجعت ، ولم أقبض شيئا ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفترط الغزو ، وهممت أن أرتحل فأدركهم ، وليتني فعلت ، فلم يقدر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطفت فيهم أحنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه بالتفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكروني

(١) أي فات وسبق .

(٢) مغموصا : مطمونا عليه في دينه ، متبعا بالتفاق . وفي ابن هشام ٤ : ١٧٦ « في التفاق » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك :
 ”ما فعل كعب“ ؟ فقال رجل من بني سامة : يا رسول الله ، حبسه برداه ونظره
 في عطفه . فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يا رسول الله ، ما دلمت
 عليه إلا خيرا ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي ، وطفقت
 أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدا ، وأستعنت على ذلك بكل ذي
 رأي من أهلي ، فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قاعا راح عنى
 الباطل ، وعرفت أني لم أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب ، فأجمعت صدقه ،
 وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعا ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ،
 فركع فيه ركعتين ، ثم يجلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون
 إليه ويخلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، فبغته ، فلما
 سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ، ثم قال : ”نعال“ ، فبغث أمشي حتى جلست بين
 يديه ، فقال لي : ”ما خلفك ؟ ألم تكن قد آبتعت ظهرك“ ؟ فقالت : بلى والله ،
 إنى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد
 أعطيت جدلا ، ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى
 به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه
 إنى لأرجو فيه عقيبي الله ، لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى

(١) كفى هنا عن إعجاب به بنفسه وزهوه وتكبره . (٢) أظلم : قرب وأشرف .

(٣) أعطيت جدلا ، أى فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عهدة ما ينسب إلى بما يقبل ولا يرد .

(٤) تجد : تنضب .

ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك“ ، فقممت وثار رجال من بني سلمة فأتبعوني ، فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزت ألا تكون أعذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أعذرت إليه المتخلفون ، قد كان كإنيك ذنبك أستغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالوا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك ؛ فقلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن أمية الوافقي ، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة ؛ ففضيت حين ذكرتهما لي .

١٠ ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا — أيها الثلاثة — من بين من تخلف عنه ، فأجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت في نفسي الأرض ، فما هي بالتي أعيرف ، فلبئنا على ذلك نحسين ليلة .

١٥ فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج أشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ، فلا يكلمني أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفثيه برد السلام علي أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلى ، وإذا التفث نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمي ، وأحب الناس إلي ، فسأمت عليه ، فوالله ما رد علي السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟

فسكت ، فعدت له فنشدته ، فسكت ، فعدت له فنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عياني ، وتوليت حتى تسورت الحدار .

قال : فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطى من أنباط أهل الشام من قدم بالطعام يديعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ ، فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءني دفع إلى كتابا من ملك غسان ، فإذا فيه : « أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جنناك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضبعة ، فألحق بنا نواسك » . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضا من البلاء ، فتيمنت بها التنور ، فسجرت^(١) بها ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتري أمراتك . فقلت : أطلقها؟ أم ماذا أفعل؟ قال : لا ، بل أعتزها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك ، فقلت لأمرأتى : الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر .

قال كعب : بغاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه؟ فقال : « لا ، ولكن لا يقربنك » . قالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي مذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمراتك ، كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ، وما يدريني ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ! فلبثت بعد ذلك عشر

(١) تيممت : توجيت وقصدت .

(٢) سجرت بها : أوقدت بالصحيفة .

ليالٍ حتى كملت نحسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 كلامنا؛ فلما صليت صلاة الفجر صبح نحسين ليلة، وأنا على ظهور بيت من بيوتنا،
 فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت عليّ نفسي، وضاقت عليّ
 الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى^(١) على جبل سأل بأعلى صوته:
 يا كعب بن مالك، أبشر، قال: نخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج،
 وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر،
 فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَلِ^(٢) صاحبي مبشرون، وركض رجل إلى فرسا،
 وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما
 جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى، نزع ثوبي فكسوته إياهما بشراه، والله
 ما أملك غيرهما يومئذ، وأستعرت ثوبين فلبستهما، وأطلقت إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم، فتلقاني الناس فوجا فوجا يبشرونني بالتوبة، يقولون: ليهنك توبة الله
 عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله
 الناس، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاحني وهنأني، والله ما قام إلى
 رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور: "أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ
 ولدتك أمك"؛ قال: قلت: أومن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال:

(١) أوفى: أشرف.

(٢) في ابن هشام: «وذهب نحو صاحبي مبشرون».

” لا، بل من عند الله“ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أخليع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك “ ، قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخير ، وقلت : يا رسول الله ، إن الله إنما نجاني بالصدق ، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومئذ هذا كذبا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي ^(١) ، فأزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . وَعَلَى الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَآجِدَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٢)

١٣٨
١٥

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أكون كذبتُه فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ

(١) في كلا الأصلين : « بقيت » ؛ وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٢) سورة التوبة ١١٧ - ١١٩

لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ .
يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (١)

قال كعب : وكنا تخلفنا - أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قيل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلقوا فبايعهم وأستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال : ((وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا)) .
وليس الذى ذكر الله مما خَلَفْنَا تخَلَّفْنَا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجأؤه أمرنا عن حلف له وأعتذر إليه فقيل منه .

اتتهت غزوة تبوك ، فلنذكر ماسواها من السرايا .

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بنى عبد الممدان بنجران

- ١٠ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في شهر ربيع الأول سنة عشر من مهاجره ، ولم يذكر من خبر هذه السرية غير هذا فنذكره .

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضى الله عنه إلى اليمن

- يقال : بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : إحداهما في شهر رمضان سنة عشر من مهاجره صلى الله عليه وسلم ، وعقد له لواء ، وعممه بيده ، وقال :
” إِمِضْ لَا تَلْتَفِتْ ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِمْ فَلَا تَقَاتِلَهُمْ حَتَّى يَقَاتِلُوكَ “ ، فخرج
١٥ في ثلثائة فارس ، وكانت أول خييل دخلت إلى تلك البلاد ، وهى بلاد مذحج ، ففرق أصحابه ، فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك ، وجعل على الغنائم بريدة بن الحُصَيْب الأسلمى ، فجمع إليه ما أصابوا ، ثم لقي جمعهم

(١) سورة التوبة ٩٥ - ٩٦

٢٠ (٢) عبارة ابن هشام ج ٤ : ١٨١ : « حين حلقوا له فعدتهم » .

فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا ورموا بالنبل، ثم حمل عليهم على رضى الله عنه بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلا، وتفرقوا وأهزموا، فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام، فأسرعوا وأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام، وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا نخذ منها حق الله، وجمع على الغنائم فغنمها، وقسم على أصحابه بقية المغنم، ثم قتل، فوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حين قدمها للحج سنة عشر. حكاها ابن سعد^(١).

وقال محمد بن إسحاق، لما رجع على بن أبي طالب رضى الله عنه من اليمن إلى مكة، دخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدها قد حلت فقال: مالك يا بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحل بعمره فحلنا، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انطلق فطف بالبيت وحل كما حل أصحابك" قال: يا رسول الله، إني أهلت بما أهلت؛ قال: "فارجع فأحل كما حل أصحابك" قال: يا رسول الله، إني قلت حين أحرمت: اللهم إني أهلت بما أهلت به نبيك وعبدك ورسولك محمد، قال: "فهل معك من هدى؟" قال: لا؛ فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى. قال: ولما أقبل على من اليمن تعجل إلى رسول الله، وأستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البر الذي كان مع على، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل؛ قال:

(١) القسم الأول من الجزء الثاني: ١٢٢

(٢) يعني أنه أنكر عليها ما فعلت.

ويك ما هذا؟ قال : كسوت القوم ليتجملوا إذا قدموا في الناس ، قال :
انزعها ويك ! قبل أن تنهي بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فانتزع الحلل
من الناس فردّها في البرّ ، فأشتكى الناس علياً ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطيباً ، فقال : ” أيها الناس ، لا تشتكوا علياً ، فوالله إنه لأخشن في ذات الله “
أو ” في سبيل الله “^(١) .

ذكر سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض

الشرأة^(٢) ناحية البلقاء

وهذه السرية هي آخر سرية جهّزها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات قبل
إنفاذها ، وكانت لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من هجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وكان فيها أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن
أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وقتادة بن النعمان ، وسلم بن أسلم بن حريش ، فتكلم
قوم وقالوا : نستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين ، فغضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم غضباً شديداً ، فخرج وقد عصب على رأسه عصا به عليه قطيفة ،
فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ” أما بعد أيها الناس ، فما مقالة
بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ؟ واثن طعتم في إمارتي أسامة لقد طعتم
في إمارتي أباه من قبله ، وأيم الله إن كان للإمارة خليفاً ، وإن أبه من بعده
خليق للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإني لخير من خيلا لكل خير ،
فأستوصوا به خيراً ، فإنه من خياركم “ ، ثم نزل فدخل بيته ، وذلك يوم السبت
لعشر خلون من شهر ربيع الأول ، وخرج الناس إلى الجرف ، فتوفى رسول الله صلى

(١) في ابن هشام ٤ : ٢٥٠ : « في سبيل الله من أن يشتكى » .

(٢) الشرأة : شرأة الشام ، وهي أرض معروفة ، وبها الكهف والرقم . (ياقوت) .

الله عليه وسلم قبل خروج هذه السرية ، فلما ولي أبو بكر الصديق رضى الله عنه ،
كان أول ما بدأ به بعث أسامة .

هذا ما أمكن إيراده من غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه .
فلنذكر حجّه وعمّره صلى الله عليه وسلم .

ذكر حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمّره

قالوا : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة حجتين ، ولم يحج بعد
الهجرة إلا حجة الوداع ، وهى فى السنة العاشرة ، وكانت فريضة الحج نزلت
فى السنة السادسة من الهجرة ، وفتحت مكة فى سنة ثمان ، فأستخلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم عتاب بن أسيد ، فحج بالناس تلك السنة ، وفى السنة التاسعة حج أبو بكر
الصديق رضوان الله عليه بالناس كما قدمنا ذكر ذلك فى مواضعه ، فلما كان
فى السنة العاشرة أذن فى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج ، فقدم المدينة
بشرك كثير كلهم يلتمس أن يأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل مثل
عمله ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة مغتسلا مدهنا مترجلا متجردا
فى ثوبين صخارين : إزار ورداء ، وذلك يوم السبت لخمس ليال يقين من ذى القعدة
سنة عشر من مهاجره ، وأستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى — ويقال : سباع
ابن عرفة الغفارى — قالوا : وصلى الظهر بذى الحليفة ركعتين ، وأخرج معه نساءه
كلهن فى الموادج ، وأشعر هديه وقلده ، ثم ركب ناقته ، فلما أمستوى عليها بالبيداء
أحرم من يومه ، وكان على هديه ناجية بن جندب ، وقيل : إنه أهل بالحج مفردا ،
وقيل : قرنه بعمرة ، ومضى صلى الله عليه وسلم يسير المنازل ويؤم أصحابه فى الصلاة
فى مساجد له قد بناها الناس ، فكان يوم الاثنين يمسر الظهران ، فغربت له الشمس
بسير ، ثم أصبح فأغتسل ودخل مكة نهارا وهو على راحته القصواء ، وكان تحته

١٤٠

١٥

٢٠

- صلى الله عليه وسلم رُحِلَ رَتْ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ لَا تَسَاوِي أَرْبَعَةَ دِرَاهِمٍ ، وَقَالَ : ” اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُئْمَةَ “ ، فَدَخَلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ حَتَّى آتَى إِلَى بَابِ بَنِي شَيْبَةَ ، فَلَمَّا رَأَى الْبَيْتَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ : ” اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً ، وَزِدْ مَنْ شَرَّفَهُ وَعَظَّمَهُ مِمَّنْ حَجَّهَ وَأَعْتَمَرَهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً وَتَعْظِيمًا وَرِيًّا “ ، ثُمَّ بَدَأَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ ، وَرَمَلَ ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ مِنَ الْحِجْرِ إِلَى الْحِجْرِ ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بِرِدَائِهِ (٢) ، ثُمَّ صَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ سَعَى بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرُوءَةِ عَلَى رَاِحَلَتِهِ مِنْ قُوْرِهِ ذَلِكَ ، وَكَانَ قَدْ اضْطَرَبَ بِالْأَبْطَحِ ، فَجَرَعَ إِلَى مَتْرَلِهِ ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ يَوْمِ التَّرْوِيَةِ بِيَوْمٍ خَطَبَ بِمَكَّةَ بَعْدَ الظُّهْرِ ، ثُمَّ نَحَرَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ إِلَى مَنَى ، فَبَاتَ بِهَا ، ثُمَّ غَدَا إِلَى عَرَفَاتٍ ، فَوَقَفَ بِالْهَضَابِ مِنْهَا ، وَقَالَ : ” كُلُّ عَرَفَةٍ [مَوْقِفٌ إِلَّا بَطْنَ عُرْنَةٍ] (٣) “ ، فَوَقَفَ عَلَى رَاِحَلَتِهِ يَدْعُو ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ دَفَعَ بِجَعْلٍ يَسِيرَ الْعَنْقِ حَتَّى جَاءَ الْمَزْدَلِفَةَ (٤) ، فَتَزَلَّ قَرِيبًا مِنَ الْغَارِ ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَإِقَامَتَيْنِ ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا ، فَلَمَّا بَرَقَ الْفَجْرُ صَلَّى الصُّبْحَ ، ثُمَّ رَكِبَ رَاِحَلَتَهُ ، فَوَقَفَ عَلَى قَرْحٍ (٥) وَقَالَ : ” كُلُّ الْمَزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ إِلَّا بَطْنَ مُحَسَّرٍ “ (٦) ، ثُمَّ دَفَعَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى مُحَسَّرٍ أَوْضَعَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَلْبِي حَتَّى رَمَى بِحَجْرَةِ الْعَقَبَةِ ، ثُمَّ نَحَرَ الْهَسْدَى وَحَلَّقَ رَأْسَهُ ، وَأَخَذَ مِنْ شَارِبِهِ وَعَارِضِيهِ ، وَقَلَّمَ أَظْفَارَهُ ، وَأَمَرَ بِشَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ أَنْ تُدْفَنَ ، ثُمَّ أَصَابَ الطَّيِّبَ ، وَلَبَسَ الْقَمِيصَ ، وَنَادَى مُنَادِيَهُ بِمَنَى : لَئِنَّمَا أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشَرِبٍ وَبَاعَةٍ ، وَجَعَلَ يَرْمِي الْجِمَارَ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ ، ثُمَّ خَطَبَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ التَّحَرُّ بِعَدِّ الظُّهْرِ

(١) رمل : هرول . (٢) اضطلع بردائه : أدخله تحت إبطه الأيمن ورد طرفه على يساره

وأبدي منكبه الأيمن وغطى الأيسر . (٣) الزيادة عن ابن سعد ج ٢ : ١٢٥

(٤) العنق بالتحريك : ضرب من السير . (٥) قرح كعمر : جبل بالمزدلفة .

(٦) بطن محسر : واد بالمزدلفة . (٧) من الوضع محركة ، وهو أهون سير الدواب .

على ناقته القَصْوَاء ، ثم صَدَرَ يَوْمَ الصَّدَرِ الآخِرِ ، وقال : ” إِنَّمَا هُنَّ ثَلَاثٌ يَقِيمُهُنَّ
المُهَاجِرُ بَعْدَ الصَّدَرِ “ ، يعني بِمَكَّةَ ، ثم ودَّعَ البَيْتَ ، ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

ذِكْرُ الخُطْبَةِ الَّتِي خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال محمد بن إسحاق : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته التي بين
فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

” أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا قَوْلِي ، فَإِنِّي لَا أُدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا
المَوْقِفِ أَبَدًا . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِن دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ
كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَكحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَإِنَّمَا سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ
أَعْمَالِكُمْ ، وَقَدْ بَلَغْتُ ، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ آتَمَنَهُ عَلَيْهَا ، وَإِن كَلَّ
رَبًّا مَوْضُوعٌ ، وَإِن لَكُمْ رِئُوسَ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ، قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ
لَا رِبَا ، وَأَنَّ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، وَأَنَّ كُلَّ دِيمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
مَوْضُوعٌ ، وَأَنَّ أَوَّلَ دِمَائِكُمْ أَضْعُ دِمِّ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ — وَكَانَ
مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ ، فَقَتَلْتُهُ هُدَيْلٌ — فَهُوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَأَ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ “ .

” أَمَا بَعْدُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يُئْسُ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا ،
وَلَكِنَّهُ إِنْ يُطْعَمَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ ، مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَاحْذَرُوهُ
عَلَى دِينِكُمْ “ .

” أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ النَّسِيَّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا
وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ ،
وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّ عِدَّةَ
الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ ، وَرَجَبٌ مُضَرٌّ
الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ “ .

” اما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقاً ، ولهنّ عليكم حقاً ، عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهنّ ألا يأتين بفاحشية مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ في المضاجع ، وتضربوهنّ ضرباً غير مبرح ، فإن آتتهنّ فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف ، وأستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهنّ عندكم عوان ، لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحلتم فروجهنّ بكلمات الله ، فأعقلوا أيها الناس قولي ، فإنّي قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً : كتاب الله وسنة نبيه .“

١٤١
١٥

”أيها الناس ، اسمعوا قولي وأعقلوه ، تعلمن أن كلّ مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لأمرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت“ ، فقال الناس : اللهم نعم ، فقال : ”اللهم أشهد“ .

وقال ابن إسحاق أيضاً : حدّثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف . قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”قل يا أيها الناس إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : هل تدرون أي شهر هذا؟ فيقول له ، فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول لهم : ”إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا“ ، ثم يقول : ”قل يا أيها الناس ، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول هل تدرون أي بلد هذا؟“ قال : فيصرخ به ، قال : فيقولون : البلد الحرام ، قال : فيقول : ”قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا“ ، ثم يقول : ”قل يا أيها الناس ، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول هل تدرون أي يوم هذا؟“

٢٠

فيقولون : يوم الحج الأكبر ، قال : فيقول : "قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دمائكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم حكمة يومكم هذا" .
 وعن عمرو بن خارجة قال : بعثنى عتاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنا لغامها ليقع على رأسي ، فسمعتنه وهو يقول : "أيها الناس ، إن الله قد أدى إلى كل ذي حقّ حقّه ، وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن آذنى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً" .

وأما عمرة صلى الله عليه وسلم

فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم أربع عمر : عمرة الحديبية ، وهي عمرة الحصر ، وعمرة القضاء من قابل ، وعمرة الجعرانة ، والرابعة التي مع حجته .

وعن قتادة ، قلت لأنس بن مالك : كم أعتمر النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال : أربعاً ، عدّ منها عمرته مع حجته ، وقد قدمنا ذكر عمرة الحديبية مع الغزوات ، وذكّرنا عمرة الجعرانة عند ذكرنا لقسم مغنم حنين ، وعمرته مع حجته قد اختلف فيها .

وأما عمرة القضاء

فقد أوردها بعض أهل السير في الغزوات ، وترجم عليها : « عمرة القضية » ، وحجة من أوردها في الغزوات أنه صلى الله عليه وسلم خرج معه السلاح ، ولم يخرج به

(١) لعم الجمل : روى بلفظه أي زبده : ١٠٠ : ١٠٧ : ١٠٨ : ١٠٩ : ١١٠ : ١١١ : ١١٢ : ١١٣ : ١١٤ : ١١٥ : ١١٦ : ١١٧ : ١١٨ : ١١٩ : ١٢٠ : ١٢١ : ١٢٢ : ١٢٣ : ١٢٤ : ١٢٥ : ١٢٦ : ١٢٧ : ١٢٨ : ١٢٩ : ١٣٠ : ١٣١ : ١٣٢ : ١٣٣ : ١٣٤ : ١٣٥ : ١٣٦ : ١٣٧ : ١٣٨ : ١٣٩ : ١٤٠ : ١٤١ : ١٤٢ : ١٤٣ : ١٤٤ : ١٤٥ : ١٤٦ : ١٤٧ : ١٤٨ : ١٤٩ : ١٥٠ : ١٥١ : ١٥٢ : ١٥٣ : ١٥٤ : ١٥٥ : ١٥٦ : ١٥٧ : ١٥٨ : ١٥٩ : ١٦٠ : ١٦١ : ١٦٢ : ١٦٣ : ١٦٤ : ١٦٥ : ١٦٦ : ١٦٧ : ١٦٨ : ١٦٩ : ١٧٠ : ١٧١ : ١٧٢ : ١٧٣ : ١٧٤ : ١٧٥ : ١٧٦ : ١٧٧ : ١٧٨ : ١٧٩ : ١٨٠ : ١٨١ : ١٨٢ : ١٨٣ : ١٨٤ : ١٨٥ : ١٨٦ : ١٨٧ : ١٨٨ : ١٨٩ : ١٩٠ : ١٩١ : ١٩٢ : ١٩٣ : ١٩٤ : ١٩٥ : ١٩٦ : ١٩٧ : ١٩٨ : ١٩٩ : ٢٠٠ : ٢٠١ : ٢٠٢ : ٢٠٣ : ٢٠٤ : ٢٠٥ : ٢٠٦ : ٢٠٧ : ٢٠٨ : ٢٠٩ : ٢١٠ : ٢١١ : ٢١٢ : ٢١٣ : ٢١٤ : ٢١٥ : ٢١٦ : ٢١٧ : ٢١٨ : ٢١٩ : ٢٢٠ : ٢٢١ : ٢٢٢ : ٢٢٣ : ٢٢٤ : ٢٢٥ : ٢٢٦ : ٢٢٧ : ٢٢٨ : ٢٢٩ : ٢٣٠ : ٢٣١ : ٢٣٢ : ٢٣٣ : ٢٣٤ : ٢٣٥ : ٢٣٦ : ٢٣٧ : ٢٣٨ : ٢٣٩ : ٢٤٠ : ٢٤١ : ٢٤٢ : ٢٤٣ : ٢٤٤ : ٢٤٥ : ٢٤٦ : ٢٤٧ : ٢٤٨ : ٢٤٩ : ٢٥٠ : ٢٥١ : ٢٥٢ : ٢٥٣ : ٢٥٤ : ٢٥٥ : ٢٥٦ : ٢٥٧ : ٢٥٨ : ٢٥٩ : ٢٦٠ : ٢٦١ : ٢٦٢ : ٢٦٣ : ٢٦٤ : ٢٦٥ : ٢٦٦ : ٢٦٧ : ٢٦٨ : ٢٦٩ : ٢٧٠ : ٢٧١ : ٢٧٢ : ٢٧٣ : ٢٧٤ : ٢٧٥ : ٢٧٦ : ٢٧٧ : ٢٧٨ : ٢٧٩ : ٢٨٠ : ٢٨١ : ٢٨٢ : ٢٨٣ : ٢٨٤ : ٢٨٥ : ٢٨٦ : ٢٨٧ : ٢٨٨ : ٢٨٩ : ٢٩٠ : ٢٩١ : ٢٩٢ : ٢٩٣ : ٢٩٤ : ٢٩٥ : ٢٩٦ : ٢٩٧ : ٢٩٨ : ٢٩٩ : ٣٠٠ : ٣٠١ : ٣٠٢ : ٣٠٣ : ٣٠٤ : ٣٠٥ : ٣٠٦ : ٣٠٧ : ٣٠٨ : ٣٠٩ : ٣١٠ : ٣١١ : ٣١٢ : ٣١٣ : ٣١٤ : ٣١٥ : ٣١٦ : ٣١٧ : ٣١٨ : ٣١٩ : ٣٢٠ : ٣٢١ : ٣٢٢ : ٣٢٣ : ٣٢٤ : ٣٢٥ : ٣٢٦ : ٣٢٧ : ٣٢٨ : ٣٢٩ : ٣٣٠ : ٣٣١ : ٣٣٢ : ٣٣٣ : ٣٣٤ : ٣٣٥ : ٣٣٦ : ٣٣٧ : ٣٣٨ : ٣٣٩ : ٣٤٠ : ٣٤١ : ٣٤٢ : ٣٤٣ : ٣٤٤ : ٣٤٥ : ٣٤٦ : ٣٤٧ : ٣٤٨ : ٣٤٩ : ٣٥٠ : ٣٥١ : ٣٥٢ : ٣٥٣ : ٣٥٤ : ٣٥٥ : ٣٥٦ : ٣٥٧ : ٣٥٨ : ٣٥٩ : ٣٦٠ : ٣٦١ : ٣٦٢ : ٣٦٣ : ٣٦٤ : ٣٦٥ : ٣٦٦ : ٣٦٧ : ٣٦٨ : ٣٦٩ : ٣٧٠ : ٣٧١ : ٣٧٢ : ٣٧٣ : ٣٧٤ : ٣٧٥ : ٣٧٦ : ٣٧٧ : ٣٧٨ : ٣٧٩ : ٣٨٠ : ٣٨١ : ٣٨٢ : ٣٨٣ : ٣٨٤ : ٣٨٥ : ٣٨٦ : ٣٨٧ : ٣٨٨ : ٣٨٩ : ٣٩٠ : ٣٩١ : ٣٩٢ : ٣٩٣ : ٣٩٤ : ٣٩٥ : ٣٩٦ : ٣٩٧ : ٣٩٨ : ٣٩٩ : ٤٠٠ : ٤٠١ : ٤٠٢ : ٤٠٣ : ٤٠٤ : ٤٠٥ : ٤٠٦ : ٤٠٧ : ٤٠٨ : ٤٠٩ : ٤١٠ : ٤١١ : ٤١٢ : ٤١٣ : ٤١٤ : ٤١٥ : ٤١٦ : ٤١٧ : ٤١٨ : ٤١٩ : ٤٢٠ : ٤٢١ : ٤٢٢ : ٤٢٣ : ٤٢٤ : ٤٢٥ : ٤٢٦ : ٤٢٧ : ٤٢٨ : ٤٢٩ : ٤٣٠ : ٤٣١ : ٤٣٢ : ٤٣٣ : ٤٣٤ : ٤٣٥ : ٤٣٦ : ٤٣٧ : ٤٣٨ : ٤٣٩ : ٤٤٠ : ٤٤١ : ٤٤٢ : ٤٤٣ : ٤٤٤ : ٤٤٥ : ٤٤٦ : ٤٤٧ : ٤٤٨ : ٤٤٩ : ٤٥٠ : ٤٥١ : ٤٥٢ : ٤٥٣ : ٤٥٤ : ٤٥٥ : ٤٥٦ : ٤٥٧ : ٤٥٨ : ٤٥٩ : ٤٦٠ : ٤٦١ : ٤٦٢ : ٤٦٣ : ٤٦٤ : ٤٦٥ : ٤٦٦ : ٤٦٧ : ٤٦٨ : ٤٦٩ : ٤٧٠ : ٤٧١ : ٤٧٢ : ٤٧٣ : ٤٧٤ : ٤٧٥ : ٤٧٦ : ٤٧٧ : ٤٧٨ : ٤٧٩ : ٤٨٠ : ٤٨١ : ٤٨٢ : ٤٨٣ : ٤٨٤ : ٤٨٥ : ٤٨٦ : ٤٨٧ : ٤٨٨ : ٤٨٩ : ٤٩٠ : ٤٩١ : ٤٩٢ : ٤٩٣ : ٤٩٤ : ٤٩٥ : ٤٩٦ : ٤٩٧ : ٤٩٨ : ٤٩٩ : ٥٠٠ : ٥٠١ : ٥٠٢ : ٥٠٣ : ٥٠٤ : ٥٠٥ : ٥٠٦ : ٥٠٧ : ٥٠٨ : ٥٠٩ : ٥١٠ : ٥١١ : ٥١٢ : ٥١٣ : ٥١٤ : ٥١٥ : ٥١٦ : ٥١٧ : ٥١٨ : ٥١٩ : ٥٢٠ : ٥٢١ : ٥٢٢ : ٥٢٣ : ٥٢٤ : ٥٢٥ : ٥٢٦ : ٥٢٧ : ٥٢٨ : ٥٢٩ : ٥٣٠ : ٥٣١ : ٥٣٢ : ٥٣٣ : ٥٣٤ : ٥٣٥ : ٥٣٦ : ٥٣٧ : ٥٣٨ : ٥٣٩ : ٥٤٠ : ٥٤١ : ٥٤٢ : ٥٤٣ : ٥٤٤ : ٥٤٥ : ٥٤٦ : ٥٤٧ : ٥٤٨ : ٥٤٩ : ٥٥٠ : ٥٥١ : ٥٥٢ : ٥٥٣ : ٥٥٤ : ٥٥٥ : ٥٥٦ : ٥٥٧ : ٥٥٨ : ٥٥٩ : ٥٦٠ : ٥٦١ : ٥٦٢ : ٥٦٣ : ٥٦٤ : ٥٦٥ : ٥٦٦ : ٥٦٧ : ٥٦٨ : ٥٦٩ : ٥٧٠ : ٥٧١ : ٥٧٢ : ٥٧٣ : ٥٧٤ : ٥٧٥ : ٥٧٦ : ٥٧٧ : ٥٧٨ : ٥٧٩ : ٥٨٠ : ٥٨١ : ٥٨٢ : ٥٨٣ : ٥٨٤ : ٥٨٥ : ٥٨٦ : ٥٨٧ : ٥٨٨ : ٥٨٩ : ٥٩٠ : ٥٩١ : ٥٩٢ : ٥٩٣ : ٥٩٤ : ٥٩٥ : ٥٩٦ : ٥٩٧ : ٥٩٨ : ٥٩٩ : ٦٠٠ : ٦٠١ : ٦٠٢ : ٦٠٣ : ٦٠٤ : ٦٠٥ : ٦٠٦ : ٦٠٧ : ٦٠٨ : ٦٠٩ : ٦١٠ : ٦١١ : ٦١٢ : ٦١٣ : ٦١٤ : ٦١٥ : ٦١٦ : ٦١٧ : ٦١٨ : ٦١٩ : ٦٢٠ : ٦٢١ : ٦٢٢ : ٦٢٣ : ٦٢٤ : ٦٢٥ : ٦٢٦ : ٦٢٧ : ٦٢٨ : ٦٢٩ : ٦٣٠ : ٦٣١ : ٦٣٢ : ٦٣٣ : ٦٣٤ : ٦٣٥ : ٦٣٦ : ٦٣٧ : ٦٣٨ : ٦٣٩ : ٦٤٠ : ٦٤١ : ٦٤٢ : ٦٤٣ : ٦٤٤ : ٦٤٥ : ٦٤٦ : ٦٤٧ : ٦٤٨ : ٦٤٩ : ٦٥٠ : ٦٥١ : ٦٥٢ : ٦٥٣ : ٦٥٤ : ٦٥٥ : ٦٥٦ : ٦٥٧ : ٦٥٨ : ٦٥٩ : ٦٦٠ : ٦٦١ : ٦٦٢ : ٦٦٣ : ٦٦٤ : ٦٦٥ : ٦٦٦ : ٦٦٧ : ٦٦٨ : ٦٦٩ : ٦٧٠ : ٦٧١ : ٦٧٢ : ٦٧٣ : ٦٧٤ : ٦٧٥ : ٦٧٦ : ٦٧٧ : ٦٧٨ : ٦٧٩ : ٦٨٠ : ٦٨١ : ٦٨٢ : ٦٨٣ : ٦٨٤ : ٦٨٥ : ٦٨٦ : ٦٨٧ : ٦٨٨ : ٦٨٩ : ٦٩٠ : ٦٩١ : ٦٩٢ : ٦٩٣ : ٦٩٤ : ٦٩٥ : ٦٩٦ : ٦٩٧ : ٦٩٨ : ٦٩٩ : ٧٠٠ : ٧٠١ : ٧٠٢ : ٧٠٣ : ٧٠٤ : ٧٠٥ : ٧٠٦ : ٧٠٧ : ٧٠٨ : ٧٠٩ : ٧١٠ : ٧١١ : ٧١٢ : ٧١٣ : ٧١٤ : ٧١٥ : ٧١٦ : ٧١٧ : ٧١٨ : ٧١٩ : ٧٢٠ : ٧٢١ : ٧٢٢ : ٧٢٣ : ٧٢٤ : ٧٢٥ : ٧٢٦ : ٧٢٧ : ٧٢٨ : ٧٢٩ : ٧٣٠ : ٧٣١ : ٧٣٢ : ٧٣٣ : ٧٣٤ : ٧٣٥ : ٧٣٦ : ٧٣٧ : ٧٣٨ : ٧٣٩ : ٧٤٠ : ٧٤١ : ٧٤٢ : ٧٤٣ : ٧٤٤ : ٧٤٥ : ٧٤٦ : ٧٤٧ : ٧٤٨ : ٧٤٩ : ٧٥٠ : ٧٥١ : ٧٥٢ : ٧٥٣ : ٧٥٤ : ٧٥٥ : ٧٥٦ : ٧٥٧ : ٧٥٨ : ٧٥٩ : ٧٦٠ : ٧٦١ : ٧٦٢ : ٧٦٣ : ٧٦٤ : ٧٦٥ : ٧٦٦ : ٧٦٧ : ٧٦٨ : ٧٦٩ : ٧٧٠ : ٧٧١ : ٧٧٢ : ٧٧٣ : ٧٧٤ : ٧٧٥ : ٧٧٦ : ٧٧٧ : ٧٧٨ : ٧٧٩ : ٧٨٠ : ٧٨١ : ٧٨٢ : ٧٨٣ : ٧٨٤ : ٧٨٥ : ٧٨٦ : ٧٨٧ : ٧٨٨ : ٧٨٩ : ٧٩٠ : ٧٩١ : ٧٩٢ : ٧٩٣ : ٧٩٤ : ٧٩٥ : ٧٩٦ : ٧٩٧ : ٧٩٨ : ٧٩٩ : ٨٠٠ : ٨٠١ : ٨٠٢ : ٨٠٣ : ٨٠٤ : ٨٠٥ : ٨٠٦ : ٨٠٧ : ٨٠٨ : ٨٠٩ : ٨١٠ : ٨١١ : ٨١٢ : ٨١٣ : ٨١٤ : ٨١٥ : ٨١٦ : ٨١٧ : ٨١٨ : ٨١٩ : ٨٢٠ : ٨٢١ : ٨٢٢ : ٨٢٣ : ٨٢٤ : ٨٢٥ : ٨٢٦ : ٨٢٧ : ٨٢٨ : ٨٢٩ : ٨٣٠ : ٨٣١ : ٨٣٢ : ٨٣٣ : ٨٣٤ : ٨٣٥ : ٨٣٦ : ٨٣٧ : ٨٣٨ : ٨٣٩ : ٨٤٠ : ٨٤١ : ٨٤٢ : ٨٤٣ : ٨٤٤ : ٨٤٥ : ٨٤٦ : ٨٤٧ : ٨٤٨ : ٨٤٩ : ٨٥٠ : ٨٥١ : ٨٥٢ : ٨٥٣ : ٨٥٤ : ٨٥٥ : ٨٥٦ : ٨٥٧ : ٨٥٨ : ٨٥٩ : ٨٦٠ : ٨٦١ : ٨٦٢ : ٨٦٣ : ٨٦٤ : ٨٦٥ : ٨٦٦ : ٨٦٧ : ٨٦٨ : ٨٦٩ : ٨٧٠ : ٨٧١ : ٨٧٢ : ٨٧٣ : ٨٧٤ : ٨٧٥ : ٨٧٦ : ٨٧٧ : ٨٧٨ : ٨٧٩ : ٨٨٠ : ٨٨١ : ٨٨٢ : ٨٨٣ : ٨٨٤ : ٨٨٥ : ٨٨٦ : ٨٨٧ : ٨٨٨ : ٨٨٩ : ٨٩٠ : ٨٩١ : ٨٩٢ : ٨٩٣ : ٨٩٤ : ٨٩٥ : ٨٩٦ : ٨٩٧ : ٨٩٨ : ٨٩٩ : ٩٠٠ : ٩٠١ : ٩٠٢ : ٩٠٣ : ٩٠٤ : ٩٠٥ : ٩٠٦ : ٩٠٧ : ٩٠٨ : ٩٠٩ : ٩١٠ : ٩١١ : ٩١٢ : ٩١٣ : ٩١٤ : ٩١٥ : ٩١٦ : ٩١٧ : ٩١٨ : ٩١٩ : ٩٢٠ : ٩٢١ : ٩٢٢ : ٩٢٣ : ٩٢٤ : ٩٢٥ : ٩٢٦ : ٩٢٧ : ٩٢٨ : ٩٢٩ : ٩٣٠ : ٩٣١ : ٩٣٢ : ٩٣٣ : ٩٣٤ : ٩٣٥ : ٩٣٦ : ٩٣٧ : ٩٣٨ : ٩٣٩ : ٩٤٠ : ٩٤١ : ٩٤٢ : ٩٤٣ : ٩٤٤ : ٩٤٥ : ٩٤٦ : ٩٤٧ : ٩٤٨ : ٩٤٩ : ٩٥٠ : ٩٥١ : ٩٥٢ : ٩٥٣ : ٩٥٤ : ٩٥٥ : ٩٥٦ : ٩٥٧ : ٩٥٨ : ٩٥٩ : ٩٦٠ : ٩٦١ : ٩٦٢ : ٩٦٣ : ٩٦٤ : ٩٦٥ : ٩٦٦ : ٩٦٧ : ٩٦٨ : ٩٦٩ : ٩٧٠ : ٩٧١ : ٩٧٢ : ٩٧٣ : ٩٧٤ : ٩٧٥ : ٩٧٦ : ٩٧٧ : ٩٧٨ : ٩٧٩ : ٩٨٠ : ٩٨١ : ٩٨٢ : ٩٨٣ : ٩٨٤ : ٩٨٥ : ٩٨٦ : ٩٨٧ : ٩٨٨ : ٩٨٩ : ٩٩٠ : ٩٩١ : ٩٩٢ : ٩٩٣ : ٩٩٤ : ٩٩٥ : ٩٩٦ : ٩٩٧ : ٩٩٨ : ٩٩٩ : ١٠٠٠ : ١٠٠١ : ١٠٠٢ : ١٠٠٣ : ١٠٠٤ : ١٠٠٥ : ١٠٠٦ : ١٠٠٧ : ١٠٠٨ : ١٠٠٩ : ١٠١٠ : ١٠١١ : ١٠١٢ : ١٠١٣ : ١٠١٤ : ١٠١٥ : ١٠١٦ : ١٠١٧ : ١٠١٨ : ١٠١٩ : ١٠٢٠ : ١٠٢١ : ١٠٢٢ : ١٠٢٣ : ١٠٢٤ : ١٠٢٥ : ١٠٢٦ : ١٠٢٧ : ١٠٢٨ : ١٠٢٩ : ١٠٣٠ : ١٠٣١ : ١٠٣٢ : ١٠٣٣ : ١٠٣٤ : ١٠٣٥ : ١٠٣٦ : ١٠٣٧ : ١٠٣٨ : ١٠٣٩ : ١٠٤٠ : ١٠٤١ : ١٠٤٢ : ١٠٤٣ : ١٠٤٤ : ١٠٤٥ : ١٠٤٦ : ١٠٤٧ : ١٠٤٨ : ١٠٤٩ : ١٠٥٠ : ١٠٥١ : ١٠٥٢ : ١٠٥٣ : ١٠٥٤ : ١٠٥٥ : ١٠٥٦ : ١٠٥٧ : ١٠٥٨ : ١٠٥٩ : ١٠٦٠ : ١٠٦١ : ١٠٦٢ : ١٠٦٣ : ١٠٦٤ : ١٠٦٥ : ١٠٦٦ : ١٠٦٧ : ١٠٦٨ : ١٠٦٩ : ١٠٧٠ : ١٠٧١ : ١٠٧٢ : ١٠٧٣ : ١٠٧٤ : ١٠٧٥ : ١٠٧٦ : ١٠٧٧ : ١٠٧٨ : ١٠٧٩ : ١٠٨٠ : ١٠٨١ : ١٠٨٢ : ١٠٨٣ : ١٠٨٤ : ١٠٨٥ : ١٠٨٦ : ١٠٨٧ : ١٠٨٨ : ١٠٨٩ : ١٠٩٠ : ١٠٩١ : ١٠٩٢ : ١٠٩٣ : ١٠٩٤ : ١٠٩٥ : ١٠٩٦ : ١٠٩٧ : ١٠٩٨ : ١٠٩٩ : ١١٠٠ : ١١٠١ : ١١٠٢ : ١١٠٣ : ١١٠٤ : ١١٠٥ : ١١٠٦ : ١١٠٧ : ١١٠٨ : ١١٠٩ : ١١١٠ : ١١١١ : ١١١٢ : ١١١٣ : ١١١٤ : ١١١٥ : ١١١٦ : ١١١٧ : ١١١٨ : ١١١٩ : ١١٢٠ : ١١٢١ : ١١٢٢ : ١١٢٣ : ١١٢٤ : ١١٢٥ : ١١٢٦ : ١١٢٧ : ١١٢٨ : ١١٢٩ : ١١٣٠ : ١١٣١ : ١١٣٢ : ١١٣٣ : ١١٣٤ : ١١٣٥ : ١١٣٦ : ١١٣٧ : ١١٣٨ : ١١٣٩ : ١١٤٠ : ١١٤١ : ١١٤٢ : ١١٤٣ : ١١٤٤ : ١١٤٥ : ١١٤٦ : ١١٤٧ : ١١٤٨ : ١١٤٩ : ١١٥٠ : ١١٥١ : ١١٥٢ : ١١٥٣ : ١١٥٤ : ١١٥٥ : ١١٥٦ : ١١٥٧ : ١١٥٨ : ١١٥٩ : ١١٦٠ : ١١٦١ : ١١٦٢ : ١١٦٣ : ١١٦٤ : ١١٦٥ : ١١٦٦ : ١١٦٧ : ١١٦٨ : ١١٦٩ : ١١٧٠ : ١١٧١ : ١١٧٢ : ١١٧٣ : ١١٧٤ : ١١٧٥ : ١١٧٦ : ١١٧٧ : ١١٧٨ : ١١٧٩ : ١١٨٠ : ١١٨١ : ١١٨٢ : ١١٨٣ : ١١٨٤ : ١١٨٥ : ١١٨٦ : ١١٨٧ : ١١٨٨ : ١١٨٩ : ١١٩٠ : ١١٩١ : ١١٩٢ : ١١٩٣ : ١١٩٤ : ١١٩٥ : ١١٩٦ : ١١٩٧ : ١١٩٨ : ١١٩٩ : ١٢٠٠ : ١٢٠١ : ١٢٠٢ : ١٢٠٣ : ١٢٠٤ : ١٢٠٥ : ١٢٠٦ : ١٢٠٧ : ١٢٠٨ : ١٢٠٩ : ١٢١٠ : ١٢١١ : ١٢١٢ : ١٢١٣ : ١٢١٤ : ١٢١٥ : ١٢١٦ : ١٢١٧ : ١٢١٨ : ١٢١٩ : ١٢٢٠ : ١٢٢١ : ١٢٢٢ : ١٢٢٣ : ١٢٢٤ : ١٢٢٥ : ١٢٢٦ : ١٢٢٧ : ١٢٢٨ : ١٢٢٩ : ١٢٣٠ : ١٢٣١ : ١٢٣٢ : ١٢٣٣ : ١٢٣٤ : ١٢٣٥ : ١٢٣٦ : ١٢٣٧ : ١٢٣٨ : ١٢٣٩ : ١٢٤٠ : ١٢٤١ : ١٢٤٢ : ١٢٤٣ : ١٢٤٤ : ١٢٤٥ : ١٢٤٦ : ١٢٤٧ : ١٢٤٨ : ١٢٤٩ : ١٢٥٠ : ١٢٥١ : ١٢٥٢ : ١٢٥٣ : ١٢٥٤ : ١٢٥٥ : ١٢٥٦ : ١٢٥٧ : ١٢٥٨ : ١٢٥٩ : ١٢٦٠ : ١٢٦١ : ١٢٦٢ : ١٢٦٣ : ١٢٦٤ : ١٢٦٥ : ١٢٦٦ : ١٢٦٧ : ١٢٦٨ : ١٢٦٩ : ١٢٧٠ : ١٢٧١ : ١٢٧٢ : ١٢٧٣ : ١٢٧٤ : ١٢٧٥ : ١٢٧٦ : ١٢٧٧ : ١٢٧٨ : ١٢٧٩ : ١٢٨٠ : ١٢٨١ : ١٢٨٢ : ١٢٨٣ : ١٢٨٤ : ١٢٨٥ : ١٢٨٦ : ١٢٨٧ : ١٢٨٨ : ١٢٨٩ : ١٢٩٠ : ١٢٩١ : ١٢٩٢ : ١٢٩٣ : ١٢٩٤ : ١٢٩٥ : ١٢٩٦ : ١٢٩٧ : ١٢٩٨ : ١٢٩٩ : ١٣٠٠ : ١٣٠١ : ١٣٠٢ : ١٣٠٣ : ١٣٠٤ : ١٣٠٥ : ١٣٠٦ : ١٣٠٧ : ١٣٠٨ : ١٣٠٩ : ١٣١٠ : ١٣١١ : ١٣١٢ : ١٣١٣ : ١٣١٤ : ١٣١٥ : ١٣١٦ : ١٣١٧ : ١٣١٨ : ١٣١٩ : ١٣٢٠ : ١٣٢١ : ١٣٢٢ : ١٣٢٣ : ١٣٢٤ : ١٣٢٥ : ١٣٢٦ : ١٣٢٧ : ١٣٢٨ : ١٣٢٩ : ١٣٣٠ : ١٣٣١ : ١٣٣٢ : ١٣٣٣ : ١٣٣٤ : ١٣٣٥ : ١٣٣٦ : ١٣٣٧ : ١٣٣٨ : ١٣٣٩ : ١٣٤٠ : ١٣٤١ : ١٣٤٢ : ١٣٤٣ : ١٣٤٤ : ١٣٤٥ : ١٣٤٦ : ١٣٤٧ : ١٣٤٨ : ١٣٤٩ : ١٣٥٠ : ١٣٥١ : ١٣٥٢ : ١٣٥٣ : ١٣٥٤ : ١٣٥٥ : ١٣٥٦ : ١٣٥٧ : ١٣٥٨ : ١٣٥٩ : ١٣٦٠ : ١٣٦١ : ١٣٦٢ : ١٣٦٣ : ١٣٦٤ : ١٣٦٥ : ١٣٦٦ : ١٣٦٧ : ١٣٦٨ : ١٣٦٩ : ١٣٧٠ : ١٣٧١ : ١٣٧٢ : ١٣٧٣ : ١٣٧٤ : ١٣٧٥ : ١٣٧٦ : ١٣٧٧ : ١٣٧٨ : ١٣٧٩ : ١٣٨٠ : ١٣٨١ : ١٣٨٢ : ١٣٨٣ : ١٣٨٤ : ١٣٨٥ : ١٣٨٦ : ١٣٨٧ : ١٣٨٨ : ١٣٨٩ : ١٣٩٠ : ١٣٩١ : ١٣٩٢ : ١٣٩٣ : ١٣٩٤ : ١٣٩٥ : ١٣٩٦ : ١٣٩٧ : ١٣٩٨ : ١٣٩٩ : ١٤٠٠ : ١٤٠١ : ١٤٠٢ : ١٤٠٣ : ١٤٠٤ : ١٤٠٥ : ١٤٠٦ : ١٤٠٧ : ١٤٠٨ : ١٤٠٩ : ١٤١٠ : ١٤١١ : ١٤١٢ : ١٤١٣ : ١٤١٤ : ١٤١٥ : ١٤١٦ : ١٤١٧ : ١٤١٨ : ١٤١٩ : ١٤٢٠ : ١٤٢١ : ١٤٢٢ : ١٤٢٣ : ١٤٢٤ : ١٤٢٥ : ١٤٢٦ : ١٤٢٧ : ١٤٢٨ : ١٤٢٩ : ١٤٣٠ : ١٤٣١ : ١٤٣٢ : ١٤٣٣ : ١٤٣٤ : ١٤٣٥ : ١٤٣٦ : ١٤٣٧ : ١٤٣٨ : ١٤٣٩ : ١٤٤٠ : ١٤٤١ : ١٤٤٢ : ١٤٤٣ : ١٤٤٤ : ١٤٤٥ : ١٤٤٦ : ١٤

صلى الله عليه وسلم لقصد الغزاة ، وإنما خرج به احتياطاً . وكان من خبر هذه
 العمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استهل هلال ذى القعدة سنة سبع
 من مهاجرة أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدّهم المشركون عنها
 بالحديبية ، وألا يتخلف أحد من شهد الحديبية ، فلم يتخلف منها إلا من مات
 أو قتل بنجيب ، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من المسلمين عمّاراً
 ممن لم يشهد الحديبية ، فكانوا في عمرة القضية ألفين ، واستخلف رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا ذر الغفاري ، حكاه ابن سعد — وقال ابن إسحاق :
 عوف بن الأضبط الدبلي — وساق صلى الله عليه وسلم ستين بدنة ، وجعل على
 هديه ناجية بن جندب الأسلمي .

١٤٢
١٥

- ١٠ قال ابن سعد : وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والبيض والدروع
 والرمح ، وقاد مائة فرس ، فلما آتته إلى ذى الحليفة ، قدم الخليل أمامه ، عليها
 محمد بن مسلمة ، وقدم السلاح ، واستعمل عليه بشير بن سعد ، وأحرم صلى الله
 عليه وسلم من باب المسجد ، ولبي والمسامون معه يلبون . ومضى محمد بن مسلمة
 في الخليل إلى مَرَّ الظهران فوجد بها نفراً من قريش ، فسألوه ، فقال : هذا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله ، فأتوا قريشاً بالخبر ،
 ١٥ ففرغوا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن الظهران ، وقدم السلاح إلى بطن
 يأجج حيث [ينظر^(١)] إلى أنصاب الحرم ، وخلف عليه أوس بن خولى الأنصاري
 في مائتي رجل ، وخرجت قريش من مكة إلى رءوس الجبال ، فقدم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الهدى أمامه ، فحُبس بنى طوى ، وخرج على راحته القصواء

والمسلمون متوشّحون السيوف ، محدقون به صلى الله عليه وسلم يلبون ، فدخل على
الثنية التي تطاعه على الحجون ، وعبد الله بن رواحة أخذ بزمام راحته وهو يقول :

خَلُّوا نَبِيَّ الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ * خَلُّوا فَكُلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ

يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقَبِيلِهِ * أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبِيلِهِ

نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ ^(١) * كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَتْرِيلِهِ

ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ * وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قال ابن هشام : قوله « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات ، لعمار بن ياسر
في غير هذا اليوم .

قال ابن سعد : ولما أرتجز ابن رواحة قال له عمر بن الخطاب : ^(٢) إيها

يا ابن رواحة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمر ، إني أسمع » ، فأسكت عمر ،

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إيها ^(٢) يا ابن رواحة ! ، قل لا إله إلا الله وحده ، نصر

عبده ، وأعرض جنده ، وهزم الأحزاب وحده » ، فقالمها ابن رواحة . ولم يزل

رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن بمحجته مضطجعا بشوبه ، وطاف

على راحته ، والمسلمون يطوفون معه وقد أضطجعوا بثيابهم ، ثم طاف بين الصفا

والمروة على راحته ، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة

قال : « هذا المنحرج ، وكلّ فخّاج مكة منحرج » ، فنحرج عند المروة ، وحلق هناك ، وكذلك

فعل المسلمون ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم

ببطن يابج فيقيموا على السلاح ، ويأتى الآخرون فيقضوا نُسكهم ، ففعلوا ، وأقام

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا . وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية ، فلما

كان عند الظهر من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحو يطب بن عبد العزى

(١) في ج : « ضربناكم » . (٢) إيها : كلمة استزادة واستنطاق .

فقالا: قد انقضى أجلك، فأخرج عنا، فأمر أبا رافع فنأدى بالرحيل وقال: لا يُبْسَيْنَ
 بها أحد من المسلمين، وأخرج عُمارة بنت حمزة بن عبد المطلب من مكة، وركب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل سِرف وتتاَم الناس إليه، وأقام أبو رافع بمكة
 حتى أمسى، فحمل إليه ميمونة، فبني عليها صلى الله عليه وسلم بسِرف، ثم أدبج فسار
 حتى قدم المدينة، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .



ككل الجزء السابع عشر من كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للتوحيدي
 رحمه الله . ويليه الجزء الثامن عشر وأقوله : (وفادات العرب على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم) .

[Faint bleed-through text from the reverse side of the page, including the title 'وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم']

• في نسخة: وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

[صورة ما جاء في آخر هذا الجزء بنسخة ١]

« كل الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » للإمام
النويري رحمه الله ، وكان الفراغ منه يوم الاثنين المبارك سلخ جمادى الأولى من شهر
سنة سبع وستين وتسعمائة ، وذلك على يد كاتبه نور الدين بن شرف الدين العاملي
بلدا ، الشافعي مذهبيا ، غفر الله له ذنوبه ، وستر عيوبه ، ولمن يدعو له بالمغفرة
والرحمة ولوالديه . آمين » .

[صورة ما جاء في آخر هذا الجزء أيضا بنسخة ج]

« كل الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » على
يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم البكري التيمي
القرشي المعروف بالنويري عفا الله عنهم ، ووافق الفراغ من كتابته في يوم الاثنين
المبارك لسبع خلون من شهر رمضان المعظم عام اثنين وعشرين وسبعمئة أحسن الله
تفضيها بالقاهرة المعزية . يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء السادس عشر :
ذكر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

فلما كان في سنة ثمان مائة وخمسة عشر من الهجرة النبوية
 وبعث الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة
 فبدأت الدعوة في مكة فبدأت الدعوة في مكة
 فبدأت الدعوة في مكة فبدأت الدعوة في مكة
 فبدأت الدعوة في مكة فبدأت الدعوة في مكة
 فبدأت الدعوة في مكة فبدأت الدعوة في مكة

(بعض النسخة المتأخرة) فلما كان في سنة ثمان مائة وخمسة عشر
 من الهجرة النبوية وبعث الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
 في مكة فبدأت الدعوة في مكة فبدأت الدعوة في مكة
 فبدأت الدعوة في مكة فبدأت الدعوة في مكة
 فبدأت الدعوة في مكة فبدأت الدعوة في مكة
 فبدأت الدعوة في مكة فبدأت الدعوة في مكة
 فبدأت الدعوة في مكة فبدأت الدعوة في مكة

فهرس المراجع

- الاستيعاب لابن عبد البر ، حيدرآباد ١٣١٨
 أسد الغابة في معرفة الصحابة ، الوهبة ١٢٨٠
 الإصابة في تمييز الصحابة ، الشرفية بمصر ١٣٢٥
 الأغاني ، طبع بولاق ١٢٨٥
 الأغاني ، طبع دار الكتب المصرية .
 الإكمال لابن ماكولا ، مخطوطة دارالكتب ١٧ مصطلح حديث
 إمتاع الأسماع للقرنزي ، طبع لجنة التأليف والترجمة ١٩٤١
 البداية والنهاية لابن كثير ، السعادة بمصر ١٣٥١
 تاريخ ابن الأثير ، ليدن ١٨٩٥
 تاريخ الطبري ، ليدن ١٨٨٩ م .
 تفسير الطبري ، بولاق ١٣٣٠
 تفسير القرطبي ، طبع دارالكتب المصرية .
 دلائل النبوة للبيهقي ، مخطوطة دارالكتب رقم ٢١٢ حديث
 ديوان الأعشى ، بيانه ١٩٢٧ .
 ديوان حسان بن ثابت ، الرحمانية ١٣٤٧
 ديوان الحماسة ، طبع بن ١٨٣٨ م .
 الروض الأنف للسبيل ، الجمالية ١٣٣٢
 السيرة النبوية لابن هشام ، طبع الحلبي ١٣٥٥
 شرح السيرة لأبي ذر الخشني ، هندية بمصر ١٣٢٩
 شرح المواهب اللدنية للزرقاني ، بولاق ١٣٧٨
 صحيح البخاري ، بولاق ١٢٩٦
 صحيح مسلم ، بولاق ١٢٩٠
 طبقات ابن سعد ، ليدن ١٣٢٢
 الكشف والبيان للثعلبي ، مخطوطة دارالكتب برقي
 ٧٩٧ ، ٢٥٦ تفسير .
 عيون الأثر ، القدس ١٣٥٦
 معجم البلدان ، جوتنجن ١٨٩٩ م .
 معجم ما استعجم للبكري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
 ١٩٤٥ م .
 مغازي الواقدي ، كلكتا ١٨٥٥ م .

مجلد اول

۱۷۱۱	۱۷۱۲
۱۷۱۳	۱۷۱۴
۱۷۱۵	۱۷۱۶
۱۷۱۷	۱۷۱۸
۱۷۱۹	۱۷۲۰
۱۷۲۱	۱۷۲۲
۱۷۲۳	۱۷۲۴
۱۷۲۵	۱۷۲۶
۱۷۲۷	۱۷۲۸
۱۷۲۹	۱۷۳۰
۱۷۳۱	۱۷۳۲
۱۷۳۳	۱۷۳۴
۱۷۳۵	۱۷۳۶
۱۷۳۷	۱۷۳۸
۱۷۳۹	۱۷۴۰
۱۷۴۱	۱۷۴۲
۱۷۴۳	۱۷۴۴
۱۷۴۵	۱۷۴۶
۱۷۴۷	۱۷۴۸
۱۷۴۹	۱۷۵۰
۱۷۵۱	۱۷۵۲
۱۷۵۳	۱۷۵۴
۱۷۵۵	۱۷۵۶
۱۷۵۷	۱۷۵۸
۱۷۵۹	۱۷۶۰
۱۷۶۱	۱۷۶۲
۱۷۶۳	۱۷۶۴
۱۷۶۵	۱۷۶۶
۱۷۶۷	۱۷۶۸
۱۷۶۹	۱۷۷۰
۱۷۷۱	۱۷۷۲
۱۷۷۳	۱۷۷۴
۱۷۷۵	۱۷۷۶
۱۷۷۷	۱۷۷۸
۱۷۷۹	۱۷۸۰
۱۷۸۱	۱۷۸۲
۱۷۸۳	۱۷۸۴
۱۷۸۵	۱۷۸۶
۱۷۸۷	۱۷۸۸
۱۷۸۹	۱۷۹۰
۱۷۹۱	۱۷۹۲
۱۷۹۳	۱۷۹۴
۱۷۹۵	۱۷۹۶
۱۷۹۷	۱۷۹۸
۱۷۹۹	۱۸۰۰

استدراك

ورد في صفحة ٥٣ سطر ٦ البيت الآتي كما في الأصلين :

ولسنا على الأدبار تدمى كلومنا ولكن على أعقابنا تقطر الدما

وصوابه هكذا :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وهو للخصين بن الحمّام المتري من قصيدة له أولها :

تأنرت أستبق الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

يقول : نحن لانولى فنجرح في ظهورنا فتقطر دماؤنا على أعقابنا ، ولكن نستقبل

السيوف بوجوهنا ، فإن إصابتنا جراح قطرت دماؤنا على أقدامنا . انظر لسان

العرب (مادة دمي) ، والجماسة للتبريزي ص ٩٣ ، والشعر والشعراء ص ٦٣٠

شال و نساجا

پیش از آنکه در این کتاب بدانیم که ۷۵ فصله در ۱۰۰

کتابت شده است و در این کتابت در ۱۰۰ فصله در ۱۰۰

کتابت در ۱۰۰

کتابت در ۱۰۰ فصله در ۱۰۰ فصله در ۱۰۰

کتابت در ۱۰۰ فصله در ۱۰۰ فصله در ۱۰۰

کتابت در ۱۰۰ فصله در ۱۰۰ فصله در ۱۰۰

کتابت در ۱۰۰ فصله در ۱۰۰ فصله در ۱۰۰

کتابت در ۱۰۰ فصله در ۱۰۰ فصله در ۱۰۰

کتابت در ۱۰۰ فصله در ۱۰۰ فصله در ۱۰۰

الخطأ والصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
٤	١٥	الجحفا	الجحفمة
١١	١٢	عُدْر	عُدْر
١٣	١	غَيْرَة	غَيْرَة
١٣	٨	جَدَع	جَدَع
١٤	٥	أَفْتَدُوهُ	أَفْتَدُوهُ
١٦	٩	مولى	مولى
٣٥	١٣	عمر بن سرافة	عمر بن سرافة
٤٠	٣	خرمة	خرمة
٤١	٢	المنذر	المنذر
٤١	٢٢	ويقال : ودفافة	ويقال : ودفاة
٤٧	٢٢	١٩١١	١٩:١
٤٩	٨	عابد	عائد
٥٠	٢٠	والدبش	والدبش
٥٦	١٥	أمر	أمر
٦٠	٣	مُحَلِّين	مُحَلِّين
٦٠	١٨	داود ابن الحصين	داود بن الحصين
٦٦	٨	الإسلام	الإسلام

خطأ	ص	صواب	س
حَلَّتْ	٥	حَلَّتْ	٧١
بِهِنْدٍ	١٩	بِهِنْدٍ	٨٢
وَيَهَا دَسِمَةٌ	٦	وَيَهَا دَسِمَةٌ	٨٣
تُدْبِجُ	١٦	تُدْبِجُ	٨٣
حَتْمَةٌ	١٩	حَتْمَةٌ	٨٦
وَجَدْتُ	١٢	وَجَدْتُ	٨٨
وتواعده	٤	وتواعده	٩٠
وقال لسان العرب	١٩	وقال لسان العرب	٩٠
هي	١٩	هي	٩٠
ويكون	٧	ويكون	١٠٢
بديته	٢	بديته	١٠٥
مته	٦	مته	١١٢
٢٣٠	٢٢	٢٤٠	١١٥
لا يفتي	٤	يفتي	١٢٤
(ببوتهم)	١٣	(ببوتهم)	١٤٠
(يُخْرِبُونَ)	٤	(يُخْرِبُونَ)	١٤٢
الفسادُ	٤	الفسادُ	١٤٣
خالصة	١٠	خالصا	١٤٤
وأبو عمرو	٢١	وأبو عمرو	١٤٧
تُخْرِجُ	١٥	تُخْرِجُ	١٨٨

الصواب	الخطأ	س	ص
عُليم	علم	٤	٢١٠
صلى الله	صلى الله	٥	٢١١
محرش	محرش	١١	٢١٢
أن يجيئوا	أن يجيئوا	٥	٢٢٠
الخلأء	الخلأء	٢٠	٢٢١
بالاثنتين	بالاثنتين	١٨	٢٢٥
(فَتَحَا)	(فَتَحَا)	١٣	٢٣٤
سورة « مع حذف الرقم »	سورة هـ	٢٠	٢٣٤
يا رسول الله	يا رسول	١٦	٢٣٨
(كَفَرُوا)	(كَفَرُوا)	١٣	٢٤٠
تَحَرَّبُ	تَحَرَّبُ	١٤	٢٥١
المجنبة	المجنبة	٤	٣٠٥
غَزِيْرِيَّة	غَزِيْرِيَّة	١٢	٣٢٤
رسول	رسول	١٣	٣٤٠
الجد	الجد	١٥	٣٥٩
بدر	بدر	٢	٣٦٢



بعون الله وحمل توفيقه قد تم طبع الجزء السابع عشر من كتاب
"نهاية الأرب في فنون الأدب" بمطبعة دارالكتب المصرية في شهر رمضان
سنة ١٣٧٤ هـ (مايو سنة ١٩٥٥ م) ما

عبد الحميد نديم

ملاحظ المطبعة بدارالكتب المصرية.

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الأرب

في

فنون الأرب

تأليف

شمس الدين محمد بن أبو بكر النوني

السفر الثامن عشر

القاهرة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

الطبعة الأولى بمطبعة دارالكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدارالكتب المصرية

فهرست

السفر الثامن عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

صفحة

- وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ١ من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة ...
- وفد غفار ، وقصة أبي ذر الغفاري ، وسبب إسلامه وإسلام أخيه وأمه ، ثم إسلام غفار
- ٢ طعام أبي ذر من ماء زمزم ، وظهور فائدته وبركته ، وما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٤ وفد أزد شنوءة ، وكيف كان إسلام ضماد
- ٧ وفد همدان
- ٨ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهمدان
- ١١ وفادة الطفيل بن عمرو الدوسي وإسلامه ، وذكر إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم
- ١٣ وفادة نصارى الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما نزل فيهم من القرآن
- ١٥ من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقبل الفتح وفد عيس
- ١٧ وفد سعد العنبرية ، وذكر صنمها فزاص وتحطيمه
- ١٨

صفحة	
١٨	وفد جهينة
١٩	وفد مزينة
	وفد سعد بن بكر ، وذكر ما كان من ضمّام بن ثعلبة ، رسول سعد
٢٠	إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٢	وفد أشجع
٢٣	وفد خشين والأشعرين وسليم وإسلام الحنساء
٢٦	وفد دوس
٢٧	وفد أسلم
٢٨	وفد جذام

من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة

٣٠	وفد ثعلبة وأسد ، وما نزل في ذلك من القرآن
	وفد تميم ، وما وقع في ذلك من مفاخرة بين تميم والأنصار بالخطب
٣٢	والشعر ، وما نزل في وفد تميم من القرآن
٤١	وفد فزارة ، وأستسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم
٤٢	وفد مرة
٤٣	وفد محارب ، و كلاب
٤٤	وفد رؤاس بن كلاب
٤٥	وفد عقيل بن كعب ، وكتاب رسول الله لهم
٤٧	وفد جمدة ، وقشير بن كعب
٤٨	وفد بني البكاء ، وما ظهر في ذلك من بركة رسول الله لبشر بن معاوية
٤٩	وفد كنانة وبني عبد بن عدى
٥٠	وفد باهلة ، وهلال بن عامر ، ووفود زياد بن عبد الله

صفحة

- وفد عامر بن صعصعة ، وخبر عامر بن الطَّقِيل وأزبد بن قيس ،
ومحاولة عامر وأزبد اغتيال رسول الله ، وما ظهر في ذلك من
عصمة الله رسوله ، ونزول القرآن في ذلك ٥١
خبر أحد طواغيت العرب ٥٧
وفد ثقيف وإسلامها وهدم الآلات ، وما في ذلك من حصار الطائف ،
وَأَسْتِخْدَامِ الدِّيَابَاتِ ٥٩
عهد رسول الله لثقيف ، وإرساله أبا سفيان لهدم الآلات ٦٣
قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناً من مال الآلات ٦٥
وفد عبد القيس ٦٥
وفد بكر بن وائل ٦٧
خبر أعشى قيس ، وذكر قصيدته التي مدح بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ٦٨
وفد تغلب ، وحنيفة ٧٢
خبر مَسِيلِمَةَ الكَذَّابِ ، وآدعائه النبوة ٧٣
وفد شيبان ، وخبر قبيلة بنت محرمة مع حرث بن حسان في شأن الدهناء
٧٤

وفادات أهل اليمن

- وفد طيبي وخبر زيد الخليل ، وعدى بن حاتم ٧٦
خبر عدى بن حاتم ، وبعث رسول الله علياً لهدم صنم طيبي وأسر
سَقَانَةَ بنت حاتم ٧٧
وفد تُجَيْبٍ ٨١
وفد حَوْلَانَ ٨٢
وفد جَعْفِيٍّ ، وخبر الموءودة والوائدة التي سألوا عنهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم ٨٣
وفد مُرَادٍ ، وخبر قُرُوءَةَ بن مَسِيكٍ المرادى ٨٤

صفحة	
٨٥	وفد زُبَيْد، وأخبار عمرو بن معدى كرب
٨٧	وفد كِنْدَةَ والهيئة الممتازة التي ظهرُوا بها
٨٩	وفد الصِّدْف وسعد هُدَيْم
٩٠	وفد بِلَى وبهراء
٩١	وفد عُدْرَةَ
٩٢	وفد سَلَامَانَ
٩٣	وفد كَلْب، وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل دُومَةَ الجَنْدَل وفد جَرْم، وخبر عمرو بن سَلِيْمَة، وأنه كان يتلقى القرآن من المسافرين وهو ابن ست
٩٤	المسافرين وهو ابن ست
٩٦	وفد الأزد وأهل جُرَش
٩٨	وفد غَسَانَ، ووفد الحارث بن كعب
١٠٠	عهد رسول الله لعمرو بن حزم
١٠٣	وفد عَنَس
١٠٤	وفد الدارِيِّين وما كتب لهم به رسول الله، وما آخِطص به تميم الدارِيِّ وإخوته
	وصف المؤلف للعهد النبوي الذي كتبه لتميم كما رآه في بيت التميميين، ونص العهد
١٠٥	وفد الرَّهَآوِيِّين
١٠٧	وفد غَامِد والنَّخَع، وذَكَر رؤْيَا رآها زُرارة بن عمرو فسَمَرها له رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٠٨	وفد بِيَجِيلَةَ، وبعث رسول الله جرير بن عبد الله البجليّ لهدم ذِي الخَلْصَةِ وما ظهر من بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم
١١٠	وفد خَثْعَم
١١١	وفد حَضْرَمَوْت، وذَكَر وائل بن عُجْر الحَضْرَمِيّ ملك الحضارم
١١٢	

صفحة	
...	كتاب رسول الله لوائل بن حُجْر ، وما فيه من جوامع الكلم ، وأصول
١١٣	الأحكام
١١٤	وفسد مَخُوس بن معدى كرب أحد أقبال كندة
...	وفد أزد عُثْمَان ، وإرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن
١١٤	الحضرمي إلى عمان ليعلمهم الشرائع
١١٥	وفد غافق وبارق ، وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبارق
١١٦	وفد ثُمَّالَة والحُدَّان
١١٧	وفد مَهْرَة ، وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم
...	وفد جَمِير ، وعهد رسول الله لهم ، وذكر رسول الله إلى زُرعة
١١٨	ذِي يَزَن
١٢٠	وفد جَيْشَان ، وسَلُول
١٢١	وفد نَجْران وسؤالهم رسول الله ، وما أنزل الله فيهم من القرآن
١٢٣	ما يتوارثه رؤساء نَجْران من ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم في كتبهم
١٢٤	تفسير آيات من أوائل سورة آل عمران
١٣٤	ذكر آية المباهلة وتفسيرها ، وما كان من تخوف النصارى من المباهلة
١٣٧	كتاب أمير المؤمنين عمر لنجران
١٣٨	خبر إسلام الجَن ودعائهم قومهم إلى الإيمان عند سماعهم القرآن
١٤١	ذكر إخبار الجَن أصحابهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
...	خبر سواد بن قارب ، وإخبار الجَن له بمبعث رسول الله ، وإنشادهم
١٤٢	الشعر في ذلك
١٤٦	خبر خُفَّاف بن نَضْلَة الثقفي
...	أول خبر قدم المدينة عن مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
١٤٧	من الجَن

صفحة	
١٤٧	خبر تميم الدارى بما سمع من الجن
١٤٧	خبر أبى نحرىم فاتك ، وما سمع من الجن عن مبعث رسول الله ...
١٤٩	خبر مالك بن نقيع
	خبر ذباب وكلام الصنم قراض - أو فراض - وظهور جنى له
١٥٠	فى صورة كلب وحديثه له
	ما روى عن ربيعة بن أبى براء من إخبار الجن برسول الله صلى الله
١٥٤	عليه وسلم
١٥٦	ذكر رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوكة وكتبه إليهم ...
١٥٧	ما نقش فى خاتمه عليه والسلام
	ذكر تكلم رسله بلغة من أرسلوا إليهم بإلهام من الله ، وخطبته فى رسله
١٥٧	حين بعثهم
١٥٧	إرسال عمرو بن أمية الضميرى إلى النجاشى ملك الحبشة
	تزيوج النجاشى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ، وإصدافه
١٥٨	إياها عنه
	إرسال دحية الكلبي إلى قيصر ملك الروم ، وكتاب رسول الله صلى الله
١٥٨	عليه وسلم إليه
١٥٩	حديث هرقل مع ركب قريش فى أمره عليه السلام
	ما حصل من الروم عند سماعهم قراءة الكتاب النبوى ، وقول آبن
١٦١	الناطور صاحب إيلياء
١٦٣	إرسال عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى
١٦٤	إرسال حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس
١٦٥	إرسال شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث الغسانى ملك البلقاء
١٦٦	إرسال سليط بن عمرو العامرى إلى هوذة بن على ملك اليمامة ...
١٦٦	إرسال العلاء بن الحضرمى إلى المنذر ملك البحرين ، ومعه أبوهريرة

صفحة

- ١٦٧ بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ملكي عُحْمَان
- ١٦٨ بعثه المهاجر بن أمية إلى ملك اليمن
- ١٦٨ بعثه أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وجرير بن عبد الله
الْبَجَلِيّ إلى ذى الكَلَّاع وذى عمرو
- ١٦٩ ذكر كتابه إلى جبلة بن الأيهم
- ١٦٩ إرساله الأمراء والعمال إلى الأقطار الإسلامية

أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ١٧٠ أم المؤمنين خديجة أول أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ١٧٣ سَوْدَةَ بنت زَمْعَةَ
- ١٧٤ عائشة بنت أبي بكر الصديق
- ١٧٥ حكم من سبّ أبا بكر أو سبّ عائشة
- ١٧٦ حفصة بنت عمر بن الخطاب
- ١٧٨ زينب بنت خُرَيْمَةَ
- ١٧٩ أم سلمة هند بنت أبي أمية
- ١٨٠ زينب بنت جحش بن رثاب
- ١٨١ ثناء عائشة على زينب بنت جحش
- ١٨٢ جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث
- ١٨٤ رَيْحَانَةَ بنت زيد بن عمرو
- ١٨٤ أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وذكر زوجها وهي بالحبشة
- ١٨٦ صفية بنت حيي بن أخطب
- ١٨٧ رؤيا صفية قبل زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم
- ١٨٨ ميمونة بنت الحارث

صفحة

ذکر من تزوجهنّ صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بهنّ
ومن دخل بهنّ وطلقهنّ ، ومن وهبت نفسها له

١٩٠	فاطمة بنت الضحاك
١٩٢	عمرة بنت يزيد بن الحنّون
١٩٢	العالية بنت ظبيان، وأسماء بنت النعمان
١٩٤	أميمة بنت شراحيل
١٩٥	قتيلة بنت قيس
١٩٦	عمرة بنت معاوية الكندية ، وأسماء بنت الصّلت
١٩٧	مليكة بنت كعب اللثبي
١٩٧	أبنة جندب بن ضمرة الجندعي
١٩٨	الغفارية ، وخولة بنت الهديل ، وشراف بنت خليفة الكلبية
١٩٩	خولة بنت حكيم ، وليلى بنت الخطيم
٢٠١	ليلى بنت حكيم الأنصارية ، وأم شريك غزيرة
٢٠٣	الشّباء

منّ خطبهنّ صلى الله عليه وسلم ولم يتفق تزويجهنّ

٢٠٤	أم هانئ بنت أبي طالب ، وضباعة بنت عامر بن قرط
٢٠٥	صفية بنت بشامة ، وجمرة بنت الحارث ، وسودة القرشية
٢٠٦	أميمة بنت عمه حمزة
٢٠٦	أزواجه صلى الله عليه وسلم من العرب وأزواجه من غيرهم
٢٠٧	الخلاف في عدد من تزوجهنّ
٢٠٧	سراريه صلى الله عليه وسلم

أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٠٨ إبراهيم
٢١٠ وفاة إبراهيم وتأثره عليه السلام وما قاله حينئذ...
٢١١ زينب
٢١٢ رقية
٢١٣ فاطمة
٢١٤ أم كلثوم

ذكر أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢١٥ الحارث
٢١٦ قثم بن عبد المطلب، والزيبر، وحمزة، والعباس
٢١٧ أستسقاء عمر بالعباس
٢١٨ دعاء الأستسقاء
٢١٩ أولاد العباس
٢٢٠ أبو طالب، وأبو لهب
٢٢١ عبد الكعبة، وحجل، وضرار، والغيداق

ذكر عمات رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٢١ صفية
٢٢٢ عاتكة بنت عبد المطلب، وأروى، وأميمة
٢٢٣ برة بنت عبد المطلب، وأم حكيم البيضاء

خدم رسول الله الأحرار وعددهم

٢٢٣ أنس بن مالك
٢٢٤ هند وأسماء أبنا حارثة، وربيعة بن كعب

صفحة	
٢٢٥	عبد الله بن مسعود
٢٢٦	عُقبة بن عامر، وبلال بن رباح، وسعد مولى أبي بكر
٢٢٧	ذو نَجَسْر بن أُنحى النجاشي، وبُكَيْر بن شدّاخ، وأبو ذَرّ الغفاري
٢٢٨	أَسْلَع بن شَرِيك، وأبو سلام الهاشمي

موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٢٩	زيد بن حارثة، وأسامة بن زيد، وثوبان بن يُجُود
٢٣٠	أبو كبشة، وأنسة، وشُقْران، وربّاح، ويسار
٢٣١	أبو رافع، وأبو مَوَيْبَةَ، ورافع، وفضالة، ومدعم، وكرّكَرَة
٢٣٢	زيد، وعبيد، وطهمان، ومأبور، وواقد، وأبو صُمَيْرَة، وحنين
٢٣٣	أبو عَسِيب، وسقينة، وأبو هند، وأنجشة
٢٣٤	أَيَسَة، وأبو لُبَابَة، ورؤَيْفَع، وسعد
٢٣٤	ذكر جماعة أحر من الموالى
٢٣٥	موالى رسول الله من النساء
٣٣٦	حراسه وكُتّابه
٢٣٧	رفقاؤه النجباء
٢٣٧	صفاته الذاتية
٢٤٢	وصف خاتم النبوة
٢٤٢	صفة شعره وطوله
٢٤٣	عدد شبيهه
٢٤٤	ما كان يخضب به
٢٤٥	صفاته المعنوية
	ما ورد فى أكله وشربه ونومه والأصناف التى أكل منها، وأحب
٢٤٦	ما كولى إليه

صفحة	
٢٤٨	نومه صلى الله عليه وسلم وضحكه
٢٤٩	نكاحه صلى الله عليه وسلم وما يتصل به
٢٥٠	خلقه، وحاميه، وأحتماله، وعفوه، وبعض من عفا عنهم...
٢٥٣	جوده، وكرمه، وسخاؤه، وسماحته
٢٥٤	شجاعته، ونجدته
٢٥٦	حياؤه، وإغضاؤه
٢٥٦	حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم
٢٥٨	عمله مع أصحابه
٢٥٩	شفقته ورأفته ورحمته لجميع الخلق
٢٦٠	وفاءه وحسن عهده وصلته للرحم
٢٦٢	تواضعه صلى الله عليه وسلم
٢٦٤	قصيدة في شيء من صفاته
٢٦٥	عدله وأمانته وعفته وصدق لهجته
٢٦٦	وقاره وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه
٢٦٧	زهده في الدنيا
٢٦٨	خوفه من الله وطاعته له وشدة عبادته
	نظافة جسمه، وطيب ريحه وعرقه، ونزاهته عن الأقدار، وعورات
٢٧٠	الجسد
٢٧١	حديث هند بن أبي هالة وما تضمنه من أوصافه الذاتية والمعنوية
٢٧٧	مجلسه وما كان يصنع فيه
٢٧٨	سيرته في جلسائه
٢٧٩	أحواله وما ناله من شدة العيش في دنياه

صفحة	
٢٨٣	تطيه ولباسه وألوانه وأصنافه ، وطوله وعرضه
٢٨٤	الثياب الصفرة
	الثياب الخضراء والسواد من ثيابه ، وأصناف لباسه وطولها وعرضها ،
٢٨٥	والصوف وما ورد فيه
٢٨٦	الحبرة من برود اليمن والسندس والحريز ، وما ورد أنه لبسها ثم تركها
٢٨٧	ما ورد في ثيابه — صلى الله عليه وسلم — القطنية وأنواعها
٢٨٨	صفة إزرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائه عند لبسه جديدا
٢٨٩	فراشه ووسادته
٢٩٠	ما لبسه من الخواتم ، والخلاف في ذلك
٢٩٢	نعله وخفاه ومرآته وقدمه وغير ذلك من أئانه
٢٩٤	ما ورد في حجامته وحجامه ، وما قال في الحجامة
٢٩٦	سلاحه وأصنافه وأسمائه
٢٩٩	ذكر دوابه من الخيل والبغال والحمير وأسمائها
٣٠١	ذكر أنواعه من إبل وغنم وأسمائها وعددها
٣٠٢	معجزاته
٣٠٣	أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي القرآن ، ووجوه إعجازه
٣٠٨	الكلام على أنشقاق القمر
٣١٠	رجوع الشمس بعد غروبها ، وحبسها
٣١١	نبح الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم
٣١٢	تفجير الماء وأنبعاثه وتكثيره ببركته ودعائه
٣١٤	تكثير الطعام ببركته ودعائه
٣١٨	كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة

صفحة	
٣٢٠	قصة حين الجذع إليه
٣٢١	نطق الجمادات له
٣٢٣	كلام الحيوانات وسكونها إذا رآته صلى الله عليه وسلم
٣٢٧	تسخير الأسد لسفينة مولاة صلى الله عليه وسلم
٣٢٨	كلام الأموات والأطفال له
٣٣٠	إبراء المرضى وذوى العاهات بريقه صلى الله عليه وسلم
٣٣٢	شفاء الجراحات بتقله
٣٣٣	إجابة دعائه... ..
٣٣٥	أنقلاب الأعيان بلمسه ومباشرته
٣٣٧	إخباره بالغيوب... ..
٣٤٢	عصمته من الناس
٣٤٤	ما جمعه الله له من العلوم والمعارف
٣٤٧	التصيدة الشقراطيسية في معجزاته ، وصفاته صلى الله عليه وسلم
٣٥٩	ما أنزل عليه عند اقتراب أجله
٣٦١	استغفاره صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع
٣٦٣	ذكر ابتداء وجهه وأستئذانه نساء أن يعرض في بيت عائشة
٣٦٤	خطبته وأمره بسد الأبواب إلى مسجده إلا باب أبي بكر
٣٦٦	ما قاله في مرضه لأبي بكر
٣٦٧	أمره أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه
٣٧٢	ما آتفق في مرضه ولده
٣٧٣	الكتاب الذى أراد أن يكتبه ثم تركه لما وقع عنده من التنازع
٣٧٤	وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المرض
	ما قاله عمر عند ما كثر اللغط ، والاختلاف في حضرته صلى الله
٣٧٤	عليه وسلم

صفحة	
٣٧٥	ذكر أقوال العلماء في الاعتذار عن عمر
	أختلاف العلماء في معنى الحديث : « أكتب لكم كتابا لا تضلوا
٣٧٦	بعده أبدا »
٣٧٨	ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه
٣٨٠	الدنانير التي قسمها في مرضه الذي مات فيه
٣٨٢	تخيير رسول الله بين الدنيا والآخرة عند الموت
٣٨٣	ما قاله رسول الله عند نزول الموت به
٣٨٣	ذكر وفاته
٣٨٤	وفاته في حجر عائشة
	ما حدث عند وفاته في الناس من شك في وفاته وهلع البعض ،
٣٨٥	وخطبة أبي بكر فيهم
٣٨٨	غسل رسول الله ، وتعزية الخضر عليه السلام فيه
٣٩١	تكفينه
٣٩٢	الصلاة عليه
٣٩٣	قبره ولحده وفرشه ، ومن دخل قبره ، ووقت دفنه ، ومدة حياته
٣٩٥	وقت دفنه ومدة مرضه ، وسنه
٣٩٦	ميراثه وما روى فيه
٣٩٨	ما نال أصحابه من الحزن على فقده
٣٩٩	رثاؤه صلى الله عليه وسلم والقصاص في رثائه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه توفيقى

ذكر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يتصل بذلك

كانت أكثر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة
من الهجرة ؛ ولذلك سُميت سنة الوفود . وذلك أن العرب إنما كانوا ينتظرون
فتح مكة وإسلام هذا الحى من قريش ؛ فلما فتح الله عز وجل على رسوله
صلى الله عليه وسلم مكة — شرفها الله تعالى — وأسلم من أسلم من قريش ، وفدت
عند ذلك وفادات العرب من كل قبيلة وجهة ، ودخلوا في دين الله أفواجا ، كما قال
الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا .
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

وقد رأينا إيراد ذلك على نحو ما أورده أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع
في طبقاته الكبرى ، ونذكر ما أورده ابن سعد ممن ذكرهم أبو محمد عبد الملك
ابن هشام رحمه الله ، إلا أنا نبدا من ذلك بذكر من وفد على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو بمكة قبل هجرته إلى المدينة ، ثم نذكر من وفد عليه صلى الله عليه وسلم
بعد هجرته إلى المدينة وقبل فتح مكة ، نقدّمهم على حسب السابقة ، ثم نذكر من
عدا هؤلاء من الوفود الذين وفدوا في سنة تسع وما بعدها ؛ ترتبهم على ما ترتبهم محمد
ابن سعد في طبقاته في التقديم والتأخير ، ونستثنى منهم من تقدّم ذكره ؛ فنقول
وبالله التوفيق :

ذَكَرَ مَنْ وَقَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهُوَ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ

وَقَدَّ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِمَكَّةَ غِفَارًا ، وَأَزْدُ شَنْوَاءَةَ ، وَهَمْدَانَ ،
وَالطَّفِيلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْمِيَّ ، وَنَصَارَى الْحَبَشَةِ .

ذَكَرَ وَقَدَّ غِفَارًا وَقِصَّةَ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ فِي سَبَبِ إِسْلَامِهِ

رَوَى الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْمُرْتَجَمِ
بِـ «دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ» بِسَنَدِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ ، قَالَ قَالَ أَبُو ذَرِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

خَرَجْنَا عَنْ قَوْمِنَا غِفَارًا ، وَكَانُوا يُجْلُونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أَنَيْسُ
وَأُمَّنَا ، فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا ذِي مَالٍ وَذِي هَيْئَةٍ ، فَأَكْرَمَنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا ،

فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أَنَيْسُ ، قَالَ :

بِخَاءِ خَالِنَا فَنَتَنَا عَلَيْنَا مَا قِيلَ لَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَمَا ماضِي مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَدَّرْتَهُ ، وَلَا جَمَاعَ
لَكَ فِيهَا بَعْدَ . قَالَ : فَفَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا فَأَحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا [وَبِغَطَّى خَالِنَا ثَوْبُهُ بِجَعْلِ يَبْكِي]

وَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ ، فَنَافَرَ أَنَيْسٌ عَن صِرْمَتِنَا وَعَن مِثْلِهَا ، فَأَتَيْنَا الْكَاهِنَ
نَخْبِرُ أَنَيْسًا ، فَأَتَانَا بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا . قَالَ أَبُو ذَرِّ : وَقَدْ صَلَّيْتُ يَا بْنَ أَخِي قَبْلَ

أَنَّ أَلَّقَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثِ سِنِينَ . قَالَ ابْنُ الصَّامِتِ : فَقُلْتُ

لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ . قُلْتُ : فَأَيْنَ تَوَجَّهَ ؟ قَالَ : أَتَوَجَّهَ حَيْثُ وَجَّهَنِي اللَّهُ ؛ أَصَلِّيَ عِشَاءً

(١) فِي الدَّلَائِلِ : « هَيْئَةٌ » . (٢) نَتْنَا عَلَيْنَا : أَيِ أَظْهَرَهُ إِلَيْنَا وَحَدَّثَنَا بِهِ . وَفِي الدَّلَائِلِ :

« فَتَنَّا لَنَا » . (٣) جَمَاعٌ : أَجْتَمَاعٌ . (٤) الصِّرْمَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَخْتَلَفَ فِي عَدْدِهَا ، فَقِيلَ :

حَتَّى مِنَ الْعَشْرَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ . (٥) الزِّيَادَةُ مِنَ الدَّلَائِلِ . (٦) فِي الْأَصْلِ :

« فَفَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا » . وَفِي الطَّبَقَاتِ : « نَخْبِرُ أَنَيْسًا بِمَا هُوَ عَلَيْهِ » . (٧) فِي الدَّلَائِلِ : « يُوَجَّهَنِي » .

حتى إذا كان من آخر الليل أَلْقَيْتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ^(١) - يعني الثوب - حتى تعلقوني الشمس . فقال أنيس : إن لي صاحباً بمكة فَأَكْفِينِي حتى آتيك . فَأَنْطَلِقُ أَنَيْسُ^(٢) حتى أتى مكة فراث على^(٣) ، ثم أتاني فقلت : ما حبسك ؟ قال : لقيت رجلاً بمكة يزعم أن الله أرسله على دينك . قال : قلت ماذا يقول الناس فيه ؟ قال : يقولون إنه شاعرٌ وساحرٌ وكاهنٌ . قال : وكان أنيس أحد الشعراء - وفي رواية عنه : والله ما سمعت بأشعر من أنيس - لقد ناقض آخى عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم . قال فقال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فلم يَلْتَمِمْ^(٤) ، وما يَلْتَمِمْ^(٥) والله على لسان أحد بعدى أنه شعرٌ ، والله إنه لصادقٌ وإنهم لكاذبون . قال : قلت له هل أنت كافي حتى أنطلق فأنظر ؟ فقال : نعم ! وكُنْ من أهل مكة على حذر ، فإنهم قد شَنَقُوا له وتَجَهَّمُوا . فَأَنْطَلَقْتُ حتى قدمت مكة ، فَتَضَعَعْتُ^(٦) رجلاً منهم فقلت : أين هذا الذي تدعونه الصابئ ؟ قال : فأشار إلى الصابئ ! قال علي : أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى حررت مغشياً على^(٧) . قال : فارتفعت حين ارتفعت كأني نُصِبَ^(٨) أحمر ، فأثبت زمزم فمتربت من مائها ، وغسلت عني الدم ، ودخلت بين الكعبة وأستارها ، ولقد لبثت يأبى أنيس ثلاثين من بين ليلة ويوم ومالي طعام إلا ماء زمزم ، فسميت حتى تكسرت عكُنْ بطني ، وما وجدت على كبدي سَخْفَةَ جوع . قال : فبينما أهل مكة في ليلة

(١) الخفاء (بالكسر) : يعني الكساء وكل شيء غطيت به شيئاً فهو خفاء . وقد فسره المؤلف .
 (٢) في الدلائل والعلقات : إن لي حاجة . الخ . (٣) راث : أبياً . (٤) في الدلائل : « على دينه » أي على دين الله . (٥) أقراء الشعر : طريقه وأنواعه . (٦) شنف له كفرح : أبغضه وتكره . وتجهم له : استقبله بغلظة ووجه كزبه . (٧) تضعت : استضعفت .
 (٨) في العلقات : « هذا الصابئ » . (٩) النصب : الصم ؛ والمعنى أنهم ضربوه حتى أدموه فصار كالنصب المحمر بدم الذبائح . (١٠) سخفة الجوع : رفته وهزأه .

- (١) قمرَاءَ إِضْحِيَانٍ ، قد ضرب الله على أَصْحَبَةِ أَهْلِ مَكَّةَ مَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرَ أَمْرٍ أُتِيْنَ وَهُمَا تَدْعَوَانِ إِسَافًا وَنَائِلَةً ، فَاتَتْ عَلِيًّا فِي طَوَافِهِمَا فَقُلْتُ : أَنْكَحَا إِحْدَاهُمَا الْآخْرَى ، فَمَا شَاهَمَا ذَلِكَ عَمَّا قَالَتَا . فَاتَتْ عَلِيًّا فَقُلْتُ : هُنَّ مِثْلُ الْخَشْبَةِ غَيْرَ أَنِّي لَا أَكْتُمُنِي ، فَانْطَلَقْتَا تُوَلُّوَالَيْنِ وَتَقُولَانِ : لَوْ كَانَتْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا ! قَالَ : فَاسْتَقْبِلْهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا هَابِطَانِ مِنَ الْجَبَلِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا لَكِذَا ؟ قَالَتَا : الصَّابِئُ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا . قَالَا : مَا قَالَ لَكِذَا ؟ قَالَتَا : قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمَلَأُ الْقَمَمَ . بَغَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَصَاحِبُهُ [فَاسْتَلِمَ الْحِجْرَ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ] ثُمَّ صَلَّى ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ أَبُو ذَرٍّ : فَأَنْتَيْتَ فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ » ، ثُمَّ قَالَ : « مَنْ أَنْتِ ؟ » قُلْتُ : مِنْ غِفَّارٍ ، قَالَ : فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبِينِي ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : كَرِهَ أَنِّي أَتَيْتُ إِلَى غِفَّارٍ ، قَالَ : فَأَهْوَيْتُ لِأَخْذِ بِيَدِهِ ، فَقَدَعْنِي صَاحِبُهُ وَكَانَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : « مَتَى كُنْتَ هَاهُنَا ؟ » قُلْتُ : مِنْذُ ثَلَاثِينَ مِنْ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ ، قَالَ : « فَمَنْ كَانَ يَطْعَمُكَ ؟ » قُلْتُ : مَا كَانَ لِي مِنْ طَعَامٍ إِلَّا مَاءٌ زَمْرَمٌ ، فَسَمِمْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنُقُ بَطْنِي ، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبْدِي سَخْفَةً جُوعٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهَا مَبَارَكَةٌ ، إِنَّهَا طَعَامٌ طَعِيمٌ ، وَشِفَاءٌ سَقِيمٌ » فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِيْذَنْ لِي فِي إِطْعَامِهِ اللَّيْلَةَ ، فَعَفَلَ ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) إِضْحِيَانٌ : مُضِيَّةٌ مَقْمَرَةٌ . يُقَالُ : لَيْلَةُ إِضْحِيَانٍ وَإِضْحِيَانَةٌ ، بِرِ الْآلِفِ وَالنُّونِ زَائِدَتَانِ .
 (٢) إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ : صَبَانٌ . (٣) فِي الْأَصُولِ : « قَالَا » . وَفِي الطَّبَقَاتِ : « عَنْ قَوْطِمَا » .
 (٤) الزِّيَادَةُ مِنَ الدَّلَائِلِ . (٥) قَدَعْنِي : مَنَعْنِي . وَفِي ابْنِ الْأَثِيرِ فَذَهَبَتْ أَعْيُنُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَقَدَعْنِي بَعْضُ أَصْحَابِهِ . (٦) فِي الدَّلَائِلِ : قَدْ كُنْتُ هَاهُنَا مِنْذُ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَيَوْمٍ .
 (٧) طَعَامٌ طَعِيمٌ : أَيُّ يَشْبَعُ الْإِنْسَانُ إِذَا شَرِبَ مَاءَهَا كَمَا يَشْبَعُ مِنَ الطَّعَامِ .

صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وأنطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابه، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، فكان ذلك أول طعام أكلته بها، قال: ^(١) فغبرت ما غبرت، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني ووجهتُ إلى أرض ذات نخيل لا أحسبها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم»؛ قال: فأطلقت حتى أتيت أخى أُنيساً فقال لي: ما صنعت؟ قلت: أسلمتُ وصدقتُ، قال: فما بي رغبة عن دينك، فإنني قد أسلمت وصدقت. ثم أتينا أُنساً، فقالت: ما بي رغبة عن دينكما، فإنني قد أسلمت وصدقت، قال: ثم آحتملنا حتى أتينا قومنا غفارا، فأسلم نصفهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان يؤمهم خُفأ بن إيماء ابن رَحْصَةَ الغفاري، وكان سيدهم يومئذ، وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامنا؛ فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم بقيتهم؛ وجاءت أسلم، فقالوا: يا رسول الله! إخواننا؛ تُسلم على الذي أسلموا عليه. فأسلموا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله».

وهذه الرواية في خبر إسلام أبي ذر؛ قد روى مسلم في صحيحه نحوها، وهي تخالف رواية البخاري.

وروى البيهقي عن أبي ذر قال: كنت رُبِعَ الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع؛ أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: السلام عليك يا رسول الله، أشهد

(١) غبرت ما غبرت: أي مكثت ما مكثت. (٢) في أسد الغابة: كان أبوه سيد غفار وكان هو إمام بن غفار. وفي الساج: خفاف كغراب، وأبوه إيماء بكسر الهمزة والمد وفتحها والقصر، ورحضة قيل محركة ويقال بالضم ويقال بالفتح. (٣) أي غفار. (٤) ربع: بضم الباء وإسكانها بمعنى رابع.

أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فرأيت الأستبشار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قال لأخيه أنيس : أركب إلى هذا الوادي ، فأعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء ، وأسمع من قوله ، ثم آيتني ، فأنطلق حتى قدم مكة وسمع من قوله ثم رجعت ، فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وسمعت منه كلاما ما هو بالشعر . قال : ما شفيتني فيما أردت ، فترؤد وحمل سنة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد ، فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه الليل ، فأضطجع فرآه علي بن أبي طالب ، فقال : كأن الرجل غريب ، قال : نعم ، قال أنطلق إلى المنزل ، قال : فأنطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أسأله ، فلما أصبحت من الغد رجعت إلى المسجد ، وبقيت يومي حتى أمسيت وصرت إلى مَضَجِي ، فترى علي بن أبي طالب ، فقال : أما آن للزجل أن يعرف منزله ؟ فأقامه وذهب به معه ، وما يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك ، فأقامه علي معه ، ثم قال : ألا تحدثني ما الذي أقدمك هذا البلد ؟ قال : ١٥ إن أعطيتني عهدا وميثاقا لترشدني ففعلت ، ففعلت ، فأخبره علي أنه نبي ، وأن ماجاء به حق ، وأنه رسول الله ، قال : فإذا أصبحت فأتبعني ، فإني إن رأيت شيئا أخاف عليك فئت كأتى أريق الماء ، فإن مضيت فأتبعني حتى تدخل مدخلي ، قال : فأنطلقت أفقوه حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت معه وحييت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله ! فكنت أول من حياه بتحية الإسلام ، فقال : ” وعليك السلام ، من ٢٠

أنت؟“ قالت: رجل من غفار، فعرض على الإسلام، فأسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: “أرجع إلى بلاد قومك، وأخبرهم، وآتكم أمرَك عن أهل مكة، فإني أخشاهم عليك“، فقلت: والذي نفسى بيده لأصرحنَّ بها بين أظهرهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فثأب القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباسُ فأكبَّ عليه وقال: ويلكم! أولستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم! وأنقذه منهم، ثم عاد إلى مثلها، وثأروا إليه فضربوه، فأكب عليه العباسُ فأنقذه، ثم لحق بقومه. وكان هذا أول إسلام أبي ذرٍّ.

ومن رواية الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب قال: قدم أبو ذرٍّ على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأسلم، ثم رجع إلى قومه، فكان يسخر بأهلهم، ثم إنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فلما رآه وهم في آسفه، فقال: «أنت أبو تمّلة»؟ قال: أنا أبو ذرٍّ، قال: «نعم أبو ذرٍّ».

ذكر وفدِ أزدِ شنوءةَ وكيف كان إسلامُ ضِمادٍ

روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - رحمه الله - بسنده إلى سعيد بن جبّير عن ابن عباس رضي الله عنهم، قال: قدم ضِمادُ مكة، وهو رجلٌ من أزدِ شنوءة، وكان يرقى من هذه الرياح، فسمع سُفهاءَ الناس يقولون: إن محمداً

(١) تاب: أى أقبل. ولعلها «ثار» كقوليه بعد «ثاروا». (٢) ثار إلى الشر: نهض. (٣) ضِماد ككتاب ابن ثعلبة الأزدى، قال في أسد الغابة: كان صديقاً للنبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية، وكان يتغلب ويرقى ويطلب العلم، أسلم أول الإسلام. ويروى ضِماد بالميم. (٤) في الدلائل: «فسمع سفهاء من سفهاء الناس».

مجنوناً ، فقال : آتى هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ، قال : فلقيت
 محمداً ، فقلت : إني أرقى من هذه الرياح ، وإن الله يشفى على يدي من يشاء ،
 فهلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من
 يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله » ثلاث مرات ، فقال : تالله لقد سمعت
 قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ،
 فهلم يدك أبايعك على الإسلام ، فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له :
 « وعلى قومك » ؟ فقال : وعلى قومي ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرة
 فتروا بقوم ضماد ، فقال صاحب الجيش للسرية : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟ فقال رجل
 منهم : مطهرة^(١) ، فقال : « ردوها عليهم فإنهم قوم ضماد » . رواه مسلم في صحيحه .
 وروى القاضى عياض بن موسى فى كتابه المترجم بـ (الشفاء) بتعريف حقوق
 المصطفى () : أن ضمادا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أعد على كلماتك هؤلاء
 فلقد بلغن قاموس البحر ، هات يديك أبايعك .^(٢)

ذكر وفد همدان

قال محمد بن سعد رحمه الله تعالى : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدثنا حبان
 ابن هانئ بن مسلم بن قيس بن عمرو بن مالك بن لآي الهمداني ثم الأرحبي^(٣) عن
 أشياخهم ، قالوا : قدم قيس بن مالك بن سعد بن مالك بن لآي الأرحبي على رسول
 (١) المطهرة بالكسر والفتح : إنا يظهره ويتوضأ مثل سطل أوركرة ، والمطهرة الأداة . وزاد
 فى الدلائل : « أصبت منهم » . (٢) قاموس البحر : قعره . (٣) أرحب : بطن
 من همدان . قيس بن مالك كاتبه النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم بعد أن كتب إليه . وكتابه صلى الله عليه
 وسلم إليه مذكور فى أسد الغابة وغيره . (٤) فى نسخة أ : سعد بن سعيد بن مالك ، وفى نسخة
 ج : سعد بن منقذ بن مالك ؛ وليس بصحيح ، وإنما هو سعد بن مالك كما فى ابن سعد وغيره .

الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، فقال: يا رسول الله أتيتك لأؤمن بك وأنصرك؛ فقال له: «مرحبا بك، أتأخذوني بما في يامعشر همدان؟» قال: نعم؛ بأبي أنت وأمي، قال: «فأذهب إلى قومك، فإن فعلوا فأرجع أذهب معك»، نخرج قيس إلى قومه، فأطعموا وأغسلوا في جوف المحسورة^(١) - وهو ماء يغتسلون فيه - وتوجهوا إلى القبلة، ثم خرج بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: قد أسلم قومي وأمروني أن آخذك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم وأفد القوم قيس»، وقال: «وقيت وقى الله بك»، ومسح بناصيته، وكتب عهده على قومه همدان: أحجورها وعربها وخلاتيطها ومواليها أن يسمعوا له ويطيعوا، فإن لهم ذمة الله وذمة رسوله ما أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأطعمتم ثلاثمائة فرق، من خيوان مائتان: زيب وذرة شطران، ومن عمران الجوف مائة فرق بر، جارية أبدا من مال الله.

ومن طريق آخر له قال: عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بالمؤمم على قبائل العرب، فتربه رجل من أرحب يقال له: عبد الله بن قيس بن أم

- (١) كذا في الأصول وفي ابن سعد. وجوف المحسورة: موضع ببلاد همدان، انظر معجم البلدان «جوف». (٢) في الأصول: «خرجوا»، وما أثبتناه عن الطبقات. والمقام يقتضيه. (٣) أحجورها: قدم، وآل ذي مران، وآل ذي لعوة، وأذوا. همدان، كذا في الطبقات. وفي أسد الغابة: حورها (بغير ألف): أهل القرى، من الحجرة سمي أهل القرى بالحجرة لأنهم بيض، والعرب تطلق الأحمر وتريد الأبيض، وعربها أهل البادية. وفيه: وعربهم وحجورهم ومواليهم. وليس فيه خلط، وإن صح قلل النطق خلطها، وهو جمع خليط، وهم أخلط الناس. في الطبقات: «وعربها (بالعين المعجمة) أرحب، ونهس، وشاكر، ووادعة، وريام، ومرهبة، ودالان، وخارف، وعذر، وحجور». (٤) الفرق (بفتحين): مكال؛ يقال إنه يسع ستة عشر وطلا. وخيوان: بلد باليمن. (٥) شطران بالفتح ويكسر أي نصفان. (٦) عمران كميان: قرية من بلاد مراد باليمن بالجوف بها.

غَزَال ، فقال : « هل عند قومك من منعة » ؟ قال : نعم ، فعرض عليه الإسلام ، فأسلم ، ثم إنه خاف أن يُخْفِرَه قومه فوعده الخج من قائل ، ثم وجه الهمداني يريد قومه ، فقتله رجل من بني زُبَيْد يقال له ذُبَاب ، ثم إن فَيْتَةَ من أَرْحَب قتلوا ذُبَابَا الزُّبَيْدِيَّ بعبد الله بن قيس . هذا قبل الهجرة .

- ٥ وأما بعد الهجرة ، فقد روى محمد بن إسحق رحمه الله ، قال : قدم وفدُ هَمْدَانَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم مالك بن تَمَط ، وأبو ثور وهو ذو المِشْعَارِ ، ومالك بن أَيْفَع ، وضمَام بن مالك السَّمَانِي ، وعميرة بن مالك الخارقي ، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّجَعَه من تبوك ، وعليهم مُقَطَّعات الحبرات والعائم العَدْنِيَّة ، برحال المَيْس على المَهْرِيَّة والأَرْحَبِيَّة ، ومالك بن تَمَط ، ورجل آخر يرتيزان بالقوم ، يقول أحدهما :

هَمْدَانُ خَيْرُ سُوقَةٍ وَأَقْبَالٌ * لَيْسَ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ أَمْثَالٌ
مَحَلُّهَا الْهَضْبُ وَمِنْهَا الْأَبْطَالُ * لَهَا إِطَابَاتٌ بِهَا وَأَكَالٌ

- (١) يخفّره قومه : يتقصون عهده وذمامه .
(٢) الحبرات جمع حبرة ، وزان عتبة : ثياب بيضاء من فطن أو كان مخطوط يقال له : برد حبرة على الوصف أو على الإضافة ، والعَدْنِيَّة نسبة إلى عدن .
١٥ (٣) الميس : الشجر الذي يصنع منه الرحال .
(٤) المهرية : نوع من النجائب المنسوبة إلى مهرة ، وهي قبيلة عربية تسكن أعالي اليمن الشمالية .
(٥) والأرحبية نسبة إلى أرحب بطن في همدان ، وانظر المهيبي ٢ : ٣٤٩ .
(٦) الأقبال جمع قبل وهو الملك في لغة أهل اليمن .
(٧) يريد المرتفعات من الأرض واحدا هضبة . (٨) الإطابات : الأطعمة الطيبة ، من أطاب قدم طعاما طيبا ، وفي نسخة ج : الرطابات . وآكال : ما كل الملوك كما في اللسان . وفي شرح السيرة لخشني ٢ : ٤٤٧ : « آكال : هو ما يأخذه الملك من رعيته وظيفته عليهم له » .
٢٠

ويقول الآخر :

إليكَ جَاوَزْنَ سَوَادَ الرَّيْفِ * فِي هَيَوَاتِ الصَّيْفِ وَالْحَرِيفِ
* مَخَطَّاتٍ يَجِبَالِ اللَّيْفِ *

٥
١٦

فقام مالك بن نَمَطٍ بين يديه ، ثم قال : يا رسول الله ! نَصِيْبَةٌ مِنْ هَمْدَانَ مِنْ كُلِّ
حَاضِرٍ وَبَادٍ ، أَتَوَكُّ عَلَى قُلَيْصِ نَوَاجٍ ، مُتَّصِلَةٌ بِجِبَالِ الْإِسْلَامِ ، لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ
لَوْمَةٌ لَأْتُمْ ، مِنْ مَخْلَافِ خَارِيفٍ وَبِأَمِّمْ وَشَاكِرٍ ، أَهْلُ السُّوْدِ وَالْقَوْدِ ، أَجَابُوا دَعْوَةَ
الرَّسُولِ ، وَفَارَقُوا أَهْلَاتِ الْأَنْصَابِ ، عَهْدَهُمْ لَا يُنْقِضُ مَا أَقَامَتْ لَعْلَعٌ ، وَمَا جَرَى
الْبِعْفُورُ بِضَلَعٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نِعِمَّ الْحَيُّ هَمْدَانَ ، مَا أَسْرَعَهَا
إِلَى النَّصْرِ ، وَأَصْبَرَهَا عَلَى الْجُهْدِ ، وَمِنْهُمْ أَبْدَالٌ ، وَفِيهِمْ أَوْلَادُ الْإِسْلَامِ » ، وَكُتِبَ
لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا ، فِيهِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ
مِنْ [مُحَمَّدٍ] رَسُولِ اللَّهِ [مُحَمَّدٍ] مَخْلَافِ خَارِيفٍ وَأَهْلِ جَنْابِ الْمُضَبِّ وَحِقَاقِفِ الرَّمْلِ ، مَعَ

- (١) الهيات جمع هبة وهي الغيرة . (٢) مخططات : مجعول لها خطام من الليف وهو المسد .
وفي هذا الصنف نوع يكون منه الخطام فأنرا وافتخاره يدل على أنه يريد الخطام الفانس من هذا النوع .
(٣) النصبة : الأخبار الأشراف . (٤) الفلص : ككتب جمع فلوص كرسول وهو القتي
من الإبل . ونواج : جمع ناجية وهي السريعة لأنها تجو بصاحبها . (٥) المخلاف : المدينة
بلغة اليمن . وخارف وبام وشاكر من قبائل اليمن . (٦) السود : الإبل . والقود : الخيل .
(٧) لعلع : جبل . يذكر ويؤنث . قال ابن الأثير : أنه لأنه جعله اسما للبقعة حول الجبل .
(٨) البعفور الظبي الذي يشبه لونه التراب أو الظبي مطلقا . والضلع : القوة والشدة . وفي نسخة من
سيرة ابن هشام « بصلع » : اسم موضع . (٩) الأبدال الأولياء . والعباد ، الواحد بدل كعمل
وأحال ؛ سموا بذلك لأنهم كلمات واحد منهم أبدل بالآخر . والأوتاد من البلاد : رؤساؤها .
(١٠) الزيادة من سيرة ابن هشام . (١١) جناب المضب : موضع .
(١٢) الحقاف (بالكسر جمع حقف بالكسر) : الرمل المستطيل المشرف ، ولعل الحديث
الشريف يشير إلى رمال الأحقاف ؛ لأنها بالشجر من اليمن .

٥

١٠

١٥

٢٠

وَأَفْدَهَا ذِي الْمَشْعَارِ مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، عَلَى أَنْ لَمْ يَفْرَاعِهَا ^(١)
 وَيَهَاطِهَا وَعَزَّازَهَا ، يَأْكُلُونَ عَلَاقَهَا ، وَيَرَعُونَ عَاقِبَهَا ، لَنَا مِنْهُمْ مَنْ دَفَنَهُمْ ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥)
 مَا سَمَّوْا بِالْمِيثَاقِ وَالْأَمَانَةِ ، وَلَمْ مِنْ الصَّدَقَةِ الشَّلْبِ وَالنَّابِ وَالْفَيْصِيلِ وَالْفَارِضِ
 وَالْدَاجِنِ وَالْكَبِشِ الْحَوْرِيِّ ، وَعَلَيْهِمْ فِيهَا الصَّالِغُ وَالْقَارِحُ ، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
 الزَّكَاةَ ، لَمْ بِذَلِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَذِمَامَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَشَاهَدَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ
 وَالْأَنْصَارُ .

- (١) الفراع من الأرض أعاليها . (٢) الوهاط من الأرض المنخفض المظلمين .
 (٣) عزاز الأرض : ما صلب منها وعشن وأشتد وإنما يكون في أطرافها . ويقال العزاز المكان
 الصلب السريع السيل . (٤) العلاف : ما تعلقه الدواب . وهو جمع علف بفتحين .
 (٥) عاقبها : الثبات الكثير . وفي نسخة ج : عفاها أي عفوها ، والعفو ما ليس لأجد فيه ملك .
 (٦) من دفنهم : أي من إيلهم وغنمهم . والدف : نتاج الإبل وما ينفع به منها ، سماها دفنا لأنها
 يتخذ من أربازها وأصوافها ما يستدفا به . (٧) الصرام : قطع النخل ، يقال هذا أوان صرامها
 أي جزها ، والمراد زكاة التمر . (٨) الطب بكسر المثلثة : الجمل الذي تكسرت أنيابه من الهرم ،
 والناب : الهرمة من الإناث . (٩) الفصيل : الصغير من الإبل الذي فصل عن أمه ، وقد يقال
 في البقر . (١٠) الفاراض : المسن الهرم . (١١) الداجن : هي الحلوبة الملازمة للإنسان ؛
 من دجن أقام بالمكان ، وصمى ما يألف الإنسان من شاء وطير وغيره دواجن . (١٢) الكبش
 الحورى : قال ابن الأثير منسوب إلى الحور وهي جلود تتخذ من جلود الضأن . (١٣) الصالغ بالصاد
 المهملة آخرها معجمة ، وهو من البقر والغنم الذي كل سته ، وذلك في السنة السادسة . كذا في النهاية .
 وفي نسخة : الضالع ، وهو تحريف وعلق عليه محش بأنه المسن . (١٤) القارح من الخيل هو الذي دخل
 في السنة الخامسة . (١٥) أورد ابن هشام في سيرته أبياتا قالها مالك بن نمط في مدح رسول الله وهي :
- | | |
|------------------------------|--------------------------------|
| ذكرت رسول الله في خيمة الدجى | ونحن بأعلى رحاحات وصلد |
| وهن بنا خوص طلائع تفتلى | بركبانها في لاحب تمتد |
| على كل فتلاء الذراعين جمرة | تمز بشا مر الهجف الخفيد |
| حلقت برب الرافصات إلى منى | صوادر بالركبان من هضب قردد |
| بأن رسول الله فينا مصدق | رسول أتى من عند ذي العرش مهتدى |
| فاحلت من ناقسة فوق رحلها | أشدت على أعدائه من محمد |
| وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه | وأعضى بحمسة المشرق المهند |

ذكر وفادة الطفيل بن عمرو الدوسي وإسلامه

قال محمد بن إسحق رحمه الله تعالى : كان الطفيل بن عمرو الدوسي يُحدِّث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش — وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا — فقالوا له : يا طفيل ! إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا ، قد فترق بين جماعتنا ، وشئت أمرنا ، وإنما قوله كالتسخر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنما تحشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمه ، ولا تسمع من شئنا . قال الطفيل : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت على ألا أسمع منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمع^(٣) ! قال : فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة ، فقممت منه قريبا ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله ، فسمعت كلاما حسنا ، فقلت في نفسي : وانكل أمي ، والله إنني لرجل لبيب شاعر ، وما يخفى على الحسن من القبيح ، فما ينعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته ، قال : فكشيت حتى آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، فأتبعته حتى إذا دخل بيته [دخلت عليه^(٤)] فقلت : يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا — للذي قالوا — فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف^(١) ألا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولك ، فسمعت قولاً حسناً ، فأعرض على أمرك . قال :

(١) كرسفا : أي قطنا . (٢) فرقا : أي خوفا . (٣) في ابن سعد : « حتى كان يقال لي ذوالقطنتين » . (٤) الزيادة من سيرة ابن هشام .

- فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، وتلا على القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه ، فأسلمت ، وشهدت شهادة الحق ، فقلت : يا نبي الله ! إني أمرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم فداعيتهم إلى الإسلام ، فأدع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه .
- ٥ فقال : « اللهم اجعل له آية » ، فخرجت إلى قومي ، حتى إذا كنت بثنية تطلعي على الحاضر وقع نورٌ بين عيني مثل المصباح ؛ قلت : اللهم في غير وجهي ! إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم ، قال : فتحول النور فوقع في رأس سوطي ، فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق ، وأنا أهبط إليهم من الثنية حتى جثتهم ، فأصبحت فيهم ، قال : فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً ، فقلت : إليك عني يا أبت ، فلست منك ولست مني ، قال : لم يا بني ؟ قلت : أسلمت وتابعت دين عهد ، قال : أي بني ! فديني دينك ، قلت : فأذهب وأغتسل ، وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك مما علمت ، فذهب فأغتسل وطهر ثيابه ثم جاء ، فعرضت عليه الإسلام فأسلم ، ثم أتتني صاحبتني ، فقلت : إليك عني فلست منك ولست مني ، قالت : لم ؟ بأبي أنت وأمي ! قلت : فترق بيني وبينك الإسلام ، وتابعت دين عهد عليه السلام . قالت : فديني دينك ، قلت : فأذهبي إلى حنّاذي الشري (٢) — قال ابن هشام : ويقال حمي ذى الشري — فتطهري منه .

٦
١٦

(١) الحاضر والحاضرة : الحمى العظم .

(٢) في ابن سعد : فأذهبي إلى حمي ذى الشري بكسر الحاء وإسكان السين . وهو مهسل من الأرض يستقع فيه الماء . والحمي : ماء حموه للصنم ، ولعل الحنا هو الحمي بإبدال الميم نوناً أو من محبة الوادي .

٢٠

قال : وكان ذو الشَّرى صنما لدَّوس ، وكان الحنَّاسي حمَّوه له ، وبه وشلَّ
من ماء يهبط من جبل ، [قال] فقالت : بأبي أنت وأمي ، أنتخشي على الصبية^(١)
من ذى الشَّرى شيئا ؟ قلت : [لا ، أنا ضامن لك]^(٢) ، قال : فذهبت فأغتسلت ،
ثم جاءت ، فعرضتُ عليها الإسلام فأسلمت ، ثم دعوتُ دوسا إلى الإسلام
فأبطلوا عليّ ، ثم جئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقلت له : يا نبيّ
الله ! إنه قد غلبني على دوس الزُّنى^(٣) ، فادعُ الله عليهم ، فقال : « اللهمَّ أهدِ دوسا ،
أرجع إلى قومك فأدعهم وأرفق بهم » ، قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوهم
إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم أسلموا
بعد ذلك ، ووقدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما نذكر ذلك —
إن شاء الله تعالى — فيعن وفد بعد الهجرة .

ذكر وفد نصارى الحبشة على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وإسلامهم

قال محمد بن إسحق : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون
رجلا أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه
في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه ، وسألوه — ورجالٌ من قريش في أنديةهم حول
الكعبة — فلما فرغوا من مسألته صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الله ، وتلا عليهم
القرآن ، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله تعالى وآمنوا به

(١) تريد زوجة الطفيل بهذا نفسها . وفي أسد الغابة : « أيجاف عليّ من ذى الشرى » ؟

(٢) الزيادة من سيرة ابن هشام . وفي الأصول : « لا ما أصابك » . ثم بياض .

(٣) في الطبقات : قد غلبني دوس فادع الله عليهم . ويروى أنه قال : إن دوسا قد غلب عليا

الزنى والزبا الخ .

- وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يُوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلمّا قاموا عنه
 اعتراضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب !
 بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن
 مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم ، وصدقتموه بما قال ، ما نعلم ركباً أحقّ منكم !
 فقالوا لهم : سلامٌ عليكم لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أتم عليه ، لم نأل أنفسنا
 خيراً . ويقال : إن النفر من أهل نجران . والله أعلم . فيقال فيهم أنزل الله قوله :
 « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْكِتَابِ إِذْ آتَاهُ اللَّهُ الْحَقَّ
 مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ » . إلى قوله : « لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ
 عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ^(١) » : وقيل : إنما نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه ،
 والآيات التي في سورة « المائدة » قوله تعالى : « ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ مِنْهُمْ قِسْيَسِينَ وَرُهْبَانًا
 وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » . إلى « الشَّاهِدِينَ ^(٢) » ، وكان ممن وفد على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهو بمكة الأوس والخزرج ، وقد تقدم ذكرهم في بيعة العقبة .

ذكر من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعد الهجرة وقبل الفتح

- ١٥ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقبل فتح مكة : عبيد بن
 سعد العسيرة ، وجهينة ، ومزينة ، وسعد بن بكر ، وأشجع ، وخشبن ، والأشعر ،
 وسلم ، ودوس ، وأسلم ، وجذام .

٧
١٦

(١) آيات ٥٢ - ٥٥ من سورة القصص .

(٢) آيات ٨٢ - ٨٣ من هذه السورة .

ذكر وفد عبس

قال محمد بن سعد : وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة رهط من بني عبس فكانوا من المهاجرين الأولين ، منهم ميسرة بن مسروق ، والحارث بن الربيع — وهو الكامل — وقنسان بن داريم ، وبشر بن الحارث بن عبادة ، وهدم بن مسعدة ، وسباع بن زيد ، وأبو الحصن بن لقمان ، وعبد الله بن مالك ، وقروة بن الحصين بن فضالة فأسلموا ؛ فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال : « أبغوني رجلا يعيشركم أعقد لكم لواءً » فدخل طلحة بن عبيد الله فعقد لهم لواء ، وجعل شعارهم : يا عشرة .

وقال من طريق آخر : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيرا لقريش أقبلت من الشام [فبعث ^(٤)] بنى عبس في سرية وعقد لهم لواء ، فقالوا : يا رسول الله ! كيف نقسم غنيمة إن أصبناها ونحن تسعة ؟ قال : « أنا عاشركم » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قدم ثلاثة نفر من بني عبس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنه قدم علينا قوم فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ، ولنا أموال ومواشي هي معاشنا ، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آتقوا الله حيث كنتم ، فإن يأتكم من أعمالكم شيئا ، ولو كنتم بصمداً وجزان ^(٦) » .

- (١) نسخة ج : « مبشر » والتصويب من الطبقات . (٢) في أسد الغابة : « قنان بنون مكررة » ، قال : أحد التسعة العيسيين . (٣) في أسد الغابة : « هدم بكسر الحاء وسكون الدال » هو هدم بن مسعود ، ثم قال : أحد التسعة الخ وفي ابن سعد : ابن مسعدة كالأصل .
 (٤) الزيادة من ابن سعد بنسخة أ بياض . (٥) في ابن سعد : « قراؤنا » .
 (٦) الصمد ، يسكون الميم : اسم ماء للضباب ، وفي اللسان للرباب .
 (٧) جزان : موضع في طريق حاج صنعاء .

ذكر وفد سعد العشيرة

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي قال : لما سمعت سعد العشيرة بخروج النبي صلى الله عليه وسلم وثب ذباب - رجل من بني أنس الله بن سعد العشيرة - إلى صنم يقال له قزاص فخطمه ، ثم وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وقال :

تَبِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى * وَخَلَفْتُ قَزَاصًا يَدَارِ هَوَانِ
شَدَدْتُ عَلَيْهِ شِدَّةً فَتَرَكْتُهُ * كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَالذَّهْرُ ذُو حَدَثَانِ^(١)
فَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ * أَجَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ دَعَانِي^(٢)
فَأَصْبَحْتُ لِلْإِسْلَامِ مَا عِشْتُ نَاصِرًا * وَالْقَيْتُ فِيهَا كَلْكَلِي وَجِرَانِي
فَمَنْ مُبْلِغٌ سَعْدَ الْعَشِيرَةِ أَنْبِي * شَرِيتُ الَّذِي يَبْقَى بَأَحْرَ فَانِي

ذكر وفد جهينة

قال ابن سعد : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وفد إليه عبد العزى بن بدر بن زيد بن معاوية الجهني ، ومعه أخوه لأمه أبو روعة وهو ابن عم له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد العزى : « أنت عبد الله » وقال لأبي روعة : « أنت رعت العسد وإن شاء الله » وقال : « من أتم » ؟ قالوا : بنو غيان ، قال : « أتم بنو رُشدان » وكان اسم واديهم غوى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم رُشدا ، وقال بلحلي جهينة الأشعر والأجرد : « هما من جبال الجنة

(١) حدثان الدهر (محرمة) وحوادثه : نوابه وما يحدث منه .

(٢) الكلكل : الصدر والجيران بطن العنق من ثغرة النحر إلى منتهى العنق في الرأس ، فإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قبل ألقى جرانه على الأرض واستعير للإنسان إذا استقر . والضمير في « فيها » لدار الإسلام المستفاد من المقام ، أو المدينة المنورة .

لا تطؤهما فتنة» ، وخط لهم مسجدهم ، وهو أول مسجد خط بالمدينة ، وجاء من
 جهينة عمرو بن مرة الجهني . روى عنه محمد بن سعد بسنده إليه قال : كان لنا
 صنم ، وكنا نعظمه ، وكنت سادته ، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم
 كسرته ، وخرجت حتى أقدم المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقدمت فأسلمت
 وشهدت شهادة الحق ، وآمنت بما جاء به من حلال وحرام ، فذلك حين أقول :

شَهِدْتُ بَأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَنِّي * لِأَلِهَةِ الْأَعْجَارِ أَوْلَى تَارِكِ
 وَشَمَّرْتُ عَنْ سَائِي الْإِزَارِ مَهَاجِرًا * إِلَيْكَ أَجُوبُ الْوَعْتِ بَعْدَ الدَّكَادِكِ
 لِأَصْحَبِ خَيْرِ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا * رَسُولُ مَلِكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ

قال : فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام ،
 فأجابوه إلا رجلا واحدا رد عليه قوله ، فدعا عليه عمرو بن مرة فسقط فوه ، فما
 كان يقدر على الكلام ، وعمى وأحتاج .

ذكر وفد مزينة

وهذا الوفد هو أول ما بدأ به محمد بن سعد من الوفود في طبقاته ، فقال : كان
 أول من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضر أربعمائة من مزينة^(١) ، وذلك
 في شهر رجب سنة خمس ، فجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة في دارهم
 وقال : « أتم مهاجرون حيث كنتم فأرجعوا إلى أموالكم » فرجعوا إلى بلادهم .
 وقال محمد بن سعد بسند يرفعه إلى أبي مسكين ، وأبي عبد الرحمن العجلاني ،

(١) أجوب : أقطع . الوعت : الطريق العسر . الدكادك (جمع دكدك) : وهو ما تكبس من الرمل
 واستوى أو التبد منه بالأرض ، أو أرض فيها غلظ . (٢) الحبايك (جمع حبيكة) : وهي طراتق
 النجوم ؛ أراد فوق السموات . (٣) مزينة : اسم امرأة عمرو بن أذ بن طابجة ، فذريتها منه يقال
 لهم مزينة والمزنيون . (٤) العجلاني (بالفتح والسكون) : نسبة إلى بني العجلان ، بطن من الأنصار .

٨
 ١٦

١٠

١٥

٢٠

قالا : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَرٌ مِنْ مَزِينَةَ ، مِنْهُمْ خُرَاعِيٌّ بَنُ عَبْدِ
 نَهْمٍ فَبَايَعَهُ عَلَى قَوْمِهِ مَزِينَةَ ، وَقَدِمَ مَعَهُ عَشْرَةٌ مِنْهُمْ ، فِيهِمْ بِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَالتَّعْمَانُ
 أَبُو مَقْرَنٍ ، ثُمَّ نَحَرَاجَ إِلَى قَوْمِهِ فَلَمْ يَجِدْهُمْ كَمَا ظَنَّ فَأَقَامَ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَنَ بْنَ نَائِبٍ ، فَقَالَ : « أَذْكَرُ خُرَاعِيًّا وَلَا تَهْجِهْ » فَقَالَ حَسَنٌ :

أَلَا أْبْلِغُ خُرَاعِيًّا رَسُولًا * بَانَ الذَّمُّ يَغْسِلُهُ الْوَفَاءُ
 وَأَنْتَ خَيْرُ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو * وَأَسْنَاهَا إِذَا ذُكِرَ السَّنَاءُ
 وَبَايَعْتَ الرَّسُولَ وَكَانَ خَيْرًا * إِلَى خَيْرٍ وَأَدَاكَ الثَّنَاءُ^(٣)
 فَمَا يُعْجِزُكَ أَوْ مَا لَا يُطِيقُهُ * مِنْ الْأَشْيَاءِ لَا تَعِجْزُ عِدَاءُ

قال : و«عِدَاءُ» بَطْنُهُ الَّذِي هُوَ مِنْهُ . فَقَامَ خُرَاعِيٌّ فَقَالَ : يَا قَوْمُ ! قَدْ حَصَّكُمْ شَاعِرُ
 الرَّجُلِ ، فَأَنْشُدْكُمْ اللَّهَ . قَالُوا : فَإِنَّا لَا نَنْبُو عَلَيْكَ ؛ فَأَسْلَمُوا وَوَفَدُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَاءَ مَزِينَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ
 إِلَى خُرَاعِيٍّ ، وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ أَلْفَ رَجُلٍ .

ذَكَرَ وَقَدْ سَعَدَ بَنُ بَكْرٍ

قال محمد بن إسحاق : بعثت بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 رجلا منهم يقال له ضمام بن ثعلبة^(٦) — قال ابن سعد : في شهر رجب سنة خمس —^(٧)

(١) نهم (بالضم) : صنم لمزينة ، وبه سموا عبدينهم . (٢) التعمان بن مقرن بن عائذ
 المزني ، كان معه لواء مزينة يوم فتح مكة ، وأستشهد في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢١ هـ .
 (٣) أدى الشيء : كثر ، وآداه ماله كثر حتى ثقل عليه . وفي طبقات ابن سعد طبع ليدن «التراء»
 بدل «الثناء» . وفي الأصول والطبقات : « وأذاك » همزة وتشديد الهمزة .
 (٤) يقال : نشدتك الله ، وأنشدك الله وبالله ونأشدتك الله وبالله أي سألتك وأقسمت عليك .
 (٥) لا ننبو عليك : أي لا نمتنع عما تريد منا . (٦) ضمام (بمعجمة مكسورة ، وخفة الميم
 الأولى المفتوحة) : هو من أهل نجد كما في الموصل . (٧) قال شارح المواهب : « كان ذلك
 في سنة تسع على الصواب خلافا لما زعم الواقدي أنه سنة خمس » .

قال ابن إسحق بسنده إلى ابن عباس: فقدم وأناخ بغيره على باب المسجد ثم عقله^(١)، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه. قال: وكان ضمَام رجلاً جليداً أشعر^(٢) ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه، فقال أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا ابن عبد المطلب». قال: أمجد؟ قال: «نعم». قال: يا ابن عبد المطلب! إني سائلك ومغلفٌ عليك في المسئلة، فلا تجِد في نفسك. قال: «لا أجد في نفسي، فأسال عما بدا لك». قال: أنتُشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، الله بعثك إلينا رسولا؟ قال: «اللهم نعم». قال: فأنتُشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، الله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده، لا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال: «اللهم نعم». قال: فأنتُشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، الله أمرك أن نُصلي هذه الصلاة الخمس؟ قال: «نعم». قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة، والصيام، والحج وشرائع الإسلام كلها، ينشده عن كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وسأؤدّي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص. ثم أنصرف إلى بغيره راجعاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن صدق ذو العقبين دخل الجنة»^(٤)

(١) عقل البعير: شد على ساقه جبلاً بعد شئ ركبته.

(٢) جليداً: صلباً شديداً، والغديرة: الذؤابة من الشعر المصفور، وأشعر: كثير الشعر طوله.

(٣) في ابن إسحق طبع أوربا «تجدن» وفي غيرها «فلا تحدث تشابها علي».

(٤) العقبان: الضفيران من الشعر، وهما الغديرتان.

قال : فأتى بعيره فأطلق عقَّالَه ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به : **يُنْسَتُ اللَّاتُ وَالْعُزَّى !** فقالوا : **مَهْ يَا ضِمَامُ !** أتق البرص ، أتق الجذام ، أتق الجنون ! قال : **وَيْلَكُمْ !** إنهما والله لا ينفعان ولا يضران ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا ، **فَأَسْتَنْقِذُكُمْ** ^(١) به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، ونهاكم عنه ، قال : **فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضريره رجلٌ** ^(٢) **أو امرأةٌ إلا مسلما .**

قال : يقول عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — **فما سمعنا بؤا فؤاد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .**

١٠ ذكر وفد أشجع

قال : **وَقَدِمْتُ أَشْجَعًا** ^(٣) على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق ، وعام الخندق سنة خمس من الهجرة ، وهم مائة ، رأسهم مسعود بن ربيعة ^(٤) بن نؤيرة ابن طريف ، فزلوا شعب سلع ، **فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم بأحمال التمر ، فقالوا : يا محمد !** لانعلم أحدا من قومنا أقرب دارا منك منا ، ولا أقل عددا ، **وقد ضيقنا بحربك وبحرب قومك ، فبخنا نؤادعك ، فوادعهم .** ^(٥) **ويقال : بل قدمت أشجع بعبد مافرع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني قريظة ، وهم سبعمائة فوادعهم . ثم أسلموا بعد ذلك .**

(١) في ابن إسحق : « استنقذكم » . (٢) الحاضر : الحى . (٣) في الطبقات : قالوا . (٤) في ابن هشام وعقد الجمان : « مسعر » والصواب ما في الأصول كما في الطبرى والاستيعاب والإصابة وغيرها . (٥) سلع : جبيل بضاحية المدينة — على ما كتبها أفضل الصلاة والسلام — قريب من أحد . والشعب ، بالكسر : الطريق في الجبل .

ذِكْرُ وَفْدِ خُشَيْنَ

قال أبو عبد الله محمد بن سعد : قَدِمَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَيْنِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَّجِرُ إِلَى خَيْبَرَ ، فَاسْتَلَمَ وَنَحَرَ جِ مَعَهُ فَشَهِدَ خَيْبَرَ ، ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ سَبْعَةَ نَفَرٍ مِنْ خُشَيْنَ فَتَزَلُّوا عَلَى أَبِي ثَعْلَبَةَ ، فَاسْتَلَمُوا وَبَايَعُوا وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ .

ذِكْرُ وَفْدِ الْأَشْعَرِيِّينَ

قالوا : وَقَدِمَ الْأَشْعَرِيُّونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ نَحْسُونَ رِجَالًا مِنْهُمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، وَمَعَهُمْ رِجَالَانِ مِنْ عَكَّ . وَقَدِمُوا فِي سَفَرٍ فِي الْبَحْرِ ، وَنَحَرُوا بِجُدَّةَ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ جَعَلُوا يَقُولُونَ :
غَدًا نَلْقَى الْأَجْبَةَ • مُجَمَّدًا وَحِزْبَهُ

ثُمَّ قَدِمُوا فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرِهِ بِخَيْبَرَ ، فَلَقَوْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعُوهُ وَأَسَامُوا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْأَشْعَرِيُّونَ فِي النَّاسِ كَصُرَّةٍ فِيهَا مِسْكٌ » .^(٢)

ذِكْرُ وَفْدِ سُلَيْمِ

قالوا : وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، يُقَالُ لَهُ قَيْسٌ ابْنُ سُلَيْمِيَّةَ ، فَسَمِعَ كَلَامَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ فَأَجَابَهُ ، وَوَعَى ذَلِكَ كَلْمَهُ ، وَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ

(١) الْأَشْعَرِيُّونَ : قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ بِالْبَحْرِ ؛ نَسَبُوا إِلَى جَدِّهِمْ أَشْعَرَ بْنِ سَيَابِ بْنِ يَشْجَبَ بْنِ يَعْزَبَ بْنِ خَطَّانَ . وَيُقَالُ : الْأَشْعَرِيُّونَ وَالْأَشْعَرِيُّونَ كَمَا يُقَالُ قَوْمٌ بَيِّنُونَ . وَأَبُو مُوسَى : اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ ، وَانْخَلَفَ فِي وَاقْتِ وَفَاتِهِ قَبِيلَ سَنَةِ ٤٢ هـ وَقَبِيلَ سَنَةِ ٤٤ هـ وَقَبِيلَ غَيْرِ ذَلِكَ . ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّهُ قَدِمَ مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْأَرْضِ الْحَبَشَةِ . (٢) الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى تَفْضِيلِ أَهْلِ الْبَيْتِ لِرُقَّةِ قُلُوبِهِمْ ، وَإِنَّ أَقْنَدَتِهِمْ ، كَمَا وَرَدَ فِي أَحَادِيثٍ أُخْرَى . (٣) وَقِيلَ : « قَيْسُ بْنُ نَشْبَةَ » .

صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فأسلم ورجع إلى قومه، فقال: قد سمعت برجة الروم،^(١)
وهينمة فارس، وأشعار العرب، وكهانة الكاهن، وكلام مقاول حمير، فما يشبه كلام^(٢)
عبد شيثا من كلامهم، فأطيعوني وخذوا بنصيبيكم منه. فلما كان عام الفتح خرجت^(٣)
بنو سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقوه بقديد وهم سبعمائة. ويقال:
كانوا ألفا. وفيهم العباس بن مرداس السلمي، وأنس بن عباس بن رعل،^(٤)
وراشد بن عبد ربه، فأسلموا وقالوا: آجعلننا في مقدمتك، وأجعل لواءنا أحمر،
وشعارنا مقدم، ففعل ذلك بهم. وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم راشدا^(٥)
رهاطا وفيها عين يقال لها عين الرسول. قال: وكان راشدا يسدن صمنا لبني سليم،^(٦)
فرأى يوما ثعلبين يبولان عليه، فقال:

١٠
١٦

١٠ أَرَبُّ يَبُولُ الثَّعْلَبَانَ بِرَأْسِهِ * لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

ثم شد عليه فكسره. وأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: «ما أسمك؟»
قال: غاوى بن عبد العزى، فقال: «أنت راشد بن عبد ربه» فأسلم وحسن
إسلامه وشهد الفتح. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير بنى سليم راشد»
وعقد له على قومه.

- ١٥ (١) البرجة: غلط الكلام؛ والمراد هنا رطانتهم وبلادهم. وفي أ، والبداية: «برجة».
(٢) الهينمة: الكلام الخفى لا يفهم.
(٣) قديد: اسم موضع قرب مكة.
(٤) في أسد الغابة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «ما أسمك؟» قال: «غاوى بن
ظالم» فقال: «أنت راشد بن عبد الله».
٢٠ (٥) في البداية لابن كثير طبع السلفية: «مقدما».
(٦) رهاط كغراب: موضع على بعد ثلاث ليال من مكة.
(٧) يسدن: يخدم.

وروى محمد بن سعد أيضا ، عن هشام بن محمد ، قال حدثني رجل من بني
سليم من بني الشريد ، قال : وقد رجل منا يقال له قدد بن عمارة على النبي صلى الله
عليه وسلم ، وعاهده على أن يأتيه بألف من قومه على الخيل ، وأنشأ يقول :

شَدَدت يَمِينِي إِذْ آتَيْتُ مُحَمَّدًا * يُخَيِّرُ يَدَ شَدَدتْ مُحِبَّةً مِثْرًا
وَذَلِكَ أَمْرٌ قَامَتْهُ نِصْفَ دِينِهِ * وَأَعْطَيْتُهُ كَفَّ أَمْرِي غَيْرَ أَعْمَرَ

ثم أتى قومه فأخبرهم الخبر ، فخرج معه تسعمائة ، وخلف في الحى مائة ، وأقبل
يريد النبي صلى الله عليه وسلم فترل به الموت ، فأوصى إلى ثلاثة رهط من قومه ؛
وهم : عباس بن مرداس وأمره على ثلثائة ، وجبار بن الحكم وأمره على ثلثائة ،
والأخنس بن يزيد وأمره على ثلثائة . وقال : آتوا هذا الرجل حتى تقضوا العهد
الذى فى عنقى ثم مات ، فمضوا حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال : « أين الرجل الحسن الوجه ، الطويل اللسان ، الصادق الأيمان » ؟

قالوا : يا رسول الله ! دعاه الله فأجابه ، وأخبروه خبره ، فقال : « أين تكلمة
الألف الذين عاهدنى عليهم » ؟ . قالوا : خلف مائة فى الحى مخافة حرب كان
بيننا وبين بنى كنانة ، قال : « أبعثوا إليها فإنه لا يأتيكم فى عامكم هذا شئ
تكروهونه » . فبعثوا إليها فأتته بالهدية وعليها المنقع بن مالك بن أمية ، فشهدوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح وحنين . ولانقع يقول العباس بن مرداس :
القائِدُ المائَةِ التى وَفَّى بها * تَسْعُ المِئِينَ فَمَّ أَلْفُ أقرع

(١) فى الإصابة : قدد (بدالين) بوزن عمر ، ويقال آخره راه ، ويقال : قدد (بفتح نون ونون) .

(٢) كذا فى الأصول والإصابة ، وفى الطبقات : « ألف » بدل « كف » . وبعد البيتين :

وإن أمراً فارقته عند يرب * تحسیر نصيح من معد وجبر

(٣) الحرب ، مؤنثة وقد تذكر ؛ إذا أريد بها القتال . (٤) الهدية : موضع بين مكة

والطائف . (٥) كذا فى ج . ومثله فى الإصابة وأسد الغابة والطبقات وشرح القاموس ،

وفى أ : « المنقع » . (٦) ألف أقرع : أى تام . يقال : سقت إليك ألفا أقرع من الخيل

وغيرها أى تاما ، وهو نعت لكل ألف . (اللسان مادة قرع) .

وحكى أبو عمرو بن عبد البر في ترجمة خنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية
الشاعرة - وأسمها ثماضر بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن ثعلبة بن عصبية بن
خفاف بن أمري القيس بن بهثة بن سليم - أنها قدمت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم . قال : فذكروا أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يستنشدها ، ويعجبه شعرها ، فكانت تنشده ، وهو يقول :
« هيه يا خنيس » ^(١) ويومئ بيده . وشهدت الخنساء القادسية مع بنينا الأربعة .
وسند ذكر إن شاء الله خبرها معهم يوم القادسية ، ووصيتها لهم في الحرب في خلافة
عمر بن الخطاب ، عند ذكرنا لفتح القادسية .

ذكر وفد دوس ^(٢)

قالوا : لما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي - كما تقدم - دعا قومه فأسلموا ،
وقدم معه منهم المدينة سبعون أو ثمانون أهل بيت . وفيهم أبو هريرة وعبد الله
ابن أزيير الدوسي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، فساروا إليه فلقوه
هناك ، فيقال : إنه قسم لهم من غنائم خيبر ، ثم قدموا معه المدينة . فقال الطفيل
ابن عمرو : يا رسول الله ! لا تفرق بيني وبين قومي ، فأنزلهم حرة الدجاج ، فقال
أبو هريرة حين نخرج من دار قومه :

(١) هيه : بكسر الهاء الثانية والفتح في موضع « إيه » فأبدل من الهمزة هاء . و « إيه » اسم سمى
به الفعل ومعناه الأمر ؛ فقبول الرجل « إيه » بغير تنوين إذا استردته من الحديث المعهود بينكما ،
فإن نوت استردته من حديث ما .

(٢) الإيما : الإشارة بالأعضاء .

(٣) دوس : قبيلة أبي هريرة ، ينسبون إلى جدهم دوس بن عدنان بن عبد الله ، يتبعون نسبهم
إلى الأزدي . فدوس مصروف لأنه في الأصل علم للمذكر . (المواهب) .
(٤) كذا في الأصول والعلقات ، ولم تقف على أسم هذه الحرة فيما لدينا من مراجع .

يا طوطها من ليلته وعنائها * على أنها من بلدة الكفر نجت
وقال عبد الله بن أزيهر: يا رسول الله! إن لي في قومي سلطة ومكانا فأجعلني
عليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أخا دوس، إن الإسلام بدأ
غريباً، وسيعود غريباً، فمن صدق الله نجا، ومن آل إلى غير ذلك هلك.
إن أعظم قومك ثواباً أعظمهم صدقاً، ويوشك الحق أن يغلب الباطل».

وروى أبو عمر بسنده إلى محمد بن سيرين أنه قال: بلغني أن دوساً إنتما
أسلمت فرقا من قول كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي:

قضينا من تهامة كل ونير * وخيبر ثم أعمدنا السيوفاً^(٢)
تخيرها ولو نطقت لقات * قواطعهن: دوساً أو ثقيفاً
[فقات دوس: أنطلقوا نخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف]^(٣).

ذكر وفد أسلم

قالوا: قديم حمير بن أفصى في عصابة من أسلم، فقالوا: لقد آمننا بالله
ورسوله، وآتبعنا من هاجك، فأجعل لنا عندك منزلة، تعرف العرب فضيلتنا،
فإننا إخوة الأنصار، ولك علينا الوفاء، والنصر في الشدة والرخاء، فقال رسول

(١) في الأصول: «أنه» وما أثبتناه عن البخاري والطبقات، والبيت هكذا روى.
وتعقبه الكرمانى بأنه لابد من إثبات فاه أو واو في أوله ليصير موزوناً، وتعقب بأن هذا في العروض
يسمى الخرم. ويروي البيت أيضاً:

يا ليلته من طوطها وعنائها * على أنها من دارة الكفر نجت
(٢) تهامة: ما أنخفض من أرض الحجاز. في سيرة ابن هشام طبع أوربا: «كل ريب».
والوتر: الثار. تخيرها: نعلها الخيرة، والضمير للسيوف؛ أي ولو نطقت السيوف لأختارت حرب
دوس أو ثقيف. ويروي «أجمنا» بدل «أعمدنا» والمعنى أرحنا.
(٣) ما بين القوسين ساقط من أ.

الله صلى الله عليه وسلم : « أَسْلَمَ سَالِمَهَا اللهُ ، وَغَفَارَ غَفَرُ اللهُ لَهَا » . وكتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم لِأَسْلَمَ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ مَنْ يَسْكُنُ السَّيْفِ^(١)
وَأَسْمَهُلَ كِتَابًا ؛ فِيهِ ذِكْرُ الصَّدَقَةِ وَالْفَرَائِضِ فِي الْمَوَاشِي . وَكُتِبَ الصَّحِيفَةُ ثَابِتُ
أَبْنِ قَيْسٍ ، وَشَهِدَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ .

ذِكْرُ وَقْفِ جُذَامِ

قالوا : قَدِيمُ رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ مَعْبَدِ الْجُدَامِيِّ^(٢) ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي الضُّبَيْبِ
عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْهَدْنَةِ قَبْلَ خَيْبَرَ ، وَأَهْدَى لَهُ عَبْدًا وَأَسْلَمَ ،
فَكُتِبَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا ؛ فِيهِ : « هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ،
لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى قَوْمِهِ ، وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ ، فَمَنْ أَقْبَلَ
فَفِي حِزْبِ اللهِ ، وَمَنْ أَبَى فَلَهُ أَمَانٌ شَهْرَيْنِ » فَأَجَابَهُ قَوْمُهُ وَأَسْلَمُوا . قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ
وغيره : وَبَعَثَ قُرُوءُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ النَّافِرَةِ الْجُدَامِيِّ ، ثُمَّ النَّفَّائِيَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا بِإِسْلَامِهِ ، وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ ، وَأَسْمَ رَسُولِهِ
مَسْعُودَ بْنَ سَعْدٍ وَهُوَ مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابَهُ ،
وَقَبِلَ هَدِيَّتَهُ ، وَأَجَازَ رَسُولَهُ بِأَثْنِي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا^(٣) ، وَكُتِبَ إِلَى قُرُوءَةَ جَوَابَ
كِتَابِهِ . وَكَانَ قُرُوءَةُ عَامِلًا لِلرُّومِ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ مَنزَلُهُ مَعَانَ وَمَا حَوْلَهَا^(٤)
مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الرُّومَ إِسْلَامَهُ طَلَبُوهُ فُخِسُوهُ عِنْدَهُمْ ؛ فَقَالَ : فِي تَحْيِيْسِهِ
ذَلِكَ :

(١) السيف (بكسر الميم المشددة) : ساحل البحر .

(٢) الجدامي (بضم الجيم ، وبذال معجمة) : نسبة إلى قبيلة .

(٣) النش : نصف أوقية . (٤) معان (بضم الميم وتحتها) : مدينة في طرف بادية

الشام تلقاها الخباز من نواحي البلقاء . (معجم البلدان) .

طَرَقْتُ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْحَابِي * وَالرُّومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقِرْوَانِ^(١)
 صَدَّ الْخَيْالُ وَسَاءَ مَا قَدِ رَأَى * وَهَمَمْتُ أَنْ أُغْنِي^(٢) وَقَدْ أَبْكَانِي
 لَا تَكْجُحِينَ الْعَيْنَ بَعْدِي إِثْمَدًا^(٣) * سَأَمَى وَلَا تَدْنِينَ^(٤) لِلْإِتْيَانِ
 وَلَقَدْ عَلِمْتَ أبا كُبَيْشَةَ أَنِّي * وَسَطَ الْأَعْزَةِ لَا يُحْصِ لِسَانِي^(٥)
 فَلَيْنَ هَلَكْتُ لَتَفْقِدُنَّ أَحَاكُمُ * وَلَيْنَ بَقِيَتْ لَتَعْرِفُنَّ مَكَانِي
 وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَتَى * مِنْ جَوْدَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانِ
 قَالَ : فَلَمَّا أَجَمَعْتُ الرُّومَ لَصَلْبِهِ عَلَى مَاءِ لَهْمٍ بِفِلَسْطِينَ يُقَالُ لَهُ عَفْرَاءُ قَالَ :

أَلَا هَلْ أَتَى سَأَمَى بَأَن حَالِمَهَا * عَلَى مَاءِ عَفْرَاءٍ فَوْقَ إِحْدَى الرِّوَاحِلِ^(٦)
 عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْفَحْلُ أَمَّهَا * مُشَدِّبَةً أَطْرَافَهَا بِالْمِنَاجِلِ

قَالَ : وَلَمَّا قَدَمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ قَالَ :

أَبْلِغْ سَرَّاءَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنِّي * سَلَّمَ لِرَبِّي أَعْظَمِي وَمَقَامِي

فَضْرِبُوا عُنُقَهُ وَصَلِبُوهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ .

هَذَا مَا تَلَخَّصَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِ مَنْ وَقَدْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ وَقَبْلَ الْفَتْحِ ، فَلْنَذْكَرْ مِنْ

وَقَدْ بَعْدَ الْفَتْحِ .

١٥ (١) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . والقروان : يجوز أن يكون جمع قرو وهو

حوض الماء مثل صنوان ، ويجوز أن يكون جمع قرى مثل صليب وصلبان . (الروض الأنف) .

(٢) أغنى إغفاء أو إغفاة : نام نوما خفيفا .

(٣) الإثمء : الكحل ، وقيل نوع منه . وفي الأصول : « تدين » وقد أثبتناه بالنون كما في ابن

إسحق . (٤) لا يحصى : لا يقطع .

(٥) قال في المواهب : « عفراء » بفتح العين المهملة ، وإسكان الفاء ، وبالراء مسدود .

٢٠ وفي الأصول من غير همز . (٦) الحليل : الزوج . والرواحل في الأصل : الإبل ، ويريد

بإحدى الرواحل الخشبة التي صلوه عليها .

ذكر من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد فتح مكة شرفها الله تعالى وعظمتها

ولنبداً من ذلك بذكر وفد ثعلبة ؛ لأنه أول وفد كان بعد الفتح . ثم نذكر
من وفد في سنة تسع من الهجرة وما بعدها ، ونورده نحو ما أورده أبو عبد الله
محمد بن سعد في طبقاته ، إلا أنا نستثنى منهم من قدمنا ذكره بحكم سابقتهم ،
وتقدم إسلامهم .

١٢
١٦

ذكر وفد ثعلبة

قال أبو عبد الله محمد بن سعد رحمه الله : لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الحِمْيَرِ^(١) ، في سنة ثمان من الهجرة ، قدم عليه أربعة نفر ، وقالوا :
نحن رُسل من خلفنا من قومنا ، ونحن وهم مُقْتَرُونَ بالإسلام ، فأمر لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضيافة ، وأقاموا أياماً ثم جاءوا ليودّعه فأمر بلالاً أن يُجيزهم ،
كما يُجيز الوُفد ، فجاء بنقير^(٢) من قبضة فأعطى كل رجل منهم خمس أواق ، وقال :
« ليس عندنا دراهم » وانصرفوا إلى بلادهم .

ذكر وفد أسد

قال محمد بن سعد : قدم عشرة رهط من بني أسد بن حزيمة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، في أول سنة تسع من الهجرة ، فيهم حضرمي بن عامر ، وضرار
ابن الأزور ، فقال حضرمي : يا رسول الله ! أتيناك تتدزع الليل البهيم ، في سنة

(١) الحِمْيَرُ (بكر الجيم وإسكان العين ، وقد تكسر العين وتشدد الراء) : ماء بين الطائف ومكة ،
وهي إلى مكة أقرب . (٢) النقر (جمع نقرة) : سبيكة الذهب والفضة .

(٣) تدزع فلان الليل وادرع ؛ إذا وصل في ظلمته يسرى ، كأنه ليس ظلمة الليل فاستقر به .

شهباء، ولم تبعث إلينا بعثا، فنزل فيهم قوله عز وجل : ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ آسَمَوْا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

قال : وكان معهم قوم من بني الزبية وهم بنو مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان ابن أسد، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتم بنو الرشدة » .

وقال أبو إسحق أحمد بن محمد الثعلبي رحمه الله : إن نقرأ من بني أسد، ثم من بني الحلاف^(٣) بن الحارث بن سعيد، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في سنة جدبة، فأظهروا شهادة أن لا إله إلا الله، ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعدرات، وأغلوا أسعارها، وكانوا يفسدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقولون : أتتكم العرب بأنفسها، على ظهور رواحلها، وجئناك بالأنفال والعيال والذراري — يمتنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم — ولم تقا تلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان . ويريدون الصدقة، ويقولون : أعطنا . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ الآيات . وقيل : نزلت في الأعراب : مزينة، وجهينة، وأسلم، وأشجع، وغفار . وكانوا يقولون : آمنا بالله، ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنقروا إلى الحديبية تخلفوا، فأنزل الله فيهم : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي آتقدنا وأستسلمنا مخافة القتل والسبي ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فأخبر تعالى أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان، وإظهار شرائعه بالأبدان، لا يكون إيمانا دون الإخلاص الذي يحمله القلب .

(١) ستة شهباء : ذات خط وجدب .

(٢) آية ١٧ سورة الحجرات . (٣) كذا في الأصول، وفي المقتضب لياقوت الورقة ٣١ :

« وولد سعد بن ثعلبة بن دودان الحارث وهو الحلاف » . (٤) آية ١٤ سورة الحجرات .

ذكر وفد تميم

قال أبو عبد الله محمد بن سعد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث
بشر بن سفيان . ويقال : النحام العَدَوِيَّ^(١) على صدقات بني كعب من خِزَاعَة ،
بجاء وقد حلَّ بنواحيهم بنو عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، فجمعت
خِزَاعَة مواشيها للصدقة ، فاستنكرت ذلك بنو تميم ، وأبوا وأبتدروا القيسيَّ ، وشهروا
السيف ، فقدم المصدق^(٢) على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ؛ فقال : « من
لهؤلاء القوم » ؟ فانتدب لهم عيينة بن حصن ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في خمسين فارسا من العرب ، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فأغار عليهم ، فأخذ
منهم أحد عشر رجلا ، وإحدى عشرة امرأة ، وثلاثين صبيا ، فخلبهم إلى المدينة ،
فقدم فيهم عترة من رؤساء بني تميم ، منهم عطارد بن حاجب ، والزبير بن بدر ،
وقيس بن عاصم ، وقيس بن الحارث ، ونعيم بن سعد ، والأقرع بن حابس ، ورياح
ابن الحارث ، وعمرو بن الأهم ، وغيرهم كما ذكرنا ذلك في الغزوات في خبر سرية
عيينة . قال ويقال : كانوا تسعين أو ثمانين رجلا .

قال ابن إسحق : والحِثَّات بن يزيد أحد بني دارم . قال : ومعهم عيينة بن
حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، قالوا : فدخلوا المسجد وقد أذن بلال بالظهر ؛
والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعبجوا واستبطئوه ، فنادوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته : يا محمد ! أخرج إلينا . فخرج رسول

(١) النحام : لقب نعيم بن عبد الله ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة فسمعت نجمة

من نعيم » أي سلة .

(٢) المصدق : عامل الزكاة الذي يستوفيا من أربابها .

(٣) في الأصول : « فأخبروه » والمقام يقتضى الإفراد كما في طبقات ابن سعد .

١٣
١٦

الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام بلال ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ،
ثم أتوه ، فقال الأقرع بن حابس : يا محمد ، أيدن لي ، فوالله إن حمدي لزين ، وإن
ذمي لشين . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبت ، ذاك الله تبارك
وتعالى » . حكاه ابن سعد .

وحكى محمد بن إسحق أنهم قالوا : يا محمد ، جئناك لنفانرك ، فأذن لشاعرنا
وخطيبنا . قال : « قد أذنت لخطيبكم فليقل » ، فقام عطار بن حاجب ، فقال :
الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن ، وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ، ووهب لنا
أموالاً عظيما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثر عددا ،
وأيسر عدا ، فمن مثلنا في الناس ؟ ألسنا بروس الناس وأولى فضلهم ؟ فمن فخرنا
فليعد مثل ما عددنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإثكار فيما
أعطانا ، وأنا نعرف [بذلك] . أقول هذا لأن تاتونا بمثل قولنا ، وأمر أفضل
من أمرنا . ثم جلس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس أنحى بنى الحارث
ابن الخزرج : « قم فأجب الرجل في خطبته » . فقام ثابت فقال :

الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه
علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، وكان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، وأصطفى
من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا ، فأنزل عليه

(١) أى أقام الصلاة .

(٢) نجبا هنا بمعنى نستحي ، من الحياء .

(٣) زيادة من سيرة ابن هشام .

(٤) فى ابن هشام : « لأن تاتوا » .

كتابه ، وأتمته على [خلقه^(١)] فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوي رحمة ، أكرم الناس أحساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعلاً . ثم كان أول الخلق إجابة ، وأستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ؛ فنحن أنصار الله ، ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً .
أقول هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات . والسلام عليكم .

فقام الزبيرقان بن بدر ، فقال :

نحن الكرام فلا حتى يعادلنا * مِنَّا المملوكُ وفينا تُنصَّبُ البيعُ^(٢)

[ويروى : « وفينا يُقسمُ الربيعُ » ، بدل « تُنصَّبُ البيعُ »] .

وكم قسرتنا من الأحياء كلهم * عند النهابِ وفضلُ العزِّ يتبعُ
ونحن يُطعمُ عند القحطِ مطعمنا * من الشَّوَاءِ إذا لم يُؤنسِ القزعُ^(٤)
بما ترى الناسَ تأمينا سرَّاتهمُ * من كلِّ أرضٍ هويًا ثم نصطبعُ^(٥)

[ويروى : * مِن كلِّ أرضٍ هَوَانًا ثم نَتَّبِعُ^(٣) *]

١٥ (١) الزيادة من سيرة ابن هشام .

(٢) البيع (جمع بيعة بالكسر) : كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود . والمراد هنا مواضع العبادة .

(٣) ما بين المربعين في ج ، وابن إسحق . والربيع : ربيع الغنيمة التي كان يأخذها الرئيس في الجاهلية

إذا غزا بعضهم بعضاً .

(٤) القزع : قطع من السحاب رفاق . يريد إذا لم تمطرهم السماء فأجدبت أرضهم أطعم مطعمهم .

٢٠ (٥) الهوى (بضم الهاء) : الإسراع في السير . وسرارة الناس هنا : ذروتهم وسناتهم وليس جمع سرى

كما قال في الروض الأنف .

فَنَنْحَرُ الْكُومَ عِبْطًا فِي أُرُومَيْنَا * لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنزِلُوا شَابِعُوا^(١)
 فَلَا تَرَانَا إِلَى حَاسِي نَفَاخِرِهِمْ * إِلَّا آسْتَقَادُوا وَكَانُوا الرُّؤْسَ يُقْتَطَعُ
 فَمَنْ يُفَاخِرُنَا فِي ذَلِكَ نَعْرِفُهُ * فِيرْجِعُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ
 إِنَّا أَبِينَا وَلَمْ يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ^(٢) * إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ
 قال محمد بن إسحق : وكان حسان بن ثابت غائباً ، فبعث إليه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، فقال حسان : جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر
 بني تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مَنْعَنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطْنَا * عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدِّ وَرَاغِمِ
 مَنْعَنَا لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بِيوتِنَا * بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
 بَيْتِ حَرِيدٍ عَزْهُ وَتَرَاؤُهُ * بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ^(٣)
 هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودْدُ الْعُودُ وَالنَّدَى * وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَأَحْتِمَالُ الْعِظَائِمِ

قال : فلما آتتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم فقال
 ما قال ، عرَضْتُ في قوله وقلتُ على نحو ما قال . قال : ولما فرغ الزبيرقان من
 إنشاده ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : « قُمْ فَأَجِبِ الرَّجُلَ »
 فقام حسان فقال :

١٤
١٦

(١) الكوم (جمع كوما) : الناقة العظيمة السنام . وعبطا : أى تختر لغير علة . وفى أرومتنا :
 أى هذا الكرم متأصل فينا .
 (٢) لم يحذف حرف العلة لضرورة الشعر . وفى ابن إسحق طبع أودبا والحلي « ولا يأتى » .
 (٣) البيت الحريد : المنفرد عن البيوت لعزته . جابية الجولان : قرية من أعمال دمشق . ويريد
 نزول النبي صلى الله عليه وسلم وسط حى من الأنصار ، يتصل نسبهم بالعباسة وهم ملوك الشام ، وسيعود
 إلى هذا المعنى فيما بعد .
 (٤) السودد العود : القديم .

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِيهِمْ وَإِخْوَتِهِمْ * قَسَدَ بَيْنُوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ^(١)
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ * تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلَّ الْخَيْرِ يَصْطَنِعُ^(٢)

[و يروى :

- يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ * تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا^(٣)]
 قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ * أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ تَفَعُّوا^(٤)
 سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ * إِنَّ الْخَلَائِقَ فَأَعْلَمَ شَرَّهَا الْبِدْعَ^(٥)
 إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَابِقُونَ بَعْدَهُمْ * فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعَ^(٦)
 لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفَهُمْ * عِنْدَ الرَّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا^(٧)
 إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ * أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالذَّرَى مَتَعُوا^(٨)
 أَعْفَى ذِكْرَتْ فِي الْوَحْيِ عَفْفُهُمْ * لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمْ طَمَعُ^(٩)

(١) الدواب : الأعداء ، والمراد هنا السادة . وفهر أصل قريش ، وهو فهر بن غالب بن النضر ابن كنانة ، وقريش كلهم ينسبون إليه . ولعله يريد بإخوة فهر الأنصار ، والدواب من فهر المهاجرين . ولك أن يجعل « وإخوتهم » عطفًا على الدواب والمراد بإخوتهم الأنصار .

(٢) السرية كالسر والسر ما أخفيت ؛ والمعنى أن سقمهم التي ينوها للناس يرضى بها كل من أمر تقوى الإله واصطناع المعروف ، أو بالأمر الذي شرعه للناس على الرواية الثانية .

(٣) ما بين المرعين في جـ وكذا رواه ابن إسحق بعد انتهاء القصيدة .

(٤) الأشياع (جمع شيعه) : وهم الأنصار والأتباع .

(٥) السجية : الفرزة . والخلائق : جمع خليفة وهي الطبيعة هنا . والبدع : جمع بدعة ، والمراد بها مستحدثات الأخلاق لا ما هو كالقرايز فيها .

(٦) أوهت : شقت وفقت . يقول : إننا أعزة .

(٧) الذرى : جمع ذروة وهي من كل شيء . أعلاه ، والمراد هنا الشرف والعلاء . و يروى « بالندى » وفي أ : بالورى ، ولعله تصحيف . ومتعوا : زادوا ؛ من منع النهار يمنع متعوا ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه .

(٨) لا يطبعون : لا يتدنسون ، ومنه الحديث : « أعوذ بالله من طمع يهدى إلى طبع » أى يؤدى إلى شين وعيب .

لا يَخْتَلُونَ على جارٍ بفضيلهم * ولا يَمَسُّهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعٌ^(١)
 إذا نَصَبْنَا لِحَى لا نَدْبٌ لَهُمْ * كما يَدِبُّ إلى الوَحْشِيَّةِ الدَّرْعُ^(٢)
 تَسْمُو إذا الحربُ نالتنا مَحَالِهَا * إذا الرِّعَانُفُ من أظفارها خَشَعُوا^(٣)
 لا يَفْخَرُونَ إذا نالوا عَدُوَّهُمْ * وإن أُصِيبُوا فلا خُورٌ ولا هَلَعٌ^(٤)
 كأنهم في الوَعَى والموتِ مُكْتَنِعٌ * أسدٌ مَحَلِيَّةٌ في أرساغها فَدَعٌ^(٥)
 خَذَ مِنْهُمْ ما أتى عَفْوًا إذا غَضِبُوا * ولا يَكُنْ هَمُّكَ الأمرُ الذي منَعُوا^(٦)
 فإنَّ في حَرِيهِمْ فارتك عداوتهم * شَرًّا يُخَاضُ عليه السَّمُّ والسَّلْعُ^(٧)
 أَكْرَمُ يَقومُ رسولُ اللهِ شَيْعَتُهُمْ * إذا تَفَاوَتِ الأهواءُ والشَّيْعُ^(٨)
 أهْدَى لهم مِدْحَتِي قَلْبٌ يُؤازِرُهُ * فيما أَحَبُّ لِسَانٌ حائِكٌ صَنِعَ^(٩)
 فإنهم أَفْضَلُ الأحياءِ كلَّهم * إن جَدَّ بالناسِ جِدُّ القولِ أو تَمَعُوا^(١٠)

(١) الطبع : (بالتحريك) : الدنس والغب .

(٢) نصبنا : أظهرنا الحرب والعداوة ولم نرها . والدرع : ولد البقرة الوحشية . بقول : إذا حاربنا أعداءنا لا ندب إليهم كما يدب الدرع إلى الوحشية .

(٣) الرعانف من الناس : سفلتهم . وخشعوا : خضعوا .

(٤) الخور : الضعفاء . والهلع (ككاتب) : الجازعون ، المفرد هلوع .

(٥) الموت مكتنع : دان قريب . وحلية (بالفتح ثم السكون) : مساعدة بناحية اليمن . والرسغ مفصل ما بين الكف والذراع ، وقيل : مجتمع الساقين والقدمين . والقذع : عوج وميل في المفاصل كلها خلفه أوداء ، كأن المفاصل قد زالت عن مواضعها ، لا يستطاع بسطها معه ، وأكثر ما يكون في الرسغ من اليد والقدم . (٦) عفوا : من غير مشقة . (٧) السلع : شجر مر ،

أوسم ، أو ضرب من الصبر ، أو بقلة خبيثة الطعم . (٨) معنى « شيعتهم » هنا : ناصرهم .

(٩) يقال : لسان صنع ، ورجل صنع اللسان ، يقال للشاعر ولكل بليغ : والمعنى : يحسن القول

ويجيده . (١٠) شمعوا : ضحكوا وهزلوا . والشموع من النساء : الضحوك العيوب .

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: حدثني بعض أهل العلم بالشعر من
بني تميم أن الزبير بن بدير لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد
بني تميم، قام فقال:

أَتَيْتُكَ كَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضَلْنَا * إِذَا آخْتَلَفُوا عِنْدَ أَحْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ ^(١)
يَأْتَا فِرْعَوْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ * وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَدَارِمٍ ^(٢)
وَأَنَا نَدُودُ الْمُعَلِّمِينَ إِذَا آتَتْحَوْا * وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَصْيَدِ الْمُتَفَاقِمِ ^(٣)
وَأَنْ لَنَا الْمِرْبَاعَ فِي كُلِّ غَارِيَةٍ * نُغَيِّرُ بِنَجِيدٍ أَوْ بِأَرْضِ الْأَعَاجِمِ ^(٤)

فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال:

هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودْدُ الْعُودُ وَالنَّدَى * وَجَاهُ الْمَلُوكِ وَأَحْتِمَالُ الْعَظَائِمِ
نَصَرْنَا وَأَوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا * عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمٍ ^(٥)
يَحْيَى حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَثِرَاؤُهُ ^(٦) * بِحَيَابَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِّ الْأَعَاجِمِ
نَصَرْنَا لَمَّا حَلَّ وَسَطَّ دِيَارِنَا * بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ

(١) احتضر: حضر. المواسم (جمع موسم): وهو المجتمع كوسم الحج.

(٢) فروع الناس: أشرفهم. ودارم: حى من تميم فيهم بيتها وشرفها.

(٣) ندود: ندفع. المعلمين: الذين يتخذون لأنفسهم علامة في الحرب يعرفون بها وهم الشجعان.

(٤) اتتحوا تعاضوا وتكبروا. الأصيد: الملك لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً، ورافع رأسه كبرا.
المتفاقم: المتعاطف.

(٥) المرباع: ربع الغنيمة الذي يأخذه الرئيس. ونجد: بلاد العرب لمقابلته بأرض الأعاجم.

(٦) السودد العود: أى القديم. والندى: الجود والكرم.

(٦) فى ديوان حسان: «أصله وذماره». والدمار، بالكسر: ما يلزم حفظه وحمايته.

جَعَلْنَا بَيْنَنَا دُونَهُ وَبَيْنَانَا * وَطِينًا لَهُ نَفْسًا بِفِيءِ الْمَغَامِ
 وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا * عَلَى دِينِهِ بِالْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ
 وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قَرِيشٍ عَظِيمَهَا * وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
 بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ فُخِرْتُمْ * يَعْبُودُ وَبِالْآءِ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ
 هَبْلَتُمْ ، عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ * لَنَا خَوْلٌ مِنْ بَيْنِ ظَهْرِ وَخَادِمِ
 فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّنِ دِمَائِكُمْ * وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقَسِّمُوا فِي الْمَقَاسِمِ
 فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدَاءً وَأَسْمَاءُ * وَلَا تَلْبَسُوا زِيَا كَرِيءِ الْأَعَاجِمِ
 وَأَفْضَلُ مَا نِلْتُمْ مِنَ الْمَجِيدِ وَالْعَلَا * رِدَاقَتَنَا عِنْدَ أَحْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ

١٥
١٦

قالوا: فلما فرغ حسان من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأبي، إن هذا الرجل
 لمؤقّي له، نخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم
 أعلى من أصواتنا، ولهم أحلم منا. ونزل في وفد بني تميم قوله عز وجل: ﴿إِنَّ
 الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ
 إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(١) قال الراغب في مفرداته: قيل للغبية التي لا يلحق فيها مشقة في. والغنيمة في الأصل:

ما أخذ حرباً. (٢) المرهفات الصوارم: السيوف التي تصرم الأعمار.

(٣) يشير حسان إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مولود من جدّة من بني النجار، ويشير إلى

أن أم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم كانت جارية من الأنصار.

(٤) الوبال وخامة العاقبة.

(٥) هبلت، من هبلته أمه فقدته: بدعو عليهم. خول: رعاة وأتباع. الفلتر: التي ترضع ولد غيرها.

(٦) التّد: الشريك.

(٧) رداقة القوم: الذين هم تبع لهم. وهذا البيت غير موجود في سيرة ابن هشام، وهو موجود

في ديوان حسان. (٨) لموقق له: لموقق له.

(٩) آية ٥٠٤ من سورة الحجرات.

١٠

١٥

٢٠

قال محمد بن سعد : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيس بن عاصم :
« هذا سيد أهل الوبر » ورد عليهم الأسرى والسبي ، وأمر لهم بالجوائز كما كان
يجيز الوفد ؛ ثلثي عشرة أوقية^(١) ونشأ ، وهي خمسمائة درهم .

قال ابن إسحق : وكان عمرو بن الأهم قد حلقه القوم في ظهرهم^(٢) ، وكان أصغرهم
سيناً ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهم : يا رسول الله ! إنه قد
كان رجل منا في رحالنا وهو غلام حدث ، وأزرى به ، فأعطاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، فبلغ عمرو بن الأهم ما قاله قيس فيه ؛ فقال :

ظَلِمْتَ مُفْتَرِشِ الْهَلْبَاءِ تَسْتَعْنِي * عِنْدَ النَّبِيِّ فَلَمْ تَصُدِّقْ وَلَمْ تُصِبِ

إِنْ تَنْقُصُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَصْلَكُمْ * وَالرُّومُ لَا تَمْلِكُ الْبَغْضَاءَ لِلْعَرَبِ

وَإِنَّ سُودَدَنَا عَوْدٌ وَسُودَدَكُمْ * مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ الْعَجَبِ وَالذَّنْبِ

وروى أن الزبير كان نحر يومئذ فقال :

يا رسول الله ، أنا سيد تميم ، والمطاع فيهم ، والمجأب منهم ، أخذ لهم بحقوقهم ،
وأمعنهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك . وأشار إلى عمرو بن الأهم . فقال عمرو :
إنه شديد العارضة ، مانع بلانبه ، مطاع في أدانيه . فقال الزبير قال : والله لقد
كذب يا رسول الله ، وما منعه من أن يتكلم إلا الحسد .

(١) النش : نصف أوقية . (٢) في ظهرهم : في إبلهم .

(٣) الهلباء . يعني آسته ؛ يريد أنها كبيرة .

(٤) وذكر عن ابن الكلبي أنه إنما نسبه إلى الروم لأنه كان أحمر ؛ فيقال : إن النبي صلى الله عليه

وسلم نهاء ، وقال : « إن اسمي كان أحمر » . (حاشية نسخة ج) .

(٥) العجب ، بالفتح : أصل الذنب .

فقال عمرو : أنا أحسدك ؟! فوالله إنك لثميم الخال ، حديث المال ، أحق
الولد ، مَبْغُضٌ في العشيرة ، والله ما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الثانية .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنا من البيان لسحرا » .

ذكر وفد فزارة

وأستسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم

قال ابن سعد : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ،
قديم عليه وفد بني فزارة ، بضعة عشر رجلا ، فيهم خارجة بن حصن ، والحُرُّ
ابن قيس بن حصن ، وهو أصغرهم ، على ركاب عجاف ، بغاءوا مقرين بالإسلام .
وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم ، فقالوا : يا رسول الله ،
أَسْنَتُ بلادنا ، وهَلَكْتُ مواشينا ، وَأَجْدَبَ جنابنا ، وَغَرِثَ عيالتنا ،
فادع لنا ربك . فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ودعا ، فقال : « اللَّهُمَّ
أَسْقِ بلادَكَ وبهائِمَّكَ ، وَأَثْمِرْ رَحْمَتَكَ ، فَأَخِي بِلَدِكَ المَيْتَ ، اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا ،
مَرِيئًا مَرِيئًا ، مُطِيقًا واسِعًا ، عاجلاً غير آجل ، نافعاً غير ضار . اللَّهُمَّ أَسْقِنَا سُقْيَا
رَحْمَةٍ ، لا سُقْيَا عَذَابٍ ولا هَذِيمٍ ولا غَرَقٍ ولا مَحْقٍ . اللَّهُمَّ أَسْقِنَا الغَيْثَ وَأَنْصِرْنَا
على الأعداء » فَمَطَرَتْ ، فما رَأَوْا السماء سِنًا ، فَصَعِدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
المنبر ، فدعا ، فقال : « اللَّهُمَّ حَوِّالِنَا ولا عَلَيْنَا ، على الآكامِ والطُّرابِ ، وَبُطُونِ
الأودية ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ » . قال : فانجابت السماء عن المدينة آنحباب الثوب .

(١) أسنتت : أجذبت لقلة المطر . (٢) غرث : جاع . (٣) غيث مغيث : عام النفع .
(٤) مري : هنيء . (٥) مريع : مخصب . (٦) غيث مطيق : عام .
(٧) سنا أي سنة أيام ، وفي رواية سبنا أي أسبوعا . قال القسطلاني : ولا تنافي بين الروایتين .
(٨) الآكام والطراب : الروابي والمرتفعات . (٩) آنحباب السماء : أنكشفت .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة ، قام أعرابي فقال : يا رسول الله ، هللك المسأل ، وجاع العيال ، فأدع الله لنا أن يسقينا ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، وما في السماء قزعة سحاب ، قال : فنار سحاب أمثال الجبال ، ثم لم يتزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيتي ، قال : فمطرنا يومنا ذلك ، ومن الغد ، ومن بعد [الغد] والذي يليه إلى الجمعة الأخرى . فقام ذلك الأعرابي — أو رجل غيره — فقال : يا رسول الله ، تهتم البناء ، وغرق المسأل ، فأدع الله لنا ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، فقال : « اللهم حوآلينا ولا علينا » قال : فما جعل يسير بيديه إلى ناحية من السماء إلا تفرجت ، حتى صارت المدينة في مثل الجوبة ، حتى سال الوادي وادي قناة شهرا . قال : فلم يأت أحد من جهة إلا حدث بالجوود .

ذكر وفد مرة

قال : قديم وفد بنى مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرجه من تبوك في سنة تسع ، وهم ثلاثة عشر رجلا ، رأسهم الحارث بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قومك وعشيرتك ، ونحن قوم من لوى بن غالب . فقبس

(١) سنة (بفتح السين) : أى جذب وخط . (٢) قزعة : قطعة من الغيم .

(٣) نار : حاج . (٤) الزيادة من صحيح البخاري .

(٥) هذا تردد من الراوى يدل على عدم التذكر . (٦) تفرجت : تقطع السحاب ، وفيه

دلالة على عظم معجزته صلى الله عليه وسلم . (٧) الجوبة : الحفرة المستديرة الواسعة ، أى انجاب

السحاب عن المدينة ، وصار مستديرا حوالها ، وهى خالية منه .

(٨) وادي قناة : واد من أودية المدينة عليه حرث ومزارع . (٩) الجوود : المطر الكثير .

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: « أين تركت أهلك »؟ قال: بسلاح^(١)
وما والاها . قال: « كيف تركت البلاد »؟ قال: والله إنا لمسننونا^(٢)، فأدع الله
لنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اللهم أسقهم الغيث » وأمر بلالاً
أن يُحيزهم، فأجازهم بعشرة أواق، عشرة أواق فضة، وفضل الحارث بن عوف،
أعطاه ثنتي عشرة أوقية . فرجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد مطرت في اليوم الذي
دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر وفد مُحارب

قال: قَدِمَ وفد مُحارب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة عشر،
في حجة الوداع، وهم عشرة نفر، منهم سواء بن الحارث، وأبنة خزيمية بن سواء،
فأنزلوا دار رَملة بنت الحارث، وكان بلال يأتهم بقداء وعشاء، فأسلموا وقالوا:
نحن على من وراءنا، ولم يكن أحد في تلك المواسم أفظ ولا أغلظ على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بني مُحارب . قال: ومَسَحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وجهه
خزيمية بن سواء، فصارت له غُرة بيضاء، وأجازهم كما يُحيز الوُفد، وأنصرفوا
إلى أهلهم .

ذكر وفد كلاب

قال: قَدِمَ وفد كلاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من
الهجرة، وهم ثلاثة عشر رجلاً، فيهم لبيد بن ربيعة، وجبار بن سلمي، فأنزلهم

(١) سلاح: موضع أسفل من خيبر، وماه أيضاً لبني كلاب .

(٢) مسنونون: أصابهم سنة وخط وأجدبوا .

(٣) أول الخبر أن خزيمية قال للنبي صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذي أبقاني حتى صدقت بك،

فقال رسول الله: إن هذه القلوب بيد الله، ومسح وجهه خزيمية... الخ .

دارَ رَمَلَةَ بنت الحارث ، فقالوا : يا رسول الله ، إن الضحاك بن سفيان سار فينا
بكتاب الله ، وبسنتك التي أمرته ، وأنه دعانا إلى الله ، فأستجبنا لله ولرسوله ،
وأنه أخذ الصَّدقة من أغنيائنا فردّها على فقرائنا .

ذكر وفد رؤاس بن كلاب

- روى عن أبي نفع طارق بن علقمة الرؤاسي أنه قال : قديم رجلٌ منا يقال له
عمرو بن مالك بن قيس الرؤاسي على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم أتى قومه
فدعاهم إلى الإسلام ، فقالوا : حتى نُصيب من بني عُقيل بن كعب مثل ما أصابوا
منا ، نخرجوا يريدونهم ، ونخرج معهم عمرو بن مالك فأصابوا فيهم ، ثم خرجوا
يسوقون النعم ، فأدركهم فارس من بني عُقيل ، يقال له ربيعة بن المُنتفق بن عامر
ابن عُقيل ، وهو يقول :

أَقْسَمْتُ لَا أَطْعُنُ إِلَّا فَارِسًا * إِذَا الْكُفَّةُ لَبَسُوا الْقَوَانِسَا^(١)

- قال أبو نفع : فقلتُ نجوئهم يا معشر الرجالة سائر اليوم ، فأدرك العُقيليُّ رجلاً من
بني عبيد بن رؤاس : يقال له المُحرش بن عبد الله بن عمرو بن عبيد بن رؤاس ،
فقطعنه في عَضده فأخبلها ، فاعتنق المُحرش فرسه ، وقال : يا آل رؤاس ! فقال^(٢)
ربيعة : رؤاسٌ خييلٌ أو أناسٌ ؟ ! فعطف على ربيعة عمرو بن مالك فقطعنه
فقتله . قال : ثم خرجنا نسوق النعم ، وأقبل بنو عُقيل في طلبنا حتى آتتهنا إلى
تربة^(٣) ، فقطع ما بيننا وبينهم وادي تربة ، فجعل بنو عُقيل ينظرون إلينا فلا يصلون

(١) القوانس : بيضات الحديد تلبس في الحرب .

(٢) الخيل : فساد الأعضاء .

(٣) تربة (بالضم ثم الفتح) : واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها .

إلى شيء فضينا . قال عمرو بن مالك : فأسقط في يدي ، وقلت : قتل رجل ،
وقد أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم ! فشدت يدي في غل إلى عنقي ،
ثم خرجت أريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغه ذلك ، فقال : « لئن أتاني
لأضربن ما فوق الغل من يده » قال : فأطلقت يدي ، ثم أتيت فسلمت عليه
فأعرض عني فأتته عن يمينه فأعرض عني ، فأتته عن يساره فأعرض عني ،
فأتته من قبل وجهه ، فقلت : يا رسول الله ، إن الرب ليترضى [فيرضى^(١)] ، فأرض
عني رضي الله عنك . قال : « قد رضيت عنك » .

١٧
١٦

ذِكْرُ وَفْدِ عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ

قال محمد بن السائب : حدثنا رجل من بني عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ ، عن أشياخ قومه ،
قالوا : وَفَدَ مِنَّا مِنْ بَنِي عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُبْعُ
ابن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عُقَيْلِ ، ومُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَنْسِ بْنِ قَيْسِ
ابن المُتَنَفِّقِ ، فبَايَعُوا وَأَسْلَمُوا ، وبَايَعُوهُ عَلَى مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ، فَأَعْطَاهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَقِيْقَ عَقِيْقَ بَنِي عُقَيْلِ ، وَهِيَ أَرْضٌ فِيهَا عَيْوَنٌ وَنَخْلٌ
وَكَتَبَ لَهُمْ بِذَلِكَ كِتَابًا فِي أُدَيْمِ أَحْمَرَ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا مَا أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ رَبِّعًا وَمُطَرِّفًا وَأَنْسًا ، فَأَعْطَاهُمُ الْعَقِيْقَ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَتَوْا الزَّكَاةَ ،
وَسَمِعُوا وَأَطَاعُوا » . وَلَمْ يُعْطِهِمْ حَقًّا مُسْلِمًا ، وَكَانَ الْكِتَابُ فِي يَدِ مُطَرِّفٍ . وَوَفَدَ
عَلَيْهِ أَيْضًا لَقِيْطُ بْنُ عَامِرِ بْنِ الْمُتَنَفِّقِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلِ ، فَأَعْطَاهُ مَا يُقَالُ لَهُ النَّظِيمُ
وبايعه على قومه .

(١) الزيادة من الطبقات .

- قال : وقدم عليه أبو حرب بن خُوَيْلِد بن عامر بن عَقِيل ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه القرآن ، وعرض عليه الإسلام ، فقال : أما وأيم الله لقد لقيتُ الله أو لقيتُ من لقيه ، فإنك لتقول قولاً لا تُحسَن مثله ، ولكن سوف أضرب بقِداحي هذه على ما تدعوني إليه ، وعلى ديني الذي أنا عليه ، وضرب بالقِداح ، فخرج على سهم الكفر ، ثم أعاد فخرج عليه ثلاث [مرّات] ^(١) .
- فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أبي هذا إلا ما ترى ، ثم رجع إلى أخيه عَقَال بن خُوَيْلِد ، فقال له : قَلَّ حَيْسُكَ . أَى قَلَّ خَيْرُكَ . فقال : هل لك في مجد ابن عبد الله ؟ يدعو إلى دين الإسلام ، ويقرأ القرآن ، وقد أعطاني العَقِيق إن أنا أسلمتُ ، فقال له عَقَال : أنا والله أَخْطُكَ أَكْثَرَ مَا يَحُطُّكَ مَجْد ، ثم ركب فرسه وجرَّ رحمه على أسفل العَقِيق ، فأخذ أسفله وما فيه من عين ، ثم إن عَقَالاً قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه الإسلام ، وجعل يقول له : « أتشهد أن محمداً رسول الله » ؟ فيقول : أشهد أن هُبَيْرَةَ بن النُّفَاضَةَ نِعَمَ الْفَارِسِ يَوْمَ قَرْنَى لِبَانِ . ثم قال : « أتشهد أن محمداً رسول الله » ؟ قال : « أتشهد أن الصَّرِيحَ تَحْتَ الرِّغْوَةِ » ^(٢) ، ثم قال له الثالثة : « أتشهد » ؟ قال : فشهد وأسلم .

١٥

(١) الزيادة من الطبقات .

(٢) ذكرته الإصابة « عقال » بالقاء وليس بصحيح .

(٣) قال ابن سعد في الطبقات : « وابن النُّفَاضَةَ هُبَيْرَةَ بن معاوية بن عباد بن عَقِيل ، ومعاوية هو فارس الحرار والحرار اسم فرسه ، ولبان . موضع » ، وقال في معجم ياقوت : لبان بلدة بأرض مهرة بأقصى اليمن . (٤) الصريح من اللبن المحض الخالص ، والرغوة الزبد ، وهذا مثل معناه : إن الأمر مغفل عليك ، وسيبدو لك .

٢٠

قال : ثم قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُصَيْن بن المَعْلَى بن ربيعة ابن عَقِيل ، وذو الجَوْشَن الضَّبَابِي^(١) فأسلما .

ذِكْرُ وَفْدِ جَعْدَةَ

قال محمد بن سعد : وَفَدَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّقَاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدَةَ بن كعب ، فأعطاه صلى الله عليه وسلم بِالْفَلَجِ ضَبِيعَةً^(٢) ، وكتب له كتاباً وهو عندهم .

ذِكْرُ وَفْدِ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ

قال : وَفَدَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم نَقْرَ من بني قُشَيْرٍ ، قبل حجة الوداع وبعد حنين ، فيهم ثور بن عَزْرَةَ بن عبد الله بن سَلَمَةَ بن قُشَيْرٍ فأسلم ، فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيعةً^(٣) ، وكتب له بها كتاباً . وفيهم حيدة بن معاوية^(٤) ابن قُشَيْرٍ ، وفيهم قُرَّة بن هُبَيْرَةَ بن سَلَمَةَ الخَيْرِ بن قُشَيْرٍ فأسلم ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكساه بُرداً ، وأمره أن يتصدق على قومه ؛ أي يَلِي الصدقة^(٥) .

(١) ذو الجوشن : اختلف في اسمه فقيل أوس بن الأعور ، وقيل شرحبيل بن الأعور . وإنما قيل له ذو الجوشن لأن صدره كان نائلاً . (٢) الفلج : مدينة بأرض اليمامة .

(٣) في أسد الغابة : أقطعه حمام والسد وهما من العقيق . ١٥

(٤) في الأصول : « جندة » وهو تصحيف وصوبناه عن الطبقات والإصابة والدلائل .

(٥) زاد ابن سعد في الطبقات بعد هذا « فقال قرة حين رجع :

حباها رسول الله إذ نزلت به * وأمكنها من نائل غير منفسد

فأضحت بروض الخير وهي حنينة * وقد أنجحت حاجاتها من محمد

عليها فتي لا يردف الدم رحله * تزوك لأمر العابن المستردد » ٢٠

ذِكْرُ وَفْدِ بَنِي الْبَكَاءِ

قال : وَقَدْ ثَلَاثَةٌ تَقَرَّ مِنْ بَنِي الْبَكَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ ، فِيهِمْ مَعَاوِيَةُ بْنُ قُورٍ بْنُ عَبَادَةَ بْنِ الْبَكَاءِ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ بَشِيرٌ ، وَالْفُجَيْعُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَمَعَهُمْ عَبْدُ عَمْرِو الْبَكَّائِيُّ وَهُوَ الْأَصَمُّ ، فَسَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَكُتِبَ لَهُ بِمِائَةِ الَّذِي أَسْلَمَ عَلَيْهِ «ذِي الْقِصَّةِ» . وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ أَصْحَابِ الصَّفَةِ ، فَأَنْزَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْزِلٍ وَضِيَاةٍ ، وَأَجَازَهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ .

وقال معاوية للنبي صلى الله عليه وسلم : إني أتبرك بمسك وقد كبرت ، وأبني هذا بربي فأمسح وجهه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه بشر بن معاوية ، وأعطاه أعترا عفرا ، وبرك عليهم ، وكانت السنة تُصيب بني البكاء ولا تُصيبهم ، وفي ذلك يقول محمد بن بشر بن معاوية :

وَأَبِي الَّذِي مَسَحَ الرَّسُولُ بِرَأْسِهِ * وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ
أَعْطَاهُ أَحْمَدُ إِذْ أَنَاهُ أَعْتَرَا * عَفْرًا نَوَاجِلَ لَسَنٍ بِاللِّجَبَاتِ
يَمْلَأَنَّ رِفْدَ الْحَيِّ كُلِّ عِشِيَّةٍ * وَيَعْوِدُ ذَاكَ الْمَلَأُ بِالْغَدَوَاتِ
بُورِكُنِ مِنْ مَنِّحٍ وَبُورِكَ مَانِحًا * وَعَلَيْهِ مِنِّي مَا حَيَّيْتُ صَلَاتِي

- (١) ذوالقصة : اسم الجبل الذي فيه الماء والقصة هو الماء . صححه التاج .
(٢) أصحاب الصفة : هم فقراء المهاجرين ، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه ، فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه . والصفة : الظلة . (٣) ماغزة عفرا : خالصة البياض .
(٤) برك « بالتشديد » عليهم : دعا له بالبركة فيمن . (٥) السنة : الجذب والقحط .
(٦) نواجيل : كريمة النسل . وفي الأصول والطبقات « ليس » بدل « لسن » وما أثبتناه عن ابن كثير في البداية والنهاية . ولجبات جمع لبية : وهي النعجة والعنز التي قل لبنا .
(٧) الرfid : القدر الضخم . وفي الأصول والطبقات والبداية « وفد » ولعله تصحيف . وما أثبتناه عن الإصابة في اسم « معاوية » . (٨) المنح : العطاء .

ذكر وفد كنانة وبني عبد بن عدى

قالوا: وقد واثلة بن الأسقع الليثي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى تبوك، فصلّى معه الصبح، فقال: «من
أنت؟ وما جاء بك؟ وما حاجتك؟ فأخبره عن نسبه، وقال: أتيتك لأومن بالله
ورسوله، [فقال رسول الله: ^(١) «فبايع على ما أحببت وكرهت». فبايعه ورجع إلى
أهله فأخبرهم، فقال أبوه: والله لا أكلمك كلمة أبدا، وسمعت أخته كلامه فأسلمت
وجّهته، ونفّرج راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجده قد سار إلى تبوك.
فقال: من يحملني عقبة وله سهمي؟ فحمله كعب بن عُجْرَةَ حتى لحق برسول الله صلى الله
عليه وسلم، وشهد معه تبوك. وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد بن
الوليد إلى أكيدر، فبغاه بسهمه إلى كعب بن عُجْرَةَ، فأبى أن يقبله وسوّغه إياه،
وقال: إنما حملتك لله تعالى.

قال: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بنى عبد بن عدى، وفيهم
الحارث بن أهبان، وعويمر بن الأحمم، وحبيب وربيعة أبنا ملة، ومعهم رهط
من قومهم، فقالوا: يا محمد، نحن أهل الحرم وساكنوه، وأعز من به، ونحن
لا نريد قتالك، ولو قاتلت غير قريش قاتلنا معك، ولكنا لا نقاتل قريشا. وإنا
لنجيبك ومن أنت منه، فإن أصبت منا أحدا خطأ فعليك ديتيه، وإن أصبنا
أحدا من أصحابك فعلينا ديتيه. فقال: «نعم» فأسلموا.

(١) زيادة يقتضها السياق. والخبر في أسد الغابة: فقال «ما جاء بك» قال: أبايع فقال
رسول الله «على ما أحببت...». الحديث.

(٢) عقبه: نوبة، وتعاقب المسافرين على الدابة ركب كل واحد منهما عقبه.

(٣) كان أصاب ست فلائص في هذه الغزوة. وأكيدر، تصغير أكرز: صاحب دومة الجندل.

(٤) في أ: «وساكنه».

ذكر وفد باهلة

قال : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُطَرِّفُ بن الكاهن الباهليّ بعد الفتح وافدا لقومه ، فأسلم وأخذ لقومه أماناً ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه فرائض الصدقات .

- ٥ ثم قدم نَهْشَلُ بن مالك الوائليّ من باهلة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وافدا لقومه ، فأسلم وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولمن أسلم من قومه كتاباً فيه شرائع الإسلام . كتبه عثمان بن عفان .

ذكر وفد هلال بن عامر

- قالوا : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من بني هلال ، فيهم عبد عوف بن أَصْرَمَ بن عمرو بن شُعَيْبَةَ ^(١) فأسلم ؛ فسَمَّاهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله . وفيهم قُبَيْصَةَ بن المخارق ، فقال : يا رسول الله ، أتى حملت عن قومي حمالةً فَأَعْنِي فيها ؛ قال : « هي لك في الصدقات إذا جاءت » .

- ١٥ قالوا : ووقَّد زياد بن عبد الله بن مالك ، فلما دخل المدينة ، توجه إلى منزل ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت خالة زياد — أمه عَزْرَةَ بنت الحارث ، وهو يومئذ شاب — فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندها ، فلما رآه غضب ورجع ، فقالت : يا رسول الله ، هذا ابن أختي ، فدخل إليها ثم نرج حتى أتى المسجد ومعه زياد ، فصلى الظهر ، ثم أدنى زيادا فدعا له ، ووضع يده على رأسه ، ثم حدَّرها على طَرْفِ أنفه . فكانت بنو هلال تقول : ما زلنا نتعرَّفُ البركة في وجه زياد . قال الشاعر لعلِّي بن زياد :

١٩

١٦

- ٢٠ (١) في الأصول : شعبة . وما أثبتناه عن الإصابة ، قال : « وشعبة بمجمة ثم مهملة ثم ثلثة مصغر » . (٢) حمالة : كفالة .

يَأْبَنَ الَّذِي مَسَحَ النَّبِيُّ بِرَأْسِهِ * ودعاه بالخير عند المسجد
أَعْنَى زِيَادًا لَا أُرِيدُ سِوَاهُ * من غَائِرٍ أَوْ مُتَمِّمٍ أَوْ مُنْجِدٍ^(١)
مَا زَالَ ذَلِكَ النُّورُ فِي عِرْسِنَيْهِ * حَتَّى تَبَوَّأَ بَيْتَهُ فِي الْمَسْجِدِ

ذَكَرَ وَفَدَ عَامِرَ بْنَ صَعْصَعَةَ

وَحَبِيبَ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدَ بْنَ قَيْسِ

قال محمد بن سعد : قَدِمَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ ،
وَأَرْبَدَ بْنَ رِبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ . — قَالَ آبَنُ إِسْحَقَ : وَأَرْبَدُ بْنُ قَيْسِ
ابْنِ جِرَّةِ بْنِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَجَبَّارُ بْنُ سَلْمَى بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ — [عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] . — قَالَ آبَنُ سَعْدٍ — فَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا لِي إِذَا
أَسَلَمْتُ ؟ قَالَ : « لَكَ مَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ » . قَالَ : أَتَجْعَلُ لِي الْأَمْرَ
مِنْ بَعْدِكَ ؟ قَالَ : « لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ وَلَا لِقَوْمِكَ » . قَالَ : أَتَجْعَلُ لِي الْوَبْرَ وَلكَ
الْمَدْرَ ؟ قَالَ : « لَا ، وَلَكِنِّي أَجْعَلُ لَكَ أَعْتَةَ الْخَيْلِ ، فَإِنَّكَ أَمْرٌ فَارِسٌ » . قَالَ :
أَوَلَيْسَتْ لِي ؟ ! لِأَمْلَأُهَا عَلَيْكَ خَيْلًا وَرَجُلًا . ثُمَّ وَلَّيْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ آكُفْنِيهِمَا ، اللَّهُمَّ وَاهِدِ بَنِي عَامِرٍ وَأَعِنِ الْإِسْلَامَ عَنْ عَامِرٍ »
— يَعْنِي آبَنَ الطُّفَيْلِ .

وقال ابن إسحاق : قَدِمَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يَا عَامِرُ ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسَلَمُوا فَأَسَلِمْ ،

(١) غار الرجل : إذ سار في بلاد الغور ، وأتاهم : أتى أرض تهامة ، وأنجد : أتى أرض نجد .
يريد البلاد كلها . (٢) في الأصول : « جرير » وهو تصحيف ، والتصويب من سيرة ابن هشام
وشرح القاموس مادة « جرأ » . (٣) تكملة من طبقات ابن سعد . (٤) عني بالوبر أهل
البادية ، وهو من وبر الإبل لأن بيوتهم يتخذونها منه ، وبالمدر أهل المدن والقرى ، لأن مبانيها
بالمدر ، وهو قطع الطين اليابس . (٥) في ابن إسحاق « ورجالا » والمعنى واحد .

- فقال : والله لقد كنت آليتُ ألا أتَميَ حتى تتبعَ العربُ عَبي ، وأنا أتبعَ عَقبَ هذا الفتي من قريش ! ثم قال لأرَبَدَ بن قيس : إذا قَدِمنا على الرجل فإني سأشغلُ عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فأعْله بالسيف . فلما قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطَّفيل . يا محمد ، خالني ^(١) . قال :
- « لا والله حتى تؤمن بالله وحده » ، فجعل يكرر هذا القول ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد عليه مقاتله ، وهو في ذلك ينتظر من أرَبَدَ ما أمره به ، فلم يصنع أرَبَدَ شيئا ، وكان آخر ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجلا ، فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أكفني عامر ابن الطَّفيل » فلما خرجوا من عنده قال عامر لأرَبَدَ : ويلك ! أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك ، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا . قال له أرَبَدَ : لا أبالك ! لا تعجل علي ، والله ما هممتُ بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلتُ بنبي وبين الرجل ، حتى لا أرى غيرك ! أفأضربك بالسيف ! قال : وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطَّفيل الطاعون في عنقه ، فمال إلى بيت امرأة من بني سَلول ، فجعل يقول : يا بني عامر ، غُدَّة كغُدَّة البكر ، وموت في بيت سَلولية ^(٢) ! قال : ومات فواراه أصحابه ، وخرجوا حتى قَدِموا أرض بني عامر ، فأتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أرَبَدَ؟ فقال : لا شيء ، والله لقد

(١) خالني ، بشد ياء اللام ، اتخذني خليلا وصاحباً ، من المخاللة وهي الصداقة . ومن رواه بخفيف اللام : فهو بمعنى تفرد لي خالياً حتى أتحدث معك . (شرح سيرة ابن هشام لأبي ذر) .

(٢) الغُدَّة : طاعون الإبل ، والبكر : الفتى منها . وإنما تأسف عامر أن لم يميت في ميدان القتال كما يموت الشجعان ، كما تأسف أيضا على موته في بيت سلولية ؛ لأن بني سلول موصوفون عندهم بالثؤم .

دعانا إلى عبادة شيء لو دِدْتُ أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد
مقاتلته بيوم أو يومين معه يحمل له يبيعهُ ، فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة
فأحرقتهما .

وقال أبو إسحق أحمد بن محمد الثعلبي في هذه القصة ، بسند يرفعه إلى عبد الله
ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : أقبل عامر بن الطَّقِيل وأرْبَد بن ربيعة يريدان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بالمسجد جالس في نفر من أصحابه ، فدخلا
المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر ، وكان أعور ، وكان من أجمل الناس ، فقال
رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، هذا عامر
أبن الطَّقِيل قد أقبل نحوك ، فقال : « دعه فإنَّ يرد الله به خيرا يهده » فأقبل حتى
قام عليه . فقال : يا محمد ، ما لي إن أسلمت ؟ فقال : « لك ما للمسلمين ، وعليك
ما على المسلمين » . قال : تجعل لي الأمر بعدك ؟ قال : « ليس ذلك إلى ،
إنما ذلك إلى الله عز وجل ، يجعله حيث يشاء » . قال تجعلني على الوبر وأنت
على المدر ؟ . قال : « لا » . قال : فماذا تجعل لي ؟ قال : « أجعل لك أَعِنَّة
الخيال تغزو عليها » . قال : أو ليس ذلك لي اليوم ؟ ! فم معي أكلّمك . فقام معه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوصى إلى أرْبَد بن ربيعة إذا رأيتني أكلّمه
فدُر من خلفه فأضربه بالسيف ، فجعل يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويراجعه ، فدار أرْبَد خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فاخترط من سيفه شبرا ،
ثم حبسه الله عز وجل عنه فلم يقدر على سلّه ، وجعل عامر يومي إليه ، فالتفت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى أرْبَد وما يصنع بسيفه ، فقال : « اللهم

(١) في بعض نسخ ابن إسحق : « يتبعه » .

(٢) استشرف النبي رفع بصره إليه ، وبسط كفه فوق حاجبه كالاستظل من الشمس .

أَكْفَيْنِيهَا بِمَا شِئْتُ . فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرْبَدَ صَاعِقَةً فِي يَوْمِ صَائِفٍ
فَأَحْرَقَتْهُ ، وَوَلَّى عَامِرٌ هَارِبًا ، وَقَالَ : يَا مَجْدُ ، دَعَوْتَ رَبَّكَ فَفَقْتَلَ أَرْبَدَ ، وَاللَّهُ
لَأَمْلَأَنَّ عَلَيْكَ خِيَلًا جَرْدًا ، وَفِتْيَانًا مُرْدًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« يَمْنَعُكَ اللَّهُ ذَلِكَ وَأَبْنَاءَ قَبِيلَةٍ » يَعْنِي الْأَوْسَ وَالخَزْرَجَ . فَنَزَلَ عَامِرٌ بَيْتَ امْرَأَةٍ
سَأَلُوهُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

تَحْيِرُ أَيْتَ اللَّعْنِ إِنْ شِئْتَ وَدَنَا * وَإِنْ شِئْتَ حَرَبَاتَ بَاسٍ وَمَصْدَقِ
وَإِنْ شِئْتَ فِتْيَانًا بِكَفَى أَمْرُهُمْ * يَكْبُونُ كَبَشَ الْعَارِضِ الْمَتَأَلِّقِ

فلما أصبح ضمَّ عليه سلاحه ، وقد تغير لونه ، وهو يقول :

لَعْمَرِي وَمَا عَمَرِي عَلَى بَهْسِينَ * لَقَدْ شَانَ حُرَّ الْوَجْهِ طَعْنَةً مَسْهَرِ
وَقَدْ عَلِمَ الْمَزْنُوقُ أَنِّي أَكْرَهُ * عَلَى جَمْعِهِمْ كَرَّ الْمُنْبِجِ الْمَشْهَرِ
إِذَا أَرَوْرَمِنَ وَقَعَ السَّنَانِ زَجْرَتُهُ * وَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَمْرٌ غَيْرُ مُقْصَرِ
وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْفِرَارَ خَزَايَةٌ * عَلَى الْمَرْءِ مَا لَمْ يُبْسِدْ عُدْرًا فَيُعْذِرِ
لَقَدْ عَلِمْتُ عَلِيًّا هَوَاؤَنَ أُنْتِي * أَنَا الْفَارَسُ الْحَامِي حَقِيقَةَ جَعْفَرِ

(١) الأجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات العنق والكرم .

(٢) المرء (جمع أمرد) ؛ وهو الشاب الذي لم تبد لحينه .

(٣) حر الوجه : ما أقبل عليك منه . ومسهر : هو مسهر بن يزيد الحارثي ، وهو الذي غدر بعامر
ابن الطفيل وطعنه بالرمح ، فقلق وجهه وشق عينه .

(٤) المزنوق : اسم فرس عامر . والمنبج : يعني القدح الذي يكثر به القداح ليس له فم ولا عليه
غرم ؛ كلما خرج رد حتى يخرج آخر القداح .

ويروى : * عشية فيف الرياح كرا المشهر *

وفيف الرياح : مكان كانت الوقعة فيه .

(٥) أروزم : عدل ومال إلى ناحية أخرى ؛ أي إذا مال عن الطعن رددته إليه .

ويروى : * وقلت له ارجع مقبلا غير مدبر *

(٦) خزاية : استجاء .

بجعل يركض في الصحراء ويقول : أبرزيا ملك الموت ! ثم أنشأ يقول :

أَلَا قَرَبَ الْمَزْنُوقِ^(١) إِذْ جَدَّ مَا أَرَى * لِتَعْرِيبِ يَسُومِ شَرُّهُ غَيْرُ حَامِدِ
أَلَا قَرَبَاهُ إِنِّ غَايَةَ جَرِينَا * إِذَا قَرَبَ الْمَزْنُوقُ بَيْنَ الصَّفَائِدِ
بَسُو عَامِرٍ قَوْمِي إِذَا مَا دَعَوْهُمْ * أَجَابُوا وَلَسِيَّ مِنْهُمْ كُلِّ مَا جِدِ

ويقول : والآيات اسثن أضحجر^(٢) إلى وصاحبه - يعنى ملك الموت - لأنفذهما
برمحي .

قال : فلما رأى الله عز وجل ذلك منه ، أرسل ملكاً فلطمه بيناحه ،
فأرداه في التراب ، ونحجت على ركبته غُدة عظيمة في الوقت ، فعاد إلى بيت
السُّلُويَّة وهو يقول : غُدة كغُدة البعير ، وموت في بيت سألوية . ثم دعا بفرسه
فركبه ، ثم أجراه حتى مات على ظهره .

قال : فرثي لبيد بن ربيعة أخاه أربد بجملته من المراثي ؛ فمنها هذه الأبيات :

قَضَّ اللَّبَانَةَ لَا أَبَاكَ وَأَذَهَبَ * وَأَلْحَقَ بِأَسْرَتِكَ الْكَرَامِ الْغَيْبِ^(٣)
ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْثَافِهِمْ * وَيَقْبِتُ فِي حَلْفِ يَكْجَلِدِ الْأَجْرِبِ^(٤)
يَتَلَذُّونَ مَسَلَذَةً وَمَجَانَةً * وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَتَشَعِبِ^(٥)
فَتَعَدَّ عَنْ هَذَا وَقُلْ فِي غَيْرِهِ * وَأَذْكَرُ شِمَائِلَ مِنْ أُخٍ لَكَ مُعْجِبِ^(٦)

(١) كذا في الأصول ، والمناسب أن يكون « قراها » بألف الاثنين ؛ لقوله بعد : « ألا قزباها » .
(٢) أضحجر : نخرج إلى الصحراء . . . (٣) اللبانة : بقية الحالة . الأسرة هنا القوم . الغيب :
الغائبون عنه . (٤) الأكتاف (جمع كنف) وهو الجانب يريد : في رعايتهم . والخلف (بالفتح) :
البدل ، يروى بالسكون وهو البقية ، والنسل . شبههم بجلد الأجرِب يعنى يشيون من صحبوا كما يشين
الجرِب الجلد . (٥) كذا البيت كما هو في الأصول ، وفي الديوان : « يتألون مغالة وخيانة » . وفيه :
* يتأكلون خيانة وملاذة *
والمجانة من الخيون . وفي نسخة من الديوان : مخانة من الخيانة . وقوله : وإن لم يشعب ، أى لم يفسد
والشعب : التفريق والصدع . وفي الديوان : وإن لم يشعب (بالعين) من الشعب وهو تهيب الشر .
(٦) الشمايل : الطبايع ، واحدها شمال . ومعجب : يعجب من رآه وعاشره .

إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رِزِيَّةَ مِثْلَهَا * فِقْدَانُ كُلِّ أَيْحِ كَضَوِّ الكَوْكِبِ^(١)
 مِنْ مَعْشَرِ سَنَتِ لَهْمِ آبَائِهِمْ * وَالْعِزُّ لَا يَأْتِي بِغَيْرِ تَطَلُّبِ
 يَا أَرْبَدَ الحَايِرِ الكَرِيمِ جُدُودُهُ * أَفْرَدْتَنِي أُمِّي بِقَرْنِ أَعْضِبِ^(٢)

وقال أيضا فيه :

مَا إِنْ تُعَدِّي المُنُونُ مِنْ أَحَدٍ * لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ^(٣)
 أَخَشَى عَلَى أَرْبَدِ الحُتُوفِ وَلَا * أَرْهَبُ نَوَى السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ^(٤)
 يَا عَيْنَ هَلَّا بَكَتِ أَرْبَدٌ إِذْ * قُمْنَا وَقَامَ الحُصُومُ فِي كَبِدِ^(٥)
 بَجَعَنِي الرِّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالنِّفَا * رِيسَ يَوْمِ الكَرِيهَةِ النَّجْدِ^(٦)

قال : وأنزل الله عز وجل في هذه القصة : ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ القَوْلَ وَمَنْ

جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾
 يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ يعني تلك المعقبات ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ . ثم قال تعالى مشيرا لهذين : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومُ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(٧)

٢١
١٦

(١) الرزية : المصيبة .

١٥ (٢) رجل أعضب إذا كان متفردا . والأعضب المكسور أحد قرنيه ؛ وهذا مثل أى ذهب حدى .

(شرح الديوان للعلوي) .

(٣) تعدى : ترك . وفي رواية : « تعرى » بالراء ؛ والمعنى : لا تدعه عاريا من المصائب .

(٤) الحتوف : جمع حنف وهو الموت . النوى : المطار . السماء : منزلة من منازل النجوم .

والأسد أحد البروج الاثني عشر . (٥) الكبد (بفتحين) : المشقة .

٢٠ (٦) بجعنى : أصابني بجمعة وهي المصيبة ؛ يقول : أصابته صاعقة . يوم الكريهة : أى الشدة .

النجدة : البطل ذو نجدة .

(٧) آية ١٠ ، ١١ سورة الرعد .

أى ملجأ يلجئون إليه . وقد قيل : (وال) يسلى أمرهم ، ويمنع العذاب عنهم . ثم قال تعالى : (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) . قال : (خَوْفًا) للسافر يخاف أذاه ومشقته . (وَطَمَعًا) للقيم يرجو بركته ومنفعته . (وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ . وَيَسْجِعُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ)^(١) قال الحسن : شديد^(٢) الحق .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : شديد الأخذ . وقد روى الثعلبي أيضا ، عن إسحق الحنظلي ، عن ربحان بن سعيد الشامي ، عن عبادة بن منصور ، قال سألت الحسن عن قوله عز وجل : (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) الآية .

قال : كان رجلاً من طواغيت العرب ، فبعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم نقرأ ليدعوه إلى الله عز وجل ورسوله أن يؤمن ، فقال لهم : أخبروني عن رب محمد هذا الذى تدعونى إليه ما هو ؟ ومم هو ؟ من ذهب أم فضة أم حديد أم نحاس ؟ فأستعظم القوم مقالته ، وأنصرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، ما رأينا رجلاً أكفر قلباً ، ولا أعتى على الله منه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرجعوا إليه » فرجعوا إليه فجعل لا يزيدهم على مثل مقالته الأولى وأخبت^(٣) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرجعوا إليه » فرجعوا ، فبيناهم عنده ينازعونه ويدعونه ويعظمون عليه ، وهو يقول هذه المقالة :

(١) آية ١٢ ، ١٣ من سورة الرعد .

(٢) قال الراغب : أى الأخذ بالعقوبة ، وقيل . المحال من الحول والحيلة والميم فيه زائدة .

(٣) فى تفسير الثعلبي : « أجيب محمداً إلى رب لا أراه ولا أعرفه ، فأنصرفوا إليه فقالوا : يا رسول

الله ما زادنا على مقالته الأولى » .

(١) إذ ارتفعت سجابة فكانت فوق رؤوسهم ، فرعدت وبرقت فرمت بصاعقة فأحترق الكافر وهم جلوس ، بغاءوا يسعون ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فأستقبلهم قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا لهم : أحترق صاحبكم . قالوا لهم : من أين علمتم ؟ قالوا : أوجى إلى النبي صلى الله عليه وسلم الساعة : (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) الآية . والله أعلم في أيهما نزلت .

ولنرجع إلى تيمة خبر وفد عامر بن صعصعة .

قال محمد بن سعد في طبقاته : وكان في الوفد عبدالله بن الشخير ، فقال : يا رسول الله ، أنت سيدنا ، وذو الطول علينا . قال : « السيد الله ، لا يستهوينكم الشيطان » .

قالوا : وقديم على رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن علاثة بن عوف ، وهوذة بن خالد بن ربيعة وأبنة ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالسا إلى جنيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوسع لعلقمة » فأوسع له ، فجلس إلى جنبه ، فقص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شرائع الإسلام ، وقرأ عليه قرآنا ، فقال : يا محمد ، إن ربك لكريم ، وقد آمنت بك ، وبايعت على عكرمة بن خصافة أحمى قيس ، وأسلم هوذة وأبنة وابن أخيه .

وروى ابن سعد عن عون بن أبي جحيفة السوائي عن أبيه قال : قدم وفد بني عامر وكنت معهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجدناه بالأبطح في قبة حمراء ، فسأمتنا عليه ، فقال : « من أنتم » ؟ قلنا : بنو عامر بن صعصعة . قال : « مرحبا بكم أنتم من وأنا منكم » .

(١) في تفسير الثعالبي : « فأحترقت الكافر » .

ذكر وفد تقييف وإسلامها وهدم اللات

كان قدوم وفد تقييف^(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسلامها في شهر رمضان سنة سبع من مهاجره .^(٢)

قال أبو عبد الله محمد بن إسحق ، وأبو محمد عبد الملك بن هشام ، وأبو عبد الله محمد بن سعد رحمهم الله ، دخل حديث بعضهم في حديث بعض : لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف لم يحضر عمرو بن مسعود ، ولا غيلان بن سلمة الحصار ، بل كانا بجريش يتعلمان صنعة العرادات^(٣) والمنجنيق^(٤) والدبابات ، فقدمتا وقد أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف ، فنصبا المنجنيق والعرادات والدبابات وأعدتا للقتال ، ثم ألقى الله في قلب عمرو الإسلام ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع أثره ، حتى أدركه قبل أن يصل المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنهم قاتلوك » فقال عمرو : يا رسول الله ، أنا أحب إليهم من أبكارهم . قال : فكرر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاثا ، فقال : « إن شئت فأخرج » فخرج ، وكان فيهم كذلك محببا مطاعا ، فسار إلى الطائف ، فسار تمسحا

٢٢
١٦

- ١٥ (١) تقييف ، كأمير : أبو هذه القبيلة من هوازن ، واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ، والنسبة إليه تقي . ومقر تقييف الطائف من بلاد الحجاز في عهده عليه الصلاة والسلام .
(٢) مهاجره : على صيغة اسم المفعول : أي موضع هجرته والمراد هجرته إلى المدينة .
(٢) جريش ، كفر : بخلاف باليمن منه الأديم والإبل . (قاموس) .
(٤) العرادات ، جمع عرادة بشد الزاء : شبه المنجنيق صغيرة ، والمنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة لذلك الحصون . والدبابات جمع دبابه مشددة : آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينبقونه وهم في جوفها ، وقد تطورت الدبابه فأصبحت اليوم من أهم سلاح الحروب .

فقديم عشاءً ، فدخل منزله ، بخاء قومه يُحيونه بتحيةة الشُّرك ، فقال : عليكم تحية أهل الجنة « السلام » . ودعاهم إلى الإسلام فخرجوا من عنده ياتَمرون به ، فلما طلع الفجر أوفى على عُرفة له فأذن بالصلاة ، فخرجت ثقيفٌ من كل ناحية ، فرمى رجل يقال له أوسُ بن عوف أخو بني سالم بن مالك — وقيل : بل هو وهبُ بن جابر رجلٌ من الأَحلاف — بسهم فأصابَ ^(١) أخته فلم يرقأ دمه ، فقام أشراف قومه ؛ وهم : غيلان بن سامة ، وكنانة بن عبد ياليل ، والحكم بن عمرو ابن وهب ، ووجوه الأَحلاف ، فلبسوا السلاح وحشدوا ، فلما رأى عُروة ذلك قال : قد تصدقتُ بدمي على صاحبه ؛ لأصلح بذلك بينكم ، وهي كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلي . وقال : آدفنوني مع الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات فدفنوه معهم ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال فيه : « إن مثله في قومه لكتل صاحب « يس » دعا قومه إلى الله فقتلوه » .

قالوا : ولحق أبو المُلَيْح بن عُروة ، وقاربُ بن الأسود بن مسعود برسول الله صلى الله عليه وسلم فأساما ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تولىا من شئتما » فقالا : نتولى الله ورسوله ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وخالكما أبا سُفيان بن حرب » فقالا : وخالنا أبا سُفيان .

قال ابن إسحق : ثم أقامت ثقيف بعدما قُتل عُروة أشهراً ، ثم اتَمروا بينهم ، وراوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا . وكان

(١) الأكل : عرق في وسط الذراع يكثر فصدده ، أو هو عرق الحياة يدعى نهر البدن إذا قطع

لم يرقأ الدم .

(١) مالك بن عوف قد أسلم كما قدمنا في غزوة حنين ، وجعل يُغِير على سرحهم .
 قال : وكان عمرو بن أمية أخا بني عِلاجٍ مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو ، وكان من
 أدهى العرب ، فشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن
 أخرج إلى ، فأستعظم عبد ياليل مشيه إليه ، وقال للرسول الذي جاءه : ويملك !
 أعمرو أرسلك إلى ؟ قال : نعم ، وها هو ذا واقفا في دارك ، فقال : إن هذا
 لشيء ما كنت أظننه ، لعمرو كان أمتع في نفسه من ذلك ، وخرج إليه ، فلمَّا
 رآه رَحِبَ به ، فقال عمرو له : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة ، إنه قد
 كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد أسلمت العرب كلها ، وليست لكم
 بحربهم طاقة ، فأنظروا في أمركم . فعند ذلك انتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضهم
 لبعض : ألا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ، ولا يخرج منكم أحد إلا أقتطع . فأجمعوا
 رأيهم أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم ، كما أرسلوا عمرو بن
 مسعود ، فعرضوا ذلك على عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن
 يُصنَع به إذا رجع كما صنَع بعروة ، فقال : لست فاعلا حتى يرسلوا معي رجالا ،
 فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بني مالك ، فبعثوا معه الحكم بن
 عمرو بن وهب بن معتب ، وشريحيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، ومن
 بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بشر أخا بني يسار ، وأوس بن عوف أخا بني سالم ،

(١) السرح : السائمة ترعى بنفسها ، مميت بالمصدر ؛ يقال : سرحت الإبل رعت بنفسها وسرحتها ،
 يتعدى ولا يتعدى ، وسرحتها بالتشديد للباغية والتكثير .

(٢) مهاجر : مقاطع .

(٣) ياليل كما بيل : صنم أضيف إليه كعبد يعوث وعبد العزى وليس بأمم رجل إلا مضافا إلى الصنم .

(٤) الهجرة : الهجرة ضد الوصل .

(٥) السرب ، بالفتح : المشاشية كلها ، والطريق ، وبالكسر النفس .

وَمُسَيَّرُ بْنُ حَرْشَةَ بْنِ رَبِيعَةَ أَخَا بَنِي الْحَارِثِ ، فَخَرَجَ بِهِمْ عَبْدُ الْبَلِيلِ وَهُوَ نَابُ الْقَوْمِ ^(١)
وَصَاحِبُ أَمْرِهِمْ .

وقال ابن سعد : كانوا بضعة عشر رجلا ، وهو أثبت .

- قال ابن إسحق : فلما دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ وَنَزَلُوا قَنَاةَ ، أَلْفَوْا بِهَا الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ^(٢)
يُرْعَى فِي نَوْبَتِهِ رِكَابَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ رِعِيَّتُهَا نَوْبًا ^(٣)
عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمُ تَرَكَ الرِّكَابَ عِنْدَ الثَّقَفِيِّينَ ، وَخَرَجَ يَسْتَشِيرُ رَسُولَ اللَّهِ ^(٤)
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدُومِهِمْ عَلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ
يَدْخُلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ رُكْبٍ تَقِيفٍ أَنْ قَدِمُوا
يُرِيدُونَ الْبَيْعَةَ وَالْإِسْلَامَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمَغِيرَةَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ لَا تَسْبِقْنِي إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ ، ففعل المغيرة . فدخل أبو بكر
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ بِقَدُومِهِمْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَرَجَ الْمَغِيرَةَ إِلَيْهِمْ
فَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُجِئُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ .
- قال : ولما قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً فِي نَاحِيَةِ
مَسْجِدِهِ — كَمَا يُزْعَمُونَ ^(٥) — ، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَيَبِينُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى كَتَبُوا كِتَابَهُمْ ، وَكَتَبَهُ خَالِدٌ بِيَدِهِ ، وَهُوَ :

(١) نَابُ الْقَوْمِ : سَيِّدُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ .

(٢) قَنَاةُ : وَادٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَيْهِ حَرْثٌ وَمَالٌ .

(٣) النَّوْبُ : جَمْعُ نَوْبَةٍ أَيْ يَتَنَاقَشُونَ رِعِيَّتَهَا .

(٤) يَسْتَشِيرُ : يَسْتَشِيرُ . وَفِي ابْنِ هِشَامٍ : « وَضَرِبَ يَسْتَشِيرُ » أَيْ وَثَبَ يَسْتَشِيرُ .

(٥) فِي الطَّبَقَاتِ : ضَرَبَ قُبَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِيهِمْ الْخَالِدُ وَيَلِيسُ فِيهِ : كَمَا يُزْعَمُونَ ،

وَلَا فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ : كَمَا يُزْعَمُ الْمُؤَرِّخُونَ .

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله، إلى المؤمنين : إن عِضَاهُ وَجَّ (١) وَصَيْدَهُ [حرام] لَا يُعْضَدُ ، (٢) مَنْ وَجِدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُجَلَّدُ وَتُزَعُّ ثِيَابُهُ ، (٣) فَإِنْ تَعَدَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤَخَذُ فَيُبَلِّغُ بِهِ النَّبِيَّ — مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَأَنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ . وَكُتِبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بِأَمْرِ الرَّسُولِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّهُ أَحَدٌ فَيُظْلَمُ نَفْسَهُ فِي أَمْرٍ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

قال ابن إسحق : وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم .

قال : وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية وهي الآلات ؛ لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ، فما برحوا يسألونه حتى سأله شهرًا واحدًا بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئًا مسمى . وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسأموا (٥) بتركها من سفهائهم ونسائهم وذرائعهم ، ويكرهون أن يروعا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فهدهماها . وقد كانوا سأله مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، وألا يكسروا أوثانهم بأيديهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقما كسروا أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه » . فقالوا : يا محمد ، فسئوتيكها وإن كانت دناءة . فلما أسلموا

(١) العِضَاهُ ، جمع عِضَاهَةٍ وعِضَةٌ ؛ وهي الشجرة العظيمة أو الخيط أو كل ذات شوك .

(٢) وَجَّ : موضع بناحية الطائف . وقيل : هو أسم جامع لحصونها . وقيل : أسم واحد منها يختمل

أن يكون على سبيل الحمى له . النهاية . (٣) الزيادة من شرح المواهب .

(٤) عضد الشجر قطعه . (٥) في السيرة لابن هشام : « أن يسلموا » .

وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ، أمر عليهم عثمان بن أبي العاص ، وكان من أحدثهم سناً ، وكان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن ، فقال أبو بكر الصديق ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى عن عثمان بن أبي العاص قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني على تقيف أن قال : « يا عثمان ؛ تجاوز في الصلاة وأقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة » .

قال ابن إسحاق : ولما توجهوا إلى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية ، فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك عليه ، وقال : أدخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان بماله بذى الهدم ، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه بنو معتب دونه خشية أن يرمى أو يضاب كما أصيب عمرو بن مسعود ، وخرج نساء تقيف حسرا يبكين ويقنن :
 لتُبَكِّين دُفَاعٌ * أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ^(٥)
 * لَمْ يُحْسِنُوا المِصَاعُ^(٦)

١٥ (١) تجاوز : تهازل بعدم الإطالة فيها ؛ ولذا قال عليه الصلاة والسلام : « وأقدر الناس بأضعفهم » . أي أحل الناس على رعاية الضعيف .

(٢) الهدم ، بفتح فكسر — ياقوت عن الواقدي — ما ليل وراه وادى القرى ، وفي نسخة من الأصل : بذى العرم ولم تجد له معنى . والمال عند أهل البادية النعم . المصباح . وهو المراد بأقام أبو سفيان بماله . (٣) حسرا جمع حاسر : بغيرها مكشوفات الرؤوس .

٢٠ (٤) سموا اللات دفاع اعتقادا منهم أنها هي التي تدفع عنهم الضر .

(٥) الرضاع : اللثام أو الذين رضعوا اللثوم من تدى أمهاتهم .

(٦) المصاع : الضرب بالسيف .

قال : ويقول أبو سفيان بن حرب ، والمغيرة يَضْرِبُهَا بالفأس : واهًا لك !
 أهلاً لك ^(١) ! فلما هدمها المغيرة بن شعبة وأخذ مالها وحليتها ، أرسل إلى أبي سفيان ،
 وحليتها مجموع ، ومالها من الذهب والجزع ^(٢) .

وقد كان أبو مليح بن عروة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضى عن
 أبيه عروة بن مسعود دينًا كان عليه من مال الطاغية ، فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « نعم » فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود : يا رسول الله فأقضه ،
 — وعروة والأسود أخوان لأب وأم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « الأسود مات مشركًا » ، فقال قارب : يا رسول الله ، لكن يصلُّ مُسْلِمًا ذا قرابة
 — يعني نفسه — إنما الدين على وأنا الذي أُطْلَبُ به . فأمر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية ، فلما جمع
 المغيرة مالها قال لأبي سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن
 تقضى عن عروة والأسود دينهما . فقضى عنهما .

قال المغيرة : فدخلت تقيف في الإسلام ، فلا أعلم قوما من العرب بنى أب
 ولا قبيلة كانوا أصحَّ إسلامًا ، ولا أبعد أن يوجد فيهم غشٌّ لله ولكتابه منهم .

ذكر وفد عبد القيس ^(٣)

قال محمد بن سعد : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل البحرين أن
 يقدّم عليه منهم عشرون رجلًا ، فقدموا ، رأسهم عبد الله بن عوف الأثبيج ،

(١) في نسخة من سيرة ابن هشام : « واهالك . آهالك » مكرًا للحسرة والتوجع ، والذي في الأصل
 معناه : توجعا وتحسرًا لك أهلاً .

(٢) الجزع بفتح الجيم وكسرهما : الخرز الجمالي وهو الذي فيه بياض وسواد تشبه به العين .

(٣) ينسبون إلى عبد القيس بن أفضى (بضاد مهملة مفتوحة ، على وزن أعمى) بن دعي (بضم الدال
 وسكون العين وكسر الميم) بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

وفيهم الجارود بن عمرو بن حنش ، ومُنْقِد بن حَبَّان وهو ابن أخت الأشج ، وكان قدومه عام الفتح ، ف قيل : يا رسول الله ، هؤلاء وفد عبد القيس ، فقال : « مَرَّحِبًا بِهِمْ نِعْمَ الْقَوْمُ عَبْدَ الْقَيْسِ » . قال : ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأفق صبيحة ليلته قَدِمُوا ، فقال : « لِيَأْتِيَنَّ رَكْبٌ مِنَ الْمَشْرِقِ لَمْ يُكْرَهُوا عَلَى الْإِسْلَامِ ، قَدْ أَنْصَرُوا الرِّكَابَ ، وَأَقْتُوا الزَّادَ ، بِصَاحِبِهِمْ عَلَامَةٌ ، اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لِعَبْدِ الْقَيْسِ ، أَتَوْنِي لَا يَسْأَلُونَ مَالًا ، هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ » .

قال : بغاءوا في ثيابهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فسأموا عليه ، فقال : « أَيَكُمُ عَبْدُ اللَّهِ الْأَشَجُّ » ؟ فقال : أنا يا رسول الله . وكان رجلا دَمِيمًا ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إِنَّهُ لَا يُسْتَقَى فِي مَسْوِكَ ^(١) ^(٢) الرِّجَالِ ، إِنَّمَا يُحْتَاجُ مِنَ الرَّجُلِ إِلَى أَصْغَرِيهِ لِسَانَهُ وَقَلْبَهُ » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فِيكَ خَصَلَتَانِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ تَعَالَى » فقال عبد الله : وما هما ؟ قال : « الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ ^(٤) » . قال : أشيء حَدَّثْتُ أُمَّ جُبَيْتُ عَلَيْهِ ؟ . قال : « بَلْ جُبَيْتُ عَلَيْهِ » . قال : وكان الجارود نصرانيا ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ورغبه فيه .

قال ابن إسحاق : فقال يا محمد ، إني قد كنت على دين ، وإني تاركٌ لديني لدينك : أقتضمن لي ديني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ ، أَنَا ضَامِنٌ لَكَ أَنْ قَدْ هَدَاكَ اللَّهُ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ » . فأسلم وأسلم أصحابه .

(١) في الطبقات : يستق . واستق واستق واحد . (٢) مسوك (جمع مسك بالفتح) : الخلد . (٣) هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ومعناه : إن المرء يعلو الأمور ويضبطها بجنانته ولسانه . (٤) الحلم ، بالكسر : العقل ، والأناة : الوقار والتثبت في الأمور . قال الراغب : والأناة التزودة ، وتأتي فلان تأنيا وأنى يأتي فهو آن ، أى وقور .

قال ابن سعد : وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس في دار رَمْلَةَ بنت الحارث ، وأجرى عليهم ضيافة ، وأقاموا عشرة أيام ، وكان عبد الله الأشج يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفقه والقرآن ، وأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز ، وفضل عليهم عبد الله الأشج ؛ فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ونسًا ، ومسح صلى الله عليه وسلم وجهه مُنْقِذَ بن حَبَّان .

ذكر وفد بكر بن وائل

قال ابن سعد : قَدِمَ وفد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في الوفد بشير بن الخُصَّاصِيَّة^(١) ، وعبد الله بن مَرْنَد ، وحسان بن خُوَظ ؛ ولذلك يقول رجل من ولد حسان :^(٢)

أنا ابن حسان بن خُوَظِ وأبي * رسول بكر كلَّها إلى النبي

قالوا : وقَدِمَ معهم عبد الله بن أسود بن شهاب بن عَوْف بن عمرو بن الحارث بن سدوس ، وكان يتزل أَيْمَامَةَ ، فباع ما كان له من مال باليَمَامَةِ ، وهاجر وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجراب من تمر ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة . وحيث ذكرنا وفد بكر بن وائل فلنذكر خبر الأعشى .

(١) قيل له ابن الخُصَّاصِيَّة نسبة إلى أمه . وكان اسمه زحما فسماه رسول الله بشيرا . وقد أخذوا في نسبه ، فقيل بشير بن يزيد بن معبد ، وقيل : بشير بن معبد بن شراحيل . (أسد الغابة) .
(٢) قائله بشر بن حسان الرازي يوم الجمل ، وقد شهد الواقعة مع أبيه ، وكانت راية بكر مع أخيه الحارث بن حسان فقتل فقيل فيه :

* أنتي الرئيس الحارث بن حسان *

ذكر خبر أعشى بن قيس

وآمداحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوعه قبل لقائه

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي ،

وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم ، أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة^(١)

أبن صعّب بن علي بن بكر بن وائل ، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام ، فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَلَمْ تَفْتَمِضْ عَيْنَكَ لَيْلَةَ أَرَمَدَا * وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَدَا^(٢)

وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا * تَنَاسَيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صُحْبَةَ مَهْدَا^(٣)

وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ * إِذَا أَصْلَحْتَ كَفَى عَادَ فَاؤْسَدَا^(٤)

كُهِولًا وَشَبَابًا فَقَدْتُ وَثَرَةً * فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا^(٥)

(١) هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة .
وفي التاج : ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وفي بعض المراجع : شراحيل بن عوف الخ . ابن ثعلبة الحصن
ابن عتاب بن صعّب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دهمي بن جديلة بن أسد بن
ربيعة بن نزار .

(٢) تفتض : استفهام تقرير ، يخاطب نفسه تجريدًا ، وليلة أرمدا : أي ليلة رجل ، أرمدا :
أفقر ، والقوم أمحلوا وهلك مواشيهم . ويروي : «وعاداك ما عاد السليم» ، والسليم : اللدغ قيل ،
له تفاؤلا كما قيل مغارة للفلاة المهلكة ، والمسهد : القليل النوم أرقا ، أو الذي لا ينام .

(٣) يروي : «خلة» مكان «صحبة» . مهددا : اسم امرأة ، يكعفر ، والألف للإطلاق .

(٤) يقول : إذا أتخذت مالا وأصطفت أخا جاء الدهر فذهب به .

(٥) الذي في الديوان (طبع أوروبا) وفي المعنى لابن هشام : «شباب وشيب وافتقار وثررة» .

وما زلتُ أُنَبِّئُ الْمَالَ مُدًّا أَنَا يَا فَعُّ * وَلَيْدًا وَكَهْلًا حِينَ سَبْتُ وَأَمْرَدًا^(١)
 وَأَبْتَدِلُ الْعَيْسَ الْمَرَاقِيلَ تَعْتَلِي * مَسَاقَةَ مَا بَيْنَ النَّجِيرِ فَصْرَخْدًا^(٢)
 أَلَا أَيُّهَا السَّائِلِي أَيَّنَ يَمَّتْ * فَإِنَّ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدًا^(٣)
 فَإِنَّ نَسَائِلِي عَنِّي فَيَا رَبِّ سَائِلِي * حَفِيٌّ عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدًا^(٤)
 أَجَدَّتْ بِرَجْلَيْهَا النَّجَاءَ وَرَاجَعَتْ * يَدَاهَا خِنَافًا لَيْنًا غَيْرَ أَحْرَدًا^(٥)
 وَفِيهَا إِذَا مَا هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةً * إِذَا خَلَّتْ حِرْبَاءَ الظُّهَيْرَةِ أَصِيدًا^(٦)

(١) البافع : الغلام الذي قارب الحلم . والوليد : الصبي . والكهل : الذي بلغ الأربعين ،
 أو جاوز الثلاثين ، أو وخطه الشيب . والأمرد : الذي لا شعر على وجهه ، من تمر يد الغصن ، وهو
 تجر يده من الورق ، وتصب ولدا على أنه خبر كان مقدرة . وفي هذا البيت إيلا . (مد) الجملة الاسمية ،
 وهو من الشواهد لهذا .

(٢) العيس : الإبل . المراقيل : المرعة . تعتلي : تغالى في السير . النجير كزبير : حصن قرب
 حضرموت . وصرخد : موضع بالشام . ويروى : «وأبتعث العيس المراسيل» . وقال بعض : العيس :
 الإبل البيض ، وهي ضرب من النجائب .

(٣) يمت : قصدت . يثرب : المدينة المنورة على ما كتبت أفضل الصلاة والسلام .

(٤) الحفي : الذي يكثر السؤال في إلحاح . وأصعد : ذهب في الأرض . وأصعد أتى مكة ، وأصعد
 انحدرت في الوادي .

(٥) أجدت : سلكت . والنجاء : المرعة في السير . الخفاف : لين في أرساغ البعير ، تقول منه :
 خنفت البعير يخنف خنفا إذا سار فقلب خف يده إلى جانبه الأيمن . وأخرد ، بالخاء المهملة : الذي
 يخبط يديه إذا سار . وهذا أحتراس .

(٦) عجرية : لاتبالي في سيرها لنشاطها . وهجرت : دخلت في الهجرة . خلت : حسبت .
 الحرباء : وهي دويبة تستقبل الشمس حتى تقرب كيفما دارت راقعة يديها ورأسيها ، والظهيرة : وقت
 الهجرة ، والأصيد : البعير الذي به الصيد ، وهو داء يأخذ الإبل في رؤوسها فلا تزال راقعة رأسها منه ،
 يصف ناقته بهوج وقلة مبالاة لمرعتها .

وأما إذا ما أدبجت فترى لها * رَقِيبَيْنِ جَدِيًّا مَا يَغِيبُ وَفَرَقَدًا^(١)
 فَأَلَيْتُ لَا آوِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ * وَلَا مِنْ حَنَى حَتَّى تُلَاقِي مُحَمَّدًا^(٢)
 مَتَى مَا تُنَاجِي عِنْدَ بَابِ أَبِي هَاشِمٍ * تُرَاحِي وَتَلْقَى مِنْ قَوَاضِيهِ نَدَا^(٣)
 نَبِيِّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ * أَغَارَ لِعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجِدَا^(٤)
 لَهُ صَدَقَاتُ مَا تُعَبُّ وَنَائِلٌ * وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعَهُ غَدَا^(٥)
 أَجْدَكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ * نَبِيُّ الْإِلَهِ حَيْثُ أَوْصَى وَأَشْهَدَا^(٦)

٢٥
١٦

(١) أدبجت : سارت بالليل ، الجدى بالفتح : كوكب تعرف به القبلة وهو من نجوم بنات نعش
 الصغرى ، ويقال له جدى الفرقد ، والفرقد أيضا نجم هندي به ، وجاء في الشعر مفردا ومعنى كذوله :
 وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أيسك إلا الفرقدان

١٠ والفرقدان : نجمان في السماء لا يعرفان ، ولكنهما يطوفان بالجدى الذى هو من البروج . يصف ناقته بأنها
 سريعة السير إلى حد الهوج بالنهار ، وفي الليل تستمر سائرة الليل كده راغبة الوصول إلى النبي محمد صلى الله
 عليه وسلم .

(٢) آليت : أقسمت . آوى : أقيم . يروى : « لا أرى » وكلاله : تعب وإعياء . والحنى
 (مقصود) : انسحاج القدم من كثرة المشى يريد ناقته . « تلاقى » يروى : « تزور » .

١٥ (٣) أناخ الجمل : برك ؛ يقال أناخ الجمل نفسه ولا يقال ناخ . في بعض الأصول : « تريحى » ، من
 أراح : رجعت إليه نفسه بعد الإعياء وصار ذا راحة . فواضله : هى الأيادى الجسيمة أو الجميلة ، الندى :
 الجود ، ويروى : « يدا » أى نعمة وإحسانا .

(٤) يرى هنا بمعنى علم أى يعلم ما لا تعلمون . أغار : من الغور وهو المنخفض من الأرض . وأنجدا :
 من النجد وهو ما ارتفع منها . يريد عم ذكره جميع البلاد .

٢٠ (٥) تعب : تأق مرة وتختلف مرة ، يريد لا تنقطع . والنائل : العطاء الذى ينالك .
 (٦) أجدك : أحقا ، وهو بالفتح والكسر وهو أفصح لا يقال إلا مضافا ، قال الأصمى : معناه أنجدا
 منك ، ونصبه بطرح الباء ، قال اللبث : إذا كسر استخلفه بحقيقته ، وإذا نصب استخلفه بيجته ، وقال
 بعض : كأنما استخلفه بوالد أبيه . قال أبو حيان : إن الاسم المضاف حقه أن يناسب فاعل الفعل
 في الخطاب والتكلم والغيبة ، نحو أجدى وأجدك وأجده لأنه مصدر يؤكد الجملة التى بعده . والوصاة : الوصاية .

إذا أنت لم ترحل يناد من التقي * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا^(١)
 ندمت على ألا تكون كمثليه * فترصد للأمر الذي كان أرصدنا^(٢)
 فلإياك والميتات لا تقربنهما * ولا تأخذن سهما حديدا لتفصدا^(٣)
 ولا النصب المنصوب لا تنسكنه * ولا تعبد الأوثان والله فأعبدا^(٤)
 ولا تقربن جارة إن سرها * عليك حرام فأنكحن أو تأبدا^(٥)
 وذا الرحيم القربى فلا تقطعنه * لعاقبة ولا الأسير المقيدا^(٦)
 وسبح على حين العشيات والضحى * ولا تمجد الشيطان والله فأحمدا^(٧)
 ولا تسخرن من بائس ذي ضرارة * ولا تحسبن المال لشره مخلدا^(٨)

(١) الزاد : المذخر الزائد على ما يحتاج إليه في الوقت . والتزود : أخذ الزاد ، قال تعالى :
 « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » . (مفردات الراغب) .

(٢) كنهله ، الكاف زائدة . أرصد : أعد للأمر عدته ، والرصد : الاستعداد للترقب ، ويروي :
 * وأنت لم ترصد لنا كان أرصدا *

(٣) القصد : قطع عرق ليشخب الدم ، فكانوا في الجاهلية يفسدون لشرب الدم . وحذر الأعشى
 من أكل الميتة وشرب الدم . (٤) النصب : الأصنام . والنسك : الذبح لها ، وكانوا يعقبون
 عندها ثم يطلون رءوسها بدم العقيرة . ويروي : وذا « النصب » . ونصبه على التحذير . (٥) سرها :
 وطأها . وتأبد : تعزب وتعفف عن النساء . (٦) وفي الديوان بدل هذا البيت :

ولا السائل المحروم لا تركمه * لعاقبة ولا الأسير المقيدا

وفي شرح قصيدة الأعشى (المخطوط رقم ١٧٣٦ أدب) : « فلا تقطعه لفاقته » ومثله في حواشي الديوان
 (طبع أوروبا) . (٧) ويروي : « وصل » مكان « وسبح » والمعنى واحد ، كقوله تعالى :
 « يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال » « وعلى » للظرفية بمعنى « في » كقوله تعالى : « ودخل
 المدينة على حين غفلة من أهلها » أي في حين . (٨) البائس : الفقير الشديد الحاجة . الضرارة : الضرر
 وهو سوء الحال في البدن أو النفس أو المال ؛ قال الراغب : الضر سوء الحال إما في نفسه قلقة العلم
 والفضل والعفة ، وإما في بدنه لعدم جارحة أو نقص وإما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه . وفي القصيدة
 الخطبة المذكورة آنفا . « ذي ضرورة » . ويروي :

* ولا تحسبن المرء يوما مخلدا *

والخلد البقاء والدوام .

فلما كان بمكة أو قريبا منها ، آتراه بعض المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُسَلِّمَ ، فقال له : يا أبا بصير إنه يحرم الزَّنى . فقال الأعشى له : والله إن ذلك لَأَمْرٌ مالى فيه من أَرِبٍ . فقال : يا أبا بصير فإنه يحرم الخمر . فقال : أما هذه فوالله إن في النفس منها لَعَلَّالَاتٍ ^(١) ، ولكنى منصرف فأترؤى منها عاىى هذا ثم آتته فأُسَلِّمَ . فأَنصَرَفَ فأت من عامه ذلك ، ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذِكْرُ وَفْدِ تَغْلِبِ

قال : وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ بَنِي تَغْلِبِ ، وَهُمْ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا مُسْلِمِينَ ، وَنِصَارِي عَلَيْهِمْ صُلبُ الذَّهَبِ ، فَتَزَلُّوا دَارَ رَمَلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ، فَصَالَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّصَارِي عَلَى أَنْ يُقَرَّرَهُمْ عَلَى ذِمَّتِهِمْ ^(٢) ، عَلَى أَلَّا يَصْبِغُوا أَوْلَادَهُمْ فِي النَّصْرَانِيَّةِ ، وَأَجَازَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ بِجَوَائِزِهِمْ .

ذِكْرُ وَفْدِ حَنِيفَةَ

قالوا : قَدِمَ وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ بِضْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا ، فِيهِمْ رَجَالُ بَنِي عُنْفُوسَةَ ، وَسَامِيُّ بْنُ حَنْظَلَةَ ، وَطَلْحُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ قَيْسٍ ،

- ١٥٠ (١) علالات (جمع علالة) : وهى البقية ؛ يريد بقايا من تعلق النفس بها .
 (٢) هم قوم من مشركى العرب طلبهم عمر بالجزية فأبوا أن يعطوها باسم الجزية وصالحوا على اسم الصدقة مضاعفة ، وروى أنه قال : هاتوها وصموها ما شئتم . والنسبة إليسا تغلبي ، بكسر اللام على الأصل ، قال ابن المراج : ومنهم من يفتح للتخفيف استئقالاتا لئوالى كسرتين مع ياء النسب (المصباح) . وتغلب هذا هو ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفضى بن دعى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن تزار بن معد بن عدنان .
 ٢٠ (٣) وفى : الطبقات «على دينهم» .
 (٤) بنو حنيفة : قبيلة كبيرة كانوا يتزولون الجماعة بين نجد والأحقاف وهى أقرب إلى نجد لهذا عدها بعضهم منه ، ينسبون إلى جدتهم حنيفة بن بلجيم — بالجميم — ابن صعيب بن على بن بكر بن وائل .
 (٥) رجال ، كشداد . وفى التاج : «وهم من ضبطه بالحاء المهملة» . وهو فى الطبقات بالحاء .

وَحُرَّانُ بْنُ جَابِرٍ، وَعَلِيُّ بْنُ سِنَانَ، وَالْأَقْعَسُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، وَمَسِيْمَةُ
 ابْنُ حَبِيبٍ، وَهُوَ الْكَذَّابُ. وَعَلِيُّ الْوَفْدِ سَمِيُّ بْنُ حَنْظَلَةَ، فَأَنْزَلُوا دَارَ رَمْلَةَ بِنْتِ
 الْحَارِثِ، وَأَجْرِيَتْ عَلَيْهِمْ ضِيَاغَةٌ. فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ،
 فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَشَهِدُوا شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَخَلَفُوا مَسِيْمَةَ فِي رِحَالِهِمْ. وَأَقَامُوا أَيَّامًا
 يَخْتَلِفُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَانَ رَجَالُ بْنُ عَنُقُوَّةٍ يَتَعَلَّمُ
 الْقُرْآنَ مِنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجُوعَ إِلَى بِلَادِهِمْ، أَمَرَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَائِزِهِمْ: خَمْسِ أَوَاقٍ لِكُلِّ رَجُلٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
 خَلَقْنَا صَاحِبًا لَنَا فِي رِحَالِنَا يَبْصُرُهَا لَنَا، وَفِي رِكَابِنَا يَحْفَظُهَا عَلَيْنَا، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ مَا أَمَرَ لِأَصْحَابِهِ. وَقَالَ: «لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا لِحَفْظِهِ
 رِكَابَكُمْ وَرِحَالَكُمْ». فَقَبِلَ ذَلِكَ الْمَسِيْمَةَ فَقَالَ: عَرَّفَ أَمْرَ الْأَمْرِ إِلَى مَنْ بَعْدَهُ.
 وَأَعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِدَاوَةَ مِنْ مَاءٍ فِيهَا فَضْلُ طَهُورِهِ،
 فَقَالَ: «إِذَا قَدِمْتُمْ بِلَادَكُمْ فَأَكْسِرُوا بَيْعَتَكُمْ، وَأَنْصَحُوا مَكَانَهَا بِهَذَا الْمَاءِ، وَأَتَّخِذُوا
 مَكَانَهَا مَسْجِدًا» ففعلوا، وصارت الإداوة عند الأقعس بن مسلمة، وصار المؤذن
 طلق بن علي، فأذن فسمعه راهب البيعة، فقال: كلمة حق. وهرب فكان
 آخر العهد به.

ثم ادعى مسيمة الكذاب بعد ذلك النبوة، وشهد له الرجال أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أشركه في الأمر، فأفتتن الناس به، وكان من أمره ما نذكره
 إن شاء الله تعالى في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٣٦
 ١٦

(١) في الأصل: «أبن سلمة»، وصوابه سلمة كما في الطبقات وما يأتي بعد. (٢) في الطبقات:
 «ابن عبد عمرو». (٣) قال شارح المواهب: «رملة بنت الحدث بدال بعد الحاء المهملة لا برا.
 قبلها ألف، كما قال ابن سعد وغيره» قال: «وكانت دارها دار الوفود». وهي أنصارية بحجازية.
 (٤) البيعة: متعبد النصارى. (٥) ابن عنقوة المتقدم.

ذكر وفد شيبان

قال : وَقَدِمَ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ حُرَيْثُ بْنُ حَسَّانَ الشَّيْبَانِيُّ ، فَبَاعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَعَلَى قَوْمِهِ ، وَصَحَّبَهُ فِي مَسِيرِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبِيلَةَ بَنْتِ مُحَمَّدَةَ التَّمِيمِيَّةِ ، وَهِيَ الَّتِي أَرَعَدَتْ مِنَ الْفَرَقِ لِمَا آتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهَا : « يَا مَسْكِينَةَ عَلَيْكَ السَّكِينَةُ » [فهدأت^(١)].
 رَوَى عَنْ قَبِيلَةَ بَنْتِ مُحَمَّدَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : إِنَّ حُرَيْثَ بْنَ حَسَّانَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ بِالذَّهْنَاءِ لَا يَجَاوِزُهَا إِلَيْنَا مِنْهُمْ إِلَّا مَسَافِرٌ أَوْ مَجَاوِرٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا غَلَامُ أَكْتُبْ لَكَ بِالذَّهْنَاءِ » ، قَالَتْ قَبِيلَةُ : فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَمَرَ لِي بِأَنْ يَكْتُبَ لِي بِهَا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَمْ يَسْأَلْكَ السُّوَيْدَةَ مِنَ الْأَرْضِ إِذْ سَأَلَكَ ، إِنَّمَا هَذِهِ الذَّهْنَاءُ عِنْدَكَ ، مُقَيَّدُ الْجَمَلِ ، وَمَرَعَى الْغَنَمِ ، وَنِسَاءُ تَمِيمٍ وَأَبْنَاؤُهَا وَرَاءَ ذَلِكَ . فَقَالَ [رَسُولُ اللَّهِ] : « أَمْسِكْ يَا غَلَامُ ، صَدَقَتْ الْمَسْكِينَةُ ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ يَسْعُهُمَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ ، وَيَتَعَاوَنَانِ عَلَى الْفِتَنِ » . فَلَمَّا رَأَى حُرَيْثٌ أَنَّ قَدْحِيْلَ دُونَ كِتَابِهِ ، ضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، وَقَالَ : كُنْتُ أَنَا وَأَنْتِ

- (١) في أسد الغابة أن الصحيح اسمه الحارث بن حسان ، وهو من ذهل بن شيبان .
 (٢) وهي العنبرية — لأن العنبر من تميم — وهذا هو الصحيح كما في أسد الغابة .
 (٣) الفرق ، بالتحريك : الخوف ، والرعدة : الاضطراب يصيب الإنسان من الخوف الشديد .
 (٤) في الأصول « فهاجرت » مكان « فهدأت » والسياق لا يستقيم مع الأصول ، ويقيد ما أثبتنا ما في الطبقات . (٥) الدهناء : ديار بني تميم ، تقصر وتمد وهي من أكثر بلاد الله كلاً .
 (٦) في الطبقات : فلما رأته أمر له بأن يكتب له بها شخص في وهي وطني وداري فقلت الخ .
 (٧) مقيد الجمال : أي أنها مخصصة بمرعة ، والجمال يقيد فيها ويحلى لا يتعدى مرتمه .
 (٨) زيادة بقضها السياق . (٩) الفتان في الحديث ، يروى بالضم والفتح ، فالضم جمع فتن ، أي يعاون أحدهما الآخر على الدين يضلون الناس عن الحق ويفتنونهم ، وبالفتح مفرد وهو الشيطان لأنه يفتن الناس عن الدين ، وفتان من أبنية المبالغة في الفتنة .

[كما قيل] : ^(١) « حَتَفَهَا تَحْمِلُ ضَانٌّ بِأُظْلَافِهَا ^(٢) » فقالت : أَمَا وَاللَّهِ أَنْ كُنْتُ لَدَيْلًا فِي الظُّلْمَاءِ ، جَوَادًا بِذِي الرَّحْلِ ، عَفِيفًا عَنِ الرَّفِيقَةِ ، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْ لَا تَلْمَسُنِي عَلَى حَظِّي إِذْ سَأَلْتَ حَظَّكَ . فَقَالَ : وَمَا حَظُّكَ فِي الدَّهْنَاءِ لَا أَبَا بَكٍ ؟ ! قُلْتُ : مُقَيَّدٌ جَحْلِي تَسْأَلُهُ لِيَجْلِسَ أَمْرَأَتُكَ ! قَالَ : لَا جَرَمَ ، إِنِّي أُشْهِدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي لَكَ أُخٌّ مَا حَيَّيْتُ إِذْ ^(٣) أَثْبِتَ هَذَا عَلَى عِنْدِهِ . فَقُلْتُ : [أَمَا ^(٤)] إِذْ بَدَأَتْهَا فَلَنْ أُضِيعَهَا . وَحَدِيثُ قَبِيلَةٍ فِيهِ طُولٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ .

(١) الزيادة من الطبقات .

(٢) هذا مثل ؛ يقول في جمع الأمثال للبداني : يضرب لمن يوقع نفسه فيهلكة . وأصله أن رجلاً وجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فضربت بأظلافها الأرض ، فظاهر سكين فذبحها به . وهذا المثل لحريث ابن حسان الشيباني تمثل به بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لقبيلة التميمية ، وكان حريث حملها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله إقطاع الدهناء ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلمت فيه قبيلة ، فعندها قال حريث : كنت أنا وأنت كما قيل : « حَتَفَهَا تَحْمِلُ ضَانٌّ بِأُظْلَافِهَا » ضَانٌّ فَاعِلٌ تَحْمِلُ وَحَتَفَهَا مَفْعُولٌ .

(٣) في الطبقات : « أَثْبِتَ » .

(٤) الزيادة من الإصابة .

ذكر وفادات أهل اليمن

ذكر وفد طيبي وخبر زيد الخليل وعدى بن حاتم

قالوا : وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيبي خمسة عشر رجلا ،
 رأسهم ، وسيدهم زيد الخليل بن مهلهل ، من بني نهبان ، وفيهم وزر بن جابر بن
 سدوس النبهاني ، وهو قاتل عذرة ، وقبيصة بن الأسود بن عامر من جرم طيبي ،
 ومالك بن عبد الله بن خيرى من بني معين ، وقعين بن خلف من جديلة ،
 ورجل من بني بولان ، فدخلوا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ،
 فعقلوا وراحلهم بفناء المسجد ، ثم دخلوا فدنوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فعرض عليهم الإسلام ، فأسلموا وأجازهم بخمس أواق فضة لكل رجل منهم ،
 وأعطى زيد الخليل آتني عشرة أوقية ونشأ . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما ذكر
 لي رجل من العرب إلا رأيت له دون ما ذكر لي إلا ما كان من زيد الخليل ، فإنه
 لم يبلغ كل ما كان فيه » .

وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « زيد الخير » وقطع له قيد وأرضين^(٦)
 معه ، وكتب له بذلك كتابا ، فخرج مع قومه راجعا ، فقال رسول الله صلى الله

- ١٥ (١) في أسد الغابة والإمامة : وزر بن سدوس . إلا أن الإصابة نقل فيها عن الرضاطي : وزر بن
 جابر . وعذرة الذي قتله هو العبيس المشهور . ونقل عن أبي الفرج أن وزر هذا لحق بالشام وتصر ومات
 على ذلك . (٢) خيرى ، بفتح الراء . وألف مقصورة ابن أفلت بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معين .
 (٣) قعين ، كزبير من القعن وهو ارتفاع في أرنبة الأنف وتصر فاحش في الأنف ضد . وفي الطبقات
 ابن خلف بالتحريك . (٤) جديلة . من قبائل طيبي ، وهي أم جندب وحور ، يعرفون بأهمهم .
 ٢٠ وفي الطبقات : « ابن جديلة » وليس بصحيح لما رأيت . (٥) هو بولان بن عمرو بن العوث من طيبي .
 (٦) قيد مثال بيع : منزل في نجد بطريق مكة من العراق . وفي التاج : « قال السكوني كان قيد فلاة
 في الأرض بين أسد وطبي في الجاهلية ، فلها قدم زيد الخليل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعه قيد » .

عليه وسلم : « إِنَّ يَنْجَ زَيْدٌ مِنْ حُمَى الْمَدِينَةِ فَإِنَّهُ » ، فلما آتتهى زيد من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له قردة أصابته الحمى فمات ، فعمدت أمرأته إلى ما كان النبي صلى الله عليه وسلم كتب له فخرقه بالنار .

هذا ما كان من خبر زيد الخليل .

وأما عدي بن حاتم فكان من خبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفليس - صَمَّ طِيَّ - ليهدمه ويشتت الغارات ، فخرج فاغار على حاضر آل حاتم ، وأصابوا أبنة حاتم ، كما قدمنا ذكر ذلك في الغزوات والسرايا ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبأيا طيَّ . وقيل : إنما سبأها من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل كان عليها خالد بن الوليد ، وهرب عدي بن حاتم حتى لحق بالشام .

حكى محمد بن إسحق رحمه الله قال : كان عدي بن حاتم يقول - فيما بلغني - :

ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني ، أما أنا فكنت أمراً شريفاً ، وكنت نصرانياً ، وكنت أسير

٢٧
١٦

(١) في شرح المواهب : بناء « ينج » ففعل و (إن) جازمة ، أي فإنه لا يصاب بسوء كما قدره بعض ، أولم يصبه ضرر ، يعني أن جواب الشرط محذوف تقديره : فإنه لا يصاب بسوء . ولم يقدر في الإصابة الجواب كأنه اكتفى بوضوحه ، وذكر أنه أصابه الحمى بما . يقال له قردة فمات . (٢) هكذا بالقاف والواو والذي في شرح المواهب : « فردة بالقاف المفتوحة والذال المهملة بينهما ، ساكنة ثم تا . تأنيث » . راجع معجم ياقوت ، فقيه بسط في الخلاف بالقاف ، أو بالقاف ، وتحديد المكان في ج ٣ ص ٨٧١ (طبع أوروبا) . (٣) الفليس بكسر القاف وسكون اللام هو ضبط القاموس ، وفي ياقوت بضم القاف ، وأكثرهم على أنه بفتح القاف . (راجع الأصنام لابن الكلبي ص ١٥ و ص ٥٩ طبع دار الكتب) . (٤) اسمها سفانة ، بفتح السين المهملة وشد الفاء ثم ألف فتون وتاء التأنيث . والسفانة ، اللؤلؤة ، وكان حاتم يكنى بها ، و يقال : هو أجود من أبي سفانة .

- في قومي بالمِرباع ، أى أخذ منهم رُبْعَ مَغَانِمِهِمُ الَّتِي يَغْنَمُونَهَا ، وَكُنْتُ فِي نَفْسِي عَلَى دِينٍ ، وَكُنْتُ مَلِكًا فِي قَوْمِي لِمَا كَانَ يُصْنَعُ بِي ، فَلَمَّا سَمِعْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرِهْتُهُ ، فَقُلْتُ لِفُلَانٍ كَانَ لِي عَرَبِيٌّ ، وَكَانَ رَاعِيًا لِإِبِلِي : لَا أَبَا لَكَ ! أَعَدِدْ لِي مِنْ إِبِلِي جَمَالًا ذُلًّا سِمَانًا فَأَحْتَبِسُهَا قَرِيبًا مِنِّي ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِجَيْشِ مُحَمَّدٍ قَدْ وَطِئَ هَذِهِ الْبِلَادَ فَأَذِنِّي . فَفَعَلَ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَانِي ذَاتَ غَدَاةٍ فَقَالَ : يَا عَدِيٌّ ، مَا كُنْتُ صَانِعًا إِذَا غَشِيَتْكَ خَيْلٌ مَجْدٍ فَأَصْنَعُهُ الْآنَ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ رَايَاتٍ فَسَأَلْتُ عَنْهَا فَقَالُوا : هَذِهِ جِيُوشُ مَجْدٍ . فَقُلْتُ : فَقَرَّبْتُ إِلَى أَجْمَالِي . فَقَرَّبَهَا فَاحْتَمَلْتُ بِأَهْلِي وَوَلَدِي ، ثُمَّ قُلْتُ : الْحَقُّ بِأَهْلِ دِينِي مِنَ النَّصَارَى بِالشَّامِ ، فَسَلَكْتُ الْجَوْشِيَّةَ - وَيُقَالُ الْجَوْشِيَّةُ ^(١) - وَخَلَقْتُ بِنْتًا لِحَاتِمِ فِي الْحَاضِرِ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الشَّامَ أَقْبَتُ بِهَا ، وَتَخَالَفَنِي خَيْلُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَصِيبُ ابْنَةِ حَاتِمِ فِيمَنْ أَصَابَتْ ، فَقُدِّمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَبَايَا طِيٍّ ، وَقَدْ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَرَبِي إِلَى الشَّامِ ، قَالَ : جُعِلَتْ ابْنَةُ حَاتِمِ فِي حَظِيرَةِ بَابِ الْمَسْجِدِ كَانَتْ السَّبَايَا تُحْبَسُ فِيهَا ، فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ أَمْرًا جَزَلَةً ^(٢) ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَّكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَالِدُ ، فَأَمْنٌ عَلَيَّ ، مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ . قَالَ : « وَمَنْ وَافِدُكَ » ؟ قَالَتْ : عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ . قَالَ : « الْفَارِزُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » ؟ ! . قَالَتْ : ثُمَّ مَضَى وَتَرَكَنِي ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ مَرَّ بِي فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ بِالْأَمْسِ ، قَالَتْ : حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ الْغَدِ مَرَّ بِي وَقَدْ يَبَسَّتْ ، فَأَشَارَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ خَلْفِهِ أَنَّ قَوْمِي فَكَلَّمِيهِ ،

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَابْنُ إِسْحَاقَ ، وَالَّذِي يَسْتَفَادُ مِنْ مَعْجَمِ بَاقُوتَ أَنَّهَا بِالشَّامِ أَوْ بِالسُّنَنِ (رَاجِعِهِ

فِي الْجَوْشِيَّةِ) . (٢) الْحَظِيرَةُ : مَا أَحْبَطَ بِالنَّحْلِ . سِوَاهُ كَانَ مِنْ خَشَبٍ أَوْ قَصَبٍ .

(٣) الْجَزَلَةُ مِنَ النَّسَاءِ : النَّامَةُ الْخَلْقِ .

قالت : فعمتُ إليه ، فقلت : يا رسول الله ، هلَّك الوالدُ ، وغاب الوافدُ ، فأمننُ عليّ ، من الله عليك . فقال : « قد فعلتُ فلا تعجلِ بخروجِ حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذِني » فسألتُ عن الرجل الذي أشار إلى أن كلمه ، فقيل عليّ بن أبي طالب ، قالت : فأقمتُ حتى قديم ركب من بليٍّ أو قُضاعة^(١) ، قالت : وإنما أريد أن آتي أخي بالشام ، فبعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رهطٌ من قومي ، لي فيهم ثقة وبلاغٌ ، قالت : فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملي وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام ، قال عديّ : فوالله إنني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى طعينة تصوب^(٢) إلى توئمنا ، قال : قلت آمنة حاتم ، فإذا هي هي ، فلما وقفت عليّ^(٣) أنسلحت تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بقبيلة والديك عورتك ! قال : قلت : أي أخية ! لا تقولي إلا خيرا ، فوالله مالي من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قالت : ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها وكانت امرأة حازمة : ماذا ترين في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن نلحق به سريعا ، فإن يكن الرجلُ نبيا فالسابق إليه فضله ، وإن يكن مليكا فلن نذل في عزّ النبي ، وأنت أنت . قال : قلت والله إن هذا الرأي . فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه وهو في مسجده ، فسلمت عليه فقال : « من الرجل » ؟ فقلت : عدي بن حاتم . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بي إليه إذ لقيته امرأةٌ ضعيفةٌ كسيرة

(١) بلي وقضاعة ، أرومة واحدة ، قال الجوهري : « بلي على فعيل : قبيلة من قضاعة والنسبة

إليهم بلي » . (٢) تصوب : تقصد .

(٣) في سيرة ابن هشام : « أنسلحت » ، أي أخذت في اليوم ، ومضت فيه مجدة .

- فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك .
قال: ثم مضى حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من آدمٍ محشوة ليفاً ففقدتها إلى
فقال: «أجلس على هذه» قلت: بل أنت فاجلس عليها، قال: «بل أنت» فجلست
عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض، فقلت في نفسي: والله
ما هذا بأمر ملك . ثم قال: «إيه يا عدى بن حاتم ألم تك رَكُوسِيَا؟» قلت: بلى،
قال: «أولم تك تسير في قومك بالمرباع»؟ قلت: بلى؛ قال: «فإن ذلك لم يك
يَحْسَلُ لك في دينك» . قال: قلت أَجَلُ والله، وَعَرَفْتُ أنه نبي مرسل يعلم
ما يُجْهَل، ثم قال: «لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى
من حاجتهم، فوالله ليوشكن المسأل يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك
إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم، وقلة عددهم، فوالله ليوشكن
أن يسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف،
ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله
ليوشكن أن يُسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم» .
قال عدى: فأسلمت . فكان عدى يقول: قد مضت آثنان وبقيت الثالثة،
والله لتكونن؛ قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، وقد
رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تخرج هذا البيت، وأيم الله
لتكونن الثالثة؛ ليقبضن المسأل حتى لا يوجد من يأخذه .

٢٨
١٦

(١) في النهاية: «قال لعدى بن حاتم إنك من أهل دين يقال لهم الركوسية» . هو دين بين النصارى

والصابئين .

(٢) كانوا في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضاً وغموا أخذ الرئيس ربع الفئمة خالصاً دون أصحابه،

وذلك الربع يسمى المرباع . وقد سبق تفسيره .

ذِكْرُ وَفْدِ تُجَيْبٍ

قال ابن سعد : قدم وفد تُجَيْبٍ ^(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع من مهاجرة ، وهم ثلاثة عشر رجلاً ، وساقوا صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم ، فمَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وقال : « مَرْحَباً بِكُمْ » وأكرم مترسماً وحيّاهم ، وأمر بلالاً أن يُحْسِنَ ضيافتهم وجوائزهم ، وأعطاهم أكثر مما كان يُجِيزُ به الوفد ، وقال : « هل بقي منكم أحد » قالوا : غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سناً . قال : « أرسلوه إلينا » ، فأقبل الغلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني أمرؤ من بني الرهط الذين أتوك آنفاً ، فقضيت حوائجهم فأقضى حاجتي ، قال : « وما حاجتك » ؟ قال : تسأل الله أن يغفر لي ويرحمي ويجعل غنای في قلبي . فقال : « اللهم أغفر له وأرحمه وأجعل غناه في قلبه » . ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ، فانطلقوا راجعين إلى أهلهم ، ثم أقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم ^(٢) بمِنَى في سنة عشر ، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلام ، فقالوا : ما رأينا مثله أقنع منه بما رزقه الله .

(١) تجيب ، بضم الفوقية وتفح وكسر الجسيم وتحنية ساكنة وموحدة : بطن من كتدة يسيون إلى جدتهم العليا تجيب بنت نوبان بن سليم من مذحج ، وهي أم أبدي بن عدى (الواقدي) .
(٢) منى : قرية بين مكة وعرفات فيها رمى الجمرات والذبح في مناسك الحج والمبيت ليلته ليلية الوقوف — ومنى كإلى وتصرف أى تنون .

ذكر وفدِ خولان

- قال: قَدِيمٌ وَفَدُ خَوْلَانٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي شَعْبَانَ سَنَةِ عَشْرٍ، وَهُمْ عَشْرَةُ نَفَرٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ مُصَدِّقُونَ بِرَسُولِهِ، وَنَحْنُ عَلَى مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا، وَقَدْ ضَرَبْنَا إِلَيْكَ آبَاطَ الْإِبِلِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا فَعَلَ عَمُّ أُنَيْسٍ» صَنَّمَهُمْ^(٢)، فَقَالُوا: بَشَّرَ وَعَمَّرَ^(٣)، أَبَدَ لَنَا اللَّهُ بِهِ مَا جِئْتُ بِهِ، وَلَوْ قَدْ رَجَعْنَا إِلَيْهِ هَدَمْتَاهُ. وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، فَبَعَثَ يَخْبِرُهُمْ بِهَا، وَأَمَرَ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ، وَأَنْزَلُوا فِي دَارِ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، وَأَجْرِيَتْ عَلَيْهِمُ الضِّيَافَةُ، ثُمَّ جَاءُوا بَعْدَ أَيَّامٍ يُودَعُونَهُ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزِ ثَلَاثِي عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً وَنَشَّ، وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَلَمْ يَحُلُّوا عَقْدَةَ حَتَّى هَدَمُوا عَمَّ أُنَيْسٍ. وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ خَوْلَانِ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ الْعَابِدُ، وَأَسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ، وَلَمْ يَرِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَلَهُ خَبْرٌ عَجِيبٌ مَعَ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ، نَذَكَرَهُ فِي أَخْبَارِهِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- (١) خولان أبو قيسيلة، وخولان اسمه فكل بن عمرو. وفي سيرة ابن هشام: «خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة».
- (٢) اسمه في كتاب الأصنام ص ٤٣: «عميانس». وهذا الصنم بأرض خولان، كان بطن من خولان يقسمون لهذا الصنم من أنعامهم وحروثهم فيما بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق (عم أنس) من حق الله الذي سموا له تركوه له، وما دخل في حق الله من حق (عم أنس) ردوه عليه، وفيهم أنزل الله: «وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً» الآية.
- (٣) العر (يفتح العين وضهماً): الجرب، وهو أبغض داء إلى نفوس العرب لذا عطفوه على الشر.
- (٤) في التهذيب وغيره أنه من عباد أهل الشام وزهادهم. والخلاف في اسم أبيه موجود.

ذِكْرُ وَفْدِ جُعْفَى

قال ابن سعد : وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من جُعْفَى^(١) ، وهما قيس بن سلمة بن شراحيل ، وسَلَمَةَ بن يزيد ، وهما أخوان لأم ، وأمهما مُلَيْكَةَ بنت الحلوب بن مالك ، فأسلما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بلغني أنكم لاتأكلون القلب » وكانوا يُحَرِّمُونَ أَكْلَهُ ، فقالا : نعم ، قال : « فإنه لا يكل إسلامكم إلا بأكله » ودعا بقلب فشوى ، ثم ناوله سلمة فلما أخذه أرعدت يده فقال له : « كُلْهُ » فأكله ، وقال :

عَلَى أَنِّي أَكَلْتُ الْقَلْبَ كَرَهَا • وَرُعِدُ حِينَ مَسَّتْهُ بَنَانِي

ثم قال : يا رسول الله ، إن أمنا مُلَيْكَةَ بنت الحلوب كانت تَفَكُّ العاني ، وتُطْعِمُ البائس ، وترحم المسكين ، وأنها ماتت وقد وادَّت بُنْيَةَ لها صغيرة ، فما حالها ، ؟ قال : « الوائدة والموودة في النار »^(٢) فقاما مُغْضِبَيْنِ ، فقال : « إلى فآرجعا » فقال : « وأتى مع أمكما^(٣) » فأبى ومضيا ، وهما يقولان : والله إن رجلا أطمعنا

(١) جُعْفَى (ككريسى) : ابن سعد العشيبة بن مدحج .

(٢) الواد ، من صفات الجاهلية : وهو قتل الجارية دفنا وهي حية ، وسميت موودة لما يطرح عليها من التراب فيمودها — أى يتقلها — حتى تموت . راجع ج ١٠ ص ١١٧ و ج ١٩ ص ٢٣٠ قرطبي .

(٣) الذي ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في صفار المشركين : « سألت ربي ألا يعذب اللاهين من ذرية البشر فأعطانهم » وقوله : « وسألت ربي فأعطاني أولاد المشركين خدما لأهل الجنة » وذلك أنهم لم يدركوا ما أدرك آباؤهم من الشرك والله لا يظلم أحدا ولا تعذيب إلا بعد التكليف ، ولأنهم في الميثاق الأول . ولعل هذا الحديث — إن صح — قاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يخبر بعدم تعذيب الأطفال .

(٤) هذا ينافي ما روى أن والدته صلى الله عليه وسلم ماتت على الحنيفة ، وأنها اعترفت ببعث ابنها بالإسلام من عند الله ، وأنها نهته عن الأصنام وموالاتها ، وهذا من التوحيد ، وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم أحيا الله له أبويه قآمنابه ، وإن صح هذا فهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الله تعالى له : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » راجع شرح المواهب ج ١ ص ١٩٩

القلب ، وزعم أن أمتنا في النار لأهل آل أبي طالب ، فلما كان ببعض الطريق ،
لقيا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه إبل من إبل الصدقة ،
فأوثقاه وطردها الإبل ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلعنهما فيمن كان يلعن
في قوله : « لعن الله رجلا وذكوان وعصية ولحيان وآبنا مليكة ^(١) » .

- ٥ قال محمد بن سعد : وقدم أبو سبرة وهو يزيد بن مالك بن عبد الله الجعفي على
النبي صلى الله عليه وسلم ومعه آبناه سبرة وعزير فأسلموا . وسمى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عزيرًا عبد الرحمن . وقال له أبو سبرة : يا رسول الله : إن يظهر كفتي
ساعة قد منعتني من خطام راحتي ، فدعا بقدر ، وجعل يضرب به على الساعة ^(٢)
ويمسحها فذهبت ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولآبنيه ، فقال :
يا رسول الله ، أقطعني وادي قومي باليمن ، وكان يقال له جردان ^(٣) ففعل ، قال :
١٠ وعبد الرحمن هذا هو أبو خيثمة عبد الرحمن .

ذكر وفد مراد

قالوا : قدم قروة بن مسيك المرادي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً
لملوك كندة ومباعدة لهم ، وقال في ذلك :

- ١٥ (١) رجل وذكوان : فيلثان باليمن من سليم ومنها عصية ، أما لحيان فن هذيل .
(٢) والذي في أسد الغابة : « عبيد العزى » فبناه صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن فقال : « إنه
من خيار أسمانكم إن سميت عبد الله وعبد الرحمن » . أما العليقات ففيها : فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعزير ما أسمك فقال عزير ، فقال : « لا عزير إلا الله أنت عبد الرحمن » راجع ج ١ ص ٦٢ .
(٣) الساعة : خراج كهية السدة تحرك بالتحريك ، قال الأطباء : هي ورم غليظ غير ملتزم بالحم
يحرك عند تحريكه وله غلاف ، وتقبل التزايد لأنها خارجة عن اللحم (المصباح) .
٢٠ (٤) جردان ، كنهان باليمن : واد بين عمقين . (٥) في أسد الغابة : « وقيل مسيك ،
ومسيك أكثر » . (٦) نسبة إلى مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ سمي مراداً لجرده
واسمه : يجابر ، وقيل : مراد من نزار .

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضَتْ * كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَانِهَا^(١)
قَرَّبْتُ رَاحِلَتِي أَوْثَمَ مَحْمَدًا * أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ تَرَاتِمِهَا^(٢)

وباع النبي صلى الله عليه وسلم ، ونزل على سعد بن عباد ، وكان يتعلم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأثنتي عشرة أوقية ، وحمله على بعير وأعطاه حلة من نسج عُمان ، وأستعمله على مُراد وزُبَيْدَ وَمَدْحَجَ ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات ، وكتب له كتابا فيه فرائض الصدقة ، فلم يزل على الصدقة حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر وفد زُبَيْدَ

قال ابن سعد: قَدِمَ وفد عمرو بن مَعْدَى كَرِبَ الزُّبَيْدِيَّ^(٣) على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، في عشرة نفر من زُبَيْدَ ، فنزل على سعد بن عباد فأكرمه سعد وراح به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم هو ومن معه ، وأقام أياما ، ثم أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنصرف إلى بلاده ، فأقام مع قومه على الإسلام ، وعليهم قَرُوءَةُ بنِ مُسِيكٍ ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد ، ثم رجع إلى الإسلام ، وأبلى يوم القادسية وغيرها .

قال محمد بن إسحق : كان عمرو بن مَعْدَى كَرِبَ قد قال لقيس بن مَكشُوح المرادى حين أنتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، إنك سيد

(١) النسا : عرق يخرج من الورك فيسبطن الفخذ ، وهو مقصور ومد هنا للشعر .

(٢) في الإصابة وأسد الغابة : « يمت راحلي » أَوْثَمَ : أفسد . وقال ابن هشام : أشدنى أبو عبيدة :

* أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ تَرَاتِمِهَا *

(٣) عمرو بن معدى كرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زيد فارس العرب ، شهد القادسية

قالوا : مات على فراشه من لسع حية .

قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد خرج بالمجاز ، يقال إنه نبي ، فانطلق بنا إليه حتى تعلم علمه ، فإن كان نبيا كما يقول فإنه لن يخفى عليك ، إذا لقيناه أتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ، فركب عمرو ابن معدي كَرَبَ حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرا ونحطم^(٢) عليه ، وقال : خالفني وترك رأبي ، فقال عمرو في ذلك :

(٣) أمرتك يوم ذى صنعا * ء أمرا بيننا رشده
(٤) أمرتك بأتقاء الل * به تأتيه وتتعدده
(٥) فكنت كذي الحسير غر * ره مما به وتده
(٦) تمناني على فريس * عليه جالسا أسده
(٧) على مفاضة كالتن * بي أخلص ماءه حده

١٠

(١) في سيرة ابن هشام : « فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه » .

(٢) تحطم عليه : تلفى غيظا .

(٣) في السيرة : باديا رشده . و يوم ذى صنعا يريد يوم صنعا . و « ذى » زائدة وذلك في لسان

١٥

العرب ، كما روى الأزهرى : تكلم مع ذى عمرو ، وكان ذى عمرو بالصمان ، يريدون تكلم مع عمرو ، وكان عمرو بالصمان . وهذا من الدليل على إضافة « ذو » إلى الأعلام . راجع التاج (حرف ذو) . وقال أبو ذر الحثني في شرحه للسيرة : « يوم ذى صنعا . موضع » وليس له ذكر في كتب المعاجم .

(٤) تتعدده : تلتزمه .

(٥) الوتد بالكسر : ما ثبت في الحائط أو الأرض من الخشب ، وفي السيرة :

٢٠

نخرجت من الحنى مثل ال * جسمير غره وتده

(٦) تمناني : أراذني .

(٧) المفاضة : الدرغ الواسعة . والنهى : الغدير من المساء . والحدود (بالحاء المهملة) : المنع والحبس .

وفي السيرة : جدده — بالجيم — : الأرض الصلبة .

- (١) تَرُدُّ الرُّوحَ مَثْنَى السَّ * ثَانِ عَوَائِرًا قِصْدَهُ
 (٢) قَلَوْ لَاقِيَتَنِي لِلْقَبْرِ * تَ لَيْثًا فَوْقَهُ لَيْدَهُ
 (٣) تَلَاقِي ضَيْغًا شَثْنِ الْ * بَرَائِنِ نَاشِزًا كَتْدَهُ
 (٤) يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنٌ * يَمِّمُهُ فَيَعْتَضِدُهُ
 (٥) فَيَأْخُذُهُ فَيَرْفَعُهُ * فَيُخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ
 (٦) فَيُدْمِغُهُ فَيُخَطِّمُهُ * فَيُخَضِّمُهُ فَيَزِدُّرِدُهُ
 (٧) ظَلُومُ الشَّرِكِ فِيمَا أَحَدٌ * رَزَزَتْ أَنْبَاهُهُ وَيَدُهُ

ذكر وفد كندة

قالوا: قَدِمَ الأشعث بن قيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بضعة عشر
 راجبا من كندة^(٨). قاله ابن سعد - وقال ابن إسحق: في ثمانين راجبا - فدخلوا على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، وقد رَجَلُوا جَمِهم وتَكَلَّلُوا، عليهم جُبَّ

- (١) قصده، بالكسر جمع قصدة: وهو ما تكسر من الرخ. ويروي: غوائر قصده؛ أي منطابرة.
 (٢) ليدته جمع ليدة: وهو ما على كنف الأسد من الشعر.
 (٣) الضيغ: الأسد. ويروي «شبتا» وهو الأسد أيضا، والذي يتعلق بقرنه ولا يزاله.
 (٤) البرائين: الغايض الأصابع. والبرائين للسياح كالأصابع للإنسان. والناشز: المرتفع. والكتد:
 مابين الكتفين. (٥) القرن بالكسر: الكف. يمه: قصده، وأعضده: أحتضنه.
 (٦) أقتصده: قتله. (٧) دماغه: يخرج دماغه. ويخطمه: يكسره. ويخضمه:
 يأكله، ويروي «فيخضمه» بالجم وهو بمعناها. أزدرده: أكله بلعا. (٧) الشرك:
 النصب والحصة. (٨) كندة بالكسر: لقب لهذا هذا الحى من اليمن وهو نود بن عفير.
 (٩) رجلوا: سرحوا، واجم: جمع جمة: جمع الشعر في ناصية الإنسان.

- (١) الخبيرة قد كَفَّفُوها بالحرير، وعابهم الدِّباجَ ظاهرٌ مَحْصُومٌ بالذَّهَبِ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ألم تُسالموا »؟ قالوا: بلى، قال: « فما بال هذا عليكم » (٣)
- قال: فَشَقَّوهُ وَأَلْقَوْهُ، ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار، وأنت ابن آكل المرار. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: « نَأْسَبُوا بِهَذَا النَّسَبِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّابِ وَرَبِيعَةَ بْنَ الْحَارِثِ ». قال: وكانا تاجرين، و[كانا] إذا شاعا في بعض العرب، فسئلا ممن هما، قالا: نحن بنو آكل المرار: يَتَعَزَّزَانِ بِذَلِكَ. وَاكُلُّ الْمُرَّارِ هُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حُجْرٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ معاوية، وقد تقدم خبره في وقائع العرب. قال: ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا، نحن بنو النَّضْرِ بْنِ كَثَّانَةَ، لَا تَقْفُوا أَمْنَا وَلَا نَذْفِي مِنْ أَيْلِنَا » فقال الأشعث بن قيس: يا معشر كندة، والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين.
- قال محمد بن سعد: فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم أجازهم بعشرة أواق، وأعطى الأشعث ثنتي عشرة أوقية.

٣٠

١٦

- (١) الخبيرة: ثوب يمتد من قطن أو كان مخطط، يقال على الوصف وعلى الإضافة. وكف الثوب: خاط حاشيته. (٢) محصوم: مزين بصفائح من الذهب على قدر خوص النخيل.
- (٣) في شرح المواهب: « فما بال هذا الحرير في أعناقكم فشقوقه ». فرواية شرح المواهب مشعرة بأن كلمة « فشقوقه » أمر من رسول الله لم يخلاف ما هنا.
- (٤) هو جد أمرئ القيس كما سيأتي، سمي بذلك تكاية عن كشر كان به، والمرار بضم الميم: شجر مر من أفضل العشب وأضخمه، إذا أكلته الإبل فلصت مشافرها وبدت أسنانها فصار تكاية لمن به كشر. وقيل: سمي بذلك لأن أخته كانت في سبي ملك، فقالت له: كأنك أبني قد جاء. كأنه جعل أكل المرار؛ يعني كاشرا عن آتيابه، وقد ورد غير هذا في بعض الأخبار، فليراجع شرح المواهب وغيره.
- (٥) الزيادة من ابن هشام. (٦) في الأصول: فيعززان بذلك والتصويب من ابن هشام. وقوله: « يتعززان »: أي يتقويان بذلك. (٧) لا تقفوا: أي لا تنتسب إلى أمننا وترك الإلتساب إلى أيلنا، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم له جدة من كندة وهي أم كلاب بن مرة.

ذكر وفد الصِّدْفِ

قال ابن سعد : وَفَدَ وَفْدُ الصِّدْفِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ
 بضعمة عشر رجلا ، عَلَى قَلَائِصٍ لَهُمْ ، فِي أَزْرٍ وَأَرْدِيَةِ ، فَصَادَفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَيْنَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ الْمِنْبَرِ ، بَخَسُوا وَلَمْ يُسَامُوا فَقَالَ : « أَمْسَامُونَ أَتَمُّ ؟ »
 قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : « فَهَلَّا سَأَلْتُمْ » ، فَقَامُوا فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ، آجَسُوا » ، بَخَسُوا ، وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ فَأَخْبَرَهُمْ بِهَا .

ذكر وفد سعد هُذَيْمٍ

قال ابن سعد يرفعه إلى أبي النعمان عن أبيه قال : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِدًا فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي ، فَتَرَلْنَا نَاحِيَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ خَرَجْنَا نَوْتَمَ
 الْمَسْجِدِ ، فَتَجِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيَ عَلَى جِنَازَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ،
 فَانصَرَفَ فَقَالَ : « مِنْ أَتَمُّ ؟ » قُلْنَا : مِنْ بَنِي سَعْدِ هُذَيْمٍ ، فَاسْلَمْنَا وَبَارِعْنَا ،
 ثُمَّ انصَرَفْنَا إِلَى رِحَالِنَا ، فَأَمَرَ بِنَا فَأَنْزَلَنَا وَضَيَّقَنَا فَأَقَمْنَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ جِئْنَاهُ نُوَدِّعُهُ ،
 فَقَالَ : « أَمَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدَكُمْ » وَأَمَرَ بِلَالًا ، فَأَجَازَنَا بِأَوَاقٍ مِنْ فِضَّةٍ ، وَرَجَعْنَا
 إِلَى قَوْمِنَا فَرَزَقَهُمُ اللَّهُ الْإِسْلَامَ .

(١) الصدف ، بكسر الدال والنسبة إليه صدفى بفتحها كراهة الكسرة قبل ياء النسب ، وهذا الخى
 من قبائل حضرموت . وقال : بعضهم : ينسبون إلى صدف بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم من
 ذرية حمير بن سبيل . وإلى هذا تنسب النجائب الصدفية .

(٢) قلائص (جمع قلوص) : وهي الناقة الشابة .

(٣) هذيم بضم الهاء وفتح الدال المعجمة فحذية فيم : هو سعد بن زيد لكن حضته عبد أسود اسمه
 هذيم فأضيف إليه حتى ظن عليه .

ذكر وفد بليّ

روى عن رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الْبَلَوِيِّ^(١) قَالَ : قَدِمَ وَفْدٌ قَوْمِي فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ
سَنَةِ تِسْعٍ ، فَأَنْزَلْتَهُمْ عَلَىٰ فِي مَنْزِلِي بَنِي جَدِيدَةَ ، ثُمَّ خَرَجْتُ بِهِمْ حَتَّىٰ أَنْتَهَيْتُ إِلَىٰ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي بَقِيَّةِ مِنَ الْغَدَاةِ ، فَتَقَدَّمَ^(٢)
شَيْخُ الْوَفْدِ أَبُو الضَّيِّيبِ^(٣) ، بَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَكَلَّمَ
وَأَسْلَمَ ، وَأَسْلَمَ الْقَوْمُ ، وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الضِّيَافَةِ ، وَعَنْ
أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ فَأَجَابَهُمْ ، ثُمَّ رَجَعْتُ بِهِمْ إِلَىٰ مَنْزِلِي ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي [مَنْزِلِي] يَحْمِلُ تَمْرًا يَقُولُ : « آسْتَعْنِ بِهَذَا التَّمْرُ » فَكَانُوا يَأْكُلُونَ^(٤)
مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ ، فَأَقَامُوا ثَلَاثًا ، ثُمَّ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُودِّعُونَهُ ،
فَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزِكَأَنَّ كَانَ يُجِيزُ الْوَفْدَ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ بِلَادِهِمْ .

ذكر وفد بهراء

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : قَدِمَ وَفْدٌ بِهَرَاءَ مِنْ^(٥) الْيَمَنِ ، وَهُمْ ثَلَاثَةٌ عَشَرَ رَجُلًا ، فَأَقْبَلُوا
بِقُدُودٍ رَوَّاحِلِهِمْ ، حَتَّىٰ آتَوْهَا إِلَىٰ بَابِ الْمُقَدَّادِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جَدِيدَةَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ،
فَرَحَّبَ بِهِمْ وَأَنْزَلَهُمْ ، وَأَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمُوا وَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ
وَأَقَامُوا أَيَّامًا ، ثُمَّ جَاءُوا يُودِّعُونَهُ فَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزِهِمْ ، وَأَنْصَرَفُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ .

(١) بلي كرضي : نسبة إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة .

(٢) عبارة الطبقات : « وهو جالس مع أصحابه في بيته في الغداة » .

(٣) في الطبقات : أبو الضياب . وفي شرح المواهب : أبو الضييب بمعجمة مضمومة بلفظ تصغير

ضب . ويرويه بعضهم أبو الضييس بسين مهملة : ذكره الذهبي .

(٤) الزيادة من شرح المواهب .

(٥) بهراء فعلاء ممدود ، ابن عمرو وأخو بلي بن عمرو ، ينسب إليه بهرائي .

ذِكْرُ وَفْدِ عُدْرَةَ

قالوا : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدٌ عُدْرَةَ، فِي صَفَرٍ سَنَةِ تِسْعٍ مِنْ مُهَاجَرِهِ، وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فِيهِمْ حَمْزَةُ بْنُ النُّعْمَانِ الْعُدْرِيُّ، وَسَلِيمٌ وَسَعْدُ ابْنَا مَالِكٍ، وَمَالِكُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ، فَتَزَلُّوا دَارَ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، ثُمَّ جَاءُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمُوا بِسَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَالُوا : نَحْنُ إِخْوَةُ قُصَيٍّ لِأُمِّهِ، وَنَحْنُ الَّذِينَ أُخْرِجُوا خُرَاعَةَ وَبَنِي بَكْرِ عَنْ مَكَّةَ، وَلَنَا قَرَابَاتٌ وَأَرْحَامٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَرْحَبًا بِكُمْ وَأَهْلًا، مَا أَعْرِفُنِي بِكُمْ، مَا مَنَعَكُمْ مِنْ تَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ ؟ »
 قالوا : قَدِمْنَا مَرْتَانَيْنِ لِقَوْمِنَا .^(١) وَسَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ فَأَجَابَهُمْ فِيهَا، فَأَسَامُوا وَأَقَامُوا أَيَّامًا، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَأَمْرٌ لَهُمْ بِجَوَائِزٍ كَمَا كَانَ يُجِيزُ الْوَفْدَ، وَكَمَا أَحَدَهُمْ بُرْدًا .

قال : وَوَفَدَ زَمْلُ بْنُ عَمْرٍو الْعُدْرِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْشَأَ

يقول حين وفد :

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ أَعْمَلْتُ نَصَهَا * أَكَلَفَهَا حَزَنًا وَقَوْزًا مِنَ الرَّمْلِ^(٣)
 لِأَنْصُرَ خَيْرَ النَّاسِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا * وَأَعْقَدَ حَبْلًا مِنْ حَبَالِكَ فِي حَبْلِ^(٤)
 وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ * أَدِينُ لَهُ مَا أَثْقَلَتْ قَدَمِي نَعْلِي^(٥)

(١) في شرح المواهب : « مرتانين لأنفسنا ولقومنا » . والمراد الطالب للشيء .

(٢) في أسد الغابة : « وقيل زمل بن ربيعة » وقيل زميل بن عمرو بن العزير بن خشاف .

(٣) نص الناقة : أستخرج أقصى ما عندها من السير . والحسزن (بالفتح) فالسكون) : ما غلظ من

الأرض . والقوز : المستدير من الرمل ، والكثيب المشرف .

(٤) مؤزرا : بالغا شديدا . والحبل : العهد .

(٥) في الأصل : « رجلى » والتصويب من الطبقات : يريد ما دمت حيا .

قال : وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمع من صَته ، فقال : « ذلك مؤمن الجن » وعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءً على قومه ، فشهد به بعد ذلك صفيين مع معاوية ، ثم شهد به المرج فقتل .

ذِكْرُ وَفْدِ سَلَامَانَ

- قال ابن سعد : وفد سبعة من سَلَامَانَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة عشر ، فصادفوه وهو خارج من المسجد إلى جنازة ، فقالوا : السلام عليك يا رسول الله ، قال : « وعليكم [السلام] من أتم » ؟ قالوا : نحن من سَلَامَانَ ، قَدِمْنَا لِنُبَايِعَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَنَحْنُ عَلَى مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا . فَأَمَرَ ثَوْبَانَ فَأَتَوْهُمْ حَيْثُ يَنْزِلُ الْوَفْدُ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ جَاسَ بَيْنَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ الْمِنْبَرِ ، فَقَدِمُوا إِلَيْهِ فَسَأَلُوهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الصَّلَاةِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ، وَعَنِ الرَّقِيِّ فَأَجَابَهُمْ وَأَسْلَمُوا ، وَأَجَازَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ نَحْمَسَ أَوْاقٍ ، وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ .

- (١) في الإصابة : « وذاك من مؤمنى الجن » . (٢) صفيين كسجين : موضع على الفرات قرب الرقة ، مشهور بالوقعة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وفيها قتل عمار بن ياسر وهو مع علي .
- (٣) حورج راهط : موضع في القوطة من دمشق ، وفيه كانت الواقعة بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم سنة ٥٧٤ قتل فيها الضحاك ، واستقام الأمر لمروان ولبنيه من بعده .
- (٤) قال في شرح المواهب : « سَلَامَانَ بفتح المهملة وخفة اللام : بطن من قضاة ينسبون إلى جدِّهم الأعلى سَلَامَانَ بن سعد بن زيد بن لوث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة » .
- (٥) الزيادة من شرح المواهب . (٦) ثوبان : مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ هو ابن بجدد وقيل ابن جدد ، حميرى من اليمن أو من السراة ، اشتراه رسول الله فأعتقه .
- (٧) دار رملة بنت الحارث منزل الوفود . (٨) في شرح المواهب : « قال حبيب — وهو أحد أعضاء الوفود — وسأله عن رقبة العين وذكرها له فأذن له فيها » .

ذكر وفد كلب

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد بن عمرو بن جبلة بن وائل بن الجلاح الكلبي^(١١)،^(١٢)
قال: تَخَصَّصْتُ أَنَا وَعِصَامُ - رجلٌ من بني رقاش من بني عامر - حتى أتينا النبي^(١٣)
صلى الله عليه وسلم، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا.

وقال بسند آخر إلى ربيعة بن إبراهيم الدمشقي قال: وَقَد حَارِثَةُ بن قَطَن بن
زَايِر بن حِصْن بن كَعْب بن عَلِيم الكَلْبِي، وَحَمَل بن سَعْدَانَة بن حَارِثَة بن مُغْفَل^(١٤)
ابن كعب بن عَلِيم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما، فعقد حَمَل بن سَعْدَانَة
لواء، فشهد به صِفَيْن مع معاوية، وكتب لحارثة بن قَطَن كتابا فيه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هذا كتاب من محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
لأهل دُومَة الجندل وما يليها من طوائف كَلْب مع حارثة بن قَطَن، لنا الصَّاحِبَة^(١٥)»^(١٦)

- (١) بعضهم ذكره بالإضافة: «عبد عمرو» وهو المتبادر، والبعض ذكره كما هنا.
- (٢) نسبة إلى جدهم كلب بن وبرة (يفتح الواو والموحدة من قبائل قضاة).
- (٣) عصام: هو ابن عامر الكلبي وهو الذي كان يتولى نسك صنم لهم يقال له (عمرة) فسمع صوتا من جوفه يقول له: «يا عصام يا عصام، جاء الإسلام، وذهبت الأصنام، ووصلت الأرحام» ففزعوا منه، فشخص هو وعمرو بن جبلة حتى أتوا رسول الله فأخبروه بما سمعوا، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا.
- (٤) زائر: زار بعدها ألف فباء فراء كذا ضبطه أسد الغابة، وفي الأصول وابن سعد: زائر ولم نجد من رسمه بهذا، وقال: «بن كعب بن حصن» ومثله في الاستيعاب، والأصول كلها على تقديم حصن.
- (٥) حمل بمهملة وميم مفتوحين ابن سعدانة بن حارثة بن معقل، كذا في الإصابة وأسد الغابة: معقل من عسل.
- (٦) دومة الجندل: حصن مشهور حوله قرى، فيه وقع التحكيم بين علي ومعاوية. وهو في طريق المدينة المنورة من الشام قرب جيلي طيبي، كانت به بنو كنانة من كلب. سميت بدومة الجندل لأن هذا الحصن مبنى بالجندل.
- (٧) الصاحبة: «الفاخرة البارزة من العمارة، والبعل: النخل الذي شرب بالعروق من الأرض من نير سق لقرب ماؤها. والضامنة من النخل: همس ما كان داخلها في العمارة وتضمنته أمصارهم وقراهم. وفي هامش ج: «الضامنة التي لا يترطب برها».

من البعل، ولكم الضامنة من النخل؛ على الجارية العشر، وعلى الغائرة نصف العشر،
لا يُجمع سارحكم، ولا تُعدُّ فاردتكم، تُقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة بحقها،
[ولا يُحظر عليكم] الثبات، ولا يؤخذ منكم عشر البتات، لكم بذلك العهد والميثاق،
ولنا عليكم النصيح والوفاء، وذمة الله ورسوله، شهد الله ومن حضر من المساميين».

ذِكْرُ وَفِدِ جَرْمٍ

قال ابن سعد: وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من جرم، يقال
لأحدهما: الأسقع بن شريح بن صريم بن عمرو بن رياح بن عوف بن عميرة بن الهون
ابن أنجب بن قدامة بن جرم [بن ربان] بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

- (١) الجارية: التي تسقى بالماء الجاري، والغائرة: التي تسقى بالماء الغائر في الأرض كالآبار.
- ١٠ وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم: «فيا سقت السماء والأثمار والعيون العشر، وفيا سق بالسواني أو النضح نصف العشر» السواني جمع سانية: البعير يستق عليه من البئر، والنضح الماء الذي يستق بالدوالي وهي الدلاء أو المنجنون. (٢) كذا في الأصول والطبقات. والسارح: المشاة التي تروح إلى الرعي، وهي السائمة، أي لا تجمع لأخذ الزكاة، وإنما تؤخذ منها في مراعيها منفردة، أو الخطاب لمجموعهم؛ أي لا تضم سوائهم بعضهم إلى بعض عند الزكاة. وفي النهاية: «لا تعدل سارحكم أي لا تصرف ما شئتم عن مرضى تريده». (٣) القاردة: هي الزائدة على الفريضة؛ أي لا تضم إليها غيرها فتعد معها وتحسب (النهاية)، وفي الأصول والطبقات: «لا تعدل فاردتكم» وهو تصحيف وما أثبتناه عن النهاية وغيرها. (٤) الزيادة من الطبقات؛ أي لا تمنعون من الزراعة حيث شئتم. كذا في النهاية، والذي يقاد أن المعنى لا تمنعون من الرعي حيث شئتم مما هو ليس بحق لأحد لقاعدة: المباح لمن سبق إليه، وهذا من الأصول المرعية، فالحديث يقررها.
- ٢٠ (٥) البتات: هو المتاع الذي ليس عليه زكاة مما لا يكون للتجارة. (٦) جرم: بفتح الجيم نسبة إلى جدهم جرم بن ربان (بالياء الموحدة المشددة). (٧) الأسقع بالسين المهملة كما في الإصابة وأسد الغابة، وفي الأصول والطبقات بالصاد. (٨) رياح بكسر الراء والياء تحتها نقطتان كما في أسد الغابة والإصابة. (٩) الزيادة من الطبقات، وقد ضبطه بالراء والياء. وقد تقدم أنه ربان بالموحدة التحنية قبلها واء كما في الاشتقاق والقاموس.
- ٢٥ (١٠) الحاف: مما حذف العرب ياءه أجزأه بالكسرة، كقوله في العاصي.

والآخر : هُوَذَةُ بن عمرو بن يزيد بن عمرو بن رِيَّاح ، فأسلما وكتب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا .

وروى عن أبي يزيد - وقد قيل فيسه بالباء الموحدة أبو بريد - عمرو بن سَلَمَةَ الجَرْمِيُّ أن أباه ونفسرا من قومه ، وفدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين أسلم الناس ، وتعلموا القرآن وقَضَوْا حوائجهم ، فقالوا : يا رسول الله من يُصَلِّي بنا ، أو لنا ؟ فقال : « لِيُصَلَّ بِكُمْ أَكْثَرُكُمْ جَمْعًا - أو أَخْذًا - للقرآن » . قال : بغاءوا إلى قومهم فلم يجدوا فيهم أحدا أكثر أخذًا ، أو جمع من القرآن ما جمعت ، أو أخذت ، قال : وأنا يومئذ غلامٌ على شِمْلَةٍ ، فقدموني فصليت بهم ، فما شهدتُ بجمعنا من جرم إلا وأنا إمامهم إلى يومى هذا .

٣٢
١٦

وعن عمرو بن سَلَمَةَ أيضا قال : كنا بحضرة ماءٍ مَمَّرَ الناس عليه ، وكنا نسألهم ، ما هذا الأمر ؟ فيقولون : رجلٌ يزعم أنه نبيٌّ ، وأن الله أرسله ، وأن الله أوحى إليه كذا وكذا ، فجعلتُ يومئذ لا أسمع شيئا من ذلك إلا حَفَظْتُهُ ، كأنما يُعْرَى في صدري بِغِراءٍ ، حتى جمعتُ فيه قرآنا كثيرا ، وكانت العرب تُلومُ بإسلامها الفتح ، يقولون : أنظروا فإن ظهر عليهم فهو صادق ، وهو نبيٌّ . فلما جاءتنا وَقَعَةُ الفتحِ بادر كل قوم بإسلامهم ، فأطلق أبي بإسلام حِوَانِنا ذلك ، وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يُقيم ، ثم أقبل فلما دنا منا تَلَقَّيناهُ ، فقال : جئتكم والله من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حَقًّا ، ثم قال : إنه يأمركم بكذا وكذا ،

(١) في أسد الغابة : « يؤمكم أقرؤكم » .

(٢) في الطبقات : في « شملة » ، والشملة كساء صغير يؤثر به .

(٣) يعرى : يلصق به ، يقال : غرى هذا الحديث بالكسر يعرى بالفتح كأنه ألصق بالغراء .

(٤) تلوم أى تنتظر ، أراد تلوم بحذف إحدى التائين تخفيفا .

٥

١٠

١٥

٢٠

- وبنهاكم عن كذا وكذا، وأن تصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا،
 إذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قرآنا . فنظر أهل حوائنا^(١)
 فما وجدوا أحدا أكثر قرآنا مني للذي كنت أحفظه من الرُكبان ، فقدموني بين
 أيديهم ، فكنت أصلي بهم وأنا ابن ست سنين ، وكان علي بردة كنت إذا سجدت^(٢)
 تقلصت عني ، فقالت امرأة من الحبي : ألا تغطون عنا آست قارئكم ؟ فكسوني^(٣)
 قميصا من معقد البحرين ، فما فرحت بشيء أشد من فرحي بذلك القميص .
 ومن رواية أخرى عنه : فعلموني الركوع والسجود ، فكنت أصلي بهم .

ذِكْرُ وَفْدِ الْأَزْدِ وَأَهْلِ جُرَشِ

- قالوا : قدم صرد بن عبد الله الأزدي^(٥) في بضعة عشر رجلا من قومه ، وقد
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلوا على قروة بن عمرو ، وأتوا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فأسلموا ، وأقاموا عشرة أيام ، وكان صرد أفضلهم ، فأمره رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بهم من يليه ، من أهل
 الشرك من قبائل اليمن ؛ فخرج حتى نزل جرش^(٦) وهي مدينة حصينة مغلقة ، وبها

- (١) الحواء (بالحاء المهملة وواو ممدودة) : بيوت مجتمعة من الناس على ما .
 (٢) في أسد الغابة عن عمرو : قال أمت قومي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا غلام ابن
 ست أو سبع سنين . (٣) تقلصت : انزوت . (٤) المعقد : ضرب من برود حجر ،
 وهي من قرى البحرين معروفة بهذه البرود ، كما عرفت حجر المدينة بقلانها ، فيقال : فلان حجر .
 (٥) الأزدي : همزة مفتوحة وزاى ساكنة ودال مهملة ، ويقال بالسين لتقارب مخارجهما إلا أن
 المشهور الأول ، والأزد من أكبر الأروام القحطانية ، وهم ثلاثة : أزد عمان ، وأزد شنوءة ، وأزد
 السراة . وجرش (كزفر) : بخلاف من اليمن ؛ أي ناحية ، ومدينة أيضا . (٦) هذه المدينة
 ينسب إليها جلود ونوق ، فيقال : أديم جرشى وثافة جرشية ؛ فصحت جرش ستة عشر من الهجرة صلحا .

قبائل من قبائل اليمن . وقد ضوت^(١) إليهم خثعم ، فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم صرد ومن معه فيها شهرا ، ثم رجع قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ، ظن أهل جرش أنه إنما ولي عنهم منزما ، فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه صف صُفوفه ، وحمل عليهم هو والمسامون ، ووضعوا سيوفهم فيهم حيث شاءوا ، وأخذوا من خيلهم عشرين فرسا ، فقاتلوهم عليها نهارا طويلا .

وكان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيبة بعد العصر ؛ إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بأى بلاد الله شكر ؟ » فقام الجرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كشر ، وكذلك نسميه أهل جرش ، فقال : « إنه ليس بكشر ولكنه شكر » ، قالا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : « إن بدن الله لتنحر عنده الآن » قال : بجلس الرجلان إلى أبي بكر ، أو إلى عثمان^(٢) . فقال لهما : ويحك ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن لينبئ لكما قومكما ، فقوموا إلى رسول الله فسلاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما . فقاما إليه فسألاه ذلك . فقال : « اللهم أرفع عنهم » فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا من صرد في اليوم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال في تلك الساعة ، فقصا على قومهما القصة ، فخرج وفدهم حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، فقال : « مرحبا بكم ،

(١) ضوى إليه : أنضم ولبأ ، وخثعم من قبائل اليمن ، قالوا : إنها من معد بن عدنان تزحوا إلى اليمن فصاروا منه .

(٢) هذا شك من الراوى . والعبارة في المواهب : « إلى أبي بكر وعثمان فقالا لهما ... » الخ .

(١) أحسن الناس وجوهاً ، وأصدقه لقاءً ، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانةً ، أتم مني وأنا منكم » وجعل شعارهم مبرورا ، وحى لهم حى حول قريتهم ، على أعلام معلومة للفرس والراحلة ولشيرة — بقرة الحرث — فمن رعاه من الناس فإله سحت .

ذكر وفد غسان

- قال محمد بن سعد بسنده إلى محمد بن بكير الغساني ، عن قومه من غسان ، قالوا : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ عَشْرٍ الْمَدِينَةَ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ تَفْرٍ ، فَزَلْنَا دَارَ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ، ثُمَّ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمْنَا وَصَدَّقْنَا ، فَأَجَازَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَائِزٍ وَأَنْصَرَفُوا رَاجِعِينَ ، فَقَدِمُوا عَلَى قَوْمِهِمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ، فَكْتَمُوا إِسْلَامَهُمْ حَتَّى مَاتَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ مُسْلِمِينَ ، وَأَدْرَكَ الثَّالِثَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَامَ الْيَمُوكِ ، فَلَقِيَ أَبَا عُبَيْدَةَ نَخْبَرَهُ بِإِسْلَامِهِ فَأَكْرَمَهُ .

٣٣
١٦

ذكر وفد الحارث بن كعب

وما كتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم

- قال ابن سعد : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في أربعمائة من المسلمين ، في شهر ربيع الأول سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران ،
- (١) كذا في جميع الأصول والطبقات ، ولفظ الناس وضع للجميع : كالقوم والرهط والنفر ؛ يصح جمع ضميره وإفراده وتذكيره وتأنيته . (٢) أعلام (جمع علم) : وهو الفصل بين الأرضين . (٣) ماله سحت : هدر . (٤) في الطبقات : « عن قومه غسان » . (٥) هكذا في الأصول والطبقات ، واللفظ حال من التكرة بدون مستوع ، وقد ورد في البخاري : « وصلى وراءه رجال قياما » . (٦) في الطبقات : « فكان يكرمه » . (٧) بنجران اليمن ؛ وهو موضع من ناحية مكة ، قالوا : سميت بنجران بن زيد بن سبيل لأنه نزل بها ، وكانوا على النصرانية حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي بنجران هذا وقعت حادثة أصحاب الأخدود .

وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً قبل أن يقاتلهم ففعل ، فاستجاب له من
 هناك من بلحارث بن كعب ، ودخلوا في الإسلام ، ونزل خالد بن الوليد بين
 أظهرهم ، فعلمهم الإسلام وشرائعه ، وكتب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،
 وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إلى خالد : « أن بشرهم وأنذرهم وأقدم ومعك وفدكم » ، فقدم خالد
 معه وفدهم ؛ فيهم قيس بن الحصين ، ويزيد بن عبد المدان ، وعبد الله بن
 عبد المدان ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قرايد ، وشداد بن عبد الله التثائي ،
 وعمرو بن عبد الله ، وأنزلهم خالد عليه ، ثم جاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال : « من هؤلاء الذين كأنهم رجال الهند » ؟ فقيل : بنو الحارث بن كعب ،
 فسأموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 رسول الله ، فأجازهم بعشر أواق ، وأجاز قيس بن الحصين بأثنتي عشرة أوقية
 ونس ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث ، ثم أنصرفوا إلى
 قومهم في بقية شوال . هذا ما حكاه ابن سعد في طبقاته .

وقال ابن إسحاق : لما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأموا عليه ، وقالوا :
 نشهد أنك لرسول الله ، وأنه لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتم
 الذين إذا زجروا استقدموا » ؟ فسكتوا ، فلم يراجعهم منهم أحد ، فأعادها عليهم
 الثانية والثالثة ، فلما أعادها الرابعة قال يزيد بن عبد المدان : نعم يا رسول الله ، نحن
 الذين إذا زجروا استقدموا ، قالها أربع مرار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) العرب يقولون في بنى العباس : بلعباس ، وبنى الحارث بلحارث ، وبنى العرب بلعرب ؛ وذلك
 طلباً للتخفيف . (٢) كذا في الأصول والطبقات ويروى فذاذا ، وفي الإصابة : فراد وقداد ،
 ويروى عبد الله بن قريظ . (٣) المراد : إذا حنوا وحلوا على القتال تبادوا وتجمعوا وتقدموا .

« لو أن خالدًا لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم »
 فقال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدًا، قال: « فمن حمدتم؟ »
 قالوا: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله. قال: « صدقتم »، ثم قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم: « بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ » قالوا: لم تكن
 تغلب أحدًا. قال: « بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم » قالوا: كنا تغلب من قاتلنا
 يا رسول الله أنا كما نتجمع ولا نتفرق، ولا نبداً أحدًا بظلم، قال: « صدقتم ».
 وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث قيس بن الحصين، وأجازهم
 بعشيرة أواقي عشيرة أواقي، وأجاز قيس بن الحصين بأثنتي عشرة أوقية ونش، ثم انصرفوا
 إلى قومهم في بقية شتوأل، أو في صدر ذى القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا
 إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم
 عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة، ويعلمهم الإسلام، ويأخذ منهم
 صدقاتهم. وكتب له كتابا وهو:

« بسم الله الرحمن الرحيم. هذا بيان من الله ورسوله ^(١) يا أيها الذين آمنوا أوفوا
 بالعقود ^(٢) عهد من عهد النبي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمر بن حزم حين

(١) هكذا في الأصول والذي في شرح المواهب: معالم الإسلام. وفي الطبقات: « يعلمهم الإسلام
 وشرائعه ».

(٢) العقود (جمع عقد): وهو العهد استعير من الجمع بين أطراف الشيء، قال الراغب: يستعمل ذلك
 في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم استعير ذلك للعاني نحو عقد البيع والعهد. والعهد:
 الأمان والموتق والذمة. والآية شاملة لكل ارتباط شرعي بين طرفين فيجب الوفاء به كما أمر الله، وكذلك
 ما عقده على نفسه الله من طاعات ملة الإسلام كالخج والصوم وغيرها، أما ما لا يجوز كتنذر بمعصية فقد
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه ».

بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله ﴿إِنَّمَا اتَّقُوا اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ
 مُحْسِنُونَ﴾ ، وأمره أن يأخذ الحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ،
 ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه ، وينهى الناس ، ولا يمس القرآن إنسان
 إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق ،
 ويستد عليهم في الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
 الظَّالِمِينَ﴾ ، ويبشر الناس بالجنة ويعملها ، ويُنذر الناس النار وعملها ، ويستألف^(١)
 الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر
 الله به ، والحج الأكبر : الحج الأصغر هو العمرة ، وينهى الناس
 أن يصلّي أحد في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبا يُتْبَنِي طريقه على عاتقيه ،
 وينهى أن يحتجى أحد في ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص^(٢)
 أحد شعر رأسه في قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل^(٣)
 والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ودعا
 إلى القبائل والعشائر فليَقْطُفُوا بالسَّيْفِ^(٥) ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده

٣٤
١٦

(١) يستألف الناس : يكتب مودتهم وألقبهم وإيمانهم . (٢) الاحتباء أن يضم
 الإنسان رجله إلى طئه بثوب يجمعها به مع ظهره ويشد عليها ، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب ،
 وإيمانها عنه لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك أو زال الثوب فتبدو عورته . (النهاية) .
 (٣) عقص الشعر : ضفره ، قال في النهاية : أصل العقص الئى وإدخال أطراف الشعر في أصوله ،
 ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « الذي يصل ورأسه معقوص كالذي يصل وهو مكتوف »
 أراد أنه إذا كان شعره منشورا سقط على الأرض عند السجود فيعطى صاحبه ثواب السجود به ، وإذا كان
 مقوصا صار في معنى ما لم يسجد ، وشبهه بالمكتوف وهو المشدود اليدين لأنهما لا يقعان على الأرض
 في السجود . (٤) الهيج : الثورة : هاج يهيج هيجا وهيجانا وهيجاجا بالكسر ناز ، والمراد إذا وقع
 اضطراب بين الناس وتنادوا بالقبائل كما يفعل الجاهلية ؛ أمرهم بالدعاء إلى الله تعالى ونهاهم عن دعوة
 الجاهلية وهي التنادى بالقبائل . (٥) القطف : القطع ، ومن هذا المعنى قول الخليل في خطبته :
 « أرى رموسا قد أينعت وحان قطفها » يعني جنبها كما تجني الثمار وهو قطفها .

١٠

١٥

٢٠

لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق ،
وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة
لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، يُفلس بالصبح ، ^(١) ويهجر بالهاجرة حين تميل ^(٢)
الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدبرة ، والمغرب حين يُقبل الليل ،
لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر بالسعي إلى
الجمعة إذا نودي لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغنم خمس
الله ، وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت
السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل
عشرين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع : جذع أو جذعة ، وفي كل
أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، فإنها فريضة الله التي أفترض على المؤمنين
في الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما
خالصا من نفسه ، ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم وعليه مثل

- (١) الفلح محرقة : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح ، وأغسلوا دخلوا فيها ، وغسلوا ، بشد
اللام : ساروا ووردوا بفلس . (٢) هجر ، بالشدة هجيرا : سار في الهاجرة ؛ أى يبادر بصلاة الهاجرة .
وهى صلاة الظهر حين تميل الشمس وهو أول الوقت . (٣) العقار ، بالفتح : الضيعة والنخل والأرض
ونحو ذلك . (النهاية) . (٤) الغرب ، بسكون الراء : الدلو العظيمة فإذا فتحت الراء فهو الماء .
السائل بين البئر والحوض ، والمراد في الحديث الدلو كما هو صريح رواية النسائي «وما سقى بالدوالي نصف
العشر» والدوالي جمع الدلاء ، وهى جمع الدلو ، وقال بعضهم : الدوالي جمع دالية وهى آلة لإخراج الماء .
(٥) التبيع : ولد البقرة لسنة : سمى تبعيا لأنه يتبع أمه فعيل بمعنى فاعل . فى الترمذى وابن ماجه : « فى
ثلاثين من البقر تبيع أو تبعية » والمراد بالتبيع العجل السابع لأمه لهذا فسره عليه الصلاة والسلام بقوله :
« جذع أو جذعة » ويوضح هذا رواية النسائي عن معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى اليمن فقال : « أمرنى رسول الله حين بعثنى إلى اليمن ألا آخذ من البقر شيئا حتى تبلغ ثلاثين ، فإذا
بلغت ثلاثين فقيها عجل تابع جذع أو جذعة » . (٦) السائمة : هى التى تركت رعى وحدها للنو
والزيادة ، ووصف السوم هو مناط الحكم فى الزكاة .

ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته ، فإنه لا يُرد عنها ، وعلى كل حالم ذكر^(١)
أو أختي حر أو عبيد دينار^١ وافر ، أو عوضه شيئا ، فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله
وذمة رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ورسوله وللمؤمنين جميعا ، صلوات الله
على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ذكر وفد عَنَسٍ

قال محمد بن السائب الكلبي^(٢) : حدثنا أبو زفر الكلبي عن رجل من عَنَسٍ ،
قال : كان مِنَّا رجل وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يتعشى ، فدعا به
إلى العشاء بخلس^(٣) ، فلما تعشى أقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله » فقال العنسي^(٤) : أشهد أن
لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . فقال : « أراغباً جئت أم راهباً » فقال :
أما الرغبة فوالله ما في يديك مال ، وأما الرهبة فوالله إنى لبيد ما تبلغه جيوشك ،
ولكنني خُوفتُ نَخَفْتُ ، وقيل لى : آمِنُ بالله فأمِنْتُ . فأقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على القوم فقال : « رَبَّ حَظِيْبٍ مِنْ عَنَسٍ » فَكَثَّ يَخْتَلِفُ إِلَى رَسُولِ
الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء يُودِّعُه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أخرج » وبتته^(٥) ، أى أعطاه شيئا ، وقال : « إن أحسست شيئا فوائِلْ إِلَى أَدْنَى^(٦) »
١٥

(١) الحالم : الذى بلغ الحلم أى وهو عاقل ؛ لأن بلوغ الحلم مع العقل هو مناط التكليف .

(٢) لقب لجد القبيلة ، ومنها عمار بن ياسر رضى الله عنه .

(٣) فى أسد الغابة : « فدعا به إلى العشاء فأكل » .

(٤) فى الإصابة : « فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل أشهد ... الخ » .

(٥) بته أعطاه شيئا : أى زاد .

(٦) بصيغة الأمر : أى التجي .

(٧) أدنى : أقرب . فى أسد الغابة : « إلى أهل قرية » .

قرية» . نخرج فَوْعَكَ^(١) في بعض الطريق ، فَوَّالٌ إلى أَدْنَى قرية فَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ ،
وَأَسْمَهُ رِبِيعَةٌ^(٢) .

ذِكْرُ وَفْدِ الدَّارِيِّينَ وَمَا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمَا أَخْتَصَّ بِهِ تَمِيمَ الدَّارِيَّ وَإِخْوَتَهُ

- قال محمد بن سعد بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله ، وروَّح بن زنباع الجُدَامِيُّ^(٣)
عن أبيه قالاً : قَدِمَ وَفْدُ الدَّارِيِّينَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْصَرَفَةً مِنْ
تَبُوكَ وَهُمْ عَشْرَةٌ تَقَرُّ بِهِمْ تَمِيمٌ وَنَعِيمٌ ابْنَا أَوْسِ بْنِ خَارِجَةَ بْنِ سُودِ بْنِ جُدَيْمَةَ^(٤)
أَبْنِ ذِرَاعِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الدَّارِ بْنِ هَانِيٍّ بْنِ حَبِيبِ بْنِ ثُمَارَةَ بْنِ نَحْمٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ قَيْسِ
أَبْنِ خَارِجَةَ ، وَالْفَاكِهَ بْنَ الثُّعْمَانَ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ صَفَّارَةَ بْنِ رِبِيعَةَ بْنِ ذِرَاعِ بْنِ عَدِيِّ
أَبْنِ الدَّارِ ، وَجَبَلَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ صَفَّارَةَ ، وَأَبُو هِنْدٍ وَالطَّيِّبَ ابْنَا ذَرٍّ — قَالَ آبِنُ^(٥)
[إِسْحَاقُ] : بَرٌّ — وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ ذَرٍّ بْنِ عَمِيَّتِ بْنِ رِبِيعَةَ بْنِ ذِرَاعِ ، وَهَانِيٍّ بْنِ
حَبِيبِ ، وَعَزِيزُ وَرَمَّةُ ابْنَا مَالِكِ بْنِ سَوَادٍ . قَالَ آبِنُ إِسْحَاقُ : عَرَفَةٌ . وَقَالَ آبِنُ^(٦)
هَشَامٌ : عَزَّةٌ . وَقَالَ آبِنُ إِسْحَاقُ فِي مُرَّةٍ : مَرَّوَانُ^(٧) .
قال آبن سعد : فَاسَامُوا وَتَمَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّيِّبَ عَبْدَ اللهِ ،
وَتَمَّى عَزِيزًا عَبْدَ الرَّحْمَنِ .

١٥

- (١) في أسد الغابة : « فأحسن حسا » . أى وجعا .
(٢) في أسد الغابة والإصابة إن أسمه ربيعة بن رواء العنسي .
(٣) نسبة الداريين إلى جدِّهم الدار بن هاني بن ثمارَةَ — بضم النون — بن نحم بن عدى
ابن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ .
(٤) وقيل : سواد . (٥) وقيل : نخزيمة .
(٦) الفائل هو آبن إسحاق كما في سيرة آبن هشام ، واللفظ ساقط من الأصول .
(٧) في نسخة : « آبن سود » . (٨) وقيل : « مران » .

٢٠

قال : وأهدى هانئ بن حبيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية تخمر وأفراسا^(١) وقبأ^(٢) مخصوصا بالذهب ، فقبل الأفراس والقبأ وأعطاها العباس بن عبد المطلب ، فقال : ما أصنع به ؟ قال : « تنزع الذهب فتحليه نساءك ، أو تستنقه ، ثم تبع الديباج فتأخذ ثمنه » ، فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم .

قال وقال تميم : لنا جيرة من الروم ، لم قربتان يقال لأحدهما حبرى والأخرى بيت عينون ، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لى ، قال : « فهما لك » فلما قام أبو بكر رضى الله عنه أعطاه ذلك ، وكتب له به كتابا ، وأقام وفد الدارين حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاد^(٣) مائة وسق من خيبر ، هكذا حكى ابن سعد فى طبقاته .

وشاهدت أنا عند ورثة صاحب الوزير فخر الدين أبى حفص عمير ، ابن القاضى المرحوم الرئيس محمد الدين عبد العزيز المعروف بابن الخليل التميمى رحمه الله ، كتابا يتوارثونه كآباء عن كآباء ، يقولون : هو كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتبه لثميم الدارى وإخوته ، وهو فى قطعة من آدم مربعة دون الشبر قد غلقت بالأطلس^(٤) الأبيض ، يزعمون أن ذلك من خف كان لأمر المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقد بقى بهذه القطعة الأدم آثار أحرف خافية ، لا تكاد تبين إلا بعد إمعان التأمل ، وتحقيق النظر ، وعلى هذه القطعة

(١) قبأ : ضرب من الثياب ، وغوص : مطرز بالذهب ومزين .

(٢) حبرى كسرى وتسمى حبرون كزيتون ، وهى مدينة الخليل إبراهيم عليه السلام وغلب عليها اليوم وفيها قبره عليه الصلاة والسلام بزارة ، وفى رواية كعب الأخبار أنه دفن فى قبر الخليل صلوات الله وسلامه عليه سارة وإلى جنبه إسحق ويعقوب . وعينون من قرى بيت المقدس بوزن هينون ولينون بسكون المثناة ؛ لفظ عبرى . (٣) فى الناج عن الأصمعى : يقال لفلان أرض جاد مائة وسق ؛ أى يخرج مائة وسق إذا زرعت . وهو كلام عبرى . (٤) الأطلس : الحرير ، وليس بعربى .

الأدَم من الجلالة ولها من الموقع في النفوس والمهابة ما يقوى أنها صادرة عن المحل
 المُنِيف^(١) ، وقرين هذه القطعة الأدم قِرطاس أبيض قديم، يزعمون أن أسلافهم
 نقلوا ما فيه من الكتابة من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل أن تزول
 حروفه . وفيه تسعة أسطر بما في ذلك من البسملة، وقد رأينا أن نضع ذلك في هذا
 الكتاب على هيئته في العدد، وإن لم يوافق الخط، وهو :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما أنطا محمد رسول الله لتيم^(٢)
 الدارى واخوته حبرون والمرطوم^(٣)
 وبيت عينون وبيت ابراهيم وما فيهن
 نطيه بت بذمتهم ونفذت وسامت ذلك
 لهم ولأعقابهم فمن اذاهم اذاه
 الله فمن اذاهم لعنه الله شهد عتيق
 ابن ابو خافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان^(٤)
 وكتب على بن ابو طالب وشهد .

- ١٥ (١) المنيف : المرتفع المشرف من أناف ينيف إنافة ارتفع وأشرف .
 (٢) أنطى : أعطى ، بلغة أهل اليمن . التحقيق أنها لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس
 والأنصار يجعلون العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء . وقد قرئ بها « إنا أنطيناك الكوثر » وهي
 قراءة الحسن وطلحة بن مصرف وابن محيصن ، وقراءتهم من الشواذ . وقد شرف رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هذه اللغة بالنطق بها فقال : « لا مانع لما أنطيت » في أحاديث . وقد تركنا الكتاب النبوي
 على وضعه كشرط المصنف حيث ذكره على هيئته .
- ٢٠ (٣) مرطوم كذا في كل الأصول، وصوابه مرطوم كما في مستدرک الشجاع، قال : « ومرطوم اسم
 أرض جاء ذكرها في كتاب رسول الله إلى أبي شمر » .
 (٤) كذا في الأصل ؛ تركناه على شرط المؤلف .

هكذا شاهدت تلك الورقة التي هي قَرِين الكتاب ، والكتاب بأيديهم إلى وقتنا هذا ، وهو العشر الآخر من ذى القعدة سنة ست عشرة وسبعمائة . وهذه الضياع الأربعة المذكورة بأيديهم إلى وقتنا هذا ، لا يُنَازَعُونَ فيها . وكان صاحب الوزير نضر الدين عمر بن الخليل رحمه الله ، إذا نَابَتْه نَائِبَةٌ ، أو صُودِرَ أو أُوذِيَ بوجه من وجوه الأذى ، تَوَسَّلَ إلى الله تعالى بكتاب نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأظهره للملوك ، فكفوا عن طلبه ، وأفرجوا عنه . وانرجع إلى أخبار الوفود .

ذكر وفد الرَّهَآوِيِّينَ

والرَّهَآوِيُّونَ حَيٌّ مِنْ مَذْحِجٍ^(١) ، قال ابن سعد : وفد خمسة عشر رجلا من مَذْحِجٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر ، فزلوا دار رَمْلَةَ بنت الحارث ، فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتحدت عندهم طويلا . وأهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم هدايا ، منها فرس يقال له المِرْوَاحُ ، فأمر به فشور^(٢) بين يديه فأعجبه . فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائض . وأجازهم كما يجيز الوفد ؛ أرفعهم ثلثي عشرة أوقية ونَسًا ، وأخفضمهم خمس أواق . ثم رجعوا إلى بلادهم .

ثم قدم منهم نفر فخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأوصى لهم بحَادِّ مائة وسقٍ من خَيْرِ فِي الكَتِيبَةِ جارية عليهم ، وكتب لهم بها كتابا ، فباعوا ذلك في زمن معاوية .

(١) مذحج ، مثال مسجد : أبو قبيلة من اليمن ، وهو مذحج بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . قال سيبويه : الميم من نفس الكلمة ، ومذحج أكمة ولدت عليها أهمهم فسماها .
(٢) شور : أجرى بين يديه ليعرف قوته .

ذكر وفد غامد

قال : قدم وفد غامد^(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهم عشرة ، فنزلوا ببقيع^(٢) الغرقد ، ثم لبسوا من صالح ثيابهم ، ثم انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأموا عليه وأقرؤوا بالإسلام . وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه شرائع الإسلام ، وأتوا أبي بن كعب فعلمهم قرآنا . وأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يُجيز الوفد وأنصرفوا .

٣٦
١٦

ذكر وفد النَّخَع

قالوا : بعث النَّخَع^(٣) رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدين بإسلامهم ، وهما أَرْطَاة بن شراحيل بن كعب ، من بني حارثة بن سعد بن مالك بن النَّخَع ، والجدُّهَيْش وأسمه الأَرْقَم ، من بني بكر بن عوف من النَّخَع ، نخرجا حتى قَدِمَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليهما الإسلام فقبلاه وبأبعا عن قومهما ، فَأَعْجَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما ، وحسُنْ هَيْئَتَهُمَا ؛ فقال : « هل خَلَفْتَا وراءَ كما من قومكما مثلكما » ؟ قالا : يا رسول الله ، قد خَلَفْنَا وراءَنَا من قومنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا ، وكلهم يَقْطَعُ الأمرَ وَيُنْفِذُ الأشياءَ ، ما يشاركوننا في الأمر إذا كان ، فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير ، وقال : « اللهم بارك في النَّخَعِ » . وعقد لأرطاة إواء على قومه ، وكان في يده يوم الفتح ، فشهد

(١) غامد : بطن من الأزد باليمن . نسبة إلى جدهم غامد واسمه عبد الله ، قيل سمى غامدا لوقوع ثمرين عشيرته ، فتعمد ذنوبهم أي غطاها وسترها ، وقيل غير ذلك .

(٢) بقيق الغرقد : أصل البقيق في اللغة الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضرروب شتى ، والغرقد كبار العوسج . وبقيع الغرقد مقبرة أهل المدينة .

(٣) النَّخَع : قبيلة من مذحج ، سميت باسم جدها وسمي النَّخَع لأنه انخفع عن قومه : بعد عنهم .

به القادسية فقتل يومئذ، فأخذه أخوه دُرَيْدٌ فقتل — رحمهما الله — فأخذه سيف
آبن الحارث من بني جُدَيْمَةَ ، فدخل به الكوفة .

قال آبن سعد : أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي ، قال : كان آحر من قدم من
الوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد النَّخَعِ ، وقَدِمُوا من اليمن للنَّصَفِ من
المحرم ، سنة إحدى عشرة ، وهم مائتا رجل ، فنزلوا دار رَمَلَةَ بنت الحارث ، ثم
جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقرِّين بالإسلام ، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل
باليمن ، وكان فيهم زُرَّارَةُ بن عمرو .

وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة زُرَّارَةَ بن عمرو ، والد عمرو بن زُرَّارَةَ ،
قال : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد النَّخَعِ ، فقال : يا رسول الله ،
إني رأيت في طريق رؤيا هالتي . قال : « وما هي » ؟ قال : رأيتُ أَنَا ^(١) خَلَقْتُهَا
في أهلي وُلِدْتُ جَدِيَا ^(٢) أَسْفَعَ أَحْوَى ، ورأيتُ نارا خرجت من الأرض فخالَت بني
و بين آبن لي — يقال له عمرو — وهي تقول : لَطَى لَطَى ، بصيرٍ وأعمى . فقال النبي
صلى الله عليه وسلم : « أَخَلَفْتَ في أهلك أُمَّةً ^(٤) مُسِرَّةً ولدا » . قال : نعم . قال : « فإنها
قد ولدت غلاما وهو آبنك » ^(٥) قال : فما باله أَسْفَعَ أَحْوَى ؟ قال : « آدن مني ، أبك

(١) آنان : حارة آنى ولا يقال آنانة ، وجمع القلة آن كآعق والآكثرة آنن ، بضمتين .

(٢) ابلدى : الذكر من أولاد المعزى . أسفع بزة آحر : أسود مشرب بحجرة . آحوى :
كانتا كيد لما قبله ؛ إذ الآوة (بالضم) سواد إلى خضرة ، أو حمرة إلى سواد .

(٣) قال شارح المواهب : « كان معناه تفرق الناس فيها فرقتين ، بصير عرف الحق فاتبعه ،
وأعمى لم يهتد إلى طريق الحق فضل » .

(٤) مسرة : مخفية حلا ؛ وفي المواهب « مسرة » بالصاد ، وقال شارحها : « من أهر على الشيء .
أقام عليه ، والمراد حملها بمحقق ثابت » وما في الأصول يوافق ما في الاستيعاب ، وهو الظاهر .

(٥) دفع به ما قد يدخل عليه من الرية إذا رأى اللون الغريب .

٥

١٠

١٥

٢٠

بَرَّصَ تَكَتَمَهُ ؟ قال : والذي بعثك بالحق ، ما علمه أحدٌ قبلك . قال : « فهو ذلك ، وأما النار فإنها فتنة تكون بعدى » . قال : وما الفتنة يا رسول الله ؟ قال : يقتل الناس إمامهم ، يَشْتَجِرُونَ أَشْتِجَارَ أَطْبَاقِ الرَّأْسِ ^(١) - وخالف بين أصابعه - دم المؤمن عند المؤمن أحلى من المساء ، يحسب المسىء أنه محسن ، إن ميتاً أدركت آبنك ، وإن مات آبنك أدركتكَ » . قال : فأدع الله لى ألا تدركنى . فدعاه .
 قال : وكان قدوم زُرارة بن عمرو هذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النصف من شهر رجب سنة تسع .

وقال الطبرى : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد النَّخَعِ وهم مائة رجل ، وفيهم زُرارة بن قيس بن الحارث بن عَدِيّ بن الحارث بن عَوْفِ بن جُثَمِ ابن كعب بن قيس بن مُنْقِذِ بن مالك بن النَّخَعِ فأسلموا .

ذَكَرَ وَفَدَّ بِجَيْلَةٍ

قال ابن سعد : قدم جَرِيرُ بن عبد الله البَجَلِيُّ ^(٢) سنة عَشْرَ المَدِينَةِ ، ومعه من قومه مائة وخمسون رجلاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يطلع عليكم من هذا الفَجِّ من خَيْرِ ذِي يَمَنِ على وجهه مَسْحَةٌ ^(٣) مُلْكٌ » فطلع جَرِيرُ على راحته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا . قال جَرِيرُ : فبسط رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فبايعنى ،
 وقال : « على أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، ثم [تقيم ^(٤) الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم شهر رمضان ، وتنصح للمسلم ، وتطيع الوالى وإن كان عبداً حبشياً » فقال : نعم ، فبايعه .

(١) أطباق الرأس : عظامه . والأشتجار : الأشتباك والاختلاف .

(٢) بجيلة : أمهم نسبوا إليها ، وهى بجيلة بنت صعْبِ بن على بن سعد العشرية .

(٣) مسحة ملك ، ومسحة جمال : أثر ظاهر منه . (٤) الزيادة من الاستيعاب لابن عبد البر .

وقدم قيس بن [أبي] غَرَزَةَ الأَحْمَسِيَّةَ ^(١) - وقيل غَرَزَةَ بن قيس البَجَلِيَّةَ -
 في مائتين وخمسين رجلا من أَحْمَسَ ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « من أتم ؟ » فقالوا : نحن أَحْمَسُ الله ^(٢) . وكان يقال لهم ذلك في الجاهلية . فقال
 لهم : « وأتم اليوم لله » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلال : « أعط
 ركب بَجِيلَةَ وَأَبْدَأُ بِالْأَحْمَسِيِّينَ » ففعل . وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير
 ابن عبد الله « ما فعل ذو الخَلَصَةِ ^(٣) » ؟ قال : هو على حاله ، قد بقي والله ، يُرِيحُ منه
 إن شاء الله ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هَدَمِهِ ، وعقد له لِيَوَاءَ فقال :
 لاني لا أثبت على الخليل فسمع صدره ، وقال : « اللهم آجعله هاديا مهديا » فخرج
 في قومه وهم زهاء مائتين ، فما أطال الغيبة حتى رجع ؛ فقال له رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « هَدَمْتَهُ » ؟ قال : نَعَمْ ، والذي بعثك بالحق ، وأخذتُ ما عليه
 وأحرقته بالنار ، فتركته كما يسوء من يهوى هواه ، وما صدنا عنه أحدٌ ^(٤) . قال فبرك
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ على خيل أَحْمَسَ ورجالها .

٣٧
١٦

ذِكْرُ وَفْدِ خَتَمٍ

قالوا : وفد عَثَمُ بن زَحْرٍ ، وَأَسَسُ بن مُدْرِكٍ ، في رجال من خَتَمٍ إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما هدم جرير بن عبد الله ذا الخَلَصَةَ ، وقتل من
 قتل من خَتَمٍ ، فقالوا : آمنا بالله ورسوله ، وما جاء من عند الله ، فأكتب لنا
 كتابا نتبع ما فيه ؛ فكتب لهم كتابا شهد فيه جرير بن عبد الله ومن حضر .

(١) الزيادة من الاستيعاب وغيره . (٢) الحس : قبائل من العرب سموا بذلك لأنهم تحسوا
 في دينهم أي تشددوا ؛ كانوا يفتنون بمزدلفة ولا يفتنون بعرفة ، ويقولون : نحن أهل الله فلا نخرج من
 الحرم ، وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون . (٣) ذو الخَلَصَةِ : صنم لدوس ،
 وختم ، وبجيلة وغيرهم ، فأنتقد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله فهدمه وهدم بنيانه .
 (٤) برك عليه : دعا له بالبركة .

٢٠

ذِكْرُ وَفْدِ حَضْرَمَوْتِ

قالوا : قَدِمَ وَفْدُ حَضْرَمَوْتِ مَعَ وَفْدِ كِنْدَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ بَنُو وَليعة مَلُوكِ حَضْرَمَوْتِ ؛ جَمْدٌ ، وَنَحْوَسٌ ، وَمِشْرَحٌ ، وَأَبْضَعَةٌ ، فَأَسْلَمُوا ، وَقَالَ نَحْوَسٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ عَنِّي هَذِهِ الرِّتَّةُ ^(١) مِنْ لِسَانِي . فَدَعَا لَهُ ، وَأَطْعَمَهُ طُعْمَةً مِنْ صَدَقَةِ حَضْرَمَوْتِ .

وَقَدِمَ وَائِلُ بْنُ نُجَيْرِ الْحَضْرَمِيِّ وَأَفْدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : جِئْتُ رَاغِبًا فِي الْإِسْلَامِ وَالْهِجْرَةِ ، فَدَعَا لَهُ وَمَسَحَ رَأْسَهُ وَنُودِيَ : « الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ » سُرُورًا بِقُدُومِ وَائِلِ بْنِ نُجَيْرٍ . وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ أَنْ يَنْزِلَهُ بِالْحِجْرَةِ ، فَشِئَ مَعَهُ ، وَوَائِلٌ رَاكِبٌ ، فَسَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : أَلْقِ إِلَيَّ نَعْلَيْكَ أَتَوَقَّى بِهِمَا التَّرْمِضَاءَ . قَالَ : لَا ، إِنْ لَمْ أَكُنْ لِأَبْسَهْمَا وَقَدْ لَبِسْتَهُمَا . وَمِنْ رِوَايَةٍ : لَا يَبْلُغُ أَهْلُ الْيَمَنِ أَنْ سُوْقَةَ لَيْسَ نَعْلُ مَلِكٍ . قَالَ : فَأَرْدَفَنِي ، قَالَ : لَسْتُ مِنْ أَرْدَافِ الْمُلُوكِ ، قَالَ : إِنَّ الرَّمْضَاءَ قَدْ أَحْرَقَتْ قَدَمِي ، قَالَ : أَمْشِ فِي ظِلِّ نَاقَتِي ، كِفَاكَ بِهِ شَرَفًا .

وَيُقَالُ : إِنْ وَائِلُ بْنُ نُجَيْرٍ هَذَا وَفَدَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَعَاوِيَةَ فِي خِلَافَتِهِ فَأَكْرَمَهُ مَعَاوِيَةَ .

(١) فِي الْأَصُولِ وَالطَّبَقَاتِ : « حَمْدَةٌ » وَاعْلَمْ تَصْحِيفَ عَمَّا أُبْتِنَاهُ عَنِ الْقَامُوسِ ، قَالَ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ : « جَمْدٌ ، بَفَتْحِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْمِيمِ وَلَا أَعْرَفُ جَمْدًا مِنْ كِنْدَةَ إِلَّا جَمْدًا أَحَدَ الْمُلُوكِ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ دَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَتَلُوا فِي الرِّدَّةِ كِفَارًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ » .

(٢) يُقَالُ بِالسَّيْنِ وَالشَّيْنِ .

(٣) الرِّتَّةُ : عَقْدَةٌ وَحَبِيسَةٌ فِي اللِّسَانِ .

(٤) الرَّمْضُ : شِدَّةُ حَرِّ الشَّمْسِ عَلَى الرَّمْلِ وَغَيْرِهِ ، وَالْأَرْضُ رَمْضَاءٌ .

(٥) السُّوقَةُ : الرِّعِيَّةُ ؛ سَمَّوْا سُوْقَةَ لِأَنَّ الْمُلُوكَ يَسُوْقُونَهُمْ فَيَسَاقُونَ لَهُمْ .

قال : ولما أراد وائل بن حجر الشُّخوص إلى بلاده ، كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي لوائل بن حجر قيل حَضَرَمَوْت ، إنك أسلمت وجعلت لك ما في يدك من الأرضين والحصون ، وأن يؤخذ منك من كل عشرة واحد . ينظر في ذلك ذُوو عَدْل^(١) وجعلت لك ألا تُظَلَمَ فيها ما قام الدين . والنبي — صلى الله عليه وسلم — والمؤمنون عليه أنصار . »

قال القاضي عياض بن موسى بن عياض — رحمه الله — وفيه :

« إلى الأقيال العباهلة ، والأرواح المشايب^(٢) . وفيه :
« في التَّيعة شاةٌ لا مَقْوَرَةَ الألياطِ ولا ضِنَّاك^(٣) ، وأنظُوا التَّبجة^(٤) ، وفي السُّيُوب الخمس^(٥)
ومن زَنَى منَ أمبِكِرٍ فأصقَعوه مائةً واستوفِضوه عاما ، ومن زَنَى من أمثيب^(٦)

(١) في الطبقات « ذوا عدل » .

(٢) الأقيال : الملوك الذين دون التتابة .

(٣) العباهلة : هم الذين أقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه ؛ وواحد العباهلة عهيل ، والناء لتأكيد الجمع .

(٤) الأرواح (جمع رائح) ، وهم الحسان الوجوه ، أو الذين يروعون الناس أى يفزعونهم بمنظرهم هيبه لهم .

(٥) المشايب : السادة زهر الألوان ؛ واحدهم مشبوب . ورجل مشبوب : أسود الرأس أبيض

الوجه ، وقيل ذكى الفؤاد شهيم .

(٦) في التيعة شاة : يعنى أن الأربعين من الغنم فيها شاة زكاة .

(٧) مقورة الألياط ؛ يريد غير مسترخية الجلود لها .

(٨) الضناك : السمية ؛ ويقال للذكر والأنثى بغيرها .

(٩) أنظوا التبجة : أعطوا الوسط في الصدقة ، لا من خيار المال ولا من رذاله .

(١٠) السيوب : عروق من الذهب والفضة توجد في باطن الأرض (الركاز) ، الرخمشرى : السيوب

جمع سيب يريد به المال المدفون في الجاهلية أو المعدن ؛ لأنه من فضل الله تعالى وعطائه لمن أصابه .

(١١) أصقعه : أضربوه ، وقوله : « من أمبِكِرٍ » لغة أهل اليمن ، يدلون لام التعريف ميا .

(١٢) استوفضوه : غربوه وأتقوه . و « من أمثيب » أى من الثيب على لغة اليمن .

فَضَّرَجَوْهُ بِالْأَضَامِيمِ ^(١) ، وَلَا تَوْصِيمٍ فِي الدِّينِ ^(٢) ، وَلَا لَعْمَةَ فِي فَرَائِضِ اللَّهِ ^(٣) ؛ وَكُلَّ مُسْكِرٍ حَرَامٍ ، وَوَائِلَ بْنِ حُجْرٍ يَتْرَقِلُ عَلَى الْأَقْيَالِ ^(٤) .

قال محمد بن سعد بسنده إلى أبي عبيدة من ولد عمار بن ياسر قال : وَقَدِ حُجَّوَسَ
أَبْنُ مَعْدَى كَرَبِّ بْنِ وَلِيْعَةَ فِيمَنْ مَعَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ خَرَجُوا
مِنْ عِنْدِهِ فَأَصَابَ حُجَّوَسَ اللَّقْوَةُ فَرَجَعَ مِنْهُمْ تَقَرًّا ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَيِّدَ الْعَرَبِ
ضَرَبْتَهُ اللَّقْوَةَ ، فَأَدَلَّنَا عَلَى دَوَائِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَذُوا
مَخِيضًا فَأَحْمَوْهُ فِي النَّارِ » ، ثُمَّ آقَلُوا شُقْرَ عَيْنِهِ ، فَقِيهَا شَفَاؤُهُ ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُهُ ،
فَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا قَلَّمْ حِينَ خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي . « فَصَنَعُوهُ بِهِ فَبُرِّئَ .

ذِكْرُ وَفْدِ أَزْدِ عُمَانَ

١٠ قالوا : أَسْلَمَ أَهْلُ عُمَانَ ^(٧) ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَلَاءَ بْنَ
الْحَضْرَمِيِّ لِيُعَلِّمَهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ ، وَيُصَدِّقَ أَمْوَالَهُمْ ^(٨) ، فَخَرَجَ وَفُدَّهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

- (١) ضرجوه بالأضاميم : أى أدموه بالضرب ؛ يريد الرجم ، والأضاميم : الحجارة واحدها إضمامة .
(٢) لا توصيم في الدين : أى لا تفتروا في إقامة الحدود ولا تحابوا فيها .
(٣) لا عمة في فرائض الله : أى لا تستروا ولا تخفى فرائضه ، وإنما تظهر وتعلن ويجهر بها .
(٤) يترقل على الأقيال : أى يتسود ويتألم ، مستعار من ترقيل الثوب وهو إصباغه وإسباله .
وفي النهاية : يسعى ويترقل .
(٥) اللقوة : داء يكون في الوجه يعوج منه الشدق .
(٦) المخيط : ما خيط به .
(٧) عمان : قطر شرق جزيرة العرب على المحيط الهادى أو بحر العرب مما يلي خليج فارس ، وعمان :
٢٠ موطن الأزد وقبائلهم ، ومزدهر الدولة العربية اليعربية التي طاردت البرتغال من الخليج ، وشواطئ الهند ،
وشرق أفريقيا بأساطيلها الحربية على عهد اليعربيين ما بين ألف من الهجرة إلى نحو ألف ومائة وخمسين .
(٨) يصدق أموالهم : يأخذ زكاتها .

صلى الله عليه وسلم ، فيهم أسد بن يريح الطاحي^(١) ، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسألوه أن يبعث معهم رجلا يقيم أمرهم ، فقال مخزومة العبدى^(٢) وأسمه مدرك بن
خويط : أبعثنى إليهم فإن لهم على منة^(٣) ، أسروني في يوم جنوب فمثنوا على . فوجهه
معهم إلى عُمَان ، وقدم بعدهم سلمة بن عباد الأزدي^(٤) في ناس من قومه ، فسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يعبد وما يدعو إليه ، فأخبره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقال : أدع الله أن يجمع كلمتنا وألفتنا . فدعا لهم ، وأسلم سلمة ومن معه .

ذِكْرُ وَفْدِ غَافِقِ^(٥)

قالوا : وقدم جديحة بن شجار بن صحار الغافقي^(٦) ، على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في رجال من قومه ، فقالوا : يا رسول الله ، نحن الكواهل^(٦) من قومنا ، وقد
أسأمتنا وصدقاتنا مجبوسة بأفئتنا . فقال : « لكم ما للسلمين وعليكم ما عليهم »
فقال عوذ بن سرير الغافقي : آمنا بالله وآتبعنا رسول الله .

ذِكْرُ وَفْدِ بَارِقِ

قالوا : قدم وفد بارق^(٧) ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام
فأسلموا وبايعوا ، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) كذا في الأصول ، والذي في أسد الغابة والاسنياعاب : « هو يريح بن أسد الطاحي قدم المدينة
بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأيام وكان رآه » .

(٢) وقيل : مخزومة (بالقمام) كما في أسد الغابة ، ولم تقف على من سماه مدركا كما في الأصول .

(٣) يوم جنوب : من أيام العرب ، وجنوب : اسم موضع ، ولم يجده في أيام العرب .

(٤) في الأصول : عباد وهو تصحيف والتصويب من الإصابة .

(٥) غافق : حتى من الأزدي ، وغافق هو جد هذا الحلي ، وهو ابن الشاهد بن عك بن عدنان بن عبد الله
ابن الأزدي ، وإلى هذا الحلي نسب الحصن المعروف بالأندلس بحصن غافق قريب من قرطبة .

(٦) الكواهل : الذين يعتمد عليهم في القيام بشئون من خلفهم وراهم .

(٧) لقب سعد بن عدى أبي قبيلة باليمن .

٥

١٠

١٥

٢٠

« هذا كتاب من مجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبارق ألا تُجَدَّ
 ثمارهم ، ولا تُرعى بلادهم في مربع^(١) ولا مصيف^(٢) إلا بمسألة من بارق . ومن مر بهم
 من المسلمين في عرك^(٣) أو جدب^(٤) فله ضيافة ثلاثة أيام . وإذا أينعت^(٥) ثمارهم فلا بن
 السبيل اللقاط^(٦) يوسع^(٧) بطنه من غير أن يقبسه^(٨) . ثم شهد أبو عبيدة بن الجراح ،
 وحذيفة بن اليمان ، وكتب أبي بن كعب .

ذكر وفد ثمالة والحُدان^(٩)

قالوا : قدم عبد الله بن غلس^(١٠) الثمالي ومسلمة بن هاران^(١١) الحُداني على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في رهط من قومهما بعد فتح مكة ، فأسلموا وبايعوا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على قومهم ، وكتب لهم كتابا بما فرض عليهم من الصدقة
 في أموالهم ، كتبه ثابت بن قيس بن شماس ، وشهد فيه سعد بن عبادة ومحمد
 ابن مسلمة .

(١) المربع كقعد : الموضع الذي يرتعون فيه في الربيع ينتجعون الكلاب .

(٢) العرك : من عركتهم الحرب عركا دارت عليهم .

(٣) أينعت : نضجت .

(٤) اللقاط : ما يوجد من الثمار ساقطا فيلتقط .

(٥) كذا في الأصول ولعل اللفظ : « يقسه » بمعنى يجمعه ، ودليله ما في الطبقات : « يقتم »

أى يجمع أيضا .

(٦) ثمالة : بطن من الأزدي ، إليه ينسب محمد بن يزيد المردي النحوي .

(٧) وفي الطبقات « ابن غلس » ، وفي أسد الغابة « ابن عبد الثمالي » .

(٨) في الأصول : مسيلة بن هزان وفي الطبقات « مسلية بن هزان » والتصحيح من الإصابة

وفيها : « ويقال ابن حدان الحُداني » .

ذكر وفد مهرة

قالوا : قدم وفد مهرة ^(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليهم مهري ^(٢) بن الأبيض ، فعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلموا ، وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا الكتاب من محمد رسول الله لمهري ^(٣) بن الأبيض ^(٤) ، على من آمن به من مهرة ^(٥) ألا يؤكلوا ولا يعرّكوا . وعليهم إقامة شعائر الإسلام ، فمن بدل فقد حارب ، ومن آمن به فله ذمة الله وذمة رسوله . اللقطة مؤداة ، ^(٦) والسارحة ^(٧) مندأة ، والتفت ^(٨) السيئة ، والرث ^(٩) الفسوق » .

وكتب محمد بن مسامة الأنصاري .

(١) نسبة إلى مهرة بن حيدان — بفتح أوله — حى من قضاة ، إليه تسب الإبل المهرية .

(٢) لم تقف على هذا الاسم في مرجع غير « الطبقات » .

(٣) ألا يؤكلوا : أى لا يغار عليهم .

(٤) يعرّكون : يؤكل نباتهم ، من عرّكت المشاية النبات أكلته .

(٥) اللقطة : ما ألقط من مال ضائع . مؤداة : مردودة لصاحبها .

(٦) السارحة : المشاية التي تشرح بالغداة إلى مراعيها . مندأة : التندية أن تورد الإبل فتشرب قليلا ، ثم تحمى . بها ترمى ، ثم تردّها إلى الماء ، والمراد أنها تورد على الحياض حتى تأخذ حظها من الماء . ولا تمنع من الشرب .

(٧) التفت : من معانيه الدرر والوسخ ، والسيئة : الخطيئة ؛ والمراد أن الوسخ الفعل التفتيح ، وليس وسخ البدن .

(٨) الرث : الفحش من القول . والفسوق : العصيان ، والترك لأمر الله عز وجل . والمعنى أن الرث هو العصيان لله أمرا ونهيا .

(٩) الرث : الفحش من القول . والفسوق : العصيان ، والترك لأمر الله عز وجل . والمعنى أن الرث هو العصيان لله أمرا ونهيا .

قالوا : ووفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من مهرة، يقال له زهير^(١)
 ابن قريضم بن الجعيل من الشجر، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذنيه لبعده^(٢)
 مسافته، فلما أراد الانصراف بئته، وحمله، وكتب له كتابا .^(٣)

ذِكْرُ وَفْدِ حَمِيرٍ

قالوا : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَالِكُ بْنُ مُرَّارَةَ الرَّهَاطِيُّ^(٤) ،
 رَسُولُ مَلُوكِ حَمِيرٍ بِكُتَابِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ تِسْعٍ عِنْدَ مَقْدَمِهِ
 مِنْ تَبُوكَ ، وَهُمْ : الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ كَلَّالٍ ، وَنُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ كَلَّالٍ ، وَالنُّعْمَانُ قَيْلُ
 ذِي رُعَيْنَ ، وَمَعَاظِرُ ، وَهَمْدَانُ .

قال ابن إسحاق : وبعث إليه زرعة ذويزن مالك بن مرة الرهاوي فكتب

إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كَلَّالٍ
 وَإِلَى نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ كَلَّالٍ ، وَإِلَى النُّعْمَانِ قَيْلِ ذِي رُعَيْنِ وَمَعَاظِرِ وَهَمْدَانَ — أَمَا بَعْدُ
 ذَلِكُمْ — فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ — أَمَا بَعْدُ — فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُولِكُمْ
 مُنْقَلَبِنَا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، فَلَقِينَا بِالْمَدِينَةِ ، فَبَلَغَ مَا أُرْسَلْتُمْ بِهِ ، وَخَبَرًا مَا قَبْلَكُمْ ،
 وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهَدَاةِ إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمْ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَأَقِمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ، وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْمَغْنَمِ تَحْمُسَ اللَّهِ ، وَسَمِعْتُمْ

٣٩
١٦

(١) زهير؛ فيه خلاف في هذا الاسم، وفي الأصول: «العجيل» (راجع الإصابة وأسد الغابة).

(٢) الشجر: الشط، وهو ناحية على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، وهو عند بينها وبين عمان.

(٣) بئته: أعطاه، النبات وهو الزاد، وحمله: أعطاه. واحلة تحمله.

(٤) يروي: أين مرة، وقيل أين فزارة، والصحيح أين مرارة (أسد الغابة).

النبي - وصفيه ^(١) ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة ، من العقار ^(٢) عشر ما سقت العين
وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب ^(٣) نصف العشر ، وإن في الإبل الأربعين آبنسة
لبون ، وفي ثلاثين من الإبل آبن لبون ذكر ، وفي كل خمس من الإبل شاة ، وفي كل
عشر من الإبل شاتان ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع
جدع أو جدعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، وأنها فريضة الله
التي فرض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له ، ومن أدى ذلك ،
وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ، فهو من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه
ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فإنه من
المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيتها فإنه لا يرد عنها ،
وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى ، حر أو عبد دينار وأيف ، من قيمة المعافر ^(٤)
أو عوضه ثيابا ، فمن أدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمة الله
وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد - فإن رسول الله محمدا النبي أرسل إلى زُرعة ذى يزن أن إذا أتاكم رُسلى
فأوصيكم بهم خيرا : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عبادة ، وعقبة
ابن نمر ، ومالك بن مرة ، وأصحابهم ، وأن أجمعوا له ما عندكم من الصدقة ، والجزية
من مخالفكم ، وأبلغوها رُسلى ، وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا يتقبلن إلا راضيا .

أما بعد - فإن محمدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك
ابن مرة الرهاوى قد حدثني أنك أسلمت من أول حير وقتلت المشركين ، فأبشرك

(١) الصنى : ما يصطفيه الرئيس من الغنمة لنفسه قبل أن تقسم الغنائم .

(٢) العقار : الأرض . (٣) الغرب : الدلو .

(٤) ظاهر : عاون وقوى . (٥) المعافر : ثياب من ثياب اليمن .

بخير ، وأمرَكَ بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تحاذلوا ، فإن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — هو مولى غنيكم وفقيركم ، وأن الصدقة لا تحل لمحمّد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يُزكى بها على فقراء المسلمين وأبن السبيل ، وأن مالكا قد بلغ الخبر ، وحفظ الغيب وأمركم به خيرا ، وأتى أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وأمركم بهم خيرا ، فإنهم منظور إليهم ^(١) ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ذكر وفد جَيْشَانَ

قال محمد بن سعد : قَدِمَ أَبُو وَهَبِ الْجَيْشَانِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَرَمٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ أَشْرَبَةِ تَكُونُ بِالْيَمَنِ ، فَسَمَّوْا لَهُ ^(٢) الْبَيْعَ مِنَ الْعَسَلِ ، وَالْمُزْرَ ^(٣) مِنَ الشَّعِيرِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلْ تَسْكُرُونَ مِنْهُمَا » .
 ١٠ قالوا : إِنَّ أَكْثَرَنَا سَكِرْنَا ، قَالَ : « حَرَامٌ قَلِيلٌ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ » ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الرَّجْلِ . تَخَذَ الشَّرَابَ فَيَسْقِيهِ عُمَّالَهُ ، فَقَالَ : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » .

ذكر وفد سَلُولِ

قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر التَّمْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ : قَدِمَ قَرَدَةَ بْنِ نَفَّائَةَ السَّلُولِي ، مِنْ بَنِي عَمْرٍو بْنِ مُرَّةَ بْنِ صَعْقَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولِ ، فَأَمَرَهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ

(١) في نسخة من ابن هشام : « فإنه » .

(٢) البَيْعُ (بكسر الباء وسكون التاء) وقتحتها : نبيذ يتخذ من عسل ، كأنه الخمر صلابة .

(٣) المزْر : نبيذ الشعير .

وأسلموا ؛ فأنشأ يقول :

بَانَ الشَّبَابُ فَلَمْ أَحْفَلْ بِهِ بِأَلَا * وَأَقْبَلَ الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ إِقْبَالَآ
وَقَدْ أُرْوَى نَدِيمِي مِنْ مُشْعَشَعَةٍ^(١) * وَقَدْ أَقْبَبُ أَوْرَاكًا وَأَكْفَالَآ
الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجَلِي * حَتَّى آكْتَسِبْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ سِرًّا بِأَلَا

قال وقد قيل : إن البيت الثالث للبيد ، قال أبو عبيدة : لم يقل لبيدُ
في الإسلام غيره ، وكان قد عمَّر مائة وخمسين سنة .

قال أبو عمر : وقد رَدَّ هذا هو الذي يقول :

أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَرَى الشَّخْصِينَ أَرْبَعَةً * وَالشَّخْصَ شَخْصِينَ لَمَّا مَسَّنِي الْكِبَرُ
لَا أَسْمَعُ الصَّوْتَ حَتَّى أَسْتَدِيرَ لَهُ * وَحَالَ بِالسَّمْعِ دُونِي الْمَنْظَرُ الْقَصِيرُ^(٢)
وَكُنْتُ أَمْشِي عَلَى السَّاقَيْنِ مُعْتَدِلًا * فِصْرْتُ أَمْشِي عَلَى مَا تُنْبِتُ الشَّجَرُ
إِذَا أَقْسَمُ عَجْنَتُ الْأَرْضِ مُتَّكِّئًا * عَلَى الْبِرَاجِمِ حَتَّى يَدَّهَبَ النَّفْسُ^(٣)

٤٠

١٦

١٠

ذَكَرَ وَفَدَ نَجْرَانَ وَسْأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ

قال محمد بن إسحق : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران

سِتُونَ رَاجِيًا ، فِيهِمْ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، وَهُمْ : الْعَاقِبُ عَبْدُ الْمَسِيحِ ،
وَالسَّيِّدُ وَهُوَ الْأَيْمِيُّ ، وَأَبُو حَارِثَةَ ابْنُ عَلَقَمَةَ ، وَأَوْسُ ، وَالْحَارِثُ ، وَزَيْدُ ، وَقَيْسُ ،

١٥

(١) المشعشة : الخمر .

(٢) في الأصول : « دون » مكان « دوني » وفي الاستيعاب :

« وحال بالسمع دوني المنظر العسر »

(٣) عجن الأرض : اعتمد عليها بجمعه إذا أراد النهوض من الكبر . البراجم (جمع برجمة) :

٢٠

مفاصل الأصابع . والنفر (بالفتح بك) : الجماعة من الناس ؛ يريد الذين ينفرون معه .

ويزيد، ونبيه وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويحس. ومن هؤلاء الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، وهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، وأسمه عبد المسيح.

قال محمد بن سعد: هو رجل من كندة والسيد تمالهم، وصاحب رحلهم وجمتمعهم، وأسمه الأيهم، وأبو حارثة ابن علقمة أحد بكر بن وائل أسقفهم وحبهم وإمامهم، وصاحب مدراسهم.

قال ابن سعد: وكان من الأربعة عشر كوز وهو أخو الحارث بن علقمة، وأوس أخو السيد.

قال: فتقدمهم كوز وهو يقول:

إليك تعدو قلماً وضيئها * معترضاً في بطنها جينها

* مخالفاً دين النصارى دينها *

وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قدم الوفد بعده، فدخلوا [عليه] المسجد، عليهم ثياب الحبرة وأردية مكشوفة بالحرير، فقاموا يصلون في المسجد نحو الشرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوهم»، ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان: ذلك من أجل زيئكم هذا، فانصرفوا يومهم ذلك، ثم غدوا عليه، بزى الرهبان فسأموا عليه فرد عليهم.

(١) تمالهم: غياثهم الذي يفرعون إليه.

(٢) الأسقف (بتشديد الفاء وتخفيفها): رئيس النصارى في الدين، أجمعى تكلمت به العرب.

(٣) مدراس: بيت يدرس فيه الكتاب.

(٤) الوضين: الحزام. وفي ابن هشام: «قال هشام بن عروة: وزاد فيه أهل العراق:

* معترضاً في بطنها وضيئها *

(٥) الزيادة من ابن هشام. (٦) الحبرة: ضرب من برودتين منمر.

قال محمد بن إسحاق : وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم ، حتى حسن علمه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ؛ لما يبلغهم عنه من علمه وأجتهاده في دينهم ، فلما وجهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له ، وإلى جنبه أخوه كوز ، — ويقال فيه كُوز — فعمرت بغله أبي حارثة ، فقال كوز : تعيس الأبعد ، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو حارثة : بل أنت تعيست . فقال : ولم يا أخي ؟ قال : والله إنه للنبي الذي كنا نتظره . فقال له كوز : فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى . فأضمر عليها منه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك ، فكان يتحدث عنه هذا الحديث .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : وبلغني أن رؤساء تجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم ، فكلما مات رئيس منهم وأفضت الرئاسة إلى غيره ، ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التي قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يمشى فعمراً ، فقال آبنه : تعيس الأبعد — يريد النبي صلى الله عليه وسلم — فقال له أبوه : لا تفعل فإنه نبي وأسمه في الوضائع — يعني الكتب — فلما مات لم يكن لأبنه همة إلا أن كسر الخواتم ، فوجد في الكتب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه فحج ، وهو الذي يقول :

* إِلَيْكَ تَعُدُّو قَلِقًا وَضِيئًا *

(١) في الأصول وآبن هشام «كور» وما أئبناه هما الروايتان المعروفتان في أسم آبن علقمة (راجع القاموس مادتي كوز، وكوز) والإصابة وأسد الغاية .

قال ابن إسحاق : ولما قَدِمُوا صَلَّوْا فِي الْمَسْجِدِ نَحْوَ الشَّرْقِ ، وَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ الثَّلَاثَةَ نَقَرَ : الْعَاقِبُ ، وَالسَّيِّدُ ، وَأَبُو حَارِثَةَ ، وَهُمْ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ ، مَعَ آخْتِلَافٍ مِنْ أَمْرِهِمْ ، يَقُولُونَ فِي الْمَسِيحِ : هُوَ اللَّهُ ، وَيَقُولُونَ : هُوَ ابْنُ اللَّهِ ، وَيَقُولُونَ : هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، فَهَمْ يَحْتَجُّونَ فِي قَوْلِهِمْ : هُوَ اللَّهُ بِأَنَّهُ كَانَ يَحْيَى الْمَوْتَى ، وَيَبْرئُ مِنَ الْأَسْقَامِ ، وَيَخْبِرُ بِالْغُيُوبِ ، وَيَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا ، وَيَحْتَجُّونَ فِي قَوْلِهِمْ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبٌ يُعَلِّمُ ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، [وهذا] شَيْءٌ لَمْ يَصْنَعْهُ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ قَبْلَهُ . وَيَحْتَجُّونَ فِي قَوْلِهِمْ إِنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، يَقُولُ اللَّهُ فَعَلْنَا ، وَأَمَرْنَا ، وَخَلَقْنَا ، وَقَضَيْنَا ، وَيَقُولُونَ : لَوْ كَانَ وَاحِدًا مَا قَالَ إِلَّا فَعَلْتُ وَقَضَيْتُ وَأَمَرْتُ وَخَلَقْتُ ، وَإِكْبَانَهُ هُوَ ، وَعَيْسَى ، وَمَرْيَمُ .

٤١
١٦

قال : فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبْرَانَ قَالَ لَهَا : «أَسْلِمَا» ، قَالَا : قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ . قَالَ : «كَذَبْتُمَا ، يَمْنَعُكَمَا مِنَ الْإِسْلَامِ دَعَاكَ اللَّهُ وَلَدًا ، وَعِبَادَتُكَمَا الصَّالِبِ ، وَأَكَلُكَ الْخُسْتِيرِ» قَالَا : فَمَنْ أَبُوهُ يَا مُحَمَّدُ ؟ فَصَمَّتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَجِبْهُمَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي آخْتِلَافِ أَمْرِهِمْ كُلَّهُ صَدْرَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، إِلَى بَعْضِ وَثْمَانِينَ آيَةٍ مِنْهَا .

فَقَالَ تَعَالَى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ^(٢) قَالَ : آفَتْحَ السُّورَةِ بِتَنْزِيهِهِ نَفْسَهُ عَمَّا قَالُوا وَتَوْحِيدِهِ ، لَيْسَ مَعَهُ شَرِيكَ فِي أَمْرِهِ : «الْحَيُّ» أَيْ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَقَدْ مَاتَ عَيْسَى وَصَالِبٌ فِي قَوْلِكُمْ . «الْقَيُّومُ» الْقَائِمُ عَلَى مَكَانِهِ مِنْ سُلْطَانِهِ

(١) الزيادة من ابن هشام .

(٢) القائل ابن إسحاق .

في خلقه لا يزول، وقد زال عيسى. ثم قال تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي بالصدق فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ أي الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ أي إن الله مُنتقم من كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفة. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي قد علم ما يريدون وما يكيّدون وما يضاؤون بقولهم في عيسى؛ إذ جعلوه إلهًا وعندهم من علمه غير ذلك. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي قد كان عيسى من صور في الأرحام لا يدفعون ذلك ولا يتكبرونه، كما صور غيره من ولد آدم، فكيف يكون إلهًا وقد كان بذلك المنزل.

ثم قال تعالى تزئيمًا لنفسه وتوحيدًا لها: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي «العزیز» في انتصاره ممن كفر به إذا شاء «الحكيم» في حجة وعذره إلى عباده. ثم قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي فهن حجة الرب وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن تصريح ولا تحريف عما وُضعن عليه. ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي لهن تصريح وتأويل، آتت الله فهن العباد، كما آتت لهم في الحلال والحرام، ألا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي ميل عن الهدى. ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي ما تصرف منه؛ ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا لتكون لهم حجة وشبهة على ما قالوا. ﴿أَتَبَغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي اللبس ﴿وَأَتَبَغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي تأويل ذلك على

(١) في آية هشام: «لنكون لهم حجة، وعمل ما قالوا شبهة».

مَارِكِبُوا مِنَ الضَّلَالَةِ فِي قَوْلِهِمْ : خَلَقْنَا وَقَضَيْنَا . يقول تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ فكيف يختلف وهو قول واحد ، من رب واحد . يقول : ﴿ وَمَا يَدْرَأُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أى فى مثل هذا . ثم قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ ينهدون بذلك . ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ أى بالعدل ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ أى ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للرب والتصديق للرسول . قال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ أى العلم الذى جاءك أن الله الواحد الذى ليس له شريك . ثم قال : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ يقول تعالى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ ﴾ أى فيما يأتون به من الباطل من قولهم : خَلَقْنَا وَفَعَلْنَا وَأَمَرْنَا ، فإنما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق ﴿ فَقُلْ أَطَعْتُ اللَّهَ وَجَهِيَ إِلَيْهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي فَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ أى الذين لا كتاب لهم ﴿ أَاسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَاسَلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

ثم جمع تعالى أهل الكتابين من اليهود والنصارى فيما أحدثوا وابتدعوا ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ﴾ أى رب العباد والمالك الذى لا يقضى فيهم غيره . ﴿ تَوَلَّيَ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعَ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَنُعِزُّ مَنْ نَشَاءُ وَنُذِلُّ مَنْ نَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أى

٤٢

١٦

٢٠ (١) فسر ابن هشام هذه الآية فقال : « ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » أى لا تحمل قلوبنا وإن

ملنا بأحدنا .

لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ هَذَا غَيْرُكَ بِسُلْطَانِكَ وَقُدْرَتِكَ ﴿تُوجُّ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتُوجُّ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ
وَتُخْرَجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرَجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ﴾ أى بتلك القدرة . ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ
تَسَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أى لا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرُكَ وَلَا يَصْنَعُهُ إِلَّا أَنْتَ ، أَى إِنْ كُنْتُ
سَلَطْتُ عَيْسَى عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَزْعَمُونَ أَنَّهُ إِلَهُ ، مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَإِبْرَاءِ
الْأَسْقَامِ ، وَالخَلْقِ مِنَ الطِّينِ ، وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ ، لِأَجْعَلَهُ بِهِ آيَةً لِلنَّاسِ ،
وَتَصَدِيقًا لَهُ فِي نَبْوَتِهِ الَّتِي بَعَثْتَهُ بِهَا إِلَىٰ قَوْمِهِ ، فَإِنَّ مِنْ سُلْطَانِي وَقُدْرَتِي مَا لَمْ أُعْطِهِ
مِنْ إِيْلَاجِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَالنَّهَارِ فِي اللَّيْلِ ، وَإِخْرَاجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَإِخْرَاجِ الْمَيِّتِ
مِنَ الْحَيِّ ، وَرِزْقِ مَنْ شِئْتُ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، فَكَلَّ ذَلِكَ لَمْ أُسَلِّطْ
عَيْسَى عَلَيْهِ ، وَلَمْ أُمْلِكْهُ إِيَّاهُ ، أَفَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ وَبَيِّنَةٌ أَنْ لَوْ كَانَ إِلَهُا كَانَ
ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ فِي قَوْلِهِمْ يَهْرَبُ مِنَ الْمُلُوكِ وَيَتَنَقَّلُ مِنْهُمْ فِي الْبِلَادِ ، مِنْ بَلَدٍ
إِلَىٰ بَلَدٍ .

ثم وعظ المؤمنين وهددهم فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أى ما مضى من كفركم ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . قُلْ
أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ يقول : أطيعوا الله والرسول
فأتمتعوا بفرجه وتجدونه في كتابكم ، ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أى على كفرهم .

ثم استقبل أمر عيسى عليه السلام ، وكيف كان بدء ما أراد الله تعالى به
فقال : ﴿ إِنْ اللَّهُ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا
مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . ثم ذكر أمر امرأة عمران فقال : ﴿ إِذْ قَالَتْ أَمْرَأَةُ عِمْرَانَ
رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ أى جعلته عتيقاً يعبد الله عز وجل ، لا يلتفت
به لشيء من الدنيا ﴿ فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ

(١) عبارة ابن هشام : « ما لم أعطه تملك الملوك بأمر النبوة ، ووضعها حيث شئت ... الخ » .

إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴿١﴾ [أى ليس الذكر كالأنثى
 لما جعلتها محرراً لك نذيرة] ﴿١﴾ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَاهَا مِن
 الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢﴾ . يقول الله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا
 وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ أى كفَّلها بعد أبيها وأمها ؛ يذكروها بالتم ، ثم قصَّ خبرها وخبر زكريا ،
 وما دعا به وما أعطاه ؛ إذ وهب له يحيى ، ثم ذكر مريم ، وقول الملائكة لها ،
 فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ
 نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ قال الثعلبي : القائل من الملائكة جبريل وحده ، « اصطفاك »
 بولادة عيسى عليه السلام من غير أب ، « وَطَهَّرَكِ » من مسيس الرجال . وقيل :
 كانت مريم عليها السلام لا تحيض و « اصطفاك » بالتحجير في المسجد « على نساء
 الْعَالَمِينَ » قال : على عالمي زمانها ، ولم تحرر أنثى غيرها . ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ
 وَأَطِيعِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِبِينَ ﴾ قال الثعلبي : قوله « اقْنُتِي » أطيعي وأطيل الصلاة
 لربك ، قال : كلمتها الملائكة شفاهاً . قال الأوزاعي : لما قالت لها الملائكة
 ذلك ، قامت في الصلاة حتى ورمت قدمها وسالتنا دماً وقبحاً .

ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ
 وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَاهُمْ أَيُّهُم بِكُفْرٍ مَّرِيمَ ﴾ قال ابن إسحاق : كفَّلها هاهنا
 جريح الراهب رجل من بني إسرائيل نجار ، خرج السهم عليه حملها ، وكان زكريا
 قد كفَّلها قبل ذلك ، فأصابته بني إسرائيل أزمة شديدة ، فعجز زكريا عن حملها ،
 فأستهموا عليها ، فخرج السهم على جريح الراهب فكفَّلها . يقول تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ
 لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ أى ما كنت معهم إذ يختصمون في كفالتها ، نخبره تعالى

بجفَى مَا كَتَمُوا مِنْهُ مِنَ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ ، لِتَحْقِيقِ نَبْوَتِهِ ، وَالْحِجَّةِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَأْتِيهِمْ بِهِ
مِمَّا أَخْفَوْا مِنْهُ .

ثم قال تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) أى هكذا كان أمره ، لا كما يقولون فيه . (وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) « وَجِيهًا » أى شريفًا ذا جاه وقدر « وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ » عند الله
(وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ) يخبرهم بحالاته التى يتقلب فيها فى عمره ؛
كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغارًا و كبارًا ، إلا أن الله تعالى خصه بالكلام فى مهده
آيةً لنبوته وتزيتها لأتمه . وقوله : « وَكَهْلًا » قال مقاتل : إذا اجتمع قبل أن يرفع^(١)
إلى السماء . وقال الحسين بن الفضل : « كَهْلًا » بعد نزوله من السماء . وقال ابن كيسان :
أخبرها أنه يبقى حتى يكتهل . وقيل : يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًا وَكَهْلًا ؛ بَشَّرَهَا
بنبوته ، فَلَأَمَّهُ فِي الْمَهْدِ مُعْجِزَةً وَفِي الْكَهُولَةِ دَعْوَةً . وقال مجاهد : « وَكَهْلًا »
أى حَلِيًّا .

٤٣
١٦

قال تعالى لإخبارا عن مريم : (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ
قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) ثم أخبرها بما
يريد به فقال تعالى : (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) قوله « الْكِتَابَ »
أى الكتابة والخط . « وَالتَّوْرَةَ » التى كانت فيهم من عهد موسى قبله « وَالْإِنْجِيلَ »
كأبا آخر أنزله الله إليه ، لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن . يقول تعالى : (وَرَسُولًا
إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) أى يُحَقِّقُ بِهَا نَبْوَتِي أَنِّي رَسُولٌ مِنْهُ
إِلَيْكُمْ . (أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ)

(١) اجتمع الرجل : استوت لحينه ، وبلغ غاية شبابه .

(٢) على هذا يكون « كهلا » معطوفا على « وجيها » .

- قال الثعلبي: قراءة العامة بالجمع؛ لأنه خلق طيرا كثيرة، وقراء أهل المدينة «طائرا» ذهبوا إلى أنه نوع واحد من الطير؛ لأنه لم يخلق غير الخفّاش، قال: وإنما خصّ الخفّاش لأنه أكل الطير خلقا؛ ليكون أبلغ في القدرة؛ لأن لها نديا وأسنانا وهي تبيض وتطير، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا؛ لتمييز فعل الخلق من فعل الله عز وجل؛ وليعلم أن الكمال لله. (وأبرئ الأكمة والأبرص) «الأكمة» الذي يولد أعمى وجمعه كئمة. وقيل: هو الأعمى وهو المعروف من كلام العرب؛ قال سويد بن أبي كاهل:
- كَبِهَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى آبَيْضَتَا * فَهُوَ يَلْحَى نَفْسَهُ حَتَّى تَزِعُ^(١)
- والأبرص الذي فيه وَصَحٌّ، قال: وإنما خصّ هذين؛ لأنهما عيَاءان وكان الغالب على زمن عيسى عليه السلام الطّب؛ فأراهم الله تعالى المعجزة من جنس ذلك.
- قال وهب: ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفا، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يُطَق أتاه عيسى عليه السلام، وإنما كان يداويهم بالدعاء، على شرط الإيمان. (وأخي الموتى بإذن الله) قال الثعلبي: أحيا أربعة أنفس العازر وكان صديقا له، فأرسلت أخته إلى عيسى: إن أخاك العازر يموت فأته، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام، فأتاه هو وأصحابه، فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: أنطلق بنا إلى قبره. فأطلقت معهم إلى قبره وهو في صحرة مطبقة، فقال عيسى عليه السلام: «اللهم رب السموات السبع، إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك، وأخبرهم أني أخي الموتى بإذنك، فأخي العازر»، قال: فقام عازر وودّكه يقطر، فخرج من قبره وبقى وولد له. وأحيا ابن العجوز، مرّ به ميتا على عيسى عليه السلام،

(١) معنى البيت: أن الحسد قد يبيض عيه.

وهو يُجَمَل على سَرِيرٍ، فدعا الله تعالى عيسى، فجلس على سريره، ونزل عن أعناق الرجال، ولبس ثيابه، وحَمَلَ السَّرِيرَ على عنقه، ورجع إلى أهله، فبقي وولده، وآبَنَةَ العائِشِ رَقِيلَ له: أَنَحِيهَا وَقَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ؟ فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولدت، وسام بن نوح عليهما السلام، ودعا عيسى بأسم الله الأعظم، فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه، فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا، ولكنني دعوتك بأسم الله الأعظم، ثم قال له: مُتْ، قال: بشرط أن يُعِيدَنِي اللهُ من سكرات الموت، فدعا الله سبحانه ففعل.

قال الكلبي: كان يُجيبُ الأُمُوتَ بـ«يا حيُّ يا قيوم».

قال [تعالى]: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْرُحُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي آية لكم أني رسول من الله إليكم.

يقول [تعالى]: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي لما سبقني منها. ﴿وَلِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي أخبركم أنه كان عليكم حراما فتركتموه، ثم أحله لكم تخفيفا عنكم، فتصيبون يسره وتخرجون من تبعته.

يقول [تعالى]: ﴿وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ . إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي هذا الهدى قد حملتم عليه وجئتم به. يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ

(١) وهي التي كان أبوها يأخذ العشور.

(٢) زيادة يقتضيها المقام.

(٣) التباعة (بالكسر): الشيء الذي فيه بغية شبه ظلامة ونحوها، وهي التبعة.

فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) أى هكذا كان قولهم وإيمانهم ، لا كما يقول هؤلاء الذين
يُحَاوِنُونَكَ ، ثم ذكر تعالى رَفَعَهُ عِيسَى إِلَيْهِ حينَ اجْتَمَعُوا لِقَتْلِهِ ، فقال : ((وَمَكُرُّوْا
وَمَكَرَ اللهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)) قال أهل المعاني : المَكْرُ السُّعْيُ بِالْفَسَادِ فِي سِتْرٍ
وَمُدَاجَاةٍ . وقال الفراء : المَكْرُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ الْخَبُّ وَالْخَدِيعَةُ وَالْحِيلَةُ ، وهو من الله
أَسْتَدْرَاجُهُ الْعِبَادَ . ثم أخبرهم تعالى ، وردَّ عليهم فيما أفزوا به لليهود من صَلْبِهِ ، وأن
الله عَصَمَهُ مِنْهُمْ ، ورفعه إليه ، فقال تعالى : ((إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
وَرَأَيْتَكَ إِلَىٰ وَمُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ . وَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَنُوفِقِهِمْ أَجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . ذَلِكَ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ
مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ)) قال الثعالبي : اختلفوا في معنى التوفى هاهنا ؛ فقال
كعب والحسن والكلبي ومطر الزواق ومحمد بن جعفر بن الزبير وآبن جريح وآبن
زيد : معناه إني قابضك ورافعك من الدنيا إلى من غير موت . قال : وعلى هذا
القول تأويلان : أحدهما — إني رافعك إلى واقيا لم ينالوا منك شيئا ؛ من قولهم
تَوَفَّقْتُ هَذَا ، وَأَسْتَوْفَيْتُهُ أَيْ أَخَذْتَهُ تَامًا .

والآخر — إني مُسَلِّمٌ ؛ من قولهم تَوَفَّقْتُ مِنْهُ كَذَا أَيْ تَسَلَّمْتُهُ . وقال الربيع
آبن أنس : معناه إني مُنِمْك ورافعك إلى في نومك ؛ ويدل عليه قوله تعالى :
((وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ)) أَيْ يُنِمْكُمْ ؛ لِأَنَّ النَّوْمَ أَخُو الْمَوْتِ . وقوله تعالى :
((اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ)) الآية . وعن آبن عباس رضى الله عنهما قال : إني مُنِمْك .
ويدل عليه قوله تعالى : ((قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ)) وقوله : ((أَوْ تَوَفِّيَنَّكَ))
قال : وله على هذا القول تأويلان : أحدهما — ما قال وهب : تَوَفَّى اللهُ تَعَالَى

عيسى عليه السلام ثلاث ساعات من النهار ثم رَفَعَهُ إِلَيْهِ . وقال ابن إسحق :
 النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه ورفعه .
 والآخرة ما قال الضحاك وجماعة من أهل المعاني : إن في الكلام تقدما وتأخيرا ،
 معناه إني رافعتك إلى - ومُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، ومُتَوَقِّكَ بَعْدَ أَنْ أَنْزَلْتُكَ مِنَ
 السماء . وقال أبو بكر بن محمد بن موسى الواسطي : معناه « إني مُتَوَقِّكَ » عن
 شهواتك وحفظ نفسك . قال : وذلك أنه لما رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ صار حاله حال
 الملائكة . وقوله : « وَرَافِعَكَ إِلَى » قال البُنَّانِيُّ وَالشَّيْبَانِيُّ : كان عيسى عليه
 السلام على طُورِ زَيْتَا فَهَبَتْ رِيحٌ ، فَهَرَّوَلْ عَيْسَى ، فَرَفَعَهُ اللهُ عِزًّا وَجَلَّ فِي هَرَّوَلْتِهِ ،
 وَعَلَيْهِ مِذْرَعَةٌ مِنْ شَعْرٍ . وقيل : معناه ورافعتك بالدرجة في الجنة ، ومقربتك إلى
 بالإكرام .

وقوله : « وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا » أي مُخْرِجَكَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَمُنْجِيكَ مِنْهُمْ .
 وقوله : « وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » قال قتادة والربيع
 والشَّعْبِيُّ وَمِقَاتِلُ وَالْكَابِيُّ : هم أهل الإسلام الذين آتبعوا دينه وسُنَّتَهُ مِنْ أُمَّةٍ
 مَجْدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَاللهُ مَا آتَبَعَهُ مِنْ دَعَاةٍ رَبًّا . « فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا »
 ظاهرين قاهرين بالعز والمنعة والدليل والمُجْتَمِعَةِ . وقال الضحاك وعلي ومحمد بن أبان :
 يعني الحوارين فوق الذين كفروا . وقيل : هم الروم . وقال ابن زيد : وجاعل
 النصارى فوق اليهود ، فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق اليهود ، واليهود
 مُسْتَدَلُّونَ مَقْهُورُونَ . قال : وعلى هذين القولين يكون معنى الاتباع : الآداء
 والمحبة لا اتباع الدين والمِلَّةِ . « ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ » أي في الآخرة . « فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ
 فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ » أي من الدين وأمر عيسى .

قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا ﴾ بالقتل والسبي
والجزية والذلة . (والآخرة) بالنار . (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) . قوله : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا ﴾ الآية ظاهرة المعنى . قوله : ﴿ ذَلِكَ تَسْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾
أى هذا الذى ذكرته لك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « هو القرآن » . وقيل :
هو اللوح المحفوظ ، وهو مُعَلَّقٌ بِالْعَرْشِ ، من دُرَّةٍ بِيضَاءِ ، و « الحكيم » هو المحكم
من الباطل ، قاله مقاتل . وقال ابن إسحق : أى القاطعُ الفاصلُ ، الحق الذى
لا يخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى ، وعمما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلن
خبراً غيره . فقال : ﴿ إِنْ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ أى قد جاءك الحق فلا تمترين
فيه ، وإن قالوا خلق عيسى من غير [ذ^(١)كر] ، ففسد خلقت آدم [من تراب^(٢)] بتلك
القدرة من غير أنى ولا ذ^(١)كر ، فكان لحماً ودماً وعظماً وشعراً وبشراً ، كما كان عيسى ،
فليس خلق عيسى من غير ذ^(١)كر بأعجب من هذا .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ أى من بعد ما
قصصت عليك من خبره ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ قوله : « نَبْتَهِلْ » أى تتضرع
في الدعاء . وقيل : نخلص في الدعاء . وقيل : نجتهد ونبالغ فنقول لعن الله الكاذب
منا ومنكم . قال ابن إسحق : ﴿ إِنْ هَذَا ﴾ الذى جئت به من الخبر عن عيسى
﴿ لَهْوَ الْفَصْصِ الْحَقِّ ﴾ من أمره . ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ . فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أى إن اعرضوا عن الإيمان ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ أى
الذين يعبدون غير الله تعالى ، ويدعون الناس إلى عبادة غير الله .

(١) في الأصول : « ذلك » وهو تحريف ، والتصويب من سيرة ابن هشام .

(٢) الزيادة من سيرة ابن هشام .

ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ فدعاهم إلى النصف ، وقطع عنهم الحجّة ، قال : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عز وجل عن عيسى ، والقصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمره بما أمره به من ملاءمتهم إن ردّوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر في أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه ، فأصرفوا عنه ، ثم خلّوا بالعاقب ، فقالوا : يا عبد المسيح ، ماترى؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبى مرسل ، لقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم ما لآعن قوم نبياً قط فبقى كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وأنه الاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم ، والإقامة على ما أتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل ، ثم أنصرفوا إلى بلادكم . فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا ألا نلاعنك ، وأن نتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن أبعث معنا رجلاً من أصحابك ، ترضاه لنا ، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آتوني العشيّة أبعث معكم القوي الأمين » فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها ، فخرجت إلى الظهر مهاجراً ، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، سلّم ثم نظر عن يمينه ويساره ، فجعلت أطاول له ليرانى ، فلم يزل يلتبس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه له ، وذلك قبل الهجرة .

(١) المهجر : الذى يسير فى الهاجرة ، وهى شدة الحر .

فقال : « أخرج فاقض بينهم بالحسق فيما اختلفوا فيه » قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة . هذا ما رواه ابن هشام عن ابن إسحاق .

وقال محمد بن سعد في طبقاته : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرض عليهم المباهلة أنصرفوا عنه ، ثم أتاه عبد المسيح ورجلان من ذوى رأيهم ، فقال : قد بدأ لنا الأنباهلك ، فأحكم علينا بما أحببت نعطك ونصالحك . فصالحهم على ألقى حلة : ألف في شهر رجب ، وألف في صفر ، أو قيمة كل حلة من الأواق ، وعلى عارية ثلاثين درعاً ، وثلاثين رُحماً وثلاثين بعيراً ، وثلاثين فرساً : إن كان باليمن كيداً^(١) . ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله ، على أنفسهم وميتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدتهم وبيعهم ، لا يُغير أسقف^(٢) من سقيفاه ، ولا راهب من رهبانته ، ولا واقف من وقفانته ، وفي بعض الروايات لا يُغير واقف^(٤) من وفهيته ، ولا قسيس من قسيسيته . والواقف : قيم الكنيسة .

قال : وأشهد على ذلك شهوداً . منهم أبو سفيان بن حرب ، والأقرع بن حابس والمغيرة بن شعبة ، ورجعوا إلى بلادهم ، فلم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلما وأنزلها في دار أبي أيوب الأنصاري ،

- ١٥ (١) كيد : حرب .
 (٢) الأسقف : رئيس النصارى في الدين . وسقيفاه : مصدر كالحلي من الخلافة ؛ أى لا يمنع من تسقفه وما يعاينه من أمر دينه وتقدمته .
 (٣) الواقف : خادم البيعة ؛ لأنه وقف على خدمتها . وقفانته : خدمته ، ويروى « وقفاه » بالنكسر والتشديد ؛ وهى مصدر كالخصيص والحلي .
 ٢٠ (٤) ورواه ابن الأعرابي « واقف » وكأنه مقلوب .

وأقام أهل نجران على ما كتب لهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله تعالى . ثم ولى أبو بكر فكتب بالوصاية بهم عند وفاته ، ثم أصابوا رباً فأخرجهم عمر بن الخطاب من أرضهم ، وكتب لهم :

« هذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لنجران . من سار منهم إنه آمن بأمان الله ، لا يضرهم أحد من المسلمين ؛ وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر - أما بعد - فمن وقعوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من جريب الأرض ، ما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة ، وعقبة لهم بمكان أرضهم ، لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم - أما بعد - فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم ، فإنهم أقوام لهم الذمة . وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً بعد أن يقدموا ، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم ، غير مظلومين ولا معنوف عليهم . شهيد عثمان بن عفان ومعتيق بن أبي فاطمة . »

قال : فوقع ناس منهم بالعراق ، فنزلوا النجرانية التي هي ناحية الكوفة .

وحيث ذكرنا وفادات العرب ، فلا بأس أن نصل هذا الفصل بما يناسبه من خبر الحق في إسلامها ، ونلحق ذلك بما يتعلق به من إخبار الحق أصحابهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم بسبب ذلك ، فإننا عند ذكرنا للبشائر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكرنا من ذلك طرفاً ، وأخرنا بقية لندكره في هذا الفصل ، ونهنا عليه هناك .

(١) وقعوا : نزلوا . (٢) جريب : هو في الأصل الوادي ، ثم استعير للقطعة المنتمية من الأرض . ما اعتملوا : استعملوا في الزراعة . (٣) في طبقات ابن سعد : « من ضيعتهم التي اعتملوا » . (٤) لا معنوف عليهم : أي لا يشتد عليهم في المعاملة ، بل يعاملون باللين والرفق .

ذكر خبر إسلام الجَنِّ

ودعائهم قومهم إلى الإيمان عند سماعهم القرآن

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝١٥﴾

وكان من خبر الجن ما روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال :

أنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأُرسلت عليهم الشُّهْب ، فرجعت الشياطين ، فقالوا : مالكم ؟ فقالوا : قد حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأُرسلت علينا الشُّهْب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما قد حدث ، فأصبروا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الأمر الذى قد حدث ، فأنطلقوا فصرَبوا مشارق الأرض ومغاربها ، ينظرون ما هذا الأمر الذى حال بينهم وبين خبر السماء ، وأنطلق الذين توجهوا إلى نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا : هذا

(١) الآيات من ٢٩ - ٣٢ سورة الأحقاف .

(٢) نخلة : اسم موضع يعرف بخلة اليمنية بواد يأخذ إلى قرن والطائف ، قال فى المصباح : « بها كان

ليلة الجن ، وبها صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف لما سار إلى الطائف ، بينها وبين مكة ليلة » .

(٣) تسمعوا له : تكلفوا سماعه .

الذي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَيْرِ السَّمَاءِ . فَهَنَالِكَ رَجِعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ . وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ وَإِنَّمَا أُوْحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِي عَسْوَانَ ، عَنْ أَبِي يَسْرَافِيلَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ .

وَذَهَبَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى أَنَّ اسْتِمَاعَ الْجِنِّ كَانَ بِخَلَّةٍ ، عِنْدَ عَوْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الطَّائِفِ ، لَمَّا تَوَجَّهَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمُرْتَجِمِ « بَدَلَاتِلِ النَّبُوَّةِ ، وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ » بَعْدَ أَنْ سَاقَ حَدِيثَ الْبُخَارِيِّ قَالَ : وَهَذَا الَّذِي حَكَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ إِنَّمَا هُوَ فِي أَوَّلِ مَا سَمِعْتَ الْجِنَّ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَاطَمَتْ بِحَالِهِ ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَقْرَأْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَرْهَمْ كَمَا حَكَاهُ ، ثُمَّ أَنَاهُ دَاعِيَ الْجِنِّ مَرَّةً أُخْرَى ، فَذَهَبَ مَعَهُ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، كَمَا حَكَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ .

وَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ خَيْرَ الْجِنِّ فِي الْقِصَصَيْنِ : أَمَّا الْأَوَّلِيُّ فَإِنَّهُ قَالَ : هَبَطُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِبَطْنِ نَخْلَةٍ ، فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَالُوا : أَنْصِتُوا - قَالُوا صَهْ - وَكَانُوا سَبْعَةً ، أَحَدُهُمْ زَوْبَعَةُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أَوْلَيْتَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آذَنَتْهُ بِالْجِنِّ شَجَرَةً ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

- وأما القصة الثانية ، فرواها عن الشَّعْبِيِّ عن عَلْقَمَةَ قال : قلت لعبد الله بن مسعود هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ الجَنِّ منكم أحدٌ ؟ فقال : ما صحبه منا أحدٌ ، ولكنا فقدناه ذات ليلةً بمكة فقلنا : أَعْتَبِلَ ؟ أَسْطَيرَ ؟ ما فعل ؟ قال : فَبِتْنَا بِبَشَرٍ لَيْسَ لَهَا بَاتٌ بِهَا قَوْمٌ ، فلما كان في وَجْهِ الصُّبْحِ أو قال في السَّحَرِ ، إذا نحن به يحيى من قبل حِراءَ ، فقلنا : يا رسول الله ، فذكروا الذى كانوا فيه ، فقال : « إنه أتانى داعى الجَنِّ فأتيتهم فقرأت عليهم » قال : فأنتلقى فأرانا آثارهم ، وآثار نيرانهم ، قال : وقال الشَّعْبِيُّ فسأله الزَّادُ ، وقال ابن أبي زائدة : قال عامر سأله لَيْثُ بْنُ الزَّادِ ، وكانوا من جن الجزيرة ، فقال : « كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ فَرَمَ مَا كَانَتْ لِحْمًا ، وَكُلُّ بَعْرَةٍ أَوْ رَوْثَةٍ عَلَفَ لِدَوَابِّكُمْ - قال - فلا تَسْتَنْجُوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن » رواه مسلم في صحيحه . وكان فيما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم : « الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ » السورة ؛ ويدل على ذلك ما رواه محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرَّحْمَنُ » على الناس سَكَتُوا فلم يقولوا شيئاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَلْجَنُّ كَانُوا أَحْسَنَ جَوَاباً مِنْكُمْ لَمَّا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ « قِيَامِي آلاءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ » قالوا لا ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب » . ومن رواية أخرى ١٥ عنه : « قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » .

وعن أبي المليح الهذلي أنه كتب إلى عبيدة بن عبد الله بن مسعود : أين قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ؟ فكتب إليه : إنه قرأ عليهم بشعب يقال له الحجون . وروى عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم « أتت نقرأ

من الجن خمسة عشر بنى إخوة وبني عمٍّ يأتونني الليلة فأقرأ عليهم القرآن» . وقيل : كانوا أكثر من هذا . وقد جاء عنه : أنه ذهب إلى موضعهم ، قال : فرأيتُ موضع مَبْرَكِ ستين بَعِيرًا . ولما رأى عبدُ الله بن مسعود رجالَ الزُّطِّ قال : ما رأيتُ شبيهم إلا الجنَّ ليلةَ الجنِّ ، وكانوا مُسْتَنْفَرِينَ يتبع بعضهم بعضًا .

ذكر إخبار الجن أصحابهم

بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامهم بسبب ذلك

روى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في صحيحه ، بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ما سمعتُ عمرَ رضي الله عنه لشيءٍ قطُّ يقول ، إني لأظنه كذا إلا كان كما يظنُّ ؛ بينا عمر جالس إذ مرَّ رجلٌ جميل ، فقال : لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية ، ولقد كان كاهنهم ؛ على الرجل ، فدعى له ، فقال له عمر : لقد أخطأ ظني أو إنك على دينك في الجاهلية أو لقد كنت كاهنهم ، فقال : ما رأيت كاليوم أستقبل به رجلٌ مسلمٌ . قال : فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني . قال : كنت كاهنهم في الجاهلية . قال : فما أعجب ما جاءك به جيبتك ؟ قال : بينا أنا يوما في سوقٍ جاءتني أعرف فيها الفزع ، قالت :

(١) الزط : جنس من السودان والهنود .

(٢) لأن عمر رضي الله عنه كان من المخدئين (بتشديد الهال المتحركة) أي الملهمين بالصواب []

(٣) قال البيهقي : « يشبه أن يكون هو سواد بن قارب » .

(٤) أي في كونه في الجاهلية بأن صار مسلما (القسطلاني) .

(٥) أعزم عليك : أزمك .

أَلَمْ تَرَ الْحِنَّ وَإِبْلَاسَهَا * وَيَاسَهَا بَعْدُ وَإِبْلَاسَهَا^(١)
وَلِحُوقِهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَامِهَا * وَيَاسَهَا بَعْدُ مِنْ أَنْسَاكِهَا^(٢)

قال عمر : صدق ، بينا أنا نائمٌ عند آلهتهم ، إذ جاء رجل بعجل فذبحه ،
فصرخ منه صارخٌ لم أسمع صارخاً قطُّ أشدَّ صوتاً منه يقول : يا جليح^(٣) ، أمرٌ نجيح ،
رجلٌ يصيح ، يقول لا إله إلا الله ، فوثب القوم ، قلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء
هذا ، ثم نادى : يا جليح ، أمرٌ نجيح ، رجلٌ يصيح ، يقول لا إله إلا الله ،
فقلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ، ثم نادى : يا جليح ، أمرٌ نجيح ، رجلٌ
يصيح ، يقول لا إله إلا الله . فقممتُ فما تشبُّتُ أن قيل هذا نبي .

قال البيهقي : ظاهر هذه الرواية يُوهم أن عمر رضى الله عنه بنفسه سمع
الصارخ يصرخ من العجل الذى ذُبح ، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر
في إسلامه ، وسائر الروايات تدل على أن الكاهن أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه ،
والله تعالى أعلم .

ذِكْرُ خَبْرِ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

روى البيهقي رحمه الله تعالى بسنده عن البراء ، قال : بينما عمر بن الخطاب
رضى الله عنه يخطب الناس على منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ قال : أيها الناس ،
أفيكم سواد بن قارب ؟ قال : فلم يجبه أحدٌ تلك السنة ، فلما كانت السنة المقبلة ،

(١) إبلاسا : تحيرها ودهشها . (النهاية) .

(٢) القلاص (جمع قلوص) : الساقة الشابة . أحلامها : أكديتها . وأنساكها : متعبداتها . والبيتان

وردا هكذا في الأصول والدلائل ، وفي البخاري : ألم تر الجن وإبلاسا * ويأسها من بعد إنكاسها *
ولحوقها بالقلاص وأحلامها . وروى الشطر الأخير ليكون موزوناً : (ورحلها العيس بأحلامها) .

(٣) يا جليح ؛ قال ابن الأثير : « جليح اسم رجل قد ناداه » . ويحتمل أن يكون معناه :
المكافح والمكاشف بالعداوة . ونجيح : من النجاح ، وهو الظفر بالبعية . (القسطلاني) .

قال : أيها الناس ، أفيكم سواد بن قارب ؟ قال فقلت : يا أمير المؤمنين ، وما سواد
 ابن قارب ؟ فقال : إن سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئا عجيبا ! قال :
 فيينا نحن كذلك ، إذ طلع سواد بن قارب ، فقال له عمر : يا سواد ، أخبرني ببدء
 إسلامك كيف كان ؟ قال سواد : فإني كنت نازلا بالهند وكان لي ربي من
 الجن ، قال : فيينا أنا ذات ليلة نائم ، إذ جاءني في منامي ذلك ، قال : قم فأفهم
 وأعقل إن كنت تعقل ، قد بعث رسول من أئوي بن غالب ، ثم أنشأ يقول :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَأَنْجَاسِهَا * وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَحْلَاسِهَا ^(١)
 تَهْوَى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى * مَا مَوْمُنُوهَا مِثْلُ أَرْجَاسِهَا
 فَانْهَضْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ * وَأَسْمُ بَعِيَّتِكَ إِلَى رَاسِهَا

ثم أنبهني وأفرغني ، وقال : يا سواد بن قارب ، إن الله عز وجل بعث نبيا فأنهض
 إليه تهتد وترشد ، فلما كان في الليلة الثانية أتاني فأنبهني ، ثم أنشأ يقول كذلك :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَاسِهَا * وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَقْنِاسِهَا
 تَهْوَى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى * لَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَذْنِاسِهَا ^(٢)
 فَانْهَضْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ * وَأَسْمُ بَعِيَّتِكَ إِلَى نَاسِهَا ^(٣)

(١) في مختصر الدلائل :

عجبت للجن وانجاسها * وشدها العيس بأحلاسها
 تهوى إلى مكة تبغي الهدى * ماخير الجن كأنجاسها

(٢) في مختصر الدلائل :

تهوى إلى مكة تبغي الهدى * ما صادق الجن ككذابها
 فارحل إلى الصفوة من هاشم * ليس قدامها كأذناسها

(٣) ناب القوم : سيدهم ورئيسهم ، وسما يسمو : طلب العز والشرف .

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنهني ، ثم قال كذلك :

عَجِبْتُ لِلْجَنِّ وَتَحَبَّارِهَا * وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبَغَى الْهُدَى * لَيْسَ ذَوُو الشَّرِّ كَأَخْيَارِهَا^(١)
فَأَنْهَضَ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ * مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَكُفَّارِهَا

٥ قال : فلما سمعته يكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حُبَّ الإسلام من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ، فأطلقتُ إلى رَحْلي فشددته على راحِتي ، فما حَلَّتْ نِسْعَةٌ^(٢) ولا عَقَدْتُ أُخْرَى حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو بالمدينة والناس عليه كعُرفِ الفرس ، فلما رآني قال : « مرحباً بك يا سواد بن قارب ، قد علمنا^(٣) ماجاء بك » قال قلتُ : يا رسول الله قد قلتُ شعراً فأسمعه مني ، قال سَوَادُ فَقَات :

١٠ أَنَا فِي رَبِّي بَعْدَ لَيْلٍ وَجَمْعَةٍ * وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَذِبِ^(٤)
ثَلَاثَ لَيْالٍ قَوْلُهُ كُلِّ لَيْلَةٍ * أَنَا لَكَ نَبِيٌّ مِنْ لُؤْيٍ بْنِ غَالِبِ
فَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِي الْإِزَارِ وَوَسَّطْتُ * فِي الذَّعْلِبِ الْوَجْنَاءُ عِنْدَ السَّبَاسِبِ^(٥)

(١) في مختصر الدلائل :

تهوى إلى مكة تبغى الهدى * ما مؤمنو الجن ككفارها

١٥ فارحل إلى الصفوة من هاشم * بين روايبها وأجارها

(٢) النسعة : سير مضفور ، يجعل زماما للبعير وغيره ، وتشد به الرحال أيضا ؛ والمراد أني لم أفعل

شيئا حتى جئت النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) عرف الفرس : منبت الشعر من العنق .

(٤) الرئي بوزن كئي : التابع من الجن ؛ سمى بذلك لأنه يترامى متنبوه ، أو هو من الرأي من قولهم :

٢٠ فلان رئي قومه إذا كان صاحب رأيهم ، وقد تكسر راءه لاتباعها ما بعدها . والهجعة الطائفة من الليل .

ورواية البيهقي والبخاري : ولم ألك فيها قد بلوت .

(٥) شمر عن ساقه الإزار : تكتابة عن الجهد . والذعلب الوجناء : الناقاة السريعة الغليظة الصلبة .

السباب (جمع سبب) : الأرض الفقير البعيدة والمفازة .

فأشهد أن الله لا شىء غيره * وأنت مأمونٌ على كُلِّ ظائبٍ

وأنت أذنَى المرسلين شفاعَةً * إلى الله يابن الأكرم من الأطايِبِ

فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى * وإن كان فيما جاء شيبُ الدوائِبِ^(١)

فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعةٍ * سِوَاكَ بِمَعْنٍ عن سِوَادِ بْنِ قَارِبٍ^(٢)

قال : فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذُه ، وقال لي :
« أفلحَتَ ياسِوَادُ » فقال عمر : هل يأتِكَ رثيكَ الآن ؟ فقال : مُنذُ قرأتُ القرآن
لم يأتني ، ونِعَمَ العِوضُ كُتَابُ الله عز وجل من الحِنِّ .

قال البيهقي : ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن ، الذي لم يذكر اسمه في الحديث
الصحيح ، وهو الحديث الذي ذكرناه آنفاً قبل خبر سِوَادِ .

وقد روى أيضاً عن سِوَادِ بْنِ قَارِبٍ ، من رواية سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ نحو هذا ،
إلا أنه قال : كان سِوَادُ في جبل من جبال الشراة^(٤) ، وقال : أتيتُ رسولَ الله
صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وقد ظهر ، فأخبرته الخبر ، وبايعته .

قال البيهقي رحمه الله : وقوله أتيت مكة أقرب إلى الصَّحَّةِ [مما رويناها
في الروايتين الأولىين^(٥)] . والله تعالى أعلم .

(١) الدوائِبُ ، جمع ذُوَابَةٍ ، وهي الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة . يقول : مرنا بما يوحى إليك
ولو كان فيه شيب شعرنا .

(٢) ويروى : بمعن فتيلاً .

(٣) النواجذُ : قال ثعلب : المراد الأنيابُ ، وقيل : الأضراس كلها .

(٤) الشراة : جبل شاخ عن يسار عسفان ، وبه سلسلة تذهب إلى ناحية الحجاز .

(٥) الزيادة من دلائل البيهقي .

ذِكْرُ خَيْرِ خُفَّافٍ بِنِ نَضْلَةَ الثَّقَفِيِّ

رَوَى أَبُو بَكْرِ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِسَنَدِهِ إِلَى ذَائِلِ بْنِ طُقَيْلِ بْنِ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ ،
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَعَدَ فِي مَسْجِدِهِ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ خُفَّافٌ بِنِ نَضْلَةَ
 أَبِي عَمْرِو بْنِ بَهْدَلَةَ الثَّقَفِيِّ ، فَأَنشَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

- كَمْ قَدْ تَحَطَّمَتِ الْقُلُوصُ بِي الدُّجَى * فِي مَهْمِهِ قَفَرٍ مِنَ الْفَلَوَاتِ ^(١)
 فِئْلٌ مِنَ التَّوْرِيْسِ لَيْسَ بِقَاعِهِ * نَبَتْ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْأَزْمَاتِ ^(٢)
 إِنِّي أَنَا فِي الْمَنَامِ مُسَاعِدٌ * مِنْ جِنِّ وَجَرَّةٍ كَانَ لِي وَمَوَاتِ ^(٣)
 يَدْعُو إِلَيْكَ لِيَالِيًا وَلِيَالِيًا * ثُمَّ أَحْزَالَ وَقَالَ لَسْتُ بِآتِ ^(٤)
 فَرَكِبْتُ نَاجِيَّةً أَضْرَ بِنَيْهَا * جَمْرٌ تَحَبُّ بِهِ عَلَى الْأَكْمَاتِ ^(٥)
 حَتَّى وَرَدْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ جَاهِدًا * كَيْمَا أَرَاكَ فَتَفْرِجَ الْكُؤْبَاتِ

قال : فأستحسنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « إن من البيان كالتسحر ،
 وإن من الشعر كالحكم » .

- (١) تحطمت : حطمت الأرض بأخفافها . والقلوص : الناقة الفقية ، الدجى : سواد الليل مع
 غيم ، مهمه : مفازة بعيدة ، الفلوات جمع فلاة : وهي الصحراء الواسعة ، أو المفازة لأماء فيها .
 (٢) فئل : خالية ، والتوريس : صبح أصفر ، يريد أن المهمة القفر خال من اللون الأصفر الذي
 يكون على وجه الأرض عند المحل ، لهذا قال ليس بقاعه نبت لسبين المحل وأزماته . والأرض يكسو
 وجهها عند المحل لون اصفرار ، فإذا زال بشدة المحل بدا قاع الأرض وهو وجهها كأنها غير منبثة .
 (٣) وجرة : موضع بين مكة والبصرة موحش . وموات : موافق ومطواع .
 (٤) أحزال : ارتفع .
 (٥) الناجية : الناقة السريسة التي تجو بصاحبها . بنها : بلحمها وشحمها ، وفي الإصابة :
 « بنتها » أي بظهرها . وفي الدلائل : « بنيتها » وهو تصحيف . الجز : السير السريع . وفي الدلائل :
 جز بالزاي : وهو ضرب من العدو . تحب : تسرع . الأكمت : التلال والروابي .

ومن ذلك ما روى عن علي بن حسين ، قال : أول خبر قدم المدينة ، أن امرأة من أهل يَثْرِبِ تُدْعَى فاطمة ، كان لها تابع من الجنّ بجاءها يوماً فوقع على جدارها ، فقالت : مالك لا تدخل ؟ فقال : إنه قد بعث نبي يحرم الزنى ، فحدثت بذلك المرأة عن تابعها من الجنّ ، وكان أول خبر يُحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن جابر قال : أول خبر قدم المدينة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن امرأة من أهل المدينة كان لها تابع ، بجاء في صورة طائر حتى وقع على حائط دارهم ، فقالت له المرأة : أنزل نُخْبِرْكَ وَنُخْبِرْنَا ، قال : لا ، إنه بعث بمكة نبي منع منا القرار ، وحرم علينا الزنى .

ومنه ما روى عن محمد بن عمر بن واقد ، عن تميم الداري أنه قال : سرتُ إلى الشام فأدركني الليل ، فأتيته وادياً فقلت : أنا في جوارٍ عظيم هذا الوادي الليلة ، فلما أخذتُ مضجعي إذا قائل لا أراه يقول : عد بالله الأحد ، فإن الجن لا يُخبر على الله أحداً ، وأنه قد بعث رسول الأُمِّيِّين ، وصَلَّينا خلفه بالمججُون ، وأسلمنا وأتبعناه ، وآمنا به وصدَّقناه ، فَأَسْلِمَ تَسْلِم . قال تميم : فلما أصبحتُ ذهبتُ إلى دَيْرِ أَيُوبِ ، فسألت راهبه عما سمعتُ من الهاتف ، فقال : صدق . وكان ذلك سبب إسلام تميم .

ومنه ما روى عن أبي حُرَيْمٍ فَأَتَيْكَ أَنَّهُ قَالَ : نَخْرَجُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَطْلُبُ إِيْلًا

(١) في الدلائل «فطيمة» : بالتصغير .

(٢) دَيْرِ أَيُوبِ : قرية بجوران من نواحي دمشق كان بها أيوب عليه السلام .

(٣) هو فاتك بن الأحمم الأسدي .

أضلتها ، فلما كنت بأبرق العزاف^(١) ، عقلت ناقتي وتوسدت ذراعها ، وقلت :
أعوذ بعظيم هذا المكان ، فسمعت هاتفا يقول :

تَعُوذُنْ بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ * وَوَحْدِ اللَّهِ وَلَا تُبَالِي
* مَا هَوَّلَ الْجِنُّ مِنَ الْأَهْوَالِ^(٢) *

قال فقلت : بين لي يرحمك الله ، فقال :

هذا رسول الله ذو الخيرات * يدعوا إلى الجنة والنجاة
* يأمر بالصوم وبالصلاة *

قال : فوقع في قلبي الإسلام ، فقلت : من أنت أيها الهاتف ؟ فقال : أنا مالك بن
مالك ، إن أردت الإسلام فأنا أكفيك طلب ضالتك حتى أردتها إلى أهلك ،
قال : فركبت راحتي وقصدت المدينة ، فقدمتها في يوم الجمعة ، فأتميت المسجد
فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فأنتحيت باب المسجد قلت ألبث حتى
يفرغ من خطبته ، وإذا أبو ذر قد خرج فقال لي : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أرسلني إليك وهو يقول لك : « مرحباً قد بلغني إسلامك فأدخل فصل مع الناس »
قال : فطهرت ودخلت فصليت ، ثم دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبايعني
وأخبرني بالخبر قبل أن أذكره له ، وقال لي : « أما إياك فقد بلغت أهلك ، وقد
وفى لك صاحبك » فقلت : جزاه الله خيراً ورحمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « آمين » .

(١) أبرق العزاف كشداد : ما لبني أسد بن خزيمه سموه بذلك لأنهم يسمعون فيه عريف الجن

أى صوتهم ، وهو صوت يسمع بالقفاوز بالليل من الرياح .

(٢) في أسد الغابة في ترجمة مالك بن مالك الجنى : ما هول ذى الجن من الأهوال .

ومنه ما روى عن مالك بن نُبَيْع أنه قال : نَدَّ بَعِيرِي ، فَرَكَبْتُ نَجِيْبَةً وَطَلَبْتُهُ ،
 حَتَّى ظَفِرْتُ بِهِ ، فَأَخَذْتُهُ وَأَنْكَفَأْتُ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِى ، فَأَسْرَيْتُ لَيْسَةً حَتَّى كِدْتُ
 أَصْبِيحُ ، فَأَنْخَتُ النَّجِيْبَةَ وَالْجَمَلَ وَعَقَلْتُهُمَا ، وَأَضْطَجَعْتُ فِي ذُرَى كَثِيْبٍ رَمِيْ ،
 فَلَمَّا كَلَفَنِى الْوَسْنُ سَمِعْتُ هَاتِفًا يَقُوْلُ : يَا مَالِكُ ، يَا مَالِكُ ، لَوْ خَصَّتْ عَنْ مَبْرَكِ
 الْعُوْدِ الْبَارِكِ ، لَسَّرَكُ مَا هُنَالِكَ ، قَالَ : فَوَثُرْتُ وَأَثَرْتُ الْبَعِيْرَ عَنْ مَبْرَكِهِ ، وَأَحْتَفَرْتُ ،
 وَإِذَا صَنِمَ بِصُوْرَةِ أَمْرَأَةٍ ، مِنْ صَفَاةٍ صَفْرَاءَ كَالْوَرْسِ ، مَجْلُوَةٌ كَالْمَرْأَةِ ، فَأَسْتَخْرِجُهَا
 وَمَسْحَتَهَا بِثَوْبِي وَنَصَبْتُهَا ، فَأَسْتَوْتُ قَائِمَةً ، فَمَا تَمَالَكْتُ أَنْ نَحْرَرْتُ سَاجِدًا لَهَا ،
 ثُمَّ قَمْتُ فَنَحَرْتُ الْبَعِيْرَ لَهَا وَرَشَشْتُهَا بِدَمِهِ ، وَسَمِيْتُهَا غَلَابَ ، ثُمَّ حَمَلْتُهَا عَلَى النَّجِيْبَةِ
 وَأَتَيْتُ بِهَا أَهْلِي ، فَخَسَدْنِي كَثِيْرٌ مِنْ قَوْمِي عَلَيْهَا ، وَسَالَوْنِي نَصَبَهَا لِمَ لِيَعْبُدُوهَا
 مَعِي ، فَأَبَيْتُ طَلِيْهِمْ ، فَأَنْفَرَدْتُ بِعِبَادَتِهَا ، وَجَعَلْتُ لَهَا عَلَى نَفْسِي كُلِّ يَوْمٍ عَتِيْرَةً ،
 وَكَانَتْ لِي ثَلَاثَةٌ مِنَ الضَّأْنِ فَاتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا ، وَأَصْبَحْتُ يَوْمًا وَلَيْسَ لِي مَا أُعْتِرُهُ ،
 وَكَرِهْتُ الْإِخْلَافَ بِسُدْرِي ، فَأَتَيْتُهَا فَشَكُوْتُ إِلَيْهَا ذَلِكَ ، فَإِذَا هَاتِفٌ مِنْ
 جَوْفِهَا يَقُوْلُ : يَا مَالِ يَا مَالِ ، لَا تَأْسَ عَلَى الْمَالِ ، سِرْ إِلَى طَوِيْتِ الْأَرْقَمِ ، فَخُذْ
 الْكَلْبَ الْأَسْحَمَ ، الْوَالِيْغَ فِي الدَّمِ ، ثُمَّ صِدِّ بِهِ نَعْمَ . قَالَ مَالِكُ : فَخَرَجْتُ مِنْ
 فَوْرِي إِلَى طَوِيْتِ الْأَرْقَمِ ، فَإِذَا كَلْبٌ أَسْحَمٌ هَائِلٌ الْمَنْظَرُ ، قَدْ وَثَبَ عَلَى قَرْهِيْبٍ
 — يَعْنِي ثَوْرًا وَحَشِيْبًا — فَصَرَعَهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ بَقَرَ بَطْنَهُ ، وَجَعَلَ يَلِيْغُ
 فِي دَمِهِ ، قَالَ : قَتَمِيْبَتُهُ ، ثُمَّ أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى عَقِيْرَتِهِ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ،
 فَشَدَدْتُ فِي عُنُقِهِ حَبْلًا ، ثُمَّ جَذَبْتُهُ فَتَبِعَنِي ، فَأَتَيْتُ رَاحِلَتِي فَأَثَرْتُهَا ، وَقُدْتُهَا إِلَى

(١) العود : الجمل الكبير المسن المدرب . (٢) آحتفر : أخرج التراب من الأرض .

(٣) العتيرة : ما يذبح للأصنام . والثلة : جماعة الغنم . (٤) يا مال : أى يا مالك ؛

فهو مرخم . (٥) الطوى : البئر ، والأرقم ، أحد الأرقام : وهى أحياء من العرب ، ولعل المراد

ناحية بئر الأرقم ، والأسحم : الشديد السواد . (٦) سبأني خبر نعامه أصطادها مالك بالكلب الأسحم .

الْقَرْهَبِ ، فَانْحَتَهَا وَجَرَرْتَهُ وَحَمَلْتَهُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ قُدُّتُهَا قَاصِدًا إِلَى الْحَيِّ ، وَالْكَلْبُ
 يَلُودُ بِي فَعَنَّتْ لِي ظِيْبَةً ، بِفَعْلِ الْكَلْبِ يَثْبُ وَيَجَاذِبُنِي الْمَرَسَ ، فَتَرَدَّدَتْ ^(١)
 فِي إِرسَالِهِ ثُمَّ أرسَلْتَهُ ، فَتَزَّ كَالْمَسْمُومِ حَتَّى أَخْطَفَهَا ، فَأَتَيْتُهُ بِغَاذِبَتِهِ إِيَّاهَا فَأرسَلَهَا
 فِي يَدِي ، فَأَسْتَفْزَنِي السُّرُورُ ، وَأَتَيْتُ أَهْلِي فَعَتَّرْتُ الظَّيْبَةَ لَعْلَابَ ، وَوَزَعْتُ لَحْمَ
 الْقَرْهَبِ ، وَبِتُّ بِخَيْرِ لَيْلَةٍ ، ثُمَّ بَاكَرْتُ بِهِ الصَّيْدَ ، فَلَمْ يَفْتَهُ حِمَارٌ ، وَلَا مَا طَلَهُ ثُورٌ ،
 وَلَا أَعْتَصَمَ مِنْهُ وَهْلٌ ، وَلَا أَعْجَزَهُ ظَيْبٌ ، فَتَضَاعَفَ سُرُورِي بِهِ ، وَبَالَغْتُ فِي إِكْرَامِهِ ،
 وَسَمَيْتُهُ سُخَّامًا ، فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَإِنِّي لَدَاتُ يَوْمَ أَصِيدُ بِهِ ، فَبَصَّرْتُ بِنِعْمَةِ
 عَلِيٍّ أُذْحِيهَا ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنِّي ، فَأرسَلْتَهُ عَلَيْهَا ، فَاجْفَلْتُ أَمَامَهُ ، وَأَتَّبَعْتَهَا عَلَى فَرَسِ
 جَوَادٍ ، فَلَمَّا كَادَ الْكَلْبُ يَثْبُ عَلَيْهَا ، أَنْقَضْتُ عَلَيْهِ عُقَابَ مِنَ الْجَوْ فَكَّرَ رَاجِعًا نَحْوِي
 فِصْحَتُ بِهِ فَمَا كَذَّبُ ^(٢) ، وَأَمْسَكَتُ الْفَرَسَ بِغَاءِ سُخَّامٍ حَتَّى دَخَلَ بَيْنَ قَوَائِمِهَا ، وَنَزَلَتْ
 الْعُقَابُ أَمَامِي عَلَى صَخْرَةٍ ، وَقَالَتْ : سُخَّامُ ، قَالَ الْكَلْبُ : لَيْبِيكَ ، قَالَتْ : هَلَكْتُ
 الْأَصْنَامُ ، وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ ، فَأَسْلِمْتُ تَسْبِيحًا بِسَلَامٍ ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ بِدَارِ مَقَامٍ . ثُمَّ طَارَتْ
 الْعُقَابُ ، وَتَبَصَّرْتُ سُخَّامًا فَلَمْ أَرَهُ ، وَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهِ .

ومنه مما يشبه هذه القصة ما روى عن قتادة عن عبد الله بن أبي ذباب ^(٤) عن
 أبيه ، أنه قال : كنت مولعًا بالصيد ، وكان لنا صنم اسمه فرأض ، كنت كثيرًا

(١) المرس : الخبل . وفي نسخة أ : « المرس » وهو تحريف .

(٢) الأذحي (بالضم والكسر) : الموضع الذي تبيض فيه النعام وتفرخ ، فهي أذحية أفعولة من

الدحو وهو البسط .

(٣) فما كذب (بالتشديد) : أي ما أنقذ وما رجع ، وفي الأصول : « فما كذب » بالراء . وهو

تصحيح . ويؤيد ما أثبتناه ما بهامش نسخة ج : « فما كذب : فافرو ولا أنقذ » .

(٤) أبو ذباب ، يقال فيه « ذباب » بدون كنية ، كما تقدم . (راجع ص ١٨ من هذا الجزء

والإصابة في ذباب) .

ما أذبح له ، ولم أكن أتخذ جارحاً للصيد إلا رُمي بآفة ، فلمَّا أُدْخِلُ الحَيَّ صيداً
حيّاً ؛ لأنني كنت لا أدركه إلا وقد أشفى على الهلاك ، فلمَّا طال بي ذلك أتيت
قرّاضاً ، فعترت له عتيرة ، ولطّخته من دمها ، وقلت :

قرّاض أشكو نكد الجوارح ^(١) * من طائر ردى مخلب ونابج ^(٢)
وأنت للامر الشديد الفادح * فأفتح فقد أسهمت المقاتح
فأجابني مجيب من الصنم ؛ فقال :

دونك كلباً جارحاً مباركاً * أعدد للوحش سلاحاً شابكاً ^(٣)
* يقرّ حزون الأرض والدّ كادكاً ^(٤)

قال : فأنقلبت إلى خياني ، فوجدت به كلباً خلاصياً بهيماً عظيماً ؛ أهرت ^(٥)
الشدقين ، شابك الأنياب ، شثن البرائن ، أشعر مهول المنظر ، فصفرت به فأتاني ،
فلاذ بي وبصيص ، فسميته حياضاً ، فأخذت له مريباً بإزاء فراشي وأكرمته ، ثم
خرجت به إلى الصيد ، فإذا هو أبصر بالصيد مني ، وكان لا يثبت له شيء من
الوحش ، فقلت فيه :

حياض إنك مأمولٌ منافعه * وقد جعلتُك موقوفاً لقرّاض

- ١٥ (١) النكد : الشؤم . (٢) الفادح : المتقل الصعب .
(٣) شابك : ناشب . (٤) يقرّ : يشق . حزون الأرض : ما غلظ من الأرض وهو
ضد السهولة . الدكادك جمع دكدك : وهو من الرمل ما تكبس بالأرض أو التبد بها .
(٥) الخلاصى : ما كانت أمه سوداء وأبوه أبيض أو العكس .
(٦) الهيم : الأسود . (٧) أهرت : واسع .
٢٠ (٨) الشثن : الغليظ ، والبرائن للبع كالأصابع للإنسان .
(٩) بصيص الكلب : حرك ذنبه طمعا أو خوفاً .
(١٠) كذا في الأصول .

وكنت أَعْتَرَفْتَرَاضٍ من صيده، وَأَقْرَى الضَّيْفِ، فلم أزل به من أوسع العرب
رَحَلًا، وأكثرها ضَيْفًا، إلى أن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل بي ضَيْفٌ^(١)
كان زار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمع منه القرآن، فحدثني عنه، ورأيت
حياضًا كأنه يُنْصِتُ لحديثه، ثم أتى غدوت أقتنص بحياض، فجعل يجاذبني ويأبى
أن يتبعني فأجذبه وأمسحه، إلى أن عن لي تَوَلَّبَ — يعني بحشا من حجير
الوحش — قال: فأرسلته عليه فقصدته، حتى إذا قلت قد أخذه حَدَّ عنه،
فساءني ذلك، ثم أرسلته على رَأْلِ — يعني فرخ نعامة — فصنع مثل ذلك، ثم
أرسلته على بقرة، ثم على خَشْفٍ، كل ذلك لا يأتي بخير، فقلت:

ألا ما بحياض يَجِيدُ كَأَمَّا * رَأَى الصَّيْدَ مَمْنُوعًا بَرُوقَ اللَّهَازِمِ^(٢)

قال: فأجابني هاتِفٌ لا أراه:

يَجِيدُ لِأَمْرِ لَوْ بَدَا لَكَ عَيْنُهُ * لَكُنْتَ صَفُوحًا عَادِلًا غَيْرَ لَائِمِ

قال: فأخذت الكلب وأنكفات راجعا، فإذا شخص إنسانٍ عظيم الخلق، قد
ركب حمارا وحشيا، فتربع على ظهره، وهو يساير شخصا مثله راكبا على قرهَب،
وخلفهما عبد أسود يقود كلبا عظيما بساجور^(٤)، فأشار أحد الراكبين إلى حياض
وأنشد:

وَيْلَكَ يَا حِيَاضَ لِمَ تَصِيدُ * أَخْنَسُ وَحِدَ عَمَّا حَوْتَهُ الْيَدِ^(٥)

الله أعلى وله التوحيد * وعبدُه محمدُ السَّيِّدِ

مُحَقَّقًا لِفَرَاضٍ وَمَا يَكِيدُ * قَدْ ظَلَّ لَا يُبِيدِي وَلَا يُعِيدُ

(١) الرجل: مسكن الرجل وما يتبعه من الأنثى، وفي الأصول: «رجلا» بالجم، وهو تصحيف.

(٢) الخشف (مثلث الخاء): ولد الطلي أول ما يولد، أو أول مشيه.

(٣) اللهاذم (جمع لذم): القاطع من الأسته. والزرق: صفة الأسته للونها.

(٤) الساجور: خشبة تعلق في عنق الكلب. (٥) أخنس: تأخر، واليد: الصحراء.

قال : فليئت رعباً ، ودلَّ الكلبُ فما يرفع رأساً ، وأتيت أهلي مغموماً كاسف
البال ، فيت أتمهل على فراشي ، ثم خفتُ من آخر الليل فإذا نعمة^(٢) ، ففتحت عيني
فأريت الكلب الذي كان الأسود يقوده ، وإذا حياض يقول له : أحسب صاحبي
يقظان ، قال : فتناومت ، ثم قصدني فتأملتني ورجع إليّ ، فقال : قد نام ، فلا عين
ولا سمع ، قال : أرايت العفريتين ؟ وسمعت ما قالاً ، قال حياض : نعم ، قال :
إنهما قد أسلما وآتبا مجدداً ، وقد سلطاً على شياطين الأوثان ، فما يتركان لوثن شيطانا ،
وقد عذباني عذاباً شديداً ، وأخذاً على موثماً ألا أقرب وثني ، وأنا خارج إلى
جزائر الهند ، فما رأيك لنفسك ؟ قال حياض : ما أمرنا إلا واحداً ، وذهبا ، فقممت
أنظر فلا عين ولا أثر ، فلما أصبحتُ أخبرتُ قومي بما رأيتُ وسمعتُ ، وقلت لهم :
تخيروا من ينطلق معي إلى هذا النبي من حملائكم وخُطباؤكم ، فقالوا لي : أترغب
عن دين آبائك ؟ فقلت لهم : إذا كرهتم شيئاً كرهته ، فما أنا إلا واحد منكم ، ثم
أنسلت منهم فكسرت الصنم ، ثم قصدت المدينة فأتيتها ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يخطب ، جلست بإزاء منبره فعقب خطبته بأن قال : « بإزاء منبري رجلٌ من
سعد العسيرة ، قدم علينا راغباً في الإسلام ، ولم يرني ولم أره إلا ساعتى هذه ، ولم أكلمه
ولم يكلمني قط ، وسيخبركم خبراً عجيباً » ونزل نصلي ، ثم قال : « آدنُ يا أخا سعد
العسيرة » فدنوت فقال : « أخبرنا عن حياض وفراض وما رأيت وسمعت » قال :
فقممتُ على قدمي وقصصتُ القصة ، والمسلمون يسمعون ، فسرّ النبي صلى الله
عليه وسلم ، ودعاني إلى الإسلام ، وتلا عليّ القرآن فأسلمتُ ، وقلتُ في ذلك :

تبعْتُ رسولَ الله إذ جاء بالهدى • وخالفتُ فراضاً يدار هـوان
شددتُ عليه شدةً فتركتهُ • كأن لم يكن والدهر ذو حدّان

(١) ذل : خضع ، وفي الأصول « دل » بالبدال المهملة . (٢) النعمة : الكلام الخفي .

رَأَيْتُ لَهُ كَلْبًا يَقُومُ بِأَمْرِهِ • فَهَدَّدَ بِالتَّنَكُّيلِ وَالرَّجْفَانِ
 وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ • أَجَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ دَعَانِي
 وَأَصْبَحْتُ لِلْإِسْلَامِ مَاعِشْتُ نَاصِرًا • وَالْقَيْتُ فِيهِ كَلْكَلِي وَجِرَانِي
 فَمَنْ مُبْلِغٌ سَعْدَ الْعِشِيرَةِ أَخِي • شَرَيْتُ الَّذِي يَبْقَى بِمَا هُوَ فَاثِي

وقد تقدم في خبر وفد سعد العشيرة ذكر هذه الأبيات ، وأنها لذباب ، وأنه الذي
 كسر الصنم ، إلا أنه لم يذكر البيت الذي فيه ذكر الكلب ، والله تعالى أعلم .^(١)

ومنه : ما روي أن ربيعة بن أبي براء ، قال أخبرني خالي فقال : لما أظهر
 الله علينا رسوله صلى الله عليه وسلم بجنين أنشعبنا في كل مشعب ، لا يلوي حميم على
 حميم ، فبينما أنا في بعض الشعاب ، رأيت ثعلبا قد تحوى^(٢) عليه أرقم ، والثعلب يعدو
 عدوا شديدا ، فانتحيت له بحجر فما أخطأه ، وأتهيت إليه ، فإذا الثعلب قد سبقني
 بنفسه — أي هلك قبل أن أصل إليه — وإذا الأرقم قد تقطع وهو يضطرب ،
 فتمت لأنظر إليه ، فهتف هائف ما سمعت أقطع من صوته يقول : تعسا لك^(٣)
 وبؤسا ، فقد قتلت رئيسا ، وورثت رئيسا ، ثم قال : يا دائر يا دائر ، فأجابه
 مجيب من العدو الأخرى بلبيك لبيك ، فقال : بإدر بإدر ، إلى بني العذافر ،
 وأخبرهم بما صنع الكافر ، فناديت : إني لم أشعر ، وأنا عائد بك فأجرتني . قال :
 كلاً ، والحرم الأمين ، لا أجير من قاتل المسلمين ، وعبد غير رب العالمين . قال :
 فناديت ، إني أسلم ، فقال : إن أسلمت سقطت عنك القصاص ، والبيتك الخلاص ،^(٤)

٥٢

١٦

(١) راجع ص ١٨ من هذا الجزء . (٢) تحوى : التف وأستدار .

(٣) أنتحيت له : عرضت له وفقدت . (٤) في الأصول : « أفضع » .

(٥) رئيسا : شجاعا . (٦) العدو (ثلاثة العين) : شاطي الوادي ، والمكان المرتفع .

(٧) ألبتك : أؤامك .

وإلا فلا مَنَاص . قال فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ،
 فقال : نَجَوْتَ وَهُدَيْتَ ، لولا ذلك لرديت ، فأرجع من حيث جِيتَ . قال :
 فرجعت أقفو أدراجي ، فإذا هو يقول : أمتط السَّمْعَ الْأَزْلَ ، يَعْلُ بِكَ التَّلَّ ،
 فهناك أبو عامر يتبع الفلَّ . قال : فألثفت فإذا سَمِعَ كالأسد التَّهْدَ ، فركبته
 ومَرَّ يَنْسِلُ ، حتى آتتهى إلى تَلِّ عَظِيمٍ ، فتَوَقَّلَ فِيهِ إلى أن تَسَنَّمَهُ ، فأشرفت منه على
 خيل المسلمين ، فنزلت عنه وصَوَّبَتِ الحُدُورَ نحوهم ، فلما دنوت منهم خرج إلى
 فارس ، كالفالج الهاجِجِ ، فقال : ألقى سلاحك لا أمُّ لك ، فألقيت سلاحي . فقال :
 ما أنت ؟ قلت : مُسَلِّمٌ ، قال : فسلام عليك ورحمة الله ، قلت : وعليك السلام
 والرحمة والبركة ، من أبو عامر ؟ قال : أنا هو ، قلت : الحمد لله ، قال : لا بأس
 عليك ؛ هؤلاء إخوانك المسلمون ، أما رأيتك بأعلى التَّلِّ فارساً فأين فرسك ؟ قال :
 فقصصت عليه القصَّه ، فأعجبه ما سمع مني : وسرتُ مع القوم أقفو بهم آثاره ووازن
 حتى بلغوا من ذلك ما أرادوه .

والأخبار في مثل ذلك كثيرة ، وقد أتينا منها بما نكتنئ به ، فنلذ كر خلاف ذلك
 من سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- (١) رديت : أهلكت . (٢) أقفو : أتبع ، أدراجي : طرقي .
 (٣) السمع (بكسر السين) : سبع تلهه الضبع وأبوه الذئب ؛ وهو أخبث السباع وأشدّها . الأزل :
 الصغير العجز ، صفة لازمة له . (٤) أبو عامر صحابي يأتي ذكره .
 (٥) الفل : المنهزمون . (٦) التهد : العظيم الخلق .
 (٧) ينسل : من النسلان ، وهو سرعة المشي ، وفي الأصل للذئب .
 (٨) توقل : تصعد في الجبل ، وتسنمه : ارتقى ذروته . (٩) الحدور : الأنداد .
 (١٠) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين .

ذَكَرَ رَسُلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ

إِلَى الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ ، وَمَا كُتِبَ بِهِ إِلَيْهِمْ ، وَمَا أَجَابُوا بِهِ

كَانَتْ رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى مَا أوردَهُ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ
عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ خَلْفِ الدَّمِيَّاطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَهُمْ : عَمْرُو بْنُ أُمِيَّةَ
الضَّمْرِيُّ ، وَدِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ السَّهْمِيِّ ، وَحَاطِبُ بْنُ
أَبِي بَلْتَعَةَ الْخَمِيِّ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَسَلَيْطُ بْنُ عَمْرُو الْعَامِرِيِّ ، وَشِجَاعُ بْنُ وَهَبِ
الْأَسَدِيِّ ، وَالْمُهَاجِرُ بْنُ أَبِي أُمِيَّةَ الْمُخَزُومِيِّ ، وَالْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ ، وَأَبُو مُوسَى
الْأَشْعَرِيُّ ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ . هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُبْتِغَتْ بِهِمْ .

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ الْحَارِثَ بْنَ عُثْمَانَ الْأَزْدِيَّ إِلَى
مَلِكِ بَصْرَةَ بِكُتَابٍ ، فَلَمَّا نَزَلَ مُؤْتَةً ^(١) قَتَلَهُ شَرْحِبِيلُ بْنُ عَمْرُو النَّسَائِيَّ ، وَبَسَبَ قَتْلَهُ
بِعَثِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرِّيَّةً مُؤْتَةً عَلَى مَا قَدِمْنَا ذَكَرَهُ .

وَلَعَلَّ الشَّيْخَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، إِنَّمَا أُبْتِغَتْ مِنَ الرِّسَالِ مِنَ بَلِّغِ الرِّسَالَةَ ، وَهَذَا لَمْ يُمْتَهَلْ
حَتَّى يُبَلِّغَهَا ، وَلَمْ يُقْتَلْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولٌ غَيْرُهُ . وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ غَيْرَ هَؤُلَاءِ ، مِنْ نَذَرَ كَرِهَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَكَانَ أَوَّلَ مَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرِّسَالَ فِي الْحَرَمِ ، سَنَةَ سَبْعٍ
مِنْ مُهَاجَرِهِ ، أُرْسِلَ سَنَةً مِنْ هَؤُلَاءِ الرِّسَالِ إِلَى سِتَّةِ مُلُوكٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْحُسَيْنِيَّةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ نَحْمَسَ جَهَّزَ الرِّسَالَ إِلَى الْمُلُوكِ
يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِمْ كُتُبًا ، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ الْمُلُوكِ
لَا يَقْرَعُونَ كُتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا ، فَاتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ خَاتَمًا مِنْ

(١) مؤتة : موضع من أرض الشام من عمل البلقاء .

فضة فضة منه، نقشه ثلاثة أسطر : «محمد» سطر «رسول» سطر «الله» سطر .
 وختم به الكتب ، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع ،
 وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إليهم ؛ حكاه محمد بن سعد في طبقاته بسنده .

وقال أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري
 أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان ، وملوك
 العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب
 الزهري ، فعرفه ، وفيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال
 لهم : « إن الله بعثني رحمة وكافة ، فأدوا عني رحمكم الله ، ولا تختلفوا علي كما
 اختلف الخواريون على عيسى بن مريم » قالوا : يا رسول الله ، وكيف كان اختلافهم ؟
 قال : « دعاهم لمثل مادعوتكم له ، فأما من قرب به فأحب وسلم ، وأما من بعد^(١)
 به فكره وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم
 بلغة القوم الذين وجه إليهم » .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثني من أتق به عن أبي بكر الهذلي ،
 قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه . وساق نحو الحديث

ذكر إرسال عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي

ملك الحبشة وإسلامه

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، وكتب معه كتابين ، يدعو
 في أحدهما إلى الإسلام ، ويتلو عليه القرآن ، فأخذ النجاشي كتاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فوضعه على عينيه ، ونزل عن سريره بفلس على الأرض ، ثم أسلم
 (١) قرب به : بعثه مبعثا قريبا . (٢) بعد به : بعثه مبعثا بعيدا .

وشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَقَالَ : لَوْ كُنْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ آتِيَهُ لِأْتِيَتِهِ، وَكُتِبَ إِلَى رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِجَابَتِهِ، وَتَصْدِيقِهِ وَإِسْلَامِهِ عَلَى يَدَيْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
 اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَكَانَ جَعْفَرٌ مِمَّنْ هَاجَرَ إِلَى الْخَبَشَةِ كَمَا قَدَّمْنَا ذَكَرَ ذَلِكَ . وَفِي
 الْكِتَابِ الثَّانِي ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَزُوجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سَقِيانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَكَانَتْ قَدْ
 هَاجَرَتْ إِلَى أَرْضِ الْخَبَشَةِ مَعَ زَوْجِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشِ الْأَسَدِيِّ ، فَتَنَصَّرَ هُنَاكَ
 وَمَاتَ ، وَأَمْرُهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ
 الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْخَبَشَةِ وَأَنْ يَجْلِسَ لَهُمْ ، فَفَعَلَ ، وَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أُمَّ حَبِيبَةَ ، وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعَةَ دِينَارٍ ، وَأَمَرَ بِجِهَازِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا يَصْلِحُهُمْ ، وَحَمَلَهُمْ
 فِي سَفِينَتَيْنِ مَعَ عَمْرُو بْنِ أُمِيَّةٍ ، وَجَعَلَ كِتَابِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُقِّ
 مِنْ عَاجٍ ، وَقَالَ : لَنْ تَزَالَ الْخَبَشَةُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ هَذَانِ الْكِتَابَانِ بَيْنَ أَظْهَرِهَا .

ذِكْرُ إِسْرَالِ دِحْيَةَ بْنِ خَافِظَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ آتَى الْهُدَى
 — أَمَا بَعْدُ — فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْتَ تَسَلَّمَ يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ،
 فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِثْمُ الْيَرِيسِيِّينَ ، وَ (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ
 بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ
 دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) .

(١) اليريسون (جمع يريس) : الفلاحون والزراعون ؛ نبتهم على جميع الرعايا ، وفي رواية
 الأريسون .

و بإسنادنا المتقدم ، إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى ،
قال : حدثنا الحكم بن نافع أبو اليمان ، قال حدثنا شعيب ، عن الزهرى ، قال
أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن عبد الله بن عباس أخبره ،
أن أبا سفيان بن حرب أخبره ، أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا
تجارا بالشام ، في المسنة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان
وكفار قريش ، فأتوه وهم ببيلىيا ، فدعاهم في مجلسه ، وحوله عطاء الروم ، ثم دعاهم
ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟
قال أبو سفيان : فقلت أنا أقربهم نسبا ، فقال : أدنوه منى ، وقربوا أصحابه ،
فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : قل لهم إنى سائل هذا عن هذا الرجل ،
فإن كذبى فكذبوه ، فوالله لولا الحياء من أن يأتروا على كذبا لكذبت عنه . ثم
كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب ،
قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا ، قال : فهل كان من
آبائه من ملك ؟ قلت : لا ، قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قلت :
بل ضعفاؤهم ، قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون ، قال :
فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا ، قال : فهل
كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ، قال : فهل يغدر ؟
قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها ، قال : ولم تمكنى كلمة

(١) المدة : هي مدة صلح الحديبية على وضع الحرب عشر سنين .

(٢) « عته » توافق رواية البخارى ، وفي أوها مش ج : « عليه » .

(٣) في رواية : « من ملك » على أن « من » حرف جر و « ملك » بفتح الميم وكسر اللام .

(القسطلانى) . (٤) سخطة : كراهة . (٥) يغدر : ينقض العهد .

(٦) قال القسطلانى : « هي مدة صلح الحديبية ، أو غيبته وأنقطاع أخباره عنا » .

أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحربُ بيننا وبينه ^(٢) سجالٌ ، ينال منا وينال منه ، قال : ^(٣) ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول آعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئاً ، وآتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة ، والصدق ، والعفاف ، والصلة ، فقال لترجمانه : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ، فذكرت أن لا ، فقلت : ^(٤) لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلتُ رجلٌ يأتسى ^(٥) بقول قيل قبله ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك ، فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من آبائه من ملك ، قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ، ويكذب على الله ، وسألتك أشرف الناس آتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أن ضعفاءهم آتبعوه ، وهم آتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون ، فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ، فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يغدر ، فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك يم يأمركم ، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما يقول حقاً ، فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد

(١) يريد شيئاً أنقصه به . (٢) سجال : نوب ؛ أي نوبة عليه ونوبة علينا .

(٣) يقصد المقاتلة التي كانت في غزوة بدر ، وأحد ، والصدق .

(٤) قلت : أي في نفسي . (٥) يأتسى : يقتدى .

كنت أعلم أنه خارج^(١) ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه^(٢) ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى ، فدفعه إلى هرقل فقرأه ، فإذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » وذكره كما تقدم .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخب ، وارتفعت الأصوات^(٤) ، وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد أمر أمر^(٥) ابن أبي كبشة ، إنه ليخافه ملك بني الأصفر ، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام .

قال : وكان ابن الناطور صاحب إيلياء^(٧) وهرقل أسقفاً على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس^(٩) ، فقال بعض بطارقه : قد استنكرنا هيتك ، فقال ابن الناطور ، وكان هرقل حزاء^(١٠) : ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يمتحن من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يمتحن إلا اليهود ، فلا يهمنك شأنهم ،

(١) خارج : أى سبيح في هذا الزمان . (٢) تجشمت : تكلفت الوصول إليه .

(٣) المراد المبالغة في الخدمة . (٤) أى من عظام الروم .

(٥) أمر (بفتح الهمزة وكسر الميم) : عظم . أمر ابن أبي كبشة : يعنى شأن النبي صلى الله عليه وسلم . وأبو كبشة : كنية أبي النبي من الرضاع ، وأسمه الحارث بن عبد العزى .

(٦) بنو الأصفر : الروم . (٧) صاحب : منصوب على الاختصاص ، ويجوز رفعه على

الصفة . راجع القسطلاني ج ١ ص ١٠٨ . (٨) فى رواية البخارى : أسقف . بالبناء للجهول .

(٩) خبيث النفس : رديتها ؛ مما حل به من الهم .

(١٠) حزاء : كاهنا ، أو أنه ينظر فى النجوم ؛ قال القسطلاني : « ينظر فى النجوم خبر ثان لكان

إن قلنا إنه ينظر فى الأمرين ، أو هو تفسير لحزاء ؛ لأن الكهانة تؤخذ نارة من ألقاظ الشياطين ، ونارة من أحكام النجوم » .

وأكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم، إذ أتى
 هِرقل برجل، أرسل به ملك غسان، يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم،
 فلما استخبره هِرقل قال: آذهبوا فانظروا أمختن هو أم لا، فنظروا إليه، فحدثوه
 أنه أمختن، وسأله عن العرب، فقال: هم يمتنون، فقال هِرقل: هذا ملك هذه
 الأمة قد ظهر. ثم كتب هِرقل إلى صاحب له برومية^(١)، وكان نظيره في العلم،
 وسار هِرقل إلى حمص^(٢)، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه، يوافق رأى
 هِرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه نبي، فأذن هِرقل لعظماء الروم
 في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم أطلع فقال: يا معشر الروم هل
 لكم في الفلاح والرشد؟ وأن يثبت ملككم فتبايعوا لهذا النبي، فخاصوا حيصه^(٣)
 حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هِرقل نفرتهم، وأيسر
 من الإيمان، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقاتلي أنفاً أختبر بها شدتكم
 على دينكم فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هِرقل.
 رواه صالح بن كيسان ويونس ومعمّر عن الزهري.

وقد قدمنا من خبر هِرقل في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحقيق
 نبوءته عنده، في فصل من بئس برسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقف عليه هناك.

(١) رومية: من المدائن بديار الفرس. (٢) حمص: إحدى مدن الشام المشهورة
 وهي بين دمشق وحلب. (٣) لم يرم: لم يبرح منها أو لم يصل إليها.
 (٤) الدسكرة: القصر حوله البيوت. (٥) خاصوا: نفرأوا.
 (٦) أي شدتكم، غذف المفعول للعلم به.

ذِكْرُ إِسْرَافِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَّافَةَ السَّمِمْيِّ إِلَى كِسْرَى
مَلِكِ الْفُرسِ

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، يدعوهُ إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً؛ قال عبد الله: فدفعته إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه ثم أخذه فزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم مزيق ملكه». وكتب كسرى إلى باذان عامليه على اليمن: أن أبعث من عندك رجلين جادين إلى هذا الرجل الذي بالججاز، فليأتيا بخبره. فبعث باذان قهرمانه^(١)، ورجلا آخر، وكتب معهما كتاباً، فقدموا المدينة، فدفعوا كتاب باذان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهما إلى الإسلام، وقرأتُهما تُرعد، وقال: «أرجعا عنى يومكما هذا حتى تأتيايى الغد فأخبركما بما أريد» فجاءاه الغد، فقال لهما: «أبلغا صاحبكما أن ربى قد قتل ربه كسرى فى هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها — وهى ليلة الثلاثاء لعشر ليلال مضين من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة — وأن الله تعالى سلط عليه أبسه شيرويه فقتله» فرجعا إلى باذان بذلك، فأسلم هو والأبناء الذين باليمن.

(١) قهرمانه: هو كائخان والوكيل لما تحت يده، والقائم بأمر الرجل. فارسي معرب.

(٢) فى المواهب: «لتسع ساعات...»

(٣) الأبناء: هم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن، لما جاء يستنجدهم على الحبشة، فنصروه وملكوا اليمن وتديروها وتزوجوا فى العرب؛ فقبل لأولادهم الأبناء، وظب عليهم هذا الاسم.

ذكر إرسال حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية
عظيم القبط، وأسمه بجريج بن مينا

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، يدعو به إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً
فأتاه، وأوصل إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه، وقال خيراً، وجعل
الكتاب في حَقِّ من عاج، وختم عليه ودفعه إلى جاريتيه، وكتب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم: قد علمت أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام،
وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط العظيم، وقد
أهديت لك كسوة وبغلة تركها.

ولم يزد على هذا، ولم يُسلم المقوقس، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
هديته، وأخذ الجاريتين، وهما مارية أُم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وأختها شيرين، وبغلة بيضاء، لم يكن في العرب يومئذ غيرها، وهي دُلْدُلُ،
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المقوقس: «صَنَّ الخبيث بملكه ولا بقاء
لملكه»^(١). قال حاطب: كان المقوقس مُكْرَماً لي في الضيافة، وقلة اللبث ببابه،
وما أقمت عنده إلا خمسة أيام.

وقال أبو عمر بن عبد البر: إن المقوقس أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خَصِيصاً
أسمه مَبُورٌ، وذكر ذلك في ترجمة مارية، ويقال: هو ابن عم مارية، والله أعلم.
وقد ذكرنا في (المنجى البالغة، والأجوبة الدامغة) ما كان بينهما من المحاورات،
وذلك في الباب الرابع عشر، من القسم الخامس، من الفن الثاني، في السفر الثامن
من هذه النسخة.

(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حين أخبره حاطب بقول المقوقس: «القبط لا تطاوعني
على آتباعه، وأنا أضن بملكى أن أفارقه» (المواهب ٣: ٤١٩).

ذكر إرسال شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر ^(١)

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأسدي ، إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك البلقاء من أرض الشام ، يدعو إلى الإسلام ، وكتب معه كتابا ، قال شجاع : فأتيته وهو بغوطة دِمَشْق ، وهو مشغول بتهيئة الأتزال ^(٢) والألطف لقيصر ، وهو جاء من حمص إلى إيلياء ، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة ، فقلت لحاجبه : إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فقال : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا . وجعل حاجبه — وكان روميًّا اسمه مري ^(٣) — يسألني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت أحدثه عن صفته ، وما يدعو إليه ، فيرق حتى يغلبه البكاء ، ويقول : إني قرأت الإنجيل فأجد صفة هذا النبي بعينه ، فانا أومنُّ به وأصدقُه ، وأخاف من الحارث أن يقتلني ، وكان يكرمني ويحسن ضيافتي ، ونخرج الحارث يوما بفلس ، ووضع التاج على رأسه ، فأذِن لي عليه ، فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأه ثم رمى به ، وقال : من ينترع مني ملكي ؟ أنا سائر إليه ، ولو كان باليمن جئتُه ، على الناس ! فلم يزل يقريُّ حتى قام ، وأمر بالخيول تُنعل ، ثم قال : أخبر صاحبك ما ترى . وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه ، فكتب إليه قيصر : ألا تسير إليه ، وآله عنه ، ووافني بإيلياء . فلما جاءه جواب كتابه دعاني فقال لي : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ فقلت : غدا ، فأمر لي بمائة مثقال ذهب ، ووصلني مري ،

٥٦

١٦

(١) في أسد الغابة : «أبو أي وهب ويقال أبو وهب» .

(٢) الأتزال (جمع نزل) : مكان النزول ، والألطف : وسائل الراحة .

(٣) ضبطه في الطبعات بضم الميم ، وقال شارح المواهب : هو بكسر الميم مخففا .

(٤) يفرض : يقطع ويوجب لتجد عظامهم من المبال ويا مريم بالتأهب للحرب .

وأمر لي بنفقة وكسوة، وقال: اقرأ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مني السلام. فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: «بأدملك» وأقرأته من مري السلام، وأخبرته بما قال، فقال صلى الله عليه وسلم: «صدق» ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح.

٥ ذكر إرسال سايط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي الحنفي باليمامة^(١)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، يدعو إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً، فقدم عليه فأنزله وحبأه، وقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني، فأجعل لي بعض الأمر أتبعك. وأجاز سايط بن عمرو بجائزة وكساه أثواباً من نسج حجر، فقدم بذلك كله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره عنه بما قال، فقرأ كتابه وقال: «لو سألتني سيابة^(٢) من الأرض ما فعلت، باد وبأد ما في يدي» فمات عام الفتح. فهؤلاء الستة الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحرم سنة سبع^(٤).

١٥ وبعث صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين.

(١) هوزة: بفتح وإجماع الذال هذا هو الصحيح، وظلوا من ضم وأهمل.

(٢) السبابة (بفتح السين وتخفيف الياء وتشدد): أي قطعة. وفسره بعضهم بالبح أو البسر، على تقدير مضاف أي قدر بلحة أو بيرة من الأرض؛ أو المراد نفس البلحة أو البيرة بتقدير ناشئة.

(٣) باد: هلك.

٢٠ (٤) في أسد الغابة: «سنة ست أو سبع».

قال محمد بن سعد : بعثه عند منصرفه من الجعرانة ^(١) إليه ، يدعو به إلى الإسلام ، وكتب إليه كتابا . فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه وتصديقه ، و « أنى قرأت كتابك على أهل هجر ، فمنهم من أحب الإسلام ، وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبارضى مجوس ويهود ، فأحدث إلى ذلك أمرك » فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك مهما تصلح فلن نزلك عن عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية ، وبالأشرك نسأؤهم ولا نؤكل ذبائحهم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا هريرة مع العلاء بن الحضرمي ، وأوصاه به خيرا ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العلاء فرائض الإبل ، والبقر والغنم ، والثمار والأموال ، فقرأ العلاء كتابه على الناس وأخذ صدقاتهم .

وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ملكي عُمان .

قال محمد بن سعد : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، سنة ثمان من مهاجرة ، إلى جيفر وعبيد أبي الجبلندي ، وهما من الأزد ، والملك منهما جيفر ، يدعوهما إلى الإسلام ، وكتب معه إليهما كتابا ، قال عمرو : لما قدمت عُمان عمدت إلى عبيد ، وكان أحلم الرجلين وأسهلها خلقا ، فقلت : إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك وإلى أخيك ، فقال : أئني المقدم على بالسنة والملك وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك ، فمكثت أياما ببابه ، ثم دعاني فدخلت عليه

(١) الجعرانة : موضع قريب من مكة . وقد تكسر العين وتشدد الراء .

(٢) أي نساء المجوس وذبائحهم بخلاف اليهود ، قال ابن سعد : « وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجوس هجر يعرض عليهم الإسلام فإن أبوا أخذت منهم الجزية ، وبأن لا تنكح نسأؤهم » . الحديث .

(٣) الجبلندي ، يقصر فنضم لأمه ، ويريد ففتح ، كما في القاموس .

فدفعته إليه الكتاب مَحْتُوماً ، فَفَضَّ خَاتَمَهُ وَقَرَأَهُ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى آخِرِهِ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أَخِيهِ
 فَقَرَأَهُ مِثْلَ قِرَاءَتِهِ ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ أَخَاهُ أَرَقَّ مِنْهُ ، فَقَالَ : دَعْنِي يَوْمِي هَذَا وَأَرْجِعْ
 إِلَيَّ غَدًا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَسْرِ رَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنِّي فَكَّرْتُ فِيمَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ ،
 فَإِذَا أَنَا أَضْعَفُ الْعَرَبِ إِنْ مَلَكَتُ رِجْلًا مَا فِي يَدِي ، قُلْتُ : فَإِنِّي خَارِجٌ غَدًا ،
 فَلَمَّا أَتَيْتُ بَمَخْرَجِي أَصْبَحْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ هُوَ
 وَأَخُوهُ جَمِيعًا ، وَصَدَّقَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَلِيًّا بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ ، وَبَيْنَ
 الْحَكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَكَانَا لِي عَوْنًا عَلَى مَنْ خَالَفَنِي ، فَأَخَذْتُ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ ،
 فَرَدَدْتُهَا فِي فَقْرَائِهِمْ ، وَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا بَيْنَهُمْ حَتَّى بَلَغْنَا وَفَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٥٧
١٦

١٠ وبعث صلى الله عليه وسلم المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث الحميري ،
 وهو الحارث بن عبد كلال ملك اليمن .

وبعث صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري ، ومعاذ بن جبل إلى اليمن .
 وكانا جميعاً داعيين إلى الإسلام ، فأسلم عاقبة أهل اليمن ، ملوكهم وعاقبتهم طوعاً .
 هؤلاء الرسل الذين ذكرهم الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي
 في مختصر السيرة .

١٥ وقد ذكر محمد بن سعد بن ميسع في طبقاته الكبرى ، أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع بن ناكور بن حبيب
 ابن مالك بن حسان بن تميم ، وإلى ذي عمرو يدعوها إلى الإسلام ، فأسلما وأسلمت
 ضريبة بنت أبرهة بن الصباح . وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرير
 عندهم ، فأخبره ذو عمرو بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع جرير إلى المدينة .

٢٠ (١) ضريبة بنت أبرهة امرأة ذي الكلاع كافي الطبقات .

ولم يذكر محمد بن سعد المهاجر، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى اليمن مع معاذ بن جبل مالك بن مُرارة .

وذكر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النخعي ، في كتابه المترجم بالأسنياب ، في ترجمة بن أبي أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى الحارث كما قدمنا .

قال ابن سعد : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبلة بن الأيهم ملك عَسَّان يدعوهُ إلى الإسلام فأسلم ، وكتب بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له هدية ، ولم يذكر اسم المرسل إليه ، ثم كان من أمر جبلة بن الأيهم ، وخبر آرتداده ما ذكره إن شاء الله تعالى ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقال محمد بن إسحق رحمه الله : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كل ما أوطأ^(١) الإسلام من البلدان .

فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسي وهو بها . وبعث زياد بن لبيد ، أخا بني بياضة الأنصاري ، إلى حضرموت وعلى صدقاتها . وبعث عدى بن حاتم على طيِّه وصدقاتها ، وعلى بنى أسد . وبعث مالك بن نويرة اليربوعي على صدقات بنى حنظلة ، وفزق صدقات بنى سعد على رجلين منهم ؛ فبعث الزبير بن بدر على ناحية منها ، وقيس بن عاصم على ناحية .

قال : وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين ، وبعث على بن أبي طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ، ويقدم عليه يجزيتهم .

هذا ما وقفنا عليه من أخبار رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلنذكر من أخباره صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك .

(١) في الأصول : « من أوطأ الإسلام » والتصويب من ابن هشام .

ذكر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهن : خديجة بنت خويلد ، وسودة بنت زمعة ، وعائشة بنت أبي بكر
 الصديق ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزينب بنت خزيمة بن الحارث ،
 وأم سلمة هند بنت أبي أمية ، وزينب بنت جحش ، وجويرية بنت الحارث ،
 وريحانة بنت زيد ، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب ، وصفيية بنت حيي
 • ابن أخطب ، وميمونة بنت الحارث ؛ هؤلاء المدخول بهن ، وهن ثلثا عشرة امرأة
 رضوان الله عليهن . وسنذكر إن شاء الله تعالى ، بعد أن نذكر أخبار هؤلاء ، من
 تزوجهن صلى الله عليه وسلم ، ولم يدخل بهن ، ومن وهبت نفسها له ، ومن خيرها
 فأختارت الدنيا ، ومن فارقها صلى الله عليه وسلم ، ولنذكر أخبارهن على حسب
 اتصالهن به صلى الله عليه وسلم .

٥٨
١٦

فأول امرأة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم :

خديجة بنت خويلد

ابن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب القرشية ، رضى الله عنها ، وكانت
 تدعى في الجاهلية الطاهرة^(١) ، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم ، وأسم الأصم جندب
 ابن هرم بن رواحة بن مجير بن معيص بن عامر بن لؤي . وكانت خديجة عند
 ١٥ أبي هالة بن زرارة بن نباش بن عدى بن حبيب بن صرد بن سلامة بن جروة بن
 أسيد بن عمرو بن تميم التميمي . قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر
 ابن عاصم التميمي : هكذا نسه الزبير ، وأما الجرجاني النسابة فقال : كانت خديجة
 قبل عند أبي هالة هند بن النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن عدى

٢٠ (١) كانت توصف أو تنادى في الجاهلية بالطاهرة ؛ لتركها ما كانت تفعله نساء الجاهلية . (المواهب) .

ابن جَرَوَةَ بنِ أَسَيْدِ بنِ عَمْرٍو بنِ تَمِيمٍ ، فولدت له هِنْدًا ، قال : ثم آتَفَقَا فقَالَا :
ثم خَافَ عَلَيْهَا بعدَ أَبِي هَالَةَ عَتِيقُ بنِ عَابِدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ مَخْزُومٍ ، ثم خَافَ
عِيْمَ ابْعَدُ عَتِيقُ المَخْزُومِي رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال قتادة : كانت خَدِيجَةَ تحتَ عَتِيقِ بنِ عَابِدِ المَخْزُومِي ، ثم خَلَفَ عَلَيْهَا بعدَهُ
أبو هَالَةَ هِنْدُ بنِ زُرَّارَةَ ، قال أبو عمر : والأوَّلُ أصحُّ .

وقال أبو محمد عبد المؤمن بن حَافٍ : إنَّهَا ولدتَ لِعَتِيقِ جاريةً تدعى هِنْدًا ،
ثم هَلَكَ عنها نَخْلَفَ عَلَيْهَا أبو هَالَةَ فولدتَ له آبِنًا وبنَاتًا . وقال ابنُ إسحاق : ولدت
هِنْدُ بنِ أَبِي هَالَةَ ، وَزَيْنَبُ بنتُ أَبِي هَالَةَ ، وولدتَ لِعَتِيقِ عبدَ اللَّهِ وجاريةً ، قال :
ثم هَلَكَ فترَوَّجها رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد قَدَّمنا ذَكَرَ زَواجِهِ صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلم بِهَا ، فلا حاجةَ إلى إِعادَتِهِ . وولدتَ لِرَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميع
أولادِهِ ، إلا إبراهيمَ . وقال أبو عمر : لا يَخْتَلِفونَ أنَ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلمَ لم يَتَرَوَّجَ في الجاهليةِ غيرَ خَدِيجَةَ ، ولا تزوجَ عَلَيْهَا أحداً من نَسائِهِ حتى ماتتْ ،
وهي أوَّلُ من آمَنَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ورسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإِطلاقِ .

قال ابنُ إسحاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ : كانَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَسْمَعُ من
المشركينَ شيئاً يكرهه ، من رَدِّ عَيْبِهِ وتَكْذِيبِ لَهُ إلا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ بِخَدِيجَةَ ، تَثَبَّتْهُ
وتَصَدَّقَهُ وتَحَفَّفَ عَنْهُ وتَهَوَّنَ عَلَيْهِ ما يَلْقَى من قومِهِ ، وقد تَقَدَّمَ من أخبارِها في ابتداءِ
الوحيِ وأَمْتِحانِها الأَمْرِ ، وقولِها لِرَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إنَّ الَّذِي يَأْتِيهِ مَلَكٌ ،

(١) كذا في الأصول وأبن إسحاق ، وفي الاستيعان لأبن عبد البر « عائد » .

(٢) مقام نبينا عليه الصلاة والسلام يقتضى أن نتأدب معه فنقول قبل النبوة أو قبل البعثة .

(٣) أمتحانها الأمر ؛ أى أمر الوحي ، وأن الذى يأتى ملك لاشيطان . (راجع ابن هشام ١ :

وغير ذلك ما تحف عليه هناك ، مما يستدل به على أنها رضى الله عنها أقول من آمن بالله تعالى ورسوله ، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة المنتشرة ، بفضل خديجة رضى الله عنها ؛ فمن ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَعْدَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ فَاطِمَةُ وَخَدِيجَةُ وَأَسِيَّةُ أَمْرَأَةِ فِرْعَوْنَ » . وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : ما غُرَّت على امرأة ما غُرَّت على خديجة ، وما بي أن أكون أدركتها ، ولكن ذلك لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ، وأن كان لِيَدَّبَّجَ الشَّاةُ فَيَتَّبِعَ بِذَلِكَ صِدَائِقِ خَدِيجَةَ يُهْدِيهَا لِحَنِّ . وعن رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الثناء ، فذكرها يوما من الأيام فأدركتني الغيرة فقالت : هل كانت إلا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها ؟ فغضب حتى أهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : « لا والله ما أبدلني الله خيرا منها ، آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني في مالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها أولادا إذ حرمني أولاد النساء » قالت عائشة : فقلت في نفسي لا أذكرها بسبيئة أبدا .

وقد قدمنا من فضلها وما بَشَّرَها به جبريل عليه السلام ، وذكر وفاتها عند ذكرنا لزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما يستغنى عن إيرادها في هذا الموضع ، وهو في الجزء الرابع عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة .

ولما ماتت خديجة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاتها بأيام :

سَوْدَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ

أَبْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ نَضْرٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِجْلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ،
ويقال في حِجْلٍ : حُسَيْلٌ . وَأُمُّهَا الشُّمُوسُ بِنْتُ قَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ لَيْيَدِ
أَبْنِ خِدَاشِ بْنِ عَامِرِ بْنِ غَنَمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكة ، بعد موت خديجة ، وقبل العقده على عائشة على المشهور ، وكانت قبل
عند ابن عم لها يقال له السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرٍو ، وهو أخو سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، من بني عامر
أَبْنِ لُؤَيٍّ . وَأَسْنَتُ سَوْدَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَمَّ بِطُلَاقِهَا ، فَقَالَتْ
له : لا تطلقني وأنت في حِلٍّ من شأني ، فإنما أريد أن أحشر في أزواجك ، وإني
قد وهبت يومي لعائشة ، وإني ما أريد ما تريد النساء . فأمسكها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصار يقسم لبقية أزواجه دونها ، ونوبتها لعائشة ، فكانت كذلك حتى
توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من توفي عنهن من أزواجه .

قال أبو عمر : وفي سَوْدَةَ نزل قوله تعالى : « وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا
ثُغُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَالِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ » . وقيل :
نزلت في عمرة ، ويقال : خَوْلَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسَامَةَ ، وفي زوجها سعد بن الربيع .
ويقال في غيرها . والله أعلم . وكانت وفاة سَوْدَةَ في آخر زمان عمر بن الخطاب ،
ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سَوْدَةَ :

(١) آية ١٢٨ سورة النساء . (٢) هكذا في نسخ الأصل ، وفي الإصباة أن الذي نزل
في عمرة بنت حزم قوله تعالى : « ويستفتونك في النساء » الآية ، حتى قتل زوجها سعد بن الربيع بأحد
بغوات تطالب ميراث أبنتها منه رضي الله عنه . (٣) ليست بنت محمد بن مسلمة زوجة لسعد بن
الربيع وإنما هي زوجة لرافع بن خديج كما في لباب القبول للسيوطي وغيره ، قيل فيها نزلت الآية ،
وفي الأصول : خويلة بنت سلمة ، والتصحيح من تفسير القرطبي (ج ٥ : ٤٠٣) وكذا أسباب النزول
للواحدي ذكر أن آية محمد بن مسلمة نزلت فيها الآية .

٥٩
١٦

٥

١٠

١٥

٢٠

عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

- وأما أم رومان آمنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، في شوال سنة عشر من النبوة، قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي بنت سبت أو سبيع، وبنى بها بالمدينة على رأس سبعة أشهر من الهجرة، وهي آمنة تسع سنين، وتوفى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي بنت ثمان عشرة سنة، ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها، وكانت عائشة رضي الله عنها تذكّر لجبير بن مطعم بن عدي وتسمى له، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرى عائشة في المنام في سرقة من حرير متوفى خديجة، فقال: «إن يكن هذا من عند الله يمضيه» فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وأبنتى بها في شوال، فكانت تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبها في شوال على أزواجهن، وتقول: هل كان في نسائه عنده أحظى مني، وقد نكحني وأبنتي بي في شوال.

- قال أبو عمر: فكان مكثها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين، روى عنها أنها قالت: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت سبع سنين، وبنى بي وأنا بنت تسع، وقبض عني وأنا بنت ثمان عشرة.

- قال أبو عمر: وأستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكنية فقال لها: «أكنيني بأبنتك عبد الله بن الزبير» يعني ابن أختها، وكان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول: حدثتني الصادقة آمنة الصديق، البريئة المبرأة بكذا وكذا. ذكره الشعبي عن مسروق. وقال أبو الضحا عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب محمد

- (١) كان خطيبها مطعم بن عدي لابنه جبير، خطبها النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يعلم بالخطبة، أو كان قبل النبي. (المواهب ٣: ٢٧٤). (٢) السرقة بفتحات: شقة الحرير.

صلى الله عليه وسلم الأكارير يسألونها عن الفرائض . وقال عطاء بن أبي رباح :
 كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأيا في العاقبة . وقال هشام
 ابن عروة عن أبيه : ما رأيت أحدا أعلم بفقهِه ولا يطب ولا يشعر من عائشة .
 وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه ، قال : ما رأيت أحدا أروى لشعر من
 عروة ، فقيل له : ما أرواك يا أبا عبد الله ! قال : وما روايتي في رواية عائشة ،
 ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا . قال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى
 جميع علم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلم جميع النساء ، لكان علم عائشة
 أفضل . وروى عن عمرو بن العاص قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 أي الناس أحب إليك ؟ قال : «عائشة» ، قلت : فمن الرجال ؟ قال : «أبوها» .
 ومن حديث أبي موسى الأشعري ، وأنس بن مالك عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أنه قال : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .
 ومن فضل عائشة أن الله عز وجل أنزل في براءتها ما أنزل ، وقد ذكرنا ذلك
 في حديث الإفك ، في حوادث سنة خمس من الهجرة ، وهو في الجزء الرابع عشر
 من كتابنا هذا ، من هذه النسخة . وروى عن مالك بن أنس رحمه الله أنه قال :
 من سب أبا بكر جلد ، ومن سب عائشة قتل ، فقيل له : لم ؟ قال : من رماها
 فقد خالف القرآن ؛ لأن الله تعالى يقول : « يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »^(١) فمن عاد لمثله فقد كفر . وعن القاضي أبي بكر بن الطيب قال :
 إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبته إليه المشركون سبح نفسه لنفسه ؛ كقوله :

(١) في رواية الترمذي عن عروة : « ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ، ولا بقرضة ، ولا بحرام ،
 ولا بحلال ، ولا بفقهِه ، ولا بشعر ، ولا بطب ، ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة » .
 (٢) خرج هذا الحديث البخاري في باب الثريد وغيره ، ورواه مسلم في فضل عائشة .
 (٣) آية ١٧ سورة النور .

« وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ^(١) » في آي كثير . وذكر تعالى ما نسبته المنافقون إلى عائشة فقال : « وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ ^(٢) » سبَّح نفسه في تنزيها من السوء ، كما سبَّح نفسه في تنزيهه من السوء . وفضائلها رضى الله عنها كثيرة مشهورة .

- ٥ وسند ذكر إن شاء الله تعالى ، عند ذكرنا لوفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خصها به صلى الله عليه وسلم ، في مرضه الذي مات فيه ، من تمر يرضه في بيتها ، وأنه مات صلى الله عليه وسلم في بيتها وفي نوبتها ، وبين نحرها ونحرها ^(٣) ، وآخر ما دخل فيه ريقها ، وناهيك بها فضيلة وخصوصية . وكانت وفاة عائشة رضى الله عنها بالمدينة ، في سنة سبع وخمسين ، وقيل : في سنة ثمان وخمسين ، ليلة الثلاثاء ، لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ، وأمرت أن تُدفن ليلاً ، فدفنت بعد الوتر بالبقيع ، وصلى عليها أبو هريرة ، ونزل في قبرها خمسة : عبد الله ، وعروة أبنا الزبير ، والقاسم بن محمد ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر ، والله أعلم .
- ١٠ وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زواج عائشة :

١٥ حَفْصَةَ بِنْتُ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وهي أخت عبد الله بن عمر لأبيه وأمه ، وأمتها زينب بنت مَطْعُونِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ وَهَبِ بْنِ حُدَافَةَ بْنِ جُمَحٍ ، وكانت حَفْصَةَ من المهاجرات ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند حُنَيْسِ بْنِ حُدَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيِّ السَّمْعِيِّ ، وكان

(١) آية ٢٦ سورة الأنبياء . (٢) آية ١٦ سورة النور .

(٣) السحر : الرقة ، والنحر : أعلى الصدر ؛ أي مات صلى الله عليه وسلم وهو مستند إلى صدرها وما يحاذي صدرها منه . وفيه غير ذلك .

بَدْرِيَا، فلما مات عنها وتَأَيَّمَتْ، ذكرها عمر لأبي بكر وعرضها عليه، فلم يَرِجِعْ إليه أبو بكر كلمة، فغضب من ذلك عمر، ثم عرضها على عثمان حين مانت رُقِيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم، فأطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه عثمان، وأخبره بعرضه حفصة عليه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة» ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر فترجَّعها، فلقى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب فقال: لا تَجِدْ عليّ في نفسك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها لترجَّعها. وترجَّعها رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس ثلاثين شهرا من مهاجره. قال أبو عمر: وطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطلقها، وذلك أن جبريل عليه السلام قال له: «راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وأنها زوجتك في الجنة». وروى عن عقبة بن عامر قال: طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر، فبلغ ذلك عمر فخفي على رأسه التراب، وقال: ما يعبا الله بعمر وأبنته بعد هذا، فنزل جبريل من الغد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «إن الله يأمرك أن تراجع حفصة بنت عمر رحمة لعمر».

قال أبو عمر: وأوصى عمر بعد موته إلى حفصة، وأوصت حفصة إلى عبد الله ابن عمر بما أوصى به إليها عمر، وبصدقة تصدقت بها [بمال] ^(١) وقفته بالغابة. وأختلف في وفاتها، فقال الدُّولَابِيُّ: عن أحمد بن محمد بن أيوب، توفيت

(١) الزيادة من أسد الغابة عن ابن عبد البر، والذي في ابن عبد البر «وبمال...» بزيادة الواو والغابة: موضع قريب من المدينة من عواليها وبها أموال لأهلها.

في سنة سبع وعشرين ، وقال أبو معشر : توفيت في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، وقال غيره : توفيت في شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة ، وصلى عليها مروان بن الحكم ، وحمل سريرها ، وهو إذ ذاك أمير المدينة لمعاوية بن أبي سفيان ، وهذا الذي أشار إليه الشيخ أبو محمد الدمياطي في مختصر السيرة . قال : ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زواج حفصة بنت عمر :

زينب بنت خزيمة بن الحارث

٥
 ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية
 ابن بكر بن هوازن القيسية الهوازنية العامرية الهلالية ، وكانت تدعى في الجاهلية
 أم المساكين ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطفيل بن الحارث
 ١٠ ابن المطلب بن عبد مناف فطلقها ، خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث فقتل عنها
 يوم بدر شهيدا ، خلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان على
 رأس أحد وثلاثين شهرا من مهاجره . وقيل : كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل
 عنها يوم أُحُد ، فتروجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى الأول أعتمد الشيخ
 أبو محمد ، قال : ومكثت عنده ثمانية أشهر ، وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر ،
 ١٥ وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودفنها بالبقيع ، وقد بلغت ثلاثين سنة
 أو نحوها ، ولم يمت من أزواجه في حياته غيرها ، وغير خديجة ، قال : وفي ريحانة
 خلاف . وقال أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني النسابة : كانت زينب بنت
 خزيمة أخت ميمونة لأمتها ، قال أبو عمر : ولم أر ذلك لغيره ، والله أعلم .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زينب بنت خزيمة :

- ٢٠ (١) في الجاهلية قيد تحب الزهري في رواية الطبراني وأبن إسحق ، وذكره ابن أبي خيثمة وقال :
 « أي وأولى في الإسلام » .
 (٢) ريحانة بنت شمعون إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي وفاتها خلاف . وسيأتي ذكرها .

أم سلمة هند بنت أبي أمية

حدیفة المعروف بزاد التراکب بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة
ابن مرة بن كعب بن لؤي القرشية المخزومية . وكان أبوها أحد أجواد قريش
المشهورين بالكرم . وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خزيمه بن علقمة
ابن فزاس . وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي سلمة عبد الله بن
عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن برة بنت عبد المطلب
عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولدت له عمر وزينب ، فكانا ربيبي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو عمر : ولدت له عمر وسلمة ودرة^(١) وزينب .
قال ، وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى أرض الحبشة ، ويقال أيضا : أم
سلمة أول طعينة دخلت المدينة مهاجرة ، وقيل : بل ليسلى بنت أبي حنمة زوج
عامر بن ربيعة .

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة في ليالٍ بقين من شوال سنة أربع
من مهاجره ، وقال أبو عمر : تزوجها في سنة آئنتين من الهجرة بعد وقعة بدر ،
عقد عليها في شوال ، وأبقي بها في شوال ، وقال لها : « إن شئت سبعت عندك ،
وسبعت لنسائي ، وإن شئت تلت ودُرْتُ » فقالت : تلت . قال ابن هشام :
زوجه إياها ابنها سلمة بن أبي سلمة ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فراشا
حشوه ليف وقدحا وصحفه ومجشة^(٢) . وقد اختلف في وفاتها ، فقيل : توفيت
في سنة ستين من الهجرة ، وقيل : في شهر رمضان أو شوال سنة تسع وخمسين ،

(١) في ابن هشام « رقية » مكان « درة » .

(٢) الجمهور على أن الزواج كان سنة أربع ؛ لأن أبا سلمة مات بعد غزوة أحد ، وكانت سنة

ثلاث باتفاق . (٣) المجشة : الرحي .

٥

١٠

١٥

٢٠

وقال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن : توفيت في سنة اثنتين وستين . قال أبو عمر :
 وصلى عليها أبو هريرة ، وقيل : سعيد بن زيد بوصية منها ، ودخل قبرها عمر
 وسامة أبنا أبي سامة ، وعبيد الله بن عبد الله بن أبي أمية ، وعبد الله بن وهب بن
 ربيعة ، ودفنت بالبييع رحمها الله ، وهي آخر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
 موتا ، وقيل : بل ميمونة آخرهن . والله أعلم .

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعدها :

زينب بنت جحش بن رثاب

أبن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير - بالباء الموحدة - ابن غم بن دودان
 ابن أسد بن خزيمية .

- ١٠ وكان اسم زينب برة ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ، وأمها
 أميمة بنت عبد المطالب بن هاشم ، عممة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الشيخ
 أبو محمد عبد المؤمن : تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لهلال ذي القعدة سنة
 أربع على الصحيح ، وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة ، وكانت قبل ذلك
 عند زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم فارقتها ، فلما حلت
 ١٥ زوجه الله إياها ، وهي التي قال الله تعالى فيها : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كُهَا ﴾
 ولما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم في ذلك المنافقون ، وقالوا حرّم

(١) لا يصح القول بأن سعيد بن زيد صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين أم سلمة لأنه مات سنة تحسين أو إحدى
 أو اثنتين ، بخلاف ، قال في الإصابة : « ويمكن تأويله بأنها مرضت فأوصت بذلك ثم عوفيت فسات
 سعيد قبلها » . (٢) ربح بعضهم كما في المواهب سنة خمس ، وفي الإصابة سنة ثلاث .

(٣) أى آقتضت عدتها فحلت للزواج . (٤) آية ٣٧ سورة الأحزاب .

محدث نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه ، فانزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ
 مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾^(١) . وقال تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٢) ، فدعى زيد
 يومئذ زيد بن حارثة ، وكان قبل ذلك يدعى زيد بن محمد . قالت عائشة رضي
 الله عنها : لم يكن أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم يُسَمِّينِي فِي حَسَنِ الْمَتْرَلَةِ^(٣)
 عنده غير زَيْنَب بنت جَحْش ، وكانت تَفَخَّرُ عَلَي نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
 تقول : إِنْ آبَاءُ كُنْتُ أَنْكَحُوكُمْ وَأَنْ اللَّهُ أَنْكَحَنِي إِيَّاهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ . وعن
 أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة :
 « أذكركها علي » قال زيد : فأطلقت فقلت لها : يا زينب ، أبشري ، فإن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل يذكرك . فقالت : ما أنا بصانعة شيئا حتى
 أوامر ربي ؛ فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن . وعن عبد الله بن شداد أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : « إن زينب بنت جحش
 أَوْاهَةٌ » فقال رجل : يا رسول الله ، ما الأواهة ؟ قال : « الخاشع المتضرع ، و﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
 لَخَلِيمٌ أَوْاهٌ مَنِيْبٌ ﴾^(٤) . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ؛ قالت قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يوما لنسائه : « أمرتكن لحاقا بي أطولكن يدا »^(٥) ، قالت : فكنت
 يتناولن أيهن أطول يدا ، قالت : فكانت أطولنا يدا زينب ؛ لأنها كانت تعمل بيديها
 وتتصدق . وعن عائشة رضي الله عنها أيضا ، قالت كانت زينب بنت جحش

(١) آية ٤ سورة الأحزاب . (٢) آية ٥ سورة الأحزاب .

(٣) تضاهين وتفخرن بجملها ومكاتها عنده عليه السلام .

(٤) أوزامر : استخير . (٥) آية ٧٥ سورة هود . (٦) طول اليد ، كتابة عن الجود

والكرم ؛ وكانت رضي الله عنها صناع اليد ، تدبغ وتحفر وتصدق .

تساميني في المتزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما رأيت امرأة قط خيرا في الدين من زينب ، وأتقى لله وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة . ومن رواية أخرى عنها أنها ذكرت زينب فقالت : ولم تكن امرأة خيرا منها في الدين ، وأتقى لله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد تبذلا^(١) في نفسها في العمل الذي تتصدق به وتقترب إلى الله عز وجل . وكانت وفاة زينب بالمدينة في سنة عشرين من الهجرة ، في خلافة عمر ، وقيل : في سنة إحدى وعشرين ، ودفنت بالبقيع رضى الله عنها .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زينب :

جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ

١٠. ابن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جُدَيْمَةَ ، وهو المصطَلِقُ بن سعد ابن كعب بن عمرو بن ربيعة ، وهو الحُجَيِّ بن حارثة بن عمرو مَرْيَقِيَاءُ بن عامر ماء السماء ، الأزدية الخزاعية المصطلقية . سبها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع فوَقَعَتْ جُوَيْرِيَّةُ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسٍ ، وَكَاتَبَهَا عَلَى تِسْعِ أَوْاقٍ ، فَأَدَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا كِتَابَتَهَا وَتَزَوَّجَهَا . وَقِيلَ : جَاءَ أَبُوهَا فَأَفْتَدَاهَا ، ثُمَّ أَنْكَحَهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ . وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، وَقَعَتْ جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسٍ — أَوْ لِابْنِ عَمِّ لَهُ —

(١) التبذل : ترك التزين والتهيب بالهيئة الحسنة على جهة التواضع . وفي « أبتدالا » .

(٢) مَرْيَقِيَاءُ : لقب عمرو بن عامر المذكور ، ملك من ملوك اليمن .

(٣) المريسيع (تصغير مرسوع) : ما لبني خزاعة من الأزد وهذه الغزوة هي المعروفة بغزوة بني

فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحه ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها ، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها ، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت ، فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومهم وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقع في السهم لثابت بن قيس بن شماس — أولابن عم له — فكاتبته على نفسي ، فبئسك أستعينك على كتابتي ، قال : « فهل لك في خير من ذلك » ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أقض عنك كتابتك وأتزوجك » ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : « قد فعلت » ، قالت : ونخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج بجويرية بنت الحارث فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بأيديهم ، فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

قال أبو عمر : وكانت جويرية قبل تحت مسافع بن صفوان المصطلق ، قال : وكان اسمها برة ، فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها وسمها جويرية ، وحفظت جويرية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروت عنه ، وتوفيت بالمدينة في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو والي المدينة وقد بلغت سبعين سنة ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت عشرين سنة . وقيل : توفيت في سنة خمسين . والله أعلم .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جويرية :

(١) ملاحه : أى شديدة الملاحه ، وهو من أبنية المبالغة .

رَيْحَانَةُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ خُنَافَةَ بْنِ شَمْعُونَ

- قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الترمذي رحمه الله: هي رَيْحَانَةُ بنت شَمْعُونَ بن زيد بن خُنَافَةَ^(١) من بنى قُرَيْظَةَ، وقيل من بنى النَّضِيرِ. قال: والأكثر من بنى قُرَيْظَةَ. قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف رحمه الله: وكانت متروجة رجلا من بنى قُرَيْظَةَ، يقال له الْحَكَمُ، وكانت قد وقعت في السبي يوم بنى قُرَيْظَةَ، وذلك في ليل من ذى القعدة سنة خمس من الهجرة، فكانت صَفِيَّةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم نغيرها بين الإسلام ودينها فأختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها، وأمهرها آنتي عشرة أوقية ونَسًا، وأعرس بها في المحرم سنة ست، في بيت أم المنذر سامي بنت قيس من بنى النجار، وضرب عليها الحجاب، فغارت عليه غيرة شديدة، فطلقها تطليقة، فأكثر البكاء فراجعها، فكانت عنده حتى ماتت بعد رجوعه من حجة الوداع، فدفنها بالبقيع. وقيل: إنه لم يتزوجها وكان يطؤها بملك اليمن، وأنه خيرها بين العتق والترويح، أو تكون في ملكه، فقالت: أكون في ملكك أخف عليّ وعليك، فكانت في ملكه حتى توفى عنها. قال: والأقول أثبت. ثم تزوج صلى الله عليه وسلم:

أُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ

- ١٥ صحح بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموية، وأمها صَفِيَّةُ بنت أبي العاص بن أمية عمه عثمان بن عفان، هاجرت أم حبيبة مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فولدت له هناك
- (١) خنافة، بانلاء أو خنافة بالقاف. (٢) الصفي: ما يختاره رسول الله من الغنيمة.
- ٢٠ (٣) في نسخ الأصل: «عبد الله»، والصحيح: عبيد الله، بالتضغير كما في الإصابة وشرح المواهب؛ لأن أخاه عبد الله بن جحش استشهد بأحد رضي الله عنه.

حبيبة فكنيت بها ، وتنصر عبيد الله زوجها ، وآرتد عن الإسلام ، ومات على ذلك ، وثبتت أم حبيبة على دين الإسلام ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، كما قدمنا ذكر ذلك فزوجه إياها ، وكان الذي عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية على الأصح ، وأصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين ديناراً ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهزها إلى المدينة ، وذلك في سنة سبع من الهجرة ، وهذا هو المعروف المشهور .
وقيل : إن الذي زوجها عثمان بن عفان ، وأن العقد كان بالمدينة بعد رجوعها من أرض الحبشة . والأول أثبت .

وروى الزبير بن بكار قال : حدثني محمد بن حسن عن عبد الله بن عمرو بن زهير ، عن إسماعيل بن عمرو أن أم حبيبة قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي جارية يقال لها أبرهة ، كانت تقوم على ثيابه ودُّهْنِه ، فأستأذنت علي فأذنت لها ، فقالت : إن الملك يقول لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى أن أزوجهك^(٢) فقلت : بئسك الله بخير ، وقالت : يقول لك الملك وكلّي من يزوجهك ، فأرسلت إلى خالد بن سعيد فوكلته ، وأعطيت أبرهة سوارى فضة كانتا علي ، وخواتم فضة كانت في أصابعي سرورا بما بئسرتني ، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين يحضرون ، وخطب النجاشي فقال : الحمد لله الملك القدوس ، السلام المؤمن المهيمن ، العزيز الجبار ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم — أما بعد — فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة بنت

(١) حسنة : هي أمه التي ربه ، وأبوه عبد الله بن المطاع الكندي . (المواهب : ٣ : ٢٨٩) .

(٢) في شرح المواهب : «أن أزوجهك مه» .

أبي سفيان ، فأجبتُ إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصدقتهما
 أربعمائة دينار . ثم سكب الدنانير بين يدي القوم ، فتكلم خالد بن سعيد ، فقال :
 الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ،
 أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون — أما بعد —
 فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوجته أم حبيبة بنت
 أبي سفيان ، فبارك الله لرسوله . ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ،
 ثم أرادوا أن يقوموا ، فقال النجاشي : اجلسوا فإن سنة الأنبياء عليهم السلام إذا
 تزوجوا أن يؤكل طعام على الترويح ، فدعا بطعام فاكلوا ثم تفرقوا . وماتت أم
 حبيبة سنة أربع وأربعين . وروى عن علي بن حسين قال : قدمت منزلي في دار
 علي بن أبي طالب ، فحفرنا في ناحية منه فأخرجنا منه حجرا فإذا فيه مكتوب ، هذا
 قبر رملة بنت صخر ، فأعدناه مكانه ، حكاه أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب
 في ترجمة أم حبيبة .^(١)

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أم حبيبة :

صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ بنِ أَخْطَبٍ

١٥ ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥)
 ابن سَعْيَةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَيْبِدِ بنِ كَعْبِ بنِ الْحَارِثِ بنِ أَبِي حَبِيبِ بنِ النَّضِيرِ بنِ
 النَّحْمِ بنِ نَحْوَمٍ ، من بني إسرائيل من سبط هرون بن عمران عليه السلام .
 كان أبوها سيِّد بني النَّضِيرِ ، وأقما برة بنت سَمُوْعَلٍ ، أخت رِفَاعَةَ ، وكانت
 صَفِيَّةً عند سَلَامِ بنِ مِشْكَمِ الْقُرْظِيِّ الشاعر ، ففارقها فخلف عليها كنانة بن الربيع
 (١) هذا ما جزم به ابن عبد البر وابن سعد ، ورجحه البلاذري ؛ وقيل سنة اثنتين وأربعين . (راجع
 المواهب ٣ : ٢٩٢) . (٢) هو في ترجمة « رملة » لا ترجمة أم حبيبة .
 (٣) نحوم ؛ في أسد الغاية : « فأنحوم ، قاله اليهود وهم أعلم بلسانهم » .
 (٤) في شرح المواهب : أمها ضرة بفتح الضاد المعجمة . على أن أسد الغاية موافق لما هنا .
 (٥) رفاعه صحابي ، قال في الإصابة : « له ذكر في الصحيح من حديث عائشة ... » الخ .

أَبْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ النَّضْرِيِّ^(١) الشاعِر، فقتل يوم خيبر، ولم تلد لأحد منهما شيئا، فأصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها، ولم تبلغ يومئذ سبع عشرة سنة .

وحكى محمد بن إسحق في مغازيه، وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في دلائل النبوة، في غزاة خيبر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أفتح القموص: — حصن ابن أبي الحُقَيْقِ — أتى بصفية بنت حُيِّ بن أخطب، وبأنحري معها، فمر بهما بلال على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أغربوا^(٢) عني هذه الشيطانة» وأمر بصفية فغيرت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصطفاها لنفسه، وكانت صفية قد رأت في المنام، وهي عروس بيكانة بن الربيع، أن قبرا وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز مجدا: فلطم وجهها لطمه خضر عينا منها، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثمر منه، فسألها ما هو فأخبرته هذا الخبر .

وروى عن أنس بن مالك من رواية صهيب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جمع سبي خيبر جاءه دحية فقال: أعطني جارية من السبي، قال: «أذهب نخذ جارية» فأخذ صفية بنت حُيِّ، فقيل: يا رسول الله، إنها سيدة قرظة والنضير،

(١) هذه النسبة إلى النضير، حذفوا الياء وقلبوا كسر الضاد فتحا .

(٢) أغربوا: أهدوا وفي نسخة: «أغربوا»، والمعنى واحد .

(٣) في أسد الغابة: «فذكرت ذلك لأبيها» .

(٤) كذا في نسخ الأصل، والمعنى: ترك بها أثرا أسود، والعرب تقول للأسود أخضر،

وفي شرح المواهب: «لطمها على عينا فأخضرت» .

ما تصلح إلا لك ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « خذ جارية من السبي غيرها » .
 وقال ابن شهاب : كانت مما أفاء الله عليه ، حجَّها وأولم عليها بتمر وسويق ، وقسم
 لها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين ، قال أبو عمر : روى أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم دخل على صفية وهي تبكي ، فقال لها : « ما يبكيك » ؟ قالت :
 بلغني أن عائشة وحفصة تالان مني ، وتقولان نحن خير من صفية ، نحن بنات
 عم رسول الله وأزواجه ، قال : « ألا قلت لهن كيف تكن خيرا مني وأبي هرون ،
 وعمي موسى ، وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم » . وكانت صفية حليلة عاقلة
 فاضلة ؛ روى أن جارية لها أمت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقالت : إن
 صفية تحب السبب وتصل اليهود ، فبعث إليها عمر يسألها ، فقالت : أما السبب
 فلإني لم أحبه منذ أبدلني الله به يوم الجمعة ، وأما اليهود فإن لي فيهم رجلا فأنا أصلها ،
 ثم قالت للجارية : ما حملك على ما صنعت ؟ قالت : الشيطان ، قالت : فأذهبي
 فأنت حرة . وتوفيت صفية في شهر رمضان سنة خمسين ، وقيل : سنة اثنتين
 وخمسين . ودفنت بالبقيع ، وورثت مائة ألف درهم بقيمة أرض وعرض ،
 وأوصت لابن أختها بثلثها ، وكان يهوديا .
 ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها :

١٥

ميمونة بنت الحارث

ابن حزن بن بجير بن هزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن
 معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر .
 وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماسة بن حمير ، وقيل : من
 كنانة ، وأن زهير بن الحارث بن كنانة .

٢٠

(١) هزم — في القاموس — كزفر ، وكذلك في شرح المواهب وابن إسحق ، وفي الأصول : « الحرم » .

٦٥

١٦

وأخوات ميمونة لأبيها وأمها : أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث ، زوج
العباس بن عبد المطلب . ولبابة الصغرى زوج الوليد بن المغيرة ، أم خالد بن
الوليد . وعصماء بنت الحارث ، كانت تحت أبي بن خلف الجهمي . وعزة بنت
الحارث ، كانت عند زياد بن عبد الله بن مالك الهلالي .

وأخواتها لأمها : أسماء بنت عميس ، كانت تحت جعفر بن أبي طالب ،
فولدت له عبد الله ، وعونا ومحمدا ، ثم خلف عليها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ،
فولدت له محمدا ، ثم خلف عليها علي بن أبي طالب ، فولدت له يحيى ، وقيل :
إن أسماء كانت تحت حمزة بن عبد المطلب ، فولدت له أمة الله بنت حمزة ، ثم
خلف عليها بعده شداد بن أسامة بن الهادي الليثي ، فولدت له عبد الله ، وعبد الرحمن .
وسلامة بنت عميس أخت أسماء . وسلمى بنت عميس كانت تحت عبد الله بن
كعب بن منبه الخثعمي . وزينب بنت خزيمة أخت ميمونة لأمها .

قال أبو عمر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما : كان اسم ميمونة برة ، فسماها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة ، وقال : لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى مكة معتمرا في سنة سبع ، وهي عمرة القضاء ، خطب جعفر بن أبي طالب
عليه ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وكانت أختها لأمها أسماء بنت عميس عند
جعفر ، وسلمى بنت عميس عند حمزة ، وأم الفضل عند العباس ، فأجاب جعفر
أبن أبي طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلت أمرها إلى العباس بن
عبد المطلب ، فأنكحها النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم ، فلما رجع بنى بها
بسرف^(١) حلالا ، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن

(١) سرف ككتف : موضع قرب التنعيم من ضواحي مكة .

- نصر بن مالك بن حسبل بن عامر بن لؤي، ويقال: بل كانت عند سبرة بن أبي رهم .
 حكاة أبو عبيدة، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: كانت ميمونة قبل النبي صلى الله
 عليه وسلم عند حويطب بن عبد العزى، وقيل: كانت في الجاهلية عند مسعود بن
 عمرو بن عمير الثقفي ففارقها، وخلف عليها أبو رهم أخو حويطب فتوفى عنها،
 فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن شهاب: وهى التى وهبت نفسها
 للنبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك قال قتادة، قال: وفيها نزلت ﴿ وَأَمْرًا مُمْنَةً
 إِنَّ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ (١) الآية، وقد قيل: إن الواهبة خولة وقيل: أم شريك.
 قال قتادة: وكانت ميمونة قبله عند فروة بن عبد العزى بن أسد بن غنم بن دودان،
 قال أبو عمر: هكذا قال قتادة وهو خطأ، والصواب ما تقدم . والله أعلم . قال الشيخ
 أبو محمد الديماطى: وماتت ميمونة بسيرف فى سنة إحدى وخمسين على الأصح، وقد
 بلغت ثمانين سنة .

- فهؤلاء نساؤه المدخول بهن، ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع منهن، وهن:
 عائشة بنت أبى بكر الصديق، وحفصة بنت عمر، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة
 بنت أبى أمية، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث وأم حبيبة بنت أبى سفيان،
 وصفية بنت حيي بن أخطب، وميمونة بنت الحارث رضوان الله عليهم أجمعين .

ذكر من تزوجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء

ولم يدخل بهن، ومن دخل بهن وطلقهن، ومن وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم:

فاطمة بنت الضحاک

ابن سفيان بن عوف بن كعب بن أبى بكر، وهو عيسد بن كلاب بن ربيعة
 ابن عامر الكلابية .

(١) آية ٥٠ سورة الأحزاب .

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة، سنة ثمان من الهجرة مُصْرَفَه
 من الجِعْرَانَةِ ، فلما دنا منها قالت : أعوذ بالله منك ، فقال : « لقد عُدْتُ بعظيم
 ألحقي بأهلك » فكانت إذا استأذنت على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول :
 أنا الشَّقِيَّةُ إِنَّمَا خُدِعْتُ . وَدَلَّهْتُ وَذَهَبَ عَقْلُهَا ، وماتت سنة ستين . وروى عن
 ابن إسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها بعد وفاة أخته زَيْنَبَ ، وخيرها
 حين أنزلت آية التخيير فأختارت الدنيا ففارقها ، فكانت بعد تَلْقُطِ البعر ، وتقول :
 أنا الشَّقِيَّةُ آخَرْتُ الدُّنْيَا . قال أبو عمر بن عبد البر : وهذا عندي غير صحيح ؛
 لأن ابن شهاب يروى عن أبي سامة وعروة عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم حين خير أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله قالت وتتابع أزواج النبي صلى
 الله عليه وسلم على ذلك ، قال قتادة وعكرمة : كان عنده حين خيرهن تسع نسوة
 وهن اللواتي تُوفى عنهن ، قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن : وقيل إنما طلقها لبياض
 كان بها . وقيل : إنما فارقها لأنه كان إذا خرج طلعت إلى المسجد . وقيل : إن
 الضحاك عَرَضَ أخته فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنها لم تُصْدِعْ
 قَطُّ ، فقال : « لا حاجة لي بها » . وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :
 كان في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم سِنَاءُ بِنْتُ سُفْيَانَ بنِ عَوْفِ بنِ كَعْبِ
 ابنِ أَبِي بَكْرِ بنِ كِلَابٍ . ومنهن :

٦٦
١٦

(١) ألحقي (بكسر الهمزة وفتح الحاء) ، وقيل بالعكس) : كناية عن الطلاق بالنية ، والمعنى طلقتك .
 (٢) دله كفرح : ذهب فواده من هم أو عشق ؛ وقوله : « ذهب عقلها » تفسير « لدلت » .
 (٣) آية التخيير ٢٨ ، ٢٩ سورة الأحزاب . (٤) قال في المواهب : « ولعل ذلك لتبعية
 من ضيق عيشها » . (٥) في رواية ، وضع ؛ والمراد البرص . (٦) تصدع : لم يصبا صداع وهو وجع
 الرأس ، وفي رواية المعارف لابن قتيبة : إنها لم تمرض قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما لهده
 عند الله من خير » . (٧) ذكر ابن سعد الاختلاف في أسم النكلاية في (ج ٨ : ١٠٠) .

٥

١٠

١٥

٢٠

عَمْرَةَ بِنْتُ يَزِيدِ بْنِ الْجَوْنِ الْكَلَابِيَّةِ

وقيل : عَمْرَةَ بِنْتُ يَزِيدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رُوَاسِ بْنِ كِلَابِ الْكَلَابِيَّةِ ، وَهُوَ أَصَحُّ .
وفي رواية قال أبو عمر : تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغه أن بها
برصاً فطلقها ، ولم يدخل بها . وقيل : إنها التي تعوذت منه حين أدخلت عليه .
وقيل غيرها . ومنهن :

الْعَالِيَّةُ بِنْتُ ظَبْيَانَ بْنِ الْجَوْنِ

أَبْنُ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ كِلَابِ الْكَلَابِيَّةِ . قال أبو عمر :
تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عنده ماشاء الله ثم طلقها ، قال : وقيل
من ذكرها . هؤلاء اللاتي ذُكِرْنَ مِنْ بَنِي كِلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ . قال أبو محمد :
ومن الناس من جعل التي تزوجها من بني عامر واحدة ، اختلف في اسمها ، وأنه
لم يتزوج من بني عامر غيرها ، قال : ومنهم من جعلهن جميعاً ، وذكر لكل واحدة
منهن قصة ، وهؤلاء اللاتي ذُكِرْنَ ، هن المشهورات من بني عامر .
ومن ذُكِرْنَ فِي أَزْوَاجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةُ بِنْتُ شَرِيحٍ . ذكرها
أبو عبيدة في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهن :

أَسْمَاءُ بِنْتُ النَّعْمَانَ بْنِ أَبِي الْجَوْنِ

ابن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن الجَوْنِ بن آكل المرار الكِنْدِيُّ ، تزوج
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع من الهجرة ، زوجه إياها أبوها
حين قدم ، على آئنتي عشرة أوقية ونش ، وبعث معه أبا أسيد ، فعملها من
(١)

(١) أي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع .

(٢)
 تجسد حتى نزل بها في أطم^(١) بنى ساعدة ، فقالت عائشة : قد وضع يده في الغرائب
 يوشك أن يصرفن وجهه عنا ، وكانت من أجمل النساء ، فقالت حفصة لعائشة ،
 أو عائشة لحفصة : أخضبيها أنت وأنا أمشطها ، ففعلتا ، ثم قالت لما إحداهما :
 إنه يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول : أعوذ بالله منك ؛ فلما دخلت عليه
 وأغلق الباب ، وأرخی الستر ، مَدَّ يده إليها ، فقالت : أعوذ بالله منك ، فقال :
 « لقد عُدت بمعاذ الحقِّ بأهلك » وأمر أبا أسيد أن يردها إلى أهلها ؛ وقال :
 « متَّعها برازقيتين^(٣) » يعني كِرْبَاسَيْنِ ، فكانت تقول : آدعوني الشَّقِيَّةَ ، وإنما خُدعت ؛
 لما روى من جمالها وهيئتها ، وذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم من حملها على
 ما قالت ، فقال : « إنهن صواحب يوسف وكيدهن عظيم » قال : فلما طلع بها
 أبو أسيد على أهلها تصايحوا ؛ وقالوا : إنك لغير مباركة ، مادهاك ؟ فقالت :
 خُدعت ، وقيل لي كَيْتَ وكَيْتَ ، فقالوا : لقد جعلتنا في العرب شُهْرَةً ، فقالت :
 يا أبا أسيد قد كان ما كان فما الذي أصنع ؟ قال : أقيمى في بيتك وأحججى
 إلا من ذى رحم ، ولا يطمع فيك طامع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك
 من أمهات المؤمنين ؛ فأقامت لا يطمع فيها طامع ، ولا تُرى إلا لذي محرم ، حتى
 توفيت في خلافة عثمان بن عفان عند أهلها بتجد .

وقال أبو عمر : أجمعوا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها ، وأختلفوا
 في قصة فراقه لها ، فقال بعضهم : لما دخلت عليه دعاها فقالت : تعال أنت ،
 وأبت أن تجيء ، هذا قول قتادة وأبي عبيدة . وزعم بعضهم أنها قالت : أعوذ بالله

٦٧

١٦

(١) الأطم : بناء مرتفع كالحصن . (٢) الغرائب (جمع غريبة) : وهي البعيدة عنهم ؛
 قال في الطبقات : « فلما جعل رسول الله يتزوج في الغرائب قالت عائشة قد وضع يده في الغرائب ... الخ » .
 (٣) رازقيتين : الرازقية ثوب كان أبيض ، كِرْبَاسَيْنِ : بيان للرازقيتين فارسي معرب . ومنعة المرأة
 ما وصلت به بعد الطلاق من ثياب أو مال أو طعام .

منك، فقال : « لقد عُدتِ بمعاذ، وقد أعادك الله مني » فطلقها، قال قتادة : وهذا باطل إنما قال هذا لأمراة جميلة تزوجها من بنى سليم . وقال أبو عبيدة : كلتاها عادتتا بالله عز وجل منه صلى الله عليه وسلم . والله تعالى أعلم . وروى البخارى في صحيحه حديث أبي أسيد الساعدي قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أُمِّيَّة بنت شَرَّاحِيل

فلما دخلت عليه بسط يده إليها ، فكأنها كرهت ذلك ، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين ، وفي لفظ آخر ، قال أبو أسيد : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجَوْنِيَّة ، فلما دخل عليها قال : « هي لي نفسك » فقالت : وكيف تهب الملكة نفسها للسوقة ؟ فأهوى بيده إليها ليسكتها فقالت : أعوذ بالله منك ، قال : « قد عُدتِ بمعاذ » ثم خرج عليه السلام فقال : « يا أبا أسيد آكسها رازقيتين وألحقها بأهلها » . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : خلف عليها المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة ، فأراد عمر أن يعاقبهما ، فقالت : والله ما ضرب على الحجاب ولا سميت بأتم المؤمنين ، فكف عنهما ، وقيل : تزوجها عكرمة ابن أبي جهل في الردة ، وقيل : خلف عليها بعد المهاجر قيس بن مكشوح المرادي ، وقال ابن أزي : الجَوْنِيَّة التي استعادت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تستعذ منه امرأة غيرها .

قال أبو عمر رحمه الله : الاختلاف في الكِنْدِيَّة كبير جدا ، منهم من يقول : هي أَسْمَاء بنت النعمان ، ومنهم من يقول : أُمِّيَّة بنت النعمان ، ومنهم من يقول : أُمَامَة بنت النعمان ، قال : واختلافهم في سبب فراقها على ما رأيت ، والأضطراب فيها وفي صواباتها اللواتي لم يجتمع عليهن من أزواجه صلى الله عليه وسلم عظيم . ومنهن :

قُتَيْلَةُ بِنْتُ قَيْسٍ

أخت الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية الكندي . روى عن عبد الله
 ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما استعادت أسماء بنت النعمان من النبي صلى الله
 عليه وسلم خرج والغضب يُعرف في وجهه ، فقال له الأشعث بن قيس : لا يسؤلك الله
 يا رسول الله ، ألا أزوجك من ليس دونها في الجمال والحسب ؟ قال : « من » ؟ قال :
 أختي قُتَيْلَةَ ، قال : « قد تزوجتها » قال : فأصرف الأشعث إلى حَضْرَمَوْت ، ثم حملها
 حتى إذا فصل من اليمن ، بلغه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّها إلى بلاده
 وآرثت وآرثت معه فيمن آرثت ؛ فلذلك تزوجت ؛ لفساد النكاح بالآرثداد . قال
 الشيخ أبو محمد : وكان تزوجها قيس بن مكشوح المرادي ، وقيل : تزوجها عكرمة
 ابن أبي جهل ، فوجد أبو بكر من ذلك وجدا شديدا ، وقال : لقد هممت أن أحرق
 عليهما بيتهما . فقال له عمر : يا خليفة رسول الله ، إنها والله ما هي من أزواجه ،
 ما خيرا ولا حجبا ، ولقد برأها الله منه بالآرثداد الذي آرثت مع قومها . وكان
 تزوجه إياها سنة عشر ، وقيل : قبل موته بشهرين ، وقيل : تزوجها في مرضه .
 وقال قائلون : إنه صلى الله عليه وسلم أوصى أن تُخَيَّر ، فإن شاءت ضُرب عليها
 الحجابُ وتحرم على المؤمنين ، وإن شاءت طلقها فلتنكح من شاءت ، فأختارت
 النكاح ، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل . وكان عمرو بن الزبير ينكر ذلك ، ويقول :
 لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم قُتَيْلَةَ بنت قيس ، ولا تزوج كندية إلا أخت بني
 الجون ، ملكها ، وأتى بها فلما نظر إليها طلقها ، ولم يبين بها صلى الله عليه وسلم .
 ومنهن :

عُمَرَةُ بِنْتُ مَعَاوِيَةَ الْكِنْدِيَّةِ

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الشعبي : تزوج امرأة من كندة ،
بغى بها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم . ذكر ذلك أبو الفرج بن الجوزي
في التلخيص . ومنهن :

٦٨
١٦

أَسْمَاءُ بِنْتُ الصَّلْتِ

- وقيل : سَنَاءُ بِنْتُ الصَّلْتِ ، قال أبو عمر : وهو الصواب ؛ قال : وقال علي
ابن عبد العزيز بن علي بن الحسن الجرجاني النسابة : هي وَسَنَاءُ بِنْتُ الصَّلْتِ
ابن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سيمالك بن عوف بن أمير القيس
ابن بهثة بن سليم السامية ؛ تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فماتت قبل أن
١٠ تصل إليه . وقال غيره : فلما بُشِّرَتْ بذلك صَحَّكَتْ ، وماتت من الفرح . وقال
ابن إسحاق : سَنَاءُ بِنْتُ أَسْمَاءِ بْنِ الصَّلْتِ السُّلَمِيِّ ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم طلقها . وقال أبو نصر ابن ماكولا : سَنَاءُ بِنْتُ أَسْمَاءِ مَاتَتْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ
بِهَا . وقيل : لما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت أسماء :
لو كان نيا ما مات حبيبه ، نغلي سبيلها . وقال عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي :
١٥ جاء رجل من بني سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن لي
ابنة من جمالها وعقلها ما إنى لأحسد الناس عليها غيرك ، فهمم النبي صلى الله عليه
وسلم أن يتزوجها ، ثم قال : وأخرى يا رسول الله ، لا والله ما أصابها عندي مرض
قط ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لا حاجة لنا في آبتك ، تجيئنا نحمل
خطاياها ! لا خير في مال لا يرزأ^(١) منه ، ولا جسم لا يُنَالُ منه » . وقال أبو عمر
٢٠ ابن عبد البر : وفي سبب فراقها اختلاف ، ولا يثبت فيها شيء من جهة الإسناد . ومنهن :

(١) يرزأ : ينقص منه بالمصيبة ، وقوله : « جسم لا ينال منه » أي بالمرض .

مليكة بنت كعب الليثي

روى محمد بن عمر الواقدي ، عن أبي معشر ، قال : تزوج النبي صلى الله عليه وسلم مليكة بنت كعب ، وكانت تذكر بجمال بارع ، فدخلت عليها عائشة فقالت : أما تستحيين أن تنكحي قاتل أبيك ؟ فاستعادت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلقها ، فجاء قومها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالتوا : يا رسول الله ، إنها صغيرة ولا ولي لها ، وأنها خدعت فأرتجمها ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه أن يزوجه قريبا لها من بني عذرة ، فأذن لهم فتروجه العذري ، وكان أبوها قتل يوم فتح مكة ، قتله خالد بن الوليد بالخدمة . قال محمد بن عمر : مما يضعف هذا الحديث ، ذكر عائشة أنها قالت : ألا تستحيين ، وعائشة لم تكن مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح ، وعن عطاء بن يزيد الجندعي قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مليكة بنت كعب الليثي في شهر رمضان ، سنة ثمان ، ودخل بها فماتت عنده ، قال محمد بن عمر : وأصحابنا ينكرون ذلك ، ويقولون لم يتزوج كنانية قط ، وعن الزهري مثل ذلك . ومنه :

أبنة جندب بن صمرة الجندعي

قال أبو محمد الديلمي رحمه الله : روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أبنة جندب بن صمرة الجندعي ، وأنكر ذلك الواقدي ، وقال : لم يتزوج كنانية قط . ومنه :

(١) في الطبقات : لا رأى لها . (٢) الخدمة : جبل بمكة كانت به وقعة يوم فتح مكة ، وله يوم يعرف به ، هزم فيه خالد المشركين .

الْغَفَّارِيَّة

قال أبو محمد الدمياطي : قال بعضهم تزوج النبي صلى الله عليه وسلم امرأة من غفَّار، فأمرها فترعت ثيابها، فرأى بها بياضا، فقال : « ألحقى بأهلك » ويقال : إنما رأى البياض بالكلابية . ومنهن :

٦٩
١٦

خَوْلَةَ بِنْتِ الْهُذَيْلِ بْنِ هُبَيْرَةَ

أَبْنُ قَيْصَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ حُرْفَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرٍو
أَبْنُ غَنَمِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

وأما [خَرِيقٌ] ^(١) بنت خليفسة بن فرّوة بن فضالة بن زيد بن أمري القيس الكلبي، أخت دحية بن خليفة . تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهلكت في الطريق قبل وصولها إليه . حكاه أبو عمر بن عبد البر عن الجرجاني النسابة .
ومنهن :

شَرَّافٌ ^(٢) بنت خليفسة بن فرّوة الكلبية، أخت دحية بن خليفة الكلبي

قال أبو محمد الدمياطي : قال ابن الكلبي حدثنا الشَّرْقِيُّ ^(٣) بن القطامي قال : لما هلكت خَوْلَةُ بنت الْهُذَيْلِ، تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم شَرَّافَ بنت خليفة أخت دِحْيَةَ، ثم لم يدخل بها . وقال أبو عمر بن عبد البر : فهلكت قبل دخوله بها . وروى عن عبد الرحمن بن سابط ، قال : خطب رسول الله صلى

(١) الزيادة من المواهب (٣ : ٣١٢) .

(٢) في شرح المواهب عن الاستيعاب : « شراف بفتح وتخفيف الراء . وضم الفاء ، وعن كتاب العيون بكسرهما » . (٣) في نسخ الأصل وطبقات ابن سعد : « الشَّرْقِيُّ بن القطامي » وفي شرح

المواهب : « مَرِي — بالسين — ابن قطامي بفتح القاف والطاء . وميم وتخفيف خفيفة » .

الله عليه وسلم امرأة من كلب ، فبعث عائشة تنظر إليها ، فذهبت ثم رجعت ، فقال لها : « ما رأيت » ؟ فقالت ما رأيت طائلا . فقال صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت خالا يخذها آفشعرت كل شعرة منك » فقالت : يا رسول الله ، مادونك سر . ومنهن :

خولة بنت حكيم

أبن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ثعلبة بن ذكوان
 ابن أمير القيس بن سليم^(١) . ويقال فيها : خويلة بنت حكيم ، وأمها صفيية^(٢)
 بنت العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي . قال ابن الكلبي :
 كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فأرجأها
 وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت عند عثمان بن مظعون مات عنها .
 وعن عمرو قال : خولة بنت حكيم ممن وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم .
 وقال أبو عمرو بن عبد البر : خولة تكنى أم شريك ، وهي التي وهبت نفسها للنبي ،
 في قول بعضهم ، وكانت امرأة فاضلة صالحة ، روى عنها سعد بن أبي وقاص ،
 وسعيد بن المسيب ، وهي التي قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فتح الله
 عليك الطائف فأعطني حلي بادية بنت غيلان ، أو حلي القارعة بنت عقيل
 كما تقدم . ومنهن :

ليلى بنت الخطيم بن عدي

أبن عمرو بن سواد بن ظفر بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ، وهو النبي بن
 مالك بن الأوس ، وهي أخت قيس بن الخطيم ، وأسم الخطيم ثابت ، وأسم ظفر
 كعب .

(١) في أسد الغابة والإصابة : فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهمة بن سليم .

(٢) في طبقات ابن سعد : « ضبيعة » .

قال محمد بن سعد : عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : ^(١) كانت ليلى بنت الخيطيم وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقبلها ، وكانت تركب بعولتها ركوبا شديدا ، وكانت سيئة الخلق ، فقالت : لا والله ، لأجعلن محمدا لا يتزوج في هذا الحى من الأنصار ، والله لا يتنه ، ولأهبن نفسى له ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم مع رجل من أصحابه ، فما راعه إلا بها وإضعة يديها عليه ، فقال : « من هذا ؟ أكله الأسد » فقالت : أنا ليلى بنت سيد قومها ، قد وهبت نفسى لك ، قال : « قد قبلتك ، أرجى حتى يأتك أمرى » فأتت قومها فقالوا : أنت امرأة ليس لك صبر على الضرائر ، وقد أحل الله لرسوله أن ينكح ما شاء ، فرجعت فقالت : إن الله أحل لك النساء ، وأنا امرأة طويلة اللسان لا صبر لى على الضرائر ، وأستقالته فقال : « قد أقتلك » .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أقبلت ليلى بنت الخيطيم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مولى ظهره إلى الشمس ، فضربت على منكبيه ، فقال : « من هذا ؟ أكله الأسد » وكان كثيرا ما يقولها ، فقالت : أنا بنت مطعم الطير ومبارى الريح ، أنا ليلى بنت الخيطيم ، جئتك لأعرض عليك نفسى ، تزوجنى ، قال : « قد فعلت » فرجعت إلى قومها ، فقالت : قد تزوجنى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : بأس ما صنعت ، أنت امرأة غيرى ، والنبي صلى الله عليه وسلم صاحب نساء ، تغارين عليه فيدعو الله عليك ، فأستقبله نفسك ، فرجعت فقالت : يا رسول الله ، أقتلنى ، قال : « قد أقتلك » قال : فترجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر ، فولدت له ، فيبناهى فى حائط من حيطان المدينة تغتسل ، إذ وثب عليها ذئب فأكل بعضها ، وأدركت فماتت . ومنهن :

(١) كذا فى الأصل ، والسند فى ابن سعد : « أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني محمد بن صالح بن دينار ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال ... » (٢) تركب بعولتها : المراد أنها شديدة التسلط على أزواجها .

ليلى بنت حكيم الأنصارية

الأوسية، التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو عمر بن عبد البر :
ذكرها أحمد بن صالح المصري في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ولم يذكرها غيره
فيما علمت . والله تعالى أعلم . ومنهون :

أم شريك وأسمها غزيرة

بنت دودان بن عوف بن عمرو بن عامر بن رباحة بن منقذ بن عمير بن معيص
ابن عامر بن لؤي . وقال أبو عمر : غزيرة الأنصارية من بني النجار .

قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله : اختلف فيها، فكان محمد بن عمر
يقول : هي من بني معيص بن عامر بن لؤي، وكان غيره يقول : هي دوسية من
الأزد، وقيل : هي أنصارية . وروى ابن سعد، عن محمد بن عمر، عن موسى بن محمد
ابن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال : كانت أم شريك امرأة من بني عامر بن لؤي،
معيصية وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها، فلم تزوج حتى
ماتت . وروى عن وكيع عن زكريا عن عامر في قوله عز وجل : « تُرْجَى مِنْ نَسَاءٍ
مِنْهُمْ » ؛ قال : كل نساء وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم، فدخل بعضهم
وأرجأ بعضا فلم ينكحن بعده، منهون : أم شريك . وعن الشعبي قال : المرأة التي
عزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شريك الأنصارية . وعن علي بن الحسين :

(١) تعقبه في أسد الغابة فقال : « هي ليلى بنت الخطيم الأنصارية الأوسية التي وهبت نفسها للنبي

صلى الله عليه وسلم ، ويشبهه الخطيم بالحكيم » .

(٢) ورجحه أبو عمر وقال : « وهو الصواب إن شاء الله » .

(٣) آية ٥١ سورة الأحزاب . (٤) عزل : فارق .

أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم شريك الدوسية، ومثله عن عكرمة . وروى محمد بن سعد عن محمد بن عمر قال : حدثني الوليد بن مسلم ، عن مئير بن عبد الله الدوسي قال : أسلم زوج أم شريك^(١) — وهي غزيرة بنت جابر بن حكيم الدوسية من الأزدي — وهو أبو العكر، فهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي هريرة، ومع دوس حين هاجروا، قالت أم شريك : بخاءني أهل أبي العكر فقالوا : لعلك على دينه ، قلت : إني والله ، إني لعل دينه ، قالوا : لا جرم ، والله لعذبك عذابا شديدا ، فأرتحلوا بنا من دارنا ، ونحن كما يذئ الخلصة ، فساروا يريدون منزلا ، وحملوني على حمل^(٢) فقال ، شرركابهم وأغلظه ، يطعموني الخبز بالعسل ، ولا يسقوني قطرة من ماء ، حتى إذا أنتصف النهار وسخنت الشمس ، ونحن قاطنون^(٣) ، فنزلوا فضربوا أخبيتهم وتركوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري ، ففعلوا بي ذلك ثلاثة أيام ، فقالوا لي في اليوم الثالث : آتركي ما أنت عليه ، قالت : فما دريت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة ، فأشير بإصبعي إلى السماء بالتوحيد ، قالت : فوالله إني لعل ذلك ، وقد بلغني الجهد ، إذ وجدت برد دليو على صدرى ، فأخذته فشربت منه نفسا واحدا ، ثم أترع مني ، فذهبت أنظر فإذا هو معلق بين السماء والأرض ، فلم^(٤)

- ١٥ (١) في الإصابة ما يدل على أن أبا العكر والد أم شريك ، ثم قال : « ويمكن الجمع بأن تكون كنية والدها وزوجها آتفتقا » ، وفي أسد الغابة : أنه ابن أم شريك .
 (٢) بحاشية نسخة ج : « جعل نفال يفتح التاء المثلثة أى يطلى » ، وبكسر التاء جلد يسقط تحت الرحي يسقط عليه الدقيق .
 (٣) في الفعسل نونان ، الأولى علامة الرفع ، والثانية فاصلة بين الفعل والياء ، وحذفت إحداهما تخفيفا . وقرئ بالخذف في : « أتحتاجوني » و « تأمروني » .
 ٢٠ (٤) قاطنون : أى في وقت القبط وهو شدة الحر .
 (٥) النفس بالتحريك : الجرعة .

٧١
١٦

أقدر عليه، ثم دُتَّى الثانية فشربت منه نَفْسًا، ثم رفع، فذهبت أنظر، فإذا هو بين
الماء والأرض، ثم دُتَّى الثالثة فشربت منه حتى رويت، فأهرقت على رأسي
ووجهي وثيابي، قالت: نخرجوا فنظروا، فقالوا: من أين لك هذا يا عدوة الله؟
قالت فقلت لهم: إن عدو الله غيري؛ من خالف دينه، فأما قولكم من أين هذا
فمن عند الله رزقا رزقنيه الله، قالت: فأطلقوا سراعا إلى قريتهم فوجدوها موكَّاة
لم تحل، فقالوا: نشهد أن ربك هو ربنا، فإن الذي رزقك ما رزقك في هذا
الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا، هو الذي شرع الإسلام، فأسلموا وهاجروا جميعا
إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يعرفون فضلي عليهم، وما صنع الله إلي، قال:
وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، وكانت جميلة وقد أسنت، فقالت:
إني وهبت نفسي لك، وأتصدق بها عليك، فقبلها النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت
عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك؛
فسماها الله مؤمنة، فقال تعالى: «وَأَمْرًا مَوْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ^(١)»
فلما نزلت هذه الآية قالت عائشة: إن الله ليسرع لك في هوائك^(٢) يا رسول الله
ومنهن:

الشَّنبَاء

ذكرها الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدماطي رحمه الله، في أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر لها ترجمة. فلنذكر من خطبتن صلى الله
عليه وسلم.

(١) آية ٥٠ سورة الأحزاب . (٢) في هوائك: أى في رضاك؛ قال القرطبي: «هذا قول

أبرزه الدلال والغيرة وإلا فلا يجوز إضافة الهوى إليه صلى الله عليه وسلم» .

ذِكْرُ مَنْ خَطَبَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النِّسَاءِ
وَلَمْ يَتَّفِقْ تَزْوِيجُهُنَّ . مِنْهُنَّ :
أُمُّ هَانِيَّ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ

- ٥ ابن عبد المطيب بن هاشم ، وأسمها فَاخْتَةَ ، وقال ابن الكلبي : أسمها هِنْدُ ،
وهي أخت علي بن أبي طالب ، وعَقِيلٌ وجعفر وطالب ، شَقِيقَتُهُمْ ، وأمهم فاطمة
بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ،
قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب أخته أم هانئ في الجاهلية ،
وخطبها هُبَيْرَةُ بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، فزوجها هُبَيْرَةَ ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا عم ، زوجت هُبَيْرَةَ وتركتني » ! فقال : يا بن أخي
١٠ إنا قد صاهرنا إليهم ، والكريم يكافي الكريم . ثم أسلمت ففرق الإسلام بينها وبين
هُبَيْرَةَ ، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسها فقالت : والله إن كنت
لأحبك في الجاهلية ، فكيف في الإسلام ، ولكني امرأة مُصَيَّبِيَّةٌ وأكره أن يؤذوك .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير نساء ركب المطايا نساء قريش ، أحناء^(٢)
على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده » . ومنهن :

ضُبَاعَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ قُرْطٍ

- ١٥ ابن سلمة بن قُشَيْرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ .
روى هشام بن محمد الكلبي ، عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال :
كانت ضُبَاعَةُ بنت عامر عند هَوْدَةَ بن علي الحنفي ، فهلك عنها فوزئها مالا كثيرا ،

(١) في أسد الغابة والإصابة : « هُبَيْرَةُ بن عمرو » .

(٢) أحناء : أشفقه . وأرعاه : أحفظه ، وذكر الضمير في « أحناء » و « أرعاه » وكان القياس

« أحناء » و « أراعاه » باعتبار اللفظ أو الجنس أو الشخص أو الإنسان . (القسطلاني ٨ : ١٧) .

فتزوجها عبد الله بن جُدعان التيمي، وكان لا يولد له فسالته الطلاق فطلقها، فتزوجها هشام بن المغيرة فولدت له سلمة، وكان من خيار المسلمين، فتوفى عنها هشام، وكانت إذا جلست أخذت من الأرض شيئاً كثيراً، وكانت تغطى جسدها بشعرها، فذكر جمالها عند النبي صلى الله عليه وسلم، فخطبها إلى ابنها سلمة بن هشام ابن المغيرة، فقال: حتى أستأمرها، وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إنها قد كبرت فاتاها أيها فقالت: ما قلت له؟ قال: قلت حتى أستأمرها، فقالت: وفي النبي صلى الله عليه وسلم يُستأمر! أرجع فزوجه، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسكت عنه. ومنه:

٧٢
١٦

صَفِيَّةُ بِنْتُ بَسَّامَةَ^(١) بنِ نَضْلَةَ الْعَنْبَرِيِّ

قال أبو محمد: كان أصابها سبأ، فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إن شئت أنا، وإن شئت زوجك» فقالت: بل زوجي، فأرسلها فلعننتها بنو تميم. ومنه:

بَجْرَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ الْمُزَنِيِّ

خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبوها: إن بها سوءاً ولم يكن بها، فرجع إليها أبوها وقد برصت، وهي أم شيب بن البرصاء الشاعر. ومنه:

سَوْدَةَ الْقُرَشِيَّةُ

خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت مُصْبِيَةً فقالت: أكره أن تَضْغُو صَبِيَّتِي عِنْدَ رَأْسِكَ، فحَمِدَهَا وَدَعَا لَهَا، ذَكَرَهَا وَالتِي قَبْلَهَا ابْنُ الْحَوْزِيِّ

(١) بفتح الموحدة وتخفيف الشين، وقيل: بشدها.

(٢) أي يصيحون ويكفون ويضجون.

في التلقيح . وروى عن مجاهد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب فردّ لم يعد ، فخطب امرأة ، فقالت : حتى أستأمر أبي ، فلقيت أباه فأذن لها ، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له ، فقال : « قد آتحننا لخالفا غيرك » ولم يسم مجاهد اسم هذه المرأة .

وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أمامة بنت عمه حمزة

ابن عبد المطلب ، وقيل : اسمها عمارة ، فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « تلك ابنة أخي من الرضاعة » . وعرضت عليه أم حبيبة أختها .

بجميع من ذكر من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم المدخول بهن ، وغير

- ١٠ المدخول بهن ، ومن وهبت نفسها له ، أو خطبها ولم يتفق تزويجها ، أو عرضت عليه فأبأها ، نحو أربعين امرأة على ما ذكرناه من الاختلاف ، ومن أهل العلم من ينكر بعضهن ، ويقول : إنما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة امرأة ، ست منهن قرشيات لاشك فيهن ، وهن : خديجة ، وعائشة ، وسودة ، وأم سلمة ، وأم حبيبة ، وحفصة .

- ١٥ ومن العرب : زينب بنت جحش ، وميمونة بنت الحارث ، وجويرية بنت الحارث ، وأسماء بنت النعمان ، وفاطمة بنت الضحاك ، وزينب بنت خزيمة .

ومن غيرهم : ريحانة بنت زيد من بني النضير ، وصفيية بنت حبي بن أخطب .

وعن محمد بن يحيى بن حبان قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس

عشرة امرأة ، فسمى هؤلاء ، وزاد مليكة بنت كعب اللثبية . وقال أبو عبيدة :

- ٢٠ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة امرأة .

وقال محمد بن عمر الواقدي : المجمع عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أربع عشرة امرأة ، وهن اللاتي سُمين ، وفارق منهن الجوثية والكلاية ، ومات عنده خديجة ، وزينب بنت خزيمة ، وريحانة بنت زيد ، وقبيص عن تسع ، وهن المذكورات اللاتي قدمنا ذكرهن .

وقال أبو سعيد في شرف النبوة : إن جملة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين امرأة ، طلق منهن ستا ، ومات عنده خمس ، وتوفي عن عشر ، واحدة لم يدخل بها ، وكان صدقه لئسائه لكل واحدة خمسمائة درهم ، إلا صفية فإنه جعل عتقها صدقها ، وأم حبيبة أصدقها عنه النجاشي .

ذَكَرَ سَرَارِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَنَّ :

مَارِيَةَ بِنْتَ شَمْعُونَ الْقِبْطِيَّةِ

وهي أم ولده إبراهيم ، وكانت من جفن^(١) من كورة أنصنا من صعيد مصر ، أهداها له المقوقس جريج بن مينا ، ولما ولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبنته إبراهيم قال : « أعتقها ولدها » . وتوفيت مارية في المحرم سنة ست عشرة ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان عمر يحشر الناس بنفسه لشهود جنازتها ، وصلى عليها عمر ، ودُفنت بالبييع .

ورِيحَانَةُ بِنْتُ زَيْدِ النَّضْرِيَّةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبَرُهَا فِي الزَّوْجَاتِ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : كَانَ لَهُ أَرْبَعٌ ؛ وَهَنَّ مَارِيَةَ وَرِيحَانَةَ ، وَأُخْرَى جَمِيلَةٌ أَصَابَهَا فِي السُّبْحِيِّ ، وَجَارِيَةٌ وَهَبَتْهَا لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ . وَقَالَ قَتَادَةُ : كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِيدَتَانِ مَارِيَةَ وَرِيحَانَةَ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : رُبِيحَةَ الْقُرْطِيَّةِ .

(١) ذكر شارح المواهب أن اسمها « حفن » بفتح المهملة وسكون الفاء ، وكذا في شرح الفاموس ، والأصول بالجيم . (٢) ربيعة بالتصغير ، وقيل : النضرية ، والذي في الإصابة كما في الأصول « ربيعة » بالياء الموحدة ولكن شارح المواهب رسمها بالياء التحتية المنناة .

ذكر أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: كان أول من وُلِدَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة القاسم وبه كان يكنى، ثم ولدت له زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم ولد له في الإسلام عبد الله فسمى الطيب والطاهر، وأمهم كلهم خديجة رضى الله عنها. وكان أول من مات من ولده القاسم، ثم عبد الله ماتا بمكة، فقال العاصي بن وائل السهمي: "قد أنقطع ولده فهو أبتري" فأنزل الله تعالى: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» وقيل: الطيب والطاهر أثنان سوى عبد الله. وقيل: كان له الطاهر والمطهر ولدا في بطن. وقيل: كان له الطيب والمطيب ولدا أيضا في بطن. وقيل: لانهم كلهم ماتوا قبل النبوة، وكان بين كل ولدين لها سنة، وكانت تسترضع لهم. وأما البنات فكلهن أدركن الإسلام، وأسلمن وهاجرن، وسندكر إن شاء الله تعالى أخبارهن ومن تزوجهن، وما ولدن على ما تقف عليه، وهؤلاء كلهم أولاد خديجة ولِدُوا بمكة، ثم ولدت له مارية القبطية:

إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ١٥ وُلِدَ فِي ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ؛ قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: ذَكَرَ الزُّبَيْرُ عَنْ أَشْيَاخِهِ، أَنَّ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ مَارِيَةَ وَلَدَتْهُ بِالْعَالِيَةِ، فِي الْمَسْأَلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ (مَشْرَبَةُ إِبْرَاهِيمَ) بِالْقَفِّ، وَكَانَتْ قَابَاتِهَا سَمَى مَوْلَاةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
- (١) الأولى أن يقول بعد النبوة. (٢) شانتك: ميفضك، والعرب تسمى من مات له ولد ذكر أبتري، ومن ليس له ولد ذكر. وقيل السورة نزلت في أبي جهل إذ قال حين مات إبراهيم عليه السلام: بتر محمد.
- (٣) المراد به هنا الأعيان الملوكة بالعالية، والعالية على ثلاثة أميال من المدينة المنورة.
- (٤) كذا في كل نسخ الأصل. والصحيح (مشربة أم إبراهيم) كما في المواهب وغيرها.
- (٥) القف: واد بالمدينة — على ساكنها السلام — عليه مال لأهلها. (شرح القاموس).
- (٦) القابلة: المولدة، وهي قابلة الحسن والحسين رضى الله عنهما.

أمراة أبي رافع ، فبشّره أبو رافع النبي صلى الله عليه وسلم ، فوهب له عبدا ،
 فلما كان يوم سابعه عق عنه بكبش وحلق رأسه ، وحلقه أبو هند ، وسماه يومئذ ،
 وتصدق بوزن شعره ورقا على المساكين ، وأخذوا شعره فدفنوه في الأرض .
 وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولد لي الليلة غلام فسميته
 بأسم أبي إبراهيم » هذا يدل على أنه سماه في وقت ولادته ، قال الزبير : ثم دفعه
 إلى أم سيف امرأة قين بالمدينة ، يقال له : أبو سيف ، قال الزبير : وتنافست
 الأنصار فيمن يرضعه ، فجاءت أم بردة بنت المنذر بن زيد الأنصاري ، زوجة
 البراء بن أوس ، فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن ترضعه ، فكانت
 ترضعه بلبن آبئها في بني مازن بن النجار ، وترجع به إلى أمه ، وأعطى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أم بردة قطعة من نخل ، فناقلت بها إلى مال عبد الله بن زمعة .
 وتوفي إبراهيم في شهر ربيع الأول سنة عشر ، وقد بلغ ستة عشر شهرا ، مات
 في بني مازن عند ظئره أم بردة ، وهي خولة بنت المنذر بن لبيد ، وغسلته
 ودفن بالبييع . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو عاش لوضعت
 الجزية عن كل قبلى » . وقال أيضا : « لو عاش إبراهيم مارق له خال » .
 وفي حديث أنس بن مالك تصریح أن إبراهيم إنما مات عند ظئره أم سيف ، فإنه
 يقول : فأطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلقت معه ، فصادفنا أبا سيف
 ينفخ في كبره ، وقد أمتلا البيت دُخانا ، فأسرعت في المشى بين يدي رسول الله

(١) عق : ذبح عقيقة ، وهي الشاة التي تذبح يوم أسبوع الولد ، وقال عليه الصلاة والسلام :
 « قولوا نسبكم ولا تقولوا عقيقة » . (٢) القين : الحداد . (٣) في الأصول من غير نقط ،
 وفي الاستيعاب « فناقلت » باللفاف كما أثبتناها . (٤) الظئر : المرضع .
 (٥) وضع الجزية : أسقطها . (٦) رق : صار رقبا .

- صلى الله عليه وسلم ، حتى آتته إلى أبي سيف فقلت : يا أبا سيف ، أمسك ،
 جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالصبي فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول ، قال : فلقد رأيته ^(١) يكيد بنفسه ،
 فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « تدمع العين ويحزن القلب
 ٥ ولا تقول إلا ما يرضى الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » وقال أبو عمرو بن
 عبد البر : ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى على آبنه إبراهيم من غير رفع
 صوت ، وقال : « تدمع العين ويحزن القلب ، ولا تقول إلا ما يرضى الرب ،
 وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » . وعن عطاء ، عن جابر قال : أخذ النبي صلى الله
 عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف ، فأتى به النخل ، فإذا آبنه إبراهيم في حجر أمه
 ١٠ وهو يجود بنفسه ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ،
 ثم قال : « يا إبراهيم إنا لا نغنى عنك من الله شيئا » ؛ ثم ذرقت عينا ، ثم قال :
 « يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق ، وأن آخرنا سيلحق أولنا لحزننا عليك
 حزننا هو أشد من هذا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، تبكى العين ويحزن القلب
 ولا تقول ما يسخط الرب » . قالوا : ووافق موت إبراهيم كسوف الشمس ، فقال
 ١٥ قوم : إن الشمس أنكسفت لموته ، فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
 « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ؛ فإذا
 رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة » . وقال صلى الله عليه وسلم حين
 توفي إبراهيم : « إن له مريضاً في الجنة تم رضاعه » . وصلى عليه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، وكبر أربعاً ، قال ابن عبد البر : هذا قول جمهور العلماء ،

٢٠ (١) يكيد بنفسه : يجود بها ؛ يريد النزاع . (٢) النخل : موضع قريب من المدينة .
 (٣) ذرقت العين : دمعت .

وهو الصحيح ، قال : وقد قيل إن الفضل بن عباس غَسَلَ إبراهيم ، ونزل في قبره مع أُسامة بن زيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على شَفِير القبر ، قال الزبير : ورُشَّ قبره ، وأُعْلِم فيه بعلامة ، وهو أول قبر رُشَّ عليه ^(١) .

فلنذكر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن تزوجهن ، وما ولدن ووفاتهن ، وهن أربع :

زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

هي أَسَنُّ بناته رضى الله عنهن . قال أبو عمر بن عبد البر : وُلِدَت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، حكاه عن محمد بن إسحق السراج عن عبيد الله بن محمد بن سليمان الهاشمي ، وتزوج زينب أبو العاص بن ربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وهو ابن خالتها — أمه هالة بنت خويلد — قبل أن يُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفَزَق بينهما الإسلام .

وقد ذكرنا من خبر ابن العاص وأمره في غزوة بدر وإطلاقه ، وسقنا ذلك كله هناك ، وخبر إسلامه ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردَّ زينب عليه بغير مهر جديد ، ولا نكاح جديد . وقيل : بل بمهر جديد ونكاح جديد — والله تعالى أعلم — وولدت له علياً مات صغيراً ، وأمامة وهي التي حملها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة ، وعاشت أمامة حتى تزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة ، فكانت عنده حتى أُصِيب ، فخلف عليها المغيرة بن يزيد بن الحارث بن عبد المطلب ، فتوفيت عنده ، وماتت زينب في سنة ثمان من الهجرة .

(١) في أسد الغابة : «رُشَّ على قبره ماء ، وعلم على قبره بعلامة ، وهو أول قبر رُشَّ عليه الماء» .
 (٢) أي قبل أن ينزل القرآن على النبي — صلى الله عليه وسلم — بتحريم المسلمات على الكفار (آية ١٠ سورة المنحة) .

قال أبو عمر : وكان سبب موتها أنها لما خرجت من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عمد لها هبار بن الأسود ورجل آخر فدفعها أحدهما فيما ذكروا ، فسقطت على صخرة فأسقطت وأهراق الدماء ، فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت رضى الله عنها .

ورقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

٧٥
١٦

- قال أبو عمر بن عبد البر : ذكر أبو العباس محمد بن إسحق السراج ، قال سمعت عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر بن سليمان الهاشمي يقول : ولدت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وكانت رقية عند عتبة بن أبي لهب ، وأختها أم كلثوم عند عتبة بن أبي لهب ، فلما أنزل الله تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » - السورة - قال لهما أبوهما أبو لهب وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية ، حمالة الحطب : فارقا ابنتي محمد ، وقال أبو لهب : رأسي من رأسيكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد ، ففارقاهما ، فتروج عثمان بن عفان رقية بمكة ، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ، وولدت له هناك ابنا فسماه عبد الله وبه كان يُكنى ، فبلغ الغلام ست سنين ، فنقر عينه ديك وتورم وجهه فمرض ومات . وماتت رقية رضى الله عنها في شهر رمضان ، على رأس تسعة عشر شهرا من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر ، ودفنت عند وصول زيد بن حارثة بالبشارة بوقعة بدر ، وكانت قد أصابها الحصبة ، وتختلف عثمان بن عفان رضى الله عنه عن غزوة بدر بسبب مرضها ، بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو عمر بن عبد البر : كانت فاطمة هي وأختها أم كلثوم أصغر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأختلف في الصغرى منهما . وقال ابن السراج : سمعت عبيد الله الهاشمي يقول : ولدت فاطمة رضي الله عنها في سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وقعة أحد . وقيل : إنه تزوجها بعد أن آتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها ، بأربعة أشهر ونصف ، وبني بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ونصف ، وكانت سنّها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف . قال أبو عمر : وأختلف في مهره إياها ، فروى أنه مهرها درعه ، وأنه لم يكن له ذلك الوقت صفراء ولا بيضاء ، وقيل : تزوجها على أربعمائة وثمانين درهما فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل ثلثها في الطيب ، قال : وزعم أصحابنا أن الدرّع قدّمها عليّ من أجل الدخول ، بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه بذلك ، فولدت رضي الله عنها له حسنا وحسينا ومُحسّينا فذهب مُحسّن صغيرا . وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى علي رضي الله عنه قال : لما وُلِدَ الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أروني آبي ما سمّيتهوه» ؟ قلت : سمّيته حربا ، قال : «بل هو حسن» فلما وُلِدَ الحسين قال : «أروني آبي ما سمّيتهوه» ؟ قلت : سمّيته حربا ، قال : «بل هو حسين» فلما وُلِدَ الثالث جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «أروني آبي ما سمّيتهوه» ؟ قلت : سمّيته حربا ، قال : «بل مُحسّن» ، ثم قال : «إني سمّيتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر» . وولدت له رقية وزينب

(١) قال في القاموس وشرحه : «شبر كقِم ، وشبير كقَمير مصغرا ، وفي التكملة مثل أمير ، ومشبر

كحدث أبناء هرون عليه السلام» .

وَأُمُّ كُثُومٍ، فَهَلَكَتْ رُقَيْبَةَ، وَلَمْ تَبْلُغْ، وَتَزَوَّجَ زَيْنَبُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَمَاتَتْ عِنْدَهُ، وَوُلِدَتْ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَتَزَوَّجَ أُمُّ كُثُومٌ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَوُلِدَتْ لَهُ زَيْدُ بْنُ عُمَرَ، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ عُونَ بْنُ جَعْفَرٍ فَلَمْ تَلِدْ لَهُ حَتَّى مَاتَ، وَخَالَفَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ فَوُلِدَتْ لَهُ حَارِثَةُ وَمَاتَتْ عِنهَا. نَخَلَفَ عَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ جَعْفَرٍ فَلَمْ تَلِدْ لَهُ شَيْئًا وَمَاتَتْ عِنْدَهُ، وَقِيلَ: بَلْ تُوُفِّيَ عِنهَا، وَمَاتَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: بِثَمَانِيَةِ.

٧٦
١٦

وَأُمُّ كُثُومٍ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَدْ ذَكَرْنَا الْأَخْتِلَافَ فِي أَيُّهُمَا أَصْغَرَ سِنًا هِيَ أَوْ فَاطِمَةُ، وَكَانَتْ عِنْدَ عُتَيْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ أَبَوَاهُ وَلَاخِيهِ مَا قَالَا طَلَّقَا بِنْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَبْنِيَا بِهِمَا، وَجَاءَ عُتَيْبَةَ حِينَ فَارَقَ أُمُّ كُثُومٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: كَفَرْتَ بِدِينِكَ وَفَارَقْتَ آبَتَكَ وَسَطَا عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَسْلُطَ عَلَيْكَ كَلْبًا مِنْ كِلَابِهِ» وَكَانَ خَارِجًا إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ قَرَيْشٍ، حَتَّى نَزَلُوا مَكَانًا مِنَ الشَّامِ يُقَالُ لَهُ الزَّرْقَاءُ لَيْلًا، فَاطَّافَ بِهِمُ الْأَسَدُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، بِخُفْلٍ عُتَيْبَةَ يَقُولُ: يَا وَيْلَ أُمَّهِ، هُوَ وَاللَّهِ آكَلَهُ بِدَعْوَةِ مُحَمَّدٍ، قَاتَلِي أَبْنُ أَبِي كَبْشَةَ وَهُوَ بِمَكَّةَ وَأَنَا بِالشَّامِ. وَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: يَا مَعْشَرَ قَرَيْشٍ، أَعَيْنُونَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ، فَإِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ، بِخُفْمَعُوا أَحْمَالَهُمْ وَفَرَشُوا لِعُتَيْبَةَ فِي أَعْلَاهَا وَنَامُوا حَوْلَهُ، فَقِيلَ: إِنَّ الْأَسَدَ أَنْصَرَفَ عَنْهُمْ حَتَّى نَامُوا وَعُتَيْبَةُ

(١) اطَّافَ بِهِمْ: أَحاطَ بِهِمْ، وَفِي الْمَصْبُوحِ: اطَّافَ بِالنَّبِيِّ. أَحاطَ بِهِ.

(٢) الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ: «يَا وَيْلَ أُمِّي، آكَلَنِي...». وَكَذَا فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ وَغَيْرِهِ.

(٣) فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ: «أَقَاتَلِي». بِاسْتِفْهَامٍ.

في وسطهم ، ثم أقبل يتخطاهم ويتشممهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه^(١) . قال أبو عمر : ولما ماتت ربيعة تزوج عثمان بن عفان بأم كلثوم في شهر ربيع الأول من السنة الثالثة من الهجرة ، وبني عليها في جمادى الآخرة من السنة ، وتوفيت أم كلثوم رضی الله عنها في السنة التاسعة من الهجرة ، ولم تلد لعثمان شيئا ، وكانت وفاتها في شعبان ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان : « لو كانت عندنا نائلة زوجنا كها يا عثمان » وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في حفرتها على بن أبي طالب ، والفضل بن العباس وأسامة بن زيد . وقد روى أن أبا طلحة الأنصاري استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل معهم في قبرها فأذن له . وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب ، وهي التي شهدت أم عطية غسلها ، وحكت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أغسلنها وترا ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك » الحديث^(٢) . قال : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبر أم كلثوم .

ذكر أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمومة أحد عشر ، أولاد عبد المطلب
 ابن هاشم ، وهم :

الحارث — وبه كان يُكنى ؛ لأنه أكبر ولده ، ومن ولد الحارث وولد ولده
 جماعة لهم صحبة من النبي صلى الله عليه وسلم ، منهم أبو سفيان بن الحارث ،

(١) فدغه : شدخه وكسره .

(٢) الحديث في أسد الغابة في ترجمة أم عطية : « أغسلنها وترا ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك إن رأيتن وأغسلنها بما وسدر وأجعلن في الآخرة كافورا أو شيئا من كافور فإذا فرغتن فأذني » فلما فرغنا آذناه فألني إلينا حقوه فقال : « أشعرنها إياه » والحقو : الإزار ، وقوله : « أشعرنها » أي أجعلته شعارها الذي يلى جسدها ، تبركا بأثره الشريف .

أسلم عام الفتح كما ذكرنا في غزوة الفتح وشهد حنيناً ، ونوفل بن الحارث هاجر
 وأسلم أيام الخندق ، وعبد شمس وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .
 وقم بن عبد المطلب — وهو أخو الحارث لأبويه ، مات صغيراً .

الثالث — الزبير بن عبد المطلب ، وكان من أشرف قريش . وأبنيه عبد الله
 ابن الزبير شهد حنيناً وثبت يومئذ وأستشهد بأجنادين^(١) ، وضباعة بنت الزبير ، لها
 صحبة ، وأم الحكم بنت الزبير ، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الرابع حمزة بن عبد المطلب

كان يقال له : أسد الله وأسد رسوله ، ويكنى أبا عماره وأبا يعلى^(٢) . وهو أخو رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع^(٣) . وقد قدمنا في أنباء هذه السيرة خبر إسلامه
 ومقتله في غزوة أحد . ولم يكن له إلا ابنة واحدة . وقيل : أبتنان . وقد
 ذكرناهما فيمن عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء فأباهن .

والخامس العباس بن عبد المطلب

كان يكنى أبا الفضل بأبنة الفضل بن العباس ، وكان العباس أسق من رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بستين ، وقيل : بثلاث سنين ، وأمه تثلة ، ويقال :
 ثنيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مائة بن عامر وهو

(١) أجنادين : موضع بنواحي فلسطين كانت به وقعتة بين المسلمين والروم مشهورة ، وهي من
 الحروب الخاسمة كانت الغلبة فيها للمسلمين .

(٢) في أسد الغابة : « أبو يعلى وقيل أبو عماره كنى بأبنيه يعلى وعماره » .

(٣) أرضعتها ثويبة جارية أنى لهن ، وهي غير حليلة المشهورة التي أرضعت النبي صلى الله

عليه وسلم .

(١) الضَّحْيَانِ بن سعد بن الحَزْرَجِ بن تَيْمِ اللهِ بن النِّمْرِ بن قَاسِطٍ . وهى أولُ عَرَبِيَّةٍ كَسَتْ البيتَ الحرامَ الحَرِيرَ وَالذَّبِيحَ وَأَصْنَافَ الكُتُوبِ . وذلك أن العباسَ ضَلَّ وهو صَبِيٌّ ، فنذرتُ إن وَجَدتهُ أن تكسو البيتَ الحرامَ ، فوجدته ففعلت .

وقد تقدّم من خَبَرِ العباسِ فى غزوةِ بَدْرٍ عند أسره ، وقوله لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم : **إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا ، وَإِن القومَ اسْتَكْرَهُونِي عَلَى الخُرُوجِ .**

وقال أبو عمر بن عبد البر : أسلم العباس قبل خَبِيرٍ وكان يكتم إسلامه . قال : ويقال إنه أسلم قبل بَدْرٍ ، وكان يكتب إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بأخبارِ المشركين ، وكان يُحِبُّ أن يَقْدَمَ عَلَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : **« إن مُقَامَكَ بِمَكَّةَ خَيْرٌ »** فلذلك قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : **« من لقي منكم العباس فلا يقتله فإنه أخرج كرها »** .

وكان العباس أنصر الناس لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم بعد أبي طالب ، وولى السَّقَايَةَ بعد أبي طالب وقام بها ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُكْرِمُ العباس بعد إسلامه وَيُعْظِمُهُ وَيُجِلُّهُ ، ويقول : **« هذا عمى وصينو أبى »** . وكان العباس جَوَادًا مُطْعِمًا ، وَصُولًا لِلرَّحِمِ ، ذَا رَأْيٍ حَسَنٍ ، وَدَعْوَةَ مَرَّجُوتٍ .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس فى سنة سبع عشرة وذلك عام الرَّمَادِ^(٢) ، وكانت الأرض أجْدَبَتْ إجدابا شديدا . فقال كَعْبُ لعمرو : يا أمير المؤمنين ، إن بنى إسرائيل كانوا إذا أضاهم مثل هذا استسقوا بعصبة

(١) أول من كسا الكعبة الذبيح تبع ملك حمير على المشهور ، وكان المصنف أراد أول امرأة عربية ، وثلاثة كعوزة وثلاثة كجهمية بنون وتاء . والثلة بفتح النعام .

(٢) الرمادة : من أرمد القوم أحلوا وأسنوا حتى هلكت المواشى ، وقيل : سبى عام الرمادة لتتابع الجدب حتى صير الأرض والشجر مثل لون الرماد . وقيل : عام الرمادة سنة ثمانى عشرة واقتصر عليه العيني عن ابن سعد .

- الأنبياء . فقال عمر رضى الله عنه : هذا عمُّ النبي صلى الله عليه وسلم وصنوُّ أبيه ،
 وسيدُّ بنى هاشم . فمشى إليه عمر فشكا إليه ما فيه الناس . ثم قال : اللهم إنا قد
 تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِعَمِّ نَيْنَا وَصِنُوْ أَبِيهٖ ، فَاسْقِنَا الْغَيْثَ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ . ثم قال :
 يَا أَبَا الْفَضْلِ قُمْ فَادْعُ . فقام العباس فقال بعد حمد الله والثناء عليه : اللهم إن عندك
 سحَابًا وَعِنْدَكَ مَاءٌ ، فَأَنْثُرِ السَّحَابَ ، ثُمَّ أَنْزِلِ الْمَاءَ مِنْهُ عَلَيْنَا ، فَاشْدُدْ [بِهِ] الْأَصْلَ ،
 وَأَطِلْ بِهِ الْقَرْعَ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تَنْزِلْ بَلَاءَ إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَلَمْ تَكْشِفْهُ إِلَّا بِتَوْبَةٍ ، وَقَدْ
 تَوَجَّهَ الْقَوْمُ بِي إِلَيْكَ فَاسْقِنَا الْغَيْثَ ، اللَّهُمَّ شَفِّعْنَا فِي أَنْفُسِنَا وَأَهْلِينَا ، اللَّهُمَّ إِنَّا شُفِّعَاءُ
 عَمِّنْ لَا يَنْطِقُ مِنْ بَهَائِمِنَا وَأَنْعَامِنَا ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا سَقِيًّا وَادِّعَا ، نَافِعًا طَبَقًا سَحًّا عَاقِمًا .
 اللَّهُمَّ لَا نَرْجُو إِلَّا إِيَّاكَ ، وَلَا نَدْعُو غَيْرَكَ ، وَلَا نَرْغَبُ إِلَّا إِلَيْكَ . اللَّهُمَّ إِلَيْكَ نَشْكُو
 جُوعَ كُلِّ جَائِعٍ ، وَعُرْيَ كُلِّ عَارٍ ، وَخَوْفَ كُلِّ خَائِفٍ ، وَضَعْفَ كُلِّ ضَعِيفٍ .
 ١٠ . في دعاء كثير .

- قال ابن عبد البر : وهذه الألفاظ كلها لم تجئ في حديث واحد ، ولكن
 جاءت في أحاديث جمعها وأختصرتها ولم أخالف شيئاً منها ، وفي بعضها : فسقوا
 والحمد لله . وفي بعضها قال : فَأَرَخَتِ السَّمَاءُ عَزَّالِيهَا بَغْضَاءً بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ ، حَتَّى
 اسْتَوَتْ الْجُفْرُ بِالْآكَامِ ، وَأَخْصَبَتِ الْأَرْضُ ، وَعَاشَ النَّاسُ . فقال عمر : هذا
 ١٥ . والله الوَسِيلَةَ إِلَى اللَّهِ وَالْمَكَانَ مِنْهُ . وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي ذَلِكَ :

(١) الزيادة من الاستيعاب .

(٢) طبقاً : ما لنا للأرض مغطياً لها . سحاً : شديد الانصباب .

(٣) العزالي ، جمع عزلاء . وزان حمراء : فم المزايدة الأسفل . وأرسلت السماء عزالها إشارة إلى شدة

٢٠ . وقع المطر على التشبيه بنزوله من أفواء المزايدات . ويروى : « فأرخت السماء شأبيب مثل الجبال » .

(٤) الجفرة (جمع جفرة) : وهي الحفرة الواسعة المستديرة .

سَأَلَ الْإِمَامُ وَقَدْ تَتَابَعُ جَدُّنَا * فَسَقَى النَّهْمَ بُغْرَةَ الْعَبَّاسِ
عَمَّ النَّبِيَّ وَصَنُو وَالِدَهُ الَّذِي * وَرِثَ النَّبِيَّ بِذَلِكَ دُونَ النَّاسِ
أَحْيَا إِلَهُهُ بِهِ الْبِلَادَ فَأَصْبَحَتْ * مُحْضَرَّةَ الْأَجْنَابِ بَعْدَ الْيَاسِ

وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب :

بَعَى سَقَى اللَّهِ الْجِجَارَ وَأَهْلَهُ * عَشِيَّةً يَسْتَسْقِي بِسَيْبَتِهِ عُمَرَ
تَوَجَّهَ بِالْعَبَّاسِ فِي الْجَدْبِ رَاغِبًا * فَمَا كَرَّ حَتَّى جَاءَ بِالذِّمَّةِ الْمَطْرَ

وتوفي العباس - رضى الله عنه - بالمدينة يوم الجمعة لآئنتى عشرة ليلة خلت من شهر رجب . وقيل : من شهر رمضان سنة آئنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان وصلى عليه عثمان ، ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان وثمانين سنة . وقيل : تسع وثمانين سنة . وقال خليفة بن خياط : كانت وفاة العباس سنة ثلاث وثلاثين ، ودخل قبره ابنه عبد الله . وكان للعباس من الولد : الفضل وهو أكبر أولاده وبه كُتِبَ ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وقثم . ولهم صحبة . وعبد الرحمن ومعبد ولدا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم استشهدا بإفريقية في خلافة عثمان بن عفان ، وأم حبيب ، كلهم من أم الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية ، وهى أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، يقال : إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة ، وكانت من المسجبات ، وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالي :

مَا وَلَدَتْ نَجِيْبَةً مِنْ فَخْلِ * يَجْبَلُ نَعْلَهُ وَسَمَلِ
كَسَيْتَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّ الْفَضْلِ * أَكْرَمَ بِهَا مِنْ كَهْلَةٍ وَكَهْلِ
عَمَّ النَّبِيَّ الْمُصْطَفَى ذَى الْفَضْلِ * وَخَاتَمَ الرُّسُلِ وَخَيْرَ الرُّسُلِ

وكان له من غير أم الفضل أربعة ذكور، وهم : عون^(١)، والحارث أمه من هذيل .
وكثير وتمام أمهما أم ولد^(٢)، وكان أصغر أولاد العباس فكان العباس يحمله ويقول :

تَمَّوْا بِتَمَّامٍ فَصَارُوا عَشْرَهُ * يَا رَبِّ فَاجْعَلْهُمْ كِرَامًا بَرَّةَ

* وَاجْعَلْ لَهُمْ ذِكْرًا وَأَنْتَ الثَّمَرَةُ *

- ويقال : ما رؤيت قبوراً أشد تباعداً بعضها من بعض من قبور بني العباس ، ولدتهم
أمهم أم الفضل في دار واحدة ، آستشهد الفضل بأجنادين ، ومات معبد وعبد الرحمن
بإفريقية ، وتوفي عبد الله بالطائف ، وعبيد الله باليمن ، وقمَّ بسمرقند وكثير ببنبع .
وتوفي العباس بعد أن كَفَّ بصره . ولم يُسلم من أعمام رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا حمزة والعباس رضي الله عنهما .

- ١٠ والسادس من عمومته صلى الله عليه وسلم — أبو طالب وأسمه عبد مناف
وهو أخو عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم لأبويه . وعاتكة صاحبة الرؤيا
في شأن بدر ، أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم . وقد تقدم
من أخباره ونصرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نستغني عن إعادته في هذا
الموضع . وكان له من الولد طالب مات كافراً ، وعقيل وجعفر وعلي وأم هاني
لهم صحبة ، وجمانة . وحكى أبو عمر بن عبد البر : كان علي بن أبي طالب أصغر
من أخيه جعفر بعشر سنين ، وكان جعفر أصغر من عقيل بعشر سنين ، وكان عقيل
أصغر من طالب بعشر سنين .

والسابع من عمومته رسول الله صلى الله عليه وسلم — أبو لهب .

(١) قال أبو عمر : « لم أظف على اسم أمه » .

(٢) قال في أسد الغابة : « أمه أم ولد رومية » .

وَأَسْمَهُ عَبْدُ الْعَزْزِيِّ كَنَاهُ أَبُوهُ بِذَلِكَ لِحَسَنِ وَجْهِهِ، وَمِنْ أَوْلَادِهِ عُتْبَةُ، وَمُعْتَبٌ
ثَبَتَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَعُتْبَةُ قَتَلَهُ الْأَسَدَ بِالزَّرْقَاءِ
كَأَتَقَدَّمَ ^(١).

الثامن — عبد الكعبة، وقيل: هو المقوم ^(٢)، ومنهم من جعل المقوم غير
عبد الكعبة بفعل عمومته أثنى عشر.

والناسع — حَجَلٌ وَأَسْمُهُ الْمَغِيرَةُ ^(٣).

والعاشر — ضِرَارٌ وَهُوَ أَخُو الْعَبَّاسِ لِأَبَوَيْهِ.

والحادى عشر — الْغَيْدَاقُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ قَرِيشٍ، وَأَكْثَرَهُمْ إِطْعَامًا.
ومنهم من جعل الغيداق حَجَلًا وَعَدَّهُمْ عَشْرَةً. حكاها ابن عبد البر. وقد عدّ الزبير
ابن بَكَّارٌ أَوْلَادَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ثَلَاثَةَ عَشْرٍ، وَعَدَّ الْمَقُومَ غَيْرَ عَبْدِ الْكَعْبَةِ، وَجَعَلَهُ شَقِيقَ
حَمْزَةَ وَحَجَلٍ وَصَفِيَّةٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

ذِكْرُ عَمَّاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان له من العمات صلى الله عليه وسلم ست: الأولى — صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ،
وَأُمُّهَا هَالَةُ بِنْتُ وَهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ، وَهِيَ شَقِيقَةُ حَمْزَةَ وَالْمَقُومِ وَحَجَلٍ،
كَانَتْ صَفِيَّةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ الْحَارِثِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، ثُمَّ هَلَكَ
عنها وتزوجها العوام بن خويلد بن أسد فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة.
وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين من الهجرة ولها ثلاث وسبعون
سنة. ودفنت بالبقيع بفناء دار المغيرة بن شعبه، ولها هجرة.

(١) راجع ص ٢١٤ من هذا الجزء، والمواهب ٣ : ٢٣٧

(٢) في السيرة الحلبية بفتح الواو وكسرهما مشددة.

(٣) في السيرة الحلبية: بتقديم الجيم على الحاء والجمل السقاء الضخم، وقيل بتقديم الحاء مفتوحة على

الجيم — وهو الثابت هنا — وهو في الأصل القيد والخنازير. (٤) وأسمه مصعب وقيل نوفل.

وعاتِكَةُ بنت عبد المُطَلِّب

أختلف في إسلامها، وهي صاحبة الرؤيا^(١)، وكانت عند أبي أمية بن المغيرة
أبن عبد الله المخزومي، فولدت له عبد الله أسلم وله صحبة^(٢)، وزُهَيْرًا، وقُرَيْبَةَ الكُبْرَى.

وأَرْوَى بنت عبد المطلب

- وقد اختلف أيضا في إسلامها، وكانت عند عُمَيْرِ بْنِ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ
أبن قصي، فولدت له طَلَيْبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وكان من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا
وقتل بأجنادين شهيدا.

وأُمِّيَّةُ بنت عبد المطلب

- كانت عند جَحْشِ بْنِ رِيَّابٍ، ولدت له عبد الله بن جَحْشٍ قتل بأحد شهيدا،
وأبا أحمد الأعمى الشاعر وأسمه عبد، وزينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم،
وأُمَّ حَبِيْبَةَ وَحْمَةَ^(٤)، كلهم له صحبة، وعبيد الله بن جَحْشٍ، أسلم ثم تنصرت ومات
بالحبشة كافرا.

٧٩
١٦

(١) وهي رؤياها في وقعة بدر؛ قالت: رأيت في المنام قبل قدوم خير العير بثلاث ليل بالرجلا
أقبل على بعير، فوقف بالأبطح فقال: أنقروا يا آل غالب لمصارعكم، في ثلاث، ثم أخذ صخرة فأرسلها
من رأس الجبل فأقبلت تهوى حتى ما بين دار ولا بيت إلا دخل فيها بعضها. فصَدَّقَ اللهُ رؤياها. راجع
الإصابة وغيرها من كتب السيرة.

(٢) أفراد عبد الله بالصحة يشعرون زهيرا ليس بصحابي، والذي في شرح المواهب أنهما أسلمتا
وصحبا. وفيه: وقرية بفتح القاف — وقيل بالتصغير.

(٣) في المواهب (٣: ٣٤٦): «عبد بلا إضافة، وقيل عبد الله وهو وهم من السابقين».

(٤) أم حبيبة بها آخرها، ويروى أم حبيب بلا هاء.

وبرة بنت عبد المطلب

وكانت عند عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له
أبا سلمة وأسمه عبد الله ، وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب

وكانت عند كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، فولدت
له أروى بنت كرز ، وهي أم عثمان بن عفان .

هؤلاء أعمامه صلى الله عليه وسلم وعماته ؛ أسلم منهم حمزة والعباس وصفيّة
بلا اختلاف ، واختلف في عاتكة وأروى ، وبقيةهم ماتوا على شركهم . قال أبو عمر
أبن عبد البر : كان عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طالب والزبير
وعبد الكعبة وأم حكيم وأميّة وأروى وعاتكة ، أمهم كلهم فاطمة بنت عمرو
أبن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وكان حمزة والمقوم وحجل وصفيّة أمهم هالة بنت
وهيب ، وكان العباس وضرار وقتم أمهم نذيلة ، وأم الحارث سمراء بنت جندب
أبن جندب بن حرثان بن سؤاة بن عامر بن صعصعة ، وقيل : صفيّة بنت جندب
أبن حجير بن رباب بن حبيب بن سؤاة ، وأم أبي لهب أبنى بنت هاجر بن خراعة .
والله تعالى أعلم .

فلنذكر خدمه صلى الله عليه وسلم :

ذكر خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

الأحرار وهم أحد عشر رجلا

أنس بن مالك بن النضر

ابن صمضم بن زيد الأنصاري التجارى ، كان يكنى أبا حمزة ، وأمه أم سليم
بنت ملحان الأنصارية . خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبن عشرين ،
عند مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة للهجرة ، واختلف في وقت

وفاته فقيل : مات في سنة إحدى وتسعين ، وقيل : سنة اثنتين وتسعين ، وقيل : سنة ثلاث وتسعين . قال خليفة ابن خياط : مات أنس وله مائة وثلاث سنين ، وقيل : كانت سنة إذ مات مائة وعشر سنين ، وقيل : غير ذلك . وأقل ما قيل فيه مائة سنة إلا سنة ، حكى هذه الأقوال أبو عمر بن عبد البر ، قال : ويقال إنه آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقال : إنه قدم من صُلبه وولد ولده نحوًا من مائة قبل موته ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له فقال : « اللهم أرزقه مالا وولدا وبارك له » قال أنس : فإني لمن أكثر الأنصار مالا . ويقال : إنه ولد لأنس ثمانون ولدا منهم ثمانية وسبعون ذكرا وأثنيان .

وهند وأسماء أبنا حارثة

١٠
١٥
أبن هند الأسلميان ؛ شهدا بيعة الرضوان في إخوة لها ستة ، وهم : هند وأسماء وخرّاش وذؤيب وفضالة وسلمة ومالك ومهران ، ولم يشهدا أخوة في عددهم غيرهم ، ولزم منهم النبي صلى الله عليه وسلم هند وأسماء ، وكانا من أهل الصُّفَّة ، ومات هند بالمدينة في خلافة معاوية ، وتوفي أسماء في سنة ست وستين . بالبصرة وهو ابن ثمانين سنة .

وربيعة بن كعب الأسلمى

وهو ربعة بن كعب بن مالك بن يعمر الأسلمى أبو فرّاس ، وكان من أهل الصُّفَّة ، وكان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر ، وصحبه قديما ، ومات في سنة ثلاث وستين بعد الحزّة .

وعبد الله بن مسعود

أَبْنُ غَافِلِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ شَمِيخِ بْنِ فَارِ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ الْحَارِثِ
 (١) ^(١) ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦)
 أَبْنِ تَمِيمِ الْهُدَلِيِّ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ حَلِيفُ بَنِي زُهَيْرَةَ، وَأُمُّهُ : أُمُّ عَبْدِ
 بَنْتِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ سِوَاءِ بْنِ قُوَيْمِ بْنِ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ هُدَيْلٍ . أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ
 ٥ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ
 يَرْعَى غَنًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَأَخَذَ شَاةَ حَائِلًا مِنْ تِلْكَ الْغَنَمِ فَذَرَّتْ عَلَيْهِ لَبِنًا غَزِيرًا
 فَاسْلَمَ ، ثُمَّ صَمَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ يَلْبَسُهُ نَعْلَيْهِ إِذَا قَامَ ،
 وَإِذَا جَاسَ جَعَلَهُمَا فِي دُرَاعَتِهِ حَتَّى يَقُومَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ يَمْشِي
 ١٠ أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى ، وَيَسْتَرُهُ إِذَا آغْتَسَلَ ، وَيُوقِظُهُ إِذَا نَامَ ،
 وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْجِحَابُ وَأَنْ تَسْمَعَ سِوَادِي
 حَتَّى أَتَاهَا » . وَكَانَ يَعْرِفُ فِي الصَّحَابَةِ بِصَاحِبِ السَّوَادِ وَالسَّوَالِكِ ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ
 شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ ، وَمَاتَ أَبُو مَسْعُودٍ بِالْمَدِينَةِ فِي سِنَةِ
 آثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ ، وَصَلِيَ عَلَيْهِ عِثَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَقِيلَ : عَمَّارٌ ، وَقِيلَ : الزَّيْبِرِيُّ الْعَوَّامُ
 وَدَفِنَهُ بِالْبَقِيعِ لَيْلًا بِإِصْصَانِهِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ عِثَانُ فَعَاتَبَ الزَّيْبِرِيَّ ، وَكَانَ يَوْمَ تُوُفِّيَ
 ١٥ أَبُو بَضْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً .

(١) في شرح المواهب : ابن شميخ بن فار، بنفاء. فالف نراء . وكذا في الإصابة وأسد الغابة .
 وفي نسخة ج : ابن فارس .

(٢) في الإصابة : سواة . (٣) الاستيعاب : ابن قديم .

(٤) الدراعة : نوع من الثياب . (٥) في النهاية : تستمع .

(٦) سوادى : مرارى ؛ يقال : سادت الرجل إذا ساررت .

وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَبَسَ

الْجُهَنِيُّ مِنْ جُهَيْنَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَوْدِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَلِيفِ بْنِ قُضَاعَةَ ،
 وَكَانَ يُكْنَى أَبُو حَمَّادٍ ، وَقِيلَ : أَبُو أَسَدٍ ، وَقِيلَ : أَبُو عَمْرٍو ، وَقِيلَ : أَبُو سَعَادٍ ،
 وَقِيلَ : أَبُو الْأَسْوَدِ ، وَقِيلَ : أَبُو عَمَّارٍ ، وَأَبُو عَامِرٍ . وَكَانَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ صَاحِبَ
 بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُودُهَا بِهِ فِي الْأَسْفَارِ . قَالَ أَبُو عَمْرٍو : سَكَنَ
 عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ مِصْرَ ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهَا ، وَأَبَتْهَا بِهَا دَارًا ، وَتَوَفَّى فِي آخِرِ خِلَافَةِ معاوية .

وَبِلَالِ بْنِ رَبَاحِ الْمُؤَدَّبِ

مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَكَانَ يُكْنَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَيُقَالُ :
 أَبُو عَبْدِ الْكَرِيمِ ، وَقِيلَ : أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَقِيلَ : أَبُو عَمْرٍو ، وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبْرُهُ فِي أَوَّلِ
 السِّيَرَةِ . وَأُمُّهُ حَمَّامَةٌ ، وَكَانَ خَازِنًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 عُيَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ ، وَكَانَ بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَادِقَ الْإِسْلَامِ طَاهِرَ
 الْقَلْبِ ، وَكَانَ مِنْ مُوَلَّدِي السَّرَاةِ (٣) . مَاتَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ عِشْرِينَ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ
 وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَتِهَا عِنْدَ الْبَابِ الصَّغِيرِ ، وَقِيلَ : مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ
 [وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً (٤)] .

وَسَعْدِ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، خَدِمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَوَى عَنْهُ الْحَسَنُ
 الْبَصْرِيُّ ، وَبَعْدَ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ .

(١) فِي النَّاجِ وَغَيْرِهِ . « زَيْدُ بْنُ لَيْثِ بْنِ سَوْدٍ ... الخ » .

(٢) وَفِي أَسَدِ الْغَابَةِ : وَقِيلَ : أَبُو لَيْدٍ ، وَأَبُو عَمْرٍو ، وَأَبُو عَبَسَ ، وَأَبُو أَسَدٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

(٣) السَّرَاةُ : مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْحَيْمَنِ كَمَا سَيَأْتِي لِلزُّلْفِ . وَفِي الْأَصُولِ : « السَّرَاةُ » بِالْمَعْجَمَةِ .

وَمَا أُثْبِتَاهُ عَنْ أَسَدِ الْغَابَةِ وَغَيْرِهِ . (٤) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ أ .

وذو محمّر بن أنحى النجاشي

ويقال : ابن أخته ، ويقال فيه : ذو محمّر ، خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن عبد البر : وقد عدّه بعضهم في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له أحاديث خرجها أهل الشام وهو معدود فيهم .

وبكبير بن شدّاخ اللبثي

وقيل فيه : بكر ، عدّه الشيخ أبو محمد الديماطي في خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

٨١
١٦

وأبو ذرّ الغفاريّ

ويقال : أبو الذرّ ، والأقول أشهر . وأختلف في اسمه اختلافا كثيرا ، فقيل : جندب بن جنادة ، وهو أصحّ ما قيل فيه إن شاء الله . وذكر أبو عمر بن عبد البر الاختلاف في اسمه ، وترجم عليه بعد ذلك : جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد^(٢) ابن الواقفة بن حرام بن غنار بن ميسل بن ضمرة بن بكاة بن نحرمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار الغفاريّ ، وأمه رملّة بنت الوقيعة ، من بني غفار ، تقدّم خبر إسلامه في وفد غفار في أول هذا السّفَر ، وأقام أبو ذرّ عند قومه بعد إسلامه حتى مضت بدرٌ واحدٌ وانحدق ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٠

١٥

(١) ترجم له أسد الغابة ، وذكر أنه من خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان يخدمه وهو غلام فلما أحتمل جاء إلى رسول الله فقال له : إنى كنت أدخل على أهلك وقد بلغت مبلغ الرجال ، فقال له رسول الله : " اللهم صدق قوله ولقاه الظفر " ، وأورد قصة له في عهد عمر بن الخطاب كانت من أعلام النبوة ، وبركة دعوتة صلى الله عليه وسلم .

(٢) الذي في الاستيعاب لابن عبد البر : « جندب بن سفيان بن جنادة بن عبيد » الخ .

٢٠

(٣) راجع ص ٣ وما بعدها من هذا الجزء .

فصاحبه إلى أن مات . وقد ذكرنا قصة أبي ذر في غزوة تبوك ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده » وكان من خبره أنه نرحب بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الشام ، فلم يزل به حتى كانت خلافة عثمان بن عفان ، فأستقدمه عثمان لشكوى معاوية ، وأسكنه الرَبْدَةَ^(١) ، فمات بها وصلى عليه عبد الله بن مسعود ، وكان قد أقبل من الكوفة فدعى إلى الصلاة عليه ، فقال : من هذا ؟ فقيل : أبو ذر ، فبكى طويلاً وقال : أخى وخليلى عاش وحده ، ومات وحده ، ويبعث وحده ، طُوبَى له . وذلك في سنة ست وثلاثين من الهجرة . روى عن أبي ذر جماعة من الصحابة ، وكان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق ، سئل على رضي الله عنه عن أبي ذر فقال : ذاك رجل وعى علما عجز عنه الناس ، ثم أوكأ^(٢) عليه ولم يخرج شيئاً منه . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى طجة^(٣) أصدق من أبي ذر » و« من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فليتنظر إلى تواضع أبي ذر » . وفضائله كثيرة رضي الله عنه .

وذكر أبو عمر بن عبيد البر في خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم « أساع^(٤) ابن شريك » الأعوجى التميمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب راحلته ، وأبو سلام الهاشمى ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاه .

(١) الربذة (فتحات) : موضع قرب المدينة . (٢) أوكأ : شد عليه بوكاه وهو جبل يشد به فم القرية ، أراد لم ينشره بين الناس . (٣) الخضراء : السماء ، والغبراء : الأرض ، وأقلت : حملت . (٤) اللهجة : اللسان .

(٥) الرواية في الجامع الصغير : « من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى فليتنظر إلى أبي ذر » .

ذكر موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الشيخ^(١) أبو محمد الدمياطى رحمه الله تعالى : ومواليه من الرجال أحد

وثلاثون ، وهم :

زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي - وكان لخديفة فأستوهبه رسول الله صلى

الله عليه وسلم منها وأعتقه ، وقد تقدمت أخباره ومقتله في مؤتة^(٢) .

وأسامة بن زيد بن حارثة - وأمه أُمّ أيمن ، بركة مولاة رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، ومات أسامة في خلافة معاوية ، في سنة ثمان وخمسين ، وقيل :

سنة تسع ، وقيل : سنة أربع وخمسين ، وصححه أبو عمر . وكان عمره يوم

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة سنة ، وقيل : عشرين ، وقيل :

ثمانى عشرة ، وسكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى القُرى ، ثم رجع إلى

المدينة فمات بالجُرف .

وتوبان بن بجدد - وكنيته أبو عبد الله على الأصح ، وهو من أهل السراة^(٣) ،

والسراة موضع بين مكة واليمن ، وقيل : من حمير ، وقيل : إنه من حكم بن سعد

العشيرة ، أصابه سبأ فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، ولم يزل معه

في السفر والحضر إلى أن توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إلى الشام

فنزله الرملة ، ثم أنتقل إلى حمص فأبقي بها دارا : وتوفى بها سنة أربع وخمسين ،

(١) في « شبخنا » .

(٢) مؤتة ، بضم الميم وسكون الواو وبغير همز ، عند الأكثر ، وبالهمز عند بعضهم : موضع من

عمل البلقاء بالشام ، وهى غزوة مشهورة ، ومن الوقائع الحاسمة .

(٣) فى الأصول : « الشراة » وتقدم القول فيه .

وكان ممن حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدى ما وَعَى . روى عنه جماعة من التابعين .

وأبو كَبْشَةَ سُلَيْمٍ - شهيد بدرًا والمشاهد كلها ، قيل : هو من فارس ، وقيل : من مولدَى أرض دوس ، وقيل : من مولدَى مكة ، آتباعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه ، وتوفى في سنة ثلاث عشرة ، في اليوم الذى استخلف فيه عمر بن الخطاب ، وقيل : توفى في سنة ثلاث وعشرين ، في اليوم الذى ولد فيه عُرْوَةُ بن الزبير . والله تعالى أعلم .

وَأَنْسَةَ - ويكنى أبا مَسْرُوحٍ ، ويقال أبو مَسْرُوحٍ - وكان من مولدَى السَّرَاةِ - آشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه . ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدرًا ، وقال ابن إسحاق : كان يَأْذَنُ على النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس فيما حكاه مصعب الزبيرى ، ومات في خلافة أبي بكر رضى الله عنه .

وَشُقْرَانَ - وأسمه صالح ، وكان حبشياً ، قيل : ورثه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه وأعتقه بعد بدر ، قيل : آشتراه من عبد الرحمن بن عوف وأعتقه ، وقيل وهبه له فأعتقه وأوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته^(١) .
وَرَبَّاحٌ - وكان أسود نوبياً آشتراه من وفد عبد القيس وأعتقه ، قال أبو عمر : وربما أذِنَ على النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً ، إذا انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ عليه الإذن .

وَيَسَارٌ - وكان نوبياً أصابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته ، وهو الذى قتله العرَبِيُّونَ كما تقدم .

(١) فى « بد » .

وأبو رافع — وأسمه أسلم ، وقيل ؛ إبراهيم ، وكان عبدا للعباس ، فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أسلم العباس بَشَّرَ أبو رافع رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه ، فأعتقه وزوجه سَامَى مولاته ، فولدت له عبيد الله ، وكان عبيد الله كاتباً لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه في خلافته كلها ، قيل : وخازنا أيضا . ومات أبو رافع في آخر خلافة عثمان بالمدينة ، وقيل : في خلافة علي ، قيل : وكان أبو رافع قِبْطِيًّا .

وأبو مَوْهَبَةَ — وكان من مَوْلَدِي مُرَيْنَةَ ، آسَـتَـرَـه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه .

ورافع — قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله : كان مولى لسعيد بن العاص ، فورثه ولده ، فأعتقه بعضهم وتمسك بعضهم ، بغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينه فوهب له ، فكان يقول : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد حكى أبو عمر ذلك في أحد القولين عن أبي رافع المقدم ذكره . والله أعلم .
وَفُضَّالَةٌ — وهو مذكور في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال ابن عبد البر : لا أعرفه بغير ذلك ، قيل : إنه مات بالشام .

وَمِدْعَمٌ — أسود ، وهبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم رِفَاعَةَ بن زيد الجُنْدَامِي ، وهو الذى قتل بوادى القرى ، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن السَّمْلَةَ التى غَلَّهَا تُشْعَلُ عليه نارا » .

وَكِرْكِرَةٌ — وكان على بغلة النبي صلى الله عليه وسلم وكان نُوِيًّا أهدها له هُوَذَّة ابن علي فأعتقه .

(١) كنيته أبو الهبي ، في أسد الغابة : فأتى النبي يستشفع به على الرجل فوهب الرجل نصيبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) العُل : أخذ شيء من الغنيمة قبل القسمة ، وقد أخذ مدغم شملة من في المسلمين يوم خيبر قبل القسمة . (٣) ضبط في الإصابة بفتح الكافين وكسرهما ، والنووي بكسر الثانية جزما .

(١) وزيد - وهو جد بلال بن يسار بن زيد .

وعبيد ، وطهمان - موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختلف في طهمان ، فقيل : طهمان ، وقيل : طهوان ، وقيل : ذكوان ، وأما عبيد فروى عنه سليمان التيمي .

ومأبور - أهداه إليه المقوقس ، وقيل : كان خصيا .

(٢) وواقيد ، وأبو واقيد ، وهشام ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إن أمرأتى لا تمنع يد لائس ، قال : « طلقها » قال : إنها تعجبني . قال : « فاستمتع بها » .

وأبو ضميرة - قيل : اسمه سعد الحميري ، قال البخاري : وقيل في اسمه غير

ذلك . وكان مما أفاء الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جد حسين بن عبد الله بن ضميرة ، وقيل : وكان من العرب فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب له كتابا يوصى به فهو بيد ولده ، قال أبو عمر : وقدم حسين بن عبد الله بن ضميرة على المهدي بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيصاء بأبي ضميرة وولده ، فوضعه المهدي على عينيه ، ووصله بثلاثمائة دينار .

١٥ وحنين - قال أبو عمر بن عبد البر : كان عبدا وخادما للنبي صلى الله عليه وسلم ، فوهبه لعمه العباس فأعتقه العباس قال : وقد قيل إنه مولى على بن أبي طالب ، وعده الشيخ أبو محمد في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في نسخ الأصل : هلال ، والصواب ما أئتناه ، من المواهب وغيره .

(٢) أسد الغابة اعتبرهما واحدا وإن أفرد كلاهما بترجمة - حيث أورد حديث « من أطاع الله ... »

٢٠ عن واقيد كما أورده عن أبي واقيد ، وعدهما في شرح المواهب واحدا أيضا وقال : « واقيد أو أبو واقيد » .

(٣) قال ابن الأثير مادة (لمس) : « قول معنى لا ترة يد لائس أنها تعطى من ماله من يطلب منها ، وهذا أشبه » قال أحمد : لم يكن ليأمره بإمسكها وهي تفجر » .

وأبو عَسَيْبٍ — وأَسْمَهُ أَحْمَرٌ .

وأبو عَيْدَةَ سَفِينَةَ^(١) — فكان عبداً لأمِّ سَمَةَ زوجِ النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقته ، واشترطت عليه أن يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ، فقال : لو لم تشتري على ذلك ما فارقتك ، وكان اسمه رَبَاحَ ، وقيل : عُمَيْرٌ ، وقيل : رُومَانٌ .
وقيل : مِهْرَانٌ . قال الواقدي : وقال أبو عمر : مِهْرَانٌ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم غير سَفِينَةَ .

سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم سَفِينَةَ بهذا الاسم ؛ لأنه كان معه في سفره ؛ فكان كل من أعيأ ألقى عليه متاعه سَيفاً أو تُرساً ، فمَرَّ النبي صلى الله عليه وسلم به فقال : « أنت سفينة » وكان أسود من مَوْلَى الأَعْرَابِ .

٨٣
١٦

وأبو هِنْدٍ — وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه زوجوا أبا هند وتزوجوا إليه ، قال أبو محمد : آتباعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفِهِ من الحُدَيْبِيَّةِ وأعتقه .

وَأَنْجَشَةَ — وكان حادياً للجمال ، وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له « يَا أَنْجَشَةُ رِقَقَا بِالْقَوَارِيرِ »^(٢) .

(١) فى أسد الغابة : أبو عبيد مولى رسول الله . هكذا بغير هاء ، وأورد رواية عنه من طريق شهر ابن حوشب . وفى أسد الغابة أن سفينة مولى رسول الله عليه السلام غير أبي عبيدة ، وذكر أن سفينة قال : ركبت سفينة فأنكسرت فركبت لوحاً منها فطرحنى إلى الساحل فلقبني أسد فقلت : أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فظأطأ رأسه ، فجعل يدفعنى بجنبه حتى أوقفنى على الطريق ، فلما أوقفنى على الطريق همهم فظننت أنه يودعنى . (٢) أنجشة عبد أسود حسن الصوت بالحاء — وهو الغناء — فحدا بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فأضقت الإبل وأمرعت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أنجشة ... » الحديث وروى « يا أنجشة رو يدك ... » الحديث ، والقوارير جمع فارورة : إناء من زجاج شبه به النساء لأنه يسرع إليها الكسر .

١٥

٢٠

وَأُنَيْسَةَ — وكان حبشيا فصيحاً شهماً بدراً، وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وَأَبُو أُبَيَّابَةَ — كان لبعض عمّات رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، وهو معدود في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وَرُوَيْفِعَ — سباه رسول الله صلى الله عليه وسلم من هَوَازِنَ فأعتقه .

وَسَعْدَ — وهو الذي روى عنه أبو عثمان النهدي . ذكره أبو عمر بن عبد البر .

هؤلاء المشهورون من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو محمد

عبد المؤمن رحمه الله : وقد قيل إنهم أربعون ، وزاد يوسف بن الجوزي :

أَبَا كَنْدِيرَ ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ ، وَسَالِمًا ، وَسَابِقًا — ذكره أبو عمر — خادم

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَزَيْدَ بْنَ رِصُولًا ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَسْلَمَ ، وَنُبَيْهَ :
وقيل فيه : النَّبِيَّةُ ، وَقَيْلُ النَّبِيِّ ، بضم النون وفتحها ، وَوَرْدَانَ .

وذكر أبو عمر بن عبد البر في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة أخرى ،

منهم أبو الحَمْرَاءُ وأسمه هلال بن الحارث ، ويقال : هلال بن ظَفَرٍ ، وَأَفْلَحَ ،

وَذَكْوَانَ ، وفي أسمه خلاف ، وأبو عُبَيْدٍ ، له رواية ، وأَبُو لَقَيْطٍ ، وأبو السَّمْحِ أَيَّادٍ ،

وقيل : خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَصُمَيْرَةَ بنَ أَبِي صُمَيْرَةَ ، قال أبو عمر :

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُمِّ صُمَيْرَةَ وهي تبكي فقال : « ما يبكيك أجنبية

أنت أم عارية ؟ » فقالت : يا رسول الله ، فرق بيني وبين أخي ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « لا يفرق بين والدّة وولدها » ثم أرسل إلى الذي عنده صُمَيْرَةَ

فأبتاعه منه .

(١) كذا في كلا الأصلين وفي الإصابة وأسد الغابة « زيد بن بولا » .

(٢) في هامش الاستيعاب : « زياد » .

وَكَيْسَانَ ، أَوْ مِهْرَانَ - وَأَسْمُهُ هُرْمُزٌ يَكْنَى أبا كَيْسَانَ ، اختلف فيه على عطاء
 ابن السائب ، فقيل : كيسان ، وقيل : طَهْمَان ، وقيل : ذَكْوَان ، وأبو بَكْرَةَ نُفَيْعُ
 ابن مَسْرُوح ، وهو ابن ثُمَيْمَةَ جارية الحارث بن كَلْدَةَ الثَّقَفِي ، معدود في موالى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقه لما
 نزل إليه من حِصْنِ الطائف ، وأسلم فكان يقول : أنا مولى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فإن أبى الناس إلا أن يَنْسُبُونِي فَأَنَا نُفَيْعُ بن مَسْرُوح ، وكناه رسول الله
 أبا بَكْرَةَ ؛ لأنه تدلّى إليه من بَكْرَةَ من الحِصْنِ .

وأبو سَلْمَى - راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل : أسمه حارث ، فهؤلاء
 عشرة آخر لتكملة خمسين . والله أعلم .

ومن النساء : أم عياش ، وأميمة ، وأم رافع سَلْمَى ، وبركة أم أيمن ، ومارية ،
 وريحانة ، وربيعة ، وميمونة بنت [أبي] عَسِيب ، وخضرة ، ورضوى ، وأم ضميرة .
 وذكر أبو عمر بن عبد البر أميمة لها رواية ، وميمونة بنت أبي عنبسة غير ميمونة
 المذكورة آنفا ، والله أعلم .

(١) قوله : ومن النساء . معطوف على ترجمة الباب حيث قال : ومواليه صلى الله عليه وسلم
 من الرجال . (٢) أم عياش : قيل كانت أمة لرقية بنت رسول الله في رواية ، وقيل خادم رسول
 الله ومولاه . (٣) أميمة مولاة رسول الله ، كانت ترضى رسول الله . (٤) أم رافع :
 قابلة إبراهيم بن رسول الله وقابلة آبي فاطمة الزهراء الحسن والحسين رضوان الله عنهم ، وخادم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم . (٥) وبركة أم أيمن : حاضنة رسول الله ومولاه وهى حبشية .
 (٦) مارية القبطية : مولاة رسول الله وسريته أم إبراهيم عليه السلام بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 (٧) ريحانة : سريّة رسول الله من بنى قريظة ، ويقال : ربيعة كما في أسد الغابة فتكون نفس ريحانة .
 (٨) في أسد الغابة بنت أبي عسيب . وقيل بنت أبي عنبسة .
 (٩) خضرة ، ورضوى : ذكرتا في موالى رسول الله ، ولم يرو عنهما شيء .
 (١٠) أم ضميرة : هى التى ورد بسببها حديث : « لا يفرق بين والدة وولدها » .

ذكر حُرَّاس رسول الله صلى الله عليه وسلم

في غزواته، وهم ثمانية : سعد بن معاذ حرسه يوم بدر حين نام بالعريش ،
 وذَكَوَان بن عبد الله بن قَيْس ، ومحمد بن مَسَامَةَ الأنصاري حرسه بأحد، والزُّبَيْر
 ابن العوام حرسه يوم الخندق، وعَبَّاد بن بَشِير ، وسَعْد بن أَبِي وقاص ، وأبو أيُّوب
 الأنصاري حرسه بخيبر ليلة بَنِي يَصْفِيَةَ ، وِإِلَال حرسه بوادي القُرَى . ولما أنزل
 الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ
 رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » ^(١) ترك عند ذلك الحرس .

ذكر كُتَّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهم : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب
 وعاصم بن فهيرة ، وعبد الله بن الأزرقم ، وأبى بن كعب ، وثابت بن قيس بن شماس ،
 وخالد بن سعيد بن العاص ، وحنظلة بن الربيع الأسدي ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية
 ابن أبي سفيان ، وشرحبيط بن حسننة ، وكان معاوية وزيد يكتبان الوحى .
 قال الشيخ الإمام الفاضل محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي
 الأندلسي ثم القرطبي رحمه الله تعالى في كتاب الأعلام له : والعلاء بن الحضرمي ،
 قال : وكان المداويم على الكتابة زيد ومعاوية ، قال : ويقال إن معاوية لم يكتب له
 من الوحى شيئا ، وإنما كان يكتب إلى الأطراف ، وكتب له عبد الله بن سرح
 ثم آرتد ، فلما كان يوم الفتح أسلم وحسن إسلامه ، وذكر القضاعي : وكان الزبير
 ابن العوام وجَّههم بن سعد يكتبان أموال الصدقة ، وكان حذيفة بن اليمان يكتب
 نحرص النخل ، وكان المغيرة بن شعبة والحُصَيْن بن مُمَيَّر يكتبان المدائيات والمعاملات .

(١) آية ٦٧ سورة المائدة .

وذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية : أن كتابه عليه السلام ينتهون إلى ستة وعشرين ، والله أعلم .

قال : وقد قدمنا ذكر رسله صلى الله عليه وسلم .

ذكر رفقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

النجباء وهم اثنا عشر : أبو بكر، وعمر، وحزمة، وعلي، وجعفر، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان، وحذيفة، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وبلال بن رباح .
وكان علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومحمد بن مسامة وعاصم بن أبي الأفلح^(١) والمقداد، رضوان الله عليهم أجمعين يضربون الأعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم ،
وحيث ذكرنا من سيرته صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا ، فلناخذ الآن في ذكر صفاته الذاتية والمعنوية وأحواله صلى الله عليه وسلم .

٨٤
١٦

ذكر صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذاتية

قد وردت الأخبار الصحيحة والمشهورة من حديث علي بن أبي طالب وأنس ابن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة وأبي بحة^(٢) وجابر بن سمرة وأم معبد^(٣) وابن عباس، ومعرض بن معيقب وأبي الطفيل، والعداء بن خالد^(٤) وحرث بن فاتك^(٥) وحكيم بن حزام، وغيرهم رضوان الله عليهم : أنه كان صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم : لا بائن من طول، ولا تقطع^(٦) عينه من قصر،

(١) الذي في أسد الغابة : عاصم بن ابي بن أبي الأفلح .

(٢) أم معبد : هي عائكة بنت خالد الخزاعية .

(٣) ربعة بسكون الباء والفتح لغة : أي معتدل ، وقد ندر الربعة بما بعده .

(٤) البائن هنا : المقرط في الطول . (٥) لا تقطع : لا تتجاوزه أزدراه له .

غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ ، بعيد ما بين المنكبين ، أبيض اللون ، مُشْرَبٌ حُمْرَةً ، وفي رواية
 أزهر اللون ، ليس بالأبيض الأمهق ، ولا بالأدم ، له شعر رَجَلٍ ^(٢) ، يبلغ شَخْمَةَ
 أذنيه إذا طال ، وإذا قصر إلى أنصافهما ، لم يبلغ شَيْبُهُ في رأسه ولحيته عشرين
 شعره ، كأن عنقه جيد دُمَيْة ، في صفاء الفِضَّة ، وظاهر الوضأة مُبْلَجُ ^(٥) ^(٤) الوجه ،
 يتلألاً وجهه تَلَأُلُو القمر ليلة البدر ، حسن الخَلْق معتدله ، لم تَعْبِه نُجْلَةٌ ولم تُزْرَبه
 صَعْلَةٌ ، وَسِيمًا قَسِيمًا ، في عينيه دَعَجٌ ^(٩) ، وفي بياضهما عُرُوقٌ رِقَاقٌ حُمْرٌ ، وفي أشقاره
 غَطْفٌ ، وفي صوته صَهْلٌ ^(١١) ، وروى صَحَلٌ ، وفي عنقه سَطْعٌ ^(١٢) ، وفي لحيته كَثَاةٌ ^(١٣) ،
 إذا صَدَّتْ فعليه الوَقَارُ ، وإن تكلم سَمًا وعلاه البهَاءُ ، أجمل الناس وأبهأه من بعيد ،

- (١) الأمهق : الكريه البياض كونه الجص .
 (٢) رجل بكسر الجيم : بين شدة الجعودة ، وشدة السيوطه .
 (٣) الجيد : العنق ، والدمية بضم الدال : الصورة المنحوتة من رخام أو عاج .
 (٤) الوضأة : الحسن .
 (٥) المبلج : المشرق المضي .
 (٦) النجلة : عظم البطن .
 (٧) الصعلة : صغر الرأس ، والدقة والنحول في البدن أيضا .
 (٨) الوسيم : الثابت الحسن . والقسيم : جميل الوجه كله ، كأن كل موضع منه أخذت من
 من الجمال .
 (٩) الدعج : شدة سواد العين في شدة بياضها .
 (١٠) الغطف : بفتحين هو أن يطول شعر الأَجْفَانِ ثم يتعطف ، ويروي بالعين المهملة .
 (١١) صهل : حدة وصلابة ، والصحل : بحة في الصوت وعدم حدته .
 (١٢) السطع : طول العنق .
 (١٣) الكثافة : كثافة الشعر في غير دة ولا طول .
 (١٤) الوقار : الحلم والرزانة .
 (١٥) سما : ارتفع وعلا على جلسائه .

وأحلاه وأحسنه من قريب ، ^(١) حُلُو المَنْطِقِ فَصْل : لا تَزُر ولا هَدُر كَأَنَّ مَنْطِقَهُ
 نَحْرَازَاتٍ تَنْظُمُ يَنْحَدِرُنْ ، ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) وَأَسْعِ الْجَبِينِ ، أَزْجِ الحَوَاجِبِ فِي غَيْرِ قَرْنٍ ، بَيْنَهُمَا عَمْرُقُ
 يَدْرُهُ الغَضْبُ ، أَفْقَى العَرْنَيْنِ ، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ ، يَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشْمٌ ، ^(٦) ^(٧) ^(٨) سَهْلٌ
 الخَدِيدِينَ ، ضَلِيعُ القَمِّ ، أَشْنَبُ ، مَفْجَاحُ الأَسْنَانِ ، دَقِيقُ المَسْرَبَةِ ، ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) مَنْ لَبَيْتَهُ إِلَى سُرَّتِهِ
 شَعْرٌ يَجْرِي كَالقَضِيبِ ، أَيْسٌ فِي بَطْنِهِ وَلَا صَدْرُهُ شَعْرٌ غَيْرُهُ ، أَشْعَرُ الذَّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكَبَيْنِ ،
^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) بَادِنٌ مَتَمَّاسِكٌ ، سَوَاءُ الصَّدْرِ وَالْبَطْنِ ، سَيْبِجُ الصَّدْرِ ، ضَخْمُ الكِرَادَيْسِ ، أَنُورُ المَتَجَرِّدِ

- (١) فصل : بين ظاهر بفصل بين الحق والباطل ، والنزر : القليل ، أى ليس بقليل فيدل على عى .
 (٢) الهذر : الهذيان ، أى ليس بالقليل الدال على العى ولا بالكثير الفاسد ، وفى هامش ج :
 لا نزر ولا هذر : أى ليس كلامه بقليل لا يفهم ، ولا بكثير يمل .
 (٣) الخرزات جمع خرزة : الجوهر ، وتقاله : جعله فى سلك . ينحدرون : يتابعن فى الزول .
 (٤) الجبين : فوق الصدغ .
 (٥) أزج الحواجب : الزجج تقوس فى الحواجب مع طول فى طرفه وانحداد ، وقوله : «عمرق يدره
 الغضب» أى يمتلئ . دما إذا غضب كما يمتلئ الضرع لبناً إذا در . النهاية .
 (٦) أفقى العرنين : الفقى فى الأنف طولها ورقة أرنبته مع حذب فى وسطها ، والعرنين : الأنف .
 (٧) أشم : الشمم ارتفاع قصبة الأنف وأستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلا .
 (٨) سهل الخدين : سائل الخدين غير مرتفع الوجنتين .
 (٩) ضليع القم : أى عظيمه ، وقيل : واسع ، والعرب تمدح بذلك وتزعم بعكسه .
 (١٠) أشنب : الشنب البياض والبريق والتحديد فى الأسنان .
 (١١) مفلج ، وأفلج : والفليج بالتحريك فرجة بين الشايبا والرباعيات .
 (١٢) المسربة : ما دق من شعر الصدر سائلا إلى الجوف .
 (١٣) اللبة : الهزمة التى فوق الصدر وتحت العنق .
 (١٤) بادن متماسك : البادن الضخم ، والمتماسك الذى يمسك بعض أعضائه بعضا فهو معتدل الخلق .
 (١٥) سواء الصدر والبطن : هما متساويان لا ينبو أحدهما عن الآخر .
 (١٦) سبيج الصدر : عريضه . فى رواية الترمذى : عريض الصدر .
 (١٧) الكراديس : روس العظام ، وقيل : ملحق كل عظامين كالركبتين والمرقتين ، معنى ضخيم
 الأعضاء . (١٨) المتجرد : ما كشف من جسمه أى مشرق الجسد .

- عريض الصدر، طويل الزندين، رَحْب الراحة، شُنْ الكَفَيْنِ والقَدَمَيْنِ، سائل
الأطراف، سَبِط القَصَبِ، نُحْصَان الأَنْحَصَيْنِ، مَسِيح القدمين، يَبُوءُ عنهما
الماء، إِذَا زَالَ زَالَ قَلْعًا، وفي رواية: إِذَا مَشَى يَقْلَعُ — كَيَايَةَ عَنِ قُوَّةِ الخَطْوِ كَالَّذِي
يَمْشِي فِي طِينٍ — وَيَخْطُو تَكْفِيًّا وَيَمْشِي هَوْنًا، ذَرِيْع المِشِيَّةِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْخَطُّ
مِنْ صَبَبٍ، وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعًا، بَيْنَ كَتْفَيْهِ خَاتِمُ النُّبُوَّةِ كَأَنَّهُ زَرٌّ جَمَلَةٌ
أَوْ بَيْضَةٌ حَمَامَةٌ، لَوْنُهُ كَلَوْنِ جَسَدِهِ عَلَيْهِ خَيْلَانٌ، كَأَنَّ عِرْقَهُ اللُّؤْلُؤُ، وَلَرِيحُ عِرْقِهِ
أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ المِسْكِ الأَذْفَرِ، يَقُولُ نَاعَتَهُ: لَمْ أَرِ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ البَرَاءُ: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَةٍ فِي حُلَّةِ حَمْرَاءٍ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا ضَحِكَ يَتَلَأَلُ فِي الجُدْرِ،

- (١) شُنْ الكَفَيْنِ والقَدَمَيْنِ: أى إِنْهُمَا يَمْلَانِ إِلَى الغَلْظِ والقَصْرِ .
(٢) سَبِطُ القَصَبِ: القَصَبُ السَاعِدَانِ والسَافَانُ، أَى مِمْدَانِ لَيْسَ فِيهِمَا نَبْوَةٌ وَلَا تَمَقُّدٌ .
(٣) نُحْصَانُ الأَنْحَصَيْنِ: أَى مَرْتَفِعُ الأَنْحَصَيْنِ، وَهُمَا أَسْفَلُ القَدَمَيْنِ أَى إِنْ ذَلِكَ المَوْضِعُ مِنْهُمَا
شَدِيدُ التَّبَعَاثُفِ عَنِ الأَرْضِ .
(٤) إِذَا زَالَ زَالَ قَلْعًا: أَرَادَ قُوَّةَ مِشْيِهِ، كَأَنَّهُ يَرْفَعُ رِجْلَيْهِ مِنَ الأَرْضِ رَفْعًا قَوِيًّا، لَا كَمَنْ يَمْشِي اخْتِيَالًا
وَيُقَارِبُ خَطَاةً، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ مِشْيِ النِّسَاءِ .
(٥) تَكْفِيًّا: تَمَّائِلٌ إِلَى قَدَامٍ، وَيُرْوَى بِالْهَمْزِ .
(٦) ذَرِيْعُ المِشْيِ: مَرَبِعُهُ وَاسِعُ الخَطْوِ . (٧) يَنْخَطُّ مِنْ صَبَبٍ: مِنْ مَوْضِعٍ مُنْحَدِرٍ .
(٨) زَرٌّ جَمَلَةٌ: الزَّرُّ أَحَدُ الأَزْرَارِ الَّتِي تُشَدُّ بِهَا الكِئَالُ وَالسُّتُورُ عَلَى مَا يَكُونُ فِي جَمَلَةِ العُرُوسِ، وَالْجَمَلَةُ:
بَيْتٌ كَالْقَبَةِ يَسْتُرُ بِالكِئَالِ وَتَكُونُ لَهُ أَزْرَارٌ . (٩) خَيْلَانٌ جَمْعُ خَالٍ: هُوَ الشَّامَةُ فِي الجَسَدِ .
(١٠) الأَذْفَرُ: طَيِّبُ الرِّيْحِ .
(١١) ذِي لِمَةٍ: اللِّمَةُ مِنْ شَعْرِ الرِّأْسِ دُونَ الجِمَّةِ، إِذَا زَادَتْ فِيهِ الجِمَّةُ .
(١٢) الجُدْرُ جَمْعُ جَذْرٍ: وَهُوَ أَصُولُ الأَسْنَانِ، يَتَلَأَلُ أَصُولُ أَسْنَانِهِ، وَفِي المَوَاهِبِ: إِذَا تَكَلَّمَ
رَوَى كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِيَاهُ .

وقال جابر بن سمرة، وقد قال له رجل كأت وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف، فقال : لا، بل مثل الشمس والقمر . وكان مستديرا، وكان عمر بن الخطاب ينشد قول زهير بن أبي سلمي في هريم بن سنان :

لو كنت من شيء سوى بنير * كنت المضيء لليلة البدر^(١)

ثم يقول عمر وجلساؤه : كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن كذلك غيره . وفيه عليه السلام يقول عمه العباس رضى الله عنه وأرضاه :

وأبيض يستقى الغمام بوجهه * ربيع الينامى عصمة للأرامل^(٢)

تطيف به الملاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفضائل^(٤)

وميزان حق لا يخيس شعيرة * ووزان عدل وزنه غير عائل^(٥)

٨٥

١٦

(١) في الديوان : كنت المنير ، وروى : كنت المنور ليلة .

(٢) في نسخ الأصل : العباس ، والصواب أن قائل القصيدة أبو طالب والقصيدة مشهورة به .

(٣) ربيع الينامى ؛ المشهور « نعال الينامى » : الملجأ والغياث ، وقيل : هو المطعم في الشدة ، والعصمة : المانع من الضياع والحاجة ، والأرامل : المساكين من رجال ونساء . كذا في النهاية .

(٤) تطيف به : تدور حوله . الملاك جمع مالك ، وهو الذى يناب الناس ابتداء معرفتهم .

(٥) هذا البيت ورد في نسخ الأصل على هذا الترتيب وليس كذلك في قصيدة أبي طالب ، وإنما البيت كما في ابن هشام وابن كثير هكذا :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل

مميزان قسط لا يخيس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

وروى : لا يخيس ، من أخس أى لا ينقص ، أما يخيس فن قولم : خام بالعهد إذا نقضه وأفسده ،

وعائل : جاز .

ذكر صفة خاتم النبوة

- الذي كان بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم
- روى عن جابر بن سمرة . وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ورأيت خاتمه عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يُشبه جسمه ، وعن أبي ريمثة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ريمثة أدن مني أمسح ظهري » فدنوت منه ^(١) فمسحت ظهره ، ثم وضعت أصابعي على الخاتم فغمزتها ^(٢) ، فقبل له : وما الخاتم ؟ فقال : شعر يجتمع عند كتفيه . وعنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت فإذا خلف كتفيه مثل النفاخة ^(٣) ، قلت : يا رسول الله ، إنى أداوي فدعنى حتى أبطها ^(٤) وأداويها ، قال : « طيبها الذي خلقها » . وعنه من طريق آخر قلت : يا رسول الله إنى طيب من أهل بيت أطباء ، وكان أبي طبيبا في الجاهلية ، معروفا ذلك لنا فأذن لي في التي بين كتفيك ، فإن كانت سلعة ^(٥) بططتها فشفا الله نبيها ، فقال : « لا طيب لها إلا الله » وهي مثل بيضة الحمامة .

ذكر صفة شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطوله

- روى عن أبي إسحق قال : سمعت البراء يصف شعر رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم فقال : كان شعره إلى شحمة أذنيه . وعنه قال : سمعت البراء يقول : ما رأيت أحدا من خلق الله أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) « منه » ساقطة في ج .

(٢) الغمز : العصر والكبس باليد . وفي كلا الأصلين « غمرتها » بالراء . ولعله تصحيف .

(٣) النفاخة : هبة متفجئة تكون في بطن السمكة .

(٤) البط : شق الدميل والخراج ونحوهما .

(٥) السلعة : غدة تظهر بين الجلد واللحم إذا غمرت باليد تحركت .

إن جُمته لتضربُ قريبا من منكبَيْه، وفي لفظ، من عاتقَيْه . وعن قتادة قال : قلت لأنس بن مالك كيف كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان شعرا رجلا ليس بالسَّبُط ولا بالجمعد بين أذنيّه وعاتقه . وعن أنس : كان لا يجاوز شعره أذنيه ، وعنه : كان إلى أنصاف أذنيه . وعن علي رضي الله عنه قال : كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الوفرة ودون الجمّة ^(١) . وعن أم هانئ قالت : رأيت في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضفائر أربعة . وعن عائشة قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم مكة وله أربع غدائر . وعن جابر بن سمرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر الحية ^(٢) . وعن جابر بن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد على قِصاص شعره ^(٣) .

ذكر عدد شيب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ومن قال إنه خضب

روى عن حميد الطويل قال : سئل أنس بن مالك هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ما شأنه الله بالشيب ، وما كان فيه من الشيب ما يخضب ، إنما كانت شعرات في مقدم لحيته ، ولم يبلغ الشيب الذي كان به عشرين شعرة . وفي رواية عن أنس أيضا : ما كان في رأسه ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة . وعن جابر بن سمرة ، وقد سئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان إذا دهن رأسه لم يتبين ، وإذا لم يدهنه تبين . وعن محمد بن واسع ، قيل :

(١) الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن ، والجمّة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين .

(٢) هذه رواية مسلم عن جابر بن سمرة ، وفي الأصول : « كثير ، يعنى الشعر والحية » .

(٣) قصاص شعره : منتهى شعر الرأس حيث يؤخذ بالمقص .

يارسول الله، لقد أسرع إليك الشيب، فقال: « شيبتي (١) الرَّ . كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ (٢) وَأَخْوَاتُهَا ». وعن أبي سلمة؛ قيل: يارسول الله، نرى في رأسك شيبا، قال: « ما لي لا أشيب وأنا أقرأ هُودًا وإذا الشمسُ كُورَتْ (٣) » وفي رواية « وما فعل بالأُمم قبلي ». وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال أبو بكر: أراك قد شبت يارسول الله، قال: « شيبتي هُودٌ والوَاقِعَةُ والمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ (٤) » ومن رواية « وَأَخْوَاتُهَا أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، والمُرْسَلَاتُ وَإِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ (٥) » وفي رواية أخرى عن أنس قال قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: « بأبي وأمي يارسول الله، وما أخواتها؟ (٦) قال: « الواقِعَةُ والقارِعَةُ وسأل سائلٌ وَإِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ (٧) » هذا ما رأيناه مما ورد في شيبه وسببه .

وأما من قال إنه خضب

صلى الله عليه وسلم

فقد روى عن عبد الله بن موهبة (٨) قال: دخلنا على أم سلمة رضى الله عنها، فأخرجت إلينا صرة فيها شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوب بالحناء والكتم (٩). وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: رأيت شعرا من شعره - يعنى النبي صلى الله عليه وسلم - فإذا هو أحمر، فسألت عنه فتميل لى: أحمر من الطيب (١٠). وعن أبي جعفر قال: شبط عارضا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخضبه بحناء وكتم (١١)،

(١) آية ١ سورة هود . (٢) آية ١ سورة التكوير .

(٣) كذا في نسخ الأصل، وكأنه سقط من هنا حديث « شيبتي هود وأخواتها » رواه الطبراني وابن مردويه وابن عساكر، فقال له أبو بكر: وما أخواتها . (٤) تعقبه في التهذيب بأن عبد الله بن موهب لا يعرف في الرواية، والحديث عن عثمان أبته مولى طلحة . (٥) الكتم: دهن من أدهان العرب أحمر يجعل فيه الزعفران . (٦) الشبط: الشيب .

وعن أبي ريمثة أنه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذو وَفْرَةٍ
 وبها رُدَعٌ من حِنَاءٍ ، وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يُصَفِّرُ لحيته بالخلوق ،
 ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُصَفِّرُ ، وعن عبد الرحمن التَّمَالِي قال :
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُغَيِّرُ لحيته بماء السِّدْرِ ، ويأمر بتغيير الشعر
 مخالفة للاعاجم .

هذا ما أمكن إيراد من صفاته الذاتية ، وسنذكر إن شاء الله بعد ذكر صفاته
 المعنوية ، حديث هُند بن أبي هَالَةَ ، لجمعه بين صفاته الذاتية والمعنوية .

ذكر صفات رسول الله المعنوية

صلى الله عليه وسلم

وما ورد في أكله وشربه ، ونومه وضحكه وعبادته ونكاحه ، وخلقته وحلمه
 واحتماله ، وعفوه وصبره على ما يكره ، وجوده وكرمه . وسخائه ومماحته ، وشجاعته
 ومجده ، وحيائه وإغضائه ، وحسن عشرته وأدبه ، وبسط خلقه ، وشفقته ورأفته
 ورحمته ، ووفائه وحسن عهده ، وصلته للرحم ، وتواضعه وعادله وأمانته وعفته ،
 وصدق لميجه ، ووقاره وصمته وتؤدته ، ومروءته ، وحسن هديه وزهده وخوفه
 ربه تعالى ، وطاعته له وشدة عبادته صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

(١) ردع : طابخ لم يمه كله .

(٢) الخلق : طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة
 والصفرة ، وقد ورد تارة بإباحته ، وأخرى بالنهي عنه ، والنهي أكثر وأثبت ؛ لأنه من طيب النساء . ومن
 أكثر استعماله . (النهاية لابن الأثير) .

(٣) التؤدة : الثأني والتهل والزناة .

فأما ما ورد في أكله وشربه ونومه وضحكه وعبادته

- فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ من الأكل والشرب بالأقل، وأعتمد من ذلك على ما يُمسك الرَّمق وَيَسُدُّ الحِلَّةَ، وقد جاءت الأخبار الصحيحة بذلك، ولم تزل العرب والحكماء تتماحح بفتنهما وتذم بكثرتهما؛ لأن كثرة الأكل والشرب دليل على التَّهم والحِرْص والشَّرَه، وقلة ذلك دليل على القناعة ومملك النفس وقَمَع الشهوة. وقد روينا بإسناد متصل عن المِقْدَام بن مَعْدِي كَرِب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما ملاءَ ابن آدم وعاءَ شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكالات يُقْمَنُ صُلبه فإن كان لا محالة فنلت ل طعامه وثلت لشرا به وثلت لنفسه». ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب. وقد روى عنه عليه السلام أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على صَفَف؛ أي كثرة الأيدي. وعن عائشة رضی الله عنها قالت: لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط، وإنه كان في أهله ولا يسألهم طعاما ولا يتشبهاه، إن أطعموه أكل، وما أطعموه قَبِل، وما سَقَوْه شرب. قال أهل العلم: ولا يُعترض على هذا بحديث بَرِيْرَة، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لم أرَ ألبُرْمَة فيها لحم»؟ إذ لعل سبب سؤاله ظنُّه آعتقادهم أنه لا يحل له، فأراد بيان سنته، إذ رآهم لم يقدّموا إليه مع علمه أنهم لا يستأثرون به عليه، فصدق عليهم ظنه، وبين لهم ما جهلوه من أمره، بقوله: «هو لها صدقة ولنا هدية». وكان جلوسه صلى الله عليه وسلم للاكل جلوس المستوفز، مَقْعِيَا، ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». وفي حديث صحيح قوله صلى الله عليه وسلم: «أما أنا فلا آكل متكئا» وليس معنى الاتكاء (١) أي تناول مع الناس. (٢) المستوفز: الذي قدم منتصبا غير مطمئن، مقعيا: أراد أنه كان يجلس على وركيه مستوفزا غير متمكن.

عند المحققين الميل على شق، وإنما الاتكاء هو التمكن للاكل، والتتعدّد في الجلوس له، كالمترجّ وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجلوس على ما تحته، والجلوس على هذه الهيئة يستدعى الأكل ويستكثر منه، وكان صلى الله عليه وسلم بخلاف ذلك. وكان صلى الله عليه وسلم إذا رُفِعَ الطعام من بين يديه قال: « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين ». وفي رواية يقول: « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا ». وكان لا يأكل على خوان^(٢)، ولا يمتنع من مباح، ولا يتأنق في ما كل، يأكل ما وجد، إن وجد تمرا أكله، أو خبزا أكله أو شيئا أكله، وإن وجد لبنا آكفني به، ولم يأكل خبزا مرققا^(٣)، وأكل صلى الله عليه وسلم الخبز بالخل وقال: « نعم الإدام النخل » وأكل لحم الدجاج ولحم الحبارى^(٤). وكان يحب الدباء^(٥) ويأكله، ويعجبه الذراع من الشاة، وقال: « إن أطيب اللحم لحم الظهر » وقال: « كلوا الزيت وأدهنوا به فإنه من شجرة مباركة » وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، وأكل صلى الله عليه وسلم خبز الشعير بالتمر، وقال: « هذا أدم هذا » وأكل البطيخ بالرطب والقشأ والرطب والتمر بالزبد، وكان يحب الحلواء والعسل، وكان يشرب قاعدا، وربما شرب قائما، ويتنمس ثلاثا وإذا فضلت منه فضله وأراد أن يسقيها بدأ بمن عن يمينه، وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا، وقال: « من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » وقال: « ليس شيء يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن ».

(١) غير مودع: أى غير متروك الطاعة، وقيل: من الوداع. و«ربنا» بالنصب على النداء. مع حذف الأداة، وفيه توجيهات أخرى (راجع المواهب ٤: ٤٢١). (٢) الخوان للطعام كما تسمى له. (٣) الخبز المرقق: الأرزفة الواسعة الرقيقة. (٤) الحبارى: طائر يشبه الأوزة له غيرة في لونه. (٥) الدباء: قرع معروف كان صلى الله عليه وسلم يحب أكله، وقيل: هو القرع بأنواعه.

وأما نومه صلى الله عليه وسلم

- فكان قليلا، جاءت بذلك الآثار الصحيحة، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن عيني تنامان ولا ينام قلبي» وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأن النوم على الجانب الأيسر أهدؤ القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة؛ لميلها إلى الجانب الأيسر، فيستدعى ذلك الاستئفال فيه والطول، وإذا نام النائم على الجانب الأيمن تعلق القلب وقلق، فأسرع الإفاقة ولم يغمره الاستغراق. وكان صلى الله عليه وسلم ينام أول الليل ثم يقوم من السَّحَر، ثم يوتر ثم يأتي فراشه، فإذا سمع الأذان وثب، وكان إذا نام نفخ، ولا يَغْطُ غَطِيْطًا، وإذا رأى في منامه ما يروعه قال: «هو الله لا شريك له» وإذا أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده، وقال: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ» وكان يقول: «اللهم بأسمك أموت وأحيا» وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النُّشُور» .

وأما ضحكك صلى الله عليه وسلم

- فكان جُلّه النَّبَسَم، وربما ضحك من شيء معجيب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة صلى الله عليه وسلم، وأما عبارته صلى الله عليه وسلم فكان أفصح الناس، يخاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها، يباريها في متزَع بلاغتها، وقد تقدم من كلامه في كتبه إلى ملوك اليمن وغيرها ما يدل على ذلك، وإن كان ذلك لا يحتاج فيه إلى إفاضة دليل بعد أن أنزل القرآن بلغته. وكان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بين كلامه حتى يحفظه من جلس إليه، ويعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه،

ويخزن لسانه لا يتكلم في غير حاجة ، ويتكلم بجوامع الكلم ، فَصَّلَ لَا فُضُولَ
ولا تقصير ، وكان يَمَثِّلُ بشيء من الشعر ويمثل بقوله :

* وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ *

وبغير ذلك ، صلى الله عليه وسلم .

وأما النكاح وما يتعلق به

فهو مما يكثر التمدح بكثرتة وذلك ؛ لأنه دليل الكمال وصحة الذكورية ، ولم
يزل التفاحر بكثرتة عادة معروفة ، والتماذج به سيرة ماضية وسنة مأثورة ، قال ابن
عباس رضى الله عنهما : أفضل هذه الأمة أكثرها نساء . مشيراً إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « تَنَاحُوا إِنِّي مَبَاهٍ بِكُمْ الْأُمَمِ »^(٢)
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقدره الله تعالى على ذلك وحبيه له ، فكان
صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار ، وهن إحدى عشرة^(٤) ،
رواه أنس ، قال : وكنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين ، خرجه النسائي . وعن
طاوس : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلاً في الجماع ، ومثله
عن صفوان بن سليم . وقالت سلمى مولاته : طاف النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة على نسائه التسع ، ويطهر من كل واحدة قبل أن يأتى الأخرى . وقال :
« هذا أطهر وأطيب » .

(١) البيت لطرفة من معلقته ، وأوله :

* سَتَبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا *

(٢) المشهور « تَنَاحُوا تَنَاحُوا إِنِّي مَبَاهٍ بِكُمْ الْأُمَمِ » ولا يعرف حديث بهذا اللفظ الوارد في الأصول

راجع المواهب ج ٥ ص ٧٧ .

(٣) في شرح المواهب : في الليلة الواحدة ثم فسرها بالساعة الواحدة ، ورواية أنس : في الساعة

الواحدة . المواهب ج ٥ ص ٧٣ . (٤) إحدى عشرة : تسع زوجات ومارية وريحانة .

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم

فقد قال الله عز وجل فيه مخاطبا له صلى الله عليه وسلم : « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » ^(١) قالت عائشة رضي الله عنها : كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه ، وقال صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ^(٢) قال عليّ وأانس رضي الله عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا . وكان صلى الله عليه وسلم — فيما ذكره المحققون — مجبولا على ذلك في أصل خلقته وأول فطرته ، لم يحصل ذلك له بأكساب ولا رياضة ، إلا بجود الهى وخصوصية ربانية ، ومن طالع سيرته منذ صباه وإلى آخر عمره ، حَقَّق ذلك وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه .

وأما حلمه وأحتماله وعفوه

مع القدرة، والصبر على ما يكره، فقد جعلوا بين هذه الألقاب فرقا، فقالوا :
الحلم حالة تَوَقُّير وثبات عند الأسباب المُحَرِّكات، والاحتمال حبس النفس عند الآلام
والمؤذيات ، ومثله الصبر ، ومعانيها متقاربة ، وأما العفو فهو ترك المؤاخذة ،
وهذا كله مما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » ^(٣) رُوِيَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت
عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له : حتى أسأل العالم ، ثم ذهب فأتاه
فقال : « يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك » . وقال تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم : « وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ

٨٩
١٦

(١) آية ٥ سورة الفلم .

(٢) آية ١٩٩ سورة الأعراف .

من عَزَمِ الْأُمُورِ^(١)» وقال: «فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعَزَمِ مِنَ الرِّسَالِ^(٢)». وقد روى في حلمه وأحتماله وعفوه وصبره أحاديث كثيرة وقصص مشهورة، قد تقدم منها في أخباره، في أثناء هذه السيرة جملة كافية، ونحن نشير الآن في هذا الموضع إليها، وننبه في هذه الترجمة عليها، منها قصة أُحُد حين ناله من أذى كفار قريش ما ناله مما قدمنا ذكره، فشق ذلك على أصحابه، وقالوا: يا رسول الله، لو دعوت عليهم، فقال: «إني لم أبعث لعمري ولكنني بعثت داعياً ورحمةً اللّهم أهدي قومي فإنهم لا يعلمون» روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أنه قال في بعض كلامه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد دعا نوح على قومه فقال: «رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا^(٣)» ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا، فلقد وطئ ظهرك وأدبى وجهك وكسرت رباعتك، فأبيت أن تقول إلا خيراً، فقلت: «اللهم آغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». ومنها قصتنا غورث بن الحارث، ودُعُور بن الحارث حين أراد أن يفتكنا به، وأظفره الله بهما، وأمكنه منهما فعفا عنهما، كما تقدم ذكر ذلك في غزوتي غطفان وذات الرقاع، ومنها عفوه عن الذين هبطوا عليه في عمرة الحديبية، وأرادوا قتله فأخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم، ومنها صفحه عن قريش حين أمكنه الله منهم يوم الفتح، وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم، لما تقدم من أذاهم له، فمأزاد على أن عفا وصفح، وقال: «ماتة ولون إني فاعل بكم» قالوا: خيراً، أخ كريم وأبن أخ كريم، فقال: «أقول كما قال أخي

(١) آية ١٧ سورة لقمان .

(٢) آية ٣٥ سورة الأحقاف .

(٣) آية ٢٦ سورة نوح .

(٤) هو الذي سل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليفتك به فرماه الله بزلقة بين كتفيه وندر سيفه، والزلقة وجع في الظهر لا يتحرك الإنسان من شدته . ودعُور بن الحارث سيد غطفان معدود في الصحابة وقصة إسلامه في أسد الغابة، وفيه الاختلاف في نسبة هذه الحادثة إلى كل من دعُور وغورث .

- يوسف «لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»^(١) . ومما لم نذكره فيما أتينا عليه من سيرته صلى الله عليه وسلم ، ما ورد في الحديث الصحيح من قول الرجل له : أعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فلم يزد صلى الله عليه وسلم في جوابه إلا أن بين له ما جهله ، ووعظ نفسه وذكرها بما قال له ، فقال : « ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبتُ وخسرتُ إن لم أعدل » ونهى من أراد قتله من أصحابه . ومنه ما روى عن أنس رضى الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه بردٌ غليظ الحاشية ، فجبَّده أعرابي بردانه جبَّدة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه . ثم قال : يا محمد ، أحمل لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك ، فإنك لا تحمل لى من مالك ولا من مال أبىك ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « المال مال الله وأنا عبده »^(٢) ثم قال : « ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بى » ؟ قال : لا ، قال « لم » ؟ قال : لأنك لا تكفى بالسيدة السيئة ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعيرٌ وعلى الآخر تمرٌ .

- ومنه خبر زيد بن سعدة^(٣) حين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه ، وكان من أحبار يهود ، فجاءه يتقاضاه ديناً عليه ، فجبَّذ ثوبه عن منكبه ، وأخذ يجامع ثيابه وأغاظ له ، ثم قال : إنكم يا بنى عبد المطلب مطل فانتهره عمر بن الخطاب رضى الله عنه وشدَّد له في القول ، والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسَّم ، فقال رسول الله

(١) آية ٩٢ سورة يوسف . (٢) يقاد منك : يقتص منك .

(٣) سعدة : بالنون ويقال : سعية بالياء ، والنون أكثر ، كذا في أسد الغابة .

- (٤) مطل بضم الميم والطاء : جمع ماطل ، كذا في شرح المواهب ، وهو خلاف القياس ؛ أى تسوفون بالوعد مرة بعد أخرى .

صلى الله عليه وسلم : « أنا وهو كما إلى غير هذا منك أحوج يا عمر ، تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى » ثم قال : « لقد بقى من أجله ثلاث » وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما رَوَّه ، فكان سبب إسلامه ؛ وذلك أنه كان يقول : ما بقى من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في عهد إلا أثنتين ؟ لم أخبرهما ؛ يسبق حاتم^(١) جهله ، ولا يزيد شدة الجهل إلا حاتم ؛ فأخبرته بهذا فوجدته كما وُصف . والحديث عن حلمه وصبره وعفوه كثير ؛ روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حُرمةً من محارم الله ، وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما ضرب خادماً ولا امرأة . وجرى إليه برجل فقيل : هذا أراد أن يقتلك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن تُراعَ لن تُراعَ^(٢) ولو أردت ذلك لم تُسأطَ على » صلى الله عليه وسلم .

٩٠

١٦

٥

١٠

وأما جرده وكرمه وسخاؤه وسماحته صلى الله عليه وسلم

ومعانيها متقاربة ، وقد فرق بعضهم بينها بفروق بفعلوا الكرم : الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه - وسموه أيضاً حرية - وهو ضد الندالة . والسماحة : التجانى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس ، وهو ضد الشكاسة . والسخاء : سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يُحمد ، وهو الجود ، وهو ضد التقير ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأرفع ، بهذا جاءت الأحاديث الصحيحة ، منها ما رويناها في صحيح البخارى عن ابن المنكدر

١٥

(١) الجهل هنا المراد به الغضب . (٢) لن ترع : أى لا تفرح ولا تخوف .

(٣) الحرية من معانيها : من لم تملكه الصفات الذميمة ، من الحرص والشره على المقتنيات الدنيوية

٢٠

(مفردات الراغب ١١٠) وفى كلا الأصلين « حرية » بالهمز ولعلها محرفة عما أبتناه .

- قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا .
 وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس
 بالخير ، وأجود ما كان في شهر رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل عليهما السلام
 أجود بالخير من الرِّيحِ المُرْسَلَةِ . وعن أنس أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فأعطاه غنما بين جَبَّابَيْن ، فرجع إلى بلده وقال : أسلموا فإن محمدا يُعْطَى عطاءً
 من لا يخشى فاقه . وقد ذكرنا ما أعطاه صلى الله عليه وسلم من غنائم هَوَازِن .
 وأخبره صلى الله عليه وسلم في ذلك كثيرة ، وعطاياه فاشية ، لو استقصيناها لطلال
 بها التاليف ، وكان لا يبيت في بيته دينار ولا درهم . فإن فَضَلَ ولم يجد من يعطيه
 وَيُخِثُهُ^(١) الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه ، لا يأخذ مما آناه
 الله إلا قوت أهله عا ما فقط ، من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ويضع سائر ذلك
 في سبيل الله ، ثم يُؤْثِرُ^(٢) من قوت أهله حتى يحتاج قبل انقضاء العام ، صلى الله عليه
 وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين .

وأما شجاعته وتجدته صلى الله عليه وسلم

- فقد قالوا : الشجاعة فضيلة قوة الغضب ، وأنقيادها للعقل ، والنجدة :
 ثِقَّة النفس عند آسرها إلى الموت حيث يُجِدُ فعلها دون خَوْفٍ ، فكان النبي
 صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يُجْهَل ، قد شهد المواقف الصعبة ،
 وفتر الكفاة والأبطال عنه ، وهو ثابت لا يبرح ، ومُقْبِل لا يدبر ، وقد قدمنا من
 أخباره وثباته وحملاته في يومى أُحُد وحُنين ما تقف عليه هناك . وقد روينا
 بإسناد متصل عن البراء ، وقد سأله رجل : أفررتم يوم حُنين عن رسول الله
 (١) بغيه وبغاه (بالكسر والفتح) : هجم عليه من غير أن يشعر به . (٢) يؤثر : يعطى .

صلى الله عليه وسلم؟ قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَفِرَّ ، ثم قال : لقد رأيتُه على بَعْلته البَيْضَاءِ وأبو سُفْيَانَ أَخَذَ بِلِجَامِهَا ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أنا النبيُّ لا كَذِبُ » وزاد غيره « أنا ابن عبد المطلب » قيل : فإرَى يومئذٍ أحدٌ كان أشد منه . وقال غيره : نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بقلته .

وذكر مسلم عن العباس قال : فلما ألتقى المسلمون والكفار ولَّى المسلمون مُدْبِرِينَ فَطَفِقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرْكُضُ بقلته نحو الكفار وأنا أخذت بِإِجَامِهَا أَكْثَمَهَا إِرَادَةَ الْأَثْرَعِ وَأَبُو سُفْيَانَ أَخَذَ بِرِكَابِهِ ، ثم نادى بالمسلمين .^(١)

الحديث . وقال ابن عمر : ما رأيت أشجع ولا أنجِد ولا أجود ولا أَرْضَى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : إنا كنا إذا جِئَ الْبَاسُ — ويروى أَشْتَدَّ الْبَاسُ — وَأَحْمَرَتِ الْحَدَقُ ، آتَقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ ، وَنَحْنُ نَلُودُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بِأَسَا .

وقيل : كان الشجاع الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه منه . وعن أنس قال : كانت النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ؛ لقد فزع أهل المدينة ليلةً فَأَنْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ ، فَتَلَقَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَأَسْتَبْرَأَ الْخَبْرَ ، عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرَى ، وَالسَّيْفِ فِي عُنُقِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « لَنْ تَرَاعَوْا » .^(٢) وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ : مَا لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتِيبَةً إِلَّا كَانَ أَوَّلَ مَنْ يَضْرِبُ .

٩١
١٦

(١) المشهور : أنه صلى الله عليه وسلم قال لعنه العباس : « ناديا معشر الأنصار ، يا أصحاب الشجرة » يعني شجرة الرضوان التي بايعوا تحبها ألا يفروا عنه . كما في مسلم والبخارى . راجع غزوة حنين في شرح المواهب ٣ : ١٤ (٢) استبرأ . الخبر : كشفه والوقوف على حقيقةه ، وفي شرح المواهب : استبرأ فعل ماض . (٣) عرى : (بضم المهملة وسكون الراء) : ليس عليه مرج ولا أداة . (٤) لن ترعوا : أى ليس هناك شئ يخافونه .

٥

١٠

١٥

٢٠

- وأما حياؤه وإغضاؤه صلى الله عليه وسلم
والحياء : رِقَّة تَعْتَرَى وجه الإنسان عند فعل ما يُتَوَقَّع كراهته أو ما يكون تركه
خيرا من فعله . والإغضَاء : التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته ، وكان النبي صلى الله
عليه وسلم أشدَّ الناس حياءً ، وأكثرهم عن العورات إغضَاءً ، وقد أخبر الله تعالى
بحيائه فقال : «إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِيبُ مِنْكُمْ»^(١) وعن أبي سعيد الخدري :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره
شيئا عرفناه في وجهه . وكان صلى الله عليه وسلم لا يُسَافِهُ أحدا بما يكره حياءً وكرم
نفس . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
بَلَّغَهُ عن أحدٍ ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ، ولكن يقول : «ما بال أفوام
يصنعون — أو يقولون — كذا» ينهى عنه ولا يسمي فاعله . وروى أنس رضى الله
عنه أنه دخل عليه رجل به أثرُ صُفْرَةٍ ، فلم يقل له شيئا — وكان لا يُؤَاجِهُ أحدا
بما يكره — فلما خرج قال : « لو قلمت له يغسل هذا » وروى « يتزعمها » .
وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد ،
وأنه كان يكتفي عما أضطره الكلام إليه مما يكره ، صلى الله عليه وسلم .

- وأما حُسنِ عِشْرَتِهِ وَأَدَبِهِ وَبَسْطِ خُلُقِهِ صلى الله عليه وسلم
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الناس عِشْرَةً ، وأكثرهم أدبا ،
وأبسطهم خُلُقًا مع أصناف الخلق ، أنتشرت بذلك الأخبار الصحيحة ،
منها ما رويناها بسند متصل عن قيس بن سعد قال : زارنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها ، فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا

ووطأ عليه بقطيفة، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال سعد : يا قيس،
 أحسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال قيس : فقال لى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « أركب » فأبئت، فقال : « إما أن تركب وإما أن تنصرف » فأنصرفت،
 وفي رواية أخرى : « أركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها » . وكان صلى الله
 عليه وسلم لا يدع أحدا يمشى معه وهو راكب حتى يحمله ، فإن أبى قال :
 « تقدمني إلى المكان الذي تريد » وركب صلى الله عليه وسلم حمارا عريا إلى قباء،
 وأبو هريرة معه، فقال : « يا أبا هريرة أحملك » ؟ فقال : ماشئت يا رسول الله،
 فقال : « أركب » وكان في أبي هريرة ثقل، فوثب ليركب فلم يقدر، فأستمسك
 برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا، ثم ركب صلى الله عليه وسلم فقال :
 « يا أبا هريرة أحملك » ؟ فقال : ماشئت يا رسول الله ، فقال : « أركب » فلم
 يقدر على ذلك ، فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ، ثم قال :
 « يا أبا هريرة أحملك » ؟ فقال : لا ، والذي بعثك بالحق لا صرعتك ثالثا . وكان
 لا يدع أحدا يمشى خلفه ويقول : « خلوا ظهوري لللائكة » . وكان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يؤلف أصحابه ولا ينفّرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويؤلف عليهم ،
 ويحذر الناس ويحترس منهم ، من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه ،
 يتفقد أصحابه ، ويعطى كل جاسائه نصيبه ، لا يحسب جلسه أن أحدا أكرم عليه
 منه ، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله
 حاجة لم يرده إلا بها ، أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار
 لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء ، هكذا وصفه ابن أبي هالة ، قال : وكان دائم
 البشر سهل الخلق لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب^(١) ولا خشاش ،

(١) سخاب : السخب والصخب الصياح ، أى ليس بذى صياح ولا بذى خشش .

- ولا عيَاب ولا مَدَاح ، يتغافل عما لا يُشتمى ولا يُؤنس منه . وكان صلى الله عليه وسلم يجيب من دعاه ، ويقبل الهدية ، ولو كانت كُرَاعاً ، وَيُكَافِي عليها ، قال أنس : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أفَّ قَطَّ ، وما قال لشيء صنعته لم صنعته ، ولا لشيء تركته لم تركته ، ومن رواية أخرى عنه قال : خدمته نحوًا من عشر سنين فوالله ما صحبتته في سفر ولا حضر لأخدمه إلا وكانت خدمته لي أكثر من خدمتي له ، وما قال لي أفَّ قَطَّ ، ولا قال لشيء فعلته لم فعلت كذا ، ولا لشيء لم أفعله إلا فعلت كذا ؟ . وكان صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة فقال رجل : يا رسول الله ، على ذبُّها ، وقال آخر : على سلخها ، وقال آخر : على طبخها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وعلى جمع الحطب» قالوا : يا رسول الله ، نحن نكفيك ، فقال : « علمت أنكم تكفونى ولكنى أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه مميزًا بين أصحابه » وقام بجمع الحطب . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال : « لبيك » وكان يمازح أصحابه ويُخالطهم ويُحادثهم ويُداعِب صبيانهم ويُجلسهم في حجره ، ويجيب دعوة الحرِّ والعبد والأمة والمسكين ، ويعُود المرضى في أقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذر ، قال أنس : ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ، ولم ير مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، لم يرقط مادًا رجله بين أصحابه حتى يضيق بهما على

٢٠

(١) كراع كغراب : مستدق الساق العارى من اللحم .

(٢) معنى التقم هنا : جعل فم يماذى أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحد ، يكرم من يدخل عليه ، وربما بسط له ثوبه ، ويؤثره بالوسادة التي تحته ، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبي ، ويكنى أصحابه ، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكريماً لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجاوز فيقطعه بنهي أو قيام ، ويروى : بانتهاء أو قيام ، ويروى : أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته ، فإذا فرغ عاد ، إلى صلاته ، وكان أكثر الناس تبساً ، وأطيبهم نفساً ، ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب .

وأما شفقتة ورأفته ورحمته صلى الله عليه وسلم لجميع الخلق

فقد أخبر الله تعالى بذلك ووصفه بهذه الأوصاف ؛ فقال تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » وقال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » فكان من شفقتة على أمته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم ، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء »^(٣) وخبر صلاة الليل ، ونهيمهم عن الإصصال ، وكراهيته دخول الكعبة لئلا يعين أمته ،^(٤) ورغبته لربه أن يجعل سببه ولعنه لهم رحمة ، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجاوز^(٥) في صلاته . ومن شفقتة صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال : « أَيُّمَا رَجُلٍ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ فَأَجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً وَصَلَاةً وَطَهُورًا وَقُرْبَةً تَقْرِبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . ومن ذلك أنه لما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال له :

٩٣
١٦

(٢) آية ١٠٧ سورة الأنبياء .

(١) آية ١٢٨ سورة التوبة .

(٤) بعنت : يشق عليهم ،

(٣) الإصصال في الصوم : ألا يفطر يومين أو أياماً .

(٥) يتجاوز : يخفف ويقلل .

أى بالازدحام . في هامش ج « في نسخة يتعب أمته » .

(٦) صلاة : دعا .

إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداه ملك الجبال وسلم عليه ، فقال : مرني بما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين^(١) ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا » . وروى ابن المنكدر : أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك ، فقال : « أُؤثّر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم » . ومن ذلك ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا يُبْلَغني أحدٌ منكم عن أحد من أصحابي شيئا ، فإنني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » . وقال ابن مسعود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة بمخافة السامة علينا ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

١٠ وأما وفاؤه وحسن عهده وصلته للرحم

صلى الله عليه وسلم

فكان صلى الله عليه وسلم قد بلغ من ذلك الغاية التي لا يُدرك شأوها ، ولا يُبلّغ مداها ، ولا يطمع طامع سواه بالأتصاف بها ، جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة ، من ذلك ما روينا بإسناد متصل عن عبد الله بن أبي الحمساء قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية فوعده أن آتية بها في مكانه فنسيت ، ثم ذكرت بعد ثلاث ، فبُعث فإذا هو في مكانه ، فقال : « يا فتى لقد شققت عليّ أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك » . وعن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتني بهدية قال : « أذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة » . وعن عائشة

٢٠ (١) الأخشبان : جبلان معلقان بمكة وهما أبو قيس والأحمر .

(٢) يتخولنا : يتعهدنا ، من قولهم : فلان خائل مال ؛ وهو الذي يصاحبه ويقوم عليه .

أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : ما غررتُ على امرأة ما غررتُ على خديجة ؛
 لما كنتُ أسمعُه يذكرها ، وإن كان ليذبح الشاة فيهدبها إلى خلأئها ، وأستاذنت
 عليه أختها فأرتاح إليها ، ودخلت عليه امرأة فهش لها ، وأحسن السؤال عنها ، فلما
 خرجت قال : « إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وإنا حُسن العهد من الإيمان » .
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم
 رحما سابلها بيلاها » .^(١) وعن أبي قتادة قال : وفد وفد للنجاشي ، فقام النبي صلى الله
 عليه وسلم يخدمهم ، فقال له أصحابه : نكفيك ، فقال : « إنهم لأصحابنا مكرمين
 وإني أحب أن أكافئهم » . ولما جرى بالشيماء أخته من الرضاعة في سبايا هوزان
 وتعرفت له ، بسط لها رداءه ، وقال لها : « إن أحببت أقت عندى مكرمة مُحبة
 أو متعتك ورجعت إلى قومك » فأختارت قومها فتمتها . وقال أبو الطَّفَّيل : رأيت النبي
 صلى الله عليه وسلم وأنا غلامٌ ، إذ أقبلت امرأةٌ حتى دنت منه ، فبسط لها رداءه
 بغاست عليه ، فقلت من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته . وعن عمرو بن السائب
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة ، فوضع
 له بعض ثوبه فقمعد عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شِقَّ ثوبه من جانبه الآخر
 بجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه
 بين يديه . وكان يبعث إلى ثوية مولاة أبي لهب مُرضعته بصلة وكسوة ، فلما
 ماتت سأل من بقى من قرابتها فقيل : لا أحد . وفي حديث خديجة رضى الله عنها

(١) خلأئها : صواحباتها . (٢) العهد : يريد الحفاظ ورعاية الحرمة .

(٣) (البلال) جمع بلل ، وقيل : كل ما بل الخلق من ماء أولبن أو غيره ؛ أى أصلكم فى الدنيا

ولا أغنى عنكم من الله شيئا . (٤) كذا فى الأصول والمواهب ٤ : ٢٧٦ وقال شارحها :

« صوابه عمر » . وهو فى التهذيب « عمر » أيضا .

أنها قالت له صلى الله عليه وسلم في آبتداء النبوة : أبشرفوا لله لا يُخزبك الله أبدا ،
إنك لتصل الرحم ، وتحمّل الكلل^(٢) ، وتكسب^(٣) المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين^(٤)
على نوائب الحق .

وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم مع علو منصبه ورفعة مرتبته

- فكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا ، وأقلهم كبرا ، وقد جاء أنه
خير بين أن يكون نبيا ملكا ، أو نبيا عبدا ، فأختر أن يكون نبيا عبدا ، فقال له
إسرافيل عند ذلك : فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم
القيامة ، وأول من تنشق الأرض عنه ، وأول شافع . ومما رويناه بسند متصل عن
أبي أمامة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا ، فقمنا
له فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يُعظم بعضها بعضا » . وقال : « إنما
أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » وكان يركب الحمار ، ويُرْدِف
خلفه ، ويعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويجيب دعوة العبد ، ويجلس
بين أصحابه مختلطا بهم ، حيث ما انتهى به المجلس جلس ، وعن أنس : أن امرأة
كان في عقلها شيء جاءته فقالت : إن لى إليك حاجة ، قال : « اجلسي يا أم فلان
في أى طُرق المدينة شئت اجاسي إليك حتى أفضى حاجتك » قال : جلست بجانس
النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها . قال أنس : حج رسول الله
صلى الله عليه وسلم على رَحْل رَثَّ وعليه قِطيفة ما تساوى أربعة دراهم ، فقال :

(١) لا يفرزك : لا يذللك ولا يهينك .

(٢) الكلل : النقل من كل ما يتكلف ، والكل العيال .

(٣) تكسب : تعطى الناس الشيء المعدوم عندهم وتوصله إليهم .

(٤) النوائب : ما ينزل من الحوادث والمهمات .

« اللهم أجعله حَجًّا لا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةً » . هذا وقد أهدى في حجه ذلك مائة بَدَنَةَ ، ولما فتحت عليه مكة دخلها وقد طَاطَأَ رأسه على رَحْله حتى كاد يمس قَادِمَتَه تواضعا لله تعالى .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لما دخل مكة جاءه أبو بكر الصديق رضى الله عنه بأبيه لِيُسَلِّمَ فقال : « لِمَ عَنَيْتَ^(١) الشَّيْخَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَا تَرَ كُنْتَهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيَهُ فِي مَنْزِلِهِ » وقد تقدم ذكر ذلك في الفتح . وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم رضى الله عنهم ، في صفته صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يزيد على بعض ، أنه كان صلى الله عليه وسلم في بيته في مِهْنَةٍ أَهْلُهُ ، يَقْلِي^(٢) ثَوْبَهُ ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ ، وَيَرْقَعُ^(٣) ثَوْبَهُ ، وَيَخْصِفُ^(٤) نَعْلَهُ ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ ، وَيَقْمُ^(٥) الْبَيْتَ ، وَيَعْقِلُ^(٦) الْبَعِيرَ ، وَيَعَانِفُ^(٦) نَاصِحَهُ ، وَيَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ ، وَيَعْجَنُ مَعَهَا وَيَحْمِلُ بِضَاعَتَهُ مِنَ السُّوقِ . وعن أنس : أن كانت الأُمَّة من إِمَاءِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ حَتَّى يَقْضَى حَاجَتَهَا . ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال له : « هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ أَمْرَأَةٍ مِنْ قَرِيْشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ » . وعن أبي هريرة قال : دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فأشترى سَرَاوِيلَ ، وقال للوزان « زِنْ وَأَرْحِجْ » وذكر القصة ، قال : فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها بخدب يده ، وقال : « هذا يفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما

(١) عنيته : كلفته ما يشق عليه . (٢) المهنة : الخدمة ، ومهنة أهله خدمتهم .

(٣) يقلى : يزيل ما الترق به من قل غيره ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم نور ، والقمل من الوسخ ، وهو

نظيف طاهر . (المواهب : ٤ : ٣١٧) . (٤) الخصف : ترقيق النعل .

(٥) يقم : يكمن . (٦) الناصح : الجمل ، أو الجمل الذي يحمل الماء من النهر أو البئر .

(٧) القديد : العنم المجفف .

أنا رجل منكم « ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال : « صاحبُ الشيء أحق
بسيئته أن يحمله » . وقد ذكر الأمين العاصمي بعض ذلك في قصيدة له فقال :

يا جاعلاً سنن النبي شعاره ودثاره^(١)
مُتَسِّكاً بحديثه متبعا أخباره
سنن الشريعة خذ بها متوسِّماً^(٢) آثاره
وكذا الطريقة فآقبس في سبلها أنواره
قد كان يقري ضيفه^(٣) كرماً ويحفظ جاره
ويجالس المسكين يؤ رُقربه وجواره
الفقر كان رداءه والجوع كان شعاره
يلقى بغزة ضاحك^(٤) مستبشراً زواره
بسَط الرِّداء كرامةً لكريم قوم زاره
ما كان مختالاً ولا مَرِحاً^(٥) يمجز إزاره
قد كان يركب بالردي يف من الخضوع حماره
في مهنة هو أو صلا^(٦) ة ليله ونهاره
فستراه يجلب شاة من نزله ويوقد ناره
ما زال كهف مهاجريد به ومُكرماً أنصاره
براً بمُحسنهم مُقي للاً^(٦) للئسيء عشاره
يهب الذي تحوى يدا ه لطالب إشاره

٩٥

١٦

(١) الدثار: الثوب فوق الشعار. (٢) متوسماً: متعلماً بآثاره. (٣) يقري: يطعم.

(٤) الغرة: بياض الوجه. (٥) المرح: الأشر والبطر والتبخر والاختيال.

(٦) المهنة: الخدمة.

زَكَّى عَنِ الدُّنْيَا الدِّينَ يَّةَ رَبِّهِ مِقْدَارَهُ
 جعل الإله صلواته أبدا عليه تُشَارُهُ^(١)
 فأختر من الأخلاق ما كان الرسولُ آخْتَارَهُ
 لتعد سُنَيًا وتو شك أن تَبَوَّأَ^(٢) دَارَهُ

وأما عدله وأمانته وعِفِّته وصدق لهجته

صلى الله عليه وسلم

فكان صلى الله عليه وسلم أعدل الناس، وآمن الناس، وأعف الناس، وأصدق
 الناس لهجة منذ كان، وكان يسمى قبل نبوته الأمين، وقد قال صلى الله عليه وسلم:
 « والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض » وقد صدقه عداه في مواطن كثيرة تقدم
 ذكرها، وقد قدمنا قوله صلى الله عليه وسلم للرجل: « ويحك إن لم أعدل فمن يعدل
 خبت وخسرت إن لم أعدل ». وقال ابن خالويه: جزأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 نهاره ثلاثة أجزاء: جزءا لله، وجزءا لأهله، وجزءا لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين
 الناس، فكان يستعين بالخاصة على العامة، ويقول: « أبلغوا حاجة من لا يستطيع
 لإبلاغى فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع أتمنه الله يوم الفزع الأكبر ». وعن
 الحسن قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يأخذ أحدا بقرف أحد^(٣)
 ولا يصدق أحدا على أحد » صلى الله عليه وسلم، ولم تمس يده امرأة قط لا يملك
 رقها أو نكاحها أو تكون ذات محرم ».

(١) النار: ما يلقى منفردا. شبه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم باللزوق المشور.

(٢) تبوأ: نزل وسكن.

(٣) بهامش ج: « قرفت الرجل بسوء طننته به أو رويته به، وقرفته بالأمر إذا أضافه إليه ».

وَأَمَّا وَقَارُهُ وَصَمْتُهُ وَتَوَدُّتُهُ وَمُرُوءَتُهُ

وَحَسَنُ هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- فقد روينا بإسناد متصل عن خارجة بن زيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يُخرج شيئاً من أطرافه . وروى أبو سعيد الخُدْرِيُّ رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس أحتبى بيديه ، وكذلك كان أكثر جلوسه محتبياً . وعن جابر بن سمرّة : أنه تربّع ، وربما جلس القرفصاء ، وكان كثير السكوت ، لا يتكلم في غير حاجة ، يعرض عن تكلم بغير جميل ، وكان ضحكته تبسماً وكلامه فضلاً لا فضول ولا تقصير ، وكان ضحك أصحابه عنده التبسّم توقيراً له وأقتداءً به ، مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة ، لا تُرفع فيه الأصوات ، ولا تُؤنّب فيه الحرم ، إذا تكلم أطرق جاسأوه كأنما على رءوسهم الطير . وفي صفته : يخطو تكفؤاً ويمشى هوناً كأنما يخط من صلب . وفي الحديث الآخر : « إذا مشى مشى مجتمعاً ، يعرف في مشيته أنه غير غريص ولا وكل ؛ أى غير صجّير ولا كسلان . وقال عبد الله بن مسعود : إن أحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم . وعن جابر بن عبد الله : كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيب أو ترتيب ، قال ابن أبي هالة : كان سكوته على أربع : على الحلم ،

٩٦
١٦

- (١) الاحتباء : أن يعتمد على ساقه ويديه . (٢) بهامش ج : « القرفصاء : جلسة المحتبى بيديه ، يقال : قرفص إذا شد يديه تحت رجله ، والحبوض ضم الساق إلى البطن بثوب » . (٣) فصلاً : بيناً ؛ ظاهراً يفصل بين الحق والباطل ، كقوله تعالى : « إنه لقول فصل وما هو بالهزل » . (٤) تؤنّب : أى يسان مجلسه عن رفث القول ولا تذكرفيه الحرم بقبیح . (٥) تكفؤاً : تمايل إلى قدام ، وروى غير مهموز « تكفى تكفياً » . (٦) هوناً : الهون الرفق واللين واللين . (٧) الصبب : الموضع المنحدر . (٨) الترتيل : التأني والتأمل ، و« أو » إشارة إلى أنه روى بكل منهما وروى بالواو فهو عطف تفسير .

والْحَدَّرَ، والتَّقْدِيرَ، والتَّفَكْرَ . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عدّه العادُّ لأحصاه . وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطَّيِّبَ والرَّائِحَةَ الحسنة ويحض عليها ويقول : « حُبِّبَ إِلَى من دُنِيَائِكم النِّسَاءُ ، والطَّيِّبُ وجُعِلت قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » . ومن مُرْوَعته صلى الله عليه وسلم نهيهِ عن النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ والشَّرَابِ ، والأَمْرِ بِالْأَكْلِ مِمَّا يَلِي ، والأَمْرِ بِالسَّوَالِكِ ، وإِقْتَاءِ البَرَّاجِمِ ^(١) والرَّوَابِجِ ، وأسْتِعْمَالِ خِصَالِ الفِطْرَةِ . صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا أبدا دائما إلى يوم الدين ، آمين .

وأما زُهدُه فِي الدُّنْيَا صلى الله عليه وسلم

فحسبك من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم تُوْفِيَ وِدْرَعُهُ مرهونة عند يهودي في نفقة عياله ، بعد أن فتح الله عليه من الفتوحات ما ذكرناه ، وآتاه من الأنعام والصفايا ^(٢) ما قدمناه ، فأثر بذلك كله ، وكان يقول : « اللهم أجعل رزق آل محمد قوتا » ^(٣) وسنذكر إن شاء الله تعالى في أحواله ما ناله من شِدَّة العَيْشِ والجُوعِ ما تقف عليه هناك . قالت عائشة رضى الله عنها : لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذوكيد إلا شَطْرَ شعير في رَق لي ، وقال لي : « إني عَرِضُ عَلِيَّ أَنْ تُجْعَلَ لِي ^(٤) »

(١) في هامش ج : « البراجم رهوس السلاميات من ظاهر الكف إذا قبض القابض كفه نشرت ، واحدها برجة ، والرواجب : بطون السلاميات ، واحدها راجبة ، والسلاميات واحدها سلامي ، وهي العظام التي بين كل مفصلين من مفاصل الأصابع ، ويقال لها الفصوص » .

(٢) الفطرة : الإسلام ، والفطرة هنا ستة الأنبياء عليهم السلام التي أمرنا باتباعها .

(٣) الصفايا جمع صفة : ما يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الغنيمة قبل القسمة .

(٤) أثر بذلك : فضل وقدم ؛ أي أعطاه لغيره من فقراء المسلمين .

(٥) قوتا : قليلا يكفي لسد الرزق .

(٦) شطر شعير ؛ قبيل : المراد به بعض شعير أو نصف منه . قاله في شرح المواهب ، والزلف بالفتح والشد) : شبه الطاق في الحائط . (الصحاح) .

- بَطْحَاء مَكَّة ذَهَبًا ، فَقَلتْ لَا يَا رَبَّ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبِعُ يَوْمًا ، فَأَمَّا الْيَوْمَ الَّذِي أَجُوعُ فِيهِ فَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ وَأَدْعُوكَ ، وَأَمَّا الْيَوْمَ الَّذِي أَشْبِعُ فَأُحْمَدُكَ وَأُثْنِي عَلَيْكَ » .
- وفي حديث آخر : « إن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له : إن الله يقرئك السلام ويقول لك : أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبًا ، وتكون معك حيثما كنت ؟ »
- فأطرق ساعة ثم قال : « يا جبريل ، إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له . قد يجمعها من لا عقل له » فقال له جبريل : ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت .
- صلى الله عليه وسلم .

وَأَمَّا خَوْفُهُ رَبَّهُ ، وَطَاعَتُهُ لَهُ ، وَشِدَّةُ عِبَادَتِهِ

صلى الله عليه وسلم

- ١٠ فكان ذلك على قدر علمه بربه تبارك وتعالى ؛ ولذلك قال فيما رواه بسند متصل عن سعيد بن المسيب : إن أبا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » . ومن رواية عن أبي عيسى الترمذي عن أبي ذرٍّ : « إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّطَ مَا فِيهَا مَوْضِعَ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَفِيهَا مَلَكٌ سَاجِدٌ لِلَّهِ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ ، وَاللَّهُ أَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضُحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ ، وَخَلَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَّارُونَ إِلَى اللَّهِ ، أَوَدَدْتُ أَنْي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ^(١) » . روى هذا الكلام : « ووددت أني شجرة تُعْضَدُ » من قول أبي ذر
- ١٥

(١) أطت : الأظيط صوت الأفتاب ؛ أي إن كثرة ما فيها من الملائكة أنفلها حتى أطت ، هذا مثل ،

وليس هناك أظيط .

(٢) الصعدات جمع صعدة : وهي فناء باب الدار ومسر الناس بين يديه ، وتجارون : ترفعون

أصواتكم . (٣) تعضد : تقطع .

نفسه وهو أصح. وفي حديث آخر: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنتفخت قدماه. وفي رواية: كان يصلي حتى تريم قدماه، فقبيل له أتكلّف هذا وقد غُفِرَ لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟، قال: «أفلا أكون عبدا شكورا». وقالت عائشة رضي الله عنها: كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة^(١)، وأيضاً يُطبق ما كان يُطبق. وقالت: كان يصوم حتى نقول لا يُفطر، ويُفطر حتى نقول لا يصوم. وكان صلى الله عليه وسلم يصوم الإثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء، وقل ما كان يُفطر يوم الجمعة، وأكثر صيامه في شعبان. وقال عوف بن مالك: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فأتاك ثم توضأ ثم قام فصلى فقامت معه، فبدأ فاستفتح البقرة، فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم رجع فمكث بقدر قيامه يقول: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة» ثم سجد، وقال مثل ذلك، ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك. وعن حذيفة مثله، وقال: سجد نحواً من قيامه، وجلس بين السجدين نحواً منه، وقال: حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة. وعن عبد الله بن الشَّخِير قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولجؤفه أزيز^(٢) كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ. وقال ابن أبي هالة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحران، دائم الفكرة، ليست له راحة. وقال صلى الله عليه وسلم: إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة، وروى سبعين مرة. وعن عليّ

(١) ديمة: في النهاية: الديمة المطر الدائم في سكون، شبهت عمله في دوامه مع الاقتصاد بديمة المطر.

(٢) أزيز: صوت الغليان، أي حنين من الخوف، وقيل: هو أن يجيش جوفه ويفلج بالبكاء، والمرجل: الإناء من نحاس يفلج فيه الماء، وقيل: الإناء الذي يفلج فيه الماء مطلقاً.

٥

١٠

١٥

٢٠

- أَبْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سُنَّتِهِ فَقَالَ : « الْمَعْرِفَةُ رَأْسُ مَالِي ، وَالْعَقْلُ أَصْلُ دِينِي ، وَالْحُبُّ أَسَاسِي ، وَالشَّوْقُ مَرْكَبِي ، وَذَكَرُ اللَّهِ أُنَيْسِي ، وَالثَّقَّةُ كَثْرِي ، وَالْحُزْنُ رَفِيقِي ، وَالْعِلْمُ سِلَاحِي ، وَالصَّبْرُ زَادِي ، وَالرِّضَا غَنِيمَتِي ، وَالْعِزُّ نَجْوِي ، وَالزُّهْدُ حِرْقَتِي ، وَالْيَقِينُ قُوَّتِي ، وَالصَّدَقُ شَفِيعِي ، وَالطَّاعَةُ حَسْبِي ^(١) ، وَالْجِهَادُ خُلُقِي ، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « وَثَمَرَةُ فَوْادِي فِي ذِكْرِهِ ، وَغَمِّي لِأَجْلِ أُمَّتِي ، وَشَوْقِي إِلَى رَبِّي » . وَلِنِصْلِ هَذِهِ الْفُصُولِ الَّتِي شَرَحْنَاهَا فِي صِفَاتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا وَرَدَ مِنْ طِيبِ رِيحِهِ ، وَعَرَقِهِ ، وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى .

ذِكْرُ نَبْذَةِ مَا وَرَدَ فِي نِظَافَةِ جَسْمِهِ ، وَطِيبِ رِيحِهِ ، وَعَرَقِهِ

- ١٠ وَتَزَاهَتِهِ عَنِ الْأَقْدَارِ وَعَوْرَاتِ الْجَسَدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَصَّه اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ بِخِصَائِصٍ لَمْ تَوْجَدْ فِي غَيْرِهِ ، وَمَنْعَهُ مَنَعًا لَمْ تَكُنْ فِي سِوَاهُ ؛ مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَيْنَاهُ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ بِإِسْنَادِهِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا شَمَمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ وَلَا مِسْكَ وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ خَدَّهُ ، قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّهَا أُخْرِجُهَا مِنْ جُودَةِ عَطَّارٍ ^(٢) . قَالَ غَيْرُهُ : مَسَمَهَا بِطِيبٍ أَوْ لَمْ يَمَسَمَهَا ، يَصَالِحُ الْمِصَالِحُ فَيُظَلُّ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَهَا ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيَعْرِفُ مِنْ بَيْنِ الصَّبِيَّانِ بِرِيحِهَا . وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ فِي دَارِ أَنَسِ فَعَرِقَ ، بَخَّاتِ أُمَّ أَنَسٍ بِقَارُورَةٍ تَجْمَعُ فِيهَا عَرَقُهُ ، فَسَأَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ

٢٠ (١) حَسْبِي (بِالْفَتْحِ) : أَي مَا أَفْتَخِرُ بِهِ ، وَ(بِالسُّكُونِ) أَي الطَّاعَةُ تَكْفِينِي .
 (٢) الْجُودَةُ (بِالضَّمِّ) : الَّتِي يَعْدُ فِيهَا الطِّيبُ وَيَجْرُزُ .

فقلت : نجعله في طِيننا وهو من أَطْيَبِ الطَّيْبِ . وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يتر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه . وذكر إسحاق بن راهوية : أن تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم . وروى المزني^(١) عن جابر قال : أُرِدْفِي النبي صلى الله عليه وسلم فَأَلْتَقَمْتُ خَاتِمَ النَّبُوَّةِ بِقَمِيٍّ وَكَانَ يَنْبَغِي عَلَيَّ مِسْكَ . ونقل القاضي عياض بن موسى قال : حكى بعض المعتننين بأخباره وشماله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوَّطَ أَشَقَّتْ الأَرْضُ فَأَبْتَلَعَتْ غَائِطَهُ وَبَوَّلَهُ ، وَفَاحَتْ لَذَكِ رَائِحَةَ طَيْبَةٍ . وأسند محمد بن سعد في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك تأتي الخلاء ولا يرى منك شيء من الأذى . فقال : « يا عائشة أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء » قال القاضي عياض : وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدّثين منه صلى الله عليه وسلم . ومن ذلك حديث علي بن أبي طالب في الوفاة وسنذكره إن شاء الله تعالى . وقد جاء عن أمه آمنة أنها قالت : ولدتَه نَظِيْفًا مَا بِهِ قَدْرٌ . صلى الله عليه وسلم . ولتختم هذه الفصول بحديث هند بن أبي هالة بلجمه بين صفاته صلى الله عليه وسلم الذاتية والمعنوية . والله أعلم .

ذكر حديث هند بن أبي هالة

وما تضمن من أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذاتية والمعنوية
 حدّثنا الشيخان المحدثان شرف الدين أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن يعقوب
 الحلبي ، وزين الدين أبو محمد عبد الحق بن قينان بن عبد المجيد القرشي - رحمهما
 الله - قراءة عليهما وأنا أسمع في شهر رجب عام ثمانية وسبعائة ، قالوا : حدّثنا الشيخ

(١) في « المري » .

- أبو الحسن محمد بن أبي عليّ الحسين بن عتيق بن رشيقي الرّبيعي المالكي سمعا في سؤال سنة ثمان وستين وستمائة بمصر، وبقراءة الشيخ زين الدين الثاني على الشيخ نظام الدين الحسين بن محمد بن الحسن بن الخليلي، وبإجازتهما من الحافظ أبي الحسين يحيى ابن علي بن عبد الله القرشي، وتاج الدين علي بن أحمد بن القسطلاني، قالوا أخبرنا أبو الحسين محمد بن أبي جعفر أحمد بن جبيرة الكفاني، قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى التميمي إجازة، قال أخبرنا القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله تعالى، قال ابن القسطلاني: وأخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء إجازة، قال أخبرنا أبو الفضل عياض إجازة، قال القاضي أبو الفضل حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءة عليه سنة ثمان وخمسمائة، قال حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله ابن طاهر التميمي، قال قرأت عليه: أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن الحسن النيسابوري، والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي، والقاضي أبو عليّ الحسن بن علي بن جعفر الوخشي^(١)، قالوا: حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي، قال أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة الحافظ، قال حدثنا سفيان بن وكيع، قال حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء من كتابه، قال حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال سألت خالي هند بن أبي هالة. قال القاضي أبو عليّ رحمه الله: وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خذاداذ الكرخي الباقلاني، قال
- (١) الوخشي نسبة إلى بلد بنواحي بلخ، والذي في شرح القاسموس: الحسن بن علي بن محمد بن جعفر.

- (١) يَدْرُهُ الغَضْبُ ، أَقْنَى العَرْنَيْنِ ، لَهُ نورٌ يعلوه ، وَيَحْسِبُهُ مَنْ لم يَتأمله أَشْمٌ ، كَثُ
 الخَبِيَّةِ ، أَدْعَجٌ ، مَهْلُ الخَدَيْنِ ، ضَلِيعُ القَمِّ ، أَشَدُّبُ مُفَلِّجُ الأَسنانِ ، دَقِيقُ المَسْرِيَّةِ ،
 كَأَنَّ عَنقَهُ جَيِّدٌ دَمِيَّةٌ فِي صَفَاءِ الفِضَّةِ ، مَعْتَدِلُ الخَلْقِ ، بِأَدِنَا مَتَماسِكًا ، سِوَاهُ البَطْنِ
 وَالصَّدْرِ ، مَشِيحُ الصَّدْرِ ، بَعِيدٌ ما بَيْنَ المُنَكِّبَيْنِ ، ضَخْمُ الكَرادِيسِ ، أَنورُ المُنَجْرَدِ ،
 مَوْصُولُ ما بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسُّرَّةِ بِشَعْرٍ يَجْرِي كَالخَطِّ ، عَارِيُ الثَّدْيَيْنِ ، ما سِوَى
 ذَلِكَ ، أَشْعَرُ الذَّرَاعَيْنِ وَالْمُنَكِّبَيْنِ وَأَعَالَى الصَّدْرِ ، طَوِيلُ الزَّنْدَيْنِ ، رَحْبُ الرَّاخَةِ ،
 شَتْنُ الكَفَّيْنِ وَالقَدَمَيْنِ ، سَائِلُ الأَطْرافِ ، أَوْ قال سائِنُ الأَطْرافِ ، سَبْطُ القَصْبِ ،

- (١) يدوره : يملؤه دما كما يمتلئ الصرع لبنا إذا در .
 (٢) أفتى العرنين : القنا في الأنف رقة أرتبه مع حذب في وسطه ، والعرنين الأنف .
 (٣) أشم : الشمم ارتفاع قصبه الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلا .
 (٤) كث الخبية : كثيفها في غير دقة ولا طول .
 (٥) أدعج : الشديد سواد العين مع شدة بياضها .
 (٦) ضليع القم : عظيمه ، وقيل : واسعه .
 (٧) أشنّب ؛ الشنب : البياض والبريق والتحديد في الأسنان .
 (٨) مفليج ، ويروي : أفلج الأسنان : الفلج بالتحريك : فرجة ما بين النابا والرابعيات .
 (٩) المسرية بضم الراء وفتحها : مادق من شعر الصدر سائلا إلى الجوف .
 (١٠) الدمية : الصورة المصوّرة . (١١) سواء البطن والصدر : مستويهما .
 (١٢) مشيح الصدر : عريضه ويروي : مسيح . (١٣) الكراديس : رهوس العقلام .
 (١٤) المنجرد : ما كان منكشفًا من جسده ؛ أي مشرق الجسد .
 (١٥) عارى الثديين ، ويروي : التندوتين : أراد أنه لم يكن عليهما شعر ، و(ما سوى ذلك)
 قيد للتدبين .
 (١٦) شتن : أي يميلان إلى الغلظ والقصر . (١٧) سائل الأطراف : أي ممتدها .
 (١٨) سبط القصب : سبط يسكون الاء وكسرها : امتد الذي ليس فيه تعقد ولا تنوء ، والقصب يريد
 بها ساعديه وساقيه .

تُحْصَانُ الْأَنْحَصِينَ ، مَسِيحُ الْقَدَمِينَ يَذُو عَنْهُمَا الْمَاءَ ، إِذَا زَالَ زَالَ تَقْلَعًا ، وَيَخْطُو
 تَكْفُورًا ، وَيَمْشِي هَوْنًا ، ذَرِيْعُ الْمَشِيَّةِ ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَخْطُ مِنْ صَبَبٍ ، وَإِذَا
 أَلْتَفَتْ أَلْتَفَتَ جَمِيعًا ، خَافِضُ الطَّرْفِ ، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى
 السَّمَاءِ ، جَلَّ نَظَرُهُ الْمَلَاخِظَةَ ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ ، وَيَبْدَأُ مِنْ لَقِيهِ بِالسَّلَامِ . قَلْتُ :
 صَفَّ لِي مِنْطَقَهُ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ ،
 دَائِمَ الْفِكْرَةِ ، وَابْتِغَاءَ رَاحَةٍ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ ، طَوِيلَ السَّكُوتِ ،
 يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ ، وَيَتَكَلَّمُ بِجِوَامِعِ الْكَلِمِ ، فَصْلًا لَا فُضُولَ فِيهِ
 وَلَا تَقْصِيرَ ، دِمْنًا لَيْسَ بِالْجَانِفِي وَلَا الْمُهَيِّنِ ، يَعْظُمُ النِّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ ، لَا يَدْمُ شَيْئًا
 لَمْ يَكُنْ يَدْمُ ذَوَاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ ، وَلَا يُقَامُ لِفَضْلِهِ إِذَا تَعَرَّضَ لِلْحَقِّ بِشَيْءٍ حَتَّى يَنْتَصِرَ
 لَهُ ، وَلَا يَغْضِبُ لِنَفْسِهِ وَلَا يَنْتَصِرَ لَهَا ، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا ، وَإِذَا تَعَجَّبَ

- (١) تحصان الأنحصين : الأنحص من القدم الموضع الذي لا يلبصق بالأرض منها عند الوطء
 والتحصان المبالغ منه ، أى إن ذلك الموضع منه شديد التجافى عن الأرض .
 (٢) مسيح القدمين : أى ملساوان لبتان ليس فيهما تكسر ولا شقوق .
 (٣) إذا زال زال تقلعا : أراد قوة مشبهه كأنه يرفع رجله من الأرض رفعا قويا لاكن يمشي
 اختيالا ويقارب خطاه فإن ذلك من مشى النساء .
 (٤) يخطو تكفورا : أى تمايل إلى قدام . (٥) يمشى هونا : أى فى رفق غير مختال .
 (٦) ذريع المشية : يريد أنه مع هذا الرفق سريع المشية .
 (٧) يخط من صبب : الصبب الانحدار . (٨) الملاحظه : النظربشق العين الذى يلى الصدغ .
 (٩) الأشداق : جوانب الفم وإنما يكون ذلك لرحب شديقه ، والعرب تمتدح ذلك .
 (١٠) فصلا لا فضول فيه : أى بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل .
 (١١) دمتا : يعنى مهلا لبنا .
 (١٢) ليس بالجانفى ولا المهين : يريد أنه لا يجفؤ الناس ولا يهينهم ، ويروى : المهين بالفتح :
 أى ليس بالفظ الغليظ الجانفى ، ولا الحقير الضعيف .

- قَلْبَهَا ، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا فَضْرِبَ بِإِبْهَامِهِ الِئِمْنَى رَاحَتَهُ الِيسْرَى ، وَإِذَا غَضِبَ
 أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ ، جُلَّ صَحْحَكَ التَّبَسُّمَ ، وَيَقْتَرُ ^(٣) عَنِ مِثْلِ حَبِّ
 الْغَامِ . قَالَ الْحَسَنُ : فَكْتَمْتَهَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ زَمَانًا ، ثُمَّ حَدَّثْتَهُ فَوَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَنِي
 إِلَيْهِ ، فَسَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَخْرَجِهِ وَمَجْلِسِهِ وَشِكْلِهِ ،
 فَلَمْ يَدْعُ مِنْهُ شَيْئًا ، قَالَ الْحُسَيْنُ : سَأَلْتُ أَبِي - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَنْ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ مَأْدُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَكَانَ إِذَا
 آوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جِزْأً دُخُولَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءَ : جِزْأٌ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَجِزْأٌ لِأَهْلِهِ ، وَجِزْأٌ لِنَفْسِهِ .
 ثُمَّ جِزْأٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَيَرِدُ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَةِ بِالْخَاصَّةِ ، وَلَا يَدْخُرُ عَنْهُمْ شَيْئًا ،
 فَكَانَ مِنْ سَيْرَتِهِ فِي جِزْأِ الْأُمَّةِ إِبْثَارَ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ ، قَسَمْتَهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ
 فِي الدِّينِ ، مِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ ، فَيَتَشَاغَلُ
 بِهِمْ ، وَيُسْغِلُهُمْ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ وَالْأُمَّةَ مِنْ مَسَائِلِهِمْ عَنْهُمْ ، وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي
 لَهُمْ ، وَيَقُولُ : « لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ ، وَأَبْلُغُونِي حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغِي
 حَاجَتَهُ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَبْلَغِ سُلْطَانَانَا حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ » لَا يَذْكُرُ عِنْدَهُ إِلَّا ذَلِكَ وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهِ .
- ١٥ قَالَ فِي حَدِيثِ سَفْيَانَ بْنِ وَكَيْعٍ : « يَدْخُلُونَ رَوَادًا ، وَلَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عَنِ ذَوَاقٍ ،
 وَيَخْرُجُونَ أُدْلَةً » ، يَعْنِي فَقَهَاءً ، قُلْتُ : فَأَخْبَرَنِي عَنْ مَخْرَجِهِ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ ، قَالَ :

- (١) اتَّصَلَ : وَصَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بِالْأُخْرَى ، وَرَبْرَوَى « فَضَلَ » أَي فَضَلَ كَلَامَهُ بِإِشَارَتِهِ .
 (٢) أَشَاحَ : جَدَّ فِي الْإِعْرَاضِ - وَفِي هَامِشٍ ج : « أَي مَالٍ وَأَقْبَضَ » .
 (٣) يَقْتَرُ : يَتَّبِعُ ، حَبُّ الْغَامِ : الْبُرْدُ ، شَبَّ نَفْرَهُ بِهِ .
 (٤) رَوَادًا : أَي مَحْتَاجِينَ وَطَالِبِينَ لِمَا عِنْدَهُ مِنَ النِّفْعِ لِدِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ .
 (٥) وَلَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عَنِ ذَوَاقٍ : « قِيلَ عَنْ عِلْمِ يَتَلَبَّوهُ » كَذَا فِي هَامِشٍ ج أَي يَقُومُ لِأَنْفُسِهِمْ
 وَأَرْوَاحِهِمْ مَقَامَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لِأَجْسَادِهِمْ .
 (٦) أُدْلَةٌ : جَمْعُ دَلِيلٍ جَعَلَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُدْلَةً مِبَالِغَةً .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا مما يعينهم ، ويؤلفهم ولا يفرقهم ، يكرم كريم كل قوم ويؤلف عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بشره وخلقهم ، ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويصوّبه ، ويقبح القبيح ويؤهنه ، معتدلاً الأمر غير مختلف ، لا يعقل مخافة أن يغفلوا أو يملوا؛ لكل حال عنده عتاد^(١) ، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة .

فسأله عن مجلسه عما كان يصنع فيه ، فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ، ولا يُوطن^(٢) إلا ما كن ، وينهى عن إبطائها ، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ، ويعطى كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون ذو المنصرف عنه ، من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقهم فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى . وفي الرواية الأخرى : صاروا عنده في الحق سواء ، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبّن فيه الحرم ، ولا تُنتهى^(٣) فلتاته — وهذه الكلمة من غير الروایتين — يتعاطفون ،

(١) عتاد : أى ما يصلح لكل ما ينفع من الأمور .

(٢) لا يوطن : « أى لا يتخذ لمصلاة موطناً معلوماً ، وقد ورد نهيه عن هذا مفسراً في غير هذا

الحديث » . كذا في هامش ج .

(٣) تنتهى : تشاع وتذاع .

بالتقوى متواضعين ، يُوقِّرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ، ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب .

فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه ، فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب^(٢) ولا حقاش ، ولا عياب ، ولا مداح ، يتغافل عما لا يُشتمى ولا يؤيس منه ، قد ترك نفسه من ثلاث : الرياء ، والإكثار ، وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا ولا يعسره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويعجب مما يعجبون منه ، ويصبر للغير على الجفوة في المنطق ، ويقول : « إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرقدوه » ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام . هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع .

وزاد الآخر ، قلت : كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان سكوته على أربع : على الحلم والحذر والتقدير والتفكير ، فأما تقديره فبنى تسوية النظر والاستماع بين الناس ، وأما تفكره ففيا يبيق ويفنى ، وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر ، فكان لا يُفضبه شيء ، يستفزه . وجمع له في الحذر أربع : أخذه بالحسن ، ليقتدى به ، وتركه القبيح ليئتمى عنه ، وأجتهاد الرأي بما أصلح أمته ، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة . صلى الله عليه وسلم . فهذه جملة كافية من أوصافه صلى الله عليه وسلم ، فلنذكر أحواله .

(١) يرددون : يعينون . (٢) تتقدم شرح هذه الكلمات . (٣) الثناء : في هامش ج : « قوله : ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ : قيل مقتصد في بيانه ومدحه ، وقيل إلا من مسلم ، وقيل إلا من مكافئ على يد قد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له » . وفي الأصول : الثناء ، وهو تصحيف .

ذكر أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم

في دنياه ، وما ناله من شدة العيش فيها ، وما رُوي من أحواله في تطيُّبه ولباسه وفراشه ، ووسادته ، وتختمه وتنعله ، وخُفِّيه . وسواكه ، ومُشطه ، ومُكحَلته ومرآته وقَدَحِه ، وما ورد في حِجَّامته ، وما ملكه من السَّلاح والدَّواب وغير ذلك .

صلى الله عليه وسلم

أما ما ناله صلى الله عليه وسلم من شدة العيش في دنياه

فقد تقدّم من صفاته المعنوية زهده في الدنيا وتقلُّه منها ، وأحلنا هناك على ما نورده في هذا الموضع . وسنورد منه ما تقف عليه إن شاء الله .

فمن ذلك ما روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى

١٠١
١٦

الله عليه وسلم كان يبيت الليالى المتتابعة طاوياً ، وأهله لا يجدون عشاءً ، وكان عامة

خبزهم الشعير . وعن أنس بن مالك أن فاطمة رضى الله عنها جاءت بكسرة خبز

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما هذه الكسرة ؟ » قالت : قُرْصٌ

خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة . فقال : « أمّا إنه أول طعام

دخل فم أبىك منذ ثلاثة أيام » . وعن أبى هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم كان يَسُدُّ صُلْبَهُ بِالْحَجَرِ مِنَ الْغَرْتِ ^(١) . وعن مسروق قال : بينما عائشة تحدّثنى

ذات يوم إذ بكت ، فقلت : ما يبكيك يا أم المؤمنين ؟ قالت : ما ملأت بطنى

من طعام فشئت أن أبكى إلا بكيت ، أذكرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

وما كان فيه من الجهد . وعنه قال : دخلتُ على عائشة أتم المؤمنين وهى تبكى ،

فقلت : يا أم المؤمنين ما يبكيك ؟ قالت : ما أشبع فأشاء أن أبكى إلا بكيت ؛

(١) الغرت : الجوع .

- وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز بُرّ . وعنها رضى الله عنها قالت : ما شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ غَدَاءً وَعَشَاءً مِنْ خَبْزِ الشَّعِيرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَابَعَاتٍ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ . ومن رواية عنها : ما رفع عن مائدته كِسْرَةٌ فَضْلًا حَتَّى قُبِضَ . وعن أبي هريرة قال : كان يَمْزُ بِآلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلَالًا ، ثُمَّ هَلَالًا ، ثُمَّ هَلَالًا ، لَا يُوقَدُ فِي شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهِ نَارٌ ، لَا لَخَبْزٍ وَلَا لَطَبِيخٍ ، قَالُوا : بِأَيِّ شَيْءٍ كَانُوا يَعِيشُونَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قَالَ : بِالْأَسْوَدَيْنِ التَّمْرِ وَالْمَاءِ . قَالَ : وَكَانَ لَهُ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ - جَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا - لَمْ مَنَاحُ^(١) يُرْسَلُونَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ لَبَنٍ . وعن الحسن قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « والله ما أمسى في آل محمد صاع من طعام وإنما لتسعة أبيات » والله ما قالها آسْتَقْلَالًا لِرِزْقِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ تَأْمَى بِهِ أُمَّتُهُ . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم مرتين حتى لحق بالله ، ولا رفعت له فُضْلُ طَعَامٍ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ ، إِلَّا أَنْ نَزَعَهُ لِعَائِبٍ . فقيل لها : ما كانت معيشتكم ؟ قالت : الأسودان الماء والتمر . قالت : وكان لنا جيران من الأنصار لهم رَبَائِبٌ^(٢) يَسْقُونَا مِنْ لَبَنِهَا ، جَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا . وعن ابن شهاب : أن أبا هريرة كان يَمْزُ بِالْمَغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ وَهُوَ يَطْعَمُ الطَّعَامَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الطَّعَامُ ؟ قَالَ : خَبْزُ النَّقِيِّ^(٣) وَاللَّحْمُ السَّمِينُ ، قَالَ : وَمَا النَّقِيُّ ؟ قَالَ : الدَّقِيقُ . فتعجب أبو هريرة ثم قال : عجبا لك يا مُغِيرَةُ ! رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه

(١) المنائح (جمع منيحة) ، وهي المنحة : ناقة أو شاة ينفع بلبنها زمانا ثم يردّها .

(٢) الربائب (جمع ربيبة) بمعنى مربوبة : الغنم التي تكون في البيت وليست بسائمة ؛ لأن صاحبها

يربئها في البيت للبتها .

(٣) النقي فسرّه بالدقيق ، والمراد به لباب البر ، بدلالة لفظ : النقي .

(١) الله عز وجل ، وما شبع من الخبز والزيت في يوم مرتين ، وأنت وأصحابك تهذرون ها هنا الدنيا بينكم . وعن قتادة قال : كنا نأتي أنس بن مالك وخبازه قائم ، فقال يوما : كلوا فما أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رغيفا مرققا حتى لحق بربه ، ولا شاة سميطا قط . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما أجمع في بطن النبي صلى الله عليه وسلم طعامان في يوم قط ، إن أكل لحما لم يزد عليه ، وإن أكل تمرا لم يزد عليه ، وإن أكل خبزا لم يزد عليه . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أرسل أبو بكر رضي الله عنه قائمة شاة ليلًا فقطعت ، وأمسك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسكت عليه ، فقيل لها : على غير مصباح ؟ قالت عائشة : لو كان عندنا مصباح لأتدمننا به ، كان يأتي على آل محمد شهر ما يختبزون خبزا ولا يطبخون قدرا . وعن عمران بن زيد المديني قال : حدثني والدي ، قال : دخلنا على عائشة ، فقلنا : سلام عليك يا أمهات ، قالت : عليك ، ثم بكت ، فقلنا : ما بك أو لك يا أمهات ؟ قالت : بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواء ، فذكرت نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فذلك الذي أبكاني ، خرج من الدنيا ولم يملا بطنه في يوم من طعامين ، كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الخبز ، وإن شبع من الخبز لم يشبع من التمر ، فذلك الذي أبكاني . وعن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم توفي ، ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود بوسق من شعير . وسئل سهل بن مسعد :

(١) تهذرون (بذال معجمة) : أي تنسون فيها ، قال الخطابي : «يريد تذكير المسال وتفريقه في كل وجه ، وروى : تهذون الدنيا وهو أشبه بالصواب ، يعني تقتطعونها إلى أنفسكم ، وتجمعونها أو تسرعون إتفاقها» . (النهاية) .

(٢) مرققا : مليئا بحسنا ، أو موسعا . (٣) سميطا : مشوية .

- أ كانت المناخل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ما رأيت مُنْخَلًا
 في ذلك الزمان ، وما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعير منخولا حتى فارق
 الدنيا . فقيل له : كيف كنتم تصنعون ؟ قال : كنا نَطْحَنُهَا ثُمَّ نَنْفُخُ قَشْرَهَا ،
 فيطير ما طار ويستمسك ما آسَمَسَكَ . وعن الأعرج ، عن أبي هريرة أن النبي
 صلى الله عليه وسلم كان يجوع ، قال قلت لأبي هريرة : وكيف ذلك الجوع ؟ قال :
 لكثرة من يغشاه وأضيافه ، وقوم يلزمونه لذلك ، فلا يأكل طعاما أبدا إلا ومعسه
 أصحابه وأهل الحاجة يتبعون من المسجد ، فلما فتح الله تعالى خير آتسع الناس
 بعض الاتساع ، وفي الأمر بعد ضيق ، والمعاش شديد في بلاد ظَافٍ ، لا زرع
 فيها ، إنما طعام أهلها التمر وعلى ذلك أقاموا . قال محرمة بن سليمان : وكانت جَفْنَةٌ
 سَعْدٌ تدور على رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ يوم نزل المدينة في الهجرة
 إلى يوم تُوفِّي . وغير سعد بن عبادة من الأنصار يفعلون ذلك . وكان أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا يواسون ، ولكن الحقوق تكثروا والعُدَامُ
 يكثرُونَ ، والبلاد ضيقة ليس فيها معاش ، إنما تخرج ثمرتهم من ماء ثمسد يجمله
 الرجال على أكافهم ، أو على الإبل ، والإبل أقل ذلك ، وربما أصاب نخَلَهُمُ القُشَامُ
 فتذهب ثمرتهم تلك السنة ، والقُشَامُ : شيء يصيب البلح مثل الجدرى فينتثر؛
 فهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم في عيشه في غالب أوقاته ، وهي سنة الأنبياء
 صلوات الله عليهم .

(١) في نسخة أ : « بعض ضيق » .

(٢) الظلف : الغليظ الصلب من الأرض ، والمراد لا زرع فيها ، كما قال .

(٣) العُدَامُ — كذا في نسخ الأصل — جمع عادم تكادم وخذام ، لأنه عديم فعيل بمعنى فاعل .

(٤) ثمسد : الماء القليل الذي لا مائة له ، أو ما يظهر في الشتاء . ويذهب في الصيف .

(٥) القشام (بالضم) : أن ينتفض ثمر النخل قبل أن يصير بلحا . .

وأما تطيبه صلى الله عليه وسلم

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبَّ الطَّيِّبَ ، وكان يتطيب بالغايلة^(١) وبالْمِسْكِ ، حتى يُرَى وَيَبْصُرُهُ في مَقَارِفِهِ ، ويتبخَّرُ بِالْعُودِ وَيَطْرَحُ مَعَهُ الْكَافُورَ ، وكان يعرف في الليلة المظلمة بِطَيِّبٍ رِيحِهِ صلى الله عليه وسلم .

وأما لباسه صلى الله عليه وسلم

وما روى من ألوانه وأصنافه وطوله وعرضه

فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يتجمل لأصحابه ، فضلا عن تجمله لأهله ، ويقول : « إن الله يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمل » ولبس صلى الله عليه وسلم من الثياب البياض والحمرة والصفرة والخضرة والسواد .

أما البياض وما جاء فيه - فقد روى عن سَمُرَةَ بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم فإنها من خير ثيابكم » وفي رواية عنه « ألبسوا الثياب البيض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم » . وعن أَبِي قِلَابَةَ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أحبَّ ثيابكم إلى الله البياض ، فصللوا فيها وكفنوا فيها موتاكم » .

وأما الثياب الحمرة - فروى عن البراء قال : ما رأيت أحدا كان أحسنَ في حُلَّةِ حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنه : ما رأيت من ذى لِمَسَةٍ أحسنَ في حُلَّةِ حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن عَوْنِ بن أبي بَجْرِفَةَ عن أبيه

(١) الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعود وعبرودهن . (كذا في النهاية) .

(٢) الويريس : البريق ، والمفارق جمع مفرق كمسجد : وهو من الرأس حيث يفرق فيه الشعر .

(٣) اللة : الشعر يلم بالمتكب .

قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، وهو في قبة حمراء ، فخرج وعليه جبة له حمراء وحلة عليه حمراء . وعن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة .^(١) وعن أبي جعفر محمد بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر ، ويعتم يوم^(٢) العيدين ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

وأما الثياب الصفرة - فقد روى عن قيس بن سعد بن عبادة قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعنا له غسلا فاغتسل ، ثم أتيناها بلحفة ورسية فاشتغل بها ، فكأنني أنظر إلى أثر الورس على عكته .^(٤) وعن بكر بن عبد الله المزني قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ملحفة مرسية ، فإذا دار على نسائه رثها بالماء . وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : ربما صبغ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ورداؤه وإزاره بزعفران وورس ، ثم يخرج فيها . وعن عبد الله بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه بالزعفران : قميصه ورداءه وعمامته . وعن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه رداء وعمامة مصبوغين بالعبير ، والعبير عندهم الزعفران .^(٥) وعن زيد بن أسلم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة .

١٠٣
١٦

(١) البرد الأحمر : برد يمانى مخطط بحمرة وسواد ، أما لبس الأحمر القاني كما يشعر ما هنا فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انتهى عنه كما في الصحيحين ، راجع شرح المواهب ج ٥ ص ٢٧ .

(٢) يعتم : يلبس العمامة .

(٣) رسية : الورس نبت أصفر يصبغ به ، والورسية المصبوغة به .

(٤) عكته : جمع عكته وهي الطي في البطن من السن .

(٥) في نسخة أ : « عنبر » . والعنبر والعبير هو الزعفران ، أو العبير أخلاط من الطيب .

وأما الثياب الخضر — فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الثياب الخضر . وعن أبي رَمَثَةَ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدَانٌ أخضران . والله المنعم .

وأما السَّوَادُ وما ورد فيه — فقد روى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ، وعليه عمامة سوداء . وعن حُرَيْثٍ عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس ، وعليه عمامة سوداء . هذا ما وقفنا عليه من ألوان لباسه صلى الله عليه وسلم .

فأما أصناف لباسه صلى الله عليه وسلم وطولها وعرضها ، فإنه عليه الصلاة والسلام لبس الصوف والخَبْرَةَ والقطن ، ولبس ^(١) السُّنْدُسَ والحرير ، ثم تركه ، وورد في ذلك أخبار نذكر منها ما أمكن .

أما الصوف وما ورد فيه — فقد روى عن أبي بُرْدَةَ قال : دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخرجت إلينا إزارا غليظا مما يُصنع باليمن ، وكساء من هذه الملبَّدة ، فأقسمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضَ فيهما . وعن أبي هريرة رضي الله عنها قالت : جعل للنبي صلى الله عليه وسلم بُرْدَةٌ سوداء من صوف فلبسها . وعن سهل بن سعد : قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببردة منسوجة ، فيها حاشيتها . قال سهل : وتدرين ما البردة ؟ قالوا : الشَّمْلَةُ ، قال : نعم ، هي الشَّمْلَةُ ، فقالت : يا رسول الله ، نسجتُ هذه البردة بيدي فحُثت بها أكسوكها ، قال : فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها ، فخرج علينا وإنها لإزاره ، فحسبنا فلان — لرجل من القوم سماه — فقال : يا رسول الله ، ما أحسنَ هذه البردة !

(١) السندس : مارق من الديباج ورفع .

أكسنيها، فقال: «نعم» بفحس ماشاء الله في المجلس ثم رجع، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم طواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، كُسيها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها ثم سألتها إياها، وقد علمت أنه لا يرد سائلا! فقال الرجل: والله ما سألته إياها لألبسها، ولكن لتكون كَفَنِي يوم أموت، قال سهل: فكانت كَفَنَهُ.

وأما الحَبْرَة وهي من بُرود اليمَن فيها حُمْرة وبياض فكانت من أحبّ اللباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروى عن قنادة قال قلت لأنس بن مالك: أئى اللباس كان أحبّ وأعجب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: الحَبْرَة. وعن محمد بن هلال قال: رأيت على هشام بن عبد الملك بُرد النبي صلى الله عليه وسلم من حَبْرَة له حاشيتان.

١٠٤
١٦

وأما السُّنْدُس والحريـر—فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس ذلك ثم تركه. روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أهدى ملك الروم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقم^(١) من سُنْدُس فلبسها، فكأني أنظر إلى يديها تَدْبِدْبَان^(٢) من طولها. بفعل القوم ية ولون: يا رسول الله، أنزلت عليك من السماء؟ فقال: «وما تعجبون منها، فالذى نفسى بيده إن منديلا من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها» ثم بعث بها إلى جعفر بن أبي طالب فلبسها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لم أعطكها لتلبسها» قال: فما أصنع بها؟ قال: «أبعث بها»

(١) مستقم: «هي بفتح التاء وضحا: فرو طويل الكمين، وهي تعريب مشته، وقوله: من سندس يشبه أنها كانت مكففة بالسندس وهو الرفيع من الحرير والديساج لأن نفس القرو لا يكون سندسا، وجمعها مساتق» (النهاية).

(٢) في النهاية: «كأني أنظر إلى يديه تَدْبِدْبَان، أى تخركان وتضطربان، يريد كيه».

إلى أخيك النجاشي» . وعن عقبة بن عامر قال : أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قُرُوجٌ — يعني قَبَاءَ حرير — فلبسه ، ثم صلى فيه ، ثم أنصرف فَتَزَعَهُ نَزْعًا شديدًا كَالْمَكَارِهِ لَهُ ، ثم قال : « لا ينبغي هذا للمتقين » .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في حَمِيصَةٍ لها أعلام ، فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما سلم قال : « أذهبوا بِحَمِيصَتِي هذه إلى أبى جَهْم فإنها أَلْهَتْنِي آنفا عن صلاتي وأتوني بِأَنْجَانِي أبى جَهْم » .^(١)

وأما القطن وما ورد في أطوال ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضها فروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كنت يوما أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدٌ بَحْرَانِيٌّ غليظ الحاشية . وعنه : كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قُطْنِيَا قَصِيرِ الطول قَصِيرِ الكُمَيْنِ . وعن بديل قال :^(٢) كان كُمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرُشْعِ . وعن عُرْوَةَ بن الزبير رضى الله عنهما : أن طول رداء النبي صلى الله عليه وسلم أربع أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر .

(١) أنجاني ، كذا في الأصول ، والذي في الصحيحين : « وأتوني بِأَنْجَانِيَةِ أبى جَهْم » قال : القسطلاني : نسبة إلى منبج بفتح الميم وكسر الموحدة موضع بالشام ، ويقال نسبة إلى موضع يقال له أنجبان » ثم قال عن ثعلب : « يقال كساء أنجاني » قال : وهذا هو الأقرب إلى الصواب في لفظ الحديث . راجع ج ١ ص ٥١٠ .

(٢) بحراني نسبة إلى البحرين ، على لفظ المتن ، قال في المصباح : يجوز أن تجعل — النون محل الأعراب مع لزوم الياء مطلقا وهي لغة مشهورة ، لأنه صار عليها مفرد الدلالة فأشبه المفردات والنسبة إليه بحراني .

(٣) قال في أسد الغابة : « غير منسوب أنفرد ابن منسدة بإخراجه ، وقال : أنرج في الصحابة وذكره أهل المعرفة في التابعين وروى عنه : « كان كُم رسول الله إلى الرسفين » .

- وعنه : أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يخرج فيه إلى الوفد - ورداؤه حَضْرَمِيّ - طوله أربع أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر ، فهو عند الخلفاء قد خالق ، فطوّوه بثوب يلبسونه يوم الأضحى والفطر . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصيرا اليدين والطول .
- وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : كنت مع عمر ، في حديث رواه عنه قال فقال :
- رأيت أبا القاسم وعليه جبة شامية ضيقة الكمين .

ذكر صفة إزرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما كان يقوله إذا لبس ثوبا جديدا

- روى عن يزيد بن أبي حبيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرنى الإزار من بين يديه ، ويرفعه من ورائه . وعن عكرمة مولى ابن عباس ، قال :
- رأيت ابن عباس إذا أتت رز أرنى مقدم إزاره ، حتى تقع حاشيته على ظهر قدميه ؛ ويرفع الإزار مما وراه ، فقلت له : لِمَ تَأْتِرُ هكذا ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتُر هذه الإزرة . وعن أبي سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استجد ثوبا سماه بأسمه ؛ قميصا أو إزارا أو عمامة ، ويقول : « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه ، أسألك من خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال :
- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا لبس ثوبا - أو قال - إذا لبس أحدكم ثوبا فليقل الحمد لله الذى كسانى ما أؤارى به عورتى ، وأتجمل به فى حياتى » .
- وكان صلى الله عليه وسلم يلبس الكساء الصوف وحده فيصلى فيه ، وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ، ويعقد طرفيه بين كتفيه يصلى فيه . وكان يلبس القلائس

تحت العمام ، ويلبسها دونها [ويلبس العمام^(١) دونها] ويلبس القلائس ذات
الآذان في الحرب ، وربما نزع قلنسوته ، وجعلها سترة بين يديه وصلى إليها ، وربما
مشى بلا قلنسوة ولا عمامة ولا رداء ، راجلاً يعود المرضى كذلك في أقصى المدينة .
وكان يعمّ ويُسِّدِل طرف عمامته بين كتفيه . وعن علي أنه قال : عممّني
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة ، وسدل طرفها على منكبي ، وقال : « إن العمامة
حاجز بين المسلمين والمشركين » .

ذكر فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسادته

روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، قالت : دخلت امرأة من الأنصار
عليّ فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مَنِيَّة ، فانطلقت فبعثت^(٢)
إلى بفراش حشوه صوف ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ فقال :
« ما هذا » ؟ قلت : يا رسول الله ؛ فلانة الأنصارية ، دخلت عليّ فرأت فراشك
فذهبت فبعثت هذا . فقال : « رُدِّيهِ » فلم أردّه ، وأعجبتني أن يكون في بيتي ، حتى
قال ذلك ثلاث مرات ، فقال : « والله يا عائشة لو شدت لأجرى الله معي جبال
الذهب والفضة » . وعنها : أنها كانت تفرش لرسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة^(٣)
بأثنتين بخاء ليلته وقد ربعتها فنام عليها ، فقال : « يا عائشة ما لفراشي الليلة ليس
كما كان يكون » ؟ قالت قلت : يا رسول الله ، ربعتها ، قال : « فأعيديه كما كان » .
وعنها قالت : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة من آدم محشوة ليقاً ، ودخل
عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على سرير

(١) ساقطة في أ .

(٢) في ج « إليه » .

(٣) أى بثنتين اثنتين ، كما في رواية حفصة عند الترمذى .

- (١) مَرْمُولٌ بِشَرِيْطٍ ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ مِرْفَقَةٌ (٢) مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوَّةٌ بِلَيْفٍ ، وَقَدْ أَثَرَ الشَّرِيْطُ بِجَنْبِهِ ، فَبَكَى عَمْرٌ ، فَقَالَ : « مَا بِيْكَ » ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَكَرْتُ كَيْسْرِيَّ وَقَيْصَرَ يَجْلِسُونَ عَلَى سُرُرِ الذَّهَبِ وَيَلْبَسُونَ السُّنْدُسَ وَالْإِسْتَبْرَقَ ، فَقَالَ : « أَمَا تَرَوْنَ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ الْآخِرَةُ وَطَمَ الدُّنْيَا » . وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ :
- ٥ أَضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَأَثَرَ الْحَصِيرَ بِجِلْدِهِ ، فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ جَعَلَتْ أُمْسُحَ عَنْهُ وَأَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا آذَنْتَنَا تَبْسُطَ لَكَ عَلَى هَذَا الْحَصِيرِ شَيْئًا يَقِيكَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا لِي وَاللُّدُنْيَا ، وَمَا أَنَا وَاللُّدُنْيَا ، مَا أَنَا وَاللُّدُنْيَا إِلَّا كَرَائِبِ اسْتَنْظَلَتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » ، وَعَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرْوَةٌ ، وَكَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ تَكُونَ لَهُ قَرْوَةٌ مَدْبُوعَةٌ يَصَلِّيُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّيُ عَلَى
- ١٠ الْحَصِيرِ وَالنَّخْمَةِ ، كَمَا رَوَى فِي الصَّحِيحَيْنِ .

ذَكَرَ مَا لَبَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مِنَ الْخَوَاتِمِ ، وَمَنْ قَالَ لَمْ يَتَّخِمْ

- قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آتَخَذَ الْخَاتِمَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ
- ١٥ عِنْدَ مَا بَعَثَ رُسُلَهُ إِلَى الْمُلُوكِ ، وَخَتَمَ بِهِ الْكُتُبَ الَّتِي سَيَّرَهَا إِلَيْهِمْ ؛ فَلَنَذْكُرْ هُنَا مَا لَبَسَهُ مِنَ الْخَوَاتِمِ . وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ تَخَتَّمَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ الْمَلُوءِ عَلَيْهِ الْفِضَّةُ ، عَلَى مَا نَذْكُرُ ذَلِكَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ .

١٠٦
١٦

(١) مَرْمُولٌ بِشَرِيْطٍ : أَي مَسْجُوعٌ بِمَا يَنْسُجُ بِهِ الْحَصِيرَ .

(٢) الْمِرْفَقَةُ : كَالْوَسَادَةِ ، وَفِي رِوَايَةٍ « نَمْرَقَةٌ » .

٢٠ (٣) النَّخْمَةُ وَزَانُ غُرْفَةٍ : حَصِيرٌ صَغِيرٌ قَدْرُ مَا يَسْجُدُ عَلَيْهِ ، وَلَا تَكُونُ نَخْمَةً إِلَّا فِي هَذَا الْمَقْدَارِ .

روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : آتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب ، فكان يجعل فصه في بطن كفه إذا لبسه في يده اليمنى ؛ فصنع الناس خواتيم من ذهب ، بخلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فترعه ، وقال : « إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من باطن كفي » فرمى به ، وقال : « والله لا ألبسه أبدا » ونبذ النبي صلى الله عليه وسلم الخاتم ، فنبتذ الناس خواتيمهم .

ثم آتخذ خاتما من فضة فصه منه ، ونقش عليه « محمد رسول الله » ثلاثة أسطر ، كان يتختم به الكتب إلى الملوك . وقد روى أن خاتمه كان من حديد ، ملوى عليه فضة ، وقيل : إنه رآه في يد عمرو بن سعيد بن العاص حين قدم من الحبشة فقال : « ما هذا الخاتم في يدك يا عمرو » ؟ قال : هذه حلقة يا رسول الله ، قال : « فما نقشها » ؟ قال : محمد رسول الله ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فتختمه ، فكان في يده حتى قبض ، ثم في يد أبي بكر حتى قبض ، ثم في يد عمر حتى قبض ، ثم في يد عثمان ست سنين ، وفي السابعة وقع في بئر أريس . قال أنس ابن مالك : فطلبناه مع عثمان ثلاثة أيام فلم نقدر عليه . وروى عن ابن سيرين : أن نقشه كان « بسم الله ، محمد رسول الله » . وقد روى محمد بن سعد في طبقاته قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى ، قال حدثنا عطاء بن خالد ، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : ما تختم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي الله ، ولا أبو بكر حتى لقي الله ، ولا عمر حتى لقي الله ، ولا عثمان حتى لقي الله ، هكذا روى . والصحيح أنه تختم صلى الله عليه وسلم ، وتختموا رضوان الله عليهم أجمعين كما ذكرنا .

(١) بئر أريس : بئر معروفة عند مسجد قباء تلقاه في المدينة المنورة .

ذَكَرَ نَعْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُفَّيْهِ

- روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لنعله قِبَالَانُ^(١) . وعن عبد الله بن الحارث قال : كان نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لها رِمَالَانِ^(٢) شِرَاكُهُمَا مِثْنَى فِي الْعُقْدَةِ . وعن سامة عن هشام بن عروة قال : رأيت نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحْضَرَةً^(٣) مُعَقَّبَةً مُلْسَنَةً^(٤) لَهَا قِبَالَانُ . وعن عبيد ابن جريح قال قلت لابن عمر : يا أبا عبد الرحمن ، أراك تستحب هذه النعال السبئية ، قال : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسهما ويتوضأ فيهما . وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه : أن صاحب الحبشة أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خُفَيْنِ سَادَجَيْنِ^(٥) فمسح عليهما ، وفي رواية : أن النجاشي أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفين أسودين سادجين فلبسهما ومسح عليهما .

ذَكَرَ سِوَاكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَشْطَهُ ، وَمُكْحَلَّتَهُ ،

وَمِرْمَاتِهِ ، وَقَدَحِهِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَثَانِهِ

- روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : أت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يَرُقُّدُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا فَيَسْتَيْقِظُ إِلَّا تَسْوَلُكَ قَبْلَ أَنْ يَتَوَضَّأَ . وعن قتادة عن
- (١) قبالان : القبال زمام النعل ، وهو السير الذي يكون بين الأصبعين .
- (٢) رمالان ثنية رمال : وهو سير من الجلد كالقبال .
- (٣) المحضرة : لها خصر رقيق ، أو التي قطع خصرها حتى صار مستدقين . ومعقبة : لها عقب من سيور يضم به الرجل . والملسنة : ما فيها طول ولطافة على هيئة اللسان ، أو التي لها لسان ، وهو الهيئة المنبثة في مقدمها .
- (٤) السبئية : المدبوغة بالقرظ ، لأن شعرها انبثت بالدباغ ، أو من السبب وهو القطع لأنه قطع عنها الشعر وحلق .
- (٥) الساذج : قال في المواهب : غير منقوشين ، أو لا شعر عليهما ، أو على لون واحد لا يخالط سوادهما لون آخر ، قال : الساذج معرب ساذه .

عكرمة قال : آستاك رسول الله صلى الله عليه وسلم يجريد رطب وهو صائم ،
 فقيل لفتادة : إن أناسا يكرهونه ، فقال : آستاك والله رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يجريد رطب وهو صائم . وعن ابن جريح قال : كان لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم مشط عاج يمتشط به .^(١) وعن ثور عن خالد بن معدان قال : كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يسافر بالمشط والمرأة والدُّهن والمكحل والسواك .^(٢)
 وعن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه ، ويسرح لحيته
 بالماء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم مكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثا في كل عين .^(٣) وعن أنس قال : كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يكتحل في عينه اليمنى ثلاث مرات ، واليسرى مرتين .
 وعن أبي رافع قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتحل بالإثمد وهو صائم .
 وعن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر ، وينبت الشعر ، وإنه من خير أحوالكم » .
 وعنه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : أهدى المقوقس إلى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قدح زجاج ، كان يشرب فيه . وعن عطاء قال : كان لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم قدح زجاج ، فكان يشرب فيه . وعن حميد قال : رأيت قدح

١٠٧
١٦

(١) العاج : أنياب الفيل ، وعظم دابة بحرية يتخذ منه الأسورة والأمشاط .

(٢) في الأصول : « ثور بن جابر بن معدان » وهو تصحيف (راجع طبقات ابن سعد

ج ١ : ١٧٠) .

(٣) في طبقات ابن سعد « المكحل » .

(٤) المكحلة بالضم على غير قياس ، فإذا أريد بها الآلة جاز الكسر .

النبي صلى الله عليه وسلم عند أنس فيه فضة، أو شدَّ بفضة . وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان له ربة^(١) فيها امرأة ومشط عاج ومكحلة ومقراض وسواك . وكان له قدح مضرب بثلاث ضبات من فضة - وقيل من حديد - وفيه حلقة يُعلق بها، وهو أكبر من نصف المدة وأصغر من المد، وكان له قدح آخر يدعى الریان، وتور من حجارة يدعى المنخضب . ومخضب من شبه يكون فيه الحناء والكتم^(٧) توضع عند رأسه إذا وجد فيه حرا، ومغسل من صفر، وقصعة، وصاع يخرج به فطرته، ومد، وكان له سرير، وقطيفة، وكان له كساء أسود كساه في حياته، وكان له ثوبان للجمعة، غير سائر ثيابه التي يلبسها في سائر الأيام، وكان له منديل يمسح به وجهه من الوضوء، وربما مسح بطرف رداءه صلى الله عليه وسلم .

١٠ ذكر ماورد في حجامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجامة

روى عن أنس بن مالك قال : أحجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحجمه أبو طيبة، وأمر له بصاعين، وأمرهم أن يخففوا عنه من ضربته . وأختلف في أسم أبي طيبة، فقيل : دينار، وقيل : نافع، وقيل : ميسرة، وهو مولى

(١) ربة بفتح فسكون : إناء مربع يكونه العطار : هي جلد يجعل فيه طيبه .

(٢) المقراض : الجلمان وهو المقص .

(٣) مضرب : مشعب، والإناء يسان إذا جعل له شعب من فضة أو حديد أو صفر .

(٤) النور : إناء من صفر أو حجارة .

(٥) منخضب : إناء يحضر فيه الخضاب وهو الحناء الذي يخضب بها صلى الله عليه وسلم .

(٦) الشبه : النحاس الشبيه بالذهب .

(٧) الكتم : نبت يخاط بالحناء يخضب به الشعر فيبقى لونه .

(٨) الصفر : النحاس .

بني حارثة . وعن جابر بن عبد الله قال : ^(١) أخرج إلينا أبو طيبة المحاجم
لثمان عشرة من شهر رمضان نهارا، فقلت : أين كنت ؟ قال : كنت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم أحجمه . وعن أنس قال : أحجم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، حجمه أبو طيبة مولى كان لبعض الأنصار ، فأعطاه صاعين من طعام ،
وكلم أهله أن يخففوا عنه من ضربته ، وقال : « الحجامة من أفضل دوائكم » .
وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : أحجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
صائم ، فغشي عليه يومئذ ، فلذلك : كرهت الحجامة للصائم . وعن سمرة بن جندب
قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حجامة فحجمه بمحاجم من
قرون ، وجعل يشرطه بطرف شفرة ، فدخل أعرابي فرآه ولم يكن يدرى الحجامة ،
ففرزع وقال : يا رسول الله ، علام تعطى هذا يقطع جلدك ؟ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « هذا الخجم » قال : يا رسول الله ، وما الخجم ؟ قال : « هو خير ما تداوى
به الناس » . وعن عطاء وابن عباس - رضي الله عنهم - قالوا : أحجم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو محريم من وجع . وعن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحتجم ثلاثا ، على الأخذعين ^(٢) نتيين ، وعلى الكاهل واحدة . وعن سعد
ابن أبي وقاص : أنه وضع يده على المكان الناتي من الرأس فوق اليافوخ ، فقال :
هذا موضع محجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يحتجم ، وجاء
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسميها المغيثة . وكان خالد بن الوليد يحتجم

(١) كذا في الأصول والطبقات : أخرج ، والذي في أسد الغابة عن ابن عباس : « لقيت أبا طيبة

لسبع عشرة من رمضان » الخ .

(٢) الأخذعان : عرقان في جانبي العنق ، والكاهل : ما بين الكتفين .

- على هامته وبين كتفيه ، فقيل له : ماهذه الحجامة ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتجمها ، وقال : « من أهرق منه هذه الدماء فلا يضره ألا يتداوى بشيء لشيء » . وروى : أن الأقرع بن حابس دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم في القمحة^١ : وهي آخر الرأس ، فقال : لم آحتجمت وسط رأسك ؟ قال : « يا بن حابس إن فيها شفاء من وجع الرأس والأضراس والعاس والمرض » وشك الراوى فى الجنون . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحجامة فى الرأس هى المغيثة أمرنى بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية » . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة أسيرى بى مامرت ببلاد من الملائكة إلا قالوا يا محمد مر أمتك بالحجامة » . وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة فى الشهر دواء لِدَاءِ السَّنة » . وقد كان صلى الله عليه وسلم يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين . وعن الأوزاعى ، عن هرون بن رثاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آحتجم ، ثم قال لرجل : « أدفنه لا يبحث عنه كلب » .

١٠٨
١٦

ذكر ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلاح

- (١)
١٥ كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أسياف : ذو الفقار تنقله يوم بدر ، وهو الذى رأى فيه الرؤيا فى غزوة أحد ، وكان قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمُنْبَه بن الحجاج السهمى ، وثلاثة أسياف ، أصابها من سلاح بنى قينقاع ، سيف

(١) تنقله : من النفل وهو الغنيمة ، روى الحاكم عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تنقل ذا الفقار يوم بدر . وسعى سيف النبي صلى الله عليه وسلم ذا الفقار ؛ لأنه كانت فيه حفر صفار حسان .

(١) قلعي ، وسيف يدعى البتار ، وسيف يدعى الحتف ، وسيفان أصابهما من الفلّس ،
 سيف يدعى المخذم ، وآخر يدعى الرسوب ، وسيف ورثه من أبيه ، وسيف يقال له
 العضب ، أعطاه إياه سعد بن عبادة ، وآخر يدعى القضيبي ، وهو أول سيف
 تقلد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أنس : كان نعل سيف رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فضة ، وقبيعته فضة ، وما بين ذلك حلق الفضة .

وكان له صلى الله عليه وسلم أربعة أرماع ، ثلاثة أصابها من سلاح بني قينة قناع ، وواحد
 يقال له المثنى . وكان له عترة : وهي حرّبة دون الزمخ يمشى بها في يده ، وتعمل بين
 يديه في العيدين ، حتى تُركر أمامه فيتخذها سترة يصلي إليها . وكان له أربعة قسي :
 قوس من شوخط تدعى الروحاء ، وأخرى من شوخط تدعى البيضاء ، وأخرى

(١) قلعي ؛ نسبت إلى قلع : قلعة بالبادية قريب من حلوان بطريق همدان .

(٢) البتار : القاطع .

(٣) الحتف : الموت .

(٤) الفلّس : صنم لعل .

(٥) المخذم : من الخذم وهو القاطع .

(٦) الرسوب : من الرسب وهو الذهاب إلى أسفل لأن حرّبه تفوس في المضروب به .

(٧) يسمى مأثور .

(٨) العضب : أي القاطع .

(٩) القضيبي : يراد به اللطيف من السيوف ، ويراد به القاطع .

(١٠) قبيعته : هي التي تكون على رأس قائم السيف ، وقبيل : هي ما تحت شاربي

السيف .

(١١) الذي في شرح المواهب : سته ، وزاد : الزوراء ، والسداد .

(١٢) شوخط : شجر جبلي تتخذ منه القسي .

- من نَبَعٍ تُدْعَى الصَّفْرَاءُ ، وقوس تُدْعَى الكَتِيمُ كُسِرَتْ يَوْمَ بَدْرٍ . وكان له جَعْبَةٌ ^(٣)
تُدْعَى الكافور ، وكان له مَخْصَرَةٌ تسمى العُرْجُونُ ، وكان له مِحْجَنٌ قَدْرُ الذَّرَاعِ أَوْ مِخْوَهُ ^(٤)
يَتَنَاوَلُ بِهِ الشَّيْءَ ، وهو الذي آسَ تَلَمَّ بِهِ الزُّكْنُ فِي حِجَّةِ الْوَدَّاعِ ، وكان له دِرْعَانٌ ^(٥)
أَصَابُهُمَا مِنْ سِلَاحِ بَنِي قَيْنُقَاعٍ : دِرْعٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدِيَّةُ ، وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا فِضَّةٌ .
وعن محمد بن مَسْلَمَةَ قَالَ : رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدٍ
دِرْعَيْنِ ، دِرْعَهُ ذَاتَ الْفُضُولِ ، وَدِرْعَهُ فِضَّةً ، وَرَأَيْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ دِرْعَيْنِ ، ذَاتِ
الْفُضُولِ وَالسَّعْدِيَّةِ ، وَيُقَالُ : كَانَتْ عِنْدَهُ دِرْعٌ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي لَبَسَهَا
لَمَّا قَتَلَ جَالُوتَ ، وَكَانَ لَهُ مِغْفَرٌ يُقَالُ لَهُ السَّبُوعُ ^(٦) ، وَكَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
تُرْسٌ ؛ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَتَابُ بْنُ زِيَادٍ ، قَالَ حَدَّثَنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ، قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، قَالَ سَمِعْتُ
مَكْحُولًا يَقُولُ : كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُرْسٌ فِيهِ تَمَثَّلُ رَأْسُ
كَبْشٍ ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَهُ ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ أَذْهَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : كَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُرْسٌ عَلَيْهِ تَمَثَّلُ عَقَابٌ ، أَهْدَى لَهُ
فَوْضِعَ يَدِهِ عَلَيْهِ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ ، وَكَانَ لَهُ مِنْطَقَةٌ مِنْ أَدِيمٍ مَبْشُورٍ فِيهَا ثَلَاثُ حِلَاقٍ مِنْ ^(٧)

- ١٥ (١) نبع : شجر يتخذ منه الرماح والسهام .
(٢) الكتيم : سميت بذلك لانخفاض صوتها إذا رمى عنها .
(٣) جعبة : هي الكنانة يجمع فيها نبله .
(٤) مخصرة : ما يخنصره بيده ، فيمسكه من عصا أو عكازة أو مقرعة أو قضيب ، قد يتوكأ عليه .
(٥) محجن : عصا معوجة .
(٦) الزكن الإنساني من الكعبة .
٢٠ (٧) السعدية : نسبة إلى جبال السعد ، ويروي بالعين المعجمة وضم السين : ناحية بسمرقند .
(٨) السبوع (بالفتح والضم) : بمعنى السايغ وهو الطور بل .
(٩) مبشور : مقشور ؛ وهذه الصفة لا توجد في شرح المواهب .

فِضَّةٌ ، وَالْإِبْرِيمُ ^(١) مِنْ فِضَّةٍ ، وَالطَّرْفُ مِنْ فِضَّةٍ ، وَكَانَ لَهُ رَايَةٌ سُودَاءُ مُجْمَلَةٌ ، يُقَالُ لَهَا الْعُقَابُ ، وَلِوَاءٍ أَبْيَضٍ وَرَبِمَا جَعَلَ الْأَلْوِيَةَ مِنْ نُحْمَرٍ نَسَّأَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ .

ذِكْرُ دَوَابِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من الخيل والبغال والحمير

أما خيله صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكرنا في الباب الأول من القسم الثالث من الفن الثالث من كتابنا هذا ، وهو في السفر التاسع من هذه النسخة ، أن خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ملكها ، على ما ظهر من مجموع الروايات التي أوردناها هناك تسعة عشر فرسا : وهي السَّكْبُ ^(٢) ، والمُرْتَجِزُ ^(٣) ، والبحرُ ^(٤) ، وسبحةُ ^(٥) وذو اللِّمَّةِ ^(٦) ، وذو العقالِ ^(٧) ، والخفيفُ ^(٨) ، ويقال فيه : الخفيفُ بالخاء المعجمة ، وقيل : الخفيفُ بالنون ، والزازُ ^(٩) ، والظَّيرُ ^(١٠) ، والوردُ ^(١١) ، والسجلُ ^(١٢) ، والشحانُ ^(١٣) ، والسرْحانُ ^(١٤) ،

(١) الإبريم بالكسر : الذي في رأس المنطقة وما أشبهه ، وهو ذو لسان يدخل فيه الطرف الآخر .
(٢) السكب : الصب سمي بذلك لسرعه في الجرى ، كأنما هو ينسكب كالنار .
(٣) المرتجيز : سمي بذلك لحسن صهيله ، ما أخذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر .
(٤) البحر : سماه رسول الله بذلك حين جرى عليه فكان سريعا فقال له : « ما أنت إلا بحر » .
(٥) سبحة : من قولهم : فرس سايج إذا كان حسن مدايدين في الجرى .
(٦) ذو اللمة : سمي بذلك لوفرة شعره حتى ألم بالمتكئين .
(٧) ذو العقال ، بشد الغاف وتخفيفها : سمي بذلك لظلع في قوائمه . ، والظلع : العرج اليسير .
(٨) الخفيف بالتصغير والتكبير : سمي بذلك لسمه وكبره ، وقيل لطول ذنبه كأنه يلحف الأرض أي يغطيها بذنبه لطوله .

(٩) الزاز : المجتمع الخلق ، أو من لذه الترق كأنه يلترق بالمطلوب .
(١٠) الظرب : الجبيل سمي بذلك لقوته وصلابة حافره .
(١١) الورد : لون بين الكهيت والأشقر ، شبه بالورد المشوم .
(١٢) السجل : ما أخذ من سمات الماء صيته . وقيل بكسر السين كما في المواهب .
(١٣) الشحان : أي بعيد الخلوة . (١٤) السرحان : الذئب .

والمُرْتَجِلُ ، والأُدْهَمُ ، ومُلاوِحُ ، والعَيْسُوبُ ، واليَعْبُوبُ ، والمِرْوَاحُ ، وقد يكون الأُدْهَمُ هو السُّكْبُ أو البَحْرُ ، فتكون ثمانية عشر فرسا .

وذكرنا هناك أخبار هذه الخيل ومن ذكرها . وذهب بعضهم إلى أن خيله صلى الله عليه وسلم كانت عشرة أفراس : السُّكْبُ ، والمُرْتَجِيزُ ، ولَزَازُ ، والخَيْفُ ، والظَّرِيبُ ، والأُورْدُ ، والضَّرِيرُ ، ومُلاوِحُ ، وسَبَّحَةُ ، والبَحْرُ ، ولم يذكر ما عداها ، والله عز وجل أعلم .

وأما بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمره فقد ذكرنا أيضا في الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثالث في السفر التاسع من كتابنا هذا ، أن بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتي ملكهن كُنن سبعا ، على ما ظهر من مجموع الروايات التي ذكرناها هناك ، وهن دُلْدُلُ التي أهداها له المَقْوُوقِسُ ، وِفِضَةُ التي أهداها له فَرَوَةُ بن عمرو ، وبغلة أهداها له كِسْرَى ، وبغلته الأَيْلِيَّةُ التي أهداها له أبْنُ العَلَمَاءِ صاحبُ أَيْلَةَ ، وبغلة بعثها له صاحب دُومَةَ الجَنْدَلُ ،

(١) المرتجل : الذي يخالط بين تباعد خطاه وتوسع جريه ، وبين تفاربها وسرعته .

(٢) الأدهم : الأسود .

(٣) ملاوح : الضامر الذي لا يسمن ، والمربع العطش ، والعظيم الألواح .

(٤) العيسوب : قال الزرقاني على المواهب : « وزاد بعضهم العيسوب بتسديم العين على الباء . »

وفيه أيضا : « العيسوب » : غرة تستطيل في وجه الفرس ، وأبـير النحل .

(٥) العيوب : الفرس الجواد .

(٦) المرواح : من أبنية المبالغة ؛ مشتق من الريح لسرعته كالريح ، أو من الرواح ؛ لتوسعه في الجرى ،

أو من الراحة ؛ لأنه يستراح به .

(٧) في الأصول : « الضرمز » ؛ وما أثبتناه عن الطبقات ، وقال في النهاية : إنه صلى الله عليه

وسلم آشتري فرسا اسمه الضرمز ففزا به يوم أحد وسماه السكب .

(٨) الدباء : تأنيث الأهل ، مشقوق الشفة العليا .

وَبَغْلَةٌ أَهْدَاهَا لَهُ يُوحَنَّا بْنُ رُوَيْهِ ^(١) ، وَبَغْلَةٌ أَهْدَاهَا لَهُ النَّجَاشِيُّ صَاحِبُ الْحَبْشَةِ ،
 وَفِي الْبَغْلَةِ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّ كَيْسَرَ أَهْدَاهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ ، لَمَّا قَدِمْنَاهُ مِنْ
 أَنَّهُ مَرَّقَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَجِبْهُ . وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ ذَهَبَ
 إِلَّا أَنَّهُمْ كَثُرَتْ ثَلَاثَةٌ : ذُلْدَلُ الَّتِي أَهْدَاهَا لَهُ الْمُقَوِّسُ ، وَفُضَّةٌ وَهَبَهَا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَبَغْلَةٌ أَهْدَاهَا لَهُ صَاحِبُ آيَلَةَ . وَكَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
 الْحُمْرِ : يَعْقُورٌ ، وَعُقَيْرٌ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُمَا فِي الْبَابِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ فِي السَّفَرِ التَّاسِعِ .

ذَكَرْنَا نَعْمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرُونَ لِقْحَةً بِالْغَابَةِ ^(٢) ، يَرِاحُ لَهُ مِنْهَا كُلَّ لَيْلَةٍ
 بِقُرْبَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ اللَّبَنِ ، وَكَانَتْ لَهُ لِقْحَةٌ تُدْعَى بَرْدَةَ ، أَهْدَاهَا لَهُ الضَّحَّاكُ
 ابْنُ سَفْيَانَ ، كَانَتْ تُحَلَّبُ كَمَا تُحَلَّبُ لِقْحَتَانِ غَيْرَتَانِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَهْرِيَّةٌ ^(٣) أَرْسَلَهَا
 إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مِنْ أَمِّ بَنِي عَقِيلٍ ، وَكَانَتْ لَهُ الْقَصْوَاءُ ^(٤) ، وَهِيَ الَّتِي هَاجَرَ عَلَيْهَا ،
 وَكَانَ لَا يَجْمَلُهُ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ غَيْرَهَا ، وَهِيَ الْعَضْبَاءُ ^(٥) ، وَالْجُدْعَاءُ ^(٦) ، وَقِيلَ : الْعَضْبَاءُ
 غَيْرُ الْقَصْوَاءِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الْبَابِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقِسْمِ الثَّلَاثِ مِنَ الْفَنِّ الثَّلَاثِ نَعْمَهُ
 بِأَبْسَطِ مِنْ هَذَا .

(١) كَذَا فِي نَسْخَةِ ج ، وَفِي أ : « رُوَيْبَةُ » هَكَذَا ، وَالَّذِي فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ : « بِحَنَّةِ بْنِ رُوَيْبَةَ ،
 بِضَمِّ التَّحْتَانِيَّةِ وَفَتْحِ الْمَهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ ، وَرُوَيْبَةُ بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْوَاوِ بَعْدَهَا مُوَحَّدَةٌ ، وَقَالَ :
 إِنَّهُ صَاحِبُ آيَلَةَ » . وَعَلَى هَذَا تَكُونُ هَذِهِ الْبَغْلَةُ هِيَ الْآيَلَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ لِأَرَبِ .

(٢) اللَّقْحَةُ : النَّاقَةُ الْقَرِيْبَةُ الْعَهْدِ بِالتَّاجِ .

(٣) الْمَهْرِيَّةُ : مِنْ كَرَامَتِ الْإِبْلِ تَنْسَبُ إِلَى حَى مَهْرَةَ بْنِ حِيدَانَ .

(٤) الْقَصْوَاءُ : مِنَ الْقَصْوِ وَهُوَ قَطْعُ طَرَفِ الْأُذُنِ .

(٥) الْعَضْبَاءُ : هِيَ الْمَشْقُوقَةُ الْأُذُنَيْنِ أَوْ مَقْطُوعَتُهُمَا .

(٦) الْجُدْعَاءُ : الْمَقْطُوعَةُ الْأَنْفِ أَوْ الْأُذُنِ أَوْ الشَّفَةِ .

وكان له صلى الله عليه وسلم مائة من الغنم . وكانت له سبع منائح^(١) : عَجْرَة ، وَزَمَزَم ، وَسُقْيَا ، وَبَرَكَة ، وَوَرِشَة ، وَأَطْلَال . وَأَطْرَاف ، وكانت أم أيمن ترعاهن ، وكانت له شاة يَحْتَصُّ بِشَرَبِ لَبْنِهَا ، تدعى غَيْثَة ، وكان له ديك أبيض ، هذا ما أمكن إيرادَه في هذه الفصول ، وهو بحسب الاختصار .

- وقد آن أن نأخذ في ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم ، وإنما أئخرنا ذكر المعجزات إلى هذه الغاية لأُمور : منها أن معجزاته صلى الله عليه وسلم كانت في مدة حياته ، تقع خلال غزواته ، وغالب أوقاته ، فلو ذكرناها قبل نهاية ذكر أحواله صلى الله عليه وسلم ، لكان قد قدمنا منها شيئاً قبل وقته الذي وقع فيه . ومنها أننا لما ذكرنا صفاته صلى الله عليه وسلم فيما تقدم ، استلزم إيراد أحواله تلوه صفاته ، وصار الكلام يتلو بعضه بعضاً ، ولو ذكرنا المعجزات في خلال ذلك لأنقطع الكلام وأنفرت النظام ، وأهم الأسباب في تأخير ذكر المعجزات إلى هذه الغاية ، أننا أردنا أن تكون معجزاته صلى الله عليه وسلم خاتمة لهذه السيرة الشريفة ، وتالية لهذه المناقب المنيفة^(٢) لا يجعل بعدها من أخباره صلى الله عليه وسلم إلا أخبار وفاته عليه السلام .

ذكر معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ومعنى المعجزة أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلهما ، ولا تكون معجزة إلا مع وجود التحدى بالنبوّة ، وأما مع عدم التحدى فهي كرامة ، كأحوال الأولياء . والمعجزة على ضربين : ضَرْبٌ هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عن الإتيان بمثله ، كالقرآن على رأى من رأى أن من قدرة البشر أن يأتوا بمثله ، ولكن الله تعالى

١١٠
١٦

- (١) المنايح : جمع منيحة ، وهى الشاة التي تعار للبهنا ، ثم ترد إذا أنقطع لبنها ، وفي شرح المواهب : كانت له سبع أعز منائح ، الخ . (٢) في الأصول والطبقات : «ورسة» وما أئبتناه عن المواهب ، وجاء في القاموس : «ورش ككتف النسيط الخفيف من الإبل وغيرها» . (٣) المنيفة : العالية المشرفة .

صَرَفَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَعَجَزُوا عَنْهُ ، وَكَصَرَفَ يَهُودَ عَنْ تَمَنَّى الْمَوْتِ ، وَنَحَوَ ذَلِكَ .
وَضْرَبَ هُوَ خَارِجٌ عَنْ قَدْرَةِ الْبَشَرِ كِلَاحِيَاءَ الْمَوْتِ ، وَتَسْبِيحَ الْحَصَى ، وَأَنْشِقَاقَ الْقَمَرِ ،
وَتَبَعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ الْأَصَابِعِ ، وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ ، وَحَبْسِ الشَّمْسِ ، وَرَدِّهَا بَعْدَ
غُرُوبِهَا .

وَمَا نَحْنُ نُورِدُ فِي هَذَا الْفَصْلِ مِنْ مَشَاهِيرِ مَعْجَزَاتِهِ ، وَبَاهِرِ آيَاتِهِ ، مَا تَقِفُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ مَعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آثَاءِ هَذِهِ السَّيْرَةِ
مَا تَقَدَّمَ ، مِمَّا نُذَبُّ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْفَصْلِ ، وَنُحِيلُ عَلَيْهِ فِي مَوَاضِعِهِ ، وَنُشْرِحُ وَنُبَيِّنُ
مَا أَدَّجَيْنَاهُ قَبْلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَمَعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَةٌ : مِنْهَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ ، وَهُوَ أَكْبَرُهَا آيَةً ،
وَأَعْظَمُهَا دَلَالَةً عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْهَا أَنْشِقَاقُ الْقَمَرِ ، وَحَبْسُ
الشَّمْسِ ، وَرَدُّهَا ، وَتَفْجِيرُ الْمَاءِ وَأَنْبِعَاثُهُ وَتَبَعُهُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكْثِيرُ الطَّعَامِ ،
وَكَلَامُ الشَّجَرِ ، وَسَمْعُهَا لِإِلَهِهِ ، وَحَنِينُ الْجَذْعِ ، وَتَسْبِيحُ الطَّعَامِ وَالْحَصَى ، وَكَلَامُ
الْجَمَادَاتِ ، وَشَهَادَةُ الْحَيَوَانَاتِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنُّبُوَّةِ ، وَكَلَامُ الْمَوْتِيِّ ، وَإِبْرَاءُ
الْمَرَضِيِّ ، وَإِجَابَةُ الدُّعَاءِ ، وَأَنْقِلَابُ الْأَعْيَانِ ، وَمَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ
الْغُيُوبِ ، وَالْإِخْبَارِ بِمَا كَانَ وَيَكُونُ ، وَمَا جَمَعَ لَهُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ وَمَصَالِحِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَسِيَاسَةِ الْعَالَمِ ، وَالْعِصْمَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا نَشْرَحُهُ وَنُبَيِّنُهُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَمَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ وَمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ ، فَمَعْجَزَاتِهِ كَثِيرَةٌ نَحْصَرُهَا
فِي عَشْرَةِ أَوْجُهٍ :

- الوجه الأول — حُسن تأليفه والتبام كَيْمِه وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب ،^(١) وذلك أنهم خَصَّوا من البلاغة والحكم ما لم يُخَصَّ به غيرهم من الأمم ، وحَسَبك أن القرآن أنزل بلغتهم ، ومع ذلك فقد قرعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، ووبَّخهم وسَّقه أحلامهم ، وسبَّ آلهتهم ، وذمَّ آباءهم ، وشنت نظامهم ، وفزق جماعتهم ، وأنزل الله تعالى فيهم ما أنزل من قوله عز وجل : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾^(٣) وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^(٤) وغير ذلك ، فنكصوا عن معارضته ، وأججموا عن مماثلته ، ورضوا بقولهم ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾^(٥) و ﴿ فِي أَكْبِيَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾^(٦) و ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلِبُونَ ﴾^(٧) . وأعترف فصحاؤهم عند سماعه أنه ليس من كلام البشر ، كالوليد بن المغيرة وعُتْبَةُ ابْنِ رَبِيعَةَ ، على ما قدّمنا ذكر ذلك .

- ١٥ الوجه الثاني من إيجازه — صورة نظمه العجيب ، المخالف لأساليب كلام العرب ومناسج نظمها ونثرها ، وتبججها ورجزها وهزجها وقريضها ، ومبسوطها

(١) عادة بالنصب مفعول خارقة ، بمعنى خارجة عن عادتهم (شرح الشفا للشهاب ج ٢ : ٥١٠)
 (٢) آية ٣٨ سورة يونس . (٣) آية ٢٢ ، ٢٣ سورة البقرة . (٤) آية ٨٨ سورة الأسماء .
 (٥) آية ٥ سورة فصلت . (٦) آية ٢٦ سورة فصلت . (٧) الرجز : بجر من الشعر

- ٢٠ معروف ، فهو كهنية السجع إلا أنه في وزن الشعر وتسمى قصيدته أرجوزة .
 (٨) الهزج : الأغاني ، و بجر من الشعر ، وبه فسر هنا .
 (٩) قريضها : هو بمعنى الشعر مطلقاً . (١٠) مبسوطها : مطولات قصائدها .

وَمَقْبُوضُهَا ، كَمَا قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ لِقُرَيْشٍ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِمْ كَمَا قَدِمْنَاهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ جَمْعُهُ بَيْنَ الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَحْتَجَّ بِنَظْمِ الْقُرْآنِ ، وَحَسَنِ وَصْفِهِ وَإِيْجَازِهِ وَبَلَغْتِهِ ، وَأَثَاءَ هَذِهِ الْبَلَاغَةِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ وَوَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ ، فَالتَّالِيُ لَهُ يَفْهَمُ مَوْضِعَ الْحُجَّةِ وَالتَّكْلِيفِ مَعًا مِنْ كَلَامٍ وَاحِدٍ .

١١١
١٦

الوجه الثالث من إعجازه — ما أنطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ، وما لم يكن ولم يقع فوجد ، كما جاء في قوله تعالى : ^(١) (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) . وقوله في الروم : ^(٢) (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) . وقوله : ^(٣) (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) . وقوله : ^(٤) (وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) الآية . وقوله : ^(٥) (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) السورة ، فكان جميع ذلك : فتح الله مكة ، وغلبت الروم فارس ، وأظهر الله رسوله ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وأستخلف الله المؤمنين في الأرض ، ومكّن دينهم وملّكهم أقصى المشارق والمغارب ، وما فيه من الإخبار بحال المنافقين واليهود ، وكشف أسرارهم ، وغير ذلك .

الوجه الرابع — ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأئمة البائدة والشرائع الدائرة ، ^(٦) مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا من مارس العلوم من أهل الكتاب ، وأطلع على الكتب المنزلة القديمة ، كقصص الأنبياء مع قومهم ، وخبر موسى والخضر وذى القرنين ولقمان وأبنة وبدء الخلق ، وغير ذلك مما في كتبهم القديمة مما أعترف بصحته العلماء من أحبار يهود ، فمنهم من آمن به ، ومنهم من صدّ عنه مع عدم إنكارهم لصحته ، قال الله تعالى : ^(٧) (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) .

- (١) مقبوضها : مختصر أوزانها . (٢) آية ٢٧ سورة الفتح . (٣) آية ٣ سورة الروم . (٤) آية ٣٣ سورة التوبة و ٢٨ سورة الفتح . (٥) آية ٥٥ سورة النور . (٦) آية ١ سورة النصر . (٧) الدائرة : المدرسة القديمة . (٨) آية ١٥ سورة المائدة .

الوجه الخامس — الزوْعَةُ التي تلحق قلوب سامعيه ، وأسماعهم عند سماعه ، والهيبية التي تعتر بهم عند تلاوته ؛ قال الله عز وجل : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾^(٢) هذا في حق المؤمنين به ، وأما من كذب به فكانوا يستثقلون سماعه ، ويؤدون انقطاعه ؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القرآن صعب مُستصعب على من كرهه ، وهو الحكيم » وقد تقدم أن عتبة بن ربيعة لما سمع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ قوله : ﴿ صَاعِقَةٌ مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾^(٣) أمسك على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الزحيم أن يكف .

١٠ الوجه السادس — كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا ، وقد تكفل الله تعالى بحفظه فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٥) . وقال تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾^(٦) وسائر معجزات الأنبياء آتت بانقضاء أوقاتها ، فلم يبق إلا خبرها ، والقرآن العزيز باق منذ أنزله الله تعالى وإلى وقتنا هذا ، وما بعده إن شاء الله إلى آخر الدهر ، حجته قاهرة ، ومعارضته ممتنعة .

١٥ الوجه السابع — أن قارئه لا يميل قراءته ، وسامعه لا تمجّه مسامعه ، بل الإكباب على تلاوته وترديده يزيد حلاوة ومحبة ، لا يزال غصبا طريا ، وغيره من الكلام ولو بلغ ما عساه أن يبلغ من البلاغة والفصاحة يميل مع التردد ، ويسأم إذا

(١) آية ٢٣ سورة الزمر . (٢) آية ٢١ سورة الحشر . (٣) آية ١٣ سورة فصلت .

(٤) في : أي فم النبي صلى الله عليه وسلم . (٥) آية ٩ سورة الحجر .

أعيد، وكذلك غيره من الكتب لا يوجد فيها ما فيه من ذلك ، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن « أنه لا يَحْتَقُّ ^(٢) على كثرة الرد ولا تنقضى عبره ، ولا تنفنى عجائبه ، هو الفصل ليس بالهزل » .

الوجه الثامن — أن الله تعالى يسر حفظه لمتعلميه ، وقزبه على متحفظيه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ^(٣) ﴾ فلذلك إن سائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منها ، وإن لازم قراءتها ، وداوم مدارسها ، لم يسمع بذلك عن أحد منهم ، والقرآن قد يسر الله تعالى حفظه على الغلمان في المدة القريبة والذسوان ، وقد رأينا من حفظه على كبر سنه ، وهذا من معجزاته .

الوجه التاسع — مشاكلة بعض أجزائه بعضا ، وحسن ائتلاف أنواعها ، والنبات أقسامها ، وحسن التخلص من قصة إلى أخرى ، والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه ، وأنقسام السورة الواحدة على أمر ونهى ، وخبر وأستخبار ووعد ووعيد ، وإثبات نبوة وتوحيد ، وتقرير وترغيب وترهيب ، إلى غير ذلك ، دون خال يتخلل فصوله ، والكلام الفصيح إذا آتوره مثل هذا ضمفت قوته ، ولأنت جزأته ، وَقَلَّ رَوْنُهَا ، وَتَقَلَّتْ أَلْفَاظُهَا ، وهذا من الأمور الظاهرة التي لا يحتاج عليها إقامة دليل ، ولا تقرير حجة ، ولا بسط مقال .

الوجه العاشر — جمعه لعلوم ومعارف لم تعهدها العرب ، ولا علماء أهل الكتاب ، ولا أشتمل عليها كتاب من كتبهم ، بجمع فيه من بيان علم الشرائع ، والتنبيه على طرق الحجج العقلية ، والرد على فرق الأمم بالبراهين الواضحة ، والأدلة البينة السهلة الألفاظ ، الموجزة المقاصد ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ

٢٠ (١) أى الكتب المنزلة . (٢) يحتق : يبلى . (٣) آية ٣٢ سورة القمر .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ (١) وقوله : (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا
 أَوَّلَ مَرَّةٍ) (٢) وقوله : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) (٣) إلى غير ذلك مما
 أشتمل عليه من المواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة، ومحاسن الآداب، وغير ذلك
 مما لا يحصيه وأصفى، ولا يعده عاد، قال الله تعالى : (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ
 شَيْءٍ) (٤) ، وقال تعالى : (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) (٥) وقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أنزل على القرآن آمراً وناهيًا، وسنةً خالصةً،
 ومثلاً مضروباً، فيه نباكُم وخبر ما كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم،
 لا يخلفه طولُ الزّد، ولا تنقضى عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق،
 ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فليج (٦) ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر،
 ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله،
 ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم،
 وحبل الله المتين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن أتبعه، لا يعوج
 فيقوم، ولا يزيع فيستعتب، ولا تنقضى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الزّد » .
 وفي الحديث : « قال الله تعالى لمحمد - صلى الله عليه وسلم - إني منزل عليك توراة
 حديثة تفتح بها أعينا عمياء وآذاناً صمًا، وقلوباً غلغلا، وفيها ينابيع العلم، وفهم الحكمة،
 وربع القلوب » . وقد عدوا في إعجازه وجوها كثيرة غير ما ذكرناه فلا نطول بسردها.
 وأما آتشفاق القمر، وحبس الشمس ورجوعها - فكان ذلك من معجزات
 رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى : (أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ .

(٢) آية ٧٩ سورة يس .

(١) آية ٨١ سورة يس .

(٤) آية ٣٨ سورة الأنعام .

(٣) آية ٢٢ سورة الأنبياء .

(٦) فليج : غالب وقاز بالصر على من خاصمه .

(٥) آية ٢٧ سورة الزمر .

وأقسط : عدل .

وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر^(١) . وقد رويت قصة أنشقاق القمر عن ابن مسعود، وأنس بن مالك، وأبن عباس، وعلى بن أبي طالب، وعبد الله ابن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم رضى الله عنهم، قال ابن مسعود: أنشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشهدوا» قال ابن مسعود: حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر، وفي بعض طرقه: ومن رواية مسروق عنه أنه كان بمكة، وزاد: فقال كفار قريش سحر كم ابن أبي كبة، فقال رجل منهم: إن محمدا إن كان قد سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فأسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا؟ فاتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك . وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه . وقال: فقال أبو جهل هذا سحر فآبعثوا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا رأوا ذلك أم لا؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه مذكقا، فقالوا — يعنى الكفار — : هذا سحر مستير . وقال على رضى الله عنه، من رواية أبي حذيفة الأرحبي: أنشق القمر، ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم . وعن أنس: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم أنشقاق القمر مرتين، حتى رأوا حراء بينهما، وفي رواية معمر، وغيره عن قتادة عنه: أراهم القمر مرتين أنشقاقه، فترأت الآية^(٢) (أقتربت الساعة وأنشأت القمر) . وحكى الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الحلبي^(٣) الجرجاني

(١) آية ١ — ٢ سورة القمر . (٢) أنشقاقه بالنصب بدل آشبال من القمر .

(٣) في هامش ج: «الحلبي هذا شافعي المذهب، مولده سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، ورحل إلى بخارى وكتب الحديث عن أبي مهمل محمد بن أحمد بن يوسف وغيره، وتفقه على أبي بكر الأودي وأبي بكر القفال، ثم صار إماما مغلما مرجوعا إليه بما وراء النهر وحدث بنيسابور، وروى عنه الحاكم وتوفى في جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة، وقيل: في ربيع الأول من السنة .»

- في منهاجه قال : رأيت بُخَّارِي الهلال وهو ابن ليلتين مَشَقًّا بنصفين ، عَرَضَ كُلِّ واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس ، وما زلت أنظر إليهما حتى أتصلا ، ثم لم يعودا كما كانا ، ولكنهما صارا في شكل أُتْرَجَّة ، ولم أمِل طرفي عنهما إلى أن غاب ، قال : وكان معي ليلتئذ جماعة كَثِيفَةٌ ، من بين شريف وفقه وكاتب وغيرهم من طبقات الناس ، وكلُّ رأَى ما رأيت . قال : وأخبرني من وثقت به ، وكان خبره عندي كعِيَانِي أنه رأى الهلال وهو ابن ثلاث مَشَقًّا بنصفين ، قال : وإذا كان هكذا ، ظهر أن قول الله عز وجل : ﴿ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ إنما هو على الأَنْشِقَاق الذي هو من أشرط الساعة ، دون الأَنْشِقَاق الذي جعله الله تعالى آية لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وحجة على أهل مكة . وبالله التوفيق .
- ١٠ وأما رجوع الشمس — فقد روى عن أسماء بنت عُمَيْسٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُوحَى إليه ورأسه في حِجْرٍ على ، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أصليت يا على ؟ » قال : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فأررد عليه الشمس » قالت أسماء : فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ، ووقفت على الجبال والأرض ، وذلك بالصَّهْبَاءِ في خَيْبَرٍ . خرجه الطحاوي
- ١٥ في مشكل الحديث عن أسماء من طريقين ، قال وكان أحمد بن صالح يقول : لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء ؛ لأنه من علامات النبوة .
- وأما حبسها — فقد روى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن ابن إسحاق : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمرى به ، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير ، قالوا : متى تجيء؟ قال : « يوم الأربعاء » فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون ، وقد ولى النهار ولم يبيح ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة ، وحبست عليه الشمس صلى الله عليه وسلم .
- ٢٠

وأما نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فقد روى عن أنس بن مالك ، وجابر ، وعبد الله بن مسعود ؛ قال أنس من
 رواية إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد
 حانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَوْضُوءًا ^(٢) ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده ، وأمر
 الناس أن يتوضؤوا منه ، قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ الناس حتى
 توضؤوا من عند آخرهم . ورواه أيضا عن أنس قَتَادَةُ ، وقال : بإناء فيه ماء ما يغمر
 أصابعه ، ولا يكاد يغمر ، قال : كم كنتم ؟ قال : زهاء ثلاثمائة ، وفي رواية عنه :
 وهم بالزوراء عند السوق . وأما ابن مسعود ، ففي الصحيح عنه من رواية
 علقمة : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس معنا ماء ، فقال لنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أطلبوا من معه فضل ماء» فَأَتَى بِإِنَاءٍ فَصَبَّ فِيهِ إِنْاءً ،
 ثم وضع كفه فيه ، فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال : «عطش الناس يوم الحديبية ،
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه رَكْوَةٌ ^(٣) فتوضأ منها ، وأقبل الناس نحوه ،
 وقالوا : ليس عندنا ماء ، إلا ما في رَكْوَتِكَ ، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم
 يده في الرَكْوَةَ ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، وفيه : فقلت
 كم كنتم ؟ قالوا : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كما نحس عشرة مائة . وفي صحيح مسلم

(١) الوضوء (بفتح الواو) : الماء الذي يتوضأ به . (٢) بوضوء أى بإناء وضوء .

(٣) كذا في الأصول ، والذي في الشفا من رواية قتادة عن أنس : « بإناء فيه ماء يغمر أصابعه

أولا يكاد يغمرها » وهي أوضح .

(٤) الرَكْوَةُ : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

في ذكر غزوة بواط^(١) ، قال جابر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جابر ناد الوضوء » وذكر الحديث بطوله : وأنه لم يمد إلا قطرة في عزلاء^(٢) شجيب ، فأُتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه^(٣) ، وتكلم بشيء لا أدري ما هو ، وقال : « ناد بجفنة الركب^(٤) » فأُتيت بها فوضعتها بين يديه ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة ، وفرق أصابعه ، وصب جابر عليه ، وقال : « بسم الله » قال : فرأيت الماء ينفور من بين أصابعه ، ثم فارت الجفنة ، وآستدارت حتى أمتلأت ، وأمر الناس بالاستقاء فآستقوا حتى رَوُوا^(٥) ، فقلت : هل بقي أحده حاجة ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي مَلَأَى . هذا مختصر ما رَوَى من تفجير الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم .

١١٤
١٦

وأما تفجيرها وأنبعائها وتكثيره ببركته ودعائه

صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك ما رواه مالك بن أنس رحمه الله في الموطأ ، عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك ، وأنهم وردوا العين ، وهي تبيض^(٦) بشيء من ماء مثل الشراك ، فغرفوا من العين بأيديهم حتى آجتمع في شيء ، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ١٥ (١) بواط : جبال جهينة بقرية ينبع على أربعة برد من المدينة ، هذه الغزوة اعترض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعير قريش . (٢) العزلاء : فم الزادة ، والشجيب : السقاء الذي قد أخلق وبلى وصار شاماً . (٣) غمزه : عصره وحركه ، أو وضع يده عليه وكبسه بها . (٤) جفنة : كتصعة وزنا ومعنى وهو مجاز ، أى الذى يطعمهم ويشبعهم ، أو مجاز بالخذف ، أى يا صاحب جفنة الركب ، وفي النهاية : « ناد يا جفنة » الركب .
- ٢٠ (٥) فقلت : أى قال جابر ، وهل نافية أى ما بقى ؛ لهذا قال : فرفع رسول الله يده . ويجوز أن تكون استفهامية . (٦) العين : عين تبوك ، وتبيض : أى تنظف وتسيل . (٧) الشراك بالكسر : سير النمل شبهه به لضعفه وقلة جريه .

فيه وجهه و يديه ، وأعادته فيها بخرت بماء كثير فاستقى الناس . وفي حديث ابن إسحاق : فأخترق من الماء ماله حس كس الصواعق ، ثم قال : « يوشك يا معاذ ^(١) إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانا » . ومنه قصة الحديدية ، وقد تقدم ذكرها في الغزوات . ومن ذلك خبر صاحبة المزداتين ، وهو مما روى عن عمران بن حصين ، قال : أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم ، فوجه رجلين من أصحابه ، وأعلمهما أنهما يجسدان امرأة بمكان كذا ، معها بئر عليه مزادتان ، الحديث . فوجداها وأتيا بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل في إناء من مزادتها ، وقال فيه ما شاء الله أن يقول ، ثم أعاد الماء في المزداتين ، ثم فتحت عن اليهما ، وأمر الناس فلاؤوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا إلا ملأوه ، قال عمران : ويخيل لي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء ، ثم أمر بجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها ، وقال : « أذهبي فإننا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا » . وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه يذى المجاز : عطشت وليس عندي ماء ، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال : « أشرب » . وعن سلمة بن الأكوع ، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « هل من وضوء ؟ » بغاء رجل بإداوة فيها نطفة ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥)

(١) اخترق : انفجر .

(٢) وذلك أنه صلى الله عليه وسلم نزل بأقصى الحديدية على تمد فيها قليل ماء يأخذه الناس قليلا فلم يلبث الناس أن زحوه ، فشكوا إلى رسول الله العطش ، فانتزع مهما من مكانه ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فما زال يفرور بالماء حتى صدروا عنه . وفي هذه القصة روايات مختلفة فلراجع في مظانها .

(٣) القصة بتمامها وما فيها من الاختلاف في ج ٥ ص ١٩٦ شرح المواهب . وفي صحيح البخاري في علامات النبوة .

(٤) إداوة (بكسر المعزة) : إناء صغير من جلد يتخذ للساء كالمزادة ونحوها .

(٥) نطفة : قليل من الماء .

- فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا، نُدَغِفَقِه دَغَفَقَةَ أربع عشرة مائة . وفي حديث غزوة تبوك، وما أصاب الناس من العطش، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى أرسل سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، وأحتملوا حاجتهم من الماء، وقد تقدم ذكره . ومن طريق آخر في هذه القصة عن عمر: وذكر ما أصابهم من العطش في جيش العسرة، حتى إن الرجل لينجر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، فرغب أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فانسكبت فملاً ما معهم من آنية، ولم يجاوز العسكر، والحديث في هذا الباب كثير .

وأما تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم

- فقد روينا من ذلك أحاديث كثيرة بأسانيد صحيحة متصلة، رأينا حذفها هاهنا اختصاراً لأشتهارها وانتشارها، منها ما روينا عن جابر رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطراً وسق شعير، فما زال يأكل منه وأمراته وضيافته حتى كآله، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه وقام بكم». ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور، وإطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلاً من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده — أي إبطه — فأمر بها ففُتَّت، وقال فيها ما شاء الله أن يقول . وحديث جابر — رضي الله عنه — في إطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير، وعناق^(٣)، قال جابر: فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وأنحرفوا^(٤)، وإن

١١٥
١٦

- (١) أي ونحن أربع عشرة مائة، والدغفة: الصب الشديد، يقال: فلان في نعم دغفق أي واسع .
(٢) قالت السماء: غيمت وظهر فيها سحاب، من قولهم: قال كذا إذا نهأ له وأستمد . (شرح الشفا
٢٠ ٣ : ٢٩) . (٣) عناق: أضي المزملم بتم لها سة . (٤) أنحرفوا: أي مالوا عن الطعام .

بُرْمَتَنَا لَتَغِطَّ كَمَا هِيَ ، وَإِنْ عَجِينَنَا لِيُخَبِّزَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْصُقُ فِي الْعَجِينِ وَالْبُرْمَةَ وَبَارَكَ . وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي أَيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ : أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الطَّعَامِ زُهَاءً مَا يَكْفِيهِمَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « آدَعُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ » فَدَعَاهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ ، ثُمَّ قَالَ : « آدَعُ سَبْعِينَ » فَكَانَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : « آدَعُ سَبْعِينَ » فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ ، وَمَا خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ حَتَّى اسْتَلَمَ وَبَاعَ ، قَالَ أَبُو أَيُوبَ : فَأَكَلْتُ مِنْ طَعَامِي مِائَةَ وَثَمَانُونَ رَجُلًا . وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ : أَنَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِصْعَةٍ فِيهَا لَحْمٌ فَتَعَاقَبُوهَا مِنْ غَدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ يَقُومُ قَوْمٌ وَيَقْعُدُ آخَرُونَ . وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عَبْسَدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً ، وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ : عَجْنٌ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، وَصُنِعَتْ شَاةٌ فَشَوَى سَوَادَ بَطْنِهَا ، قَالَ : وَأَيْمُّ اللَّهِ مَا مِنَ الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ إِلَّا وَقَدْ حُرِّلَ حَرَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا ، ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا قِصْعَتَانِ فَأَكَلْنَا أَجْمَعُونَ ، وَفَضَلَ فِي الْقِصْعَتَيْنِ فُجْمَلَتَهُ عَلَى الْبَعِيرِ . وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَذَكَرُوا مَحْمَصَةَ أَصَابَتْ النَّاسَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ ، فَدَعَا بِبَقِيَّةِ الْأَزْوَادِ ، بَغَاءَ الرَّجُلِ بِالْحَيْثِيَّةِ مِنَ الطَّعَامِ وَفَوْقَ ذَلِكَ ، وَأَعْلَاهُمْ الَّذِي أَتَى بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ ، بِجَمْعِهِ عَلَى نِطْعٍ ، قَالَ سَلَمَةُ : فَخَزَرْتَهُ كَرِبُضَةَ الْبَعِيرِ ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وَعَاءٌ إِلَّا مَلَأُوهُ وَبَقِيَ مِنْهُ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَدْعُو لَهُ أَهْلَ الصُّفَّةِ فَتَتَّبِعْتَهُمْ حَتَّى جَمَعْتَهُمْ ، فَوُضِعَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا صُحُفَةٌ فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا وَفَرَعْنَا ، وَهِيَ مِثْلُهَا

(١) تغط : تغل . (٢) زهاء : مقدار . (٣) سواد بطنها : أى الكبد .

(٤) رِبْضَةُ الْبَعِيرِ ، الَّذِي فِي النَّهَايَةِ : كَرِبُضَةُ الْعِزْرِ : أَيْ مِقْدَارُ جَنْبِهَا إِذَا بَرَكَتْ .

حين وُضعت ، إلا أن فيها أثر الأصابع . وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه
قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين ، منهم
قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق^(١) فصنع لهم مئدا من طعام ، فأكلوا حتى شبَعوا
وَبَقِيَ كَمَا هُوَ ، ثُمَّ دَعَا بَعْسَ^(٢) فَنَشَرُوا حَتَّى رَوُّوا وَبَقِيَ كَأَنَّهُ لَمْ يَشْرَب . وَقَالَ أَنَسُ
ابن مالك : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما آتاني بزَيْنَب أمره أن يدعو له قوما
سَمَّاهُمْ ، وَكُلَّ مِنْ لَقِيَتْ حَتَّى أَمْتَلَأَ الْبَيْتَ وَالْجُحْرَةَ ، وَقَدَّمَ لِيهِمْ تَوْرًا فِيهِ قَدْرٌ مَدَّ
مِنْ تَمْرٍ جُعِلَ حَيْسًا^(٤) ، فَوَضَعَهُ قَدَامَهُ وَعَمَسَ ثَلَاثَ أَصَابِعِهِ ، وَجَعَلَ الْقَوْمَ يَتَعَدُّونَ
وَيَخْرَجُونَ ، وَبَقِيَ التَّوْرُ نَحْوًا مِمَّا كَانَ ، وَكَانَ الْقَوْمُ أَحَدًا أَوْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ .
وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها : أن القوم كانوا زهاء ثلثائة ، وأنهم
أَكَلُوا حَتَّى شَبَعُوا ، وَقَالَ لِي : « اِرْفَعْ » فَلَا أَدْرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَتْ أَكْثَرَ
أُمِّ حِينَ رَفَعْتُ . وفي حديث جعفر بن محمد عن محمد بن أبيه ، عن علي رضى الله عنهم أن
فاطمة رضى الله عنها طبخت قَدْرًا لَغْدَائِهَا ، وَوَجَّهَتْ عَلِيًّا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِيَتَغَدَّى مَعَهَا ، فَأَمَرَهَا فَفَرَّقَتْ مِنْهَا لِجَمِيعِ نِسَائِهِ صَحْفَةً صَحْفَةً ، ثُمَّ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَلَعَلِّي ، ثُمَّ لَهَا ، ثُمَّ رَفَعَتْ الْقَدْرَ ، وَإِنَّا لَنَتَفَيْضُ ، قَالَتْ : فَأَكَلْنَا مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ .
ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن
يَزُودَ أَرْبَعِينَ رَاكِبًا مِنْ أَمْحَسَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هِيَ إِلَّا أَصْوَعُ ، قَالَ :
« أَذْهَبَ » فَذَهَبَ فَزُودَهُمْ مِنْهُ ، وَكَانَ قَدْرَ الْفَيْصِيلِ التَّرْبِضِ مِنَ التَّمْرِ وَبَقِيَ بِحَالِهِ .

(١) الفرق بفتحين : مكيال يسع ستة عشر رطلا على خلاف فيا يسع . (انظر النهاية) .

(٢) العس (بالضم) : القدح الكبير يروى الثلاثة والأربعة .

(٣) التور : إناء يشرب فيه من صفر أو حجارة وقد يتوضأ منه .

(٤) الحيس : خليط من تمر وسمن وأفط ، وهو في شرح المواهب كذلك عن الصحيحين .

ومن ذلك حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه في دين أبيه ، وقد كان بدّل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه ، ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بجذّها وجعلها بيادر^(١) في أصولها ، ثم جاءه فمشى فيها ودعا ، فأوفى جابر غرماء أبيه من ذلك ، وفضل مثل ما كانوا يجذّون كل سنة . وفي رواية : مثل ما أعطاهم . قال : وكان الغرماء يهودا فمجبوا من ذلك . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أصاب الناس مجتمعة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل من شيء ؟ » قلت : نعم ، شيء من التمر في المزود ، قال : « فاتخى به » فاتيت به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ، ودعا بالبركة ، ثم قال : « أدع لى عشرة » فأكلوا حتى شبعوا ، ثم عشرة كذلك ، حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا ، قال : « خذ ما جئت به وأدخل يدك وأقبض منه ولا تكبّه » فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ، إلى أن قتل عثمان فأنتهب منى فذهب . وفي رواية : فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله . وذُكر مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك ، وأن التمر كان بضع عشرة تمرة . ومنه أيضا حديث أبى هريرة رضى الله عنه حين أصابه الجوع ، فأستبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا فى قدح قد أهدى إليه ، وأمره أن يدعو أهل الصفّة ، قال فقلت : ما هذا اللبن فيهم ! كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها ، فدعوتهم ، وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن يسقيهم ، قال : فجعلت أعطى الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يأخذ الآخر حتى يروى جميعهم ، فأخذ النبي

(١) بيادر (جمع بيدر) : موضع تحفيف التمر والبر ونحوه ليخلص من تبهه . والمراد أنه كثره

في حديقة نخله . (٢) أطعمت منه : أى أهل ومن أردت إطعامه .

(٣) تعجب منه لقلة اللبن ، وأنه لا يكفيهم .

صلى الله عليه وسلم القَدَح وقال : « بقيتُ أنا وأنتِ آفَعِد فأشرب » فشربت ثم قال : « أشرب » وما زال يقولها وأشرب حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مَسَلَكًا، فأخذ القَدَح فحمد الله وسَمِي وشرب الفَضْلَةَ ، صلى الله عليه وسلم .

وأما كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة

وَأَنْقِيَادَهَا إِلَيْهِ وَإِجَابَتِهَا دَعْوَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٥

فمن ذلك ما روينا بسند متصل عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال :
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي ، فقال : « يا أعرابي
أين تريد ؟ » قال : إلى أهلي ، قال : « هل لك إلى خير ؟ » قال : وما هو ؟ قال :
« تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله » قال : من يشهد

١٠

لك على ما تقول ؟ قال : « هذه الشجرة السَّعْرَةُ ^(١) وهى بشاطئ الوادى ، فأقبلت
تَحْدُ ^(٢) الأرض حتى قامت بين يديه ، فأستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ،

ثم رجعت إلى مكانها . وعن بُرَيْدَةَ قال : سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم
آية فقال له : « قل لتلك الشجرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يدعوك »
قال : فمالت الشجرة عن يمينها وشمألها و بين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ،

١٥

ثم جاءت تَحْدُ ^(٣) الأرض ، تجز عروقها مغيرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فقالت : السلام عليك يا رسول الله ، قال الأعرابي : مرها فترجع إلى
منبتها فأستوت ، فقال الأعرابي : إيدن لى أعبجك لك ، قال : « لو أمرت أحدا

(١) السعرة (فتح السين وضم الميم) : شجرة عظيمة ذات شوك من الطلع ، وأشار إليها لقربها منه .

(٢) تحد الأرض : تشقها .

٢٠

(٣) مغيرة : مسرعة فى مشيها من أغار ، ويروى : مغيرة بياء مشددة مكسورة ، اسم فاعل ؛ يقال :

غير أنار الغبار .

أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها « قال : فأذن لي أقبل يديك ورجليك ، فأذن له .

ومن ذلك ما روى في الصحيح من حديث جابر بن عبد الله قال : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيئاً يستتر به ، فإذا بشجرتين بشاطئ الوادى ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بنصف من غصانها فقال : « أتقادي على - بإذن الله » فأتقادت معه كالبعير الخشوش الذى يصانع قائده . وذكر أنه فعل بالآخرى مثل ذلك ، حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال : « التئما على - بإذن الله » فالتأمتا . وفي رواية أخرى ؛ فقال : « يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحق بصاحبك حتى أجلس خلفكما » ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبها ، فجلس خلفهما ، فخرجت أحضر ، وجلست أحدثت نفسى ، فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل والشجرتان قد آفرتنا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفه فقال برأسه - هكذا - يمينا وشمالا .

وروى أسامة بن زيد نحوه ، قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه : « هل » ؟ يعنى مكانا لحاجة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت :

(١) الخشوش : الذى وضع فى أفقه خشاش بكسر المعجمة عود لينقاد بسهولة .
 (٢) المنصف : أى حل فى وسط المكان . (٣) أحضر : أسرع فى العدو .
 (٤) مقبل خير رسول رفى به « مقبلا » بالنصب على الخالصة من مقدر ، أى جاء مقبلا ، وبالجملة خير المبتدأ . (٥) قال هنا بمعنى أشار ، وأشار الراوى برأسه ، كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشجرتين يمينا وشمالا . (٦) هل : استفهام حذف المستفهم عنه للعلم به أو استهجان ذكره . والمعنى هل ترى مكانا لائقا بقضاء الحاجة (شرح الشفا للشهاب ٣ : ٥٢ طبع الآستانة) .

- إن الوادى ما فيه موضع بالناس^(١)، فقال: «هل ترى من نخل أو حجارة؟» قلت: أرى نخلات متقاربات، فقال: «أنطلق وقل لمن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك» فقلت ذلك لمن، فوالذى بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن، والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركما خلفهن، فلما قضى حاجته قال لى: «قل لمن يفتقرن» فوالذى نفسى بيده لرأيتن والحجارة يفتقرن حتى عدن إلى مواضعهن. وعن ابن مسعود مثله فى غزاة حنين. وعن يعلى بن مرة - وهو ابن سيابة^(٢) - وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أن طاحه - أو سمرة - جاءت فأطافت به، ثم رجعت إلى منبها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها استأذنت أن تسلم على». وفى حديث ابن مسعود: أذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالحن ليلة استمعوا له شجرة. وذكر أبو بكر بن فورك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار فى غزوة الطائف ليلا وهو وسن^(٣)، فأعرضته سدرة فأفرجت له نصفين، حتى جاز بينهما، وبقيت على ساقين إلى وقتنا هذا، وهى هناك معروفة. وقد روى فى مثل ذلك أحاديث كثيرة.
- ومن ذلك قصة حنين الجذع، والخبر بذلك مشهور منتشر خذجه أهل الصحيح، ورواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم، قال جابر بن عبد الله: كان المسجد مستقوفا على جذوع نخل، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم على جذع منها، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار، وفى رواية أنس:

(١) بالناس: أى بسبب الناس.

(٢) سيابة أمه.

(٣) أذنت (بالمد): بمعنى أعلت، وفاعله شجرة الآتى.

(٤) الوسن: النعاس.

(٥) العشار، بكسر المهملة: النوق الخوامل التى بلغت عشرة أشهر حملها، جمع عشار، بضم المهملة.

حتى أرتج المسجد بخواره ^(١) . وفي رواية سهل بن سعد : وكثر بكاء الناس لما رأوا به . وفي رواية المطالب بن أبي وداعة : حتى تصدع وأنشق ، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت . وزاد غيره : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن هذا بكى لما فقد من الذكر » . وزاد غيره : « والذي نفسى بيده لو لم ألتزمه ^(٢) لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزننا على رسول الله » صلى الله عليه وسلم ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر . وفي حديث أبي بن كعب : فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه ، فلما ديم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد رفاتا . وذكر الإسفراخي : أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه بغناه يخرق الأرض فالتزمه ، ثم أمره فعاد إلى مكانه . وفي حديث بريدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه ، تنبت لك عُروك ، ويكتمل خلقك ويحد لك حوص وثمره ، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك » ، ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال : بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه . فسمعه من يلبه ^(٤) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قد فعلت — ثم قال — أخنار دار البقاء على دار الفناء » .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم نطق الجمادات

كتسبيح الطعام في جوفه ، وتسبيح الحصى في كفه وكف من صبه في كفه من أصحابه ، وسلام الجبال والأشجار والأشجار عليه ، وسجودها له ، وغير ذلك مما يلتحق به على ما نشرحه إن شاء الله تعالى .

(١) في شرح المواهب : بلخواره ، وهو بمعنى الأول ؛ أي صياحه . (٢) هو أبو يعلى في مسنده ، والذي في شرح المواهب عنه : « والذي نفس محمد بيده » . (٣) ألتزمه : أعنتقه وأضنه . (٤) أي فسمع الجذع من نبي النبي صلى الله عليه وسلم وهو القريب منه .

- فمن ذلك ما روينا به بإسناد متصل عن البخارى بسنده، عن علقمة^(١) [عن] عبد الله قال : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ، وفي غير هذه الرواية عن عبد الله ابن مسعود قال : كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ، ونحن نسمع تسبيحه . وقال أنس بن مالك : أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفاً من حصي فسبّحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ، ثم صهبن في يد أبي بكر فسبّحن ، ثم في أيدينا فما سبّحن . وروى أبو ذر مثله ، وذكر أنهم سبّحن في كف عمر وعثمان . وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على » قيل : إنه الحجر الأسود . وعن عائشة ١٠ أم المؤمنين رضى الله عنها ، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله » . وعن جابر بن عبد الله قال : لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له . وفي حديث العباس بن عبد المطلب إذ أشتم^(٢) عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنه بملاءته فأمنت^(٣) الأسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين . وعن جعفر ١٥ ابن محمد عن أبيه قال : مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب ، فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبّح . وعن أنس رضى الله عنه قال : صعد

١١٨
١٦

(١) في الأصول « ابن » والتصويب من الشفاء ، وعبد الله هو ابن مسعود .

(٢) أشتم عليه : أى ضمه ، والضمير للعباس رضى الله تعالى عنه .

(٣) كذا في الأصول ، والحديث في الشفاء : « وفي حديث العباس إذ أشتم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وبنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملاءته فأمنت ... الخ » والأسكفة : عتبة الباب التي يوطأ عليها .

النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان ^(١) أحداً فرجف بهم فقال: «آبئت أحدٌ،
فإنما عليك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان» ، ومثله عن أبي هريرة في حراء ، وزاد فيه : ومعه
عليٌّ وطلحة والزبير ، وقال : «إنما عليك نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيد» ^(٢) ، والخبر في حراء
أيضاً عن عثمان قال : ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم ، وزاد عبد الرحمن وسعدا ،
قال : ونسيت الاثنين . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم حين طلبته قريش قال
له ^(٣) تبير : أهبط يا رسول الله ، فإنى أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله ،
فقال حراء : إلى يارسول الله . وقد تقدم ذكر خبر الأصنام ، وسقوطها عند ما أشار
إليها بالقضيب ، حين فتح الله تعالى مكة عليه ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً
أبداً دائماً .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم

كلام الحيوانات وسكونها وثباتها إذا رآته ؛ كقصة الداجن ، وكلام الضب ^(٤)
والذئب ، والطائر والظبية ، وسجود الغنم والبعير ، وخبر سفينة مولاة مع الأسد ،
وخبر العنز ، وغير ذلك مما نوره إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك ما رويناه بسند متصل عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان عندنا داجنٌ ،
فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قفز وثبت مكانه ، فلم يجرى ولم يذهب ،
فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب .

ومنه ما روى عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
في مخيل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد صَباً فقال : من هذا؟ قالوا : نبيٌّ

(١) حراء : جبل بمكة كان يتحنث صلى الله عليه وسلم في غار فيه .

(٢) أو هنا بمعنى الواو للتقسيم . (٣) تبير : جبل على يمين الذهاب من منى إلى مكة .

(٤) الداجن : الحيوان الذي يألف البيوت ، من دجن بمعنى أقام كالطير والشاة .

الله ، فقال : وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا آمَنَت بِكَ أَوْ يُؤْمِنُ هَذَا الضَّبُّ . وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يَا ضَبُّ » فأجابه بلسان مبین يسمعه القوم جميعا : آيَبُكَ وَسَعَدَيْكَ يَا زَيْنَ مِنْ وَآفَى الْقِيَامَةِ ، قال : « من تعبد » ؟ قال : الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبيله ، وفى الجنة رحمته ، وفى النار عقابه ، قال : « فمن أنا » ؟ قال : رسول رب العالمين ، وخاتم النبیین ؛ وقد أفلح من صدقك ، وخاب من كذبك . فأسلم الأعرابي .

ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري قال : بينما راع يرعى غنما له ، عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعى منه ، فأقعى الذئب وقال للراعى : أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ ، حُلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقِي ! قال الراعى : العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس ، فقال الذئب : أَلَا أَخْبَرُكَ بِأَعْجَبٍ مِنْ ذَلِكَ ؛ رسول الله بين الحوْثَيْنِ يَحْدِثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ، فَأَتَى الرَّاعِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قُمْ فَخَدِّثْهُمْ » ؛ ثم قال : « صَدَقَ » . ورؤى حديث الذئب عن أبي هريرة . وفى بعض الطرق عنه قال الذئب : أنت أعجب ! واقفا على غنمك ، وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا ، قد فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ، وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير فى جنود الله ، قال الراعى : من لى بغنى؟ قال الذئب : أنا أُرْعَاهَا حَتَّى تَرْجِعَ ، فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى ، وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « عد إلى غنمك تجدها بوقرها » فوجدها كذلك ، وذبح للذئب شاة منها .

(١) بنصب يؤمن ، أى إلا أن يؤمن . (٢) فى نسخة من الشفا للقاضى عياض : « من سبق » .
(٣) وفرها : بنامها وكأطالم ينقص منها شئ ؛ من قولهم : أرض وفرة لم يرع نباتها .

وروى أن أهبان بن أوس هو صاحب القصة ومكلم الذئب . وروى أيضا
أن صاحب القصة سلمة بن عمرو بن الأكوخ ، وأنها سبب إسلامه . وحكى
أبو عمر بن عبد البر في ترجمة رافع بن عميرة الطائي أنه كلمه الذئب ، وهو في ضآن
له يرعاها ، فدعاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحق به . قال : وزعموا أن
رافع بن عميرة قال في كلام الذئب إياه .

رَعَيْتُ الضَّانَ أَحْمِيهَا بِكَأَيِّ * من الصَّبِيعِ الحَنِيفِيِّ وَكُلِّ ذَيْبٍ ^(١)

فَلَمَّا أَنْ سَمِعْتُ الذَّئْبَ نَادَى * يَبْشُرُنِي بِأَحْمَدَ مِنْ قَرِيبِ

سَعَيْتُ إِلَيْهِ قَدْ تَمَرَّتْ تَوْبِي * عَلَى السَّاقِيَيْنِ قَاصِدَةَ التَّرْكِيبِ

فَأَلْفَيْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ قَوْلًا * صَدُوقًا لَيْسَ بِالْقَوْلِ الكَذُوبِ

يَبْشُرُنِي بِسَيِّدِ الْخَسَقِ حَتَّى * تَبَيَّنَتْ الشَّرِيعَةُ لِلْمُنِيبِ ^(٢)

وَأَبْصَرْتُ الضِّيَاءَ يُضِيءُ حَوْلِي * أَمَا مَيَّ إِنْ سَعَيْتُ وَمِنْ جَنُوبِي

في أبيات أخر .

وروى ابن وهب : أن مثل هذه القصة وقع لأبي سفيان بن حرب ، وصفه وأن
ابن أمية مع ذئب وجداه قد أخذ ظبيا ، فدخل الظبي الحرم فأنصرف الذئب
فعلجا من ذلك ، فقال الذئب : أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم
إلى الجنة وتدعونه إلى النار . فقال أبو سفيان : واللآلئ والعزرى لئن ذكرت هذا
بمكة لتتركنا ^(٣) خلُوفًا . وقد روى أيضا مثل هذا الخبر ، وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه .

(١) الحنيفي ، وفي نسخة أ : « الحنفي » والحنفي بالحاء المهملة : المبالغ في الطلب .

(٢) المنيب : الراجع إلى الله .

(٣) الخلوف (بضم المعجمة واللام) : هو مصدر أو جمع خالف ؛ والمراد تركها خالية من أهلها

بأن يسلموا جميعا ويرتحلوا إليه صلى الله عليه وسلم . (الشفاء) . وصارة الأصل : « لتتركها » ،
والضمير لمكة .

وعن عباس بن مرداس السلمى أنه لما تعجب من كلام صميه ضمّار ، وإنشاده الشعر الذى ذكرناه ، فإذا طائر سقط ، فقال : يا عباس ، أتعجب من كلام ضمّار ، ولا تعجب من نفسك؟ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام ، وأنت جالس !

- ٥ وعن أنس رضى الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ورجلٌ من الأنصار حائطٌ أنصارى^(١) ، وفي الحائط غنم ، فسجدت له فقال أبو بكر : نحن أحقُّ بالسيود لك منها ... الحديث . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا بغاء بغير فسجد له ، وذكرك مثله . ومثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، ويعلى بن مرة ، وعبد الله بن جعفر قال : وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شدّ عليه الجمل ، فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه ، فوضع مشفره فى الأرض وبرك بين يديه فخطمه ، وقال : « ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أنى رسول الله إلا عاصى الجن والإنس » . وفى حديث آخر : أن النبي صلى الله عليه وسلم سألم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه . وفى رواية : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : « إنه أشكى كثرة العمل وقلة العلف » . وفى رواية : « إنه شكّا إلى أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعلمتموه فى شاق العمل من صغره » فقالوا : نعم . وقد روى فى قصة العصباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعريفها له بنفسها ، ومبادرة العشب إليها فى التزعى ، وتجنّب الوحوش عنها ، وندائهم لها أنك لمحمد ، وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت . ذكره الإسفرائنى . وروى ابن وهب : أن حمام مكة أظلت

٢٠

(١) حائط : المراد به هنا البستان .

(٢) قال : أى كل منهم ، أو عبد الله بن جعفر .

النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها، فدعا لها بالبركة . وقد ذكرنا قصة الغار
وخبر الحمامتين والعنكبوت .

وعن عبد الله بن قرط قال : قُرِبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدَنَاتٍ
خمسة أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد، فأزْدَلَقْنِ^(١) إليه بِأَيْتِمٍ يَبْدَأُ . وعن أمِّ سَلَمَةَ
قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية : يا رسول الله، قال :
« ما حاجتك » ؟ قالت : صَادَنِي هَذَا الْأَعْرَابِيُّ وَلِي خِشْقَانٌ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ ،
فَأَطْلَقْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَرْضِعَهُمَا وَأَرْجِعَ ، قال : « وتفعلين » ؟ : قالت : نعم ،
فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها ، فأنتبه الأعرابي . فقال : يا رسول الله ، ألك
حاجة ؟ قال : « تُطَلِّقُ هَذِهِ الظَّبْيَةَ » فأطلقها ، فخرجت تعدو في الصحراء وتقول :
أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله .

ومنه ما روى من تسخير الأسد لسفينة

مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذ وجهه إلى معاذ باليمن ، فلقى الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه كتابه ، فهمهم وتحتى عن الطريق ، وذكر في منصرفه مثل ذلك .
وفي رواية أخرى عنه : أن سفينة تكسرت به ، فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد ، قال
فقلت : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني
على الطريق . وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بأذن شاة لقوم من عبد القيس
بين إصبعيه ثم خلاها ، فصار لها ميسماً ، وبقى ذلك الأثر فيها وفي نسلها . وقد
روى عن إبراهيم بن حماد بسنده كلام الحمار الذي أصابه بخبير ، وقال له :

١٢٠
١٦

(١) أزْدَلَقْنِ : تفر بن منه .

[ما آسَمَكُ قَالَ] : أَسْمَى يَزِيدُ بْنُ شِهَابٍ ، فَسَمَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْقُورًا ^(١) وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعونهم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ، تَرَدَّى فِي بئرِ جَزَعًا وَحُرْنَا فَمَاتَ . وخبر الناقاة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه . وخبر العيز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره ، وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة ، فخلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى الجُند ، ثم قال لرافع : « املكها وما أراك » ^(٢) فربطها فوجدتها قد أنطلقت . رواه ابن قانع وغيره ، وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها » . وقال عليه السلام لفرسه ، وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره : « لا تَبْرُحْ بَارِكُ اللَّهُ فِيكَ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِنَا » ^(٣) وجعله قِبَلْتَهُ فَمَا حَرَكَ عَضْوًا حتى فرغ من صلاته صلى الله عليه وسلم .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما روى من كلام الأموات والأطفال وشهادتهم له بالنبوة .

فمن ذلك ما روى عن فهد بن عطية ^(٤) : أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي قد شب لم يتكلم قط ، فقال له : « من أنا » ؟ فقال : رسول الله . وعن معرض بن معيقب قال : رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجايب ،

(١) الزيادة من الشفا للقاضي عياض .

(٢) املكها : أى آخذها ملكاً لأنها وجدت بأرض العدر ، ويحتمل أن يكون معناه : شدها وأوثقها من مالك الأمر ، أو من ملك العجين ونحوه . وما أراك : أى لا أظنك تملكها أو تحفظها .

(٣) جعله قبلته : أى جعله في جهة قبلته ، مانعاً وساتراً لمن يمر بين يديه صلى الله عليه وسلم .

(٤) فهد (بفاء وهاء ودال) : قال في شرح المواهب : ليس في الصحابة من يسمى بذلك .

وفي البيهقي : شمر بن عطية الأسيدي من تابع التابعين .

بصبي يوم وُلد ، فذكر مثله ، وهو حديث مبارك اليمامة ، ويعرف بحديث شاصونه أسم راويه ، وفيه ؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « صدقت بارك الله فيك » ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب ، فكان يسمى مبارك اليمامة ، وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع .

و عن الحسن رضى الله عنه : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرَح بُيَّة له في وادى كذا ، فأنطلق معه إلى الوادى وناداه بأسمها « يا فلانة أحيى بإذن الله » فخرجت وهى تقول : لبيك وسعديك ، فقال لها : « إن أبوك قد أسلمنا فإن أحببت أن أردك عليهما » قالت : لا حاجة لى فيهما ، وجدت الله خيرا لى منهما .

و عن أنس رضى الله عنه أن شابا من الأنصار توفى وله أم عجوز عمياء قال : فسجيناها وعزيناها فقالت : مات أبى ؟ قلنا : نعم ، قالت : اللهم إن كنت تعلم أنى هاجرت إليك وإلى نيك رجاء أن تعيننى على كل شدة ، فلا تُحمِلنَّ على هذه المصيبة ، قال : فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعمنا .
و روى عن عبد الله بن عبيد الله الأنصارى قال : كنت فيمن دفن ثابت بن قيس ابن شماس — وكان قتل باليمامة — فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول : محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الشهيد ، وعثمان البر الرحيم ، فنظرنا فإذا هو ميت . و ذكر عن النعمان بن بشير : أن زيد بن خارجة نحر ميتا فى بعض أزقة

(١) فى الأصول « شاصويه » والتصويب عن الشفا ٣ : ١٠٥

(٢) أى لا تكلفنى حملها ؛ كقوله تعالى : « لا تحملنا مالا طاعة لنا به » ؛ لأن التكليف كالحمل الثقيل .

(٣) أى ذوالبر والإحسان .

(٤) الذى فى أسد الغابة : « أنه أغشى عليه قبل موته ففلنوه ميتا فسدجوا عليه ثوبه ، ثم راجعه

نفسه بكلام حفظه فى أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ثم مات » .

المدينة ، فرفع وسبَّح إذ سمعوه بين العشاء والنساء يصرخن حوله يقول : أنصتوا .
 أنصتوا ، خُسر عن وجهه ، فقال : محمد رسول الله ، النبي الأُمِّي ، وخاتم النبيين ،
 كان ذلك في الكتاب الأول ، ثم قال : صدق صدق ، وذكر أبا بكر وعمر وعثمان
 ثم قال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، ثم عاد ميتا . ومن ذلك
 قصة الذراع وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أرفعوا أيديكم فإنها
 أخبرتني أنها مسمومة . وقد تقدّم خبر الذراع . والله مُنْجِي المتقين ووليهم .
 ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم إبراء المرضى وذوى العاهات ، كردَّ عَيْن
 قَتَادَةَ ، وكشف بصر الضرير ، وتَفَلَّهُ صلى الله عليه وسلم على جراحات فبرأت ،
 وغير ذلك مما نشرحه إن شاء الله تعالى .

١٠ أما عَيْن قَتَادَةَ بن النعمان فقد روينا بإسناد متصل عن سعد بن أبي وقاص :
 أن قَتَادَةَ بن النعمان أُصِيبَتْ عينه يوم أحد حتى وقعت على وجتسه ، فردّها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عَيْنِهِ . وذكر الأعمى عن أبي معشر
 المدني قال : أوفد أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، بديوان المدينة إلى عمر بن عبد العزيز
 رجلا من ولد قَتَادَةَ بن النعمان ، فلما قدم عليه قال له : ممن الرجل ؟ قال :
 أنا ابن الذي سألت على انخَدَّ عَيْنِهِ * فَرُدَّتْ بِكَفِّ المصطفى أحسن الردِّ^(١)
 فَعَادَتْ كما كانت لِأَوَّلِ أمرِها * فَيَا حَسَنَ مَا عَيْنِ وَيَا حَسَنَ مَا رَدِّ^(٢)
 فقال عمر بن عبد العزيز :

تلك المكارم لا قعبان من لَبِيبِ * شَيْبَا يَمَاءِ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا^(٣)

٢٠ (١) يروي أبونا الذي ... الخ . (٢) يروي : وياحسن ماخذ ، ورواية الأصل
 هي رواية الأعمى وليس فيها إبطاء وهو تكرار الغافية ، لاختلافهما تعريفا وتشكيكا .
 (٣) البيت لأمية بن أبي الصلت ، وتمثل به عمر بن عبد العزيز ، وقعبان تنقيّة قعب : القدح الضخم ،
 أو الصغير الذي يروي الرجل ، شيئا : خلطا .

حكاه ابن عبد البر . وروى النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال : يا رسول الله ، أَدع الله أن يكشف لي عن بصرى . قال : « فَأَنْطَلِقْ فتوضاً ثم صلّ ركعتين ، ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصرى اللهم شفعه في » قال : فرجع وقد كشف الله عن بصره .

وروى أن ابن مَلَاعِبِ الأَسْتَةِ أصابه آستسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ، ثم أعطاها رسوله ، فأخذها متعجبا — يرى أنه قد هزىء به — فأناه بها وهو على شفا فشرها فشفاه الله . وذكر العُقَيْلِيَّ — عن حبيب بن فُدَيْكٍ — ويقال فُوَيْكٍ — أن أباه أبيضت عيناه ، فكان لا يبصر بهما شيئا ، فنفت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر ، فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين .

وأنته امرأة من خنتم معها صبي به بلاء لا يتكلم ، فأثى بماء فضمص فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسّه به ، فبرأ الغلام ، وعقل عقلا ، يقضل عقول الناس . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاءت امرأة بآبن لها به جنون ، فسهج رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره فتع ثعّة فخرج

(١) أى قال النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) وروى : « بنيك » .

(٣) ابن مَلَاعِبِ الأَسْتَةِ ، كذا في الأصول والشفا ؛ والذي في الإصابة ابن أخ مَلَاعِبِ الأَسْتَةِ وأن الذي أرسله إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عكة غسل ، وكان به وجع بطن ، فسقاه فبرأ ، وهذا هو المشهور في القصة . ومَلَاعِبِ الأَسْتَةِ هو أبو البراء عامر بن مالك الكلابي ، والصحيح أنه لم يسلم .

(٤) قوله : « فشرها » يدل على أن المرسل إليه هو مشروب كما في الإصابة وأسد الغابة .

(٥) ويقال : « فريك » بالراء .

(٦) البلاء : عدم القدرة على الكلام أو الذهول وعدم العقل للكلام .

(٧) نع : فاء ، والنعمة المرة الواحدة ، والجرؤ الكلب الصغير ، وفي المصباح : والصغير من كل شيء .

من جوفه مثل الجرو الأسود فُسْفِي . وكانت في كَفِّ شُرْحَيْيل الجعْفى سِلْعَة ، تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة ، فشكاها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فما زال يطحنها بكفِّه حتى رفعها ولم يبق لها أثر . وسألته جارية طعاما وهو يأكل ، فناولها من بين يديه ، وكانت قليلة الحياء ، فقالت : إنما أريد من الذى فى فيك ، فناولها ما فى فيه ، ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه ، فلما استقر فى جوفها ألقى عليها من الحياء ما لم تكن أمراة بالمدينة أشد حياء منها .

وأما الجراحات التى تَقَلَّ عليها فبرأت فكثير

منها أنه صلى الله عليه وسلم بصق على أثر سهم فى وجهه أبى قتادة ، فى يوم ذى قرد ، قال : فما ضرب على ، ولا قاح .^(١) ومنها أن كَثُوم بن الحَصِين رُمى يوم أحد فى نحره ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ ، وتَقَلَّ على شجرة عبد الله ابن أنيس فلم يَمُدَّ .^(٢) وتَقَلَّ فى رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت ، وعلى ساق على بن الحَكَم يوم الخندق ، إذ أنكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه . وقطع أبو جهل يد معوذ بن عَفْرَاء فى يوم بدر ، بقاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصمقها فلصقت . رواه ابن وهب ، ومن روايته : أن خُبَيْب بن يَسَاف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مآل شقُّه ، فردّه رسول الله صلى الله عليه

(١) ذو قرد : موضع قرب المدينة أثاروا فيه على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ففزاها .

(٢) ما ضرب : أى ما ألمنى الجرح ، ولا قاح : أى ولا تقيح .

(٣) لم يمد : أى لم تصب بمدة وفتح .

(٤) عفراء : أمه ، وهو معوذ بن الحارث بن رفاعه .

(٥) خبيب : قال فى أسد الغابة ؛ إنما هو بالمعجمة ورضيها ، ويروى : حبيب بن إساف .

وسلم ، ونفث عليه حتى صح . ونفث على ضربة بساق سامة بن الأكوخ يوم خيبر فبرئت . ونفث في عيني علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا . وأشتكى علي مرة بفعل يدعو ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم أشفه أو عافه^(١) » ثم ضربه برجله فما أشتكى ذلك الوجد بعد ذلك .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم إجابة دعائه

١٢٢
١٦

وهذا فصل متسع جدا ، نذكر منه ما أشتهر وأنتشر ، وتواترت به الأخبار وتداولته الرواة ، ونقله أصحاب السير ، ولا شك ولا خلاف بين أحد من الأمة في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ؛ وقد روى عن حذيفة أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده . روى عن أنس بن مالك قال : قالت أمي يا رسول الله ، خادمك أنس أدع الله له ؛ قال : « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته » قال أنس : فوالله إن مالي لكبير ، وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة ، وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ، ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي ، لا أقول سقطا ولا ولد ولي . ودعا صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة ، قال عبد الرحمن : فلورفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهباً ، ولما مات حفر الذهب من ترابته بالفؤس حتى جمعت فيه^(٢) الأيدي ، وأخذت كل زوجة ثمانين ألفاً ، وكنن أربعا ، وقيل : مائة ألف ، وقيل : بل صولحت إحداهن — لأنه طلقها في مرضه — على نيف وثمانين ألفاً ، وأوصى بخمسين ألفاً بعد صدقاته الفاشية في حياته . ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة . ولسعد بن أبي وقاص أن

(١) أوعافه : شك من الراوي .

(٢) المجل : تغير يكون في اليد من كثرة العمل .

- يحيب الله دعوته ، فما دعا على أحد إلا أستجيب له . ودعا أن يعز الله الإسلام
بعمرو أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر رضى الله عنه ؛ قال ابن مسعود : ما زلنا
أعزّة منذ أسلم عمر . وقال لأبي قتادة : « أفلح وجهك ، اللهم بارك له في شعره
وَبَشْرِهِ ^(١) » فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة . وقال للنابغة :
« لا يَفْضُضُ اللهُ فَالِكَ ^(٢) » قال : فما سقطت له سِنَّ ، وكان ، أحسن الناس نغرا ،
إذا سقطت له سِنَّ نبتت له أخرى ، وعاش عشرين ومائة سنة ، وقيل : أكثر .
ودعا لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : « اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل »
فسمى بعدُ الحبر وترجمان القرآن . ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صَفْقَةٍ يمينه ؛
فما اشترى شيئا إلا ربح فيه . ودعا للمقداد بالبركة ؛ فكان عنده غرائر من المال .
ودعا كذلك لعروة بن أبي الجعد ، قال : فلقد كنت أقوم بالكّاسة ^(٣) فما أرجع حتى
أربح أربعين ألفا . ودعا لعلى أن يُكفَى الحز والقتر ، فكان يلبس في الشتاء ثياب
الصيف ، وفي الصيف ثياب الشتاء ، ولا يصيبه حر ولا برد . ودعا على مُضَر
فأحيطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا . وتقدم خبره في دعائه في الاستسقاء
والاستمضاء . ودعا على كِسْرَى أن يُمَزَّقَ ملكه فلم يبق له باقية ، ولم تعد لفارس
مملكة . وقال لرجل رآه يا كل بشماله : « كُلْ يمينك » قال : لا أستطيع ، فقال :
« لا أستطعت ^(٤) » فلم يرفعها إلى فيه بعد . وقال في عُنْبَةَ بن أبي لُهب : « اللهم سلّط

(١) البشر : ظاهر الجلد واليد ، والمراد الدعاء له بأن يبقى معمرا على أحسن تقويم ، كاملا جميع

أعضائه . (٢) لا يفضض : لا يسقط الله أسنانك ، من فضه إذا كسره .

(٣) النغر : الفم . (٤) الترجمان : الذى ينقل الكلام من لغة إلى لغة ، فتفسير ابن

عباس لكلام الله نقل لمعانيه إلى فهم الناس . (٥) أى فى بيعه وشرايه ، وخص اليمين لأن

الأخذ والعطاء بها . (٦) الكّاسة : سوق مشهورة بالكوفة . (٧) الاستمضاء :

بروز الأرض للشمس ، وظهورها بعدم النبات فيها . (٨) إنما دعا صلى الله عليه وسلم عليه

لأنه كان معتتا إذ كان مستطيعا الأكل بيمينه ، ولم يرفعها لأنها شلت ، وهذا كذلك الذى خطب أبنته

منه فقال له : إنها برصاء ولم يكن بها برص فلما ذهب إليها وجدها قد برصت .

عليه كلبا من كلابك» فأكله الأسد كما تقدم . ودعا على مُحَمَّد بن جَنَامَة ، فمات
لَسْبَع فلفظته الأرض ثم وُورِي فلفظته ، فألقوه في صُدَيْن ورضموا عليه بالمجارة ،
والصُدَيْن جانب الوادي . ودعواته صلى الله عليه وسلم كثيرة عليه أفضل
الصلاة والسلام .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انقلاب الأعيان

فيا اسمه أو باشره ؛ كسيف عكاشة بن محصن ، وعبد الله بن جحش ، وغير
ذلك ، وكان من خبر عكاشة أن سيفه أنكسر يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم جذل حطيب^(٢) ، وقال : « أضرب به » فعاد في يده سيفاً صارماً طويلاً
أبيض شديد المتن ، فقاتل به ، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد
في قتال أهل الردة ، وكان هذا السيف يسمى العون . ودفع لعبد الله بن جحش
— وقد ذهب سيفه يوم أحد — عسيب نخل فرجع في يده سيفاً . ومن ذلك^(٣)
أنه صلى الله عليه وسلم مر على ماء فسأل عنه ، فقيل له اسمه بيسان وماءه ملح ،
فقال : « بل هو نَعْمَان وماءه طيب » فكان كذلك . ومنه أنه صلى الله عليه
وسلم أعطى قتادة بن النعمان — وكان قد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة —
عرجونا ، وقال : « أنطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك عشراً ، ومن خلفك
عشراً^(٥) ، فإذا دخلت بيتك فسترى سواداً فأضربه به حتى يخرج فإنه الشيطان »

(١) الرضم : وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء .

(٢) الجذل : عود غليظ أو أصل من أصول الشجرة ، والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه

عرجونا فعاد في يده سيفاً .

(٣) العسيب : جريدة النخل لاخوص عليها . وفي رواية : كان عرجون نخلة .

(٤) هو الذي مر به النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة ذي قرد .

(٥) أي مقدار عشر أذرع .

فانطلق فأضاء له العُرجون ، ووجد السواد فضربه حتى نخرج . ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم زود أصحابه سقاء من ماء بعد أن أوكأه ودعا فيه ، فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فخلوه فإذا به لبن طيب وفي فيه زبدة . رواه حماد بن سلمة .

ومما يلتحق بهذا الفصل

- ٥ أنه صلى الله عليه وسلم ركب فرسا لأبي طلحة ، كان يقطف^(١) أو به قطاف ، فلما رجع قال : وجدنا فرسك بحرا ، فكان بعد لا يجارى . ونخس^(٢) حمل جابر بن عبد الله ، وكان قد أعبأ فنشيط حتى كان ما يملك زمامه ، وقد تقدم خبره . وحقق فرس جعيل الأثبجي بحمقه^(٣) معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا ، وباع من بطنها بأثنى عشر ألفا . وركب صلى الله عليه وسلم حمارا قظوفا لسعد بن عباد فرده هملجا لا يساير^(٤) .
- ١٠ ومن ذلك بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه كقصبة سلمان في كتابته ، وما غرس له صلى الله عليه وسلم من الودى^(٥) فأطعمت كلها من عامها ، والذهب الذي أعطاه ، وقد تقدم ذكر ذلك في إسلام سلمان . ومنه أنه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس عُمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين سنة وما شاب . وكذلك السائب بن يزيد ، ومدلوك^(٦) ، وكان يوجد لعُتَبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره . ومسح على

(١) يقطف : يعلق في السير .

(٢) النخس : الطعن في جنبه أو نحوه بعود أو ما يشبهه .

(٣) الخفق : الضرب ، والخفقة ، الدرّة ، وقيل إنها عصا ، وبرك عليه : دعا له بالبركة .

(٤) الهملجة : حسن سير الدابة في مرعة .

(٥) الودى : صغار النخل واحدها ودية ، وأطعمت : أثمرت .

٢٠

(٦) مدلوك : هو أبو سفيان القرظي ، قال : قدمت على رسول الله مع موالى فسح على رأسي ودعا

لي بالبركة ، فكان موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود وساثر شعره أبيض . (أسد الغابة) .

رأس قيس بن زيد الجُدَامِيّ، ودعاه له فهلك وهو ابن مائة سنة، ورأسه أبيض،
وموضع كَفِّ النبي صلى الله عليه وسلم وما مَرَّتْ يَدُهُ عليه من شعره أسود، فكان
يُدْعَى الْأَعْتَرُ . وروى مثل ذلك لعمر بن نُعْلَبَةَ الْجُهَيْنِيّ . ومسح وجه آخر فما زال
على وجهه نور . ومسح وجه قَتَادَةَ بنِ مِلْحَانَ ، فكان لوجهه بريقٌ ، حتى كان
ينظر فيه كما ينظر في المرأة . ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نَضْحَةً من ماء ،
فما تعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها . ومسح على رأس صبي به عاهة
فبرأ وأستوى شعره ، وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرءوا . وأتاه
رجل به أُدْرَةٌ فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْضَحَهَا بِمَاءٍ مِنْ عَيْنِ مِحْجٍ فِيهَا ففعل فبرأ . وعن طاوس :
لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به مَسٌّ فَصَكَ في صدره إلا ذهب . والمس :
الجنون . وَحِجٌّ فِي دَلْوٍ مِنْ بَثْرٍ مُمْسَبٍ فِيهَا ففاح منها ريح المسك . وشكا إليه
أبو هريرة النسيان فأمره أن يسطر ثوبه ، وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل
فما نسى شيئا بعد . ومن ذلك دُرُورُ الشياهِ الحَوَائِلِ بِاللَّبَنِ الكَثِيرِ ؛ كَقِصَّةِ شَاةِ
أُمِّ مَعْبُدٍ ، وَأَعْتَرُ مَعَاوِيَةَ بنِ ثَوْرٍ ، وَشَاةِ أَنَسٍ ، وَغَمِّ حَلِيمَةَ ، وَشَارِفِهَا ، وَشَاةِ
عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ ، وَشَاةِ الْمُقَدَّادِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما أخبر به من الغيوب ، وما يكون قبل
وقوعه ، فكان كما أخبر به صلى الله عليه وسلم ؛ روى عن حذيفة قال : قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ، فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام
الساعة إلا حَدَّثَهُ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهِ مَنْ نَسِيَهِ ، قد علمه أصحابي هؤلاء ،
(٥)

- (١) الأدرّة : انتفاخ في الخصىين معروف . (٢) مِحْجٍ فِيهَا : تفل ريقه فيها .
(٣) الحوائِل (جمع حائل) : وهي التي لم تحمل مطلقا . (٤) شارِفِهَا : الشارف الناقّة المسنة .
(٥) إلا حدثه : أي إلا حدثنا به ، وفي نسخة من الشفا : « إلا حدث به » .

وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه، ثم قال حذيفة : ما أدري أنسى أصحابي أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا ، يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه وأسم أبيه وقبيلته . وقال أبو ذر : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه عالما .^(١)

ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم مما يكون فكان ، ما أخرج أهل الصحيح والأئمة ، مما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من الظهور على أعدائه ، وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق ، وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله ، وأن المدينة مستغزى ، وتفتح خيبر على يدي علي في غده يومه ، وما يفتح الله على أمته من الدنيا ، وما يؤتون من زهرتها ، وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر ، وما يحدث بينهم من الفتون والأختلاف والأهواء ، وسلوك سبيل من قبلهم وأفتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة ، وأنه ستكون لهم أمشاط^(٢) ، ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى ، وتوضع بين يديه صحيفة وترفع أخرى ، ويسترون بيوتهم كما تُستر الكعبة ، ثم قال آخر الحديث : « وأتم اليوم خير منكم يومئذ » وأنهم إذا مشوا المطيطاء^(٣) ، وخدمتهم بنات^(٤)

١٢٤
١٦

(١) أى تذكرنا من طيرانه علما يتعلق به ، فكيف بغيره مما يهمننا في الأرض .

(٢) تظعن : تسافر . (٣) يشير إلى وقعة الحرة ، أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ .

(٤) زهرة الدنيا : حسنها وبهجتها وكثرة خيرها .

(٥) الفتون . الافتتان . وفي نسخة أ : « الفتن » .

(٦) أمشاط جمع نمط : وهو ضرب من البسط له نخل رقيق .

(٧) الصحيفة : القصعة ، أى تعدد أصناف ما كلهم .

(٨) المطيطاء : مشية المتبختر ومد اليدى .

فارس والروم ، ردّ الله بأسهم بينهم ، وسلّط شرارهم على خيارهم ، وما أخبر به
 صلى الله عليه وسلم من قتلهم التُّرك والحَزْر والرُّوم ، وذهاب كِسْرَى وفارس ،
 حتى لا كسرى ولا فارس بعده ، وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده ، وأن الروم
 ذات قرون إلى آخر الدهر ، وأخبر بذهاب الأُممِثْل فالأمثْل من الناس ، وتَقَارُب
 الزمان ، وقَبْضُ العلم ، وظهور الفِتنِ والمُهرَج ، وقوله صلى الله عليه وسلم :
 « زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ فَأُرِيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيَبْلُغُ مَلِكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا »
 فكان كذلك ؛ أمتدت في المشارق والمغرب ، ما بين أرض الهند أقصى
 المشرق إلى بحر طَنْجَة^(٢) حيث لا عمارة وراءه ، ولم تمتد في الجنوب والشمال
 مثل ذلك . وقوله صلى الله عليه وسلم : « ويل للعرب من شرّ قد أقرب » .
 وقوله : « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » ذهب
 ابن المديني إلى أنهم العرب ؛ لأنهم المختصون بالسُّقِّ بالغرب وهو الدلو ، وقيل :
 بل هم أهل المغرب ، ومن رواية أبي أمّامة : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين
 على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتهم أمر الله وهم كذلك » قيل : يا رسول الله
 وأين هم ؟ قال : « بيت المقدس » . وأخبر صلى الله عليه وسلم بملك بني أمية ،
 وولاية معاوية ، ووصاه ، وأتخاذ بني أمية مال الله دولا^(٣) .

وأخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود ، وملكهم أضعاف ما ملكوا ،
 وأخبر بقتل عليّ رضي الله عنه ، وأن أشقاها الذي يُخْضِب هذه من هذه ؛ أي
 لحيته من رأسه . وقال : يُقتل عثمان وهو يقرأ المصحف ، وأن الله عسى أن

(١) زويت : جمعت ؛ أي جمعت لى أطراف الأرض فأراني الله مشارقها ومغاربها ، يروى :

« فرأيت » . (٢) طنجة : الميناء المشهور بالمغرب على المحيط .

(٣) دولا (جمع دولة) : وهو ما يتداول من المال ، فيكون لقوم دون قوم .

- يلبسه قيصا، وأنهم يريدون خلعه، وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ (١). وأن الفتن لا تظهر مادام عمر حيا، وأخبر بحاربة الزبير لعل، ونُبأح كلاب الحوَّاب (٢) على بعض أزواجه، وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة، وتنجو بعد ما كادت، وأن عمَّارا تقتله الفئة الباغية، وقال لعبد الله بن الزبير: «ويل للناس منك، وويل لك من الناس» (٣) وقال في قُزَّمان وقد أبلى بلاء حسنا مع المسلمين: «إنه من أهل النار» فقتل نفسه. وقال صلى الله عليه وسلم: «يكون في تقيف كذاب ومبير» (٤) فكان الكذاب المختار بن أبي عبيد، والمبير الجحاج بن يوسف. وأخبر بالردة، وأن الخلافة بعده ثلاثون، ثم ملكا، وقال: «إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة، ثم يكون رحمة وخلافة، ثم يكون ملكا عضوضا، ثم يكون عتوا وجبروتة وفسادا في الأئمة» (٥) فكان كل ذلك كما أخبر. وأخبر أن سيكون في أمته ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة، وفي حديث آخر: «ثلاثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله». وقال صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن يكثر فيكم العميم يا كلون فيثكم، ويضربون رقابكم» (٦) فكان كذلك. وقال: «لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من حطَّان» (٧). وقال: «هالك أمتي على يدي أغليمية من قريش» قال أبو هريرة راوى الحديث: لو شئت سميتهم لكم،

(١) آية ١٣٧ سورة البقرة. (٢) الحوَّاب: ماء في طريق البصرة نجت كلابها أم المؤمنين

عائشة رضی الله عنها حين ذهبت إلى البصرة في وقعة الجمل. (٣) قزمان: هو ابن الحارث العبي

المنافق. (٤) كان كذابا لأنه ادعى النبوة بالكوفة، ومبير: مهلك يسرف في القتل بغير حق.

(٥) عضوضا: أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه عضا، وفي رواية: «ثم يكون

ملوك عضوض»: جمع عض بالكسر وهو الخبيث الشرس. (النهاية لابن الأثير).

(٦) في الشفا: «أفياكم» بصيغة الجمع، واحده في: «والفي»: الغنيمة.

(٧) أي من عرب اليمن، وحطَّان أبو اليمن.

بنو فلان وبنو فلان . وأخبر بظهور القدرية والرافضة ، وسب آخر هذه الأمة
أولها . وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم ، والمخدج^(١) الذي فيهم ، وأن سيماهم^(٢) التحليق .
وقال : « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون
ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون » . وقال : « لا يأتي
زمان إلا والذي بعده شر منه » . وأخبر صلى الله عليه وسلم بالموتان^(٣) الذي يكون بعد
فتح المقدس . وما وعد من سكنى البصرة ، وأن أمته يغزون في البحر كالمملك على
الأسرة ؛ فكان في زمن يزيد بن معاوية . وقال : « إن الدين لو كان منوطا
بالثريا لنالته رجال من أبناء فارس » . وقال صلى الله عليه وسلم في الحسن بن علي
رضي الله عنهما : « إن آبي هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين » . وأخبر بقتل
الحسين بالطف^(٤) ، وأخرج بسده تربة ، وقال : فيها مضجعه . وقال في زيد بن
صوحان : يسبقه عضو منه إلى الجنة ، فمقطعت يده في الجهاد . وقال لسراقه :
« كيف بك إذا لبست سوارى كسرى » فلما أتى بهما لعمر ألبسهما إياه ، وقال :
الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقه . وقال : « تبنى مدينة بين دجلة
ودجيل وقطربل والصرارة تجبي إليها خزائن الأرض يُحسَف بها » . فبنيت بغداد .
وقال : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل طائفتان دعواهما واحدة » . وقال لعمر
في سهيل بن عمرو : « عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر » فقام بمكة مقام أبي بكر
يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخطب بنحو خطبته ، وثبت الناس

(١) المخدج : الناص الخلق . (٢) سيماهم : علامتهم ، والتحليق قيل : حلق الزروس ،
وقيل غير ذلك . (٣) الموتان : الموت الكبير ، وكان ذلك في خلافة عمر بقرية عمواس من
قرى بيت المقدس ، نزل بها عسكره ، وهو أول طاعون وقع في الإسلام سنة ١٦ هـ

(٤) منوطا : معلقا ، والحديث المشهور في هذا « لو تعلق الدين بالثريا » ويروى « لو تعلق العلم » .

(٥) الطف : موضع قرب الكوفة . (٦) قطربل : قرية بالعراق . والصرارة : نهر بالعراق أيضا .

- وقوى بصائرهم ، وقال لخالد حين وجهه إلى أكيدر : « إنك مجده يصيد البقر » فكان كذلك . وقد تقدم خبره . وأخبر صلى الله عليه وسلم بوقائع نحن نترقب وقوعها ؛ كقوله : « عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية » . وأخبر بغير ذلك من الأمور التي وقعت في حياته في أماكن بعيدة ، وأخبر بها حال وقوعها كموت النجاشي ، وقتل أمراء مؤمنه ، وغير ذلك صلى الله عليه وسلم .

ومن معجزاته عصمة الله تعالى له من الناس

وكفايته إياه مع كثرة أعدائه وتحزبهم واجتماعهم على أذاه

- قال الله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(١) . وقال تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ^(٢) . وقال : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ ^(٣) . وقال : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَمِزِينَ . الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴾ ^(٤) . وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْتُوكَ أَوْ يَقتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ^(٥) . روى عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية : ﴿ وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فأنحرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة ، فقال لهم : « يا أيها الناس أنصرفوا فقد عصمني الله ربي عز وجل » . وقيل : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قرينها ، فلما نزلت هذه الآية استلقى ، ثم قال : « من شاء فليخذلني » . وقد تقدم من عصمة الله له وكفايته فصنا دُعُورٍ وُعُورَتٍ ، وخبر

(١) آية ٦٧ سورة المائدة .

(٢) آية ٤٨ سورة الطور .

(٣) آية ٣٦ سورة الزمر .

(٤) آية ٩٥ — ٩٦ سورة الحجر .

(٥) آية ٣٠ سورة الأنفال .

حمالة الخطب ، وأخذ الله تعالى على بصرها حين أرادته بالفهر ، وخبر أبي جهل حين أرادته بالحجر ، وغير ذلك .

وها نحن نورد في هذا الموضع من ذلك خلاف ما قدمناه ؛ فمن ذلك ما روى عن الحكم بن العاص أنه قال : تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهاة أحد ، فوقعنا مغشيا علينا ، فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ، ثم تواعدنا ليلة أخرى ، فخرجنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : تواعدنا أنا وأبوجهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئنا منزله فسمعنا له ، فأفتح وقال : ((الحاققة ما الحاققة)) إلى : ((فهل ترى لهم من باقية)) فضرب أبوجهم على عضد عمر وقال : أئبج ، وفزا هارين ، فكانت من مقدمات إسلام عمر . ومن ذلك خروج صلي الله عليه وسلم على قريش حين اجتمعوا لقتله ، فأخذ الله على أبصارهم حتى ذرا التراب على رؤسهم وخلص منهم . وقصة الغار ، وأخذ الله على أبصارهم ، وخبر سراقبة بن مالك بن جعشم ، وقد تقدم ذكر ذلك . وفي خبر آخر أن راعيا عرف خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر حين هاجرا ، فخرج يشئتد^(٥) ليعلم قريشا بشأنهما ، فلما دخل مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع ، وأنسى ما خرج له حتى رجع إلى موضعه . وذكر السمرقندي : أن رجلا من بني المفيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله ، فطمس الله بصره فلم

١٢٦
١٦

(١) الفهر : الحجر قدر ما يملأ الكف . (٢) في شرح الشفا للشهاب : « ليلة منصوب على الظرفية منون ، وتتل منصوب على أنه مفعول له أو بزعم الخافض ؛ أي على قتله أو لقتله ، أو بمقدر أي وأخبرنا قتله » . (٣) آية ١ - ٨ سورة الحاققة . (٤) ذرا : نثر . (٥) يشئتد : يسرع في مشيه .

ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله ، فرجع إلى أصحابه ولم يره حتى نادوه ، وذكروا فيه وفي أبي جهل نزلت : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فِيهِمْ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ . وَجَعَلْنَا مِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(١) .

وقد روى عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد قريشا : لن رأى محمداً - صلى الله

عليه وسلم - يُصَلِّي لِيَطَّانَ رَقَبَتَهُ ، فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل ،

فلما قرب منه وثى هاربا ناكصا على عقبيه متقبيا بيديه ، فسئل فقال : لما دنوت

منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوى فيه ، وأبصرت هولا عظيما ، وخفق

أجنحة قد ملأت الأرض . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك الملائكة لو دنا

لاخطفته عضوا عضوا » ثم أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ كَلَّا إِنَّ

الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْمَئِنُّ ﴾^(٢) إلى آخر السورة . وقد ذكرنا أيضا قصة شيبه بن عثمان بن أبي طلحة

في غزوة حنين . وعن فضالة بن عمرو قال : أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم

عام الفتح وهو يطوف بالبيت ، فلما دنوت منه قال : « أفضالة ؟ » قلت : نعم ،

قال : « ما كنت تُحدث به نفسك ؟ » قلت : لا شيء ، فضحك وأستغفر لي ووضع

يده على صدرى فسكن قلبي ، فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب إلى منه .

ومنه خبر عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس ، وقد تقدم ذكر قصتهما .^(٣)

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما جمعه الله تعالى له من المعارف

والعلوم ، وخصه به من الأطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ، ومعرفة

بأمور الشرائع وغير ذلك ، كاطلاعه صلى الله عليه وسلم على أخبار من

سلف من الأمم ، وقصص الأنبياء والرسل ، وأخبار الجبابرة والقرون

٢٦ (١) آية ٨ ، ٩ سورة يس . (٢) آية ٦ سورة العلق .

(٣) راجع ص ٥١ من هذا الجزء .

الماضية ، وحفظ شرائعهم ، وسرد أنبأهم ، وأيام الله فيهم ، ومعارضة كل فرقة من أهل الكتاب بما في كتبهم ، وإعلامهم بأسرارها ومخبات علومها ، وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيره ، وأحتوائه صلى الله عليه وسلم على لغات العرب وغريب ألفاظها ، والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ، ومعاني أشعارها ، وما خصه الله تعالى به من جوامع الكلم ، وما علمه من ضروب العلوم وفنون المعارف ، كالطب والعبارة والفرائض والحساب والأنساب وغير ذلك ، مما جعل أهل هذه العلوم كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وحجة وأصولا يرجعون إليها في علومهم ، كقوله عليه السلام : « الرؤيا لأقول عابر وهي على رجل طائر » وقوله : « الرؤيا ثلاث ؛ رؤيا حق ، ورؤيا يتحدث بها الرجل نفسه ، ورؤيا تخزين من الشيطان » . وقوله : « إذا تقارب الزمان لم تكدر رؤيا المؤمن تكذب » . وقوله : « أصل كل داء البردة »^(٢) وقوله : « المعدة حوض البدن ، والعروق إليها واردة » وقوله : « خير ما تدواؤيم به السعوط ، والدود ، والمجمامة ، والمشي »^(٣) ، وخير الجمامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين ، وفي العود الهندى سبعة أشفية » وقوله : « ما ملاء ابن آدم وعاء شرا من بطنه » . وقوله لكتابه : « ضع القلم على أذنك فإنه أذكرك للملئ » . وقد وردت آثار بمعرفة حروف

(١) العبارة : تعبير الرؤيا . (٢) البردة : النخمة ونقل الطعام على المعدة ، سميت بذلك لأنها تبرد المعدة فلا تستمرى الطعام . (٣) السعوط بالفتح : ما يجعل من الدواء في الأنف . (٤) الدود بالفتح : ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم ، ولديدا الفم جانباه . (٥) المشي : الدواء المجهل سمى بذلك لأنه يحمل شاره على المشي والتردد إلى الخلاء . (٦) العود الهندى : قيل هو القسط البحرى ، وقيل هو العود الذى يتخرجه ، قال فى النهاية : القسط عقار (بالند) : معروف فى الأدرية طيب الريح ، والمديث يروى : « عليكم بهذا العود الهندى فإنه فيه سبعة أشفية » الحديث .

- الخطّ ، وحسن تصويرها ؛ كقوله : « لا تمدّوا بسم الله الرحمن الرحيم » رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس ، وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه - صلى الله عليه وسلم - فقال له : « ألقى الدواة ، وحرف القلم ، وأقم الباء ، وفرّق السين ، ولا تُعور الميم ، وحسّن الله ، ومدّ الرحمن ، وجوّد الرحيم » وإن لم تصح الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب ، فلا يبعد أن يكون قد رزق علم الخطّ ، ومُنِع الكتابة والقراءة . وكذلك حفظه صلى الله عليه وسلم لكثير من لغات الأمم ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : « سنّة سنّه » وهي حسنة بالحيشية ، وقوله : و « يكثر الهرج » وهو القتل بها ، وقوله في حديث أبي هريرة : « أشكّنب دردم » أى وجع البطن بالفارسية ، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا من دارس العلوم ، ومارس الكتب ، وداوم المطالعة ، وعكف على الاشتغال . وكان صلى الله عليه
- ٥ علم الخطّ ، ومُنِع الكتابة والقراءة . وكذلك حفظه صلى الله عليه وسلم لكثير من لغات الأمم ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : « سنّة سنّه » وهي حسنة بالحيشية ، وقوله : و « يكثر الهرج » وهو القتل بها ، وقوله في حديث أبي هريرة : « أشكّنب دردم » أى وجع البطن بالفارسية ، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا من دارس العلوم ، ومارس الكتب ، وداوم المطالعة ، وعكف على الاشتغال . وكان صلى الله عليه
- ١٠ وسلم بخلاف ذلك لا يقرأ ولا يكتب ؛ كما أخبر الله تعالى عنه بقوله عز وجل : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ يَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ »^(٥) وفي هذا أكبر آية ، وأعظم دلالة ، وأبين حجة ، وأبهر معجزة له صلى الله عليه وسلم .

١٢٧
١٦

وقد رأينا ان نختم هذه الفصول بذكر

- ١٥ القصيدة التي آبتسمت نُغورها بوصف معجزاته ، وتخلّت نُحورها بجواهر صفاته ، ورفقت في حُلّ الفخار من باهر آياته ، وسجبت ذبُول الافتخار بإشارات إلى غزواته ، وفاح أَرَجُها فأحجّل المسك الدارى ، وأشرقت أنوارها على النيرين
- (١) ألقى الدرّة : اجعل لها ليقة وهي صوفة تجعل في الدرّة لتلزيق بالمداد .
(٢) لا تُعور الميم : لا تطمسها . (٣) الرواية كما في النهاية : ألبس أم خالد الخبيصة ، بفعل يقول : « يا أم خالد ستاسنا » ، ثم قال : وتخفف نونها وتشدد .
(٤) أشكّنب : يزداد فيها هاء فيقال : أشكّنبه . (٥) آية ٤٨ : سورة العنكبوت .
(٦) الدارى : نسبة إلى دارين ، فرضة بالبحرين ينسب إليها المسك .
- ٢٠

فما ظنك بالدراري^(١)، وهي قصيدة الشيخ الإمام العلامة أبي محمد عبد الله بن زكريا الشقراطيسي^(١) رحمه الله تعالى، وإنما أفنصرنا عليها وصرفنا الرغبة دون غيرها إليها لأشتملها على جمل من أخباره السنية، ونكت من آثاره التي هي بكل خير ملية، وهي:

- ٥ الحمد لله منّا باعث الرسل * هدى بأحمد منّا أحمد السبل^(٢)
 خير البرية من بدو ومن حضير * وأكرم الخلق من حافٍ ومتعل^(٣)
 توراة موسى أتت عنه فصدها * إنجيل عيسى بحق غير مقتعل^(٤)
 أخبار أجبارة أهل الكتب قدوردت * عما رأوا ورووا في الأعصر الأول^(٥)
 ضاعت لمولده الآفاق وأنصلت * بشرى الهوائيف في الإشراق والطفل^(٦)
 وصرح كسرى تداعى من قواعده * وأنقاض منكسر الأرجاء ذا ميل^(٧)
 وثار فارس لم توقد وما نحمدت * مذ أليف عام ونهر القوم لم يسيل
 خزت لمبعثه الأوثان وأنبعثت * ثواقب الشهب ترمى الحن بالشعل^(٧)
 ومنطق الذئب بالتصديق معجزة * مع الذراع ونطق العير والجمل
 وفي دعائك بالأشجار حين أتت * تسعى بأمرك في أغصانها الدليل
 وقلت عودي فعادت في منابتها * تلك العروق بإذن الله لم تميل ١٥

(١) الشقراطيسي : نسبة إلى شقراطيسية من بلاد الجريد بتونس . (شرح القصيدة لأبي شامة) .

(٢) منا بكسر الميم : جار ومجرور متعلق بباعث ، ومنا : تفضلا وإحسانا ، أحمد السبل : الإسلام .

(٣) يريد بالحافى والمتعل جميع الخلق .

(٤) في نسخة (١) « بقول غير .متعل » .

(٥) الطفل : العشى . (٦) أنقاض : أنهار ، ويروى : « أنقاض » بالصاد المهملة . الأرجاء :

النواحي ، ميل بفتح الياء : ما كان في أصل الحلقة كميل العنق ، وبالسكون : ما كان في الحادث .

(٧) العير : الحمار .

- (١) والسرّح بالشام لما جئتها سجّدت * ثمّ الذوائب في أغصانها الخضل
والجذع حنّ لأنّ فارقته أسفاً * حين تكلى شجتها لوعّة الشكّل^(٢)
ما صبر من صار من عين على أثر * وحال من حال من حال إلى عطيل^(٣)
حيّ فمات سكونا ثم مات لدنّ * حيّ حيننا فاضحى غاية المشل
والشاة لما مسحت الكف منك على * جهّد الهزال بأوصال لها خيل^(٤)
تحت ودرت بشكر الضرع حافلة * فروت الركب بعد النهل بالعلل^(٥)
وآية الغار إذ وقيت في حجب * عن كل رجس لرجس الكفر متحل^(٦)
وقال صاحبك الصديق كيف بنا * ونحن منهم بمرأى الناظر العجيل
فقلت لا تحزن إن الله ثالثنا * وكنت في حجب ستر منه مُسدل
حمت لديك حمام الوحش جائمة * كيدا لكل غوى القلب محتبل^(٧)
والعنكبوت أجادت حوك حلما * فما يُحال خلال النسيج من خئل
قالوا: وجاءت إليه سرحة سترت * وجه النبيّ بأغصان لها هدل^(٨)

(١) السرح : الشجر العظيم ، ثم الذوائب : مرتفعات الأغصان التي في أطرافها ، الخضل
بالضاد المنجمة : الناعمة ، ويروي بالصاد : أي تحصل الشعر في النفاة واسترسالها .

(٢) الكلى : التي فقدت ولدها ، شجتها : أحزنتها ، لوعّة : حرقّة ، الشكّل : الحزن .

(٣) معنى هذا البيت : كيف يصبر الجذع بعد أن انتقل من مشادة رسول الله إلى عدمها فصار
بالحين في حال موة ، بعد أن كان موته بالسكون في حال حياته وهذا عجيب . (٤) خئل : يابس .

(٥) تحت : صبت صباً متتابعاً ، ودرت ، هكذا في الأصول ، والذي في الشرح لأبي شامة : تحت
بدرة شكرى الضرع ، وقال : المعنى ؛ بدرة شاة شكرى الضرع أي منثلة الضرع . حافلة : ترك حلها حتى
ابتلا الضرع ، النهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثاني .

(٦) متحل : معتقد ؛ أي معتقد لرجس الكفر .

(٧) حمت : قدرت وأحضرت . وجائمة : ملازمة للكان لازقة به بغثوم الطير كبروك الإبل ،

والكيد : الخداع ، ومحتبل : مخئل العقل . (٨) هدل : متدلية .

- (١) وفي سُرَاقَةِ آيَاتٍ مُبَيَّنَةٍ * إذْ سَاخَتْ الْجَحْرُ فِي وَحْلٍ بِلَا وَحْلٍ
 (٢) عَرَجَتْ تَحْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقِ إِلَى * مَقَامِ زُنْفَرٍ كَرِيمٍ قَمَتْ فِيهِ عِلٌّ
 (٣) عَنِ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى هَبَطَتْ وَلَمْ * تَسْتَكِلِ اللَّيْلَ بَيْنَ الْمَرِّ وَالْقَفْلِ
 (٤) دَعَوَتْ لِلخَلْقِ عَامَ المَحَلِّ مَبْتَهَلًا * أَيْدِيكَ بِالخَلْقِ مِنْ دَاجٍ وَمَبْتَهَلٍ
 (٥) صَعَدَتْ كَفِّكَ إِذْ كَفَّ الغَمَامُ فَمَا * صَوَّبَتْ إِلَّا بِصَوْبِ الوَاكِفِ الهَطْلِ
 (٦) أَرَاقَ بِالأَرْضِ نَجْمًا صَوَّبُ رَيْقِهِ * فحَلَّ بِالأَرْضِ نَسْجًا رَائِقَ الحَلِّ
 (٧) زُهرًا مِنَ النُّورِ حَلَّتْ رَوْضَ أَرْضِهِمْ * زَهْرًا مِنَ النُّورِ ضَافِي النَّدِيِّ مُكْتَمِلٍ
 (٨) مِنْ كُلِّ غُصْنٍ نَضِيرٍ مُورِقٍ خَضِيرٍ * وَكُلِّ نَوْرٍ نَضِيدٍ مُوَسِّقٍ خَضِيلِ
 (٩) تَحِيَّةَ أَحْيَاءِ الأَحْيَاءِ مِنْ مُضِيرٍ * بَعْدَ المَضْرَةِ تَرَوِي السَّبِيلَ بِالسَّبِيلِ
 دَامَتْ عَلَى الأَرْضِ سَبْعًا غَيْرَ مُقْلَعَةٍ * لَوْلَا دَعَاؤُكَ بِالإِقْلَاعِ لَمْ تَزَلْ

١٢٨
١٦

- (١) سراقه : هوا بن مالك كان دليل المشركين في اقتصاص أثر رسول الله حين هاجر، ثم أسلم بعد حين، ساخت : دخلت وغابت قوائمها، الجحر : أنقى الخليل، جرد من التاء لأنه من الأوصاف الخاصة، الوحل : الطين الرقيق . (٢) الطباق : السموات، لأنها متطابقة، أو بعضها فوق بعض، زلفى كقربى وزنا ومعنى، وعل : من العلوتت ثان لمقام . (٣) قاب : قدر، أو أدنى : أقرب، المر : الذهاب، القفل : الرجوع . (٤) المحل : القحط، المبتهل : المتضرع . (٥) صعدت بالتشديد : رفعت، كف : امتنع، أو بضم الكاف : منع، والصوب : النازل، الواكف : القاطر، والهطل : المنسكب . (٦) النسيج : الاندناق، الرقيق من كل شيء أفضله، حل : نزل، وفي الأصول : حل بالأرض ولعله بالروض كما يستفاد من شرح أبي شامة، نسجا : ناسجا، رائق : معجب، الحل جمع حلة : يريد النبات المختلف الألوان . (٧) زهر : بيض مضيئة جمع أزهر، من النور : أى الضوء، والزهر الثانى : زهر النبات، رحلت : من التحلية . (٨) نضير : ناعم حسن، والنضيد : المتراكب، المونق : المعجب، خضيل : الندى المبزل، أو الخضل : الناعم . (٩) السبل الأول : الطرق، والسبل الثانية : المطر .

- (١) وَيَوْمَ زُورِكَ بِالزُّورِ إِذْ صَدَرُوا * مِنْ يَمِينِ كَفِّكَ عَنْ أَنْجُوبَةٍ مِثْلِ
 (٢) وَالْمَاءِ يَنْبَعُ جَوْدًا مِنْ أَنْامِلِهَا * وَسَطِ الْإِنَاءِ بِلَانْهَرٍ وَلَا وَشَلٍ
 (٣) حَتَّى تَوْضَأَ مِنْهُ الْقَوْمُ وَأَغْتَرَفُوا * وَهُمْ ثَلَاثَ مِثْمِينَ جَمْعُ مُحْتَفِلٍ
 (٤) أَشْبَعَتْ بِالصَّاعِ أَلْفَا مَرْمِيَيْنِ كَمَا * رَوَيْتَ أَلْفَاوَنِصْفَ الْأَلْفِ مِنْ سَمَلٍ
 (٥) وَعَادَ مَا شَبِعَ الْأَلْفُ الْجِيَاعُ بِهِ * كَمَا بَدَأُوا فِيهِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَحُلْ
 (٦) أَعْجَزَتْ بِالْوَحْيِ أَصْحَابُ الْبَلَاغَةِ فِي * عَصْرِ الْبَيَانِ فَضَلَّتْ أَوْجُهُ الْحَيْلِ
 (٧) سَأَلْتَهُمْ سُورَةَ فِي مِثْلِ حِكْمَتِهِ * فَتَلَّهُمْ عَنْهُ حِينَ الْعَجْزِ حِينَ تَلِي
 (٨) وَرَامَ رِجْسٌ كَذُوبٌ أَنْ يِعَارِضَهُ * بِبَيٍّ عَنِّي فَلَمْ يُحْسِنْ وَلَمْ يَطْلِ
 (٩) مُتَّبِعٌ بِرِيكِ الْإِفْكِ مَلْتَبِيسٍ * مُلْجَجٌ بِزُرَى الزُّورِ وَالْخَطَلِ
 (١٠) يَمِجُّ أَوَّلَ حَرْفٍ مِنْهُ سَامِعُهُ * وَيَعْتَرِيهِ كَلَالُ الْعَجْزِ وَالْمَلَلِ
 (١١) كَأَنَّهُ مِنْطِقُ الْوَرَهَاءِ شَذْبَهُ * لَيْسَ مِنَ الْخَبَلِ أَوْ مَسَّ مِنَ الْخَبَلِ
 (١٢) أَمَرَّتِ الْبِئْرُ وَأَغْوَزَتْ لِمَجَّتِهِ * فِيهَا وَأَعْمَى بِصِيرِ الْعَيْنِ بِالتَّنْفَلِ

- (١) الزور: الزائر؛ ويستعمل هذا اللفظ في الواحد وغيره بلفظ واحد، أى يوم جاءك الزائرون بالزوراء: موضع بالمدينة؛ وهو المكان الذى ينبع فيه الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فتوضأ بجميع أصحابه، وصدروا بعد الورد، واليمن: البركة. (٢) الضمير في أناملها ليد الشريفة، والوشل: القليل من الماء. (٣) السمل: القليل من الماء يبقى في أسفل الإناء. (٤) تلهم: صرعهم، والحسين بالفتح: الهلاك. (٥) الرجس: القدر، وهو مسيلة الكذاب، العى: العجز والانتقاع عند الكلام، وضد الفصاحة، والفى: الضلال، ويطل: من طال امتد، أو استظهر على القرآن، أو: يطل من أطال أى بطائل. (٦) متبجج: مضطرب فاسد، ملجج: متردد في الكلام غير مفصيح، الزرى: الحقيقير، والزور: الكذب، والخطل: المنطق الفاحش المضطرب. (٧) يميج: يطرحه ويلقيه. (٨) الورهاء: المرأة الخفقاء. تتكلم بما لا يفهم، شذبه: فرقه وقطعه، الخبل بسكون الباء: الفساد، والخبل بفتح الباء: الجنون. (٩) أمرت: صارت ذات مرارة بعد العذوبة، وغار ماؤها بمجته.

- وأيدس الضرع منه شؤم راحته * من بعد إرساله بالرسل منهجل^(١)
 برتت من دين قوم لا قوام لهم * عقولهم من وثاق النى في غلب^(٢)
 يستخبرون خفي الغيب من حجر * صليد ويرجون عوث النصير من هبل^(٣)
 نالوا أذى منك - لولا حلم خالقهم * وحجة الله بالإندار لم تسئل^(٤)
 وأستضعفوا أهل دين الله فأصطبروا * لكل معضل خطب فادج جادل^(٥)
 لاقى يلال بلأء من أمية قد * أحله الصبر فيه أكرم النزل^(٦)
 إذ أجهدوه بضنك الضنك وهو على * شدائد الأزل تبث الأزر لم يزل^(٧)
 ألقوه بطحا برضاء البطاح وقد * عالوا عليه صخورا جممة الثقل^(٨)
 فوحد الله إخلاصا وقد ظهرت * بظهيره كندوب الطل في الطلل^(٩)
 إن قد ظهر ولي الله من دبر * قد قد قلب عدو الله من قبل^(١٠)
 تفرت في نقر لم ترض أنفسهم * إذ نافروا الرجس إلا القدس من نفل^(١٠)

- (١) الشؤم : نقيض البين؛ والراحة : الكف . الرسل بالكسر : اللبن ، المنهل : الفائض .
 (٢) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه ، والغلب جمع غلة : خرفة يشد بها فم الإبريق ، وفي شرح
 أبي شامة ؛ في عقل جمع عقال : وهو الحبل الذي يعقل به البعير . (٣) هبل : أعظم
 أصنام قريش في الكعبة . (٤) في شرح أبي شامة : « وحجة الله بالإندار » .
 (٥) معضل : شديد ، فادج : يقال أمر فادج إذا أنقله وبهظه وبجزعه . الجلل : العظيم .
 (٦) أجهدوه : حملوه فوق طاقتهم من المذاب ، والضنك : الضيق ، وفي الشروح : بضنك الأمر
 وهو الصواب ، والأزل : الحبيب ، والتضييق ، والأزر : القوة ، والثبت : ثابت القلب . وفي الأصول
 « شدائد الأزر بيت الأزل » وهو خطأ ، والتصويب من شرح أبي شامة . (٧) بطحا : مبطوحا ،
 الرضاء : الأرض الشديدة الحرارة بالشمس ، والبطاح : الأودية ، عالوا : أعلوا ، جممة : كثيرة .
 (٨) الندوب : الآثار ، الطل : المطر الخفيف ، والطلل : ما شخض من آثار الديار على وجه الأرض .
 (٩) قد : قطع بالتمذيب . (١٠) نافروا الرجس : جانيوا الأوثان والشرك ، القدس :
 الجنة ، النفل : الغنينة .

- بأنفيسٍ بَدَلَتْ في الخُلْدِ إذ بَدَلَتْ * عن صِدْقٍ بَدَلٍ بَدْرٍ أكرمَ البَدَلِ
 قالوا : مجد قد حَلَّتْ ككائِبِهِ * كالأَسَدِ تَزَارُ في أنيابِها العُصَلِ^(١)
 فويل مَمَكَةٌ من آتَارٍ وَطَائِهِ * وويل أمَّ قَرَيْشٍ من جَوَى الهَبْلِ^(٢)
 فحُدَّتْ عَفْوًا يَفْضَلُ العَفْوِ مِنْكَ ولم * تَلْمِمْ ولا بِالسِّمِّ اللُّومَ والعَدْلِ
 أَضْرَبَتْ بِالصَّفْحِ صَفْحًا عن طَوَائِلِهِمْ * طَوَلَا أَطَالَ مَقِيلَ النُّومِ في المَقَلِ^(٣)
 رَحِمَتْ وإِشِجَ أَرْحَامَ أَيْحَ لها * تَحْتِ الوَشِيحِ تَشِيحَ الرُّوعِ وَالوَجَلِ^(٤)
 عَاذُوا بِظِلِّ كَرِيمِ العَفْوِ ذِي لَطْفٍ * مُبَارَكِ الوَجْهِ بِالتَّوْفِيقِ مُشْتَمِلِ^(٥)
 أَحَبُّ بِجَيْلٍ مِنَ التَّكْوِينِ قَدْ جُنِبَتْ * لِجَانِبٍ عَنِ جَنَابِ الحَقِّ مُعْتَمِلِ^(٦)
 أَعْمِيَتْ جَيْشًا يَكْفُفُ من حَصَى جَفَنُوا * وَعُطِّلُوا عَنِ حَرَكَ النُّقْلِ بِالنُّقْلِ^(٧)
 ودَعَاوَةٌ بِفِنَاءِ البَيْتِ صَادِقَةٌ * غَدَا أَمِيَّةٌ مِنْهَا شَرٌّ مُنْخَزِلِ^(٨)

١٢٩
١٦

- (١) الكئاب جمع كتيبة : طائفة من الجند، تزار : تصيح في غضب، العمل : الشديدة .
 (٢) الجوى : الحزن . الهبل : الشغل . (٣) الصفح : الإعراض ، صفحا : جانباً ،
 طوائهم جمع طائلة : العداوة ، طولاً : منا وتفضلاً ، المقليل : النوم في القائلة ، وهي وقت الهجارة ،
 المقل جمع مقله : الخدقة ، والمراد العين ، أى صفحك منحهم راحة النوم .
 (٤) وإشج أرحام : الرحم المشبكة ، أتيح : تها ، الوشيج : اشتباك القرابة ، النشيج : العصة
 بالبكاء في الحلق من غير انخباب ، الروع : الفرع ، الوجل : الخوف . (٥) عاذوا : التجنوا
 واعتصموا ، لطف : رفق ، مبارك الوجه : أى ثبت فيه الخير الإلهي ، وهو رسول الله عليه الصلاة والسلام .
 (٦) هكذا ترتيب الأبيات في الأصول ، وهذا البيت بعد قوله : يرض من العون ... في ترتيب
 أبي شامة إلى قوله : من كل مهتصر... وترتيب أبي شامة هو المناسب . من التكوين : تكوين الله لها ،
 جنبت : قيدت ، الجناب : الفناء ، المعنى : قيدت هذه الخليل لناحية أهل الكفر المعتزلين للحق .
 (٧) جثا : قعد على ركبتيه ، والنقل بالتحريك : الهجارة ، أى رماهم عليه السلام بخصى فزل عليهم
 هجارة عطلت حركتهم . (٨) فناء البيت : السعة التي أمامه ، والمسراد البيت الحرام ، المنخزل :
 انقطع ، أمية : هو أمية ابن خلف الحمصي .

- (١) غادرت جهل أبي جهل بمجهلة * وشاب شيبة قبل الموت من وجل
 (٢) وعتبة الشر لم يعتب فتعطفه * منك العواطف قبل القوت في مهل
 (٣) وعقبة الغمر عقباه ليشقوته * قد ظل من غمرات الغي في ظل
 (٤) وكل أشوس عاتى القلب منقلب * جعلته بقلب البئر كالجعل
 (٥) وجائم بمشار النقع مشتغل * بجاحم من أوار النار مشتعل
 (٦) عقدت بالخزى في عطفي مقلدهم * طوق الحمامة باق غير متقل
 (٧) أمسى خليل صغار بعد نخوته * بالأمس في خيلاء الخيل والحول
 (٨) دام يديم زفيراً في جوانحه * جنح من الشك لم يجنح ولم يميل
 (٩) يقاد في القد خنقا مشرباً حنقا * يمشى به الذعر مشى الشارب الثمل

(١) غادرت : تركت ، مجهلة : أمر حمله على الجهل .

(٢) في الشرح « قبل الحين » : وهو الهلاك ، ومهل : رفق .

(٣) الغمر : الجاهل الذي لم يجرب الأمور ، غمرات : شدائد ، الغي : الضلال ، ظلل : جمع ظلة .

(٤) الشوس : النظر بمؤثر العين في تكبر وغيظ وحقد ، أو رفع الرأس تكبرا ، العاتى : الذى بلغ

الغاية في القسوة ، المنقلب : المنصرف ، أى عن الحق ، القلب : البئر ، والإضافة للبيان ، الجعل كسر د :

دوية سوداء تكون في المواضع الندية . (٥) جائم : جالس على ركبته ، النقع : الغبار ،

الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال ، الأوار : اللهب ، وفي الشرح : « أوار النكل » .

(٦) الخزى : الذل والفضيحة ، عطقا الإنسان : جانباه من لدن رأسه إلى وركه . ومقدم :

الذى يقتدون به ، طوق الحمامة : ما استدار بعنقها ، أى طوقا كطوق الحمامة .

(٧) الخليل : الصديق ، الصغار : الذل والهوان ، النخوة : العظمة والتكبر ، الخيلاء : التكبر

والإعجاب ، الخول : الخدم والحشم . (٨) دام : داما أى جرى يسيل دمه ، يديم : من

الدوام ، والزفير : تنفس الصعداء ، والجوايح : الأضلاع ، والجنح : الظلعة ، لم يجنح : لم يمل .

(٩) القد : السير ، خنقا : مخنوقا ، مشربا : أدخل فيه حتى خالطه ، الحلق : الغيظ ، الذعر :

الفرع ، الثمل : السكران ، أى يتأيل في شبه خوفا .

أوصاله من صليل الغلّ في عليل * وقلبه من غليل الغلّ في غلّ^(١)
 يظلّ يحجل ساجي الطرف خافضه * بمسكة المجمل لا من مسكة المجمل^(٢)
 أرحت بالسيف ظهرا الأرض من نفر * أزحت بالصدق منهم كاذب العلل^(٣)
 تركت بالكفر صدعا غير ملتئم * وآب منك بقرح غير مندمل^(٤)
 وأفلت السيف منهم كل ذي أسف * على الحمام حماه أجل الأجل^(٥)
 قد أعتقته عناق الخيل وهو يرى * به إلى رق موت رقة الغزل^(٦)
 فكم بمكة من بالك وباصية * بفيض سجيل من الآماق منسجل^(٧)
 وكاسف الببال بالي الصبر جدت له * يوابل من وبال الخزي متصل^(٨)
 فؤاده من سعيير الغيظ في غلّ * وعينه من غزير الدمع في غلّ^(٩)

- ١٠ (١) أوصاله : أعضاؤه ومفاصله ، الغل : القيد ، العلل جمع غلة : المرض ، والغسل بالكسر : الحقد ، وظليه حرارته والتهابه . الغلل : جمع غلة وهي مثل الغليل .
- (٢) يحجل : يقفز في الجمل وهو القيد ، ساجي : ساكن ، الطرف : العين ، المسكة : الإمساك . المجمل : الجمال ، وهي قباب العروس تزين بالنور الواحد جملة ؛ يقول : إنما سجا طرفه من ذلة الأسر ، لا كما تسجو لحاظ النساء من لزوم الحجاب ، وإمساكهن في الجمال .
- ١٥ (٣) أزحت : أزلت وأذهبت ، العلل : الأعذار . (٤) بالكفر : في الكفر أو في أهله ، صدعا : شقا ، ملتئم : مجتمع ، آب : رجع ، والقرح : الجرح ، والاندمال : البرء .
- (٥) أفلت السيف حملهم السيف على الطوب ، الأسف : الحزن ، الحمام : الموت ، حماه : منعه ، الأجل : المتأخر ، الأجل : أمد العمر . (٦) أعتقته : أنجته ، عناق الخيل : جيا ددا ، الرق : العبودية ، والرقة : اللطافة ، والغزل : مداعبة النساء وبمازحتن .
- ٢٠ (٧) السجل : الدلو العظيمة المنسوجة ماء ، الآماق : أطراف الأعين التي يخرج منها الدمع ، منسجل : منسحب . (٨) كاسف الببال : متغير الحال سبها ، بلى الصبر : فنى ، الوابل : الشديد الانصباب ، وبال الخزي : مضرته وأذاه وثقله ، والخزي : الهلاك . وفي الجود تهكم ؛ كقوله تعالى : « فبشرهم بعذاب أليم » . (٩) الفؤاد : القلب ، السعيير : الاشتعال ، الغيظ : الغضب ، العلل بالضم جمع غلة : الحرارة في الصدر من الحزن أو العطش ، والغلل بالفتح : الماء بين الشجر ، والماء الذي ليس له جرى .
- ٢٥

- قد أسعرت منه صدرا غير مُصْطَبِرٍ * وَحَمَلَتْ مِنْهُ قَلْبًا غَيْرَ مُحْتَمِلٍ ^(١)
 ويوم مكة إذ أشرقت في أمم * يَضِيقُ عَنْهَا فِجَاجَ الوَعْرِ وَالسَّهْلِ ^(٢)
 خَوَافِقِ ضَاقَ ذَرْعُ الخَافِقِينَ بِهَا * فِي قَاتِمٍ مِنْ عِجَاجِ الخَيْلِ وَالإِبِلِ ^(٣)
 وَخَجَلٍ قَدَفُ الأَرْجَاءِ ذِي لَحَبٍ * عُرْمَرَمٍ كُرْهَاءِ اللَّيْلِ مُنْسَدِلٍ ^(٤)
 وَأَنْتِ - صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ - تَقْدُمُهُمْ * فِي هَوَا إِشْرَاقِ نُورٍ مِنْكَ مُكْتَمِلٍ ^(٥)
 يُنِيرُ فَوْقَ أَغْرَى الوَجْهِ مُتَجَبِّ * مَتَوَجِّعٍ بِعِزِّ النَّصْرِ مُقْتَبِلٍ ^(٦)
 تَسْمَعُو أَمَامَ جَنُودِ اللهِ مُرْتَدِيَا * ثَوْبَ الوَقَارِ لِأَمْرِ اللهِ مُمْتَثِلٍ ^(٧)
 خَشَعَتْ تَحْتَ لِيوَاءِ العَزَّيْحِينَ سَمْتٌ * بِكَ المَهَابَةُ فِعْلَ الخَاضِعِ الوَجِلِ ^(٨)
 وَقَد تَبَاشَرَ أَمْلَاقُ السَّمَاءِ بِمَا * مُلْكَتَ إِذْ نَلَّتْ مِنْهُ غَايَةَ الأَمَلِ ^(٩)
 وَالأَرْضُ تَرْجُفُ مِنْ زَهْوٍ وَمِنْ فَرَقٍ * وَالجَوْثُ يَزْهَرُ إِشْرَاقًا مِنَ الجَدَلِ ^(١٠)
 وَالخَيْلُ تَخَالُ مَيْلًا فِي أَعْيُنِهَا * وَالعَيْسُ تَنْتَالُ رَهْوًا مِنْ مَنَى الجَدَلِ ^(١١)

- (١) في رواية: أشعرت بالمعجمة. (٢) في الشرح: أشرفت، وفي الأصول: أشرفت، الفجاج: الطرق الواسعة بين الجبال، وفي الشرح الوعث، وهو المكان اللين تفوص فيه الأقدام، والسهل بفتح الهاء للضرورة. (٣) خوافق: أي ألوية وبنسود، بالكسر بدل من الأمم في البيت السابق، أو بالضم، وفي الأصول: حوافر، قال الشارح: تصحيف لأنه أراد المجانسة، والخافقان: أقطا المشرق والمغرب: أي ضاق وسعهما بها، القائم: المغبر الأسود. (٤) الخجل: الجوش العظيم، قذف: متباعد، الأرجاء: النواحي، اللب: اشتباك الأصوات، عرمرم: كثير، زهاء: قدر، في الشرح: «السهيل منسجل». (٥) اليسو: البناء المقدم أمام البيوت. (٦) الأغر: الأبيض المنير، المتجعب: المنخير. (٧) في الشرح: «بها، العز»: وهو حسه وجماله، سمت: علت. في نسخة: «الخائف الوجل». (٨) ترجف: تضطرب، الزهو: خفة الطرب، والفرق: الفزع، والجدل: الفرح والسرور. (٩) تخال: تخبثر، العيس: الإبل، تنال: تنصب من كل جهة، الزهو: ضرب من السير، الجدل جمع جدل: الزمام، في شرح أبي شامة: «زهوا» بدل «مبلا».

- لولا الذى حَطَّتِ الأَقلامُ من قَدْرِ * وسأيقى من قَضاءِ غيرِ ذى حَوْلِ
 أهَلَّ تَهْلانُ بالتَهليلِ من طَرَبِ * وذابَ يَذْبُلُ تكبيرا من الذَّبْلِ^(١)
 الملكَ لله هذا عِزُّ من عَقِدَتِ * له النبوةُ فوق العرشِ فى الأزلِ
 شَعَبَتِ صَدْعُ قَرِيشٍ بعدما قَدَفَتْ * بهم شَعوبُ شِعابِ السَّهْلِ والقُلْبِ^(٢)
 مِنْ كُلِّ مُهَيَّصِرٍ لله مُنْتَصِرٍ * بالسيفِ مُخَيَّصِرٍ بِالرُّمْحِ مَعْتَقِلِ^(٣)
 يَمْشِي إلى الموتِ عالى الكعْبِ مَعْتَقِلا * أظْمَى الكُعبِ كَمْشَى الكاعِبِ الفضلِ^(٤)
 قد قاتلوا دونك الأقبالِ عن جَلَدِ * وجالَدوا بِجِلاءِ البِيضِ والجَلَدِ^(٥)
 وصلتهم وقطعت الأقرين معا * فى الله لولاه لم تقطع ولم تصل
 وجاء جبريل فى جُنْدٍ لهم عُدَدِ * لم يتبذلها أكْفُ الخالقِ بالعملِ
 بِيضٌ من العَوْنِ لم تُسْتَلْ من عُمْدِ * خيلٌ من الكَوْنِ لم تُسْتَنَ فى طِيلِ^(٦)

(١) تهلان ويذبل جبلان، والذبل: الرماح الذوابل، فى الشرح: * وذاب يذبل تهليلًا ... *
 فالتهليل أولاً: لا إله إلا الله، وثانياً: الجبن والفسخ. (٢) شعبت: جمعت، وهو من
 الأضداد: الصدع: الشق، شعوب: من أسماء الموت، القل: أعالى الجبال.

(٣) هذا البيت والخمسة الأبيات التى بعده المناسب كما فى شرح أبى شامة أن تكون قبل قوله:

- ١٥ بأفص بدلت فى انفساد إذ بدلت * عن صدق بذل بيدرا أكرم البدل
 ومهتصر: أى كاسر للأفان، فى شرح أبى شامة: «بالبيض مختصر بالسر ممقتل» اختصر الشئ: مسكه يده كأنما يمس خصره، والسر: الرماح، المعتقل: الذى جعل رحمه بين ساقه وركابه.

(٤) عالى الكعب: وصف بالشرف والظفر، أظمى الكعوب: أسمى الرماح، أو الكعوب الظهأى
 والكاعب: الجارية الناهد، الفضل: المنفضلة فى ثوب واحد من قرقناع، والوجه أن الفضل
 هنا وصف لمشى الكاعب لا لها. (٥) الأقبال: الملوك، وفى رواية «الأفتال»: الأعداء،

- ٢٠ وعطيا الشرح، الجلد: الصبر، الجلاذ: المضاربة، وفى الشرح «جادلوا» خاصوا، بجلاء البيض:
 كذا فى الأصول، وفى الشرح بجلاذ البيض: أى جمعوا بين حجة اللسان، والمضاربة بالسيف:
 (٦) ببيض: سيف، من العون: من عون الله، الكون: قوله سبحانه: من فكت، لم تستن:
 لم ترح، فى طيل: فى حبل، سمى بذلك لأن الدابة تطول فيه وتمتد فى المرعى.

أزكى البرية أخلاقاً وأطهرها * وأكثر الناس صفحا عن ذوى الزلل
 زان الخشوع وقاراً منه في خفير * أرق من خفير العذراء في الكليل^(١)
 وطفت في البيت محبوباً وطاف به * من كان عنه قبيل الفتح في شغل
 والكفر في ظلمات الرجس مرتكس * ثاو بمنزلة البهوت من زحل^(٢)
 حجرت بالأمين أقطار الحجاز معاً * وملت بالخوف عن خيف وعن ملل^(٣)
 وحل آمن ويمن منك في يمن * لما أجابت إلى الإيمان في عجل
 وأصبح الدين قد حقت جوانبه * بعزة النصير وأستعلى على الملل^(٤)
 قد طاع منحرف منهم لمعترف * وأنقاد منعدل منهم لمعدل
 أحبب بخلة أهل الحق في الخليل * وعز دولته الغزاة في الدول
 أم اليمامة يوم منه مضطلم * وحل بالشام شؤم غير مرتجل^(٥)
 تعزقت منه أعراق العراق ولم * يترك من الترك عظاماً غير منتبل^(٦)

- (١) خفر : حياء ، الكلال جمع كلة : الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوق فيه من البعوض .
 (٢) الرجس : القدر ، وفي نسخة الشرح : « الخزي » ، الركن : قلب الشيء . على رأسه ورد أوله على
 آخره ، ثاو : مقيم ، البهوت : الحوت الذي يزعمون أنه يحمل النور الحامل للأرض ، وزحل : أعلى
 النجوم السيارة ، يريد أن الكفر في غاية السفلى .
 (٣) حجرت : منعت ، وملت : نحيبت وأذهبت ، والخييف : منى ، وخيف بنى كناية الذي نزل فيه
 النبي صلى الله عليه وسلم عام حجة ، وفي نسخة جـ « حيف » بدل « خوف » والخييف الجور والظلم ،
 والخوف أحسن ، وملل : موضع بين مكة والمدينة ، وتكبير الخيف مع علمه للضرورة .
 (٤) في الشرح : « واستولى على المال » .
 (٥) أم : قصد ، مضطلم : مستأصل بالهلاك ، يشير إلى القضاء على مسيلة الكذاب وقومه .
 والشؤم : نقيض الإيمان ، أى لازمها الشؤم حتى قضى على ممالكها ، وعمها الإسلام .
 (٦) تعزقت : أخذ ما عليها من اللحم ، الأعراق جمع عرق بالفتح : العظم ، وهذا مثل ، إشارة
 إلى استباحة الإسلام لكنوزها وممالكها ، مثلل : مستخرج ، من انتقلت البئر إذا استخرجت ترايبها .

- لم يسبق للفريسي ليث غير مقترين * ولا من الحبش جيش غير منجفل^(١)
 ولا من الصين صون غير مبتدل^(٢) * ولا من الروم مرمى غير منتضل^(٣)
 ولا من النوب جذم غير منجذم * ولا من الزنج جدل غير منجدل^(٤)
 ونيل بالسيف سيف النيل واتصلت * دعوى الجنود فكل بالجلاد صلي^(٥)
 وسل بالغرب غرب السيف إذ شرفت * بالشرق قبل صدور البيض والأسل^(٦)
 وعاد كل عدو عز جانبيه * قد عاذ منك ببذل منه مبتدل^(٧)
 بذمة الله والإيمان متوصل * أو من شبا النصل بالأموال متوصل^(٨)
 يا صفوة الله قد صافيت فيك صفا * صفو الوداد بلا شوب ولا دخل^(٩)
 ألت أكرم من يمشي على قدم * من البرية فوق السهل والجبل
 وأزلف الخالق عند الله منزلة * إذ قيل في مشهد الأشهد والرسل
 قم يا محمد فاشفع في العباد وقُل * تُسمع وسل تُعط وأشفع عائدا وسل
 والكوثرا الحوض يروي الناس من ظما * برح وينقع منه لا عيج الغليل^(١٠)

- (١) المنجفل: انهزم * (٢) مبتدل: ممتن، ومنتضل: مرتضى، يقال: تناضلوا تراموا بالنبال.
 (٣) الجذم: الأصل، منجذم: منقطع، والجذل بمعجمة: الأصل أيضا، منجدل: منقطع.
 (٤) سيف: شاطي. النيل: نهر مصر، والجلاد: المضاربة، وأشار إلى أن الأقطار التي
 ذكرها فتحت بالسيف وعمها الإسلام. (٥) الغرب: المغرب، غرب السيف: حده،
 شرفت: غصت، البيض: السيوف، الأسل: الرماح؛ يريد أن المسلمين لما فرغوا من فتح بلاد
 الشرق ورويت منها سيوفهم ورمائحهم حتى شرفت بدماء أهل الشرك قصدا نحو المغرب ففتحوا بلاده.
 (٦) عاد: صار، وبإذ: تعود واستجار. (٧) الذمة: الأمان، أي ما بذله لنجاته
 من القتل إما إيمان بالله وإما جزية، وشبا النصل: حده وطرفه، والنصل: السيف.
 (٨) صافيت فيك: في زائدة، أي صافيتك، صفاء بالمد؛ قصره للضرورة، والشوب: الخلط
 والدخل: الدغل والفساد. (٩) برح: شديد، ينقع: يسكن، لا عيج: شديد الحرارة،
 الغليل جمع غلة: شدة العطش.

أصغى من الثلج إشراقاً مذاقته * أحلى من اللبن المضروب بالعسل
 تحلُّتكَ الودَّ عَلَى إِذْ نَحَلْتَكِهِ * أُحْبِي بِفَضْلِكَ مِنْهُ أَفْضَلَ النَّحْلِ^(١)
 فَمَا لِحَلْدِي يَنْضِجُ النَّارَ مِنْ جَلْدٍ * وَلَا لِقَلْبِي يَهْوِي الْحَشِيرَ مِنْ قَبْلِ^(٢)
 يَا خَالِقَ الْخَلْقِ لَا تُخْلِقْ بِنِيَّاتِي مَا أَجْتَرَمْتُ * يَدَايَ وَجْهِي مِنْ حُوبٍ وَمِنْ زَلِيلٍ
 وَأَصْحَبٍ وَصَلٍّ وَوَأَصِلُّ كُلَّ صَالِحَةٍ * عَلَى صَفِيَّتِكَ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْأَصِيلِ

صلى الله عليه وسلم

وقد آن أن نأخذ في ذكر أخبار وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونبدأ
 من ذلك بما أنزل عليه عند اقتراب أجله ، ثم نذكر آبداء وجعه والحوادث التي
 آنفقت في أثناء مرضه إلى حين وفاته صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عند اقتراب أجله ، وما كان يقوله مما استبدل به على اقترابه

كان مما استبدل به على اقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نزول
 سورة الفتح ، وتتابع الوحي ، وتكرار عرض القرآن على جبريل ، وآستغفار رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لأهل البيعة والشهداء . روى عن عبد الله بن عباس رضى
 الله عنهما : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل عن قول الله عز وجل : ﴿ إِذَا
 جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾^(٣) فقال بمض
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا الله
 وفتح علينا . وقال بعضهم : فتح المدائن والقصور . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ،
 قال عمر : كذلك تقول يا بن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو

(١) نحل : أعطى ، والنحلة العطية ، حباه : أعطاه ، في الشرح : « أحبي بحبك » .

(٢) خلق : بئى ، الحوب : الذئب . (٣) آية ١ ، ٢ سورة النصر .

- أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له ؛ قال : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)
وذلك علامة أجلك (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)^(١) فقال عمر رضي
الله عنه : ما أعلم منها إلا ما تقول . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما صلى
النبي صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)
إلا يقول فيها : « سبحانك ربنا وبحمدك اللهم أغفر لي » . وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) دايع من الله ووداع من الدنيا .
وعنه رضي الله عنه قال : لما نزلت (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاطمة فقال : « إنه يُعَيِّرُ إلى نفسي » قالت : فبكيته ،
فقال : « لا تبكي فإنك أول أهل بي الحوقا » فضحك . وروى محمد بن سعد
بسنده إلى أنس بن مالك : أن الله تبارك وتعالى تابع الوحي على رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل وفاته حتى توفي ، وأكثر ما كان الوحي في يوم توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم . وروى ابن سعد أيضا بسنده إلى عكرمة قال قال العباس :
لأعلمن بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، فقال له : يا رسول الله ، أو أخذت
عرشا فإن الناس قد آذوك ، قال : « والله لا أزال بين ظهرانيهم ينازعوني ردائي
ويصيبني غبارهم حتى يكون الله يريخني منهم » قال العباس : فعرفنا أن بقاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا قليل . وعن واثلة بن الأسقع قال : خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أتزعمون أني من آخركم وفاة ، ألا وإني من
أولكم وفاة ، وتتبعوني أفنادا^(٢) يهلك بمضكم بعضا » . وعن أبي صالح قال : كان جبريل
يعرض القرآن كل سنة مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان العام الذي

(١) آية ٣ سورة النصر .

(٢) أفنادا : أي جماعات متفرقين قوما بعد قوم ، واحد منهم فند . (النهاية) .

قُبِضَ فِيهِ عَرْضُهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْتَكِفُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ ، فَلَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا أَعْتَكَفَ عَشْرِينَ يَوْمًا . وَعَنْ عَائِشَةَ وَأَبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوَهُ .

ذَكَرَ اسْتِغْفَارَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَأَهْلِ بَيْعِ الْغَرَقِدِ وَالشُّهَدَاءِ ، وَمَا رَوَى مِنْ تَخْيِيرِهِ بَيْنَ الْبَقَاءِ
وَلِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَخْتِيَارِهِ لِقَاءَ رَبِّهِ عِزَّ وَجَلَّ

رَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلَپَسَ ثِيَابَهُ ثُمَّ نَجَرَ ، فَأَمَرَتْ جَارِيَتِي بَرِيرَةَ فَتَبِعْتَهُ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الْبَيْعَ وَقَفَ فِي أَدْنَاهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقِفَ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ فَسَبَقْتُهُ بَرِيرَةَ فَأَخْبَرْتَنِي فَلَمْ أَذْكَرْ لَهُ شَيْئًا حَتَّى أَصْبَحَ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : « إِنِّي بَعُثْتُ لِأَهْلِ الْبَيْعِ لِأَصْلِي عَلَيْهِمْ » . وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : أَتَفْتَدِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَبِعْتَهُ فَإِذَا هُوَ بِالْبَيْعِ فَقَالَ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ ، وَإِنَّا بِكُمْ لِأَحْقُونَ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ » قَالَتْ : ثُمَّ التَفْتُ إِلَى فَقَالَ : « وَيَحْيَاهَا لَوْ تَسْتَطِيعُ مَا فَعَلْتِ » . وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : وَتَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَضْجَعِهِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَقُلْتُ : إِلَى أَيْنَ يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَمَرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَيْعِ » قَالَتْ : فَخَرَجَ وَنَجَرَ مَعَهُ مَوْلَاهُ أَبُو رَافِعٍ ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يَحْدِثُ قَالَ : أَسْتَغْفِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ طَوِيلًا ثُمَّ أَنْصَرَفَ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : « يَا أَبَا رَافِعٍ إِنِّي خَيْرٌ بَيْنَ خِزَائِنِ

١٣٢

١٦

(١) الْبَيْعُ فِي الْأَصْلِ : الْمَكَانُ الْمَتَّعُ الَّذِي فِيهِ شَجَرٌ ، وَالغَرَقِدُ : شَجَرٌ عَظِيمٌ كَانَ يَنْبُتُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي فِي الْمَدِينَةِ الْمَقُورَةِ فَزَالَ فَسُمِّيَ بِهِ .

(٢) الْفَرَطُ فِي الْأَصْلِ : مَقْدَمُ الْقَوْمِ لِيُرْتَادَ لَهُمُ الْمَاءُ وَيَبِيَّ لَهُمْ رَسَائِلُهُ .

الدنيا والخلد ثم الجنة، وبين لقاء ربي والجنة فأخترت لقاء ربي . وعن أبي مؤيَّبه
 مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من جوف الليل : « يا أبا مؤيَّبه إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فأنطلقُ
 معي » فخرج وخرجت معه حتى جاء البقيع فأستغفر لأهله طويلاً، ثم قال : « ليهيئكم
 ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها
 بعضها، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى » ثم أقبل على فقال : « يا أبا مؤيَّبه
 إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخبيرت بين ذلك وبين
 لقاء ربي والجنة » فقالت : بأبي أنت وأمي، نخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها
 ثم الجنة، فقال : « لا والله يا أبا مؤيَّبه لقد اخترت لقاء ربي والجنة » ثم آستغفر
 ١٠ لأهل البقيع وأنصرف . والجمع بين هذه الأحاديث كلها غير مناف، لأن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ربما آستغفر لأهل البقيع ليالي، ويؤيد هذا ويعضده ما رواه
 عطاء بن يسار عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كلما كانت ليلتها منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : « السلام عليكم دار قوم
 مؤمنين، أنا وإياكم ما توعدون، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، اللهم آغفر لأهل
 ١٥ بَقِيْعِ الْغَرْقَدِ » . وعن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى فقيل له :
 آذهب فصلَّ على أهل البقيع، ففعل ذلك ثم رجع فَرَقَدَ، فقيل له آذهب فصلَّ على
 الشهداء، فذهب إلى أحد فصلَّى على قتلى أحد، فرجع معصوب الرأس، فكان بُدُو
 الوجع الذى مات فيه صلى الله عليه وسلم .

وعن عتبة بن عامر الجهني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى
 ٢٠ أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال : « إني بين
 أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامى
 هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها » .

ذكر ابتداء وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأستئذانه نساء، أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها
 كان ابتداء وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الأربعاء، قيل : لإحدى
 عشرة بقية من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة . وقيل : ليلة بقية من صفر .
 روى عن ابن شهاب ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود — دخل
 حديث أحدهما في حديث الآخر — عن عائشة رضي الله عنها قالت : بدأ برسول
 الله صلى الله عليه وسلم شكوه الذي توفى فيه وهو في بيت ميمونة ، فخرج في يومه ذلك
 حتى دخل على ، قال ابن مسعود عنها : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع
 فوجدني وأنا أجد صداعا في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ، فقال : « بل أنا يا عائشة
 وارأساه » قالت ثم قال : « وما ضرك لو مت قبل فممت عليك وكففتك وصليت
 عليك ودفنتك » قالت قلت : والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لرجعت إلى بيتي
 فأعمرت فيه ببعض نسائك . قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وتاتم به وجعه وهو يدور على نسائه ، حتى أستعز به وهو في بيت ميمونة ،
 فدعا نساءه فأستأذنهن أن يمرض في بيتي فأذن له ، قالت : فخرج يمشي بين
 رجلين من أهله ، أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر ، عاصب رأسه تحط
 قدماه حتى دخل بيتي ، قال عبيد الله : فحدث بهذا الحديث عبد الله بن عباس
 فقال : هل تدري من الرجل الآخر؟ قال قلت : لا ، قال : علي بن أبي طالب
 قالت عائشة : ثم غمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشتد به وجعه ، فقال :

(١) تمام به : تنابع .

(٢) استعز به : اشتد به المرض ، وأشرف على الموت .

(٣) غمر : أغشى عليه .

« هَرَيْقُوا عَلِيًّا مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ مِنْ آبَائِ شَتَّى » وفي رواية: « لَمْ تُحَلَّلْ أَوْ كَيْتَمَتْ لَعْلَى ^(١) أَعْهَدَ إِلَى النَّاسِ » قالت : فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مَخْضَبِ لِحْفَصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصَبَ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ حَتَّى جَعَلَ يَشِيرُ إِلَيْنَا بِسَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتَنَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَصَلَى بِهِمْ وَخَطَبَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٣٣
١٦

ذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما أمر به من سد الأبواب التي تشرع إلى مسجده إلا باب أبي بكر الصديق
ووصيته بالأنصار

روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله » فبكى أبو بكر فقلت في نفسي : ما يبكي هذا الشيخ أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرنا عن عبد خير فاختار ؟ قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا به ، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر لا تبك ، أيها الناس ، إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا من الناس خليلا كان أبو بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر » . وعن قتيبة بن سعيد عن الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أعظم الناس علي منّا في صحبته وذات يده أبو بكر ، فأغلقوا هذه الأبواب الشارعة كلها في المسجد إلا باب أبي بكر » قال قتيبة : قال الليث بن سعد ، قال معاوية ابن صالح ، فقال ناس : أغلق أبوابنا وترك باب خليله ، فقال رسول الله صلى الله

(١) وأركبتها جمع وكا . : رباط قم القربة . (٢) المخضب : إناء تغسل فيه الثياب .

عليه وسلم : « قد بلغني الذي قلم في باب أبي بكر ، وإنى أرى على باب أبي بكر نورا ، وأرى على أبوابكم ظلمة » رواه محمد بن سعد في طبقاته الكبرى . وروى بسنده إلى عكرمة عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه في حرقة ، فقعده على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إنه ليس أحد آمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي خُفافة ، ولو كنت مُتخذًا من الناس خليلا لآخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خُلة الإسلام أفضل ، سدوا عني كلَّ خَوْخَةٍ في هذا المسجد غير خَوْخَةِ أبي بكر » وعن أبي الحويرث قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبواب تُسد إلا باب أبي بكر ، قال عمر : يا رسول الله ، دعني أفتح كُوة أنظر إليك حين تخرج إلى الصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا » . وعن أبي البَدَّاح بن عاصم بن عدى ، قال قال العباس بن عبد المطلب : يا رسول الله ، ما بالك فتحت أبواب رجال إلى المسجد ، ومالك سددت أبواب رجال ؟ فقال : « يا عباس ، ما فتحت عن أمرى ولا سددت عن أمرى » قالت عائشة رضى الله عنها في حديثها : وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنصار ، فقال : « يا معشر المهاجرين ، إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار لا تزيد على هبئها [التى هى عليها] اليوم ، هم عبيدتى التى أويت إليها ، أكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم » . ومن رواية : « أحفظونى فيهم ؛ آقبلوا من مُحسنهم وتجاوزوا عن مُسيئهم » .

(١) الزيادة من ابن سعد ج ٢ ق ٤٢٢ وفى أ « هبئهم » .

(٢) عيبى : أى خاصتى وأهل مبرى ؛ أراد أنهم بطلانته وموضع أمانته والذين يعتمد عليهم

ذكر ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق

رضي الله عنه ، وفيه

- روى عن أبي أمامة ، عن كعب بن مالك قال : إن أحدث عهدى بنبيكم صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بخمس ، فسمعتُه [يقول] ^(١) ويحرك كفه « إنه لم يكن نبيّ قبلي إلا وقد كان له من أمته خليل ، ألا وإن خليلي أبو بكر ، إن الله آخذني خليلاً كما آخذ إبراهيم خليلاً » . وعن أبي مليكة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه : « آدعوا إلىّ أبا بكر » فقالت عائشة : إن أبا بكر رجل يغلبه البكاء ، ولكن إن شئت دعونا لك آبن الخطاب ، قال : « آدعوا إلىّ أبا بكر » قالت : إن أبا بكر يرقّ ، ولكن إن شئت دعونا لك آبن الخطاب . فقال : « إنكّن صواحب يوسف ، آدعوا إلىّ أبا بكر وآبته ، فليكتب أن يطمع في أمر أبي بكر طامع أو يتمنى ممتن » ثم قال : ١٠ « يآبى الله ذلك والمؤمنون ، يآبى الله ذلك والمؤمنون » قالت عائشة : فآبى الله ذلك والمؤمنون ، فآبى الله ذلك والمؤمنون . وروى محمد بن سعد بسنده إلى عروة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، والقاسم بن محمد ، كلهم يحدث عن عائشة رضي الله عنها — دخل حديث بعضهم في حديث بعض — قالت : بدئ برسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت مميونة فدخل عليّ وأنا أقول : وارأساه ، فقال : « لو كان ذلك وأنا حيّ فاستغفر لكِ وأدعو لكِ وأكفّنك وأدفنك » فقلت : واتكلاه ، فوالله إنك لتحبّ موتي ، ولو كان ذلك لظلمت يومك معرساً ببعض

١٣٤
١٦

(١) الزيادة من آبن سعد ج ٢ ق ٢ : ٢٤

(٢) في شرح المواهب : هو عبد الرحمن .

(٣) في شرح المواهب : « فأعهد أن يقول القائلون » .

(٤) أى أن تكون الخلافة لفلان أو لقوم غير أبي بكر .

(٥) عبارة الطبقات : « بدئ برسول الله في وجهه في بيت مميونة ... الخ » .

أزواجك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل أنا وأرأساه لقد هممت —
أو أردت — أن أرسل إلى أبيك وإلى أخيك فأفضى أمرى ، وأعهد عهدي ، فلا
يطمع في الأمر ، طامع ولا يقول القائلون : أو يتمنى المتمنون » . وقال بعضهم في حديثه :
« وبأبي الله إلا أبا بكر » . وعن محمد بن جبير قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله
عليه وسلم يذاكره في الشيء ، فقال : إن جئت فلم أجدك ؟ قال : « فأت أبا بكر » .
وعن عاصم بن عمرو بن قتادة ، قال : أتباع النبي صلى الله عليه وسلم بعيرا من
رجل إلى أجل فقال : يا رسول الله ، إن جئت فلم أجدك ؟ يعني بعد الموت ،
قال : « فأت أبا بكر » ، قال : فإن جئت فلم أجد أبا بكر ، بعد الموت ؟ قال : « فأت
عمر » ، قال : فإن جئت فلم أجد عمر ؟ قال : « إن استطعت أن تموت إذا
مات عمر فمت » .

ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي

بالناس في مرضه ، وخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كلم به الناس ، وكم
صلى أبو بكر بالناس صلاة ، وما روى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آثم
بأبي بكر رضي الله عنه

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
بلال يُؤذنه بالصلاة فقال : « مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس » فقلت : يا رسول الله ،
إن أبا بكر رجل أسيف ، وأنه متى ما يقوم مقامك لا يُسمع الناس ، فلو أمرت
عمر ، فقال : « مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس » فقلت لحفصة : قولى له إن أبا بكر
رجل أسيف ، وأنه متى يقوم مقامك لا يُسمع الناس ، فلو أمرت عمر ، فقال :
« إنكئ لأتت صواحب يوسف ، مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس » فلما دخل أبو بكر

- (١) في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خِفْسة فقام يهادى بين رجلين ، ورجلاه تَحْطَان في الأرض حتى دخل المسجد ، فلما سمع أبو بكر حِسَّهُ ذهب أبو بكر يتأخر ، فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بخاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر ، فكان أبو بكر يصلي قائماً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعداً ؛ يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والناس يقتدون بصلاة أبي بكر . رواه البخارى في صحيحه . وروى محمد ابن سعد بسنده عن عبيد بن عمير الليثي نحوه . وقال : فلما فرغوا من الصلاة قال أبو بكر : أى رسول الله ، أراك أصبحت بحمد الله صالحاً ، وهذا يوم آبنسة خارجة — امرأة لأبى بكر من الأنصار — فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُصَلَّاه أو إلى جنب المنبر ، فحذر الناس الفتن ، ثم نادى بأعلى صوته ، حتى إن صوته ليخرج من باب المسجد ، فقال : « إني والله لا يمسك الناس على بشيء ، لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ، ولا أحرّم إلا ما حرّم الله في كتابه » ثم قال : « يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة رسول الله أعمالاً لما عند الله فإني لا أغنى عنكما من الله شيئاً » ثم قام من مجلسه ذلك ، فما أنتصف النهار حتى قبضه الله تعالى . وعن سعيد بن المسيّب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً ، سلوني ما شئتم » . وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : دخلت على عائشة فقلت لها حدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أصلى الناس » ؟ فقلت :

(١) يهادى بين رجلين : أى يمشى بينهما معتمدا عليهما من ضعفه وتمايله .

لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ، قال : « ضعوا لي ماء في المِخْضَبِ » قالت :
 ففعلنا فأغتسل ثم ذهب لينوء ^(١) فأغمى عليه ثم أفاق ، فقال : « أَصَلَّى النَّاسُ » ؟ فقلت :
 لا ، هم ينتظرونك ، فقال : « ضعوا لي ماء في المِخْضَبِ » قالت : ففعلنا فذهب
 فأغتسل فقال : « أَصَلَّى النَّاسُ » ؟ قلت : لا ، هم ينتظرونك ، والناس عكوف
 في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة ، قالت :
 فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر بأن يصلى بالناس ، فأناه الرسول
 فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلى بالناس ، فقال أبو بكر
 — وكان رجلا رقيقا — : يا عمر ، صلِّ بالناس ، فقال له عمر : أنت أحق بذلك ،
 فصلى أبو بكر تلك الأيام . ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه خفة فخرج
 بين رجلين أحدهما العباس ، فصلى الظهر وأبو بكر يصلى بالناس ، قالت : فلما رآه
 أبو بكر ذهب ليتأخر ، فأوما إليه النبي صلى الله عليه وسلم ألا يتأخر ، وقال لهما :
 « أجلساني إلى جنبه » فأجلساه إلى جنب أبي بكر فجعل أبو بكر يصلى ، وهو قائم
 بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر ، والنبي صلى الله
 عليه وسلم قاعد ، قال عبيد الله : فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له :
 ألا أعرض عليك ما حدثتني به عائشة عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
 قال : هات ، فعرضت [حديثها] ^(٢) عليه فما أنكر منه شيئا غير أنه قال : سميت لك
 الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت : لا ، قال : هو علي بن أبي طالب .

وروى محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر ، عن عبد الرحمن بن عبد العزيز ،
 وعبد العزيز بن محمد عن عمارة بن غزيرة عن محمد بن إبراهيم قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهو مريض لأبي بكر : « صلِّ بالناس » فوجد رسول الله صلى الله

(١) ينوء : ينهض . (٢) الزيادة من صحيح مسلم .

- عليه وسلم خفة نخرج وأبو بكر يصلي بالناس، فلم يشعر حتى وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده بين كتفيه، فنكص أبو بكر، وجلس النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه، فصلى أبو بكر وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته، فلما أنصرف قال: «لم يقبض نبي قط حتى يؤمّه رجل من أمته». وروى نحوه عن أبي معشر، عن محمد بن قيس. وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في وجعه إذا خف عنه ما يجده نرج فصلى بالناس، وإذا وجد ثقله قال: «مروا الناس فليصلوا» فصلى بهم ابن أبي خنيفة يوماً الصبح فصلى ركعة، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بغاس إلى جنبه فأتمّ بأبي بكر، فلما قضى أبو بكر الصلاة أتمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فاته. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مرضه بصلاة أبي بكر ركعة من الصبح ثم قضى الركعة الباقية. قال الواقدي: ورأيت هذا الثبوت عند أصحابنا، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر. وروى محمد بن سعد بسنده إلى عبد الله بن زمعة بن الأسود قال: عدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه، بغاءه بلال يؤذنه بالصلاة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مروا الناس فليصلوا» قال عبد الله: نخرجت فلقيت ناساً لا أكلهم، فلما لقيت عمر بن الخطاب لم أبلغ من وراءه، وكان أبو بكر غائباً فقلت له: صل بالناس يا عمر، فقام عمر في المقام وكان عمر رجلاً مجيهاً، فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته، فأخرج رأسه حتى أطلعه للناس من حجرتي، فقال: «لا، لا، لا، لا، لا يصل بهم ابن أبي خنيفة». قال: يقول ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً، قال: فأنصرف عمر فقال لعبد الله بن زمعة: يا ابن أخي أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تأمرني؟ قال فقلت: لا، ولكني لما رأيتك لم أبلغ من وراءك، فقال عمر: ما كنت أظن حين أمرتني

إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليتُ بالناس، فقال عبد الله: لم أر أبا بكر رأيتك أحقَّ من حضر بالصلاة. وعن عبد الله ابن عباس قال: حضرت الصلاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مرُّوا أبا بكر يصلي بالناس» فلما قام أبو بكر مقام النبي صلى الله عليه وسلم اشتدَّ بكأوه وأفتن، واشتدَّ بكاء من خلفه، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلما حضرت الصلاة جاء المؤذن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قولوا للنبي صلى الله عليه وسلم يأمر رجلاً يصلي بالناس، فإن أبا بكر قد أفتن من البكاء والناس خلفه، فقالت حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: مروا عمر يصلي بالناس حتى يرفع الله رسوله، قال: فذهب إلى عمر فصلى بالناس، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم تكبيره قال: «من هذا الذي أسمع تكبيره؟» فقال له أزواجه: عمر بن الخطاب، وذكروا له ما قاله المؤذن، وما قالت حفصة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكنَّ لصواحب يوسف، قولوا لأبي بكر فيصلي بالناس» قال: فلو لم يستخلفه ما أطاع له الناس. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه إذا وجد خفة نخرج، وإذا ثقل وجاءه المؤذن قال: «مرُّوا أبا بكر يصلي بالناس» فخرج من عنده يوماً الأمر يأمر الناس يصلون وابن أبي خنافة غائب، فصلى عمر بن الخطاب بالناس فلما كبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا، لا، أين ابن أبي خنافة؟» قال: فانتقضت الصفوف وأنصرف عمر، قال: فما برحنا حتى طلع ابن أبي خنافة وكان بالسنح^(١) فتقدم فصلى بالناس. وعن أنس بن مالك: أن أبا بكر - رضي الله عنهما - كان يصلي بهم في وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين

(١) السنح: موضع قرب المدينة.

وهم صفوف في الصلاة، كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجر ينظر إلينا، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ونحن في الصلاة من الفرح . قال : ونكص أبو بكر على عقبيه ، فأشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن أتموا صلاتكم » قال : ثم دخل وأرخى الستر، فتوفى من يومه صلى الله عليه وسلم . وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عمر، قال سألت أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة : كم صلى أبو بكر بالناس ؟ قال : صلى بهم سبع عشرة صلاة، قلت : من حدثك ذلك ؟ قال قال : حدثني أيوب بن عبد الرحمن ابن صغصعة ، عن عباد بن تميم ، عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صلى بهم أبو بكر ذلك .

١٠ ذكر ما أتفق في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما ذكرناه ، من اللدود الذي لُدَّ به ، والكتاب الذي أراد أن يكتبه ، والوصية التي أمر بها ، والدنانير التي قسمها ، والسواك الذي آسنتن به صلى الله عليه وسلم .

١٥ فأما اللدود^(١) الذي لُدَّ به صلى الله عليه وسلم وما قال فيه — روى عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : تخوفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الجنب وثقل^(٢) فلددناه، فوجد خشونة اللد فافاق، فقال : « ما صنعتن بي » ؟ قالوا : لددناك ، قال : « بماذا » ؟ قلنا : بالعود الهندي ، وشيء من ورس وقطرات زيت ، فقال : « من أمركم بهذا » ؟ قالوا : أسماء بنت عميس ، قال : « هذا طب أصابته بأرض الحبشة ، لا يسقى أحد في البيت إلا التدد إلا ما كان من عم رسول الله

٢٠ (١) اللدود : ما يسفاه المريض في أحد شقي الفم .

(٢) ذات الجنب : علة صعبة ، وهي ورم حار بعرض للجنب المستبطن للأضلاع .

صلى الله عليه وسلم « يعنى العباس ، ثم قال : « ما الذى كنتم تخافون على » ؟ قالوا : ذات الجنب ، قال : « ما كان الله ليسلطها على » . وفى رواية عن أمِّ بشر بن البراء ؛ قال : « ما كان الله ليسلطها على رسوله ، إنها همزة من الشيطان ، ولكنها من الأكلة التى أكلتها أنا وأبناك ، هذا أو أن قطعت أبهرى » . ومن حديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بفعل بعضهم يُلدَّ بعضا . وعن هشام قال : كانت أم سلمة وأسماء بنت عميس هما لذناه ، قال : فالتدت يومئذ ميمونة وهى صائمة ؛ لقسَمَ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : وكان منه عقوبة لهم .

وأما الكتاب الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يكتبه ثم تركه لما وقع عنده من التنازع

فقد اختلفت الروايات فى هذا الحديث عن عبد الله بن عباس وغيره ، فمن رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم أنه قال : أشكى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخميس بفعل - يعنى ابن عباس - يبكى ويقول : يوم الخميس وما يوم الخميس ، أشد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه فقال : « آيتونى بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا » قال فقال بعض من كان عنده : إن نبي الله هجر ، قال فقل له : ألا نأتيك بما طلبت ؟ قال : « أو بعد ماذا » ؟ فلم يدع به . ومن طريق آخر عن سليمان بن أبي مسلم عن سعيد بن جبير قال : فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع . فقالوا : ما شأنه أهرج ؟ استفهموه ، فذهبوا

- (١) الأهرج : عرق إذا انقطع مات صاحبه . (٢) كذا فى الأصل ، وسند الحديث فى ابن سعد : « عن الزهرى عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام » .
 (٣) لا تضلوا : هونق وجزم بحذف النون لأنه يدل من جواب الأمر . وروى : « لا تضلون »
 و « لن تضلوا » . (٤) هجر : اختلف كلامه بسبب المرض .
 (٥) فى الأصول : « سلان » والتصويب من الطبقات ، وتهذيب التهذيب .

- يعيدون عليه . فقال : « دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه » . قال :
- وأوصى بثلاث ، قال : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » وسكت عن الثالثة ، فلا أدري قالها فأنسيتها ، أو سكت عنها عمداً ؟ . ومن رواية طلحة بن مُصَرِّف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آيتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً » . قال فقالوا : إنما يهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذه الروايات عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما . وروى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال : لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هلم أكتب لكم كتاباً ان تضلوا بعده » فقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت وأختصموا ، فمنهم من يقول : قَرَّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما كثر اللَّغَطُ والاختلاف ^(٢) وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قوموا عني » . قال عبيد الله : فكان ابن عباس يقول : إن الرِّزِيَّةَ كَلَّ الرِّزِيَّةَ ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم وغطهم . وعن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه : « آيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً ان تضلوا بعده أبداً » . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من لفلانة وفلانة — من مدائن الروم — إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يموت حتى يفتحها ، ولو مات لانتظرناه كما أنتظرت بنو إسرائيل موسى ؛

١٣٧
١٦

(١) أ : « أفلها » . (٢) عمر : أغمى عليه .

فقلت زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ألا تسمعون للنبي صلى الله عليه وسلم يعهد إليكم ؟ فلغظوا فقال : « قوموا » فلما قاموا قبض النبي صلى الله عليه وسلم مكانه . وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : لما كان في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه ، دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمته كتابا لا يضلون ولا يضلون ، فكان في البيت لغط وكلام ، وتكلم عمر بن الخطاب ، قال : فرفضه النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن محمد بن عمر الواقدي عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيننا وبين النساء حجاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أغسلوني بسبع قرب وأتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا » فقال النسوة : آيتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجته . قال عمر فقلت : أسكتن فإنكن صواحبه إذا مرض عَصْرْتُنْ أَعِينَكُنْ ، وإذا صح أخذتن بعنته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُنَّ خَيْرُ مَنْكُم » .

هذا ما وقفنا عليه من الروايات المسندة في هذا الحديث ، وقد تذرعت به طائفة من الروافض ، وتكلموا فيه وطعنوا على من لفظ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أمتنع من الكتابة .

وقد تكلم القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله على هذا الحديث ، وذكر أقوال العلماء وما أبدوه من الاعتذار عن عمر رضي الله عنه فيما قال ، فقال رحمه الله تعالى ، قال أمتنا في هذا الحديث : النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض ، وما يكون من عوارضها من شدة وجع وعشى ونحوه ، مما يطرأ على جسمه ، معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك

ما يظن في معجزته ، ويؤدى إلى فساد في شريعته ، من هذيان أو اختلال في كلام ، وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث «هَجَرَ» إذ معناه هذى يقال : هَجَرَ هَجْرًا إِذَا أَفْخَسَ ، وأهجر تعدية هجر ، وإنما الأصح والأولى «أهجر» ؟ على طريق الإنكار على من قال لا نكتب ، قال : وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخارى من رواية جميع الرواة في حديث الزهرى ومحمد بن سلام عن ابن عيينة ، قال : وكذا ضبطه الأصيل بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق ، وكذا روينا عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره ، قال : وقد نُحْمِلُ عليه رواية من رَوَاهُ هَجْرٌ عَلَى حَذْفِ أَلْفِ الْأَسْتِفْهَامِ ، والتقدير : أهجر؟ أو أن يُحْمَلَ قول القائل : «هَجَرَ» أو أَهَجَرَ دَهْشَةً مِنْ قَائِلِ ذَلِكَ وَحَيْرَةً ، لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه ، وهول المقام الذى اختلف فيه عليه ، والأمر الذى هم بالكتاب فيه ، حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى المهجر مجرى شدة الوجع ؛ لأنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر ، كما حملهم الإشفاق على حراسته ، والله تعالى يقول : ﴿ وَاللَّهُ يَعِصُكُمْ مِنَ النَّاسِ ﴾ ونحو هذا . وأما على رواية : «أَهْجَرًا» ، وهى رواية أبى إسحاق المستملى فى الصحيح ، فى حديث ابن جبير ، عن ابن عباس من رواية قتيبة ، فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ، ومخاطبة لهم من بعضهم ، أى جئتم بأختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هَجْرًا ومنكرًا من القول ! والهَجْرُ بضم الهاء الفحش فى المنطق .

وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث ، وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن يأتوه بالكتاب ، فقال بعضهم : أوامر النبى صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندها من إباحتها بقرائن ، فلعل قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه

لم يفهم ذلك ، فقال : أستفهموه ، فلما اختلفوا كَفَّ عنه إذ لم تكن عَزْمَةٌ ،
ولما رأوه من صواب رأى عمر رضى الله عنه . ثم هؤلاء قالوا : ويكون امتناع
عمر إما إشفاقاً على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال ، وإما إملاء
الكتاب ، وأن يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال : إن النبي ^(١) أشد به الوجع .
وقيل : خشى عمر أن يكتب أموراً يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ،
ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد ، وحكم النظر ، وطلب
الصواب ، فيكون المصيب والمخطئ مأجوراً ، وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس
الملة ، وأن الله تعالى قال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ^(٢) ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم :
« أوصيكم بكتاب الله وعترتي » . وقول عمر : حسبنا كتاب الله ، ردُّ على من نازعه ،
لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم . وقد قيل : إن عمر خشى تطرُق المنافقين ،
ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلو ، وأن يتقولوا في ذلك
الأقوال كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك . وقيل : إنه كان من النبي صلى الله عليه
وسلم على طريق المشورة والاختبار ، هل يتفقون على ذلك أم يختلفون ، فلما اختلفوا
تركه . وقالت طائفة أخرى : إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
محبباً في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتداء بالأمر به ، بل اقتضاه منه بعض
أصحابه ، فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها ، وأستدل في مثل
هذه القضية بقول العباس لعلي : انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا
كان الأمر فينا علمناه ، وكرهه على هذا وقوله : « والله لا أفعل » الحديث .
وأستدل بقوله : « دعوني فإن الذي أنا فيه خير ^(٣) » أى الذى أنا فيه خير من إرسال

(١) يحصلون : يقومون . (٢) آية ٣ سورة المائدة .

(٣) زيادة لفظ « خير » في الحديث من كتاب الشفا وليست بالأصول .

الأمر وترككم، وكتاب الله^(١). وأن تدعوني مما طلبتم. وذُكر أن الذي طُلب كتابه^(٢) في أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك. وهذا ما أورده في معنى هذا الحديث. والله تعالى أعلم.

وأما ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه

فقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت « الصلاة، وما ملكت أيمانكم »، حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُغرغر بها في صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه. وعن أم سلمة نحوه. وعن كعب بن مالك قال: أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم أفاق، فقال: « الله الله فيما ملكت أيمانكم، ألبسوا ظهورهم، وأشبعوا بطونهم، وألينوا لهم القول ». وعن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده أوصى ألا يُترك بأرض العرب دينان. وعن مالك بن أنس عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن عمر بن عبد العزيز قال: آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب ». وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنه كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بالرَّهاويين الذين هم من أهل الرَّهَاء، قال: وأعطاهم من خَيْرٍ وجعل يقول: « لئن بقيتُ لا أدع بجزيرة العرب دينين ». وعن علي بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم أنه قال: أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالداريين والرَّهاويين

١٣٩
١٦

(١) كتاب الله: بالنصب مفعول معه؛ أى مصاحبين بكتاب الله والتمسك به، فإنه حسبكم.
(٢) في الشفا: « كتابه أمر الخلافة... الخ ».

وبالدوسيين خيرا . وعن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث وهو يقول : « أَلَا لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسُنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ » . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : نعى لنا نبينا وحبينا نفسه قبل موته بشهر ، بأبى هو وأمى ونفسى له القداء ، فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت أمتنا عائشة وتشدد لنا فقال : « مرحبا بكم ، حياكم الله بالسلام ، رحمكم الله ، حفظكم الله ، جبركم الله ، رزقكم الله ، رفعكم الله ، نفعكم الله ، آداكم الله ، وقاكم الله ، أوصاكم بتقوى الله وأوصى الله بكم ؛ وأستخلفه عليكم ، وأحذركم الله إني لكم منه نذير مبين أَلَا تَعْلَمُوا عَلَى اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . وقال : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ قلنا : يا رسول الله متى أجلك ؟ قال : « دنا الفراق ، والمنتقل إلى الله ، وإلى جنة المأوى ، وإلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ والعيش المهنى » قلنا : يا رسول الله من يفسدك ؟ قال : « رجال من أهلى الأذنَى فالأذنَى » قلنا : يا رسول الله ففيم نكفئك ؟ قال : « فى ثيابى هذه إن شئتم أوفى ثياب مصر أو فى حُلَّةِ يمانية » قال قلنا : يا رسول الله ، من يصلّى عليك ؟ وبكىنا وبكى ، فقال : « مهلا رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيرا ، إذا أتم غسلتمونى وكفتمونى فضعونى على سريرى هذا على شفة قبرى فى بيتى هذا ، ثم أخرجوا عنى ساعة ، فإن أول من يصلّى على حبيبى وخليبى جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت معه جنوده من الملائكة بأجمعهم ، ثم أدخلوا على فَوْجًا فَوْجًا ، فصلوا

(١) فى ابن سعد : « حباكم » . (٢) آداكم الله : قزاكم وأعانكم على عدوكم .

(٣) آية ٨٣ سورة القصص . (٤) آية ٦٠ سورة الزمر .

(٥) الأذنَى : الأقرب .

(١)
 على وسلموا تسليماً، ولا تؤذوني بتركية ولا برّنة، وليبدأ بالصلاة على رجال من
 أهلي ثم نساؤهم ثم أتم بعد، وأقرئوا السلام على من غاب من أصحابي، وأقرئوا
 السلام على من يتبعني على ديني من قومي إلى يوم القيامة». قلنا: يا رسول الله،
 فمن يدخلك قبرك؟ قال: «أهلي مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث
 لا ترونهم».

وأما الدنانير التي قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه

فقد روى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أصاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم دنانير فقسمها إلا ستة، فدفع الستة إلى بعض نساؤه، فلم يأخذه
 النوم حتى قال: «ما فعلت الستة؟» قالوا: دفعتها إلى فلانة، قال: «آيتوني
 بها» فقسم منها خمسة في خمسة أبيات من الأنصار، ثم قال: «آستنفقوا هذا
 الباقي» وقال: «الآن أسترحمت» فرقد. وعن المطلب بن عبد الله أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة، وهي مُسْتَدْتُهُ إلى صدرها: «يا عائشة
 ما فعلت تلك الذهب^(٢)؟» قالت: هي عندي، قال: «فأنفقها» ثم غشي على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صدرها، فإما أفاق قال: «هل أنفقت
 تلك الذهب يا عائشة؟» قالت: لا والله يا رسول الله، قالت: فدعا بها فوضعها
 في كفه، فعدها فإذا هي ستة دنانير، فقال: «ما ظنُّ محمد بربه أن لوليتي الله
 وهذه عنده»! فأنفقها كلها، ومات من ذلك اليوم.

(١) في الطبقات والمراهب: «رجال أهلي».

(٢) المشار إليه مقدر؛ أي تلك الدنانير الذهب.

وأما السَّوَالِكُ الَّذِي آسَتَنَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مَوْتِهِ
 فَقَدْ رَوَى عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
 أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَكْوَاهُ ، وَأَنَا مَسْنَدَتُهُ إِلَى صَدْرِي ، وَفِي يَدِ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ سِوَالِكٌ فَأَمَرَهَا أَنْ تَقْضِمَهُ ، فَقَضِمْتُهُ ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ . وَمِنْ حَدِيثٍ آخَرَ عَنْهَا قَالَتْ : فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ
 وَهُوَ فِي يَدِهِ نَظْرًا عَرَفْتُ أَنَّهُ يَرِيدُهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَرِيدُ أَنْ أُعْطِيَكَ هَذَا
 السَّوَالِكُ ؟ فَقَالَ : « نَعَمْ » فَأَخَذْتُهُ فَمَضَغْتُهُ حَتَّى لَيْتَنِي ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَأَسْتَنَّ بِهِ
 كَأَشَدِّ مَا رَأَيْتُهُ آسَتَنَّ بِسِوَالِكٍ قَبْلَهُ ثُمَّ وَضَعَهُ ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ : كَانَ مِنْ نِعْمَةِ
 اللَّهِ عَلَيَّ وَحَسَنِ بِلَائِهِ عِنْدِي ، أَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ فِي بَيْتِي ،
 وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَخْرِي وَتَخْرِي ^(١) ، وَجَمَعَ بَيْنَ رَيْقِي وَرَيْقِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ . فَقَالَ لَهَا
 الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ : قَدْ عَرَفْنَا كُلَّ الَّذِي تَقُولِينَ ، فَكَيْفَ جَمَعَ بَيْنَ رَيْقِكَ وَرَيْقِهِ ؟
 قَالَتْ : دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ رُومَانَ أَخِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَعُودُهُ ، وَفِي يَدِهِ سِوَالِكٌ رَطْبٌ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْلَعًا بِالسَّوَالِكِ ،
 فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْخِصُ بِصَرِّهِ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ،
 أَقْضِمِ السَّوَالِكُ فَنَاوَلْتَنِي ، فَمَضَغْتُهُ ثُمَّ أَدْخَلْتَنِي فِي رِيسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَتَسَوَّكْتُ بِهِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ رَيْقِي وَرَيْقِهِ .

١٤٠
١٦

(١) السَّخْرُ الرَّيَّةُ أَيُّ إِنَّهُ مَاتَ وَهُوَ مَسْنَدٌ إِلَى صَدْرِهَا وَمَا يَجَاذِي سَحْرَهَا مِنْهُ ، وَقَبْلُ : السَّحْرُ مَا لَصِقَ
 بِالْمَلْقُومِ مِنْ أَعْلَى الْبَطْنِ ، وَحَكَى الْقَتَنِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ بِالْشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَالْجَمِيمِ ، وَأَنَّهُ سَنَلُ عَنْ ذَلِكَ فَشَبَّكَ
 بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَقَدَمَيْهَا عَنْ صَدْرِهِ كَأَنَّهُ يَضُمُّ شَيْئًا إِلَيْهِ ، أَيُّ إِنَّهُ مَاتَ وَقَدْ ضَمَّتْهُ بِيَدَيْهَا إِلَى نَحْرِهَا وَصَدْرِهَا ،
 وَالشَّجْرُ التَّشْبِيكُ وَهُوَ الذَّقْنُ أَيْضًا ، وَالْمَحْفُوظُ الْأَوَّلُ . « النَّهْيَةُ » .

ذكر تخبير رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين الدنيا والآخرة عند الموت

- رُوى عن عُرْوَةَ بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت سمعت أنه لا يموت نبي حتى يُخَيَّرَ بين الدنيا والآخرة ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بُحَّةً شديدة في مرضه ، فسمعتة يقول : (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ^(١)) فظننت أنه خير . وعن المطلب بن عبد الله ، قال قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من نبي إلا تُقبض نفسه ثم تُرد إليه فيخبر بين أن تُرد إليه إلى أن يلحق » قالت : فكنت قد حفظت ذلك منه ، فإني لمُسندته إلى صدرى فنظرت إليه حتى مالت عنقه ، فقلت قد قضى وعرفت الذى قال ، فنظرت إليه حتى ارتفع ونظر ، قالت : قلت إذا والله لا تختارنا ، فقال : « مع الرفيق الأعلى فى الجنة » (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) . وعن سعيد بن المسيب وغيره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه لم يُقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخبر » قالت عائشة : فلما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه على نخذى غشى عليه ساعة ، ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف سَمِّف البيت ، ثم قال : « اللهم الرفيق الأعلى » قالت : فقلت الآن لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذى كان يحدثنا وهو صحيح ، فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن أبي بردة بن أبي موسى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسندته عائشة إلى صدرها فأفاق ، وهى تدعوله بالشفاء فقال : « لا ، بل أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل » .

(١) آية ٦٩ سورة النساء . (٢) نزل برسول الله : أى الموت .

ذكر ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عند

نزول الموت به

رُوى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : لما نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم الموت دعا بقدح من ماءٍ بفعل يمسح به وجهه ، ويقول : « اللهم أعني على سكرات الموت » وجعل يقول : « أدن مني يا جبريل ، أدن مني يا جبريل ، أدن مني يا جبريل » . وعن عبد الله بن عباس وعائشة رضي الله عنهم قالا : لما نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم طفق ياتي تخميصته على وجهه ، فإذا آغتم بها ألقاها عن وجهه ويقول : « لعنة الله على اليهود والنصارى آخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٤١
١٦

رُوى عن محمد بن جعفر عن أبيه قال : لما بقى من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال : يا أحمد ، إن الله أرسلني إليك إكراما لك ، وتفضيلا لك ، وخاصة لك ، يسألك عما هو أعلم به منك ، يقول لك : كيف تجردك ؟ قال : « أجدني يا جبريل مغموما ، وأجدني يا جبريل مكروبا » فلما كان في اليوم الثاني هبط إليه جبريل فقال له مثل ذلك ، وأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أجابه به بالأمس ، فلما كان اليوم الثالث نزل إليه جبريل ، وهبط معه ملك الموت ، ونزل معه ملك يقال له إسماعيل ، يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض منذ يوم كانت الأرض على سبعين ألف ملك ، ليس منهم ملك إلا على سبعين ألف ملك ، فسبقهم جبريل ، فقال : يا أحمد ، إن الله أرسلني إليك إكراما لك ، وتفضيلا لك ، وخاصة لك ، يسألك عما هو أعلم به منك ، يقول لك : كيف

(١) الخميصة : ثوب خراز صوف معلم .

- تجدك؟ قال : « أجدني يا جبريل مغموما ، وأجدني يا جبريل مكروبا » ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل : يا أحمد ، هذا ملك الموت يستأذن عليك ، ولم يستأذن على آدمي كان قبلك ، ولا يستأذن على آدمي بعدك ، قال : « أئذن له » فدخل ملك الموت فوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ، يا أحمد ، إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمرني به ، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها ، وإن أمرتني أن أتركها تركتها ، قال : « وتفعل يا ملك الموت » ؟ قال : بذلك أمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني ، فقال جبريل : يا أحمد ، إن الله قد آشتاق إليك ، قال : « فأمض يا ملك الموت لما أمرت به » قال جبريل : السلام عليك يا رسول الله ، هذا آخر موطن الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا ، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءت التعزية يسمعون الصوت والحس ، ولا يرون الشخص : السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل ما فات ، فبالله فتيقوا ، وإياه فأرجوا ، إنما المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

- وكانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الأحاديث الصحيحة في حجر عائشة وبين سحرها ونحرها . وقد قيل : إنه توفي في حجر علي ، والصحيح الأول . وذلك في يوم الاثنين حين آشتت الضحى ، لآنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وقيل : لليلتين خلتا منه . ولما مات صلى الله عليه وسلم سبى بشوب حبرة ، كما روى عن عائشة وأبي هريرة رضى الله عنهما ، ودخل أبو بكر رضى الله عنه على

(١) في ج « استت » وهما بمعنى تقزى ، والمراد : أرتفع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بأبي وأمي ما أطيب نحيك ومماتك . وفي لفظ :
 طببت حيا وميتا . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما توفى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم جاء أبو بكر فدخل عليه فرفعت الحجاب ، فكشف الثوب عن وجهه ،
 فأسترجع فقال : مات والله رسول الله ، ثم تحوّل من قبل رأسه فقال : وانبياه ،
 ثم حدّر فمه فقبّل وجهه ثم رفع رأسه ، فقال : واخيلاه ، ثم حدّر فمه فقبّل جبهته
 ثم رفع رأسه ، فقال : وأصفيّاه ، ثم حدّر فمه فقبّل جبهته ، ثم سجد بالثوب ثم خرج .
 وعن عبد الرحمن بن عوف : أن عائشة أخبرته أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه
 بالسّبح حتى نزل ، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول^(١)
 الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجّي يُردّ حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه
 يقبله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت ، والله لا يجمع الله عليك موتتين أبدا ، أما الموتة التي
 كتبت عليك فقد مّتها .

ذكر ما تكلم به الناس حين شكوا في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخطبة أبي بكر رضي الله عنه

١٤٢

١٦

روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما توفى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بكى الناس فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد خطيبا فقال :
 لا أسمعن أحدا يقول إن محمدا قد مات ، ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى
 ابن عمران ، فلبث عن قومه أربعين ليلة ، ولاني والله لأرجو أن تقطع أيدي رجال
 وأرجلهم يزعمون أنه مات . وعن عكرمة قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقالوا : إنما عرج بروحه كما عرج بروح موسى ، قال : وقام عمر خطيبا فوعد

(١) السّبح بضم السين والنون ، وقيل : بسكون النون : موضع بهوالى المدينة فيه منازل بني الحارث
 ابن الخزرج . (٢) تيمم : قصد .

- المنافقين ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يموت ، ولكن إنما عُيرج بروحه كما عُيرج بروح موسى ، لا يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم ، قال : فما زال عمر يتكلم حتى أزيد شدقه ، فقال العباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأسن كما يأسن البشر ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمات فأدفنوا صاحبكم ، أئيميت أحدكم إمانته ويميته إمانتين؟ هو أكرم على الله من ذلك ، فإن كان كما تقولون فليس على الله بعزير أن يبحث عنه التراب فيخرجه إن شاء الله ، ما مات حتى ترك السبيل نهجا واضحا ، أحل الحلال ، وحرم الحرام ، ونكح وطأق ، وحارب وسلم ، وما كان راعي غنم يتبع بها صاحبها رهوس الجبال ، يخبط عليها العضة ^(٢) يخبطه ويمدح حوضها بيده ، بأنصب ولا أراب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيكم . وعن عائشة رضی الله عنها قالت : ١٠ لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عمر والمغيرة بن شعبة فدخلا عليه فكشفا الثوب عن وجهه فقال عمر : أغشياً؟ ما أشد غشي رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ثم قاما فلما آتيا إلى الباب ، قال المغيرة : يا عمر ، مات والله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : كذبت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكك ١٥ رجل تحوسك فتنة ، ولن يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يفنى المنافقين ، ثم جاء أبو بكر وعمر يخطب الناس فقال له أبو بكر : أسكت ، فسكت ، فصعد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ^(٤) ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَلْقِبْتُمْ عَلَىٰ

(١) يأسن : بتغير . (٢) في الطبقات : « الغضاة » .

(٣) « تحوسك » بالسین المهملة رواية ابن الأثير لقول عمر بمعنى تخاطبك وتحثك على ركوبها . وفي الأصول والطبقات « تحوشك » بالشین المعجمة . (٤) آية ٣٠ سورة الزمر .

أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ^(١) ثم قال :
من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .
فقال عمر : هذا في كتاب الله؟ قال : نعم ، قال : أيها الناس ، هذا أبو بكر وذو شبيبة
المسلمين فبايعوه فبايعه الناس . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : دخل أبو بكر
المسجد وعمر بن الخطاب يكلم الناس ، فمضى حتى دخل بيت النبي صلى الله عليه
وسلم الذى توفى فيه ، وهو بيت عائشة ، وكشف عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم
برُد حَبْرَةٍ ، كان مسجى به فنظر إلى وجهه ثم أكب عليه فقبَّله ، فقال : بأبي أنت ؛
والله لا يجمع الله عليك موتتين ، لقد متَّ الموتة التى لا تموت بعدها ، ثم خرج أبو بكر
إلى الناس ، وعمر يكلمهم . فقال : آجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فكلمه
أبو بكر مرتين أو ثلاثاً ، فلما أبى عمر أن يجلس قام أبو بكر فشهد ، فأقبل الناس
إليه وتركوا عمر ، فلما قضى أبو بكر شهادته قال : أما بعد ؛ فمن كان منكم يعبد محمداً
فإن محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال الله تبارك
وتعالى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ
عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » .
قال : فلما تلاها أبو بكر أيقن الناس بموت النبي صلى الله عليه وسلم ،
وتلقاها الناس من أبى بكر حين تلاها أو كثير منهم ، حتى قال قائل من الناس :
والله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية أنزلت حتى تلاها أبو بكر . فزعم سعيد
ابن المسيب أن عمر بن الخطاب قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها
فَعَقِرْتُ وَأَنَا قَائِمٌ حَتَّى خَرَرْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَأَيَقَنْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ

(١) آية ١٤٤ سورة آل عمران .

(٢) العقر (بفتح العين) : أن تسلم الرجل قوائمه إلى الخوف ، فلا يقدر أن يمشى من الفرق والدهش .

- مات . وعن الحسن قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم آتت أصحابه فقالوا : تربعوا بنبيكم صلى الله عليه وسلم لعله عرج به ، قال : فتربصوا به حتى ربأ بطنه ، فقال أبو بكر : من كان يعبد مجدا فإن مجدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضى الله عنه أنه لما شك في موت النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم : قد مات ، وقال بعضهم : لم يم ، وضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفيه ، وقالت : قد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد رُفِعَ الخاتم من بين كتفيه . وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنحرس عن الكلام لما رآه من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما تكلم إلا برد الغد ، وأقعد آخرون ، منهم علي بن أبي طالب ، ولم يكن فيهم أثبت من أبي بكر والعباس رضى الله عنهما ، قالوا : وعزى الناس بعضهم بعضا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكر ذلك للناس قبل موته ، كما روى عن سهل بن سعد ؛ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيعزى الناس بعضهم بعضا من بعدى التعمية بي » فكان الناس يقولون ما هذا ؟ فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الناس بعضهم بعضا يعزى بعضهم بعضا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٤٣
١٦

ذكر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن غسله ، وتكفينه وحنوطه

- رؤى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكروا غسله سمعوا من باب الحجر : لا تغسلوه فإنه طاهر مطهر ، ثم سمعوا صوتا بعده : أغسلوه فإن ذلك إبليس وأنا الخضر ، وعزاهم فقال : إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل فائت ، فبالله فثقوا وإياه فأرجوا ، فإن المصاب من

حُرِّمَ الثَّوَابُ . وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف الذين يغسلونه ، فسمعوا قائلا لا يدرون من هو ، يقول : أغسلوا نبيكم وعليه قميصه ، فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه . وعن عباد بن عبد الله عن عائشة قالت : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ، ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبض اختلف أصحابه في غسله ، فقال بعضهم : أغسلوه وعليه ثيابه ، فبينما هم كذلك إذ أخذتهم نعسة ، فوقع لحي كل إنسان منهم على صدره ، فقال قائل منهم لا يدري من هو : أغسلوه وعليه ثيابه ، قالوا : وكان الذى تولى غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، والفضل بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وكان على يغسله ويقول : بأبى أنت وأمى ، طببت ميتا وحيا . وقيل : كان على يغسل النبي صلى الله عليه وسلم والفضل وأسامة يحجبانه ، وقيل : غسل والعباس قاعد والفضل محتضنه ، وعلى يغسله ، وأسامة يختلف ، وقيل : ولّى غسله العباس بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، والفضل بن العباس وصالح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه : أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يغسله أحد غيرى ، فإنه « لا يرى أحد عورتى إلا طمست عيناه » . قال على : فكان الفضل وأسامة يناولانى الماء من وراء الستر ، وهما معصوبا العين . قال على : فما تناولت عضوا إلا كأنما يقبله معى ثلاثون رجلا حتى فرغت من غسله . وقيل : كان معهم شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن سعيد بن المسيب قال : غسل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكفنته أربعة على والعباس والفضل وشقران ، وقيل : لم يحضره العباس ، بل كان بالبواب ،

(١) لعله سقط هنا لفظ قال .

- وقال: لم يعنى أن أحضر غسله إلا أنى كنت أراه يستحي أن أراه حاسرا . وقيل :
 حضره عقيل بن أبي طالب ، وأوس بن خويلب ، وذلك أن أوس بن خويلب قال :
 يا علي ، أتشدك الله في حظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له علي : أدخل ،
 فدخل بغلس ، وقيل : إنما دخل لأن الأنصار قالت : نناشدكم الله في نصيبنا من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدخلوا رجلا منهم يقال له أوس بن خويلب يحمل
 جرة بإحدى يديه . والذي أثبتته الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي
 رحمه الله في مختصر السيرة قال : تولى غسله علي والعباس والفضل وقم أبنا العباس
 وأسامة بن زيد وشقران مولايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وحضره أوس
 ابن خويلب الأنصاري . وعن علي رضي الله عنه قال : لما أخذنا في جهاز رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أغلقنا الباب دون الناس جميعا ، فنادت الأنصار نحن
 أخواله ، ومكاننا من الإسلام مكاننا ، ونادت قريش نحن عصبته ، فصاح
 أبو بكر : يا معشر المسلمين ، كل قوم أحق بمجازتهم من غيرهم ، فنشدتكم الله فإنكم
 إن دخاتم أحرمتوهم عنه ، والله لا يدخل عليه أحد إلا من دعى . وعن أبي جعفر
 محمد بن علي قال : غسل النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات بماء وسدر ،
 وغسل في قميص ، وغسل من بئر يقال لها الغرس لسعد بن خيثمة بقاء ، وكان
 يشرب منها وولى [غسل] سفلته علي ، والعباس يصب الماء ، والفضل مضمضه
 يقول : أرخني أرخني ، قطعت وتبني ! إني أجد شيئا يتزل علي مرتين . وعن عبد الله
 ابن الحارث : أن عليا غسله ، يدخل يده تحت القميص ، والفضل يمسك الثوب
 عليه ، والأنصاري ينقل الماء وعلى يد علي خرقة تدخل يده وعليه القميص . وعن
 عبد الله بن جعفر الزهري عن عبد الواحد بن أبي عون ، قال قال رسول الله صلى

١٤٤
١٦

الله عليه وسلم لعليّ في مرضه الذي توفى فيه : « أغسلني يا عليّ إذا متّ » فقال :
 يا رسول الله ، ما غسلت ميتاً قط ، نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك ستَهَيِّأُ ،
 أو تيسّر » قال عليّ : فغسلته فما أخذ عضواً إلا تبعني ، والفضل أخذ مُحْضِنَهُ يقول :
 أعجل يا عليّ - أنقطع ظهري . وعن سعيد بن المسيّب قال : التمس عليّ من النبي صلى
 الله عليه وسلم عند غسله ما يلتمس من الميت فلم يجد شيئاً ، فقال : بأبي أنت
 وأمي ؛ طُبت حيا وميتاً . هذا ما لخصناه في غسله صلى الله عليه وسلم مما أورده
 محمد بن سعد في طبقاته على سبيل الاختصار وحذف الأسانيد . والله أعلم .

وأما تكفينه صلى الله عليه وسلم

فقد اختلف فيه ؛ فقيل : كُفِّنَ في ثلاثة أثواب بيض كُرْسُفٍ ^(١) ، وقيل :
 في ثلاثة أثواب أحدها جَبْرَةٌ ، وقيل : في رِبَطَتَيْنِ ^(٢) وَبُرْدٍ نَجْرَانِيٍّ ^(٣) . وقيل : في ثلاثة
 أثواب بُرودٍ يمانية غِلاظٍ لِزَارٍ وَرِدَاءٍ وَلِفَاقَةٍ . وقيل : في حُلَّةٍ حَمْرَاءٍ وَقِبْطِيَّةٍ ^(٤) .
 وقيل : في حُلَّةٍ يمانية وقميص . وقيل : في حُلَّةٍ حَبْرَةٍ وقميص . وقيل : في سبعة
 أثواب . والذي ورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كُفِّنَ في ثلاثة أثواب
 بيض سَخُولِيَّةٍ من ثياب سَخُولٍ - بلدة باليمن - ليس فيها قميص ولا عمامة ،
 بل لفائف من غير خياطة . وحنَّط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في حنوطه
 الْمِسْكُ ، وأبقى منه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه شيئاً أدنَّه لحنوطه إذا مات .

(١) الكرسف : القطن .

(٢) الربطة : كل ملاة ليست بلفقتين ، وقيل : كل ثوب رقيق لين .

(٣) نجران : موضع معروف بين الحجاز واليمن .

(٤) قبطية : ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض . وفي الطبقات : « رقطيفة » .

ذكر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

- رُوى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: أول من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطاب ، وبنو هاشم ، ثم خرجوا ، ثم دخل المهاجرون والأنصار ، ثم الناس رِفْقًا رِفْقًا^(١) ، فلما آنقضى الناس دخل عليه الصبيان صفوفا ، ثم النساء ، وقيل : النساء والصبيان . وذكر البيهقي عن الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: وجدت هذا في صحيفة بخط أبي ، فيها : لما كُفّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضِع على سريره ، دخل أبو بكر وعمر فقالا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار قَدَر ما يسع البيت ، فسأموا كما سلم أبو بكر [وعمر]^(٢) وصَفُّوا صُفُوفًا لا يؤمهم عليه أحد ، فقال أبو بكر وعمر وهما في الصف الأول حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما أنزل إليه ، ونصح لأئمة ، وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله به دينه ، وتمت كلماته ، فأؤمن به وحده لا شريك له ، فاجعلنا يا إلهنا ممن يتبع القول الذى أنزل معه ، وأجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه بنا فإنه كان بالمؤمنين رءوفاً رَحِيماً ، لا نبتغى بالإيمان بدلاً ، ولا نشتري به ثمناً أبداً . فيقول الناس آمين آمين ، ثم يخرجون ويدخل آخرون حتى صلّوا عليه : الرجال والنساء ثم الصبيان . وعن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن علي رضى الله عنهم قال: لما وُضِع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السرير قال علي : لا يؤم أحدٌ ، هو إمامكم حياً وميتاً ، فكان يدخل الناس رسلاً

(١) رفقاً : جماعات .

(٢) الزيادة من الطبقات .

(٣) في جـ « تعرفه بنا » وفي الطبقات « حتى يعرفنا ونعرفه » .

رَسَلًا ، فيصَلُّونَ عَلَيْهِ صَفًّا صَفًّا ، لَيْسَ لَهُمْ إِمَامٌ وَيُكَبِّرُونَ ، وَعَلَى قَائِمٍ بِحَيْثُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : سَلَامٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، اللَّهُمَّ
إِنَّا نَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ وَنُصِّحَ لِأُمَّتِهِ ، وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى أَعَزَّ اللَّهُ
دِينَهُ وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ ، اللَّهُمَّ فَاجْعَلْنَا مَنْ يَتَّبِعُ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ ، وَثَبَّتْنَا بَعْدَهُ وَاجْمَعْ بَيْنَنَا
وَبَيْنَهُ . فيقول الناس : آمين ، آمين . وقد قيل في سبب صلاة الناس عليه أفذاذاً :
إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِيَكُونَ كُلُّ مَنْهُمْ فِي الصَّلَاةِ أَصَلًّا لَا تَابِعًا لِأَحَدٍ . وقيل : ليطول
وقت الصلاة فيلحق من يأتي من حول المدينة .

ذِكْرُ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَلَدِهِ

وَمَا فُرْشٌ تَحْتَهُ وَمَنْ فَرَشَهُ ، وَمَنْ دَخَلَ قَبْرَهُ ، وَوَقْتُ دَفْنِهِ ، وَمُدَّةُ حَيَاتِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رَوَى أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ اخْتَلَفُوا فِي مَكَانِ
دَفْنِهِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَدْفِنُهُ فِي مُصَلَّاهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : عِنْدَ الْمَنْبَرِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
أَدْفِنُوهُ مَعَ أَصْحَابِهِ بِالْبَقِيعِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا دُفِنَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا فِي الْمَكَانِ الَّذِي
تَوَفَّى فِيهِ » . وقيل : قال « مَا مَاتَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ » فَرَفَعَ فِرَاشَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تَوَفَّى عَلَيْهِ وَحَفَرَ لَهُ تَحْتَهُ ، وَذَلِكَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ
أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . ثُمَّ اخْتَلَفُوا أَيُّهَا يَلْحُدُ لَهُ أُمٌّ لَا ؟ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ حَفَّارَانِ
أَحَدُهُمَا يُلْحَدُ وَهُوَ أَبُو طَلْحَةَ ، وَالْآخَرُ لَا يَلْحَدُ وَهُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ . فَانْفَقُوا
عَلَى أَنْ جَاءَ مِنْهُمَا أَوْلَا عَمَلٍ عَمَلُهُ ، بِجَاءَ الَّذِي يَلْحَدُ فَلِحْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) رسلا رسلا : أى فرقا ، ويروى : أرسالا : أى أفواجا .

(٢) فى أ : « عمل عليه » .

- عليه وسلم . وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان بالمدينة رجلان : أبو عبيدة ابن الجراح يَضْرَحُ حُفْرَ أَهْلِ مَكَّةَ ، وأبو طلحة الأنصاريّ - هو الذى يَحْفِرُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وكان يُلْحَدُ . فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما : أذهب إلى أبي عبيدة ، وقال للآخر : أذهب إلى أبي طلحة ، وقال : اللهم نحر لرسولك ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة بغاء به فلحد له . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللحد لنا والشق لغيرنا » . وقيل قال : « والشق لأهل الكتاب » . قيل : وكان صلى الله عليه وسلم يرى اللحد فيعجبه فألحد له ، وأطبق له تسع لَبِنَاتٍ وفُرش تحته في قبره قَطِيفَةٌ حمراء كان يُغَطِّي بها صلى الله عليه وسلم نزل بها سُقْرَانُ . وأما من نزل قبره صلى الله عليه وسلم فالعباس بن عبد المطاب ، وعلى بن أبي طالب ، والفضل وقثم أبنا العباس ، وسُقْرَانُ مولاه ، وقيل : أدخلوا معهم عبد الرحمن ابن عوف ، قيل : وعَقِيلٌ وأسامة بن زيد ، وصالح ، وأوس بن خَوْلِيٍّ . والذى صححه الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف رحمه الله : العباس وعلى والفضل وقثم وسُقْرَانُ . وزعم المغيرة بن شعبه أنه نزل قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره . روى عن الشعبي قال : كان المغيرة يحدثنا ها هنا ، يعنى [بالكوفة] قال : [أنا] آخر الناس عهدا بالنبي صلى الله عليه وسلم لما دُفِنَ ونحرج على من القبر ألقيت خاتمي فقلت : يا أبا الحسن خاتمي ، قال : أنزل نخذ خاتمك ، فنزلت فأخذت خاتمي ، ووضعت يدي على اللبنة ثم خرجت . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال : لما وضع رسول الله صلى الله عليه

٢٠

(١) صالح : هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يعرف بسُقْرَانُ .

(٢) الزيادة من الطبقات ج ٢ ق ٢ : ٧٧ .

وسلم في لحده ، ألقى المغيرة بن شعبه خاتمته في القبر ، ثم قال : خاتمي ، خاتمي ! فقالوا :
 أدخل نخذه ، فدخل ثم قال : أهيلوا عليّ التراب ، فأهالوا عليه التراب حتى بلغ
 أنصاف ساقيه فخرج ، فلما سوي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أخرجوا
 عني حتى أغلق الباب ، فإني أحدثكم عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا :
 لعمرى إئن كنت أردتها لقد أصبتها . وأنكر على بن عبد الله بن عباس هذا ،
 وقال : كان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم فتم بن العباس ، كان
 أصغر من كان في القبر ، وكان آخر من صعد . والله أعلم .

وأما وقت دفنه صلى الله عليه وسلم ومدة مرضه

فقيل : دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء ، وقيل : ليلة الثلاثاء ،
 وقيل : يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس . والله أعلم . ^(٢) وسُمّ قبره ورش عليه الماء .
 وكانت مدة مرضه اثني عشر يوما . وقيل : أربعة عشر يوما . وكان مرضه
 بالصداع صلى الله عليه وسلم .

وأما سنُّه صلى الله عليه وسلم

ومدة مقامه بالمدينة من حين هجرته إلى يوم وفاته صلى الله عليه وسلم
 فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ، وقد بلغ من السن ثلاثا
 وستين سنة ، وقيل : خمسا وستين ، وقيل : ستين . وروى محمد بن سعد قال :
 أخبرنا هشام بن القاسم ، قال حدثنا أبو معشر عن يزيد بن زياد قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لعائشة في السنة التي قبض فيها : « إن جبريل كان يعرض عليّ

(١) لفظ « عني » ليس في ج ولا الطبقات .

(٢) سنم : جعل له سنم أي رفع عن الأرض .

القرآن في كل سنة مرة ، فقد عَرَضَ على العام مرتين ، وأنه لم يكن نبياً إلا عاش نصف عمر أخيه الذي كان قبله ، عاش عيسى بن مريم مائة وخمسا وعشرين سنة ، وهذه آنتنان وستون سنة « ومات في نصف السنة . والذي نقلناه أولاً هو الذي صححه العلماء . والله أعلم .

وكان مقامه بالمدينة من لدن الهجرة إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم عشرين سنين .

ذكر ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما روى فيه

- رَوَى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنا لا نُورَث ، ما تركناه صدقة » . وروى محمد بن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر بن واقد ، قال حدثنا معمر ومالك وأسامة بن زيد عن الزهري عن عروة عن عائشة ، قال محمد بن عمر : وحدثني معمر وأسامة بن زيد وعبد الرحمن ابن عبد العزيز عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحداد عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعباس بن عبد المطلب قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ما تركناه فهو صدقة » يريد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه . وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَقْتَسِم ورثتي ديناراً ولا درهماً ، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فإنه صدقة » . وعن عائشة : إن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أفاء الله على رسوله ، وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبي صلى الله عليه وسلم التي بالمدينة وقدك ، وما بقي من خمس خيبر ، فقال أبو بكر

(١) في الطبقات : « بقنم » .

رضى الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا نورث، ما تركنا صدقةً »
 إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم،
 ولأعمانٍ فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأبى أبو بكر أن يدفع
 إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر، فهجرته ولم تكلمه حتى
 توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر. وعن أبي جعفر^(١)
 قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها، وجاء العباس بن عبد المطلب
 يطلب ميراثه، وجاء معهما علي بن أبي طالب، فقال أبو بكر: قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « لا نورث، ما تركنا صدقةً » وما كان النبي يقول فعلى، فقال
 علي: « وورث سليمان داود » وقال زكريا: « يرثني ويرث من آل يعقوب »^(٢)
 قال أبو بكر: هو هذا، والله تعلم مثل ما أعلم. فقال علي: هذا كتاب الله ينطق،
 فسكتوا وأنصرفوا. وعن زيد بن أسلم عن أبيه، قال سمعت عمر بن الخطاب
 يقول: لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيع لأبي بكر
 في ذلك اليوم، فلما كان من الغد جاءت فاطمة إلى أبي بكر - رضى الله عنهما -
 معها علي رضى الله عنه فقالت: ميراثي من رسول الله أبي، صلى الله عليه
 وسلم، فقال أبو بكر: أمن الرثة أو من العقد؟ قالت: فدك وخيبر وصدقاته^(٣)
 بالمدينة أرضها كما تركت بناتك إذا مت، فقال أبو بكر: أبوك والله خير مني، وأنت
 والله خير من بناتي، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا نورث، ما تركنا

١٤٧
١٦

(١) كذا في الأصول؛ وفي الطبقات « جعفر » . (٢) آية ١٦ سورة النمل .

(٣) آية ٥ سورة مريم . (٤) الرثة: الردي . من متاع البيت .

(٥) العقد (جمع عقدة) : الأرض الكثيرة الثحل .

- صدقة» بمعنى هذه الأموال القائمة ، فتعلمين أن أباك أعطاكها ؟ فوالله لئن قلت نعم لأقبلن قولك ولأصدقنك . قالت : جاءني أم أيمن فأخبرتني أنه أعطاني فدك . قال : فسمعتَه يقول هي لك ؟ فإذا قلت قد سمعته فهي لك ، فإنا أصدقك وأقبل قولك . قالت : قد أخبرتك ما عندي . وعن عمرو بن الحارث ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أني ميمونة قال : والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ، ولا عبدا ولا أمة ، ولا شيئا إلا بغلته البيضاء وسلاحه ، وأرضا تركها صدقة . وعن زير بن حبيش : أن إنسانا سأل عائشة رضي الله عنها عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسألني ؟ لا أبالك ! توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدع دينارا ولا درهما ، ولا عبدا ولا أمة ولا شاة ولا بعيرا . وعن ابن عباس نحوه ، قال : وترك درعه رهنا عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم ترك يوم مات ثوبى حبرة وإزارا عمانية ، وثوبين صُحَّارين ، وقيصا صُحَّاريا ، وجبة يمنية ، وحميصا وكساء أبيض ، وقلانس صغارا لاطئة ثلاثا أو أربعاً ، وإزارا طوله خمسة أشبار ، ولاحفة مؤرسة . صلى الله عليه وسلم . هذا الذى أورده الشيخ محب الدين الطبرى فى مختصر السيرة .

١٥

ذكر ما نال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وآله من الحزن على فقده ، ونبذة مما رثوه به صلى الله عليه وسلم

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم

جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة : واكرب أبته ، فقال لها صلى الله عليه وسلم :

٢٠

(١) فى نسخة ١ : عتابيا وهو تصحيف .

(٢) اللاطئة : اللاصقة ؛ أى ملزقة بالرأس .

« ليس على أبيك كرب بعد اليوم » . فلما مات صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة :
يا أبتاه أجب رباً دعاه ، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ينعاه ،
يا أبتاه من ربه ما أدناه ! قال : فلما دفن قالت فاطمة : يا أنس أطابت أنفسكم
أن تحشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ . وعن عكرمة قال : لما
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى أُمّ أيمن ، فقيل لها أتبكين على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : أما والله ما أبكي عليه ألا أكون أعلم أنه ذهب
إلى ما هو خير له من الدنيا ، ولكن أبكي على خبر السماء أنقطع . وعن عبد الرحمن
ابن سعد بن يربوع قال : جاء علي بن أبي طالب يوماً متقنعاً متحازناً ، فقال أبو بكر :
أراك متحازناً ، فقال علي : إنه عساني ما لم يعنك ، قال يقول أبو بكر : اسمعوا
ما يقول ! أنشدكم الله أترون أحداً كان أحزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
متى ؟ . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت عثمان بن عفان يقول :
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحزن عليه رجال من أصحابه حتى كاد بعضهم
يُوسوس . وعن القاسم بن محمد : أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذهب بصره فدخل عليه أصحابه يعودونه ، فقال : إنما كنت أريدهما لأنظر
بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما إذ قبض الله نبيه فما يسرنى أن ما بهما
بظبي من ظباء تبالة^(٢) . وأما عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها فإنها لازمت قبره
صلى الله عليه وسلم .

ورثي رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه وعماته رضی الله عنهم
فقال أبو بكر الصديق رضی الله عنه :

(١) في الأصول : « ما يسونى » وما أثبتناه عن الطبقات .

(٢) تبالة : موضع باليمن خصب .

يا عينُ فأبكي ولا تَسْأَمِي * وَحُقَّ البُكَاءُ على السَّيِّدِ
 على خَيْرِ خِنْدِفٍ عندَ البَلَا ^(١) * ءِ أَمْسَى يُغَيِّبُ في المُلْحَدِ
 فَصَلَّى المَلِيكَ ولى العِبَادِ * وَرَبُّ البِلَادِ على أَحْمَدِ
 فَكَيْفَ الحَيَاةُ لِفَقْدِ الحَبِيبِ * وَزَيْنُ المَعَاشِرِ في المَشْهَدِ
 فَأَيَّتِ المَمَاتِ لَنَا كَلْنَا * وَكُلًّا جَمِيعًا مع المُهْتَدِي

١٤٨
١٦

وقال أيضا رضوان الله عليه :

لَمَّا رَأَيْتُ نَبِيَّنَا مُتَجَدِّلاً * ضَاقَتْ عَلَيَّ بَعْرَضِيهِنَّ الدُّورُ
 وَأَرْتَعْتُ رَوْعَةً مُسْتَهَامٍ وَآلِهِ * وَالعَظْمُ مِنِّي وَاهِنٌ مَكْسُورُ ^(٢)
 أَعْتَبْتُ وَيَحْكُ إِنِّ حَبِكَ قَد تَوَى * وَبَقِيَتْ مَنفَرْدًا وَأَنْتَ حَسِيرُ ^(٣)
 بِأَلَيْتِنِي مِن قَبْلِ مَهْلِكِ صَاحِبِي * غُيِّبْتُ فِي جَدَثٍ عَلَيَّ صُخُورُ ^(٤)
 فَلْتَحَدِّثْنِي بَدَائِعٍ مِنْ بَعْدِهِ * تَعْيَا بَهَنَ جَوَانِحُ وَصُدُورُ

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

أَرِقْتُ فَبَاتَ لَبْلِي لَا يَزُولُ * وَلَيْلُ أُنْحَى المَصِيبَةَ فِيهِ طُولُ ^(٥)
 وَأَسْعَدَنِي البُكَاءُ وَذَاكَ فِيمَا * أُصِيبَ المَسَامُونَ بِهِ قَلِيلُ
 لَقَدْ عَظُمَتْ مَصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ * عَشِيَّةَ قَبِيلٍ قَدْ قُبِضَ الرِّسُولُ
 وَأَضْحَتْ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَّاهَا * تَكَادُ بِنَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ
 فَفَقَدْنَا الوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فِيْنَا * يَرُوحُ بِهِ وَيَغْدُو جِبْرَيْلُ

(١) خندف : ولد إلياس بن مضر ، أحد أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) الروعة : الفزعة ، المستهام : الذي أسقمه الحم ، الواله : الداهب عقله حزنا ، والوهن :

الضعف . (٣) الحب بالكسر : المحبوب ، والحسير : المتلهف .

(٤) الجذث : القبر . (٥) في نسخة أ الصباية .

وذاك أحق ما سألت عليه * نفوس الناس أو كرتت تسيل
 نبئ كان يحلو الشك عنها ^(١) * بما يوحي إليه وما يقول
 ويهدينا فلا نخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
 أفاطم إن جرعت فذاك عذر * وإن لم تجزعي ذلك السبيل
 فقبر أبك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول
 وقال عبد الله بن أنيس :

تطاول لي وأعترني القوارع * وخطب جليل للبلية جامع
 غداة نعى الناعي إلينا محدا * وتلك التي تستك منها المسامع
 فلورد ميتا قتل نفسى قتلها * ولكنه لا يدفع الموت دافع
 فآليت لا آسى على هلك هالك * من الناس ما أوفى تبير وفارغ
 وليكننى بالك عليه ومتبع * مصيبته إني إلى الله راجع
 وقد قبض الله النبيين قبله * وعاد أصيبت بالرزى والتبايع ^(٢)
 فبايت شعري من يقوم بأمرنا * وهل فى قريش من إمام ينازع
 ثلاثة رهط من قريش هم هم * أزمة هذا الأمر والله صانع ^(٣)
 على أو الصديق أو عمر لها * وليس لها بعد الثلاثة رابع
 فإن قال منّا قائل غير هذه * أبينا وقلنا الله راء وسامع
 فبالقريش قلّدوا الأمر بعضهم * فإن صحیح القول للناس نافع
 ولا تبطنوا عنها فواقا فإنها * إذا قطعت لم تمن فيها المطامع ^(٤)

١٤٩
١٦

(١) الضمير يعود على النفوس ؛ وفي المواهب « عا » .

(٢) التبايع : ملوك اليمن جمع تبع . (٣) أزمة : جمع زمام .

(٤) فواق : من الزمن مقدار ما بين الحلبتين .

وقال حسان بن ثابت الأنصاري :

آلَيْتُ حِلْفَةَ بَرِّ غَيْرِ ذِي دَخَلٍ * مَنِيَّ الْيَبَةِ حَقٌّ غَيْرِ إِفْنَادٍ^(١)
 تَالَهُ مَا حَمَلْتُ أَثْمِي وَلَا وَضَعْتُ * مِثْلَ النَّبِيِّ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ الْمَهَادِي
 وَلَا مَشَى فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ * أَوْفَى يَدْمَةَ جَارٍ أَوْ بِمِعَادٍ
 مِنَ الَّذِي كَانَ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ * مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا حَرَمٍ وَإِرْشَادٍ
 مُصَدِّقًا لِلنَّبِيِّينَ الْأَلَى سَلَفُوا * وَأَبْدَلَ النَّاسِ لِلْعُرُوفِ لِلْجَادِي^(٢)
 خَيْرَ الْبَرِيَّةِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهْرٍ * جَارٍ فَاصْبَحْتُ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الصَّادِي^(٣)
 أَمْسَى نِسَاؤُكَ عَطَّلَانَ الْبُيُوتِ هَا * يَضْرِبُ بَنَ خَلْفَ قَفَا سَيْثِرٍ بِأَوْتَادٍ
 مِثْلَ الرِّوَاهِبِ يَلْبَسُنَ الْمُسُوحَ وَقَدْ * أَيْقَنَ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النِّعْمَةِ الْبَادِي^(٤)

وقال أيضا :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا * كَحَلْتُ مَا قَيْهَا بِكُحْلِ الْأَرْمِيدِ
 جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا * يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعُدِ
 يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ * بَعْدَ الْمَغِيبِ فِي سَوَاءِ الْمُتَحَدِ
 جَنَسِي يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي * غَيْبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيْعِ الْغَرْقَدِ^(٥)
 يَا يَكْرَ أَمْنَةَ الْمُبَارَكِ ذِكْرُهُ * وَلَدَّتْهُ مُحْصَنَةٌ بِسَعْدِ الْأَسْعَدِ^(٦)
 نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا * مِنْ يُهْدَى لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي

(١) دخل : خديعة ومكر . إفناد : كذب .

(٢) الجادي : طالب الجدوى وهي العطية .

(٣) الصادي : من الصدى وهو العطش الشديد .

(٤) البادي : أي الظاهر ، نعت للبؤس .

(٥) في ديوان حسان : وجهي يقيك ، وبقيع الغرقد : مقبرة المدينة .

(٦) محصنة : عفيفة ، وسعد السعد : منزلة من منازل القمر ، والمراد العين والبركة .

أَقِيمُ بِعَدَاكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ * يَالْهَفَ نَفْسِي لَيْتَنِي لَمْ أُولَدِ

بِأَبِي وَأُمِّي مِنْ شَهَدْتُ وَوَفَاتِهِ * فِي يَوْمِ الْآخِرِينَ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي

وَوَظَلْتُ بِعَدَا وَوَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا ^(١) * يَالَيْتَنِي صُبَّحْتُ سَمَّ الْأَسْوَدِ ^(٢)

أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا * فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ فِي غَدِ

فَتَقْسُومِ سَاعَتِنَا فَتَأْتِي سَيِّدًا * مَحْضًا مَضَارِبُهُ كَرِيمَ الْمُحْتَدِ ^(٣)

يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَيْدِنَا * فِي جَنَّةِ تَفْقِي عِيُونَ الْحُسَّيدِ ^(٤)

فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ نَا كَتَبْنَا لَنَا * يَاذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّوَدَدِ

وَاللَّهِ أَسْمَعُ مَا حَبِثُ بِهَالِكِ ^(٥) * إِلَّا بِكَكَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَاصْبَحُوا * سُودًا وَجُوهُهُمْ كَلَوْنَ الْإِثْمِدِ

وَلَقَدْ وَلَدَنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ * وَفُضُّوْا نِعْمَتِهِ بِنَا لَمْ يَجْحَدِ ^(٦)

وَاللَّهُ أَهْدَاهُ لَنَا وَهَدَى بِهِ * أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مَشْهَدِ

صَلَّى الْإِلَهَ وَمَنْ يُحْفَ بِعَرِشِهِ * وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

ووقفت فاطمة الزهراء رضي الله عنها على قبره صلى الله عليه وسلم فقالت :

مَا ضَرَّ مَنْ قَدْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدِ * أَلَا يَشْتَمُّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا ^(٧)

صُبَّتْ عَلَى مَصَابِبٍ لَوْ أَنَّهَا * صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ صِرْنَ لِيَالِيَا

وقالت رضي الله عنها :

أَغْشَبَ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُورَتْ * شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ

(١) متبدا : متغيرا متلفعا ، وضد التجلج . (٢) الأسود : الحية العظيمة .

(٣) المحض : الخالص ، ومضاربه : أصله وقومه وأبوه وشرقه ، وفي ديوانه : ضرائبه وهي السجايا ،

والمحتد : الأصل . (٤) تفق : تفلح ، وفي الديوان : تفتي : أي تصرف .

(٥) يريد لا أسمع . (٦) « لا تجحد » في الأصول ، وفي الديوان : لم يجحد .

(٧) الغواليا جمع غالية : وهي أخلاط من الطيب .

والأرض من بعد النبي كريمة * أسفاً عليه كريمة الرجفان
فلتبكيه شرق البلاد وغربها * ولتبكيه مضر وكل يماني
وليبكيه الطود المعظم جوه * والبيت ذو الأستار والأركان^(١)
يا خاتم الرسل المبارك صنوه * صلى عليك منزل الفرقان^(٢)
نفسى فداؤك ما لرأسك ماثلاً * ما وسدوك وسادة الوستان

وقالت صفة بنت عبد المطلب :

أفاطم بكي ولا تسأمي * بصبحك ما طلع الكوكب^(٣)
هو المرء يبكي وحق البكا * على الماجد السيد الطيب^(٤)
فاوحشت الأرض من فقده * وأى البرية لا ينكب^(٥)
فإلى بعدك حتى المآ * ت إلا الجوى الداخل المنصب^(٦)
فبكي الرسول وحق له * شهود المدينة والغيب^(٧)
لتبكيك شطاء مضرورة * إذا حجب الناس لا تحجب^(٨)
ليبكيك شيخ أبو ولدة * يطوف بعقوته أشهب^(٩)
ويبكيك ركب إذا أرملوا * فلم يلف ما طلب الطلب^(١٠)
وتبكي الأباطح من فقده * وتبكيه مكة والأخشب^(١١)
فعبنى مالك لا تدمعين * وحق لدمعك يستسكب^(١٢)

(١) الطود : الجبل ، والجوهنا : الأودية . (٢) الصنو : المثل .

(٣) في « فصبحك ... » . (٤) كذا في الأصول وفي الطبقات : « هو الماجد ... » .

(٥) الجوى : الحزن ، المنصب : المنع . (٦) الشطاء : العجوز المبيضة الشعر ،

المضرورة التي أصيبت بالضرر . (٧) الولدة بكسر الواو : الأولاد ، والعقوة : الساحة ،

والأشهب : الجسد والفقير . (٨) أرملوا : فقد زادهم . (٩) الأخشب : جبل

مشرف على مكة ، وهما أخشبان : أبو قيس والأحر مطبقان بمكة .

وقالت صفية أيضا :

عَيْنِ جُودِي بَدْمَعَةَ تَسْكَابِ * لِلنَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ الْأَوْابِ
 عَيْنِ مَنْ تَنْدِينِ بِعَدَنِي * حَخَّصَهُ اللَّهُ رَبُّنَا بِالْحِكَايِ
 فَاتَّخِ خَاتِمَ رِءُوفٍ رَحِيمٍ * صَادِقُ الْقَبِيلِ طَيْبِ الْأَثْوَابِ
 مُشْفِقٍ نَاصِحِ شَفِيقِ عَلَيْنَا * رَحْمَةً مِنْ إِهْنَانِ الْوَهَابِ
 رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ * وَجَزَاهُ الْمَلِيكُ حَسَنَ الثَّمَوَابِ

وقالت أروى بنت عبد المطلب :

أَلَا يَا عَيْنَ وَيْحِكَ أَسْعِدِينِي * بَدْمَعِكَ مَا بَقِيَتْ وَطَاوِعِينِي
 أَلَا يَا عَيْنَ وَيْحِكَ وَأَسْتَهْلِي * عَلَى نُورِ الْبِلَادِ وَأَسْعِدِينِي
 فَإِنَّ عَدْلَتِكَ عَادِلَةٌ فَفُؤُولِي * عَلَامَ وَفِيمَ وَيْحِكَ تَعْدِلِينِي ^(١)
 عَلَى نُورِ الْبِلَادِ مَعًا جَمِيعًا * رَسُولِ اللَّهِ أَحْمَدَ فَأَتْرِكِينِي
 فَلَا تُقْصِرِي بِالْعَدْلِ عَنِّي * فَسَلُومِي مَا بَدَأَكَ أَوْ دَعِينِي
 لِأَمْرِ هَدَانِي وَأَذَلَّ رُكْنِي * وَشَيْبَ بَعْدَ جِدَّتْهَا قُرُونِي

وقالت عائكة بنت عبد المطلب :

يَا عَيْنَ جُودِي مَا بَقِيَتْ بَعْبَةٌ * تَحْتًا عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدِ
 يَا عَيْنَ فَاحْتَفِلِي وَنَحِّي وَأَسْمِحِي * فَأَبِيكَ عَلَى نُورِ الْبِلَادِ مُحَمَّدِ ^(٢)
 أَنِّي لَكَ الْوَيَالَتُ مِثْلُ مُحَمَّدِ * فِي كُلِّ نَائِبَةٍ تَنْوُبُ وَمَشْهَدِ
 فَأَبِيكَ الْمُبَارَكِ وَالْمَوْفِقِ ذَا التَّقَى * حَامِي الْحَقِيقَةَ ذَا الرِّشَادِ الْمُرْشِدِ
 مِنْ ذَا يَفُكِّ عَنِ الْمَغْلَلِ غُلَّهُ * بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي الضَّرِيحِ الْمُأَحَدِ

(١) العاذلة : اللاتمة .

(٢) أسمى : جودي . في الطبقات : وأسمى : من سجم الدمع إذا سال .

أم من لكل مدفع ذى حاجة * ومُسلسل يشكو الحديد مقيد^(١)
 أم من لوى الله ينزل بيننا * فى كل ممسى ليله أو فى غد
 فعليك رحمة ربنا وسلامه * يا ذا الفواضل والندى والسود

وقالت هند بنت أناة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف أخت مسطح :

أشأب ذوائبى وأذاب ركني * بكائك فاطم الميت الفقيدا^(٢)
 فأعطيت العطاء فلم تُكدر * وأخدمت الولائد والعبيدا^(٣)
 وكنت ملاذنا فى كل لزب * إذا هبت شامية برودا^(٤)
 وإنك خير من ركب المطايا * وأكرمهم إذا نسبوا جدودا
 رسول الله فارقتا وكنا * ترجى أن يكون لنا خلودا
 أفاطم فاضبرى فلقد أصابت * رزيتك التهائم والنجودا^(٥)
 وأهل البر والأبحار طرا * فلم تُخطئ مصيته وجيدا
 وكان الخير يضحى فى ذراه^(٦) * سعيد الجدد ولد السعدوا

ورثاه صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء مما لو استقصينا ذلك لطلال، وآتسع فيه
 المجال، ومراثيه صلى الله عليه وسلم ومداحه كثيرة تزداد فى كل عصر، وتتضاعف
 فى كل دهر، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا .

(١) المدفع : الفقير الدليل .

(٢) الذوائب (جمع ذوايب) : شعر الناصية ، والركن : الجانب الأقوى

(٣) الولائد : الجوارى .

(٤) اللزب : الطريق الضيق ، والمراد الشدة . وفى أ : « كرب » .

(٥) التهائم : المنخفضات من الأرض ، والنجود : المرتفعات ، أى جميع البلاد .

(٦) ذراه : أعلاه ، والجدد : الحفظ .

[صورة ما هو مكتوب بآخر هذا الجزء بنسخة ١]

ككل الجزء السادس عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري
رحمه الله تعالى .

وكان الفراغ منه في يوم الاثنين المبارك تاسع جمادى الأولى سنة سبع وستين
وتسعمائة، على يد كاتبه أفقر الخلق إلى رحمة ربه نور الدين بن شرف الدين العاملي،
غفر الله له ولوالديه، ولمن يقرأ له ولهم الفاتحة آمين .

[صورة ما هو مكتوب في آخر هذا الجزء]

[أيضا بنسخة ج]

ككل الجزء السادس عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد مؤلفه
فقير رحمة ربه : أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري - التيمي - القرشي
المعروف بالنويري - عفا الله عنهم .

ووافق الفراغ من كتابته في يوم السبت المبارك لأربع بقين من شهر رمضان
المعظم عام اثنين وعشرين وسبعائة ؛ أحسن الله تقضيها، بالقاهرة المعزية عمرها
الله تعالى .

يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء السابع عشر الباب الثاني من القسم
الخامس من الفن الخامس في أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين .
والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .
وحسبنا الله ونعم الوكيل .



أتممنا بعون الله تعالى تحقيق الجزء الثامن عشر من كتاب «نهاية الأرب
في فنون الأدب» من تجزئة طبعة الدار، في يوم السبت ١٤ من ربيع الثاني
سنة ١٣٧٤ هـ (١١ من ديسمبر سنة ١٩٥٤ م).

يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء التاسع عشر، وأوله: «الباب الثاني من القسم
الخامس في أخبار الخلفاء الراشدين» ما

إبراهيم إطفيش
المصحح بالقسم الأدبي

محمد محمد حسنين
المصحح بالقسم الأدبي

فهرس المراجع

- أسباب النزول للواحدي ، هندية ١٣١٥
- الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر ، حيدرآباد ١٣١٨
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير؛ الوهية سنة ١٢٨٠
- الاشفاق لابن دريد ، جوتنجن ١٨٥٤ م .
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، السعادة والشرفية
سنة ١٣٢٣
- الأصنام لابن الكلبي دار الكتب ١٣٤٣
- البداية والنهاية لابن كثير، السعادة ١٣٤٨
- تاريخ الطبري ، ليدن ١٨٨٩ م .
- تفسير التعلبي مخطوط ، رقم ١٢٤٦ تفسير .
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، حيدرآباد ١٣٢٧
- الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي ، دار الكتب المصرية .
- الجامع الصغير للسيوطي ، بولاق سنة ١٢٨٦
- دلائل النبوة للبيهقي مخطوط ، رقم ٢١٢ حديث .
- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني ، حيدرآباد
١٣٢٠
- ديوان الأعشين ، بيانة ١٩٢٧ م .
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، الرحمانية ١٣٤٧
- ديوان لبيد بن ربيعة ، ليدن ١٨٩١ م . ومخطوط دار
الكتب ٥٤٧ أدب .
- الروض الأنف لأبي القاسم المبيل ، الجمالية ١٣٣٢
- سنن النسائي ، الميمنية ١٣١٢
- السيرة الحلبية ، بولاق ١٢٩٢
- شرح أبي شامة على القصيدة الشقراطيسية مخطوط رقم ٢٤٧
- أدب بدار الكتب . ورقم ١٦١١٦ ز .
- سيرة ابن هشام ، جوتنجن ١٨٥٨ م . والحلبي بمصر
١٣٥٥
- شرح بانت سعاد لابن هشام ، بولاق سنة ١٢٩٠
- شرح البخاري للقسطاني ، بولاق ١٢٩٣
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب ١٣٦٣
- شرح ديوان كعب ، دار الكتب ١٣٦٩
- شرح ديوان لبيد برواية الطوسي ، فينًا ١٨٨٠ م .
- شرح السيرة النبوية لأبي ذر، الخشني ، مطبعة هندية
١٣٢٩
- شرح الشفا للشهاب الخفاجي ، الآستانة ١٢٦٧
- شرح قصيدة الأعشى الدالية مخطوط رقم ١٧٣٦ أدب بدار
الكتب .
- شرح المواهب للزرقاني ، المطبعة الأميرية بولاق ١٢٧٨
- الشفا للفاضي عياض ، الآستانة ١٢٩٠
- صحيح البخاري ، المطبعة الأميرية ١٢٩٦
- صحيح الترمذي ، بولاق ١٢٩٢
- صحيح ابن ماجه ، مصر ١٣١٣
- صحيح مسلم : بولاق ١٢٩٠ والآستانة ١٣٣١
- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ، ليدن ١٣٢٢
- عقد الجمان ، في تاريخ أهل الزمان نسخة مصورة بدارالكتب
رقم ٢٧١ م .

المفردات في غريب القرآن لراغب الأصفهاني ، الحلبي
مصر ١٣٢٤

المقنضب من كتاب جمهرة النسب لياقوت الحموي - مخطوط
بدار الكتب رقم ٢٧٨٥ تاريخ .

الموطأ في الحديث للإمام مالك بن أنس ، السعادة ١٣٣١
النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، مصر ١٣١١

الكتاب لسبويه ، بولاق ١٣١٦

لباب القول ، في أسباب النزول للسيوطي ، الحلبي ١٣٠٢

مجمع الأمثال ليداني ، بولاق ١٢٨٤

المعارف لابن قتيبة ، جوتنجن ١٨٥٠ م .

معجم البلدان لياقوت الحموي ، ليزنج ١٨٦٨ م .

معنى اللبيب لابن هشام ، الحلبي سنة ١٣٠٢

الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	ص	ص
وإنا	وأنا	١١	٣٣
ولم ترها	ولم نسرها	١٢	٣٧
وإنه	وأنه	٣٠٢	٤٤
لقيت الله أولقيت	لقيت الله أولقيت	٣	٤٦
الأخزم	الأخزم	١٣	٤٩
النبي	النبي	١٠	٦٧
ابن عكابة	ابن عتابة	١٣	٦٨
أرعدت	أرعدت	٤	٧٤
قرده	قرده	٢	٧٧
أخو بلي بن عمرو	وأخو بلي بن عمرو	٢١	٩٠
مقوصا	مقوصا	٢٠	١٠١
أشهد	أشهد	٩	١٠٣
الفج	الفج	١٤	١١٠
التبابعة	التبابعة	١٢	١١٣
أبو حارثة بن علقمة	أبو حارثة ابن علقمة	١٦	١٢١
أبو حارثة بن علقمة	أبو حارثة ابن علقمة	٥	١٢٢

ص	س	المخطأ	الصواب
١٢٤	٦	أنه ابن الله	إنه ابن الله
١٣٨	١٥	بنخلة	بنخلة
١٤٢	١	الجن	الجن
١٤٤	١٣	مختصر الدلائل	دلائل النبوة لأبي نعيم
١٥١	٣	فراضا	فراضا
١٥٢	٩	بجياض	لجياض
١٥٤	٦	البيت	البيت
١٥٧	٣	القوم الذي	القوم الذين
١٦١	٣	دحية	دحية
١٧١	١٨	الاستيعاب	الاستيعاب
١٧٣	١٨	حتى قتل	حين قتل
١٨٢	٥	تقترب	تقترب
١٨٢	١٠	حذيمة	جذيمة
١٩٨	٦	حرقه	حرقه
٢٣٨	٥	الخالق	الخالق
٢٤٢	٩	طبيها	طبيها
٢٥٨	١	ولا يؤنس	ولا يؤنس
٢٥٨	٧	الآ	الآ
٢٥٩	٩	رءوف	رءوف
٣٢٠	١٥	الجدع	الجدع

الصواب	الخطأ	س	ص
على ماءٍ	على ماءٍ	١٢	٣٣٥
قطرُ بلٍ	قطرُ بلٍ	١٤	٣٤١
لا تحزن ان	لا تحزن إن	٩	٣٤٨
منجذمٍ	منجذمٍ	٣	٣٥٨
جدلٍ	جدلٍ	٣	٣٥٨

هذا هو الخطأ والصواب في كتابنا
 في اللغة العربية (الجزء الأول) ص ١٢١
 رقم (١٦١) ص ١٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

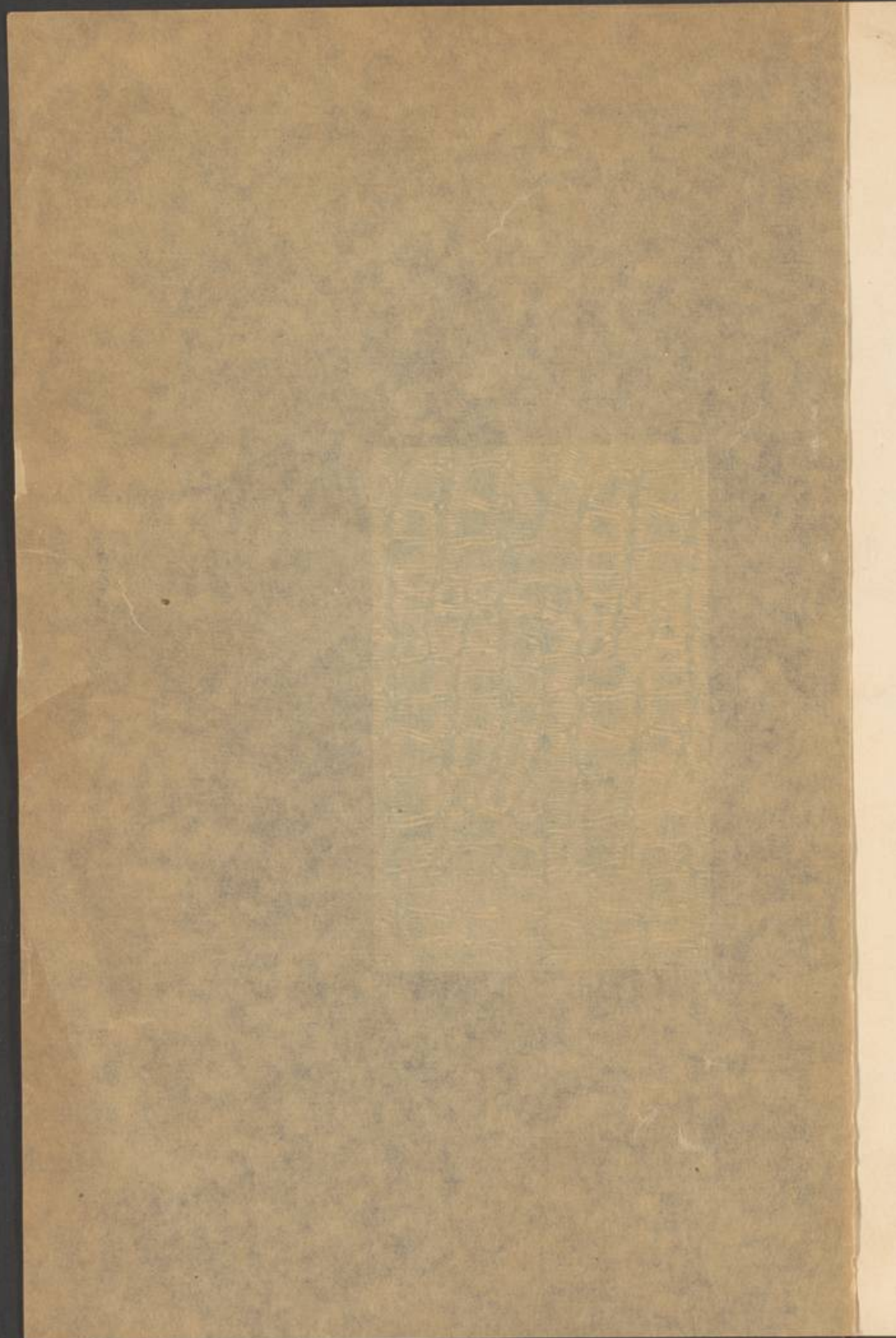
الحمد لله الذي هدانا لهذا

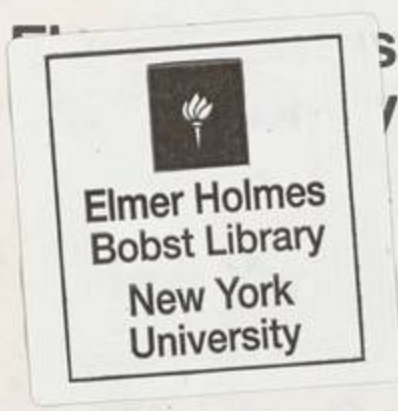
بعمون الله وحمل توفيقه قد تم طبع الجزء الثامن عشر من كتاب
"نهاية الأرب في فنون الأدب" بمطبعة دار الكتب المصرية في شهر رمضان
سنة ١٣٧٤ هـ (مايو سنة ١٩٥٥ م) ما

عبد الحميد نديم

ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٠٦ / ١٩٥١ / ٢٠٠٠)





**Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University**

From the Library of
George C. Miles
Gift of Marian Miles McCredie



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

